



# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَاوِيلِ أَبِي الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسماعيل بن شزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى ٣١٠ سنة هـ

الجزء الخامس عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير

BP

130.4

.T28

v. 15-17

JAN 12 1973



فهارس

الجزء الخامس عشر من جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				سورة بني إسرائيل	
١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً . . .	١	٢٤	واخفض لهما جناح الذل . . .	٦٥
٢	وآتيناهم موسى الكتاب . . .	١٨	٢٥	ربكم أعلم بما في نفوسكم . . .	٦٨
٣	ذرية من حملنا مع نوح . . .	١٨	٢٦	وآت ذا القربى حقه . . .	٧١
٤	وقضينا إلى بني إسرائيل . . .	٢٠	٢٧	إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين . . .	٧١
٥	فإذا جاء وعد أولاهما . . .	٢٠	٢٨	ولما أن تعريضن عنهم ابتغاء رحمة . . .	٧٤
٦	ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . .	٣٠	٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . .	٧٦
٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم . . .	٣١	٣٠	إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء . . .	٧٧
٨	عسى ربكم أن يرحمكم . . .	٤٣	٣١	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق . . .	٧٧
٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . .	٤٦	٣٢	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة . . .	٨٠
١٠	وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٦	٣٣	ولا تقتلوا النفس . . .	٨٠
١١	ويدع الإنسان بالشر . . .	٤٧	٣٤	ولا تقربوا مال اليتيم . . .	٨٤
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين . . .	٤٨	٣٥	وأوفوا الكيل إذا كيلتم . . .	٨٥
١٣	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . . .	٥٠	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم . . .	٨٦
١٤	اقرأ كتابك . . .	٥٣	٣٧	ولا تمش في الأرض مرسحاً . . .	٨٨
١٥	من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه . . .	٥٣	٣٨	كل ذلك كان سيئه عند ربك . . .	٨٨
١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية . . .	٥٤	٣٩	ذلك مما أوحى إليك ربك . . .	٩٠
١٧	وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح . . .	٥٧	٤٠	أفأصفاكم ربكم بالبنين . . .	٩٠
١٨	من كان يريد العاجلة . . .	٥٩	٤١	ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدكرُوا . . .	٩١
١٩	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها . . .	٥٩	٤٢	قل لو كان معه آلهة كما يقولون . . .	٩١
٢٠	كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء . . .	٦٠	٤٣	سبحانه وتعالى عما يقولون . . .	٩١
٢١	انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض . . .	٦١	٤٤	تسبح له السموات السبع والأرض . . .	٩١
٢٢	لا تجعل مع الله إلهاً آخر . . .	٦١	٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك . . .	٩٣
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . .	٦٢	٤٦	وجعلنا على قلوبهم أكنة . . .	٩٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٧	نحن أعلم بما يستمعون به . . .	٩٥	٧٥	إذن لأذقنك ضعف الحياة . . .	١٣١
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	٩٦	٧٦	وإن كادوا ليستفزونك . . .	١٣٢
٤٩	وقالوا إذا كنا عظاما . . .	٩٧	٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك . . .	١٣٣
٥٠	قل كونوا حجارة أو حديدا . . .	٩٨	٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس . . .	١٣٤
٥١	أو خلقا مما يكبر في صدوركم . . .	٩٨	٧٩	ومن الليل فتهجد به نافلة لك . . .	١٤١
٥٢	يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده . . .	١٠١	٨٠	وقل رب أدخلني مدخل صدق . . .	١٤٨
٥٣	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن . . .	١٠١	٨١	وقل جاء الحق وزهق الباطل . . .	١٥١
٥٤	ربكم أعلم بكم ، إن يشأ يرحمكم . . .	١٠٢	٨٢	ونزل من القرآن ما هو شفاء . . .	١٥١
٥٥	وربك أعلم بمن في السموات . . .	١٠٣	٨٣	وإذا أنعمنا على الإنسان . . .	١٥٣
٥٦	قل ادعوا الذين زعمتم من دونه . . .	١٠٣	٨٤	قل كلُّ يعمل على شاكلته . . .	١٥٤
٥٧	أولئك الذين يدعون يبتغون . . .	١٠٤	٨٥	ويستلونك عن الروح . . .	١٥٤
٥٨	وإن من قرية إلا نحن مهلكوها . . .	١٠٦	٨٦	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا . . .	١٥٧
٥٩	وما منعنا أن نرسل بالآيات . . .	١٠٧	٨٧	إلا رحمة من ربك . . .	١٥٨
٦٠	وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس . . .	١٠٩	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن . . .	١٥٨
٦١	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	١١٥	٨٩	ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن . . .	١٥٩
٦٢	قال أرأيتك هذا الذي كرمت على . . .	١١٦	٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا . . .	١٥٩
٦٣	قال اذهب فن تبعك منهم . . .	١١٧	٩١	أوتكون لك جنة من نخيل وعنب . . .	١٦٠
٦٤	واستفز من استطعت منهم . . .	١١٧	٩٢	أو تسقط السماء كما زعمت علينا . . .	١٦٠
٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . . .	١٢٢	٩٣	أو يكون لك بيت من زخرف . . .	١٦٣
٦٦	ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر . . .	١٢٢	٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا . . .	١٦٦
٦٧	وإذا مسكم الضر في البحر . . .	١٢٣	٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة . . .	١٦٦
٦٨	أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر . . .	١٢٣	٩٦	قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم . . .	١٦٧
٦٩	أم أمنتم أن يعيدكم فيه . . .	١٢٤	٩٧	ومن يهتد الله فهو المهتد . . .	١٦٧
٧٠	ولقد كرمنا بني آدم . . .	١٢٥	٩٨	ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا . . .	١٦٩
٧١	يوم ندعو كل أناس بإمامهم . . .	١٢٦	٩٩	أو لم يروا أن الله الذي خلق . . .	١٦٩
٧٢	ومن كان في هذه أعمى . . .	١٢٧	١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائن . . .	١٧٠
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك . . .	١٢٩	١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات . . .	١٧١
٧٤	ولولا أن ثبتناك . . .	١٣١	١٠٢	قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء . . .	١٧٤



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٣	فأراد أن يستفزهم من الأرض . . .	١٧٦	١٨	وتحسبهم أيقاظا وهم رقود . . .	٢١٣
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل . . .	١٧٦	١٩	وكذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم . . .	٢١٥
١٠٥	وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . . .	١٧٧	٢٠	إنهم إن بظهوروا عليكم يبرجموكم . . .	٢١٥
١٠٦	وقرآنا فقرآناه لتقرأه على الناس . . .	١٧٧	٢١	وكذلك أعرنا عليهم ليعلموا . . .	٢٢٤
١٠٧	قل آمنوا به أو لا تؤمنوا . . .	١٨٠	٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم . . .	٢٢٥
١٠٨	ويقولون سُبْحان ربنا . . .	١٨٠	٢٣	ولا تقولن لشيء إني فاعل . . .	٢٢٨
١٠٩	ويخرون للأذقان يكون . . .	١٨١	٢٤	إلا أن يشاء الله . . .	٢٢٨
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن . . .	١٨٢	٢٥	ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين . . .	٢٣٠
١١١	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا . . .	١٨٨	٢٦	قل الله أعلم بما لبثوا . . .	٢٣٠
<u>تفسير سورة الكهف</u>					
١	الحمد لله الذي أنزل على عبده . . .	١٩٠	٢٧	واتل ما أوحى إليك . . .	٢٣٣
٢	لينذر بأسا شديدا من لدنه . . .	١٩٢	٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون . . .	٢٣٤
٣	ما كتبت فيه أبدا . . .	١٩٢	٢٩	وقل الحق من ربكم . . .	٢٣٧
٤	وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . . .	١٩٣	٣٠	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤٢
٥	ما لهم به من علم ولا لآبائهم . . .	١٩٣	٣١	أولئك لهم جنات عدن . . .	٢٤٢
٦	فلعلك باخع نفسك على آثارهم . . .	١٩٤	٣٢	واضرب لهم مثلا رجلين . . .	٢٤٤
٧	إننا جعلنا ما على الأرض زينة لها . . .	١٩٤	٣٣	كلنا البختين آتت أكلها ولم تظلم . . .	٢٤٤
٨	وإننا لخالعون ما عليها صعيذا . . .	١٩٤	٣٤	وكان له ثمر ، فقال لصاحبه . . .	٢٤٤
٩	أم حسبت أن أصحاب الكهف . . .	١٩٧	٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه . . .	٢٤٦
١٠	إذ آوى الفتية إلى الكهف . . .	٢٠٠	٣٦	وما أظن الساعة قائمة . . .	٢٤٦
١١	فضربنا على آذانهم في الكهف . . .	٢٠٥	٣٧	قال له صاحبه وهو يحاوره . . .	٢٤٧
١٢	ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين . . .	٢٠٥	٣٨	لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى . . .	٢٤٧
١٣	نحن نقص عليك نبأهم بالحق . . .	٢٠٧	٣٩	ولولا إذ دخلت جنتك . . .	٢٤٨
١٤	وربطنا على قلوبهم إذ قاموا . . .	٢٠٧	٤٠	فعمسى ربى أن يوتين خيرا . . .	٢٤٨
١٥	هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه . . .	٢٠٨	٤١	أو يصبح ماؤها غورا . . .	٢٤٨
١٦	وإذ اعتزمتهم وما يعبدون . . .	٢٠٨	٤٢	وأحيط بشمره . . .	٢٥٠
١٧	وترى الشمس إذا طلعت تزاور . . .	٢١٠	٤٣	ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله . . .	٢٥٠
			٤٤	هنالك الولاية لله الحق . . .	٢٥٠
			٤٥	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا . . .	٢٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا . . .	٢٥٣	٦٢	فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا . . .	٢٧٤
٤٧	ويوم نسير الجبال . . .	٢٥٧	٦٣	قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة . . .	٢٧٤
٤٨	وعرضوا على ربك صفًا . . .	٢٥٧	٦٤	قال ذلك ما كنا نبغ . . .	٢٧٥
٤٩	ووضع الكتاب فترى المجرمين . . .	٢٥٨	٦٥	فوجدنا عبدا من عبادنا . . .	٢٧٥
٥٠	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	٢٥٩	٦٦	قال له موسى هل أتبعك . . .	٢٨٣
٥١	ما أشهدتهم خلق السموات . . .	٢٦٣	٦٧	قال إنك لن تستطيع معي صبرا . . .	١٨٣
٥٢	ويوم يقول نادوا شركائي . . .	٢٦٣	٦٨	وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . . .	٢٨٣
٥٣	ورأى المجرمون النار فظنوا . . .	٢٦٣	٦٩	قال ستجدني إن شاء الله صابرا . . .	٢٨٣
٥٤	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس . . .	٢٦٦	٧٠	قال فإن اتبعتنى . . .	٢٨٣
٥٥	وما منع الناس أن يؤمنوا . . .	٢٦٦	٧١	فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة . . .	٢٨٤
٥٦	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين . . .	٢٦٧	٧٢	قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي . . .	٢٨٥
٥٧	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه . . .	٢٦٨	٧٣	قال لا تؤاخذني بما نسيت . . .	٢٨٥
٥٨	وربك الغفور ذو الرحمة . . .	٢٦٩	٧٤	فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاما فقتله . . .	٢٨٦
٥٩	وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا . . .	٢٧٠	٧٥	قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع . . .	٢٨٧
٦٠	وإذ قال موسى لفتاه . . .	٢٧١	٧٦	قال إن سألتك عن شيء بعدها . . .	٢٨٧
٦١	فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما . . .	٢٧٢	٧٧	فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية . . .	٢٨٨
			٧٨	قال هذا فراق بيني وبينك . . .	٢٩١



## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٢	تأويل قوله تعالى : وقضى ربك الآية .
٦٤	معنى التأفيف .
٦٧	ما ورد في برّ الوالدين .
٧١	تأويل قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » . والمراد من القرابة .
٧٨	ما كانت العرب عليه من قتل أولادهم خشية الفاقة ، فهناهم الله عنه .
٨١	معنى السلطنة التي جعلت لولى الدم على الخان .
٨٦	تأويل قوله تعالى « ولا تعسف » ... الآية . وما اشتملت عليه من النهى عن شهادة الزور وغيرها .
٩٢	ما ورد في تسييح الأشياء ، وفضل لاله إلا الله .
١٠٤	بيان أن بعض العرب كانوا يعبدون نفرا من الجنّ ، وأسلم المعبودون ، واستمرّ العابدون على عبادتهم .
١٠٩	تأويل قوله تعالى « وإذ قلنا لك إن ربك » .. الآية .
١١٠	الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ، فصارت فتنة .
١١٨	معنى استفزاز الشيطان للعباد .
١٢٧	تأويل قوله تعالى : « ومن كان في هذه أعمى » ... الآية .
	تفسير سورة بني إسرائيل
١	معنى التسييح .
٢	بعض أحاديث وردت في الإسراء .
١٦	الإسراء كان بالجسد لا بالروح .
١٨	تأويل قوله تعالى « ذرية من حملنا » ... الآية ، وبيان أن المراد منه جميع بني آدم .
٢١	المراد بالفسادين اللذين قُضي على بني إسرائيل بهما ، وبعض أخبار تدلّ على تاريخهم .
٣١	تأويل قوله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » ، وذكر الفساد الثاني لبني إسرائيل ، وتخريب بمختصر لبيت المقدس .
٤٤	تأويل قوله تعالى « عسى ربكم » ... الآية . وما حصل لبني إسرائيل من تسلط العرب عليهم ، وذكر الشواهد على ما فيها .
٤٧	تأويل قوله تعالى « وكان الإنسان عجولا » . وبيان أن العجلة في الإنسان طبيعة ، وكيف استعجل آدم عليه السلام .
٤٩	تأويل قوله تعالى « فحونا آية الليل » . وما قيل في السواد الذي في القمر .
٥٠	تأويل قوله تعالى « وكلّ إنسان ألزمناه طائره ... الآية . وبيان أن لاعدوى ولا طيرة ، وأن السعد والشقاء قد قُضيا .
٥٤	تأويل قوله تعالى « وإذا أردنا أن نهلك قرية . معنى الدمار ، والشاهد على ذلك .
٥٨	ما قيل في مقدار القرّ من السنين .

الصفحة	الصفحة
١٧٨	١٢٧
المدة التي نزل فيها القرآن .	مَنْ جَهِيلٌ نَعِمَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ فِي
١٨٢	الْآخِرَةِ أَشَدَّ جَهْلًا عَنِ مَعْرِفَةِ هَذِهِ النِّعَمِ .
تأويل « قل ادعوا الله » . . . الآية ، وذكر	١٣٤
أسباب النزول .	مَا الصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِنْدَ الدُّلُوكِ ؟
١٩٠	وَبَيَانَ السَّاعَاتِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ .
تفسير سورة الكهف	١٤٢
١٩٧	التَّهَجُّدُ كَانَ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
ذكر أصحاب الكهف ، وسبب خروجهم	فَرَضًا . وَذَكَرَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ وَمَا وَرَدَ فِيهِ .
إليه .	١٥١
٢١٠	تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ » . . .
مقرّ الكهف من الشمس .	الآيَةَ .
٢١٦	١٥٢
بعث أهل الكهف من نومتهم .	مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الشِّفَاءِ مِنَ الْجَهْلِ .
٢٣٠	١٥٥
المدة التي لبثوها في الكهف .	مَا قِيلَ فِي الرُّوحِ .
٢٣٤	١٥٨
ما كانت تقوله عظماء العرب لرسول الله	تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ »
صلى الله عليه وسلم في شأن فقراء المؤمنين .	. . . الآية ، وَذَكَرَ سَبَبَ النُّزُولِ .
٢٣٧	١٥٩
تأويل قوله تعالى « وقل الحق من ربكم » ،	مَا اقْتَرَحَتْهُ قَرِيشٌ مِنَ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِ
والشواهد على السرداق .	اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
٢٥٣	١٧١
معنى الباقيات الصالحات .	الْآيَاتِ التِّسْعَ الَّتِي أُوتِيَهَا مُوسَى .
٢٥٩	١٧٧
أمر إبليس وما كان عليه ابتداء .	تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ » . . .
٢٧١	الآيَةَ .
مسير موسى عليه السلام إلى الخضير .	

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٩٢	مُسْتَقَرِّ	١٣٦	بِرَاحِ	١	
٩٢	مُطَيَّرِ		د	٢٤١	الضُّحَى
٤٦	بِسَوَّارِ			٢٨٩	المُسْرَى
٢٨	العساكرِ	٢٣٨	تَمْدُودُ	٢٨٩	مُبْتَلَى
٢٨٤	نُكْرًا	١٤١	هَجُودُ		
٢٨٤	لِامْرَأِ	١٤١	تَجُودُ	ب	
١٣٣	حَصِيرًا	٨٩	مَزِيدُ	٧١	لَا يَثُوبُ
٢٦١	غَائِرًا	٥٦	والنفسِ	٢٢٤	وَأَطْيَبُ
٢٦١	جَوَائِرًا	٢٠٦	الْأَمْدِ	٢٤٤	غَالِبُهُ
٥٧	دَمَارًا	٢٤٣	الْأَنْضَادِ	٩٦	وَالشَّرَابِ
٥٨	مُخْبِرًا	٢٩٠	بِالْبَيْوَدِ	٦٦	أَزْيَبًا
		٢٤٤	بِزَائِدَةٍ	ت	
	ز		ر	١١٦	أَجْحَقَتْ
١٩٧	الْأَجْرَازِ	١٠٧	قَدَرُ	١١٦	فَأَضْعَقَتْ
		١٠٧	سَطَرَ	١١٦	وَجَلَقَتْ
	س	١٠٧	النَّسْرُ	٢	لَيْتُ
٢١١	الْفَوَارِسُ	١٦٨	يُنِيرُ	٢٨٨	مَنْصَلِنَا
٢٤٣	لِبَاسِهَا	٧٩	تَوْتَبِرُ	ج	
١٠٠	الرَّأْسَا	٢١٠	أَزُورَارُ	١٦٣	وَالعَرَجِ
		١٧٥	مَشْبُورُ	١٠٠	مُسْتَهْدِجَا
	ض	١٩٤	المَقَادِرُ	ح	
٢٥٧	عَائِضُ	٧٢	المُبَدَّرِ	٢٤١	مَدَّ بُوْحُ
٢٥٧	القَابِضُ	٩٦	المُسْحَرِ	١٣٦	رَبَاحِ
٢٦٨	الدَّحْضِ	١٢٤	مَنْشُورِ		



الجزء الخامس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٤٢	الْحَوَاتِيمُ	٨٧	عاق		ظ
٢٦٩	وَلَمْ تَكَلِّمْ	١٣٨	غَسَقْنَا		
٢٨٩	وَتَحْمَحُمُ		ك	٢١٣	أيقاظًا
٢٧١	اللطائم			٢١٣	غياظًا
٨٧	الأيام	٢٤٣	الأرائك		ع
١٥٣	المنام		ل		
٢٤٩	قيامًا			١٠١	أنتقع
٢٤٧	والسنامًا	١٥٩	تنتقل	١٢٤	تبيع
٢٢٦	مرجما	٢٦٩	ما يتل	١٦٨	ساعا
	ن	١٦٢	قبيها		ف
١٠٠	أسنأها	٩٥	إذلال	٢٦٦	متكلف
٢٨٩	بالإحسان	٢٠٧	باطلي	١٣٧	دنا
٤٦	بادن	٢٨٩	عقبيل	١٣٧	تزحلغا
٢٤٩	صفونا	٧٩	كاهلا		ق
٦٣	جافونا	١٩٣	شالا		
٦٣	تشكونا	١٢٤	شالا	٨٨	المخترق
٦٣	يوصينا	١٢٤	جفالا	٢٥٢	فتزلق
٢٩٠	حيننا	٢٩٠	نصولا	٢٩١	المطرق
	ي		م	٢٦٥	بمويق
				٢٣٨	مسردي
٢٥٠	الكمي	٤٥	قيام	٢٠٩	مرفقي
٨٧	التقافيا	١٧٠	الإعدام	١٧	بالعناق

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة بني إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا  
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) نزيها للذي أسرى عبده، وتبرئة له مما يقول فيه المشركون، من أن له من خلقه شريكا، وأن له صاحبة وولدا، وعلوا له وتعظيما، عما أضافوه إليه ونسبوه، من جهالاتهم، وخطأ أقوالهم.

وقد بينت فيما مضى قبل، أن قوله: سبحان: اسم وضع موضع المصدر، فنصب لوقوعه موقعه، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب، لأنه غير موصوف، وللعرب في التسييح أماكن تستعمله فيها. فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ): فلولا أنه كان من المصلين. ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ): لولا تستنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ) قال: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)؟ فذكرهم تركهم الاستثناء. ومنها النور، وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا ذَلِكَ لَأَحْرَقْتُ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَتْ مِنْ شَيْءٍ»: أنه عني بقوله سُبْحَاتُ وَجْهِهِ: نور وجهه.

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سُئِلَ عن التسييح ، أن يقول الإنسان : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قال : إنزَاهُ اللَّهُ عَنِ السُّوءِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن الحسن بن صالح ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : سُبْحَانَ اللَّهِ : قال : إنكاف لله . وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل . والإسراء والسرى : سير الليل . فن قال : أسرى ، قال : يسرى إسراء ؛ ومن قال : سرى ، قال : يسرى سرى ، كما قال الشاعر :

وَلَيْلَتُهُ ذَاتُ دُجَى سَرَيْتُ      وَكَمْ يَلَيْتُنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ

وبروي : ذات ندَى سَرَيْتُ .

ويعنى بقوله ( لَيْلًا ) من الليل . وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرأها .

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر بن عياش ورجلٌ يحدث عنده بحديث حين أُسْرِيَ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لا تجيئ بمثل عاصم ولا زير ، قال : قرأ حذيفة ( سُبْحَانَ اللَّهِ أُسْرِيَ بِمَبْدِهِ مِنْ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) وكذا قرأ عبد الله .

وأما قوله ( مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) فإنه اختلف فيه ، وفي معناه . فقال بعضهم : يعنى من الحرم ، وقال : الحرم كله مسجد . وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا . وقال : وقد ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة أُسْرِيَ به إلى المسجد الأقصى ، كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن السائب ، عن أبي صالح بن باذام ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، في مُسْرَى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : « ما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر ، أهبتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلّى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أم هانئ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتُ بِهَذَا الْوَادِي ، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرَيْنِ » .

(١) البيتان في (اللسان : ليت) شاهدا على أن لاته عن وجهه يليته ويلوته ليتا : حبسه عن وجهه وصرفه ، قال الراجز : « وائلة ذات سرى سريت » . الخ . وقيل معنى هذا : لم يلقى عن سراها أن أتتكم فأقول : ليتني ما سريتها . وقيل معناه : لم يصرفني عن سراها صارف ، أي لم يلقى لائت ، فوضع المصدر موضع الاسم . وفي التهذيب : أن لم يلقى عنها نقص ولا عجز . وكذلك آلاته عن وجهه : فعل وأقل : بمعنى . اه . و ( في اللسان : سرى ) سير الليل : عامته ، وقيل السرى : سير الليل كله ، تذكره العرب وتوثته . وسريت سرى ومسرى ، وأسريت : بمعنى : إذا سرت ليلا . بالألف : لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعا . اه . وعلى هذا استشيد المؤلف بالبيت . وقال السهيلي في الروض الأنف ( ١ : ٢٤٢ ) انفقت الرواة على تسميته إسراء ، ولم يسمه أحد منهم سرى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى ، وأسرى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحتفوا في العبارة . . . إلى أن قال : لا يجوز أن يقال : سرى بعينه . بوجه من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة . اه .



وقال آخرون : بل أُسرى به من المسجد ، وفيه كان حين أُسرى به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن عدي ، عن سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، وهو رجل من قومه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « بَدِينَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْبَيْقُظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُمْ قَائِلًا يَقُولُ : أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِيزٍ ذَهَبٍ ، فِيهَا مِيزٌ مَاءٍ زَمْزَمَ ، فَتَشَرَّحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ ، قَالَ : فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، فَعَسَلِ مَاءَ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ، ثُمَّ حُسِّيَ لِي مَانَا وَحِكْمَةٌ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ يُقَالُ لَهُ السُّبْرَاقُ ، قَوْقُ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ ، يَصْعُقُ خَطْوُهُ مُسْتَهَيَّ طَرْفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا ، حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » . . . فذكر الحديث .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ، يعني ابن صعصعة : رجل من قومه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة : رجل من قومه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : ثنا عمرو بن عبد الرحمن ، عن الحسن ابن أبي الحسن ، قال : قال رسول الله : « بَدِينَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَجْرِ ، جَاءَنِي جِبْرِيلُ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجِعِي ، فَجَاءَنِي الثَّانِيَةَ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، فَعُدْتُ لِمَضْجِعِي ، فَجَاءَنِي الثَّالِثَةَ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَخَذَ بَعْضُدِي ، فَقَمَمْتُ مَعَهُ ، فَخَرَجَ بِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْبَعْلِ ، لَهُ فِي فَخْذَيْهِ جَنَاحَانِ يَحْفِرُ بِهِمَا رِجْلَيْهِ ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُسْتَهَيَّ طَرْفِهِ ، فَحُمِلَنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مَعِي ، لَا يَقْوَتُنِي وَلَا أَقْوَتُهُ » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنسًا يحدثنا عن ليلة المُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة : « أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يُوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ قال : أوسطهم هو خيرهم ، فقال

(١) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (المطبعة المصرية ٢ : ٢١٠) ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في صحيحه وأتى بالحديث مطولا . قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكر هذه الرواية : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مبهولة ، وأتى فيه بالفاظ غير معروفة . وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ، كابن شهاب ، وثابت البناني وقاتادة (يعني عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث . وانظر أيضا ما قاله الشهاب الحفاجي في (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، في تقدمه لرواية شريك بن أبي نمر سندا ومتنا) .

أحدهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرمهم حتى جاءوا ليلة أخرى ، فيما يترى قلبه ، والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ، ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه ، فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام ، فشق ما بين نحره إلى لبتته ، حتى فترغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم ، حتى آتقى جوفه ، ثم أتى بطسست من ذهب فيه تور محشو إيماناً وحكمة ، فحشا به جوفه وصدرة ولغاديدته ، ثم أطبقه ، ثم ركب الثبراق ، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس ، فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ قال : هذا جبرئيل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : فرحبا به وأهلاً ، فيستبشيره أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبرئيل : هذا أبوك ، فسلم عليه ، فرد عليه ، فقال : مرحبا بك وأهلاً بابني ، فنعلم الابن أنت . ثم مضى به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قد أرسل إليه ، فقيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتح لهما ، فلما صعد فيها ، فإذا هو بنهرين يجريان ، فقال : ما هذان النهران يا جبرئيل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما<sup>١</sup> . ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرئيل باباً من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم قد بعث إليه ، قيل : مرحبا به وأهلاً ، ففتح له ، فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور ، من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، وغير ذلك ، مما لا يعلمه إلا الله ، فذهب يشتم ترابه ، فإذا هو مسك أذفر ، فقال : يا جبرئيل ما هذا النهر ؟ قال : هذا الكوثر الذي حبساً لك ربك في الآخرة . ثم عرج به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السادسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السابعة ، فقالوا له مثل ذلك . وكل سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس ، فوعيت منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع علي أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سيدة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة ، فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما شاء ، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى ، فاحتبسه ، فقال : يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلى خمسين صلاة على أمي كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع ، فليخفف عنك وعنهم ، فالتفت إلى جبرئيل ، كأنه يستشير في ذلك ، فأشار إليه : أن نعصم ، فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبار عز وجل وهو مكانه ، فقال : رب خفف عنا ، فإن أمتي لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه ، فلم يزل يرددّه موسى إلى ربه ، حتى صارت إلى خمس

(١) في البخاري (باب التوحيد) : فحشا به صدره ولغاديدته ، يعني عروق حلقه .

(٢) في البخاري (طبعة الخليلي ٩ : ١٨٣) : « وقد بعث » . وقد أبقينا رواية المؤلف كما هي ، لاختلاف نسخ البخاري في رواية

(٣) كذا في البخاري أيضاً .

بعض الكلام .



صلوات ، ثم احتبسه عند الخمس ، فقال : يا محمد ، قد والله راودتُ بني إسرائيل على أدنى من هذه الخمس ، فضعفوا وتركوه ، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت إلى جبرئيل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك جبرئيل ، فرفعه عند الخمس ، فقال : يا رب إن أمي ضعاف أجسادهم وقلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، فخفف عنا ، قال الجبار جل جلاله : يا محمد ، قال : لبيك وسعديك ، فقال : إني لا يبدل القول لدى ، كما كتبت عليك في أم الكتاب ، ولك بكل حسنة عشر أمثالها ، وهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك . فرجع إلى موسى ، فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عني ، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها ، قال : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه ، فارجع فليخفف عنك أيضا ، قال : يا موسى : قد والله استحيت من ربي ، مما أختلف إليه ، قال : فاهبط باسم الله ، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عز وجل أخبر أنه أمرى بعبده من المسجد الحرام ، والمسجد الحرام : هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه ، وقوله (إلى المسجد الأقصى) يعني : مسجد بيت المقدس ، وقيل له : الأقصى ، لأنه أبعد المساجد التي تزار ، ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام . فتأويل الكلام تنزيها لله ، وتبرئة له مما نخله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة ، وما يجلب عنه جل جلاله ، الذي سار بعبده ليلا من بيته الحرام ، إلى بيته الأقصى .

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فقال بعضهم : أسرى الله بجسده ، فسار به ليلا على الشبراق ، من بيته الحرام ، إلى بيته الأقصى ، حتى أتاه ، فأراه ماشاء أن يريه من عجائب أمره وعيبره ، وعظيم سلطانه ، فجمعت له به الأنبياء ، فصلى بهم هنالك ، وعترج به إلى السماء ، حتى صعد به فوق السموات السبع ، وأوحى إليه هنالك ماشاء أن يوحى ، ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته ، فصلى به صلاة الصبح .

ذكر من قال ذلك ، وذكر بعض الروايات التي رويت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بتصحيحه

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني ابن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على البراق ، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام ، يقع حافرها موضع طرفةها ، قال : فررت بعير من عيرات قريش ، بواد من تلك الأودية ، فنفرت العير ، وفيها بعير عليه غرارتان : سوداء وزرقاء ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء ، فأني بقدمي : قدح خمرة ، وقدح لبن ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن ، فقال له جبرئيل : هديت إلى القنطرة ، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك . قال ابن شهاب : فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لسي هناك إبراهيم وموسى وعيسى ، فنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : فأما موسى فصرّب رجلا الرأس ، كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرّج من ديماس ، فأشبهه من رأيت به عروة



ابن مسعود الثقفي ، وأما إبراهيم ، فأنا أشبهه وكده به . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدث قريشا أنه أسرى به . قال عبد الله : فارتد ناس كثير بعد ما أسلموا . قال أبو سلمة : فأتى أبو بكر الصديق ، فقيل له : هل لك في صاحبك ، يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، ثم رجع في ليلة واحدة ، قال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أفشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة ، قال : إني أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا كَدَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قَمْتُ ، فَثَلَّلَ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، فَطَقِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك ، قال : « لما جاء جبرئيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنها صرَّبت بذنبا ، فقال لما جبرئيل : مه يا براق ، فوالله إن ركبت مثله ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بعجوز ناء عن الطريق : أى على جنب الطريق » . قال أبو جعفر : ينبغي أن يقال : نائية ، ولكن أسقط منها التأنيث .

فقال : « ما هذه بجبرئيل ؟ قال : سر يا محمد ، فسار ما شاء الله أن يسير ، فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق ، يقول : هلم يا محمد ، قال جبرئيل : سر يا محمد ، فسار ماشاء الله أن يسير . قال : ثم لقيه خلق من الخلائق ، فقال أحدهم : السلام عليك يا أول ، والسلام عليك يا آخر ، والسلام عليك يا حاشر ، فقال له جبرئيل : اردد السلام يا محمد ، قال : فرد السلام . ثم لقيه الثاني ، فقال له مثل مقالة الأولين ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء واللبن والخمر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبرئيل : أصبت يا محمد القيطرة ، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك . ثم بعث له آدم فن دونه من الأنبياء ، فأمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبرئيل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا بقدر ما بقى من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عدو الله إبليس ، أراد أن تميل إليه ؛ وأما الذين سلموا عليك ، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى » .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحى ، عن أبي هريرة أو غيره « شك أبو جعفر » في قول الله عز وجل ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) قال : « جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال جبرئيل لميكائيل : اتنى بطست من ماء زمزم ، كما أظهر قلبه ، وأشرح له صدره ، قال : فشق عن

(١) نص العبارة في الدر المنثور للسيوطى (٤: ١٣٩) ثم بقية الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم الثالثة كذلك . ولعل في الكلام سقطا .

بطنه ، فغسله ثلاث مرّات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طيسات من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غيل ، وملاه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس ، فحمّل عليه ، كلّ خطبوة منه منتهى طرفة ، وأقصى بصره . قال : فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام ، فأتى على قوم يزرعون في يوم ، ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنه بسبع مئة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين . ثم أتى على قوم تُرضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رُضِخت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رِقاع ، وعلى آدابهم رِقاع ، يتسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والترقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئا ، وما الله بظلام للعبيد . ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ، ولحم آخر في قدير خبيث ، فجعلوا يأكلون من الشيء ، ويدعون النضيج الطيب . فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمّتك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عندها حلالا طيبا ، فتأتي رجلا خبيثا ، فيبيت معه حتى يصبح ، قال : ثم أتى على خشبة في الطريق ، لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمّتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . ثم قرأ ( وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ ) . . . الآية . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة ، لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمّتك تكون عنده أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها ، وهو يزيد عليها ، ويريد أن يحملها ، فلا يستطيع ذلك . ثم أتى على قوم تُقَرِّضُ السّننهم وشيافهم بمقاريض من حديد ، كلما قَرِضت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء . قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمّتك ، خطباء الفتنة ، يقولون ما لا يفعلون . ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج ، فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها . ثم أتى على واد ، فوجد ريحا طيبة باردة ، وفيه ريح المسك ، وسمع صوتا ، فقال : يا جبرئيل ، ما هذه الريح الطيبة الباردة ، وهذه الرائحة التي كثير ريح المسك ، وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت غرني وإستبرقي وحريري وسندسي ، وعبقري ولؤلؤي ومرجاني ، وفضتي وذهبي ، وأكوابي وصحافي وأباريني وفواكهي ونخلي ورماني ، ولبنني وخمري ، فأتني ما وعدتني ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحا ولم يشرك بي ، ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، وقد



أفلق المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : قد رضيت . ثم أتى على واد ، فسمع صوتا منكرا ، ووجد ريحا مندة ، فقال : ما هذِهِ الرِّيحُ يا جِبْرَائِيلُ؟ وما هَذَا الصَّوْتُ؟ قال : هذا صوت جهنم ، تقول : يا رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلالي ، وسعيري وجحيمي ، وضريعي وغسائي ، وعذابي وعقابي ، وقد بعدت قعري ، واشتدت حرّي ، فأتني ما وعدتني ، قال : لك كلّ مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكلّ خبيث وخبيثة ، وكلّ جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت . قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صحرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ؛ فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبرئيل ، من هذا معك ؟ قال : محمد ، فقالوا : أو قد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قالوا : حينئذ الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المحيي جاء . قال : ثم لقي أرواح الأنبياء ، فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتا لله ، يحقّ ثمّ بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها على بردا وسلاما . ثم إن موسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي كلّمني تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ، ونجاة بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قوما يهتدون بالحق ، وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما ، وعلمني الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخّر لي الجبال يسبحن والطير ، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي سخّر لي الرياح ، وسخّر لي الشياطين ، يعملون لي ما شئت من محاريب وتمائيل وجيفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كلّ شيء ، فضلا ، وسخّر لي جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضّلني على كثير من عباده المؤمنين . وآتاني ما كفا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي ، وجعل ملكي ما كفا طيبا ، ليس عليّ فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي جعلني كلمته ، وجعل مشكلي مثل آدم خلّقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا بإذن الله ، وجعلني أبرئ الأكمة والأبرص ، وأحیی الموتى بإذن الله ، ورفعني وطهرتني ، وأعادني وأمی من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال : ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه ، فقال : كلُّكم أثنى على ربِّه ، وأنا مسنّ على ربّي ، فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل عليّ الفرقان ، فيه تبيان كلّ شيء ، وجعل أمتي خيرا أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي وسطا ، وجعل أمتي همّ الأوّلون وهمّ الآخرون ، وسرّح لي صدري ، ووضع عني وِزْرِي ، ورفع لي ذِكْرِي ، وجعلتني فاتحا خاتما . قال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد . قال أبو جعفر : وهو الرازي : خاتم النبوة ، وفاتح بالشفاعة يوم القيامة - ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهاها ، فأثنى بإناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب ، فشرّب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل له : اشرب ، فشرّب منه حتى روي ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لأريده ، قد رويت . فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم : أما إننا



سَتَحَرَّمُ عَلَى أُمَّتِكَ ، وَلَوْ شَرِبْتَ مِنْهَا لَمْ يَتَّبِعَكَ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ . ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِئِيلُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِئِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ ، وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ تَامَ الْخَلْقَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، كَمَا يَنْقُصُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، عَلَى يَمِينِهِ بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، وَعَنْ شِمَالِهِ بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، قَالَتْ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التَّامُ الْخَلْقَ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، وَمَا هَذَا الْبَابَانِ ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ ، وَالْبَابُ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ . ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرِئِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِئِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَإِذَا هُوَ بِشَابِيَيْنِ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَذَا الشَّابَانِ ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنَا الْحَالَةِ . قَالَ : فَصَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِئِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي الْحُسْنِ ، كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ الَّذِي فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي الْحُسْنِ ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِئِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، قَالَ : فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَاءَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَالِيًّا ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِئِيلُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : جِبْرِئِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ ، وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، ثُمَّ دَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ يَقْصُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ ؟ قَالَ : هَذَا هَارُونَ الْحَبِيبُ فِي قَوْمِهِ ، وَهَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ . ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِئِيلُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِئِيلُ ، قَالُوا : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قَالُوا : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَبِيبُ ، جَاءَ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ جَالِسٍ ، فَجَاوَزَهُ ، فَبَكَى الرَّجُلُ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مُوسَى ، قَالَ : قَسًا بِاللَّهِ بِيَسْكِي ؟ قَالَ : تَزْعِمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ بَنِي آدَمَ عَلَى اللَّهِ ، وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَدْ خَلَفَنِي فِي دُنْيَا ، وَأَنَا فِي الْآخِرَى ، فَلَوْ أَنَّهُ بَنَفْسَهُ لَمْ أَبَالِ ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ . ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِئِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :

جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم النجى جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جاوس ، بيض الوجوه ، أمثال القراطيس . وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبرئيل من هذا الأشمط ، ثم من هؤلاء البيض وجوههم ، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، وما هذه الأنهار التي دخلوا ، فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شيط على الأرض . وأما هؤلاء البيض الوجوه : فقوم لم يتلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فتابوا ، فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار : فأولها رحمة الله ، وثانيها : نعمة الله ، والثالث : سقامهم بهم شرابا طهورا . قال : ثم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعة أيام لا يقطعها ، والورقة منها مغطبة للأمة كلها ، قال : فغشها نور الخلاق عز وجل ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سل ، فقال : اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيتك ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيتك ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى النوراة والإنجيل ، وجعلته يرى الآكف والأبرص ، ويحيى الموتى بإذن الله ، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له ربه : قد اتخذتك حبيبا وخليلا ، وهو مكتوب في النوراة : حبيب الله ، وأرسلتكم إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرك معي ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة ، حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أول النبيين خلقنا ، وآخرهم بعثنا ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعا من المثاني ، لم يعطها نبي قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلت فاتحا وخاتما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فضلتني ربى بسيت : أعطاني فتوح الكلم وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلتني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وقذف في قلوب عذوى الرعب من مسيرة شهر ، وأحييت لى الغنائم ، ولم تحبل لأحد قبيلي ، وجعلت لى الأرض كلها طهورا ومسجدا ، قال : وفرض على خمسين صلاة ، فلما رجع



إلى موسى ، قال : بِمِ أُمْرَتِ بِأَمْرِهِ ، قال : بِحَمْسِينَ صَلَاةً ، قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه ، فساله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، ثم رجع إلى موسى ، فقال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : بِأَرْبَعِينَ ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه ، فساله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فرجع إلى موسى ، فقال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه فساله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فرجع إلى موسى ، فقال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : بِعَشْرِينَ ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه ، فساله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه عشرة ، فرجع إلى موسى ، فقال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : بِعَشْرٍ ، قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع على حياء إلى ربه ، فساله التَّخْفِيفَ ، فوضع عنه خمسة ، فرجع إلى موسى ، فقال : بِكُمْ أُمْرَتِ ؟ قال : بِخَمْسٍ ، قال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، فَقَدْ أَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فقيل له : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات ، فلمن يجزي عنك خمسين صلاة ، فإن كلَّ حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كلَّ الرضا . فكان موسى أشدَّهم عليه حين مرَّ به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

حدثني محمد بن عبيد الله ، قال : أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبو جعفر الوازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره « شكَّ أبو جعفر » ، عن أبي هريرة في قوله ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) قال : جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث علي بن سهل ، عن حجاج ، إلا أنه قال : جاء جبرئيل ومعه ميكائيل ، وقال فيه : وإذا يقوم يسرحون كما تسرح ، الأنعام يأكلون الضَّرْبِيعَ وَالزَّقُومَ ، وقال في كل موضع : قال علي : ما هؤلاء من هؤلاء يا جبرئيل ، وقال في موضع تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ : تُقَصِّصُ أَلْسِنَتَهُمْ ، وقال أيضا في موضع : قال علي فيه : ونعم الخليفة . قال في ذكر الخمر ، فقال : لا أريده ، قدرويت ، قال : جبرئيل : قد أصبت الفطرة يا محمد ، إنها ستُحَرِّمُ عَلَى أَمْتِكَ . وقال في سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أيضا : هذه السدرة المنتهى ، إليها ينتهي كلُّ أحدٍ خلا على سبيلك من أمتك ، وقال أيضا في الورقة منها : تُظَلُّ الْخَلْقُ كُلَّهُمْ ، تغشاها الملائكة مثل الغرابان حين يقعن على الشجرة ، من حُبِّ الله عز وجل . وسائر الحديث مثل حديث علي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، قال : أخبرنا أبو هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى ، في قوله ( سُبْحَانَ الَّذِي



أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ( قال : ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أُسْرِيَ بِهِ ، فقال نبي الله : « أُتَيْتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أَشْبَهُ الدَّوَابَّ بِالْبَعْلِ ، لَهُ أذُنَانِ مُضْطَرِبَتَانِ ، وَهُوَ السَّبْرَاقُ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ تَرَكَّبُهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي ، فَتَرَكَّبْتُهُ ، فَاذْطَلَقَ بِي بِضَعُ بَدَاهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَنِّي يَمِينِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ : ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنِّي شِمَالِي : يَا مُحَمَّدُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ : ثُمَّ اسْتَقْبَلْتِ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا رَافِعَةً يَدَهَا ، تَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُتَيْتُ بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، أَوْ قَالَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، فَزَكَتُ عَنِ الدَّابَّةِ ، فَأَوْتَقْتُهَا بِالْحُلُقَةِ الَّتِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُ بِهَا ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَضُضَيْتُ فِيهِ ، فَقَالَ لِي جَسْبَرْتَيْلُ : مَاذَا رَأَيْتَ فِي وَجْهِكَ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ نِدَاءً عَنِّي يَمِينِي : أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِي الْيَهُودِ ، أَمَا لَوْ أَنَّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدْتَ أُمَّتُكَ . قَالَ : ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنِّي يَسَارِي : أَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ ، قَالَ : ذَلِكَ دَاعِي النَّصَارَى ، أَمَا إِنَّكَ لَوُوقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرْتَ أُمَّتُكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ اسْتَقْبَلْتِنِي امْرَأَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، رَافِعَةً يَدَهَا تَقُولُ عَلَيَّ رِسَالِكَ أَسْأَلُكَ ، فَضُضَيْتُ وَلَمْ أُعْرَجْ عَلَيْهِ . قَالَ : تِلْكَ الدُّنْيَا تَزَيَّنَتْ لَكَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوُوقَفْتَ عَلَيْهَا لِاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . ثُمَّ أُتَيْتُ بِإِنَاءٍ بَيْنَ أَحَدَهُمَا فِيهِ لَبَنٌ ، وَالْآخِرُ فِيهِ خَمْرٌ ، فَتَقِيلَ لِي : اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتِ ، فَأَخَذْتُ اللَّسْبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، قَالَ : أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَوْ قَالَ : أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ . »

قال معمر : وأخبرني الزُّهريُّ ، عن ابن المسيب أنه قيل له : أما إنك لو أخذت الخمر غَوَتَ أُمَّتُكَ . قال أبو هارون في حديث أبي سعيد : « ثُمَّ جِيءَ بِالْمُعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ ، أَلَمْ تُرَى إِلَى الْمَيْتِ كَيْفَ يُحَدُّ بِصَرَّةِ إِلَيْهِ ، فَعُرِجَ بَيْنَا فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَيْتُنَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جَسْبَرْتَيْلُ ، فَتَقِيلُ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ جَسْبَرْتَيْلُ ؟ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَفَتَحُوا وَسَلَّمُوا عَلَيَّ وَإِذَا مَلِكٌ مُوَكَّلٌ بِخُرُوسِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَرَأَ : ( وَمَا يَعْلَمُ جَسُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَإِذَا هُوَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فَإِذَا كَانَتْ رُوحٌ مُؤْمِنٌ ، قَالَ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ ، اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ، وَإِذَا كَانَ رُوحٌ كَافِرٌ قَالَ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ ، وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ ، اجْعَلُوا كِتَابَهُ فِي سَجِيلٍ ، فَقُلْتُ : يَا جَسْبَرْتَيْلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلِّمْ عَلَيَّ ، وَرَحِّبْ لِي ، وَدَعَا لِي بِخَمِيرٍ ، وَقَالَ : مَرَحِبًا بِالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَسْفَلِهِمْ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِئِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَا كَلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا . ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ يُحْدَى مِنْ جُأودِهِمْ ، وَيُرَدُّ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ يُقَالُ : كَلُوا كَمَا أَكَلْتُمْ ، فَإِذَا أَكْرَهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ ، الَّذِينَ يَا كَلُونَ لِحُومِ النَّاسِ ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ بِالسَّبِّ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ عَلَى مَائِدَةٍ ، عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوَى كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ مِنَ اللَّحْمِ ، وَإِذَا حَوْلَهُمْ جِيْفٌ ، فَجَعَلُوا يَمِيلُونَ عَلَى الْجِيْفِ ، يَا كَلُونَ مِنْهَا وَيَدْعُونَ ذَلِكَ اللَّحْمَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ ، عَمَدُوا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ ، ثُمَّ نَظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ لَمْ يَطُونُ كَأَنَّهَا الْبُيُوتُ ، وَهِيَ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ نَارُوا ، فَيَمِيلُ بِأَحْدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَنْقَعُ ، فَيَتَوَطَّئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بَارِجِيهِمْ ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوءًا وَعَشِيًّا ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرَّبَا ، رَبَا فِي بَطُونِهِمْ ، فَتَلَّهُمْ كَمَثَلِ النَّارِ الَّتِي يَتَخَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . ثُمَّ نَظَرْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مُعَلِّقَاتٍ بِشُدْيَتِهِنَّ ، وَنِسَاءٍ مُنْكَسَاتٍ بَارِجِيهِنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هُنَّ اللَّاقِي بَزْنِينَ وَيَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، قَالَ : ثُمَّ صَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَحَدْوَلَهُ تَبِعَ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى وَعَيْسَى ، يُشْبِهُ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ ، ثِيَابَهُمَا وَشَعْرُهُمَا ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وَرَحَّبَ بِي . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَدْرِيَسَ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ الْمُحَبَّبِ فِي قَوْمِهِ ، حَوْلَهُ تَبِعٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَصَّفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طَوِيلُ اللَّحْيَةِ ، تَكَادُ لِحْيَتُهُ تَمَسُّ سُرَّتَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، فَوَصَّفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُمَا ؛ قَالَ مُوسَى : تَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّي أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ، فَهَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنِّي ، وَلَوْ كَانَ وَحْدَهُ لَمْ أَكُنْ أَبَالِي ، وَلَكِنْ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ . ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَرَحِبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ ، هَذَا مَكَانُكَ وَمَكَانُ أُمَّتِكَ ، ثُمَّ تَلَا ( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ ) . ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ



أَلْفَ مَلَكٍ ، لَا يَبْعُدُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِشَجَرَةٍ ، إِنْ كَانَتْ الْوَرَقَةُ مِنْهَا لَمُغْطِيَةً هَذِهِ الْأُمَّةَ ، فَإِذَا فِي أَصْلِهَا عَشْرِينَ تَجْرِي قَدْ تَشَعَّبَتْ شُعْبَتَيْنِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جَسْبَرَيْلُ ؟ قَالَ : أَمَّا هَذَا : فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ ، وَأَمَّا هَذَا : فَهُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ، فَاعْتَسَلْتُ فِي نَهْرِ الرَّحْمَةِ ، فَغَفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنِّي ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ . ثُمَّ أَخَذْتُ عَلَى الْكَوْثَرِ ، حَتَّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا مَا لَاعَيْنَ رَأَتْ ، وَلَا أَدُنُّ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بِشَرٍّ ، وَإِذَا فِيهَا رُمَانٌ كَأَنَّهُ جُلُودُ الْإِبِلِ الْمُقْتَتَبَةُ ، وَإِذَا فِيهَا طَيْرٌ كَأَنَّهَا الْبُخْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ تِلْكَ الطَّيْرِ لَتَأَعْمَهُ ، قَالَ : أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا ، وَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا : لِمَنِ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَفَرَزْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمِ أَمْرِكَ رَبُّكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أَمْرَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهِدَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَسَأَلْتُهُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّي إِذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى ، حَتَّى فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، فَقَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، أَوْ قَالَ : قُلْتُ : مَا أَنَا بِرَاجِعٍ ، فَقِيلَ لِي : إِنْ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ خَمْسِينَ صَلَاةً ، الْحَسَنَةَ بَعَثَ أَمْنَاهَا ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : وثنى أبو جعفر ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا فَرَعْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، أَتَيْتُ بِالْمِعْرَاجِ ، وَلَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمْدُ إِلَيْهِ مَيْتُكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حَضَرَ ، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ الْأَبْوَابِ ، يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفَظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ( مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) ، ثُمَّ ذَكَرْنَا حَدِيثَ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فِي حَدِيثِهِ « قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ بِنِ الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً ، فَسَأَلْتُهَا لِمَنِ أَنْتِ ؟ وَقَدْ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُهَا ، فَقَالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ . ثُمَّ انْتَهَى حَدِيثُ ابْنِ حَمِيدٍ عَنْ سَلْمَةَ إِلَى ههنا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن

المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أُسرى به، إبراهيم وموسى وعيسى فقال: **أما إبراهيم فَنَلِمَ أَرَجُلًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ . وَأما موسى فَرَجُلٌ أَدَمٌ طَوَالَ جَعْدُ أَقْسَى ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُنُوءَةٍ . وَأما عيسى فَرَجُلٌ أَحْمَرٌ ، بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ سَبِطُ الشَّعْرِ ، كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً ، وَمَا بِهِ مَاءٌ ، أَشْبَهَ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ عُرْوَةَ بَنِ مَسْعُودٍ .**

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، ولم يقل عن أبي هريرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أُسرى به، مُسْرَجًا ملجما ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: ما يحملك على هذا؟ فوالله ما ركبت أحد قط أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقا ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ عِشَاءً مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّى نَبِيَّ اللَّهِ فِيهِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ، وَأَمْرَهُ بِمَا شَاءَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ. **ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا السُّبْرَاقُ، فَوَقَّ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، بِضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، فَحَدَّثَ نَبِيَّ اللَّهِ بِذَلِكَ أَهْلَ مَكَّةَ، فَكَذَّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَأَنْكَرُوهُ وَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، نَحْبِرْنَا أَنَّكَ أَتَيْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَأَقْبَلْتَ مِنْ لَيْلَتِكَ، ثُمَّ أَصْبَحْتَ عِنْدَنَا بِمَكَّةَ، فَمَا كُنْتَ نَحْبِرْنَا بِهِ وَتَأْتِي بِهِ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ مَعَ هَذَا. فَصَدَّقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَسُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .**

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، قال: « لما كان ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابة يقال لها البراق، دون البغل وفوق الحمار، تضع حافرهما عند منتهى ظفرهما؛ فلما أتى بيت المقدس أتى بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن، قال: فقال له جبرئيل: هُديت وهُديت أمتك . »

وقال آخرون ممن قال: أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، بِنَفْسِهِ وَجَسَمِهِ أُسْرِيَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ يَصِلْ فِيهِ، وَلَمْ يَنْزَلْ عَنِ الْبَرَاقِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا عاصم بن بهدلة عن زير بن حبيش، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية (سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) قال: لم يصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش، ورجل يحدث عنده بحديث حين أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ



صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لا تجيئ بمثل عاصم ولا زير ، قال : قال حذيفة زير بن حبيش ، قال : وكان زير رجلا شريفا من أشرف العرب ، قال : قرأ حذيفة ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنْ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ، لَسُرِّيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) وكذا قرأ عبد الله ، قال : وهذا كما يقولون : إنه دخل المسجد ، فصلى فيه ، ثم دخل فربط دابته ، قال : قلت : والله قد دخله ، قال : من أنت ، فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك ؟ قال : قلت : زير بن حبيش ، قال : ما عملك هذا ؟ قال : قلت : من قبل القرآن ، قال : من أخذ بالقرآن أفلح ، قال : قلت ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) قال : فنظر إلى فقال : يا أصلع ، هل ترى دخله ؟ قال : قلت : لا والله ، قال حذيفة : آجلك والله الذي لا إله إلا هو ما دخله ، ولو دخله لوجب عليكم صلاة فيه ، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار ، وما أعد الله في الآخرة أجمع ، وقال : تدرى ما البراق ؟ قال : دابة دون البغل وفوق الحمار ، خطوه مد البصر .

وقال آخرون : بل أسرى بروحه ، ولم يسر بجسده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى بعض آل أبي بكر ، أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) ولقول الله في الخبر عن إبراهيم ، إذ قال لابنه ( يَا بَنِي آتَى أَرَى فِي الْمَنَامِ آتَى أَذَّبِحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى ) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحي يأتي الأنبياء من الله أيقاظا ونياما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَتَقَطَّانُ » فالله أعلم أي ذلك كان ؟ قد جاءه وعابن فيه من أمر الله ما عابن ، على أي حالته كان ، نائما أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله أسرى بعبدته محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله حمله على البراق ، حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الآيات . ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من

أهل الشرك ، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكرا عندهم ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم ، أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ وبعد ؛ فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره . فإن ظنَّ ظانٌ أن ذلك جائز ، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها ، كما قال قائلهم :

حَسِبْتُ بَغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَبِبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ

يعنى : حسبت بغام راحلتي صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق ، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام . فأما فيما لادلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه ، فإنها لا تحذف ذلك ، ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله ( أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ ) أسرى بروح عبده ، بل الأدلة الواضحة ، والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ؛ ولو كان الإسراء بروحه ، لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام . إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا : أسرى بروحه : رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن جبرئيل حمله على البراق ، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ، ولم يُحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حُمِلَ على البراق ، لاجسده ، ولا شيء منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

وقوله ( النَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ) يقول تعالى ذكره : الذى جعلنا حوله البركة لسكانه . في معاشهم وأقواتهم وحرورهم وغروبهم . وقوله ( لِنُنزِلَهُ مِنْ آيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره : كفى نرى عبدنا محمدا من آياتنا ؛ يقول : من عبرنا وأدلتنا وحججنا ، وذلك هو ما قد ذكرت في الأخبار التي رويناها آنفا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَهُ في طريقه إلى بيت المقدس ، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِنُنزِلَهُ مِنْ آيَاتِنَا ) ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس .

وقوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) يقول تعالى ذكره : إن الذى أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ولغير ذلك من

(١) البيت تقدم الاستشهاد به في (٤ : ٩٢) من هذا التفسير . واستشهد به الفراء ( في معاني القرآن ١٧٩ ) ولكنه لم يبين موضع الشاهد فيه كما بينه المؤلف هنا ، وهو أن العرب قد تحذف المضاف ، وتقيم المضاف إليه مقامه ، كما في البيت ، إذ أنه يريد : حسبت بغام راحلتي صوت عناق .



قولهم وقول غيرهم ، البصير بما يعملون من الأعمال ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، بل هو محيط بجميعه علما ، ومحضيه عددا ، وهو لم بالمُرْصَد ، ليجزى جميعهم بما هم أهله .  
وكان بعض البصريين يقول : كسرت « إن » من قوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) لأن معنى الكلام قل يا محمد : سبحانه الذي أسرى بعبدته ، وقل : إنه هو السميع البصير .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢)

\* يقول تعالى ذكره : سبحانه الذي أسرى بعبدته ليلا ، وآتى موسى الكتاب ، وردّ الكلام إلى ( وآتينا ) وقد ابتداء بقوله أسرى ، لما قد ذكرنا قبل فيما مضى ، من فعل العرب في نظائر ذلك ، من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه . وعنى بالكتاب الذى آتى موسى : التوراة ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول : وجعلنا الكتاب الذى هو التوراة بيانا للحق ، ودليلا لم على صحجة الصواب فيما افترض عليهم ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه .

وقوله ( أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة ( أَلَّا يَتَّخِذُوا ) بالتاء بمعنى : وآتينا موسى الكتاب بأن لا يتخذوا يا بنى إسرائيل ( مِن دُونِي وَكِيلًا ) . وقراء ذلك بعض قراء البصرة ( أَلَّا يَتَّخِذُوا ) بالياء على الخبر عن بنى إسرائيل ، بمعنى : وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، ألا يتخذ بنو إسرائيل من دونى وكيلًا ، وهما قراءتان صحیحتا المعنى ، متفتقتان غير مختلفتين ، فبأيهما قرأ القارى فصيبت الصواب ، غير أنى أوتر القراءة بالتاء ، لأنها أشهر في القراءة ، وأشدّ استفاضة فيهم من القراءة بالياء . ومعنى الكلام : وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا يتخذوا حفيظا لكم سواى . وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى . وكان مجاهد يقول : معناه فى هذا الموضع : الشريك . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ) قال : شريكا . وكان مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه ، شريكا منه له ، ووكيلا للذى أقامه مقامه الله .  
وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الآية ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) جعله الله لهم هدى ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجعله رحمة لهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

ذُرِّيَّةً مِّنْ هَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)

\* يقول تعالى ذكره : سبحانه الذى أسرى بعبدته ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا

موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، ذرية من حملنا مع نوح . وعنى بالذرية : جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم ، عربهم وعجمهم ، من بني إسرائيل وغيرهم ، وذلك أن كل من على الأرض من بني آدم ، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ذرية من حملنا مع نوح ) والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة . وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له ، وامرأته وثلاث نسوة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ، فأما سام : فأبوالعرب ، وأما حام : فأبوالحبش ، وأما يافث : فأبوالروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ذرية من حملنا مع نوح ) قال : بنوه ثلاثة ونساؤهم ، ونوح وامرأته .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد : بنوه ونساؤهم ونوح ، ولم تكن امرأته .

وقد بينا في غير هذا الموضع فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله ( إنه كان عبداً شكوراً ) يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنه إن نوحا ، والهاء من ذكر نوح ، كان عبداً شكوراً لله على نعمه .  
وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكوراً ، فقال بعضهم : سماه الله بذلك ، لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : ثنا سفيان ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان نوح إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً حمد الله ، فسمي عبداً شكوراً .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود قال : ما لبس نوح جديداً قط ، ولا أكل طعاماً قط إلا حمد الله ، فلذلك قال الله ( عبداً شكوراً ) .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا سفيان الثوري ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، قال : إنما سمي نوح عبداً شكوراً : أنه كان إذا لبس ثوباً حمد الله ، وإذا أكل طعاماً حمد الله .

(١) الحبش : ليسوا حاميين ، وإنما هم فرع من الساميين : جنسا ولغة . وأولاد حام هم الترنوج .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ) من بنى إسرائيل وغيرهم ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) قال : إنه لم يجد ثوبا قط إلا حمد الله ، ولم يبسل ثوبا قط إلا حمد الله ، وإذا شرب شربة حمد الله ، قال : الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذة وصحة ، وليس في تفسيرها ، وإذا شرب شربة قال هذا ، ولكن بلغني ذا .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن النضر بن شسقي ، عن عمران بن سليم ، قال : إنما سمى نوح عبدا شكورا ، أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني ، ولو شاء أجاعني ، وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أظمأني ، وإذا لبس ثوبا قال : الحمد لله الذي كساني ، ولو شاء أعزاني ، وإذا لبس نعلا قال : الحمد لله الذي حذاني ، ولو شاء أحفاني ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذي أخرج عني أذاه ، ولو شاء حبسه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني عبد الجبار بن عمر : أن ابن أبي مریم حدثه ، قال : إنما سمى الله نوحا عبدا شكورا ، أنه كان إذا خرج اليرباز منه قال : الحمد لله الذي سوغنيك طيبا ، وأخرج عني أذاك ، وأبقى منفعتك .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله لنوح ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِدْ ثُوبًا قَطُّ إِلَّا حَمَدَ اللَّهَ ، وَكَانَ يَأْمُرُ إِذَا اسْتَجَدَّ الرَّجُلُ ثُوبًا أَنْ يَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ ، وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ) قال : كان إذا لبس ثوبا قال : الحمد لله ، وإذا أخلقه قال : الحمد لله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء : الفراغ من الشيء ، ثم يستعمل في كل مفروق منه . فتأويل الكلام في هذا الموضع : وفرغ ربك إلى بني إسرائيل ، فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه ، بإعلامه إياهم ، وإخباره لهم ( لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ) يقول : لتعضن الله يا معشر بني إسرائيل ، ولتخالفن أمره في بلاده مرتين . ( وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ) يقول : ولتستكبرن على الله ، باجترائكم عليه ، استكبارا شديدا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال : أعلمناهم .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول : أعلمناهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب ، وسابق علمه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال : هو قضاء قضى عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قضاء قضاء على القوم كما تسمعون .

وقال آخرون : معنى ذلك : أخبرنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ) قال : أخبرنا بني إسرائيل .

وكل هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معنى قوله ( وَقَضَيْنَا ) ، وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب ، لإجماع القراء على قراءة قوله ( لَتَنفُسِدُنَّ ) بالتاء دون الياء ، ولو كان معنى الكلام : وقضينا عليهم في الكتاب ، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء ، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم ، وقلنا لهم : كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة .

وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى ، ما حدثني به هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي صالح ، وعن أبي مالك ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة : ( لَتَنفُسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ) ، فكان أول الفسادين : قتل زكريا ، فبعث الله عليهم ملك النبط ، وكان يدعى صحابين<sup>١</sup> ، فبعث الجنود ، وكانت أساورته من أهل فارس ، فهم أولو بأس شديد ، فتحصنت بنو إسرائيل ، وخرج فيهم بختنصر يتأبى مسكينا ، إنما خرج يستطعم ، وتلطف حتى دخل المدينة ، فأتى مجالسهم ، فسمعهم يقولون : لو يعلم عدوتنا ما قُذِفَ في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ، ما أزدادوا قتالنا . فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم ، واشتد القيام على الجيش ، فآجعوا ، وذلك قول الله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ) . ثم إن بني إسرائيل تجهزوا ، فغزوا النبط ، فأصابوا

(١) في تاريخ الطبري (ج ٢ قسم أول ص ٦٥٧ طبعة أوربة) : صحابين ، وفي بعض النسخ في هامشه : صحابين ، وصيحين ، وسنحاريب وفي ٦٥٦ مته : صيحون ، وفي رواية هامشه عدة صور للكلمة .



منهم ، واستنقدوا ما في أيديهم ، فذلك قول الله ( **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ** ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيراً ) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين : قتل زكريا ويحيى بن زكريا ، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ، ملكا من ملوك فارس ، من قتل زكريا ، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيعة بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلتوا ، وقتلوا الأنبياء ، بعث الله عليهم ملكا** »

فارس **بختنصر** ، وكان الله ملكه سبع مئة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها وفتحها ، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا ، ثم سبي أهلها وبني الأنبياء ، وسلب حلبي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفا ومئة ألف عجلة من حلبي ، حتى أوردته بابل . قال حذيفة : فقلت : يا رسول الله ، لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله ؟ قال :

أجل بنائه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد ، وكان بلاطه بلاطه من ذهب ، وبلاطه من فضة ، وعمده ذهبا ، أعطاه الله ذلك ، وصخر له الشياطين بأثوته بهذه الأشياء ، في طرفه عتير ، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل ، فأقام

بنو إسرائيل في يديه مئة سنة ، تعد بهم الجوس وأبناء الجوس ، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم ، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له كورس ، وكان مؤمنا : أن سير إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم ، فسار كورس بيتي إسرائيل

وحلبي بيت المقدس ، حتى رده إليهم ، فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مئة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي ، فسلب الله عليهم إبطيا نحوس<sup>١</sup> . فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر ، فغزا بني إسرائيل ، حتى أتاهم بيت المقدس ، فسبي أهلها ، وأحرق بيت

المقدس ، وقال لهم : يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسباء ، فعادوا في المعاصي ، فسبى الله عليهم السباء الثالث ملك رومية ، يقال له قاقس بن إسبايوس ، فغزاهم في البر والبحر ، فسباهم وسبي حلبي بيت المقدس ، وأحرق بيت

المقدس بالنيران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا من صنعة حلبي بيت المقدس ، ويردده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف سفينة وسبع مئة سفينة ، برمتي بها على يافا ، حتى تنقل إلى بيت المقدس ، وبها يجمع الله الأولين والآخرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : كان مما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل ، وفي أحداثهم ما هم فاعلون بعده ، فقال ( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب

(١) في الدر المنثور للسيوطي : (٤ : ١٦٥) : أبطانحوس .

لَتَشْفِيَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْرَتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ) . . . إلى قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ  
 لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) فكانت بنو إسرائيل ، وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ،  
 متعظفا عليهم ، محسنا إليهم ، فكان مما أنزل بهم في ذنوبهم ، ما كان قدم إليهم في الخبر على لسان موسى ، مما أنزل  
 بهم في ذنوبهم ، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ، أن ملكا منهم كان يدعى صديقه ، وكان الله إذا ملك  
 الملك عليهم ، بعث نبيا يسدده ويرشده ، ويكون فيها بينه وبين الله ، ويحدث إليه في أمرهم ، لا ينزل عليهم الكتب ،  
 إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة ؛  
 فلما ملك ذلك الملك ، بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا الذي  
 بشر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بنو إسرائيل وبيت المقدس زمانا ؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم  
 الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ، ومعه ست مئة ألف راية ، فأقبل سائرا  
 حتى نزل نحو بيت المقدس ، والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بنو إسرائيل  
 إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده ست مئة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم ،  
 فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث ، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا  
 وبسنحاريب وجنوده ، فقال له النبي عليه السلام : لم يأتي وحى أحدث إلى في شأنك ، فيبناهم على ذلك ،  
 أوحى الله إلى شعيا النبي : أن انت ملك بنو إسرائيل ، فره أن يوصي وصيته ، ويستخلف على ملكه من  
 شاء من أهل بيته ، فأتى النبي شعيا ملك بنو إسرائيل صديقه ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك  
 أن توصي وصيتك ، وتستخلف من شئت على مملكك من أهل بيتك ، فإنك ميت . فلما قال ذلك شعيا ؛  
 لصديقه ، أقبل على القبلة ، فصلى وسبح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص  
 وتوكل وصبر وصدق وظن صادق : اللهم رب الأرباب ، وإله الآفة ، قُدُّوسَ الْمُتَقَدِّسِينَ ، يَا رَحْمَنُ  
 يَا رَحِيمُ ، المرحم الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل ،  
 وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى ، سرى وعلانيتى لك ، وإن الرحمن استجاب له ، وكان عبدا  
 صالحا ، فأوحى الله إلى شعيا أن يخبر صديقه الملك أن ربه قد استجاب له ، وقبل منه ورحمه ، وقد رأى  
 بكاءه ، وقد أختبر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده ، فأتى شعيا النبي  
 إلى ذلك الملك فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد ، وانقطع عنه الشر والحزن ، وخر ساجدا  
 وقال : يا إلهي وإله آبائي ، لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت ، أنت الذى تعطي الملك من تشاء ،  
 وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأول والآخر ، والظاهر  
 والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ، ورحمت تضرعى . فلما رفع  
 رأسه ، أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقه فيأمر عبدا من عبيده بالتينة ، فيأتيه بماء التين ، فيجعله على  
 قرحته فيشفي ، ويصيح وقد برأ ، ففعل ذلك فشفي ، وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علما  
 بما هو صانع بعدونا هذا ، قال : فقال الله لشعيا النبي : قل له : إني قد كفيتك عدوك ، وأنجيتك منه ،

(١) اسمه في الكتاب المقدس : إشعيا بن أموص . وانظر خبر النبي شعيا في تاريخ الطبري (٢ قسم أول ٦٣٨) مطبعة أوربية .



ولإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه ؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينيبهم ، فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفلك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا ؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب ، فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم يختنصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ؛ فلما رأهم خروا ساجدا من حين طلعت الشمس ، حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ، ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم ، ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى ، فلم أطع مرشدا ، ولم يُلْتَمِني في الشقوة إلا قلة عقلي ، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى ، فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يُبْقِكْ ومن معك لكرامة بك عليه ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شر لك ، لتزدادوا شيقوة في الدنيا ، وعذابا في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ، ولتندروا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم ، فقدمك ودم من معك أهون على الله من دم قتراد لو قتلته . ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه ، فحذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا ، وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما يفعل بنا ، فافعل ما أمرت ، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه ليندروا من وراءهم ، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس ، فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهاتمه وسحرته : يا ملك بابل ، قد كنا نقص عليك خبر ربهم ، وخبر نبيهم ، ووحي الله إلى نبيهم ، فلم نطعنا ، وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا ، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « لما مات سنحاريب استخلف بختنصر ابنه على ما كان عليه جده ، يعمل بعمله ، ويقضى بقضائه ، فلبث سبع عشرة سنة ، ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه ؛ فسرج أمر بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضا عليه ، ونبيهم شعيا معهم لا يذعنون إليه ، ولا يقبلون منه ؛ فلما فعلوا ذلك ، قال الله فيما بلغنا لشعيا : قم في قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام النبي أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء استمعي ، ويا أرض أنصتي ، فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وفضلهم بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة التي لاراعى لها ، فأوى شاردتها ، وجمع ضاللتها ، وجبر كسيرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمبها ؛ فلما فعل ذلك بطيرت ، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ، حتى لم يبق منها عظم صحيح ، يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل هؤلاء القوم الخاطئين ، الذين لا يدرون أين جاءهم الخين ، إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار

ربما يذكر الآري الذي شبع عليه فيراجه ، وإن الثور ربما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين ، وهم أولو الألباب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير . وإنى ضارب لم مثلا فليسمعه : قل لم : كيف ترون في أرض كانت خواء زمانا ، خربة مواتا لا عمران فيها ، وكان لها رب حكيم قوي ، فأقبل عليها بالعمارة ، وكره أن تخرب أرضه وهو قوي ، أو يقال ضييع وهو حكيم ، فأحاط عليها جدارا ، وشيّد فيها قصرا ، وأنبط فيها نهرا ، وصف فيها غيراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب ، وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه قنبا ذا رأى وهمّة ، حفيظا قويا أمينا ، وتأنى طلوعها وانتظرها ، فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا ، قالوا : بثست الأرض هذه ، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ، ويدفن نهرها ، ويقبض قبسها ، ويحرق غيراسها حتى تصير كما كانت أول مرة ، خربة مواتا لا عمران فيها . قال الله لم : فإن الجدار ذمتي ، وإن القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ، وإن القسيم نبيي ، وإن الغراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمأهم الخبيثة ، وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثل ضربه الله لم يتقربون إلى بذيح البقر والغنم ، وليس ينالني اللحم ولا آكله ، ويدعون أن يتقربوا بالثقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها ، فأيديهم مخصوبة منها ، وثيابهم مزملة بدمائها ، يشيدون لي البيوت ومساجد ، ويطهرون أجوافها ، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ، ويزوقون لي البيوت والمساجد ويزينونها ، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها ، فأنى حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وأنى حاجة لي تزويق المساجد ولست أدخلها ، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ، ولتكون معلما لمن أراد أن يصلّى فيها ، يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر على أن يفقه قلوبنا لأفقهها ، فاعمد إلى عودين يابسين ، ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون ، فقل للعودين : إن الله يأمر كما أن تكونا عودا واحدا ، فلما قال لهما ذلك ، اختلطا فصارا واحدا ، فقال الله : قل لم : إنى قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولّف بينها ، فكيف لأقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ، أم كيف لأقدر على أن أفقه قلوبهم ، وأنا الذي صورتهما ، يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حزين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، في كل ذلك لا نسمع ، ولا نستجاب لنا ، قال الله : فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ، ألسنت أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب الخبيثين ، وأرحم الراحمين ؟ ألأن ذات يدي قلت ؟ كيف ويداي مبسوطتان بالخير ، أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ، ألا وإن رحمتي وسعت كل شيء ، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها ، أو لأن البخل يعتريني ؟ أو لست أكرم الأكرمين ؟ والفتاح بالخيرات ، أجود من أعطى ، وأكرم من سئل ، لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نورّت في قلوبهم فبنذوها ، واشترّوا بها الدنيا ، إذن لأبصروا من حيث أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم ، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ، ويتقوون عليه بطعمة الحرام ، وكيف أنور صلاتهم ، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربي ويحادتي ، وينتهك محارمي ، أم كيف تزكو عندي



صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ، وإنما أوجرُ عليها أهلها المغصوبين ، أم كيف أستجيب لهم دعاءهم ؟ وإنما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد ، وإنما أستجيب للداعى اللين ، وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين ، وإن من علامة رضاي رضا المساكين ، فلو رحموا المساكين ، وقرّبوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدّلوا للغائب ، وأدّوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين ، وكلّ ذى حقّ حقه ، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم ، وإذن لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ، وإذن لدعمت أركانهم ، فكنت قوّة أيديهم وأرجلهم ، وإذن لثبّت ألسنتهم وعقولهم ، يقولون لما سمعوا كلامي ، وبلغتهم رسالاتي ، بأنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، وأن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين اطلعوا ، وكلهم يستخفى بالذى يقول ويُسِرّ ، وهم يعلمون أنّي أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما يبذلون وما يكتبون ، وإنّي قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أنبته على نفسي ، وجعلت دونه أجلا مؤجلا ، لا بدّ أنه واقع ، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب ، فليخبروك متى أنفذه ؟ أو في أيّ زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرّون على أن يأتوا بما يشاءون ، فليأتوا بمثل القُدرة التي بها أمضيت ، فلنّى مظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وإن كانوا يقدرّون على أن يقولوا ما يشاءون ، فلؤلّفوا مثل الحكمة التي أدبّر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين ؟ فلنّى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجرء ، وأن أحول الملك في الرّعاء ، والعزّ في الأذلاء ، والقوّة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والثروة في الأقتلاء ، والمدائن في القلوات ، والآجام في المناوز ، والبرّديّ في الغيطان ، والعلم في الجهلة ، والحكّم في الأُميين ، فسلهم متى هذا ، ومن القائم بهذا ؟ وعلى يد من أسّنه ؟ ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فلنّى باعث لذلك نبيا أمّيا ، ليس أعمى من عميان ، ولا ضالا من ضالّين ، وليس بفظّ ولا غليظ ، ولا صخبّاب في الأسواق ، ولا متزيّن بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدّده لكلّ جميل ، أهب له كلّ خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والعرف خلقه ، والعدل والمعروف سيرته ، والحقّ شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملّته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهرّ به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلّة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلّف به قلوبا مختلفة ، وأهواء مشتتة ، وأما متفرّقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، توحيدا لي ، وإيمانا وإخلاصا لي ، يُصنّون لي قياما وقعودا ، وركوعا وسجودا ، يُقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ، أهتمهم التكبير والتوحيد ، والتسبيح والحمد والمدحة ، والتمجيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومُتَقَلِّبِهِمْ ومَثْوَاهُمْ ، يكتبون ويهلّون ، ويقدّسون على رموس الأسواق ، ويظهرون لي الوجوه والأطراف ، ويعقدون الثياب في الأنصاف ، قُرْبَانِهِمْ دماؤهم ، وأناجيلهم صدورهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار ،

ذلك فضلى أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم». فلما فرغ نبيهم شيعاء إليهم من مقالته ، عدّوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت ، فدخل فيها ، وأدركه الشيطان ، فأخذ بهدبة من ثوبه ، فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فشروها حتى قطعوها ، وقطعوه في وسطها .

قال أبو جعفر : فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى ، وقول ابن زيد ، كان إفساد بنى إسرائيل في الأرض المرة الأولى ، قتلهم زكريا نبي الله ، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده ، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نعمته من معاصي الله ، وعتوهم على ربهم . وأما على قول ابن إسحاق الذى روينا عنه ، فكان إفسادهم المرة الأولى ما وصف من قتلهم شيعاء بن أمصيا نبي الله . وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يقتل ، وأن المقتول إنما هو شيعاء ، وأن يختصر هو الذى سلط على بنى إسرائيل في المرة الأولى بعد قتلهم شيعاء . حدثنا بذلك ابن حميد ، عن سلمة عنه .

وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة ، فلا اختلاف بين أهل العلم ، أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا . وقد اختلفوا في الذى سلطه الله عليهم ، منتقما به منهم عند ذلك ، وأناذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله . وأما قوله ( وَكَتَعَلُنَّ عَلُوًّا كَبِيرًا ) فقد ذكرنا قول من قال : يعنى به : استكبارهم على الله ، بالجرأة عليه ، وخلافهم أمره .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَتَعَلُنَّ عَلُوًّا كَبِيرًا ) قال : ولتعنّ الناس علوا كبيرا .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا ) يعنى : فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض ، كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا ) قال : إذا جاء وعد أولى تينك المرتين . اللتين قضينا إلى بنى إسرائيل ( لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ) .

وقوله ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِيَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ) يعنى تعالى ذكره بقوله ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ) وجهنا إليكم ، وأرسلنا عليكم ( عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) يقول : ذوى بطش في الحروب شديد . وقوله ( فَجَاسُوا خِيَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ) يقول : فترددوا بين الدور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا ، يقال فيه : جاس القوم بين الديار وحاسوا : بمعنى واحد ، وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا .

وبنحو الذى قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( فَجَاسُوا خِيَالَ الدِّيَارِ ) قال : مشّوا . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معنى جاسوا : قتلوا ، ويستشهد لقوله ذلك بيت حسان :



وَمِنَّا النَّذِيُّ لَاتِي بِسَيْفٍ مُّحَمَّدٍ فَجَاسَ بِهِ الْأَعْدَاءَ عُرْضَ الْعَسَاكِرِ

وجائز أن يكون معناه : فجاسوا خلال الديار ، فقتلواهم ذاهبين وجائين ، فيصح التأويلان جميعا . ويعنى بقوله ( وكان وعداً مفعولاً ) وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لاحتمال ، لأنه لا يخلف الميعاد .

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله ( أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) فيما كان من فعلهم في المرة الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم ، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة ، وما كان من صنعهم بهم ، فقال بعضهم : كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس . قوله ( فإذا جاء وعد أولاهما نبعثنا عليكم عبيداً لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً ) قال : بعث الله عليهم جالوت ، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج والذل ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله ، فبعث الله طالوت ، فقاتلوا جالوت ، فنصر الله بني إسرائيل ، وقتل جالوت بيدى داود ، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فإذا جاء وعد أولاهما نبعثنا عليكم عبيداً لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً ) قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري ، فسبى وقتل ، وجاسوا خلال الديار كما قال الله ، ثم رجع القوم على دخن فيهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت ، حتى بعث طالوت ومعه داود ، فقتله داود .

وقال آخرون : بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب ، وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى ، ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي الملقى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، يقول في قوله ( نبعثنا عليكم عبيداً لنا أولى بأس شديد ) قال : بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونيثوى ، فسألت سعيداً عنها ، فزعم أنها الموصل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، قال : ثنا يعلى بن مسلم بن

(١) البيت شاهد على أن جاس ، معناه : قتل . وقال في (اللسان : جوس) : الجوس : مصدر جاس جوساً وجوساناً : تردد . وفي التنزيل العزيز : « فجاسوا خلال الديار » : أى ترددوا بينها للفارة . وقال الفراء : قتلوكم بين بيوتكم . قال : وجاسوا وحاسوا : بمعنى واحد : يذهبون ويحيثون . وقال الزجاج : « فجاسوا خلال الديار » : فطافوا في خلال الديار ، ينظرون : هل يق أحد لم يقتلوه ؟ وفي الصحاح : « فجاسوا خلال الديار » : أى تطلوها ، فطلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الأخبار : أى يطلبها .

سعيد بن جبير ، أنه سمعه يقول : « كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) بكى وفاضت عيناه ، وطبَّقَ المصحف ، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ، ثم قال : أي رب أرفني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه ، فأرى في المنام مسكينا ببابل ، يقال له بختنصر ، فانطلق بمال وأعبده له ، وكان رجلا مَوْسِرا ، فقيل له أين تريد ؟ قال : أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل ، فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو المساكين ، ويلطِّفُ بهم ، حتى لم يبق أحد ، فقال : هل بقي مسكين غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكين بفتح آل فلان مريض ، يقال له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا ، حتى أتاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه ، فنقله إليه ، ومرَّضه حتى برأ ، فكساه وأعطاه نفقة ، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئا أجزيك ، قال : بلى شيئا يسيرا إن ملكت أضعفني ، فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ، ولا يمنعني أن يعطيه ما سأله ، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به ، فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه ، وكتب في كتابه . وضرب الدهر من ضربه ، فقال يوما صيحون ، وهو ملك فارس ببابل : لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرك لو فعلت ؟ قال : فن ترون ؟ قالوا : فلانا ، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج إلا لياكل في مطبخه ، فلما قدم الشام ، ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جملدا ، فكسر ذلك في ذرعه ، فلم يسأل<sup>٢</sup> ، قال : فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام ، فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ، فلو غزوتوها مادون بيت ما لها شيء ، قالوا : لأنحسن القتال ، قال : فلو أنكم غزوتهم ، قالوا : إنا لأنحسن القتال ولا نقاتل ، حتى أنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لنوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان ؛ فرُفِعَ ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جملدا ، كُبر ذلك في روعه ، ولم يسألهم عن شيء ، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، وقالوا لي كذا وكذا ، الذي ذكر سعيد ابن جبير أنه قال لهم . قال الطليعة لبختنصر : إنك فضحتني<sup>٣</sup> ؛ لك مئة ألف ، وتنزح عما قلت ، قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزع . ضرب الدهر من ضربه ؛ فقال الملك : أو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساعا ساغوا ، وإلا انثنوا ما قدروا عليه ، قالوا : ما ضرك لو فعلت ، قال : فن ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني ، فدعا بختنصر وأرسله ، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخرَّبوا ولم يقتلوا ، ومات صيحون الملك<sup>٤</sup> ، قالوا : استخلفوا رجلا ، قالوا : على رسلكم ، حتى تأتي أصحابكم ، فلأنهم فرسانكم ، لن يتقصوا عليكم شيئا ، أمهلوا ، فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسمه في الناس ، فقالوا : ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا ، فلنكوه . حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيى

(١) في عرائس المجالس للعلبي : ويتلطف بهم ، حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه .

(٢) في عرائس المجالس للعلبي : فلم يسألهم عن شيء .

(٣) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربة . وفي الأصل : إن صعبين . تحريف .

(٤) كذا في عرائس المجالس للعلبي ص ٣٣٦ طبعه الحلبي وفي الأصل : ورمى في جنازة صعورا .



ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : « ظهر بختنصر على الشام ، فحرب بيت المقدس وقتلهم ، ثم أتى دمشق ، فوجد بها دما يغلي على كبا : أى كنانسة ، فسألهم ما هذا الدم ؟ قالوا : أدركنا آباءنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ، قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم ، فسكن . »  
وقال آخرون : يعنى بذلك قوما من أهل فارس ، قالوا : ولم يكن فى المرة الأولى قتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذا جاء وَعَدُّ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمُ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَتَجَاسَوْا خِلَالَ الدِّيَارِ ) قال : من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ويسمعون حديثهم ، معهم بختنصر ، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ، وتُصيرت عليهم بنو إسرائيل ، فهذا وعد الأولى .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمُ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ثم ذكر نحوه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فإذا جاء وَعَدُّ أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمُ عِبَادًا لَنَا أَوْلَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) قال : ذلك أى من جاءهم من فارس ، ثم ذكر نحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)

يقول تعالى ذكره : ثم أدلناكم يا بنى إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه ، أنه يبعثهم عليهم ، وكانت تلك الإدالة والكررة لهم عليهم ، فيما ذكر السدى فى خبره ، أن بنى إسرائيل غزوه ، وأصابوا منهم ، واستنقذوا ما فى أيديهم منهم . وفى قول آخرين : إطلاق الملك الذى غزاهم ما فى يديه من أسراهم ، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم ، من غير قتال . وفى قول ابن عباس الذى رواه عطية عنه ، هى إدالة الله لياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه ، وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيد فى مضى ( وأمددناكم بأموالٍ وبَنِينَ ) يقول : وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين .

وقوله ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) يقول : وصيرناكم أكثر عددًا نافرٍ منهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) : أى عدا ، وذلك فى زمن داود .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ) لبني إسرائيل ، بعد أن كانت الهزيمة ، وانصرف الآخرون عنهم ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) قال : جعلناكم بعد هذا أكثر عددا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ) ثم رددت الكرة لبني إسرائيل .

حدثني محمد بن سنان القرظي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، في قوله ( وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ) قال : أربعة آلاف .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلِمُوا تَبِيرًا (٧)

يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ ) يا بني إسرائيل ، فأطعمتم الله وأصلحتم أمركم ، ولزمت أمره ونهيه ( أَحْسَنْتُمْ ) وفعلمت ما فعلتم من ذلك ( لِأَنْفُسِكُمْ ) لأنكم إنما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا ، ويُسمى لكم أموالكم ، ويزيدكم إلى قوتكم قوة . وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنته ( وَإِنْ أَسَأْتُمْ ) يقول : وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ ، فلن أنفسكم تسيئون ، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم ، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ، ويمكن منكم من بغاكم سوءا ، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين . وقال جل ثناؤه ( وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ) والمعنى : فلإيها ، كما قال ( بَانَ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا ) والمعنى : أوحى إليها .

وقوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ) يقول : فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتين إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض ( لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ) يقول : ليسوء وجهي ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها . وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ) بمعنى : ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم ، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك ، بقوله ( وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ) وقالوا : ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله ( لِيَسُوءُوا ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ) على التوحيد ، وبالياء ، وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل ، أحدهما ما قد ذكرت ، والآخر منهما : ليسوء الله



وجوهكم ، فمن وجّه تأويل ذلك إلى ليسوءَ يحيى الوعد وجوهكم ، جعل جواب قوله فإذا محذوفاً ، قد استغنى بما ظهر عنه ، وذلك المحذوف «جاء» ، فيكون الكلام تأويله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءَ وجوهكم جاء ؛ ومن وجّه تأويله إلى : ليسوءَ الله وجوهكم ، كان أيضاً في الكلام محذوف ، قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه ، غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء» ، فيكون معنى الكلام حينئذ : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوءَ الله وجوهكم ، فيكون المضمّر «بعثناهم» ، وذلك جواب إذا حينئذ . وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين ( لَيْسُوءَ وَجُوهَكُمْ ) على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه ، عن نفسه .

وكان يحيى وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى .

ذكر الرواية بذلك ، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل «أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بُحْتَنَصْر ، وكانوا يصدقون ، فتصدق رؤياهم ، فأقبل فسأل عنه ، حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت فضمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر لنا بها طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خراً ، فأكلوا وشربوا ، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال له : إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر ، فقال : أتسخر بي ؟ فقال : إني لا أسخر بك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ، فكلمته أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ذلك ، وإلا لم ينقصك شيئاً ، فكتب له أماناً ، فقال له : أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، فاجعل لي آية تعرفني بها ، قال : ترفع صهيفتك على قصبة أعرفك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ، ويدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها ، فحققت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت أمّ الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبسها ثياباً راقاً حمراً ، وطيبها ، وألبسها من الحلّي ، وقيل : إنها ألبسها فوق ذلك كساء أسود ، وأرسلها إلى الملك ، وأمرها أن تسقيه ، وأن تعرض له نفسها ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طسّنت ، ففعلت ، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها ؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، فقال : ما الذي تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث لي يحيى بن زكريا ، فأوتى برأسه في هذا الطسّنت ، فقال : ويحك ، سليني غير هذا ، فقالت له : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما ألحّت عليه بعث إليه ، فأتى برأسه ، والرأس يتكلم ، حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا يحلّ لك ذلك ؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضاً ، فارتفع الدم فوقه ؛ فلم يزل يلقي عليه التراب ، حتى بلغ سور المدينة

وهو يغلى وبلغ صيحاين ، فثار في الناس ، وأراد أن يبعث عليهم جيشا ، ويؤمر عليهم رجلا ، فأناه بختنصر  
وكلمه وقال : إن الذي كنت أرسلته تلك المرة ضعيف ، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها ،  
فابعثني ، فبعثه ، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يطلقهم . فلما اشتد عليهم  
المقام وجاع أصحابه ، أرادوا الرجوع ، فخرجت إليهم عجوز من عجائر بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير  
الجند ، فأق بها إليه ، فقالت له : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة ، قال :  
نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرأيتك إن  
فتحت لك المدينة أتعطيني ماسألتك ، وتقتل من أمرتك بقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال : نعم ،  
قالت : إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كل زاوية ربعا ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء  
فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا ، فلأنها سوف تساقط ، ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا  
من جوانبها ، فقالت له : اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ،  
فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة ؛ فلما سكن الدم قالت له : كف يدك ، فإن الله تبارك وتعالى  
إذا قتل نبي لم يرض ، حتى يقتل من قتله ، ومن رضى قتله ، وأناه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكف  
عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة  
فله جزيته تلك السنة ، وأعانه على خرابه الروم ، من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى ، فلما خرّبه بختنصر ذهب  
معه بوجوه بني إسرائيل وأشرفهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزارياء وميشائيل ، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء  
وذهب معه برأس جالوت ؛ فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قدم مات ، فلك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه  
دانيال وأصحابه ، فحسداهم الجوس على ذلك ، فوشّوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون  
إلّاك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل ، إن لنا ربا نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم  
فأمر بخدمته فخدمهم ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبعا ضاربا ليأكلهم ، فقال : انطلقوا فلناكل  
ولنشر ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ، ولم يخدم  
منهم أحدا ، ولم ينكأ شيئا ، ووجدوا معهم رجلا ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقالوا : ما بال هذا السابع  
إنما كانوا ستة ، فخرج إليهم السابع ، وكان ملكا من الملائكة ، فلطمه لطمه ، فصار في الوحش ، فكان  
فيهم سبع سنين ، لا يراه وحشي إلا أناه ، حتى ينكحه ، يقتص منه ما كان يصنع بالرجال ، ثم إنه رجع  
ورد الله عليه ملكه ، فكانوا أكرم خلق الله عليه . ثم إن الجوس وشّوا به ثانية ، فالفقوا أسدا في بئر قد  
ضرسى ، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها ، فألقوا إليه دانيال ، فقام الأسد في جانب ، وقام دانيال  
في جانب لا يمسه ، فأخرجوه ، وقد كان قبل ذلك خدّ لم خدّا ، فأوقد فيه نارا ، حتى إذا أجمها قذفهم  
فيها ، فأطفاها الله عليهم ، ولم ينلهم منها شيء . ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب ،  
وعنقه من شبه ، وصدرة من حديد ، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ، ورجلاه من فخار ؛ فبينما هو  
قائم ينظر ، إذ جاءت حضرة من السماء من قبيل القبلة ، فكسرت الصنم ، فجعلته هشيا ، فاستيقظ فرعا



وأُتِيهَا ، فَدَعَا السَّحْرَةَ وَالكَهَنَةَ ، فَسَأَلَهُمْ ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَمَّا رَأَيْتُمْ ، فَقَالُوا لَهُ لَا ، بَلْ أَنْتَ أَخْبَرْنَا ، مَا رَأَيْتُمْ ، فَتَعْبِرْهُ لَكَ ، قَالَ : لَا أَدْرِي ، قَالُوا لَهُ : فَهَؤُلَاءِ الْفَتَيَّةُ الَّذِينَ تَكْرَهُهُمْ ، فَادْعُهُمْ فَسَأَلَهُمْ ، فَانْهَمُوا ، لَمْ يَخْبِرُوكَ بِمَا رَأَيْتُمْ فَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ ؟ قَالَ : أَقْتُلُهُمْ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى دَانِيَالٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَادْعَاهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَخْبِرُونِي مَاذَا رَأَيْتُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ دَانِيَالٌ : بَلْ أَنْتَ أَخْبَرْنَا مَا رَأَيْتُمْ فَتَعْبِرْهُ لَكَ ، قَالَ : لَا أَدْرِي قَدْ نَسَيْتُهَا ، فَقَالَ لَهُ دَانِيَالٌ : كَيْفَ نَعْلَمُ رُؤْيَا لَمْ تَخْبِرْنَا بِهَا ؟ فَأَمَرَ الْبُؤَابَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ ، فَقَالَ دَانِيَالٌ لِلْبُؤَابِ : إِنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِنَا مِنْ أَجْلِ رُؤْيَا ، فَأَخَّرْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنْ نَحْنُ أَخْبَرْنَا الْمَلِكَ بِرُؤْيَا ، وَإِلَّا فَاصْرَبْ أَعْنَاقَنَا ، فَأَجْلَهُمْ فَادْعُوا اللَّهَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَبْصَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رُؤْيَا بِمُخْتَصِرٍ عَلَى حِدَةٍ ، فَأَتَوْا الْبُؤَابَ فَأَخْبَرُوهُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُمْ عَلَيَّ ؛ وَكَانَ بِمُخْتَصِرٍ لَا يَعْرِفُ مِنْ رُؤْيَا شَيْئًا ، إِلَّا شَيْئًا يَذْكُرُونَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ رَأَيْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَصَّوْهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : صَدَقْتُمْ ، قَالُوا : نَحْنُ نَعْبِرُهَا لَكَ . أَمَا الصَّنَمُ الَّذِي رَأَيْتَ رَأْسَهُ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِنَّهُ مَلِكٌ حَسَنٌ مِثْلُ الذَّهَبِ ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ؛ وَأَمَّا الْعَنْقُ مِنَ الشَّيْءِ ، فَهُوَ مَلِكُ ابْنِكَ بَعْدَكَ ، يَمْلِكُ فَيَكُونُ مَلِكًا حَسَنًا ، وَلَا يَكُونُ مِثْلَ الذَّهَبِ ؛ وَأَمَّا صَدْرُهُ الَّذِي مِنْ حَدِيدٍ فَهُوَ مَلِكُ أَهْلِ فَارَسٍ ، يَمْلِكُونَ بَعْدَ ابْنِكَ ، فَيَكُونُ مَلِكُهُمْ شَدِيدًا مِثْلَ الْحَدِيدِ ؛ وَأَمَّا بَطْنُهُ الْأَخْلَاطُ ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ مَلِكُ أَهْلِ فَارَسٍ ، وَيَتَنَازَعُ النَّاسَ الْمَلِكُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ، حَتَّى يَكُونَ الْمَلِكُ يَمْلِكُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ ، وَالشَّهْرَ وَالشَّهْرِينَ ، ثُمَّ يُقْتَلُ ، فَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ قِوَامٌ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ لِلصَّنَمِ قِوَامٌ عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْ فَخَّارٍ ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، فَأَظْهَرَ عَلَى بَقِيَّةِ مَلِكِ أَهْلِ فَارَسٍ ، وَبَقِيَّةِ مَلِكِ ابْنِكَ وَمَلِكِكَ ، فَدَمَّرَهُ وَأَهْلَكَهُ ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ ، كَمَا جَاءَتْ الصَّخْرَةُ فَهَدَمَتْ الصَّنَمَ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِمْ بِمُخْتَصِرٍ ، فَأَحْبَبَهُمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ الْمَجُوسَ وَشَوْأَ بَدَانِيَالٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ دَانِيَالًا إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ يَبُولَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ عَارًا ، فَجَعَلَ لَهُمْ بِمُخْتَصِرٍ طَعَامًا ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا ، وَقَالَ لِلْبُؤَابِ : انظُرْ أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ عَلَيْكَ يَبُولُ ، فَاصْرَبْهُ بِالطَّسْبَرِ زَيْنَ ، وَإِنْ قَالَ : أَنَا بِمُخْتَصِرٍ ، فَقُلْ كَذِبْتَ ، بِمُخْتَصِرٍ أَمْرِي ، فَحَبَسَ اللَّهُ عَنْ دَانِيَالِ الْبُولَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَامَ مِنَ الْقَوْمِ يَرِيدُ الْبُولَ بِمُخْتَصِرٍ ، فَقَامَ مُدْلًا . وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا يَسْحَبُ ثِيَابَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْبُؤَابَ شَدَّةَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنَا بِمُخْتَصِرٍ ، فَقَالَ : كَذِبْتَ ، بِمُخْتَصِرٍ أَمْرِي أَنْ أَقْتَلَ أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ ، فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ أَبِي الْمَعْلَى ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ ، قَالَ : بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى سِنْحَارِيْبَ ، قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ لَهُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ ؛ قَالَ : ثُمَّ عَصَوْا رَبَّهُمْ وَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ بِمُخْتَصِرٍ ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذَّرِيَّةَ ، وَأَخَذَ مَا وَجَدَ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَدَخَلُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ( وَلَيَبْدُخُلُونَا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلَيُسْتَسْبَرُوا مَا عَنَّوْا تَنْبِيْرًا ) دَخَلُوهُ فَتَبَرُّوهُ وَخَرَّبُوهُ ، وَأَلْقَوْا فِيهِ مَا اسْتَطَاعُوا مِنَ الْعَذْرَةِ وَالْحَيْضِ وَالْجَيْفِ وَالْقَذْرِ ، فَقَالَ اللَّهُ ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عَلَيْنَا ، فَرَحِمْتُمْ ) فَرَدَّ إِلَيْهِمْ مَلِكَهُمْ ،

وخلص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل ، وقال لهم : إن عدتم عدنا ، فقال أبوالمعلّى ، ولأعلم ذلك إلا من هذا الحديث ، ولم يعدهم الرجعة إلى ملكهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فإذ آجاء وَعَدُ الْآخِرَةَ ، لِيَسْؤُوا وَأُجْوهَكُمْ) قال : بعث الله ملك فارس ببابل جيشا ، وأمر عليهم بختنصر ، فأتوا بني إسرائيل ، فدمروهم ، فكانت هذه الآخرة ووعدها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه ، قال : ثلاثة ، فن استأخر منكم بعدها فليمش إلى خشبته ، فغزا الشام ، فذلك حين قتل وأخرب بيت المقدس ، ونزع حليلته ، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمر ، وحيوانا يأكل عليه الخنازير ، وحمل التوراة معه ، ثم ألغها في النار ، وقدم فيها قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشايل ، فقال لإنسان : أصلح لي أجسام هؤلاء ، لعل أختار منهم أربعة يخدمونني ، فقال دانيال لأصحابه : إنما نصيروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم ، لانا أكلوا لحم الخنزير ، ولا تشربوا الخمر ، فقالوا للذي يصلح أجسامهم : هل لك أن تطعمنا طعاما ، هو أهون عليك في المؤنة مما تطعم أصحابنا ، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيتك ، قال : ماذا ؟ قال : خبز الشعير والكراث ، ففعل فسمنوا قبل أصحابهم ، فأخذهم بختنصر يخدمونه ، فبينما هم كذلك ، إذ رأى بختنصر رؤيا ، فجلس ففسها ، فعاد فرقد فرآها ، فقام ففسها ، ثم عاد فرقد فرآها ، فخرج إلى الحجر ، ففسها ، فلما أصبح دعا العلماء والكهّان ، فقال : أخبروني بما رأيت البارحة ، وأولوا لي رؤياي ، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته ، موعدهم ثلاثة ، فقالوا : هذا لو أخبرنا برؤياه ، وذكر كلاما لم أحفظه ، قال : وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول : لو دعاني الملك لأخبرته برؤياه ، ولأولتها له ، قال : فجعلوا يقولون : ما أحق هذا الغلام الإسرائيلي ! إلى أن مرّ به كهيل ، فقال له ذلك ، فرجع إليه فأخبره ، فدعاه فقال : ماذا رأيت ؟ قال : رأيت تمثالا ، قال إيه ، قال ورأسه من ذهب ، قال إيه ، قال : وعنقه من فضة ، قال إيه ، قال : وصدرة من حديد ، قال إيه ، قال : وبطنه من صُفْر ، قال إيه ، قال : ورجلاه من آتْكَ ، قال إيه ، قال : وقدماه من فِخْخار ، قال : هذا الذي رأيت ؟ قال إيه ، قال : فجاءت حصاة ، فوقعت في رأسه ، ثم في عنقه ، ثم في صدره ، ثم في بطنه ، ثم في رجله ، ثم في قدميه ، قال : فأهلكته . قال : فما هذا ؟ قال : أما الذهب فإنه مُلْكُكَ ، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ، ثم ملك ابن ابنك ، قال : وأما الفخار فملك النساء . فكساه جبة ترثون ، وسوّره ، وطاف به في القرية ، وأجاز خاتمه . فلما رأت ذلك فارس ، قالوا : ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي ، فقالوا : اتنوه من نحو الفتية الثلاثة ، ولا تذكروا له دانيال ، فإنه لا يصدقكم عليه ، فأتوه ، فقالوا : إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك ، وآية ذلك أنك

(١) كذا في الأصل . واللفظة معرفة . وفي الكتاب المقدس : سفر دانيال ، الإصحاح الخامس : « حينئذ أمر بلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان ، وقلادة من ذهب في عنقه » .



إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والخمر، لم يأكلوا ولم يشربوا ، فأمر بحطب كثير فوضع ، ثم أرقاهم عليه ، ثم أوقد فيه نارا ، ثم خرج من آخر الليل يبول ، فإذا هم يتحدّثون ، وإذا معهم رابع يروح عليهم بصلي ، قال : من هذا يادانيال ؟ قال : هذا جبريل ، إنك ظلمتهم ، قال : ظلمتهم ، مر بهم ينزلوا ، فأمر بهم فنزلوا ، قال : ومسح الله تعالى بختنصر من الدواب كلها ، فجعل من كل صنف من الدواب رأسه رأس سبع من السباع الأسد ، ومن الطير النسر ، وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين ، ثم كتبت سطين ، فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما ، فقالت له أمه : إنك لو أعدت إلى دانيال منزلة التي كانت له من أبيك ، أخبرك ، وكان قد جفاه فدعاه ، فقال : إني معبد إليك منزلتك من أبي ، فأخبرني ماهذان السطران ؟ قال : أما أن تعيد إلي منزلي من أبيك ، فلا حاجة لي بها ، وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة ، فأخرج من في القصر أجمعين ، وأمر بقله ، فأقفلت الأبواب عليه ، وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه ، معه سيف ، فقال : من جاءك من خلق الله فاقتله ، وإن قال : أنا فلان ، وبعث الله عليه البطن ، فجعل يمشي حتى كان شطر الليل ، فرقد ورقد صاحبه ، ثم نبهه البطن ، فذهب يمشي والآخر نائم ، فرجع فاستيقظ به ، فقال له : أنا فلان ، فضربه بالسيف ، فقتله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ) آخر العقوبتين ( ليسوءوا وجوهكم ، وليبدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ) كما دخله عدوهم قبل ذلك ( وليتسبروا ما عكروا تنبيرا ) فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجرى البابل ، أبغض خلق الله إليه ، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( فإذا جاء وعد الآخرة ) من المرتين ( ليسوءوا وجوهكم ) قال : ليقبحوا وجوهكم ( وليتسبروا ما عكروا تنبيرا ) : قال : يدمروا ما عكروا تدميرا ، قال : هو بختنصر ، بعثه الله عليهم في المرة الآخرة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر ، فخرّب المساجد ، وتسبر ما عكروا تنبيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، قال : فيما بلغني : استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك ، يعني بعد قتلهم شعبياء ، رجلا منهم يقال له : نناشة بن أموص ، فبعث الله الخضر نبيا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول : « إنما سمي الخضر خضيرا ، لأنه جلس على فروة بيضاء ، فقام عنها وهي تهتر خضراء » . قال : واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل : إرميا بن حنانيا ، وكان من سبط هارون بن عمران .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه ، قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا بن عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن

ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه البيماني ، واللفظ لحديث ابن حميد : أنه كان يقول : قال الله تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل : يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قد استك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعي نباتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ، ولأمر عظيم اختبأتك ؛ فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل ، يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله ؛ قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله تعالى إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، واقصص عليهم ما أمرك به ، وذكّرهم نعمتي عليهم ، وعرفهم أحداثهم . فقال إرميا : إني ضعيف إن لم تقوّني ، وعاجز إن لم تبلّغني ، ومخطئ إن لم تسدّدني ، ومخذول إن لم تنصرنني ، وذليل إن لم تعزّني . قال الله تبارك وتعالى : أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلها والألسنة بيدي ، ألقبها كيف شئت ، فنتطيعني . وإني أنا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتي ، وأنا كلّمت البحار ، ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت أمري . وحددت عليها بالهطحاء ، فلا تعدّني حدّي ، تأتي بأمواج كالجبال ، حتى إذا بلغت حدّي ، ألبستها مدلّة طاعتي ، خوفاً واعترافاً لأمرى ؛ إني معك ، ولن يصل إليك شيء معي ، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي ، لتبلغهم رسالاتي ، ولتستحقّ بذلك مثل أجر من تبعك منهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، وإن تقصّر عنها ، فلك مثل وزر من تركب في عماء ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر لكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستنبتكم يامعشر الأبناء ، وسلّمهم كيف وجد آبائهم مغيبّة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغيبّة معصيتي ، وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعني فشقّ بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي ، فإن الدّوابّ مما تذكّر أوطانها الصالحة ، ففتنّائها ، وإن هؤلاء القوم قدرتموا في مروج المهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا ، ليعبدوهم دوني ، ونحكوا فيهم بغير كتابي ، حتى أجهلواهم أمري ، وأنسواهم ذكري ، وغرّوهم مني . أما أمراؤهم وقاداتهم فبطّروا نعمتي ، وأمنوا مكري ، ونبذوا كتابي ، ونسوا عهدي ، وغيروا سنتي ، فأدان لهم عبادي بالطاعة التي لا ينبغي إلا لي ، فهم يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البدع التي يتدعون في ديني ، جراءة علىّ ، وغرّة وفريّة علىّ وعلى رسلي ، فسبحان جلالتي وعلوّ مكاني ، وعظّم شأنّي ، فهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ؟ وهل ينبغي لي أن أخلق عبادا أجعلهم أرباباً من دوني ؟ وأما قرآؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ، ويتزيّنون بعمارتي لغيري ، لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقّهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء ، فكثرون مقهورون مغبرون ، يخوضون مع الخائضين ، ويتمنّون علىّ مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التي أكرمهم بها ، ويزعمون أن لأحدٍ أولى بذلك منهم مني ، بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمري حين غير المغيرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودعاءهم ، فصبروا ، وصدّقوا ، حتى عزّ أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلهم يستجيبون ،



فأطوكت لهم ، وصفح عنهم ، لعلهم يرجعون ، فأكثرت ومددت لهم في العمر لعلهم يتذكرون ، فأعذرت في كل ذلك ، أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ، فلا يزدادون إلا طغيانا وبُعُدا مني ، فحتى متى هذا ؟ أبي يتمرسون ، أم إياي يخادعون ؟ وإني أحلف بعزتي : لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الخليم ، ويضل فيها رأى ذى الرأى ، وحكمة الحكيم ، ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان ، يتبعه عدد ، وسواد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قطع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ، كأن خفيق رايانه طيران النسور ، وإن حملة فرسانه كوبر العقبان . ثم أوحى الله إلى إرميا : إني مهلك بني إسرائيل بيافت ، ويافت أهل بابل ، وهم من ولد يافت ابن نوح . ثم لما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، وقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقيت التوراة ، ومن شر آيى يوم ولدت فيه ، فما أُبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو أشر على ، لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل ، فمن أجلى تصيبيهم الشقوة والهلاك . فلما سمع الله تضرع الخضر وبكاهه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشق ذلك عليك فيما أوحيت لك ؟ قال : نعم يا رب أهلكنى قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسر به ، فقال الله : وعزتي العزيرة لأهلك بيت المقدس وبني إسرائيل ، حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه ، وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا أمر ربى بهلاك بني إسرائيل أبدا . ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه ، فاستبشر وفرح وقال : إن يعد بنا ربنا فيذنوب كثيرة قد منأنا لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته ، ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشر ، وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين ألهمهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم : يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه ، قبل أن يمسكم بأس الله ، وقبل أن يُبعث عليكم قوم لارحمة لهم بكم ، وإن ربكم قريب التوبة ، مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه ، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه ، وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نبورزاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود ابن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذى حاجه في ربه ، أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل ، فخرج في ست مئة ألف راية ، يريد أهل بيت المقدس ، فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر ، أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا أين ما زعمت لنا : أن ربك أوحى إليك ألا يهلك أهل بيت المقدس ، حتى يكون منك الأمر في ذلك ، فقال إرميا للملك : إن ربى لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق . فلما اقترب الأجل ، ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله على هلاكهم ، بعث الله ملكا من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا فاستفته ، وأمره بالذى يستفتى فيه ، فأقبل الملك إلى إرميا ، وكان قد تمثّل له رجلا من بني إسرائيل ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : رجل من بني إسرائيل ، أستفتيك في بعض أمرى ، فأذن له ، فقال له الملك : يا نبي الله ، أتيتك أستفتيك في أهل رحى ، وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به ، لم آت إليهم إلا حسنا ، ولم آلمهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتى

إياهم إلا إسقاطا لي ، فأفتنى فيهم يا نبي الله ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصِلْ ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير ، وانصرف عنه . فكث أياما ، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذي جاءه ، ففعد بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبي الله : أو ما ظهرت لك أخلاقهم بعد ، ولم تر منهم الذي تحب ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ، ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه ، إلا قد أتيتها إليهم ، وأفضل من ذلك ، فقال النبي : ارجع إلى أهلِكَ ، فأحسن إليهم ، أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين ، أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مَرْضَاتِهِ ، ويجنبكم سَخَطَهُ ، فقام الملك من عنده ، فلبث أياما ، وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس ، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ، ففرغ منهم بنو إسرائيل فرعا شديدا ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل ، فدعا إرميا ، فقال : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني برئ واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس ، يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، ففعد بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يتأن لهم أن يمتنعوا من الذي هم فيه ، مقيمون عليه ؟ فقال له الملك : يا نبي الله ، كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم ، كنت أصبر عليه ، وأعلم أن مآرهم في ذلك سخطي ، فلما أتيتهم اليوم ، رأيتهم في عمل لا يرضى الله ، ولا يحبه الله عز وجل ، فقال له نبي الله : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد عليهم غضبي ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكن غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق ، إلا مادعوت عليهم ربك أن يهلكهم ، فقال إرميا : يا مالك السموات والأرض ، إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سُخْطِكَ وعمل لا ترضاه فأهلكهم ، فما خرجت الكلمة من في إرميا ، حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس ، فالتهب مكان القُربان ، وخسيف بسبعة أبواب من أبوابها ؛ فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، وقال : يا ملك السموات والأرض ، بيدك ملكوت كل شيء ، وأنت أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذي وعدتني ، فنودي إرميا : إنهم لم يصيبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا ، فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه ، التي أفتى بها ثلاث مرآت ، وأنه رسول ربه . ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفنأهم ، وخرَّب بيت المقدس ؛ أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تُرَابًا ، ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقفذوا فيه التراب حتى ملئوه ، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل ، فاختر منهم سبعين ألف صبي ؛ فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ، ففعل ، وأصاب كل رجل منهم أربعة أغلثة ، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ، وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا



من سبط يوسف بن يعقوب ، وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشير بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ، ومن بقى من بني إسرائيل . وجعلهم يختصر ثلاث فرق ، فثلاثا أقرت بالشام ، وثلاثا سبي ، وثلاثا قتل ، وذهب بآنية بيت المقدس ، حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف ، حتى أقدمهم بابل ، فكانت هذه الواقعة الأولى ، التي أنزل الله ببني إسرائيل ، بأحداثهم وظلمهم . فلما ولي يختصر عنهم ، راجعا إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل ، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ، ثم ذكر قصته حين أماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، ثم خبر رؤيا يختصر وأمر دانيال ، وهلاك يختصر ، ورجوع من بقى من بني إسرائيل في أيدي أصحاب يختصر بعد هلاكه ، إلى الشام ، وعمارة بيت المقدس ، وأمر عزير وكيف رد الله عليه التوراة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ، يعنى بعد مهلك عزير ، ويعود الله عليهم ، ويبعث فيهم الرسل ، ففريقا يكذبون ، وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، أنه قال ، وهو يحدث عن قتل يحيى بن زكريا ، قال : ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغى من بغايا بني إسرائيل ، كان فيهم ملك ، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك ، فهجمت ابنة ذلك الملك بأبيها ، فقالت : لو أتى تزوجت بأبى ، فاجتمع لى سلطانه دون النساء ، فقالت له : يا أبت تزوجنى ، ودعته إلى نفسها ، فقال لها : يا بنية إن يحيى بن زكريا لايجل لنا هذا ، فقالت : من لى بيحيى بن زكريا ضيق على ، وحال بينى وبين أن أتزوج بأبى ، فأغلب على ملكه ودنياه دون النساء ، قال : فأمرت اللعابين ، وخطت بذلك . لأجل قتل يحيى بن زكريا ، فقالت : ادخلوا عليه فالعبوا ، حتى إذا فرغتم ، فإنه سيحكمكم . فقولوا دم يحيى بن زكريا ، ولا تقبلوا غيره . وكان اسم الملك رواد ، واسم ابنته البغى ، وكان الملك فيهم إذ أحدث فكذب ، أو وعد فأخلف ، خُلِع ، فاستبدل به غيره ، فلما ألبوه ، وكثر عجبهم منهم ، قال : سلوني أعطكم ، فقالوا له : نسألك دم يحيى بن زكريا ، أعطنا إياه ، قال : ويحكمكم ! سلوني غير هذا ، فقالوا : لانسألك شيئا غيره ، فخاف على ملكه إن هو أخلفهم ، أن يُسْتَحْتَلْ بذلك خُلِع ، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلى ، فذبحوه في طسنت ، ثم حزوا رأسه ، فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطسنت معه ، قال : فطلع برأسه يحمله ، حتى وقف به على الملك ، ورأسه يقول في يدي الذى يحمله ، لايجل لك ذلك ، فقال رجل من بني إسرائيل : أيها الملك ، لو أنك وهبت لى هذا الدم ؟ فقال : وما تصنع به ، قال : أظهر منه الأرض ، فإنه كان قد ضيقها علينا ، فقال : أعطوه هذا الدم ، فأخذه فجعله في قلته ، ثم عمد به إلى بيت في المذبح ، فوضع القلة فيه ، ثم أغلق عليه ، ففار في القلته ، حتى خرج منها من تحت الباب ، من البيت الذى

هو فيه ؛ فلما رأى الرجل ذلك ، فُطِّسِعَ به ، فأخرجه ، فجعله في فلاة من الأرض ، فجعل يفور ، وعظمت  
فيهم الأحداث ، ومنهم من يقول : أُقْرِبَ مكانه في القربان ولم يحوّل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم ، وقتلوا  
يحيى بن زكريا ، ( وبعض الناس يقول : وقتلوا زكريا ) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس ،  
فسار إليهم بأهل بابل ، حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم ، أمر رأسا من رعوس جنده يدعى نبورزاذان  
صاحب القتل ، فقال له : إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس ، لأقتلهم حتى تسيل  
دماؤهم في وسط عسكري ، إلا أن لأجد أحدا أقتله ، فأمر أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم نبورزاذان ،  
فدخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دما يغلي ، فسألهم ، فقال :  
يا بني إسرائيل ، ما شأن هذا الدم الذي يغلي ، أخبروني خبره ، ولا تكتموني شيئا من أمره ، فقالوا : هذا  
دم قربان كان لنا كنا قربناه ، فلم يُتَقَبَل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمان مئة سنة القربان ،  
فتقبّل منا ، إلا هذا القربان ، قال : ما صدّقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبّل منا ، ولكنه قد  
انقطع منا الملك والنبوة والوحي ، فلذلك لم يُتَقَبَل منا ، فذبح منهم نبورزاذان على ذلك الدم سبع مئة  
وسبعين روحا من رعوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم ، فلم يهدأ ، فأمر  
بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم ، فذبحهم على الدم ، فلم يبرد ولم يهدأ ؛ فلما رأى نبورزاذان أن الدم لا يهدأ ،  
قال لهم : ويئسكم يا بني إسرائيل ، اصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض ، تفعلون  
فيها ما شئتم ، قبل أن لا أترك منكم نافع نار ، لأنثي ولا ذكرا إلا قتلته ؛ فلما رأوا الجهد وشدة القتل ، صدّقوه  
الخبر ، فقالوا له : إن هذا دم نبيّ منا كان يهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أظعناه فيها ، لكان أرشد  
لنا ، وكان يخبرنا بأمركم ، فلم نصدّقْه ، فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبورزاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا :  
يحيى بن زكريا ، فقال : الآن صدّقتموني ، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم ؛ فلما رأى نبورزاذان أنهم صدّقوه ،  
خرّ ساجدا ، وقال لمن حوله : غلقوا الأبواب ، أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس ،  
وخلأ في بني إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريا : قد علم ربّي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما  
قتل منهم من أجلك ، فاهداً باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله ،  
ورفع نبورزاذان عنهم القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقت وأيقنت أنه لا ربّ غيره ،  
ولو كان معه آخر لم يصلح ، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ،  
فتبارك وتقدّس ، وتسيح وتكبر وتعظم ، ملك الملوك ، الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيها ، وما  
بينهما ، وهو على كل شيء قدير ، فله الحلم والعلم والعزّة والخبروت ، وهو الذي بسط الأرض ، وألقى فيها  
رواسي ثلاثرول ، فكذلك ينبغي لربّي أن يكون ويكون ملكه . فأوحى الله إلى رأس من رعوس بقية  
الأنبياء أن نبورزاذان حبّوس صدوق ، والخبور بالعبرانية : حديث الإيمان ؛ وإن نبورزاذان قال لبني إسرائيل :  
يا بني إسرائيل ، إن عدوّ الله خردوس ، أمرني أن أقتل منكم ، حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري ، وإني لست أستطيع



أن أعصيه ، قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقا ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل ، فذبحها ، حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك ، فطرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم ، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكره ، أرسل إلى نبورزاذان أن ارفع عنهم ، فقد بلغتني دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا ، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد ، وهي الواقعة الآخرة ، التي أنزل الله ببني إسرائيل ، يقول الله عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَتَفَكَّرُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوقَ كَثِيرًا . فَلِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَآمَدْنَا كُفْرًا بِأَمْوَالِ بَنِينَ ، وَجَعَلْنَا كُفْرًا أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَلِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ، وَلِيَتَّخِذُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَّبِرُوا مَا عَدِلُوا فِيهِ ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا ، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) وعسى من الله : حق ، فكانت الواقعة الأولى : بختنصر وجنوده ، ثم رد الله لكم الكرة عليهم ، وكانت الواقعة الآخرة خردوس وجنوده ، وهي كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، يقول الله تبارك وتعالى ( وَلِيُتَّبِرُوا مَا عَدِلُوا فِيهِ ) ثم عاد الله عليهم ، فأكثر عددهم ، ونشرهم في بلادهم ، ثم بدّلوا وأحدثوا الأحداث ، واستبدلوا بكتابتهم غيره ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، وضيعوا الحدود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي عتّاب رجل من تغلب ، كان نصرانيا عمرا من دهره ، ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن ، وفقه في الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ، ثم عمّر في الإسلام أربعين سنة ، قال : كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبيا بعثه الله إليهم ، فقال لهم : يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم : إني قد سلبت أصواتكم ، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم ، فهتموا به ليقتلوه ، فقال الله تبارك وتعالى له : انهم واضرب لي ولهم مثلا ، فقل لهم : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : افضوا بيني وبين كرمي ، ألم اختر له البلاد ، وطيبت له المدرة ، وحفظته بالسياج ، وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج ، وأحطته برداني ، ومنعته من العالم ، وفضلته ، فلقيني بالشوك والحدود ، وكل شجرة لا تؤكل ، ما لهذا اخترت البلدة ، ولا طيبت المدرة ، ولا حفظته بالسياج ، ولا عرشته السويق ، ولا حطته برداني ، ولا منعته من العالم ، فضلتكم وأتممت عليكم نعمتي ، ثم استقبلتموني بكل ما أكره من معصيتي وخلاف أمري له ؟ إن الحمار ليعرف مذبذبه له ؟ إن البقرة لتعرف سيدها ، وقد حلفت بعزتي العزيزة ، وبذراعي الشديد ، لأخذن ردائي ، ولأمرجن الحائط ، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم . قال : فوثبوا على نبيهم فقتلوه ،

فضرب الله عليهم الذلّ ، ونزع منهم الملك ، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدونها ، والملك في غيرهم من الناس ، فلن يزالوا كذلك أبدا ، ما كانوا على ما هم عليه .  
قال : قال : فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بني إسرائيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فلماذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ) ، وليتسبروا ما علوا تنبيها ) قال : كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير ، قال : لأن الأولى كانت هزيمة فقط ، والآخرة كان التدمير ، وأحرق بختنصر التوراة ، حتى لم يبق منها حرف واحد ، وخرّب المسجد .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا ، في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، قال : فكان فيما نهاهم عنه ، نكاح ابنة الأخ ، قال : وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه ، يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك ، فسألك حاجتك ، فقولي : حاجتي أن تذيب لي يحيى بن زكريا ، فلما دخلت عليه سألتها حاجتها ، فقالت : حاجتي أن تذيب يحيى بن زكريا ، فقال : سلى غير هذا ، فقالت : ما سألك إلا هذا ، قال : فلما أبت عليه ، دعا يحيى ، ودعا بطست فذبحه ، فبدرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزل تغلى ، حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فجاءته عجوز من بني إسرائيل ، فدلته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفا منهم ، من سن واحد ، فسكن .

وقوله ( وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ) يقول : وليدخل عدوكم الذي أبعثه عليكم ، مسجد بيت المقدس ، قهرا منهم لكم وغلبة ، كما دخلوه أول مرة ، حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض .  
وأما قوله ( وليتسبروا ما علوا تنبيها ) فإنه يقول : وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا ، يقال منه : دمرت البلد : إذا خربته وأهلك أهلها ، وتبر تبرا وتبارا ، وتسبرته أتبره تنبيها . ومنه قول الله تعالى ذكره ( ولا تنزد الظالمين إلا تبارا ) يعني : هلاكاً .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( وليتسبروا ما علوا تنبيها ) قال : تدميرا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وليتسبروا ما علوا تنبيها ) قال : يدمروا ما علوا تدميرا .

القول في تأويل قوله تعالى

عسى ربكم أن يرحكم ، وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، ( ٨ )



يقول تعالى ذكره: لعلّ ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم، بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم، ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذلّ الذي يخله بكم، ويرفعكم من الحمولة التي تصيرون إليها، فيعزّكم بعد ذلك، وعسى من الله: واجب، وفعل الله ذلك بهم، فكثّر عددهم بعد ذلك، ورفع حساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جلّ ثناؤه لهم: وإن عدتم بامعشر بني إسرائيل لمعصيتي، وخلاف أمرى، وقتل رسلى، عدنا عليكم بالقتل والسبّاء، وإحلال الذلّ والصغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه، وإحلال سخطه بهم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله (عسى ربكم أن يرحمكم)، وإن عدتم عدنا) قال: عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، قال: فسلب الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندبادان وشهربادان وآخر. حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمى، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة: (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا) قال: فعادوا، فسلب الله عليهم المؤمنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال (عسى ربكم أن يرحمكم) فعاد الله عليهم بعائده ورحمته (وإن عدتم عدنا) قال: عاد القوم بشر ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ماشاء أن يبعث، من نعمته وعقوبته، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة؛ قال الله عز وجل في آية أخرى (وإذ تأذن ربك لاتبعنّ عليهم إلى يوم القيامة) . . . الآية، فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال (عسى ربكم أن يرحمكم)، وإن عدتم عدنا) فعادوا، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم) قال بعد هذا (وإن عدتم عدنا) لما صنعتم مثل هذا، من قتل يحيى وغيره من الأنبياء (عدنا) إليكم بمثل هذا.

وقوله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن مسعدة ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : سبحنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : جعل الله مأواهم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : محبسا حصورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : سبحنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( حَصِيرًا ) قال : يحصرون فيها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) قال : يُحصرون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) سبحنا يسجنون فيها حصروا فيها .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ) يقول : سبحنا .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : الحصير : المهاد . وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عنى به الحصير الذي يُبْسَطُ ويفترش ،

وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا ، فوجه الحسن معنى الكلام إلى أن الله جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا ، كما قال ( لَمْ يَنْزِلْ مِنْ سَمَاءٍ مِيَاهًا ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ) وهو وجه حسن ، وتأويل

صحيح . وأما الآخرون ، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحَصْر ، الذي هو الحبس . وقد بينت ذلك بشواهد في سورة البقرة ، وقد تسمى العرب الملك حصيرا ، بمعنى أنه محصور : أي محجوب عن الناس ، كما قال لبيد :

وَمَقَامَةٌ غُلْبِ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِينٌ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ ١

(١) البيت في (ديوان لبيد ، طبع لندن سنة ١٨٩١ ص ٣٩) . والرواية فيه : « لدى طرف الحصير » . وروايته في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٧١) وفي (لسان العرب : قوم) : كرواية المؤلف هنا . قالوا : ويقال للملك حصير ، لأنه محجوب . والمقامة والمقام : المجلس ، ومقامات الناس : مجالسهم . والمقامة : السادة . والغلب : جمع أغلب ، وصف من غلب غلبا (كفرح فرحا) : =



يعنى بالحصير: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمَتْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْوَارًا

ويروى: بسار. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراد. ومنه أيضا الحصور عن النساء، لتعذر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد، وإن اختلفت ألفاظه. فأما الحصيران: فالجنبان، كما قال الطرمّاح:

فَلَيْلًا تَتَلَّى حَاجَةً نُمَّ عُولَيْتٌ عَلَى كَيْلٍ مَفْرُوشِ الْحَصِيرَيْنِ بَادِنًا

يعنى بالحصيرين: الجنين.

والصواب من القول في ذلك عندى: أن يقال: معنى ذلك: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا): فإرشا ومهادا لايزيله، من الحصير، الذى هو بمعنى البساط. لأن ذلك إذا كان كذلك، كان جامعا معنى الحبس والامتداد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب، أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء، فلنما تقول: هو له حاصر أو مُحَصَّر، فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعيل، ومعناه مفعول به، ألا ترى بيت لبيد: «لدى باب الحصير»، فقال: لدى باب الحصير، لأنه أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولا إلى فعيل. فأما فعيل في الحصر، بمعنى وصفه بأنه الحاصر، فذلك ما لا تجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة، أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجها يصح إلا بعيدا، وهو أن يُقال: جاء حصير، بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يُسمع ذلك مستعملا في الحاصر، كما سمعنا في عالم وشاهد.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به (للتى هى أقوم) يقول: للسبيل التى هى أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذى بعث

« إذا غلظت رقبته . وفى (اللسان: حصر) ذكر هذا الشاهد كرواية المؤلف ، مع وضع لفظة « وقماقم » فى مكان : « ومقامة » وأشار إلى الرواية الأخرى . ثم قال : والحصير الحبس ، وفى التنزيل : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » ، قال الفتيبي : هو من حصرته ، أى حبسته . فهو محصور ، وهذا حصيره ، أى محبسه .

(١) تقدم شرح هذا الشاهد فى الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٥٥) .

(٢) البيت فى ديوان الطرمّاح بن حكيم (طبع لندن سنة ١٩٢٧ ص ١٦٤) . وتتلّى الشيء : تتبعه . وتتل أيضا : بق بقية من دينه . وعوليت : ذهب بها إلى العالية ، وهى نجد . والحصير : سفينة تصنع من بردى وأصل ، ثم تقرش .

به أنبياءه وهو الإسلام ، يقول جل ثناؤه : فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل ، التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذابين به .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ) قال : التي هي أصوب : هو الصواب ، وهو الحق ؛ قال : والمخالف هو الباطل .  
وقرأ قول الله تعالى ( فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ ) قال : فيها الحق ، ليس فيها عوج . وقرأ ( وَكَمْ تَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قَيْمًا ) يقول : قَيْمًا مستقيماً .

وقوله ( وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ويبشر أيضاً مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد ، الذين يؤمنون بالله ورسوله ، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به ، وينتهون عما نهاهم عنه ، بأن لهم أجراً من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات كبرياً ، يعني ثواباً عظيماً ، وجزاء جزيلاً ، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضى عمله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) : قال : الجنة ، وكل شيء في القرآن أجر كبير ، أجر كريم ، ورزق كريم ، فهو الجنة ، وأن في قوله ( أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) نصب بوقوع البشارة عليها ، وأن الثانية معطوفة عليها .

وقوله ( وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ) يقول تعالى ذكره : وأن الذين لا يصدقون بالمعاد إلى الله ، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا ، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله ، أعتدنا لهم ، يقول : أعتدنا لهم ، لقدومهم على ربهم يوم القيامة ( عِنْدَ آبَاءِ أَلِيَّا ) يعني مؤجّعا ، وذلك عذاب جهنم .

#### القول في تأويل قول تعالى

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)

\* يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ، ويدع الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر ، فيقول : اللهم أهلكه والعنه ، عند ضجره أو غضبه ، كدعائه بالخير ، يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة ، في نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر ، كما يستجاب له في الخير ، هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) يعني قول الإنسان : اللهم العنه واغضب عليه ، فلو يعجل له ذلك كما يعجل له الخير ، هلك ، قال : ويقال : هو ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ) أن يكشف ما به من ضر ، يقول تبارك وتعالى ، لو أنه ذكرني وأطاعني ، واتبع أمري عند الخير ، كما يدعوني عند البلاء ، كان خيرا له .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) يدعو على ماله ، فيلعن ماله وولده ، ولو استجاب الله له لأهلكه .  
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ) قال : يدعو على نفسه بما لو استجاب له هلك ، وعلى خادمه ، أو على ماله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) قال : ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، فيعجل : فيدعو عليه ، ولا يحب أن يصبه .  
 واختلف في تأويل قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) فقال مجاهد ومن ذكرت قوله : معناه : وكان الإنسان عَجُولًا ، بالدعاء على ما يكره ، أن يُسْتَجَابَ له فيه .

وقال آخرون : عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجرى في جميع جسده ، فرام النبوض ، فوصف ولده بالاستعجال ، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام ، قبل أن يتم خلقه .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن سلمان الفارسي ، قال : أول ما خلق الله من آدم رأسه ، فجعل ينظر وهو يُخْلَقُ ، قال : وبقيت رجلاه ؛ فلما كان بعد العصر قال : يا رب عَجَّلْ قبل الليل ، فذلك قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي رَوْحٍ ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : لما نفخ الله في آدم من روحه أنت النفخة من قبلك رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده ، إلا صار لحما ودما ؛ فلما انتهت النفخة إلى سرقته ، نظر إلى جسده ، فأعجبه ما رأى من جسده ، فذهب لينهض ، فلم يقدر ، فهو قول الله تبارك وتعالى ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) قال : ضَجِيرًا ، لا صبر له على سرءاء ، ولا ضرءاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَمَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَيَّتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَمَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ، وَلِتَلْمَعُوا عِدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومن نعمته عليكم أيها الناس ، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار ، بإظلامه علامة الليل ، وإضاءته علامة النهار ، لتسكنوا في هذا ، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا ، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها ، وابتداء دخولها ، وحساب ساعات النهار والليل

وأوقاتها (وكلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) يقول: وكلُّ شَيْءٍ بيناه بياناً شافياً لكم أيها الناس، لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن أبي الطُّفَيْل، قال: قال ابن الكَوَّاء لعلِّي: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللَّطْخَةُ التي في القمر؟ فقال: ويحك أما تقرأ القرآن (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ)، فهذه محوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة، قال: سألت ابن الكَوَّاء علياً فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) هو المحو.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عمر، قال: كنت عند علي، فسأله ابن الكَوَّاء عن السواد الذي في القمر؟ فقال: ذاك آية الليل مُحِيت.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا عمران بن حُدَيْر، عن رُفيع بن أبي كثير قال: قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: سَكُّوا عما شئتم، فقام ابن الكَوَّاء فقال: ما السواد الذي في القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وأخرتك؟ قال: ذلك محو الليل.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا ابن عَفَّير، قال: ثنا ابن طبيعة، عن حُسي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبَيْل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً قال لعلِّي: ما السواد الذي في القمر؟ قال: إن الله يقول (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال: هو السواد بالليل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل: السواد الذي في القمر.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: ذكر ابن جريج، عن مجاهد، في قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) قال: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال: السواد الذي في القمر، وكذلك خلقه الله.

(١) ابن الكَوَّاء: هو عبد الله بن الكَوَّاء الخارجي، أحد الذين كانوا مع علي في صفين، ثم فارقه بعد التحكيم. فكان من زعماء الخوارج.



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك خلقهما الله . قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال ( فَفَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) قال : ظلمة الليل وسُدُفَةُ النَّهَارِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) ، فَفَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) : أى منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك جعلهما الله . واختلف أهل العربية في معنى قوله ( وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) فقال : بعض نحوِّي الكوفة : معناها : مضيئة ، وكذلك قوله ( وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ) معناه : مضيئا ، كأنه ذهب إلى أنه قيل مبصرا ، لإضاءةه للناس البصر . وقال آخرون : بل هو من أبصر النهار : إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولهم : رجل مُبْجِينٌ : إذا كان أهله وأصحابه جنباء ، ورجل مُضْعِفٌ : إذا كانت رؤاه ضعفاء ، فكذلك النهار مبصرا : إذا كان أهله بصراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ) قال : جعل لكم سبعا طويلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ) : أى بيناه تبيينا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ

مَدْشُورًا (١٣)

\* يقول تعالى ذكره : وكل إنسان ألزمناه ما قضي له أنه عامله ، وهو صائر إليه ، من شقاء أو سعادة بعمله ، في عنقه لا يفارقه . وإنما قوله ( أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ) مَثَلٌ لما كانت العرب تتفاهل به أو تتشامم ، من سوانح الطير وبوارحها ، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه ، نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر ، وشقاء يورده سعيرا ، أو كان سعدا يورده جنات عدن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله

أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَاعِدُوِي وَلَا طَسِيرَةَ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ». حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فنه التشاؤم الذي يتشائم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله (وكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: عمله وما قُدِّرَ عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائرُه: عمله. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طائرُه: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان؛ وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو جميعا عن منصور، عن مجاهد (وكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: عمله: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفُقَيْمِي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله (وكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شق أو سعيد. قال: وسمعه يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ): إى والله بسعادته وشقائه بعمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائرُه: عمله: فإن قال قائل: وكيف قال: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: أَلْزَمْنَاهُ فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوق، وغير ذلك مما يَزِينُ أو يَشِينُ، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة لبني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم، وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنائيات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يده، وإن كان الذي جرَّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ).

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قراء العراق (وَنُخْرِجُ) بالنون (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) بفتح الياء من يلقاه، وتخفيف القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة رداً على قوله (أَلْزَمْنَاهُ)، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا. وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على



قراءة قوله (وَنُخْرِجُ) ، ويخالفهم في قوله (يَلْقَاهُ) فيقرؤه (يَلْقَاهُ) بضم الياء وتشديد القاف ، بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه ، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله ، فيقول : يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشورا .

وذكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم عن حميد ، عن مجاهد أنه قرأها (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) قال : يزيد : يعني يَخْرِجُ الطائر كتابا ، هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء ، وهي قراءة الحسن البصرى وابن محيصن ؛ وكان من قرأ هذه القراءة وجّهه تأويل الكلام إلى : وَنُخْرِجُ لَهُ الطائر الذي ألزمناه عتق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتابا يقرؤه منشورا . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (وَنُخْرِجُ لَهُ) بضم الياء ، على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، وكانه وجّهه معنى الكلام إلى وَنُخْرِجُ لَهُ الطائر يوم القيامة كتابا ، يريد : وَنُخْرِجُ اللَّهُ ذَلِكَ الطائر قد صيره كتابا ، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمّ فاعله .

❦ وأولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه (وَنُخْرِجُ) بالنون وضمها (لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) بفتح الياء وتخفيف القاف ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى ، أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك . فالصواب أن يكون الذي يليه خبرا عنه ، أنه هو الذي يخرج له يوم القيامة ، وأن يكون بالنون ، كما كان الخبر الذي قبله بالنون . وأما قوله (يَلْقَاهُ) فلان في إجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك ، وشذوذ ما خالفه ، الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين : أعنى ضمّ الياء وفتحها في ذلك ، وتشديد القاف وتخفيفها فيه ؛ فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا ، فتأويل الكلام : وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم ، ألزمناه نحسه وسعده ، وشقاه وسعاده ، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه ، وعامل من الخير والشرّ في عنقه ، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله ، وما كتبنا له أنه صائر إليه ، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا ، بأعماله التي عملها في الدنيا ، وبطائره الذي كتبنا له ، وألزمناه إياه في عنقه ، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) قال : هو عمله الذي عمل أحصى عليه ، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل ، يلقاه منشورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) : أي عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ

فِي عُنُقِهِ) قال : عمله ( وَنُخْرِجُ لَهُ ) قال : نخرج ذلك العمل ( كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ) قال معمر : وتلا الحسن (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا) يا بن آدم ، بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك . فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك . وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طُويت صحيفتك ، فجعلت في عنقك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : طائرته : عمله ، ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا .

وقد كان بعض أهل العربية يتأول قوله ( وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَ لَهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ ) : أى حظته من قوْلهم : طار سهم فلان بكذا : إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء ، وذلك وإن كان قولاً له وجه ، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت ، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره ، على أن ماقاله هذا القائل ، إن كان عنى بقوله حظته من العمل والشقاء والسعادة ، فلم يبعد معنى قوله من معنى قوْلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)

يقول تعالى ذكره ( وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ) فيقال له ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) ، فترك ذكر قوله : فنقول له ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه . وعنى بقوله ( اقْرَأْ كِتَابَكَ ) : اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا ، الذي كان كاتبانا يكتبانه ، ونخصيه عليك ( كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) يقول : حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك ، فيحسبها عليك ، لا يتبعي عليك شاهداً غيرها ، ولا نطلب عليك مُحسباً سواها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ) سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ،  
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : من استقام على طريق الحق فاتبعه ، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ( فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) يقول : فليس ينفع بلزومه الاستقامة ، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ( وَمَنْ ضَلَّ ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، فأخذ على غير هُدًى ، وكفر بالله وبمحمد صلى



الله عابه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحق ، فليس يضرب بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه ، لأنه يُوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه . وإنما عني بقوله ( فَلَا تَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا ) : وإنما يكسب إثم ضلاله عليها ، لا على غيرها . وقوله ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) يعني تعالى ذكره : ولا تحمل حامله حمل أخرى غيرها من الآثام . وقال ( وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) لأن معناها : ولا تزر نفس وازرة ويزر نفس أخرى ، يقال منه : وزرت كذا أزره وزرا ، والوزر : هو الإثم ، يجمع أوزارا ، كما قال تعالى ( وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) وكان معنى الكلام : ولا تأثم آثمة إثم أخرى ، ولكن على كل نفس إثمها ، دون إثم غيرها من الأنفس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ، ولا يؤخذ إلا بعمله .

وقوله ( وَمَا كُنَّا مُعْتَدِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإغذار إليهم بالرسول ، وإقامة الحججة عليهم بالآيات التي تقطع عندهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنَّا مُعْتَدِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبر ، أو يأتيه من الله بيئنة ، وليس معذبا أحدا إلا بذنبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ، قال : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفسقة ، والمعنوه والأصم والأبكم ، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خسر قلوبهم ، ثم أرسل رسولا : أن ادخلوا النار ، فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ، وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بتردا وسلاما ، ثم يرسل إليهم ، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل ، قال أبو هريرة : اقرعوا إن شئتم ( وَمَا كُنَّا مُعْتَدِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة : نحوه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فَدَمَّرْنَاهَا

تدميرا (١٦)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) : فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ( أَمَرْنَا ) ، بقصر الألف وغير مدها ، وتخفيف الميم وفتحها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، فإن الأغلب من تأويله : أمرنا مترفيا بالطاعة ، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله ، وخلافهم أمره ، كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( أمرنا مستتر فيها ) قال : بطاعة الله ، فعصوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا شريك ، عن سلمة أو غيره ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرنا بالطاعة فعصوا . وقد يمتثل أيضا إذا قرئ كذلك أن يكون معناه : جعلناهم أمراء ، ففسقوا فيها ، لأن العرب تقول : هو أمير غير مأمور . وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيا ، ويحتاج لتصححه ذلك بالخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ ، أَوْ سَيْكَةٌ مَأْبُورَةٌ » ، ويقول : إن معنى قوله : مأمورة : كثيرة النسل . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قبيله ، ولا يميزنا أمرنا ، بمعنى أكثرنا ، إلا بمدّ الألف من أمرنا . ويقول في قوله « مهرة مأمورة » : إنما قيل ذلك على الاتباع ، لحيى مأمورة بعدها ، كما قيل : « ارجعن مأمورات غير مأمورات » فهمز مأزورات ، لهنز مأجورات ، وهي من وزرت ، إتباعا لبعض الكلام بعضا . وقرأ ذلك أبو عثمان ( أمرنا ) بتشديد الميم ، بمعنى : الإمارة .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم عن عوف ، عن أبي عثمان النهدي ، أنه قرأ ( أمرنا ) مشددة من الإمارة . وقد تأول هذا الكلام على هذا التأويل ، جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أمرنا مستتر فيها ) يقول : سلطنا أشرارها ، فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ليمكروا فيها ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يتحدث عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، أنه قرأها ( أمرنا ) وقال : سلطنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي حفص ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : ( أمرنا ) مثقلة : جعلنا عليها مستتر فيها : مستكبر بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ( أمرنا مستتر فيها ) قال : بعثنا حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك ( أمرنا ) بمدّ الألف من أمرنا ، بمعنى : أكثرنا فسقتها . وقد وجه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ، إلا أن الذين حدثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك ، وكيف قرأ ذلك المتأولون ، إلا القليل منهم .



## ذكر من تأول ذلك كذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ) يقول : أكثرنا عددهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيالك ، عن عكرمة قوله ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) يقول : أكثرنا مترفيا : أي كبراءها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ) يقول : أكثرنا مترفيا : أي جبابرتها ، ففسقوا فيها ، وعملوا بمعصية الله ( فَدَمَّرْنَا هُنَّ مَدِينًا ) وكان يقال : إذا أراد الله بقوم صلاحا ، بعث عليهم مصالحا ، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا ، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ) قال : أكثرناهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول : لا إله إلا الله ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِيدِ اقْتَرَبَ ، فَتُحِجَّ الْبَيْتَ مِنْ رَدْمٍ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مِثْلُ هَذَا ، وَحَسَقَ بَيْنَ إِبَاهِمَ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبِيثُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ) قال : ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا : أكثرنا . قال : والعرب تقول للشيء الكثير أمير لكثرة . فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا ، فإنه يقال : أمير بنو فلان ، وأمير القوم بآمرؤن أمرا ، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم ، كما قال لبيد :

إِنْ يَغْبِطُوا يَغْبِطُوا وَإِنْ أَمِيرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْقُلِّ وَالنَّفْسِدِ

والأمير المصدر ، والاسم الإمير ، كما قال الله جل ثناؤه ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا ) قال : عظيما ، وحكي في مثل شر إمير : أي كثير .

(١) البيت في ديوان لبيد طبع فينا سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ص ١٩ وفي روايته آخر البيت : « لهلك والتكد » في موضع : لقل والنقد في رواية المؤلف . وقال شارحه : يقول : إن غبطوا يوما فإنهم يموتون . ويبطلوا هاهنا : يموتون . قال أبو الحسن : وهو قول أبي عمرو . ويروي : « إن يغبطوا يغبطوا : يموتون عبطة » كأنهم يموتون من غير مرض . ويقال للناقعة إذا ذبحت من غير علة : اعتبطت ، أخذت من العبيط . والعبيط : الطرى من كل شيء . اهـ . قلت : والقل والنقد : بمعنى القلة والفناء .

﴿ وَأُولَى الْقُرْآنَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ ﴾ : قراءة من قرأ ( أَمْرُنَا مُسْتَرَفِيهَا ) بقصر الألف من أَمْرُنَا ، وتخفيف الميم منها ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ، دون غيرها . وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة ، فأولى التأويلات به تأويل من تأوله : أمرنا أهلها بالطاعة ، فعصوا وفسقوا فيها ، فحق عليهم القول ، لأن الأغلب من معنى أمرنا : الأمر ، الذي هو خلاف النهي ، دون غيره ، وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه ، أولى ( ما وجد إليه سبيل ) من غيره .

ومعنى قوله ( فَتَسْتَقْبُوا فِيهَا ) : فخالقوا أمر الله فيها ، وخرجوا عن طاعته ( فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ) يقول : فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها ، وعيد الله الذي أوعدهم من كفر به ، وخالف رسله ، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار ، بالرسول والحجج ( فَتَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) يقول : فخربناها عند ذلك تخريباً ، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً ، كما قال الفرزدق :

وَكَانَ لَظْمٌ كَسْبِكْرٍ تَمُودَ لَمَّا رَغَا ظَهْرًا فَتَدْمَرَهُمْ دَمَارًا

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمَّ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَنِي نُوحٍ، وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)

﴿ وَهَذَا وَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَكذَّبِي رَسُولِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَشْرِكِي قَرِيشٍ ، وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ بِالْعِقَابِ ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ ، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّهُ مُعْلِلٌ بِهِمْ سَخَطَهُ ، وَمَنْزِلٌ بِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، الَّذِينَ سَلَكُوا فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَتَكْذِيبِ رِسَالِهِ سَبِيلَهُمْ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَى زَمَانِكُمْ ، قَرُونًا كَثِيرَةً ، كَانُوا مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللَّهِ وَالْكَفْرِ بِهِ ، وَتَكْذِيبِ رِسَالِهِ ، عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتُمْ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُ لِمَنْسَابَةٍ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَّتْ ثَنَاؤُهُ ، فَيُعَذَّبُ قَوْمًا بِمَا لَا يُعَذَّبُ بِهِ آخَرِينَ ، أَوْ يَعْضُو عَنْ ذُنُوبِ نَامِسٍ ، فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا آخَرِينَ . يَقُولُ جَلَّ جَلَّتْ ثَنَاؤُهُ : فَأَنْبِئُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ ، فَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يَنْبِئُكُمْ عَلَى حُجَّتِنَا عَلَيْكُمْ ، وَيُوقِظُكُمْ مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَلَمْ نَكُنْ لِنُعَذِّبْ قَوْمًا حَتَّى نَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهَا لَمْ عَلَى حُجَّتِ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى فُسُوقِكُمْ مَقِيمُونَ . وَكَفَى بِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا . يَقُولُ : وَحَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ بِاللَّهِ خَابِرًا بِذُنُوبِ خَلْقِهِ عَالِمًا ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ مَشْرِكِي قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَا أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ .

(١) البيت للفرزدق ( ديوانه ٤٤٣ ) استشهد به المؤلف على أن قوله تعالى : « فدمرناها تدميرا » معناه : خربناها تخريباً .

والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التي مطلعها :

أَلَا حَتَّى الدِّيَارِ بُسْعُدًا إِنْ أَحْبَبَ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارِ

والضمير في قوله « وكان لهم كبكر تمود » راجع إلى جرير المذكور في البيت قبله وهو :

جَرِيرٌ الْمُخْزِيَاتِ عَلَى كَلْبَيْبِ جَرِيرٌ ثُمَّ مَا مَنَعَ الدَّمَارِ

وبكر تمود : ولد ناقة صالح . ورغا : صوت . والرغاء : صوت ذوات الخف .



من خلقه ، هو بجميع ذلك عالم خابر . بصير : يقول : يبصر ذلك كله ، فلا يغيب عنه منه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

وقد اختلف في مبلغ مدة القرن ، فحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : القرن : عشرون ومئة سنة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن كان ، وآخرهم يزيد بن معاوية .  
وقال آخرون : بل هو مئة سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصي أبو الصلت الطائي ، قال : ثنا سلامة بن حوَّاس ، عن محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن بسُمر المازني ، قال : وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال : « سَيَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا ، قلت : كم القرن ؟ قال : مِئَةٌ سَنَةً » .

حدثنا حسان بن محمد ، قال : ثنا سلامة بن حوَّاس ، عن محمد بن القاسم ، قال : ما زلنا نَعُدُّ له حتى تَمَّتْ مئة سنة ثم مات . قال أبو الصلت : أخبرني سلامة أن محمد بن القاسم هذا ، كان حَتَّين عبد الله بن بسُمر .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاکر ، عن ابن سيرين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقَرْنُ أَرْبَعُونَ سَنَةً » .

وقوله ( وَكَفَيْتَ بِرَبِّكَ ) أدخلت الباء في قوله ( بِرَبِّكَ ) وهو في محل رفع ، لأن معنى الكلام : وكفأك ربك ، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيراً ، دلالة على المدح ، وكذلك تفعل العرب في كل كلام كان بمعنى المدح أو الذم ، تُدْخِلُ في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع ، لتدل بدخولها على المدح أو الذم كقولهم : أكرم به رجلاً ، وناهيك به رجلاً ، وجاد بثوبك ثوباً ، وطاب بطعامكم طعاماً ، وما أشبه ذلك من الكلام ، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء ، رُفِعَتْ ، لأنها في محل رفع ، كما قال الشاعر :

وَيُخْبِرُنِي عَنِّ غَائِبِ الْمَرْءِ هَدْيُهُ      كَفَيْتَ الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذم ، فلا يدخلون في الاسم الباء ، لا يجوز أن يقال : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، إلا أن تريد : قام رجل آخر به ، وذلك معنى غير المعنى الأول :

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٨) قال : « وكل ما في القرآن من قوله : ( وكفى ربك ) ، و ( كفى بالله ) و ( كفى بنفسك اليوم ) : فلو أُلقيت الباء ، كان الخوف مرفوعاً ، كما قال الشاعر : « ويخبرني . . . البيت » . وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان بمدح به صاحبه ؛ ألا ترى أنك تقول : كفأك به ، ونهأك به ، وأكرم به رجلاً ، وبئس به رجلاً ، ونعم به رجلاً ، وطاب بطعامك طعاماً ، وجاد بثوبك ثوباً . ولو لم يكن مدحاً أو ذماً لم يجوز دخولها ؛ ألا ترى أن الذي يقول : قام أخوك ، أو قام أخوك ، لا يجوز له أن يقول : قام بأخيك ، ولا قام بأخيك ؛ إلا أن تريد قام به غيره ، وقدم به . اهـ . وقد اختلفت من كلام الفراء ما شاء ، غير أنه لم يعزه إلى قائله في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا

مَذْهُورًا (١٨)

يقول تعالى ذكره : من كان طلبه الدنيا العاجلة ، ولها يعمل ويسعى ، وإياها ينتغى ، لا يوقن بمعاد ، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله ( عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) يقول : يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه ، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به ، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته ( ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا ) يقول : ثم أصليناه عند مقدمته علينا في الآخرة جهنم ، ( مَذْمُومًا ) على قلته شكره إيانا ، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا ( مَذْهُورًا ) يقول : مبعدا : مُقْصَى فِي النَّارِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) يقول : من كانت الدنيا همه وسدومه وطلبته ونيته ، عجل الله له فيها ما يشاء ، ثم اضطره إلى جهنم ، قال : ( ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ) مَذْمُومًا في نعمة الله مدحورا في نقمة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة ، أنه سمع أبا إسحاق الفزاري يقول : ( عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) قال : لمن نريد هلكته .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مَذْمُومًا ) يقول : ملوما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) قال : العاجلة : الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)

يقول تعالى ذكره : من أراد الآخرة ، وإياها طلب ، ولها عمل عملها ، الذي هو طاعة الله ، وما يرضيه عنه ، وأضاف السعي إلى الهاء والألف ، وهي كناية عن الآخرة ، فقال : وسعى للآخرة سعي الآخرة ، ومعناه : وعمل لها عملها ، لمعرفة السامعين بمعنى ذلك ، وأن معناه : وسعى لها سعيها لها وهو مؤمن ، يقول : هو مؤمن مصدق



بثواب الله، وعظيم جزائه على سعيه لها ، غير مكذّوب به تكذيب من أراد العاجلة ، يقول الله جلّ ثناؤه : فأولئك : يعنى : فمن فعل ذلك ( كَانَ سَعْيُهُمْ ) يعنى عملهم بطاعة الله ( مَشْكُورًا ) وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك : حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة ، وتجاوزته لهم عن سيئها برحمته .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ) : شكر الله لهم حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَا رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره : نُمَدُّ رَبِّكَ يا محمد كلا الفريقين من مریدی العاجلة ، ومریدی الآخرة ، الساعی لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا ، من عطائه ، فيرزقهما جميعا من رزقه ، إلى بلوغهما الأمد ، واستيفائهما الأجل ما كتبت لهما ، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات ، وتفترق بهما بعد الورود المصادر ، ففريق مریدی العاجلة إلى جهنم مصدرهم ، وفريق مریدی الآخرة إلى الجنة مأبهم . ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) : يقول : وما كان عطاء ربك الذي يؤتیه من يشاء من خلقه في الدنيا ، ممنوعا عن بسطه عليه ، لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك ، وقد آتاه الله إياه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَا رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) : أى منقوصا ، وإن الله عز وجل قسم الدنيا بين البرّ والفاجر ، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : منقوصا .

حدثنا محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت السراج ، قال : سمعت الحسن يقول : ( كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَا رَبِّكَ ) قال : كَلَّا نعطي من الدنيا ، البرّ والفاجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) . . . الآية ( وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ) . . . ثم قال ( كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَا رَبِّكَ ) قال ابن عباس : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد الآخرة . قال ابن جريج ( وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : ممنوعا .

حدثنا بشر، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ )  
 أهل الدنيا وأهل الآخرة ( مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) قال : ممنوعا .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءِ  
 وَهَوْلَاءِ ) : أهل الدنيا وأهل الآخرة . ( مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ) من بر ولا  
 فاجر ، قال : والمحظور : الممنوع ، وقرا ( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ  
 أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ، وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم  
 أحدهما الدار العاجلة ، وإياها يطلب ، ولها يعمل ، والآخر الذي يريد الدار الآخرة ، ولها يسعى موقنا  
 بثواب الله على سعيه ، كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر ، بأن بصّرنا هذا رشده ، وهديناه للسبيل التي  
 هي أقوم ، وبصّرناه للذي هو أهدى وأرشد ، وخذلنا هذا الآخر ، فأضللناه عن طريق الحق ، وأغشيناه  
 بصره عن سبيل الرشده . ( وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ ) : يقول : وفريق يريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة  
 درجات بعضهم على بعض ، لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة ( وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) بتفضيل الله بعضهم على بعض ،  
 من هولاء الفريق الآخرين في الدنيا ، فيما بسطناه لهم فيها .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ  
 عَلَى بَعْضٍ ) : أي في الدنيا ( وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ) : وإن للمؤمنين في الجنة  
 منازل ، وإن لهم فضائل بأعمالهم . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بين أعلي أهل  
 الجنة وأسفلهم ، درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها » .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ، آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَنحُودًا وَلَا (٢٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته ،  
 ولكن أخلص له العبادة ، وأفرد له الألوهة ، فإنه لا إله غيره ، فإنك إن جعل معه إلها غيره ، وتعبد معه  
 سواه ، تقعد مذموما . يقول : تصير ملوما على ما ضيقت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه ،  
 وتصيرك الشكر لغير من أولاك المعروف ، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره ،



مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه، لم يكن لك من دونه ولي  
ينصرك ويدفع عنك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
فَتَقْعُدَ مَدْمُومًا مَّخَذُولا ) يقول : مذموما في نعمة الله : وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب  
لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، فهو معنى به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلّ وعزّ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؛ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا  
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ ، وَلَا تَنْهَرُهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)

يعنى بذلك تعالى ذكره : حاكم ربك يا محمد بأمره إياكم ، ألا تعبدوا إلا الله ، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره .  
وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ ) وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا .

ذكر ما قالوا في ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس  
( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) يقول : أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا زكريا بن سلام ، قال : جاء رجل إلى الحسن ،  
فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فقال : إنك عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرجل : قضى الله  
ذلك علي . قال الحسن ، وكان فصيحاً : ما قضى الله : أي ما أمر الله ، وقرأ هذه الآية ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا  
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) فقال الناس : تكلم الحسن في القدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا  
إِيَّاهُ ) : أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه ، فهذا قضاء الله العاجل ، وكان يقال في بعض الحكمة : من  
أرضى والديه : أرضى خالقه ، ومن أسخط والديه ، فقد أسخط ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا  
إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وفي حرف ابن مسعود ( وَوَصَّىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، قال : ثنا نصير بن أبي الأشعث ، قال : ثنا ابن حبيب  
ابن أبي ثابت ، عن أبيه ، قال : أعطاني ابن عباس مصحفاً ، فقال : هذا على قراءة أبي بن كعب ، قال  
أبو كريب : قال يحيى : رأيت المصحف عند نصير فيه ( وَوَصَّىٰ رَبُّكَ ) يعنى : وقضى ربك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : وأوصى ربك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) قال : أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قرأها ( وَوَصَّى رَبُّكَ ) وقال : إنهم أَلَصَقُوا الواو بالصاد ، فصارت قافا .

وقوله ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) يقول : وأمركم بالوالدين إحسانا ، أن تحسنا إليهما وتبرؤهما . ومعنى الكلام : وأمركم أن تحسنا إلى الوالدين ، فلما حذف « أَنْ » تعلق القضاء بالإحسان ، كما يقال في الكلام : أمرك به خيرا ، وأوصيك به خيرا ، بمعنى : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف « أَنْ » فيتعلق الأمر والوصية بالخير ، كما قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا      وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا  
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّ جَافُونَا

وعمل يوصينا في الخير :

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قراء الكوفيين ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ ) على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد ، فوحدوا ( يَبْلُغَنَّ ) لتوحيده ، وجعلوا قوله ( أَوْ كِلَاهُمَا ) معطوفا على الأحد . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( إِمَّا يَبْلُغَانَّ ) على التثنية وكسر النون وتشديدها ، وقالوا : قد اذكر الوالدين قبل ، وقوله ( يَبْلُغَانَّ ) خبر عنهما بعد ما قدم أسماءهما ، قالوا : والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة . قالوا : والدليل على أنه خبر عن اثنين في الفعل المستقبل الألف والنون . قالوا : وقوله ( أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) كلام مستأنف ، كما قيل : ( فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَثِيرًا مِنْهُمْ ) وكقوله ( وَأَسْرَوْا النَّجْوَى ) ، ثم ابتداء فقال : ( الَّذِينَ ظَلَمُوا ) .

وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك : قراءة من قرأه ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ ) على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما ، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين ، قد تناهى عند قوله ( وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) ثم ابتداء قوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ) .

وقوله ( فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفَّ ) يقول : فلا تُوقِفْ من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما ، يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما ، كما صبرنا عليك في صغرك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز . وهي من شواهد القراء في ( معاني القرآن ص ١٧٨ ) قال : ( والعرب تقول : أو صيك به خيرا ، وأمرك به خيرا ، وكان معناه : أمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية بالأمر ، قال الشاعر : عَجِبْتُ . . . الأبيات . )



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن محبوب، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا) قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل لهما أُفٌ تَقَدَّرُهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد إما يبلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أُفٌ حين ترى الأذى، وتُمَيِّطُ عنهما الحسلاء والبول، كما كانا يُمَيِّطَانِ عنك صغيرا، ولا تؤذهما.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أف» ، فقال بعضهم: معناه: كل ما غلظ من الكلام وقبح. وقال آخرون: الأُف: وسخ الأظفار، والتثفُّ كل ما رفعت يديك من الأرض من شيء حقير. وللأف في «أف» لغات ست: رفعها بالتنوين، وغير التنوين، وخفضها كذلك، ونصبها؛ فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عامة أهل المدينة، شَبَّهَها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت: غاق غاق، فخفضوا القاف ونونوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها، من أجل مجيئها بعد حرف ساكن، وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحركوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن الخزوم إذا حرك، وإنما يحرك إلى الكسر. وأما الذين خفَضُوا ذلك بغير تنوين، وهي قراءة عامة قراء الكوفيين والبصريين، فإنهم قالوا: إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا، كالذي يأتي على حرفين، مثل مة وصه وبخ، فيتمم بالتنوين، لنقصانه عن أبيية الأسماء. قالوا: وأف تام لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف. قالوا: وإنما كسرنا الفاء الثانية، لئلا يجمع بين ساكنين. وأما من ضمَّ ونون، فإنه قال: هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب، وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات. وأما من ضمَّ ذلك بغير تنوين، فإنه قال: ليس هو باسم متمم، فيُعرب بإعراب الأسماء المتممات، وقالوا: نضمه كما نضمَّ قوله (لِللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) ، وكما نضمَّ الاسم في النداء المفرد، فنقول: يا زيد. ومن نصبه بغير تنوين، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام، فإنه شبهه بقولهم: مُدَّ يا هذا ورُدَّ. ومن نصب بالتنوين، فإنه أعمل الفعل فيه، وجعله اسما صحيحا، فيقول: ما قلت له: أُفًّا ولا تُفًّا.

وكان بعض نحوِّي البصرة يقول: قرئت: أف، وأفا، لغة جعلوها مثل نعمها. وقرأ بعضهم «أف»، وذلك أن بعض العرب يقول: أف لك على الحكاية: أي لا تقل لهما هذا القول. قال: والرفع قبيح، لأنه لم يجز بعده بلام، والذين قالوا: «أف» فكسروا كثير، وهو أجود. وكسر بعضهم ونون. وقال بعضهم: «أفي»، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أفي هذا لكما، والمكسور من هذا منون وغير منون، على أنه اسم غير متمم، نحو أمس وما أشبهه، والمفتوح بغير تنوين كذلك. وقال بعض أهل العربية: كل هذه الحركات الست تدخل في «أف» حكاية، تشبَّه بالاسم مرة، وبالصوت أخرى. قال: وأكثر ما تكسر الأصوات بالتنوين، إذا كانت على حرفين، مثل صه ومه وبخ. وإذا كانت على ثلاثة أحرف شَبَّهت

بالأدوات «أَفَّ» مثل: ليت ومدَّ، وأُفَّ مثل مُدَّ، يشبهه بالأدوات<sup>١</sup>. وإذا قال أَفَّ مثل صَهَّ. وقالوا سمعت مِضِيًّا يا هذا ومِضِيًّا. وحكى عن الكسائي أنه قال: سمعت «ما علمك أهلك إلا مِضِيًّا ومِضِيًّا»، وهذا كَأَفَّ وَأَفُّ. ومن قال: «أَفًّا» جعله مثل سُخِّقًا وبُعْدًا.

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك: قراءة من قرأه (فلا تَقْلُ لَهْمَا أُفَّ) بكسر الفاء، بغير تنوين، لعلَّتين: إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها، وأفصحها عند العرب. والثانية: أن حظَّ كلِّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون، فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أَفَّ حظها الوقوف، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل، لاجتماع الساكنين فيه. وكان حكم الساكن إذا حُرِّك أن يحرك إلى الكسر، حرَّكت إلى الكسر، كما قيل: مُدُّ وشُدُّ ورُدُّ الباب.

وقوله (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) يقول جل ثناؤه: ولا تزجرهما.

كما حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرقاشي، عن عطاء ابن أبي رباح، في قوله (وَلَا تَقْلُ لَهْمَا أُفَّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا) قال: لا تنفض يدك على والدبك، يقال منه: تَهَرَه يَنْهَرُه تَهْرًا، وانتهره ينتهره انتهارًا.

وأما قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) فإنه يقول جل ثناؤه: وقل لهما قولًا جميلًا حسنًا.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) قال: أحسن ما نجد من القول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب (قَوْلًا كَرِيمًا) قال: لا تمتنع من شيء يريدانه.

قال أبو جعفر: وهذا الحديث خطأ، أعني حديث هشام بن عروة، إنما هو عن هشام بن عروة، عن أبيه، ليس فيه عمر، حدثت عن ابن علية وغيره، عن عبد الله بن المختار:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا): أي قولًا لينًا سهلًا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حمرمة بن عمران، عن أبي الهداج التميمي، قال قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله عز وجل في القرآن من برِّ الوالدين، فقد عرفته، إلا قوله (وَقُلْ لَهْمَا قَوْلًا كَرِيمًا) ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب لسيده الغفَّ.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ أَرْتُمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٤)

(١) ليس كلام المؤلف في تخريج اللغات الست في كلمة «أَفَّ» واضحًا، وقد بيته المعاجم (اللسان: أفَّ)، انظر معاني القرآن للقراء (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٩) ففية ما يوضح هذا الموضوع من كلام المؤلف، وهو كثير لم نرد أن نطول به ذبول الكتاب.



يقول تعالى ذكره : وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمرك به مما لم يكن لله معصية ، ولا تخالفهما فيما أحبباً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء يحبانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، قال : سمعت هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن تلين لهما ، حتى لا تمتنع من شيء أحبباه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا الثوري ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لا تمتنع من شيء أحبباه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله (وَآخِضِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن لا تمتنع من شيء يريدانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن ، عن حرملة بن عمران ، عن أبي الهذاج ، قال :

قلت لسعيد بن المسيب : ما قوله (وَآخِضِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : ألم تر إلى قول العبد المذنب ، للسيد الفظ الغليظ . والذُّلُّ بضم الذال والذَّلَّةُ مصدران من الذليل ، وذلك أن يتذلل ، وليس بذليل

في الحلقة ، من قول القائل : قد ذللت لك آذِلَ ذِلَّةً وَذُلًّا ، وذلك نظير القُلِّ والقلة ، إذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الذُّلِّ ، والقاف من القُلِّ ، وإذا أثبتت الهاء كسّرت الذال من الذَّلَّة ، والقاف من القِلَّة ، لما

قال الأعشى :

يريد : القلة . وأما الذُّلُّ ، بكسر الذال وإسقاط الهاء ، فإنه مصدر من الذَّلُول من قولهم : دابة ذلول : بينة الذُّلِّ ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة . ومنه قول الله جل ثناؤه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا) يُجمع ذلك ذُلُّلاً ، كما قال جل ثناؤه (فاسئلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) . وكان مجاهد يتأول

ذلك أنه لا يتوَعَّر عليها مكان سلكته .

(١) هذا حجر بيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١١٥) من قصيدة يجوبها

عمرو بن المنذر بن عبدان ، ويعاتب بني سعد بن قيس . وصدرة : « فأرضوه أن أعطوه مني ظلامه » . وقال في (لسان العرب :

زيب) الأزيب : الذي ؛ قال الأعشى يذكر رجلاً من قيس عيلان ، كان جاراً للعمرو بن المنذر ، وكان اتهم هداجا قائد الأعشى بأنه

سرق راحلة له ، لأنه وجد بعض لحمها في بيته ، فأخذ هداج وضرب والأعشى جالس ؛ فقام ناس منهم ، فأخذوا من الأعشى قيمة

الراحلة ، فقال الأعشى :

دَعَا رَهْطَهُ حَوَالِي فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ وَنَادَيْتُ حَيًّا بِالْمُسَنَّةِ غَيْبًا

فَأَعْطَوْهُ مِنِّي النِّصْفَ أَوْ أَضَعَمُوا لَهُ وَمَا كُنْتُ قَلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبًا

أي كنت غريباً في ذلك الموضع ، لاناصر لي . والنصف : النصفه . يقول : أرضوه وأعطوه النصف أو فقه . والقل من الرجال :

الخبيس ، ومنه قول الأعشى . اه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام ( وَأَخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ) بضم الذال على أنه مصدر من الذليل . وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدري ( جَنَاحَ الذُّلِّ ) بكسر الذال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ ( وَأَخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولاً .  
حدثنا نصر بن علي ، قال : أخبرني عمر بن شقيق ، قال : سمعت عاصم الجحدري يقرأ ( وَأَخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولاً .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عمر بن شقيق ، عن عاصم ، مثله .  
قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل الذي تأوله عاصم ، كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها ، وبكسرها .

حدثنا نصر وابن بشار ، وحدثت عن الفراء ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ ( وَأَخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ) قال الفراء : وأخبرني الحكم بن ظهير ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه قرأها الذل أيضا ، فسألت أبا بكر فقال : الذل قرأها عاصم .  
وأما قوله ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) فإنه يقول : ادع الله لوالديك بالرحمة ، وقل رب ارحمهما ، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك ، كما تعطفنا على في صغري ، فرحماني ورباني صغيرا ، حتى استقلت بنفسي ، واستغيت عنهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) هكذا علمتم ، وبهذا أمرتم ، خذوا تعليم الله وأدبه . « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو ماد يديه ، رافع صوته ، يقول : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ » . ولكن كانوا يرون أنه من برّ والديه ، وكان فيه أدنى تقي ، فإن ذلك مبالغه جسيم الخير . وقال جماعة من أهل العلم : إن قول الله جل ثناؤه ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) منسوخ بقوله ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ) .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ) ، ثم أنزل الله عز وجل بعد هذا ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال



في سورة بني إسرائيل (إِمَّا يَبْتَلِغَانُ عِنْدَكَ الْكَيْبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) . . . إلى قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فنسختها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا) . . . الآية ، قال : نسختها الآية التي في براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية . وقد تحتل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامًّا في كل الآباء بغير معنى النسخ ، بأن يكون تأويلها على الخصوص ، فيكون معنى الكلام : وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين ، كما ربياني صغيرا ، فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا ، غير منسوخ منها شيء . وعسى بقوله ربياني : تيماني .

#### القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره (رَبُّكُمْ) أيها الناس (أَعْلَمُ) منكم (بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكريمهم ، والبر بهم ، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم ، والعقوق لهم ، وغير ذلك من ضمائر صدوركم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئته ، فاحذروا أن تظنوا لهم سوءا ، وتعقدوا لهم عقوقا . وقوله (إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ) يقول : إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة في واجب لهم عليكم ، مع القيام بما أزمكم في غير ذلك من فرائضه ، فإنه كان للأوابين بعد الزلة ، والتائبين بعد الهفوة ، غفورا لهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي وعمي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) قال : البادرة تكون من الرجل إلى أبويه ، لا يريد بذلك إلا الخير ، فقال (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرني أبي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن حبيب بن أبي ثابت ، في قوله (إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه ، وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به : واختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (فإنه كان للأوابين غفورا) فقال بعضهم : هم المسبحون .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، وحدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : المسبحين .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خيثمة زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن أبي مسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأواب : المسبح .  
وقال آخرون : هم المطيعون المحسنون .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) يقول : للمطيعين المحسنين .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هم المطيعون ، وأهل الصلاة .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : للمطيعين المصلين .  
وقال آخرون : بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن أبي سحر حميد بن زياد ، عن ابن المنكدر يرفعه ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الصلاة بين المغرب والعشاء .  
وقال آخرون : هم الذين يصلون الضحى .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا رباح أبو سليمان الرقاء ، قال : سمعت عونا العُقَيْلِيَّ يقول في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذين يصلون صلاة الضحى .  
وقال آخرون : بل هو الراجع من ذنبه ، التائب منه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يصيب الذنب ثم يتوب ، ثم يصيب الذنب ثم يتوب .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا سليمان بن داود ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) .



حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، أنه سمع سعيد بن المسيب يسأل عن هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن المسيب ، بنحوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : هو العبد يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ومعمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، قال : الأواب : الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الراجعين إلى الخير .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، جميعا عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأواب : الذي يذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله منها .

حدثنا محمد بن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، أنه قال في هذه الآية : ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يذكر ذنبه ثم يتوب .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله جل ثناؤه ( لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الأوابون : الراجعون التائبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : الذي يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله لها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عطاء بن يسار ، أنه قال في قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) يذنب العبد ثم يتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب فيتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب الثالثة ، فإن تاب تاب الله عليه توبة لا تمحى .

وقد روى عن عبيد بن عمير ، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، في قوله ( فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ) قال : كنا نعدُّ الأواب : الحفيظ ، أن يقول : اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الأواب : هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، ومما يكرهه إلى ما يرضاه ، لأن الأواب إنما هو فعَّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا : إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال ، كما قال عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَشُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَشُوبُ

فهو يتوب آوياً ، وهو رجل آتب من سفره ، وأواب من ذنوبه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ ) فقال بعضهم : عسى به : قرابة الميت من قبيل أبيه وأمه ، أمر الله جل ثناؤه عباده بصمتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سألت رجل الحسن ، قال : أعطيتي قرابتي زكاة مالي ؟ فقال : إن لم في ذلك لحقا سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية ( وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ) قال : صلته التي تريد أن تصله بها ، ما كنت تريد أن تفعله إليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهل ( ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ) من قصيدته التي مطلعها : « أقفر من أهله منحوب » . يقول : كل غائب تنتظر أوبته ، إلا من مات ، فلا أوبة له إلى الدنيا . والبيت شاهد على أن الأواب الرجاء ، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة ، من آب يتوب إذا رجع ( انظر اللسان : أوب ) . وفيه أيضا : قال أبو بكر في قولهم : رجل أواب ، سبعة أقوال : الراحم ، والتائب ، والمسح ، والذي يرجع إلى التوبة ، ثم يذنب ثم يتوب ، والمطيع ، والذي يذكر ذنبه في الخلاء ، فيستغفر الله منه . اهـ . وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى القوي ، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره .



قوله ( وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ، وَالْمِسْكِينَ ، وَأَبْنِ السَّبِيلِ ) قال : هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن إلى ابن السبيل .

وقال آخرون : بل عَسَىٰ به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدی ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفأقرأت في بني إسرائيل ( وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ) قال : وإنكم لتلقوا التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتی حقها ، قال : نعم .

وأولى التأويلين عندی بالصواب : تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم ، من قبيل آبائهم وأمهاتهم ، وذلك أن الله عز وجل عَقَّبَ ذلك عَقِبَ حَضَّه عباده على بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حَضًّا على صلة أنسابهم ، دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلته إياه ، وبرك به ، والعطف عليه ، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ، يدل على ذلك ابتداءه الوصية بقوله جل ثناؤه ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا ) فوجه الخطاب بقوله ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ ) إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ( أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ) فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله ( إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ) إلى إفراده به . والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل ، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عمُّ به هو وجميع أمته .

وقوله ( وَالْمِسْكِينَ ) وهو الذلَّة من أهل الحاجة . وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( وَأَبْنِ السَّبِيلِ ) يعني : المسافر المنقطع به ، يقول تعالى : وصِلْ قُرَابَتِكَ ، فأعطه حقه من صلته إياه ، والمسكين ذا الحاجة ، والمجتاز بك المنقطع به ، فأعنه ، وقوه على قطع سفره . وقد قيل : إنما عَسَىٰ بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه : أن يضاف ثلاثة أيام .

والقول الأوَّل عندی : أولى بالصواب ، لأن الله تعالى لم يخص من حقوقه شيئاً دون شيء في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، فذلك عام في كل حق له أن يعطاه : من ضيافة ، أو حمولة ، أو معونة على سفره . وقوله ( وَلَا تَبَدَّرْ تَبَدَّرًا ) يقول : ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقاً . وأصل التبذير : التفريق في السرف ؛ ومنه قول الشاعر :

أُناسٌ أجازونا فكانَ جِوارهُمُ أعاصيرَ من فسقِ العيراقِ المُبَدَّرِ

(١) لم أقف على قائله . ويقال : أجاز فلان فلانا : إذا خفرو ومنعه أن يظلمه ظالم . وجوارهم هنا بمعنى إجازتهم . والأعاصير : جمع إعصار ، وهو الريح التي تستدير وتحمل ما على الأرض من تراب وغيره . الفسق : الخروج عن الطاعة ، أو عن جميل الأخلاق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيدين ، قال : قال عبد الله في قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً ) قال : التبذير في غير الحق ، وهو الإسراف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال : سئل عبد الله عن المبدّر فقال : الإنفاق في غير حق .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار ، يحدث عن أبي العبيدين اضرير البصر ، أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً ) قال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى ابن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما التبذير؟ فقال : إنفاق المال في غير حقه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، وكانت به زمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما التبذير؟ فذكر مثله .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو الحواري ، عن عمار بن زريق ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن التبذير : النفقة في غير حقه .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا يحيى بن كثير العبدي ، قال : ثنا شعبة ، قال : كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة ، فأتى على دار تبني بجصّ وآجر ، فقال : هذا التبذير في قول عبد الله : إنفاق المال في غير حقه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيراً ) قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : المبدّر : المنفق في غير حقه .

والمبدّر : اسم مفعول من التبذير ، وهو تفريق المال ونحوه ، وإفصاده بالإسراف . قال في (اللسان : بلذ) : والتبذير : إفساد المال وإفراقه في السرف . وقيل : التبذير : أن ينفق المال في المعاصي . اهـ . وعلى هذا المعنى استشهد المؤلف بالبيت .

(١) هو معاوية بن سبرة السوائي ، أبو العبيدين : مصفر عبيد ، الأعمى الكوفي . مات سنة ٩٨ هـ . ( عن خلاصة الخزر جي ) .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : لا تنفق في الباطل ، فإن المبدّر : هو المسرف في غير حق .  
قال ابن جريج وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ، ما كان تبذيراً ، ولو أنفق مدّاً في باطل ، كان تبذيراً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدُّيراً ) قال : التبذير : النفقة في معصية الله ، وفي غير الحق ، وفي الفساد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ) قال : بدأ بالوالدين قبل هذا ، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ، ذكر هؤلاء وقال ( لَا تُبَدِّرْ تَبَدُّيراً ) : لا تعط في معاصي الله .

وأما قوله ( إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ) فإنه يعني أن المفرقين أموالهم في معاصي الله لمنفقها في غير طاعته ، أولياء الشياطين ، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم ، وتابع أثرهم : هو أخوهم ( وكان الشيطان لربه كفوراً ) يقول : وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحوداً ، لا يشكره عليها ، ولكنه يكفرها ، بترك طاعة الله ، وركوبه معصيته ، فكذلك إخوانه من بني آدم ، المبدّرون أموالهم في معاصي الله ، لا يشكرون الله على نعمه عليهم ، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه ، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خوّلهموها وجل عزّ سنته ، من ترك الشكر عليها ، وتلقبها بالكفران .  
كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ ) : إن المنفقين في معاصي الله ( كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وكان الشيطان لربه كفوراً ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم ، إذا وجدت إليها السبيل ، بوجهك عند مسألتهم إياك ، ما لا تجد إليه سبيلاً ، حياء منهم ورحمة لهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ ) يقول : انتظار رزق تنتظره من عند ربك ، وترجو تيسير الله إياه لك ، فلا تؤيسهم ، ولكن قل لهم قولا ميسورا : يقول : ولكن عدوا جيلا ، بأن تقول : سيرزق الله فأعطيكم ، وما أشبه ذلك من القول اللين ، غير الغليظ ، كما قال جل ثناؤه ( وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ) .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ

عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : انتظار الرزق ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : لنا تعدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ) قال : رزق ( أَلَهُمْ بِقَسَمِنَا رَحْمَةً رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ) .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : انتظار رزق من الله يأتيك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : إن سألوكم فلم يجدوا عندك ما تعطيتهم ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره ترجوه ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : عيدهم عدة حسنة ، إذا كان ذلك ، إذا جاءنا ذلك فعلنا ، أعطيناكم ، فهو القول الميسور .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : إن سألوكم فلم يكن عندك ما تعطيتهم ، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ) قال : انتظار رزق الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن عبيدة في قوله ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : ابتغاء الرزق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) قال : أي رزق تنتظره ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) أي معروفًا ؛ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : عيدهم خيرا . وقال الحسن : قل لهم قولا لنا سهلا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ) يقول : لا نجد شيئا تعطيتهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ) يقول : انتظار الرزق من ربك . نزلت فيمن كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم من المساكين .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنى حيرم بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى عمارة ، عن عكرمة في قول الله ( فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ) قال : الرفق .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ) عن هؤلاء الذين أوصيتك بهم ( ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ) إذا خشيت إن أعطيتهم ، أن يتقوا بها على معاصي الله عز وجل ، ويستعينوا بها عليها ، فرأيت أن تمنعهم



خيرا ، فاذا سألوك ( فَكُلُّ قَوْلًا مَيْسُورًا ) قولاً جميلاً : رزقك الله ، بارك الله فيك .  
 ﴿٢٩﴾ وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد ، مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، بعيد المعنى ، مما يدل عليه ظاهرها ، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ( وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ) فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه ( قَوْلًا مَيْسُورًا ) وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة ، لن يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه ، فيكون معنى الكلام كما قلناه ، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم ، وخلاف قوله ؛ أو يكون إعراضاً منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين ، الذين أمير نبي الله صلى الله عليه وسلم بزعمه ، أن يمنعمهم ما سألوهم ، خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله ، فعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرّف ما أعطى من نفقة ، ليتقوى بها على طاعة الله في معاصيه ، أخوف من رجاء رحمته له ، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته ، لا لأهل معاصيه ، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمير بمنعمهم ما سألوهم ، لينبئوا من معاصي الله ويتوبوا ، بمنعه إياهم ما سألوهم ؛ فيكون ذلك وجهاً يحتمله تأويل الآية ، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)

﴿٢٩﴾ وهذا مثل ضرب به الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوى الأموال ، فجعله كالشدودة يده إلى عنقه ، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء .  
 وإنما معنى الكلام : ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة في حقوق الله ، فلا تنفق فيها شيئاً إمساك المغلولة يده إلى عنقه ، الذي لا يستطيع بسطها ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يقول : ولا تبسطها بالعطية كل البسط ، فتبتقى لاشيء عندك ، ولا تجد إذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك . ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ) ، يقول : فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك ، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه ، محسوراً : يقول : معييباً ، قد انقضى بك ، لاشيء عندك تنفقه . وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها ، وكلت وزرحت من السير ، بأنه حسيير ، يقال منه : حسرت الدابة فأنا أحسيرها ، وأحسرها حسيراً ، وذلك إذا أنضيت بالسير ، وحسرت بالمسألة ، إذا سألته فألحفت ، وحسرت البصر فهو يحسير ، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فككل . ومنه قوله عز وجل ( يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) ، وكذلك ذلك في كل شيء ككل وأزحف حتى يفضى .  
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هودّة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَلَا تَجْعَلْ

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) قال : لا تجعلها مغلولة عن النفقة . ( وَلَا تَبْسُطْهَا ) : تبتذر بسرف .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يوسف بن بهز ، قال : ثنا حوشب ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية  
( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا )  
يقول : لا تطفئ برزقك عن غير رضاي ، ولا تضعه في سُخْطِي فأسلُبكَ ما في يديك ، فتكون حسيرا ،  
ليس في يديك منه شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا  
مَّحْسُورًا ) يقول هذا في النفقة ، يقول ( لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ) يقول : لا تبسطها  
بالخير ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يعني التبذير ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) . يقول : يلوم نفسه على ما فات من  
ماله . ( مَّحْسُورًا ) . يعني : ذهب ماله كله فهو محسور .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا  
تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ) يعني بذلك البخل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ  
عُنُقِكَ ) : أي لا تمسكها عن طاعة الله ، ولا عن حقه ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) يقول : لا تنفقها  
في معصية الله ، ولا فيما يصلح لك ، ولا ينبغي لك ، وهو الإسراف . قوله ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا )  
قال : ملوما في عباد الله ، محسورا على ما سلف من دهره وفرط .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ  
مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ) قال : في النفقة ، يقول : لا تمسك عن النفقة ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ )  
يقول : لا تبتذر تبذيرا ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) في عباد الله . ( مَّحْسُورًا ) يقول : نادما على ما فرط منك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لا تمسك عن النفقة فيما  
أمرتك به من الحق ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) فيما هيبتك ( فَتَقْعُدَ مَلُومًا ) قال : مذنباً ( مَّحْسُورًا )  
قال : منقطعاً بك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً  
إِلَىٰ عُنُقِكَ ) قال : مغلولة لا تبسطها بخير ولا بعطية ( وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ) في الحق والباطل ،  
فينفد مامعك ، وما في يديك ، فيأتيك من يريد أن تعطيه ، فيحسرك بك ، فيلومك حين أعطيت هؤلاء ،  
ولم تعطهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)



﴿ يقول تعالى ذكره لئن لم يكن الله صلياً عليه وسلم : إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده ، فيوسع عليه ، ويقدر على من يشاء ، يقول : وَيُقَدِّرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ ، فيضيِّقُ عليه . (إنه كان بعباده خبيراً) : يقول : إن ربك ذو خيرة بعباده ، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيِّق ويهلكه . (بصيراً) : يقول : هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم ، يقول : فأنته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك ، من بسط يدك فيما تبسطها فيه ، وفيمن تبسطها له ، ومن كفها عن تكفها عنه ، وتكفها فيه ، فنحن أعلم بمصالح العباد منك ، ومن جميع الخلق ، وأبصر بتدبيرهم .

كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع ، فقال : ( إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ) قال : يَقْدِرُ : يُقِلُّ ، كل شيء في القرآن يَقْدِرُ كذلك ؛ ثم أخبر عباده أنه لا يرزؤه ولا يشوده أن لو بسط عليهم ، ولكن نظرنا لهم منه ، فقال : ( وَكَوَّ بَسْطَ اللَّهِ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لِيَبْغُوا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ) قال : والعرب إذا كان الخصب وبسط عليهم أشيروا ، وقتل بعضهم بعضاً ، وجاء الفساد ، فإذا كان السنة شغلوا عن ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا

كَبِيرًا (٣١)

﴿ يقول تعالى ذكره ( وَقَضَى رَبُّكَ ) يا محمد ( أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ) ، ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) فوضع تقتلوا نصب عطفا على ألا تعبدوا .

ويعنى بقوله ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) خوف إقتار وفقر . وقد بيننا ذلك بشواهد في ماضي ، وذكرنا الرواية فيه . وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب ، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم ، خوف العيئة على أنفسهم ، بالإنفاق عليهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) : أى خشية الفاقة ، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة ، فوعظهم الله في ذلك ، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله ، فقال ( نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) قال : كانوا يقتلون البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يهامد ( ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) قال : الفاقة والفقير .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ) يقول : الفقر .

وأما قوله ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) فإن القراءة اختلفت في قراءته : فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) بكسر الخاء من الخطأ ، وسكون الطاء . وإذا قرئ ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ ) كان له وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون اسما من قول القائل : خَطِيتُ فأنا أَخَطُتُ ، بمعنى : أذنبت وأثمت . ويحكى عن العرب : خَطِيتُ : إذا أذنبت عمدا ، وأخطأت : إذا وقع منك الذنب خطأ على غير عمد منك له . والثاني : أن يكون بمعنى خطأ ، بفتح الخاء والطاء ، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء ، كما قيل : قَيْتَبٌ وقَتَبٌ وحِذَرٌ وحِذْرٌ ، ونَجِسٌ ونَجَسٌ ، والخطء بالكسر اسم ، والخطأ بفتح الخاء والطاء : مصدر من قولهم : خَطِيتُ الرجل ، وقد يكون اسما من قولهم : أخطأ . فأما المصدر منه فالإخطاء . وقد قيل : خَطِيتُ ، بمعنى أخطأ ، كما قال الشاعر :

يَا لَهْفٍ هِينِدٍ إِذْ خَطِيتُنْ كَاهِلًا

بمعنى : أخطأت . وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا ) بفتح الخاء والطاء مقصورا ، على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم : أخطأ فلان خطأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة ( إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا ) ، بفتح الخاء والطاء ، ومدَّ الخَطْءَ ، بنحو معنى من قرأه خطأ ، بفتح الخاء والطاء ، غير أنه يخالفه في مد الحرف . وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم ، يرون أن الخطء والخطأ بمعنى واحد ، إلا أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء ، وسكون الطاء ، في القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع الخطء بكسر الخاء ، وسكون الطاء ، في شيء من كلامهم وأشعارهم ، إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء :

الْخِطْءُ فَاحِشَةٌ وَالْبِرُّ نَافِلَةٌ كَعَجْوَةِ غُرْسَتٍ فِي الْأَرْضِ تُوْتَبِرُ

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ينسب إلى امرئ القيس بن حجر الكندي ، من مقطوعة تسعة أبيات ، ( يختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ١٠٥ ) قالها حين بلغه أن بني أسد قتل أباه . ومعنى يالهف : بالأسف أو ياحسرة . وهند أخته . وخطبتن : يعني الخليل ، أي أخطأت . وكان قد طلب بني كاهل من بني أسد ليلا ، فأوقع بين كنانة خطأ ، وهرب منه بنو كاهل . وهذا البيت هو أول الأبيات في الأغانى والعقد النثرين لوليم أورد . ومحل الشاهد في البيت أن خطي خطأ ، وأخطأ إخطاء : لفتان بمعنى واحد : إذا عمل شيئا وأخطأ فيه ، عن غير عمد ، كما في البيت . والخطء بكسر الخاء وسكون الطاء : اسم مصدر بمعنى المصدر . وبعض القويين يقول : إن خطي خطأ معناه وقع في الإثم عن عمد ، بخلاف أخطأ ، فإنه عن غير عمد .

(٢) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن بعضهم زعم أن الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء وسكون الطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء : « الخطء فاحشة . . . الخ البيت ) . ولم أقف على البيت ولأقائله في معاني القرآن للفراء ، ولاني مجاز القرآن لأبي عبيدة . غير أن الفراء قال : قرأ الحسن : خطء كثيرا بالمد ، وقرأ أبو جعفر المدني : خطأ كبيرا ، قصر وهز ، وكل صواب . وكان الخطء الإثم ، وقد يكون في معنى خطأ بالقصر ، كما قالوا : قَتَبٌ : وقَتَبٌ وحِذَرٌ ونَجِسٌ ونَجَسٌ . ومثله قراءة من قرأ : هم أولاء على أترى =



وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء ، وفتحهما .  
 وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب ، القراءة التي عليها قرأ أهل العراق ، وعامة أهل الحجاز ،  
 لإجماع الحجة من القراء عليها ، وشذوذ ما عداها . وإن معنى ذلك كان إنما وخطيئة ، لاخطاً من الفعل ،  
 لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمداً لاخطاً ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم ، وتقدم إليهم بالنهي عنه .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( خطئاً كبيراً ) قال : أي خطيئة .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( إن قتلهم )  
 كان خطئاً كبيراً ) قال : خطيئة . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : خطئاً : أي خطيئة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ ، إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وقضى أيضاً أن ( لا تقربوا ) أيها الناس ( الزنا إنّه كان فاحشة ) يقول :  
 إن الزنا كان فاحشة ( وساء سبيلاً ) يقول : وساء طريق الزنا طريقاً ، لأنه طريق أهل معصية الله ،  
 والمخالقين أمره ، فأسوأ به طريقاً يورد صاحبه نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ،  
 فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)

يقول جل ثناؤه : وقضى أيضاً أن ( لا تقتلوا ) أيها الناس ( النفس التي حرم الله ) قتلها ( إلا  
 بالحق ) وحققها : ألا تقتل إلا بكفر بعد إسلام ، أو زناً بعد إحصان ، أو قود بنفس ، وإن كانت كافرة  
 لم يتقدم كفرها إسلام ، فألاً يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولا تقتلوا النفس التي  
 حرم الله إلا بالحق ) وإنا والله ما نعلم بحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، إلا رجلاً قتل متعمداً ،  
 فعلية القود ؛ أو زناً بعد إحصانه ، فعلية الرجم ؛ أو كفر بعد إسلامه ، فعلية القتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة أو غيره ، قال : قيل لأبي بكر :

= وإثره . والناقلة : ما يكون زيادة على الفرض . والعجوة : أجود تمر المدينة ، كما في اللسان . وتؤتبر : تصلح بالإبار ، ليجود ثمرها .

أنتقل من يرى أن لا يؤدى الزكاة ، قال : لو منعوني شيئا مما أقرؤا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم .  
فقتل لأبي بكر : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا :  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .  
فقال أبو بكر : هذا من حقها .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن حميد الطويل ،  
عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .  
قيل : وما حقها ؟ قال : زناً بعد إحصان ، وكفراً بعد إيمان ، وقتل نفس ، فيقتل بها .  
وقوله ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً ) يقول : ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلاً  
بحق ( فَتَقَدُّ جَعَلْنَا لِيُوكِيهِ سُلْطَانًا ) يقول : فقد جعلنا لولي المقتول ظلماً سلطاناً على قاتل وليه ، فإن  
شاء استماد منه ، فقتله بوليه ، وإن شاء عفا عنه ، وإن شاء أخذ الدية .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جعل لولي المقتول ، فقال بعضهم في ذلك ، نحو  
الذي قلنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَتَقَدُّ جَعَلْنَا لِيُوكِيهِ  
سُلْطَانًا ) قال : بيّنة من الله عز وجل أنزلها يطلبيها ولي المقتول ، العاقل ، أو القود ، وذلك السلطان .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك بن مزاحم ،  
في قوله ( فَتَقَدُّ جَعَلْنَا لِيُوكِيهِ سُلْطَانًا ) قال : إن شاء عفا ، وإن شاء أخذ الدية .  
وقال آخرون : بل ذلك السلطان : هو القتل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَتَقَدُّ  
جَعَلْنَا لِيُوكِيهِ سُلْطَانًا ) وهو القود الذي جعله الله تعالى .  
وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من تأول ذلك : أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا  
الموضع ، ما قاله ابن عباس ، من أن لولي القتل إن شاء ، وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء العفو ، لصحة  
الطبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال يوم فتح مكة : « أَلَا وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ  
السُّبُرَيْنِ بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَ أَوْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ » . وقد بيّنت الحكم في ذلك في كتابنا : كتاب الجراح .  
وقوله ( فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة ( فلا  
تُسْرَفُ ) بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به هو والأئمة من بعده ، يقول : فلا



تقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله . وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك ، إذا قتل رجل رجلاً ، عمد وليّ القتل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل ، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك عباده ، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام : قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف ، فلا تقتل به غير قاتله ، وإن قتلت القاتل بالمقتول ، فلا تمثل به . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والبصرة ( فلا يُسرف ) بالياء ، بمعنى فلا يسرف وليّ المقتول ، فيقتل غير قاتل وليه . وقد قيل : عُنِيَ به : فلا يسرف القاتل الأوّل ، لا وليّ المقتول . والصواب من القول في ذلك عندى ، أن يقال : إنهما قرآءتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى في أحكام الدين ، قضاء منه بذلك على جميع عباده ، وكذلك أمره ونهيه بعضهم ، أمر منه ونهى جميعهم ، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض ، فإذا كان ذلك كذلك ، بما قد بينّا في كتابنا « كتاب البيان ، عن أصول الأحكام » فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله ( فلا تُسرف في القتل ) نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان موجّهاً إليه أنه معنى به جميع عباده ، فكذلك نهيه وليّ المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدّي فيه ، نهى لجميعهم ، فبأى ذلك قرأ القارىّ فصيب صواب القراءة في ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك ، نحو اختلاف القرآء في قراءتهم إياه .

ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلّح بن حبيب ، في قوله ( فلا تُسرف في القتل ) قال : لا تقتل غير قاتله ، ولا تمثل به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير . عن منصور ، عن طلّح بن حبيب ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن خصيف ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله ( فلا تُسرف في القتل ) قال : لا تقتل اثنين بواحد .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( فلا تُسرف في القتل ) إنّه كان منسوّراً ) كان هذا بمكة ، ونبيّ الله صلى الله عليه وسلم بها ، وهو أوّل شيء نزل من القرآن في شأن القتل ، كان المشركون يقاتلون أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تبارك وتعالى : من قتلكم من المشركين ، فلا يحملنكم قتله إياكم على أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحداً من عشيرته ، وإن كانوا مشركين ، فلا تقتلوا إلا قاتلكم ، وهذا قبل أن تنزل براءة ، وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين ، فذلك قوله ( فلا تُسرف في القتل ) يقول : لا تقتل غير قاتلك ، وهى اليوم على ذلك الموضع من المسلمين ، لا يحلّ لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم .

ذكر من قال : عُنِيَ به وليّ المقتول

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَنْ قُتِلَ

مَظْلُومًا فَقَدْتُ جَعَلْنَا لِيُوكَيْبِهِ سُلْطَانًا ) قال : كان الرجل يُقْتَلُ فيقول وليه : لأرضي حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشرف قبيلته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا تقتل غير قاتلك ، ولا تمثّل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا يقتل غير قاتله ، من قَتَلَ بِحَدِيدَةٍ قَتَلَ بِحَدِيدَةٍ ، ومن قَتَلَ بِخَشَبَةٍ قَتَلَ بِخَشَبَةٍ ، ومن قَتَلَ بِحَجَرٍ قَتَلَ بِحَجَرٍ . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنْ مِثْنٌ أَعْتَى النَّاسَ عَلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، أَوْ قَتَلَ بَدَخَنٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعته ، يعني ابن زيد ، يقول في قول الله جلَّ ثَنَاؤُهُ ( وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْتُ جَعَلْنَا لِيُوكَيْبِهِ سُلْطَانًا ) قال : إن العرب كانت إذا قُتِلَ منهم قتيل ، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم ، حتى يقتلوا أشرف من الذي قتله ، فقال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ ( فَقَدْتُ جَعَلْنَا لِيُوكَيْبِهِ سُلْطَانًا ) ينصره وينتصف من حقه ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) يقتل بريئا .

ذكر من قال عُنِيَ به القاتل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ( فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ) قال : لا يسرف القاتل في القتل .

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا ، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صوابا ، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب ، لاحتمال الكلام ذلك ، وإن في نهى الله جلَّ ثَنَاؤُهُ بعض خلقه عن الإسراف في القتل ، نهى منه جميعهم عنه .

وأما قوله ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِيَ بالهاء التي في قوله ( إِنَّهُ ) وعلى ما هي عائدة ؟ فقال بعضهم : هي عائدة على ولي المقتول ، وهو المعنى بها ، وهو المنصور على القاتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) قال : هو دفع الإمام إليه ، يعني إلى الولي ، فإن شاء قتل ، وإن شاء عفا .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بها المقتول ، فعلى هذا القول هي عائدة على « مَنْ » في قوله ( وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ( إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ) إن المقتول كان منصورا .

وقال آخرون : عُنِيَ بها دم المقتول ، وقالوا : معنى الكلام : إن دم القاتل كان منصورا على القاتل .



﴿ وَأَشْبِهَ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي ، قَوْلٌ مِنْ قَالٍ : عُنِيَ بِهَا الْوَلِيُّ ، وَعَلَيْهِ عَادَتْ ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَظْلُومُ ، وَوَلِيُّهُ الْمَقْتُولُ ، وَهِيَ إِلَى ذِكْرِهِ أَقْرَبُ مِنْ ذِكْرِ الْمَقْتُولِ ، وَهُوَ الْمَنْصُورُ أَيْضًا ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَضَى فِي كِتَابِهِ الْمَنْزِلَ : أَنْ سَلَّطَهُ عَلَى قَاتِلِ وَلِيِّهِ ، وَحَكَّمَهُ فِيهِ ، بِأَنْ جَعَلَ إِلَيْهِ قَتْلَهُ إِنْ شَاءَ ، وَاسْتَبْقَاهُ عَلَى الدِّيَةِ إِنْ أَحَبَّ ، وَالْعَفْوُ عَنْهُ إِنْ رَأَى ، وَكَفَى بِذَلِكَ نُصْرَةً لَهُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا : هُوَ الْمَعْنَى بِالْمَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ ( إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ، إِنْ الْعَهْدُ

كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَقَضَى أَيْضًا أَنْ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِأَكْلٍ ، إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْتَسِبُوا ، وَلَكِنْ اقْرَبُوهُ بِالْفَعْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَالْحَلَّةُ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ ، وَذَلِكَ أَنْ تَنْصَرَفُوا فِيهِ لَهُ بِالتَّمْيِيرِ وَالِإِصْلَاحِ وَالْحَيْطَةِ . وَكَانَ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانُوا لَا يَخَالِطُونَهُمْ فِي طَعَامٍ أَوْ أَكْلٍ وَلَا غَيْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( وَإِنْ تَخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ ) ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ) فَكَانَتْ هَذِهِ لَمْ فِيهَا رُخْصَةٌ . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قَالَ : كَانُوا لَا يَخَالِطُونَهُمْ فِي مَالٍ وَلَا مَأْكَلٍ وَلَا مَرْكَبٍ ، حَتَّى نَزَلَتْ ( وَإِنْ تَخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ ) .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : الأكل بالمعروف ، أن تأكل معه إذا احتجت إليه ، كان أبي يقول ذلك .

وقوله ( حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ) يقول : حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل ، وتدبير ماله ، وصلاح حاله في دينه ( وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ) يقول : وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضا ، والبيوع والأشربة والإجازات ، وغير ذلك من العقود . ( إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ) يقول : إن الله جلَّ ثَنَاؤُهُ سائل ناقض العهد عن نقضه إياه ، يقول : فلا تنتقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس ، فتخفروه وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك . وإنما عني بذلك أن العهد كان مطلوبًا ، يقال في الكلام : ليستلن فلان عهد فلان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وَقَضَى أَنْ (أَوْفُوا الْكَيْلَ) لِلنَّاسِ (إِذَا كِلْتُمْ) لَمْ حَقَّقْهُمْ قَبْلَكُمْ ، وَلَا تَبْخَسُوهُمْ (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) يَقُولُ : وَقَضَى أَنْ زَنُوا أَيْضًا إِذَا وَزَنْتُمْ لَمْ بِالْمِيزَانَ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا عَوْجَاجَ فِيهِ ، وَلَا دَغْلَ ، وَلَا خَدِيعَةَ .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس ، فقال بعضهم : هو القبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ؛ قال : ثنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن : (وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) قال : الْقَبَّانُ .

وقال آخرون : هو العدل بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : الْقِسْطُ : الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ . وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ الْمِيزَانُ : صَغَرُ أَوْ كَبُرُ ؛ وَفِيهِ لُغَتَانِ : الْقِسْطُ بِكسْرِ الْقَافِ ، وَالْقِسْطُ بِضمِّهَا ، مِثْلُ الْقِرْطَاسِ وَالْقِرْطَاسِ ؛ وَبِالْكَسْرِ يَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَاءَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَبِالضَّمِّ يَقْرَأُ عَامَّةُ قُرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَقَدْ قُرَأَ بِهِ أَيْضًا بَعْضُ قُرَاءِ الْكُوفِيِّينَ ، وَبِأَيْتِهِنَّ قُرَأَ الْقَارِيُّ فَمُصِيبٌ ، لِأَمَّا لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ ، وَقَرَاءَتَانِ مُسْتَفِيزَتَانِ فِي قُرَاءَةِ الْأَمْصَارِ .

وقوله ( ذَلِكَ خَيْرٌ ) يَقُولُ : لِإِيفَائِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ تَكْيِيلُونَ لَهُ الْكَيْلَ ، وَوَزْنِكُمْ بِالْعَدْلِ لِمَنْ تَوْفُونَ لَهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَخْسِكُمْ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ ، وَظَلَمِكُمْ فِيهِ . وَقَوْلُهُ ( وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) يَقُولُ : وَأَحْسَنُ مَرْدُودًا عَلَيْكُمْ وَأَوْلَى إِلَيْهِ فِيهِ فَعَلِكُمْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرْضَى بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، فَيُحَسِّنُ لَكُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ) ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) أَيِ خَيْرِ ثَوَابًا وَعَاقِبَةً .

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول : يامعشر الموالى ، إنكم وليتم أمر بن ، بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان . قال : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « لَا يَتَقَدَّرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدَّعِيهِ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ ، إِلَّا أُبْدِلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ » .



حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )  
قال : عاقبة وثوابا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ، كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا (٣٦)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) فقال بعضهم : معناه :  
ولا تقل ما ليس لك به علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله  
( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) يقول : لا تقل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) ،  
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) لا تقل رأيت ، ولم تر وسمعت ولم  
تسمع ، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) قال : لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم .

حدثت عن محمد بن ربيعة ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبي عمر البزار ، عن ابن الحنفية ، قال :  
شهادة الزور .

وقال آخرون : بل معناه : ولا ترم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ) يقول : لا ترم أحدا بما ليس لك به علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَقْفُ ) ولا ترم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وهذان التأويلان متقاربا المعنى . لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ، ورمى الناس  
بالباطل ، وادعاء سماع ما لم يسمعه ، ورؤية ما لم يره . وأصل القفو : العضة والبهت . ومنه قول النبي  
صلى الله عليه وسلم : « نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لَانْقَضُوا أَمْنَا ، وَلَانْتَقَتْنِي مِنْ أَبِيْنَا » . وكان  
بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا :

وَمِثْلُ الدَّمِيِّ شَمُّ الْعَرَّانِينَ سَاكِينٌ بَيْنَ الْحَيَاءِ لَا يُشِيرُ عَنِ التَّقْفِيهِ ١  
يعنى بالتقافى : التقاذف . ويزعم أن معنى قوله ( لا تَقْفُ ) لا تتبع ما لا تعلم ، ولا يعينك . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة ، يزعم أن أصله القيافة ، وهى اتباع الأثر ، وإذ كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة ( ولا تَقْفُ ) بضم الفاء وسكون القاف ، مثل : ولا تَقْلُ . قال : والعرب تقول : قفوت أثره ، وقفت أثره ، فتقدم أحيانا الواو على الفاء ، وتؤخرها أحيانا بعدها ، كما قيل : قاع الجمل الناقة : إذا ركبها وقعا ، وعاث وعثى ؛ وأنشد سماعا من العرب :

وَلَوْ أَتَى رَمَيْشُكَ مِيزَ قَرِيبٍ لَعَاقَكَ مِيزَ دُعَاةِ الذَّنْبِ عَاقٍ ٢

يعنى عائق ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب .

١٢ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : لا تنقل للناس ، وفيهم ما لا علم لك به ، فترميمهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحق ، فذلك هو القفو .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه .

وأما قوله ( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أَوْلَتْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا ) فإن معناه : إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها ، من أنه سمع أو أبصر أو علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق ، وقال أولئك ، ولم يقل تلك ، كما قال الشاعر :

ذُمُّ الْمَنَازِلِ بَعْدَ مَنْزِلَةِ الدَّوَى وَالْعَيْشِ بَعْدَ أَوْلَيْتِكَ الْإِيَّامِ ٣

(١) البيت للنايفة الجعدي ، وهو من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٧٩ ) شاهد على أن معنى التقافى : التقاذف . وفى (اللسان : قفو) قال أبو عبيد : الأصل فى القفو والتقافى : البهتان يرمى به الرجل صاحبه . اه . قال أبو بكر : قولهم قد قفا فلان فلانا قال أبو عبيد : معناه أتبعه أمرا كلاما قبيحا . وقال الليث : القفو : مصدر قولك قفا يقفو قفوا وقفوا ( الثانى بتشديد الواو ) ، وهو أن يتبع الشيء . قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت ، كما تقول : لا تدع من دعوت . قال : وقرأ بعضهم : ولا تقف مثل ولا تقل . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » : أى لا تتبع ما لا تعلم . وقيل : ولا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا . اه . والذى جمع دمية ، وهى الخمال من المرمر أو العاج أو نحوهما . وشم العرائين : جمع شماء العرنيين ، أى مرتفعات قصبات الأنوف ، وهو من أمارات جهلن .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ١٧٩ ) على أن العرب تقول قفا الشيء : إذا تتبعه كما تقول قافه . وكما قال الشاعر : عاقى ، يريد عائق . قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت . . . ويعضهم قال : ولا تقف . والعرب تقول : قفت أثره ، وقفوتنه ؛ ومثله : يعتام ويعتمى ، وعاث وعثى ، من الفساد ، وهو كثير ، منه شاك السلاح ، وشاكى السلاح . وسمعت بعض قضاة يقول : اجتمع ماله ، واللغة القاشية : اجتاح ماله . وقد قال الشاعر : « ولو أنى رأيتك » . . . الخ البيت . هذا وقد نقلنا فى الشاهد الذى قبل هذا عبارة الفراء ، كما جاءت فى اللسان ، وفيها اختلاف عن عبارته هنا فى معانى القرآن ، ولعله من اختلاف النسخ . وأورد الفراء بعد بيت الشاهد بيتا آخر من وزنه وقافيته ، وهو الذى الخرق الطهوى كما فى (اللسان : بغم) :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَّا قَا وَمَا هِيَ وَيَبَّ غَيْرِكَ بِالْعَتَاقِ

وقد سبق الاستشهاد به فى أكثر من موضع من هذا التفسير .

(٣) البيت لبحر بن الخفلى ( ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥١ ) وهو البيت الثانى من قصيدة يهيب بها الفرزدق ، مطلعها :

سَرَّتِ الْهَمُومُ فَبَيْتِنَ غَيْرَ نِيَامٍ وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ



وإنما قيل : أولئك ، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير ، فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث ، لك التذكير للجمع الأول ، والتأنيث للجمع الثاني ، وهو الجمع الكثير ، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ  
كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره : ولا تمش في الأرض مرحًا ، وإنما هذا نهي من الله عباده عن أن تقطع الأرض باختيالك ، كما قال رؤبة :

وقاتم الأعماقِ خاوي المخرق<sup>١</sup>

يعنى بالمخرق : المقطع ( وكن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) بفخرتك وكبرك ، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء ، وتقدم منه إليهم فيه معرفتهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئًا يقصر عنه غيرهم .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) يعنى بكبرك ومرحك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ) قال : لا تمش في الأرض فخرًا وكبرًا ، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال ، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ ) قال : لا تفخر . وقيل : ولا تمش مرحًا ، ولم يقل مرحًا ، لأنه لم يرد بالكلام : لا تكن مرحًا ، فيجعله من نعت الماشي ، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرحًا ، ففسر المعنى المراد من قوله : ولا تمش ، كما قال الراجز :

= الشاهد في هذا البيت أنه أشار إلى الأيام بأولئك ، ولم يقل تلك ، لأن أولئك يشار بها إلى الجمع الكثير ، وهؤلاء إلى الجمع القليل .  
للمذكر والمؤنث والعامل وغيره .

(١) البيت مطلع أرجوزة مطولة ( ١٧١ بيتًا في ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ م ، ص ١٠٤ ) وهو شاهد على أن قوله المخرق بمعنى المقطع ، كما في قوله تعالى : « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ » أي لن تقطع الأرض . ويريد بقاتم الأعماق : وأديا مظالم النواحي ، لما كثر فيه من الغبار النائر . والخواوي : الخالي . والمخرق : الممر والمقطع . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٠ ) « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ » : مجازه لن تقطع الأرض . وقال رؤبة : ... البيت . أي المقطع . وقال آخرون : إِنَّكَ لَن تَنْقُبُ الْأَرْضَ ، وليس بشيء .

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْعَصِيدُ وَالتَّمْرُ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

فقال : حبا ، لأن في قوله : يعجبه ، معنى يحب ، فأخرج قوله : حبا ، من معناه دون لفظه .  
وقوله (كُلُّ ذَلِكْ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) فإن القراء اختلفت فيه ، فقرأه بعض قراء  
المدينة وعامة قراء الكوفة (كُلُّ ذَلِكْ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) على الإضافة بمعنى : كل  
هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . . .  
إلى قولنا (وَلَا تَمْسُرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) . (كَانَ سَيِّئُهُ) يقول : سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها .  
وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل (كُلُّ ذَلِكْ كَانَ سَيِّئُهُ) بالإضافة ، لأن في عددنا من قوله (وَقَضَى  
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) أموراً ، هي أمر بالجميل ، كقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ، وقوله  
(وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كل ما فيه نهي عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة ،  
وأمر بحسنة ، فلذلك قرأنا (سَيِّئُهُ) ، وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (كُلُّ  
ذَلِكْ كَانَ سَيِّئُهُ) وقالوا : إنما عني بذلك : كل ما عددنا من قولنا (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً  
إِنْ مَلَاقُوا) ، ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكل ما عددنا من ذلك الموضوع إلى هذا الموضوع سيئة لاحتسنة  
فيه . فالصواب قراءته بالتثوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقديماً  
على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كل ذلك كان مكروهاً سيئاً ؛ لأنه إن جعل قوله : مكروهاً  
نعت السيئة من نعت السيئة ، لزمه أن تكون القراءة : كل ذلك كان سيئاً عند ربك مكروهاً ، وذلك  
خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (كُلُّ ذَلِكْ كَانَ سَيِّئُهُ) على إضافة السبي  
إلى الهاء ، بمعنى : كل ذلك الذي عددنا ، من (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) . . . (كَانَ سَيِّئُهُ) ،  
لأن في ذلك أموراً منيهاً عنها ، وأموراً مأموراً بها ، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضوع دون قوله (وَلَا  
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) إنما هو عطف على ما تقدم من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فإذا  
كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السبي إلى الهاء ، أولى وأحق من قراءته سيئاً بالتثوين ، بمعنى السيئة الواحدة .  
فتأويل الكلام إذن : كل هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك ، كان سيئاً مكروهاً عند  
ربك يا محمد ، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه ، فاتق مواضعه والعمل به .

(١) البيتان في الملحق بشعر رؤبة بن العجاج ، بأعر ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧٢) وروايتهما فيه :

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ وَالْبُرُودُ وَالْقَرْ حَبًّا مَالَهُ مَزِيدٌ

ورواية البيت في (اللسان : سخن) كرواية المؤلف . قال : ويروي : « حتى ماله مزيد » . وقال : السخون من المرق : ما يسخن  
وقال في (برد) : كل ما برد به شيء : برود . أهولعله يريد الماء البارد ، تنقع به النلة . وقال في (عصيدة) : العصيدة : دقيق  
يلت بالسمن ويبيض . والشاهد في البيت : أن قوله حبا معقول مطلق ، لأنه بمعنى إعجاباً ، لأن في قوله يعجبه ، معنى يحبه ، فكأنه  
مرادف له . وهو نظير قوله تعال « ولا تمس في الأرض مراحاً » : أي المرح . وقد سبق الاستشهاد بالبيت في بعض أجزاء التفسير .



القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ  
مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بيننا لك يا محمد من الأخلاق الحميلة التي أمرناك بجمعها ، ونهيناك عن قبيحها . ( مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ) يقول : من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ) قال : القرآن .

وقد بيننا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

( وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ) يقول : ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك ، فتلقى في جهنم ملوما ، تلومك نفسك وعارفوك من الناس ( مَدْحُورًا ) يقول : مُبْعَدًا مقصيا في النار . ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار ، فننجو من عذابه . وبنحو الذي قلنا في قوله ( مَلُومًا مَّدْحُورًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( مَلُومًا مَّدْحُورًا ) يقول : مطرودا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَلُومًا مَّدْحُورًا ) قال : ملوما في عبادة الله ، مدحورا في النار .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا. إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب : الملائكة بنات الله : ( أَفَأَصْفَاكُمْ ) أيها الناس ( رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ) يقول : أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد ( وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ) وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم ، بل تدونهن ، وتقتلونهن ، فجعلتم الله ما لا ترضونه لأنفسكم - ( إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ، الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا : إنكم أيها الناس لتقولون بقبيلكم : الملائكة بنات الله ، قولاً عظيماً ، وتفترون على الله فرية منكم .

وكان قتادة يقول في ذلك ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ) قال : قالت اليهود : الملائكة بنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لِيَذَّكَّرُوا ، وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ) هؤلء المشركين المقتربين على الله ( فِي هَذَا الْقُرْآنِ ) العبر والآيات والحجج ، وضربنا لهم فيه الأمثال ، وحذرناهم فيه وأنذرناهم ( لِيَذَّكَّرُوا ) يقول : ليتذكروا تلك الحجج عليهم ، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ، ويعتبروا بالعبر ، فيتعظوا بها ، وينبئوا من جهالتهم ، فما يعتبرون بها ، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والتأذير ، وما يزيدهم تذكيرنا إياهم ( إِلَّا نُفُورًا ) . يقول : إلا ذهابا عن الحق ، وبعدا منه وهربا ، والنفور في هذا الموضع : مصدر من قولهم : نَفَرَ فلان من هذا الأمر ينفر منه نَفْرًا ونفورا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهًا آخر : لو كان الأمر كما تقولون ، من أن معه آلهة ، وليس ذلك كما تقولون ، إذن لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذى العرش العظيم ، واتمست الزلفة إليه ، والمرتبة منه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ) يقول : لو كان معه آلهة ، إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم ، فابتغوا ما يقربهم إليه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ) قال : لابتغوا القرب إليه ، مع أنه ليس كما يقولون .

القول في تأويل قوله تعالى

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

يقول : وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون ، الجاعلون معه آلهة غيره ، المضيفون إليه البنات ، فقال : تنزيها لله وعلوا له عما تقولون أيها القوم ، من القربة والكذب ، فإن ماتضيفون إليه من هذه الأمور ، ليس من صفته ، ولا ينبغي أن يكون له صفة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ



عُلُوًّا كَبِيرًا) يسبح نفسه إذ قبل عليه البهتان . وقال تعالى (عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا) ولم يقل : تعاليا ، كما قال (وَتَبْتَلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) كما قال الشاعر :

أنتَ الفِداءُ لكَعبَةٍ هدَمَ مَثُها      ونَقَرَتِها بِبِيدِكَ كُلَّ مُنْقَرٍ  
مُسَبِّحُ الحِمَامِ مُقْبِلُهُ مِن سَقْفِها      وَمِنَ الحَظِيمِ فَطَارَ كُلُّ مُطَيِّرٍ

وقوله (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) يقول : نزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا ، السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن ، وأنتم مع إنعامه عليكم ، وجميل أياديه عندكم ، تفترون عليه بما تفترون .  
وقوله (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) يقول جل ثناؤه : وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده .

كما حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا محمد بن يعلى ، عن موسى بن عبيدة ، عن زيد ابن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمْرَ بِهِ نُوحٌ ابْنَهُ ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ ، أَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ ، وَتَسْبِيحُ الْحَقِّ ، وَبِهَا تُرْزَقُ الْخَلْقُ ، قَالَ اللَّهُ (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة يقول : لا يعين أحدكم دابته ولا ثوبه ، فإن كل شيء يسبح بحمده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : الشجرة تسبح ، والأسطوانات تسبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب ، قال : ثنا جرير أبو الخطاب ، قال : كنا مع يزيد الرقاشي ، ومعه الحسن في طعام ، فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان ؟ فقال : كان يسبح مرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، ويونس ، عن الحسن أنهما قالا في قوله (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قالا : كل شيء فيه الروح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الكبير بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الطعام يسبح .

(١) البيتان شاهدان على أن المصدرين منقر ومطير المضافين إلى كل ، المرع مفعولا مطلقا ، ليسا من لفظ الفعل السابق عليهما ، لأن المنقر من نقر بتشديد القاف ، والمطير من طير بتشديد الياء ، مع أن الفعلين السابقين ثلاثيان . ولكن العرب تميز وضع المصادر المختلفة عن الأفعال السابقة عليها ، ومنه في القرآن : «وتبتل إليه تبتيلا» ومصدر تبتل : هو التبتل لا التبتيل ، ولكن ذلك جائز لأن الحروف الأصول مشتركة في الأفعال والمصادر التي تليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَإِذْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ) قال : كل شيء فيه الروح يسبح ، من شجر أو شيء فيه الروح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبي ، عن عبد الله بن عمرو ، أن الرجل إذا قال : لا إله إلا الله ، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملاً حتى يقولها . فإذا قال الحمد لله ، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، فإذا قال الله أكبر ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، فإذا قال سبحان الله ، فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحد من خلقه ، إلا نوره بالصلاة والتسبيح ، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : أسلم عبدي واسلم .

وقوله ( وَلَكِنَّ لَاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم . ( إِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا ) يقول : إن الله كان حليماً لا يعجل على خلقه ، الذين يخالفون أمره ، ويكفرون به ، لولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين ، الذين يدعون معه الآلهة والأنداد ، بالعقوبة . ( غَفُورًا ) يقول : ساتراً عليهم ذنوبهم ، إذا هم تابوا منها بالعتق منه لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا ) عن خلقه ، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض ( غَفُورًا ) لهم إذا تابوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ اللَّهُ وَتَنْبِئَكَ بِأَقْسَامِ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ بِآيَاتِهِ وَيَسْمِعُ شَرَّ الْكٰفِرِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث ، ولا يقرؤون بالثواب والعقاب ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤهم عليهم ، فينتفعوا به ، عقوبة منا لهم على كفرهم . والحجاب ههنا : هو الساتر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ اللَّهُ وَتَنْبِئَكَ بِأَقْسَامِ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ بِآيَاتِهِ وَيَسْمِعُ شَرَّ الْكٰفِرِينَ ) : الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه ، وأن ينتفعوا به ، أطاعوا الشيطان ، فاستحوذ عليهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حِجَابًا مَسْتُورًا ) قال : هي الأكنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَكَ اللَّهُ وَتَنْبِئَكَ بِأَقْسَامِ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ بِآيَاتِهِ وَيَسْمِعُ شَرَّ الْكٰفِرِينَ ) : لا يفقهونه ، وقرأ ( قَلُّوا بِهِمْ فِي أٰكِنَّةٍ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ) لا يخلص ذلك إليهم .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول : معنى قوله ( حِجَابًا مَسْتُورًا ) حِجَابًا سَاتِرًا ، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول ، كما يقال : إنك مشثوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن ، لأنه من شأمهم



ويعلمهم . قال : والحجاب ههنا : هو الساتر . وقال : مستورا . وكان غيره من أهل العربية يقول : معنى ذلك : حجبا مستورا عن العباد فلا يرونه .

وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب ، فيكون معناه : أن الله ستر عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم ، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكِنَّةً ، وهي جمع كِنَانٍ ، وذلك ما يتغشأها من خيذلان الله إياها عن فهم ما يُتلى عليهم ( وفي آذانهم وَقْرًا ) يقول : وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه ، وصمما . والوقر بالفتح في الأذن : الثقل . والوقر بالكسر : الحمل . وقوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ) يقول : وإذا قلت : لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ( وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا ) يقول : انفضوا ، فذهبوا عنك نفورا من قولك ، استكبارا له ، واستعظاما من أن يوحد الله تعالى .

وبما قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا ) وإن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكروا ذلك المشركون ، وكبرت عليهم ، فصافها إبليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن يمضيه وينصرها ويُفْلِحَها ، ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فُلج ، ومن قاتل بها نُصِر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ، ويسير الدهر ، في فيثام من الناس لا يعرفونها ولا يقرؤون بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا ) قال : بغضا لما تكلم به ، لئلا يسمعه ، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ، لئلا يسمعوها ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ، ويستغشون ثيابهم ، قال : يلتفون بثيابهم ، ويجعلون أصابعهم في آذانهم ، لئلا يسمعوها ، ولا ينظر إليهم .

وقال آخرون : إنما عُنِيَ بقوله ( وَلَوَّا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا ) الشياطين ، وإنما تهرب من قراءة القرآن ، وذكر الله .

(١) يقال : صافه ، بشديد الفاء ، فهو مصاف : إذا رتب صفوفه في مقابلة صفوف العدو . وتصافوا عليه : اجتمعوا صفا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع . قال : ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَكُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ تُفُورًا ) : هم الشياطين .

والقول الذي قلنا في ذلك ، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله ( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ) فإن يكون ذلك خبراً عنهم أولى ، إذ كان بخبرهم متصلاً من أن يكون خبراً عنهم لم يجز له ذكر . وأما النفور ، فإنها جمع نافر ، كما القعود جمع قاعد ، والجلوس جمع جالس ؛ وجائز أن يكون مصدراً أخرج من غير لفظه ، إذ كان قوله ( وَلَكُوا ) بمعنى : نفروا ، فيكون معنى الكلام : نفروا نفورا ، كما قال امرؤ القيس :

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أَيْ إِذْلالِ

إذ كان رُضْتُ بمعنى : أذلت ، فأخرج الإذلال من معناه ، لامن لفظه .

## القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧)

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم بما يستمعون به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك ، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله ( وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ) . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : النجوى : فعلهم ، فجعلهم هم النجوى ، كما يقول : هم قوم رضا ، وإنما رضا : فعلهم . وقوله ( إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) يقول : حين يقول المشركون بالله : ماتبعون إلا رجلاً مسحوراً . وعني فيما ذكره بالنجوى : الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، صدره « وصرنا إلى الحسى ورق كلامنا » وهو من قصيدة عدة أبياتها ٥٤ بيتاً ، وهو الخامس والعشرون فيها ، ( انظر مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٨ ) . وقد استشهد المؤلف على أن قول القرآن ، « ولرا على أدبارهم نفورا » يجوز أن يكون لفظ ( نفورا ) جمع نافر ، كجلوس جمع جالس ، وقعود جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدر نفر ، وهو مفعول مطلق للفعل « ولوا » لأنه يتول بمعنى نفروا ، كما يتول قول امرئ القيس ( أى إذلال ) بمعنى أى ذل مع ما بينهما من فرق في المعنى . ولكن العرب تتسمع في وضع بعض المصادر موضع بعض عمل التأويل .



قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ) قال : هي مثل قبل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ) . . . الآية ، ونجواهم أن زعموا أنه مجنون ، وأنه ساحر ، وقالوا ( أساطير الأولين ) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ( إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) إلى معنى : ماتبعون إلا رجلا له سحر : أي له رثة ، والعرب تسمى الرثة سحرا . والمسحور من قولهم للرجل إذا جن : قد انتفخ سحره ، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحور ، كما قال لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإنا عصافير من هذا الأنام المسحرا

وقال آخرون :

### وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ٢

أي نغذى بهما ، فكأن معناه عنده كان : إن تتبعون إلا رجلا له رثة ، يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ، لا تملكنا حاجة به إلى الطعام والشراب ، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

(١) البيت في (ديوان لبيد ، رواية الطوسي ، طبع فينا سنة ١٨٨٠ ص ٨١) وفي شرحه : عصافير : صغار ضعاف . أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا . ومسحور مغلل بالطعام والشراب . وقوله : « إنما أنت من المسحورين » : من هذا . واستشهد به المؤلف على هذا قال : والمسحور : من قولهم للرجل إذا جن : قد انتفخ سحره . وكذلك يقال لكل ما أكل وشرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحور كما قال لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت . و ( في اللسان : مسحور ) : وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . الخ البيت ، يكون على الوجهين ، وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحورين » يكون من التغذية والغديمة .

(٢) هذا عجز بيت من قول امرئ القيس بن حجر الكندي :

أرانا موضعين لأمر غيب  
عصافير وذبان ودود  
ونسحر بالطعام والشراب  
وأجرا من مجلحة الذئاب

قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيتين : ( مسحور ) أي نفذى أو نخدع . قال ابن امرئ . يرى : وقوله : « موضعين » معناه : مسرعين . وقوله « لأمر غيب » : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهي عنه بالطعام والشراب . والسحر : الغديمة . وفي « مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا طيبة الحلبي ص ٧٩ في شرح البيت الأول من البيتين : موضعين : مسرعين . لأمر غيب : يريد الموت أو المستقبل المجهول . ويروي : لحتم غيب . وسحر : نلهي ، أو نفذى . يقول : أرانا في هذه الدنيا مسرعين للموت الذي غيب عنا وقته ، أو المستقبل المجهول ، لاندرى من أمره شيئا ، ونحن نغلل عنه بالطعام والشراب . يريد : كيف يستلذ الطعام والشراب من هو جاد إلى شرب كأس المنية . وفي شرح البيت الثاني : العصافير : صغار الطير ، والمجلح : الجرى ، والأثى مجلحة . يقول : نحن أشبه بالعصافير والذباب والبود في ضعفنا ، ولكننا أجرا على الشر ، وارنكاب الأنام ، من الذئاب الضارية .

يقول تعالى ذكره : انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر ، كيف مثلوا لك الأمثال ، وشبهوا لك الأشباه ، بقولهم : هو مسحور ، وهو شاعر ، وهو مجنون ( فَضَلُّوا ) يقول : فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا . ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) يقول : فلا يبتدون لطريق الحق لضلالهم عنه ، ويبعدهم منه ، وأن الله قد خذلهم عن إصابته ، فهم لا يقدرّون على الخروج مما هم فيه من كفرهم ، بتوفيقهم إلى الإيمان به .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) قال : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش ، وقالوا بعنهم : ( أئِذَا كُنَّا عِظْمًا ) لم نتحطم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا ( وَّرُفَاتًا ) يعني : ترابا في قبورنا .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يقول الله ( رُفَاتًا ) قال : ترابا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا ) يقول : غُبار ، ولا واحد للرُفَات ، وهو بمنزلة الدُّقَاق والرُّحَطَام ، يقال منه : رُفِتَ يَرْفُتُ رُفَاتًا فهو مرفوت : إذا صُير كالرُّحَطَام والرُّضَاض .  
وقوله ( أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) قالوا : إنكارا منهم للبعث بعد الموت ، إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة ، ورُفَاتا منحطمة ، وقد بليتنا فصرنا فيها ترابا ، خلقا مُنْشَأً كما كنا قبل الممات . جديدا : نعاد كما بدنا ؟ فأجابهم جلّ جلاله ، يعرفهم قُدْرته على بعثه إياهم بعد مماتهم ، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلَاهُم ، خلقا جديدا ، على أيّ حال كانوا من الأحوال ، عظاما أو رُفَاتا أو حِجَارَة أو حديدًا ، أو غير ذلك ، مما يعظم عندهم أن يحدث مثله ، خَلَقًا أمثالهم أحياء ، قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدًا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم .



## القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنَا ؟ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ، وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ؟ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات من قومك ، القائلين ( أئبدا كنا عظاما ورؤفاتا أئبنا لمبعوثون خلقا جديدا ) : كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم ، وإعادته أجسامكم ، خلقا جديدا بعد بلاككم في التراب ، ومصيركم رؤفاتا ، وأنكرتم ذلك من قدرته ، حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم ، إن قدرتم على ذلك ، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك ، كما بدأكم أول مرة .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) فقال بعضهم : عني به الموت ، وأريد به : أو كونوا الموت ، فإنكم إن كنتموه أمثكم ، ثم بعثكم بعد ذلك يوم البعث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : الموت ، قال : لو كنتم موتي لأحييتكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) يعني الموت ، يقول : إن كنتم الموت أحييتكم .

حدثني محمد بن عبيد المغازي ، قال : ثنا أبو مالك الجني ، قال : ثنا ابن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : الموت .

حدثنا محمد بن المنفي ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبير ، في قوله ( أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ) كونوا الموت إن استطعتم ، فإن الموت سيموت ؛ قال : وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني ، عن سعيد ابن جبير ، قال : هو الموت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن

عمر ، أنه كان يقول : « يجاء بالموث يوم القيامة كأنه كبش أملح ، حتى يُجعل بين الجنة والنار ، فينادى مناد يُسمع أهل الجنة وأهل النار ، فيقول : هذا الموث قد جثنا به ، ونحن مهلكوه ، فأبقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموث قد هلك . »

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) ، يعني الموث ، يقول : لو كنتم الموت لأمتمكم . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : « إن الله يحيىء بالموث يوم القيامة ، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم ، كأنه كبش أملح ، فيقف بين الجنة والنار ، فينادى أهل الجنة وأهل النار : هذا الموث ، ونحن ذابحوه ، فأبقنوا بالخلود . »

وقال آخرون : عَسَىٰ بِذَلِكَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : السماء والأرض والجبال . وقال آخرون : بل أريد بذلك : كونوا ما شئتم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله كما كنتم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) قال : من خلق الله ، فإن الله يمتكم ، ثم يعيدكم يوم القيامة خلقا جديدا . <sup>بِهِ</sup> وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال ( أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُوبُ فِي صُدُورِكُمْ ) ، وجائز أن يكون عنى به الموت ، لأنه عظيم في صدور بني آدم ، وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض ، وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه ، وهو كل ما كبير في صدور بني آدم من خلقه ، لأنه لم يخص منه شيئا دون شيء .

وأما قوله ( فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ) فإنه يقول : فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ( مَنْ يُعِيدُنَا ) خلقا جديدا ، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا ، فقل لهم : يعيدكم ( النَّدَىٰ فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) يقول : يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا ، إنسا أحياء ، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أول مرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلِ النَّدَىٰ فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ )



أى خلقكم ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : فإنك إذا قلت لهم ذلك ، فسيبرزون إليك رؤوسهم برفع وخفض ، وكذلك النغض في كلام العرب ، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض ، أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمي الظلم نغضا ، لأنه إذا عَجَّلَ المشي ارتفع وانخفض ، وحرك رأسه ، كما قال الشاعر :

أَسْكَّ نَغْضًا لَأَيِّبِي مُسْتَهْدِجًا ١

ويقال : نَغَضَتْ سَنَهُ : إذا تحركت وارتفعت من أصلها ؛ ومنه قول الراجز :

وَنَغَضَتْ مِنْ هَرَمٍ أَسْنَانَهَا ٢

وقول الآخر :

لَمَّا رَأَيْتَنِي أَنْغَضْتَ لِي الرَّأْسَا ٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) أى يحركون رؤوسهم ، تكديبا واستهزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) قال : يحركون رؤوسهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : سيحركونها إليك استهزاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) قال : يحركون رؤوسهم ، يستهزئون ويقولون متى هو ؟ حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَيَنْغِيضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ) يقول : يهزءون ؟

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٧) وهو السابع من أرجوزة معلولة . وفيه : « أسك » بالصاد ، في موضع « أسك » بالسين . والأسك : صفة من السكك ، وهو الصمم . وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ، وقلة إشرافها . وقيل : قصرها ولصوقها بالحشاش ، يكون ذلك في الآدميين وغيرهم . قال : والنعام كلها سك وكذلك القطا . وأصل السكك الصمم . اهـ . اللسان . وفي ( اللسان : صكك ) : الأسك والمصك : القوى الجسيم الشديد الخلق من الناس والإبل والخمير . وفي ( نغض ) : نغض الشيء نغضا : تحرك واضطرب ، وأنغض هو : حركه اهـ . ولا يقر : أى لا يقر . وفيه أيضا ( هنج ) أورد البيت كرواية الديوان . قال : وهنج الظلم بهنج هديانا واستهيج ، وهو مشي وسعي وعدو ، كل ذلك إذا كان في ارتعاش . قال العجاج يصف الظلم : « أسك . . . الخ » . ويروي مستهدجا ( بكسر الدال ) أى عجلان ، وقال ابن الأعرابي : أى مستعجلا ، أى أفرع فر . والبيت شاهد على أن « النغض » في كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض ، أو بالعكس .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٨٢ ) وعنه أخذ المؤلف . قال أبو عبيدة : « فسيفضون إليك رؤوسهم » : مجازة : فسيفضون ويحركون ، استهزاء منهم . ويقال : قد نغضت سن فلان : إذا تحركت وارتفعت من أصلها . قال : « ونغضت من هرم أسنانها » .

(٣) وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذي قبله ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٢ ) جاء بعد الأول على أن أنغض الرأس بمعنى حركة ورفعه ، استهزاء بمن هو أمامه .

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟ ) يقول جل ثناؤه : ويقولون متى البعث؟ وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا؟ كما كنا أول مرة ، قال الله عز وجل لنبيه : قل لهم يا محمد إذ قالوا لك : متى هو؟ متى هذا البعث الذي تعدنا؟ عسى أن يكون قريبا ! وإنما معناه : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى » ، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ، وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا  
الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ يَأْتَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا ، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة ، فتستجيبون بحمده .

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) يقول : بأمره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) قال : بأمره .

وقال آخرون : معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) : أي بمعرفته وطاعته .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه لإياكم ، والله الحمد في كل حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله ، يعني : لله الحمد على كل ما فعلته ، وكما قال الشاعر :

فَاتَى بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَبِثْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَنْقَعُ

بمعنى : فاني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست .

(١) البيت شاهد على أن قوله « بحمد الله » في معنى « والحمد لله » . واستشهد به القرطبي في ( ١٠ : ٢٧٦ ) ولم ينسبه إلى قائل معروف .



وقوله ( وَتَنْظُنُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : وتحسبون عند موافاتكم القيامة ، من هول ما تعانون ، فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلا ، كما قال جل ثناؤه ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فاسأل العادين ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَنْظُنُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) :  
أى في الدنيا ، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلت ، حين عابنوا يوم القيامة .  
وقوله ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم :  
وقل يا محمد لعبادي : يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن . من المحاوراة والمخاطبة .  
كما حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : : ثنا النضر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن الحسن في هذه الآية ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : التي هي أحسن ، لا يقول له مثل قوله ، يقول له : يرحمك الله ،  
يعفر الله لك .

وقوله ( إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَفَّعُ بَيْنَهُمْ ) يقول : إن الشيطان يسوء محاوراة بعضهم بعضا ، يترغ بينهم ،  
يقول : يفسد بينهم ، يهيج بينهم الشر . ( إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ) يقول : إن الشيطان  
كان لآدم وذريته عدوا ، قد أبان لهم عداوته ، بما أظهر لآدم من الحسد ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ، إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُم ، أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ  
وَكَيْلًا (٥٤)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا ( أئِذْ آكُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ  
خَلْقًا جَدِيدًا - رَبُّكُمْ ) أيها القوم ( أَعْلَمُ بِكُمْ ) ، ( إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُم ) : فيتوب عليكم برحمته ، حتى  
تنبؤوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر ( وَإِن يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ ) : بأن يخذلكنم عن الإيمان ، فتموتوا  
على شرككم ، فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن عبد الملك بن جريج ، قوله ( رَبُّكُمْ  
أَعْلَمُ بِكُمْ ) ( إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُم ) قال : فتؤمنوا ( أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ ) ، فتؤمنوا ، أو إن يشأ  
يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم .

وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه ، لتدعوه إلى طاعتنا ، ربا ولا رقيبا ، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا ، وبأيدينا صرفهم وتديبرهم ، فإن شئنا رحمتهم ، وإن شئنا عذابناهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَرَبُّكَ ) يا محمد ( أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم ، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة ، ومن هو أهل للعذاب ، أهدي للحق من سبق له منى الرحمة والسعادة ، وأضل من سبق له منى الشقاء والخذلان ، يقول : فلا يكبرن ذلك عليك ، فإن ذلك من فعلي بهم ، لتفضيلي بعض النبيين على بعض ، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق ، وبعضهم إلى الجميع ، ورفعى بعضهم على بعض درجات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ، وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ( اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلم موسى تكليما ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وهو عبد الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داود زبوراً ، كنا نحدث دعاء علمه داود ، تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وغفر محمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ) قال : كلم الله موسى ، وأرسل محمدا إلى الناس كافة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه ، عند ضرر ينزل بكم ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فتدعوهم آلهة ، فإنهم لا يقدرون على ذلك ، ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم . وقيل : إن الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول ، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح ، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ) قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة وعزيرًا ، وهم الذين يدعون ، يعني الملائكة والمسيح وعزيرًا .

## القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) . يقول : يبتغي المدعوون أربابا إلى ربهم القربة والزلفة ، لأنهم أهل إيمان به ، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ( أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) أيهم بصالح أعماله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ( وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ) بأفعالهم تلك ( رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ ) بخلافهم أمره ( عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ ) يا محمد ( كَانَ مَحْذُورًا ) متقيا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في المدعوتين ، فقال بعضهم : هم نفر من الجن .

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، في قوله : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجن ، فأسلم الجن ، وبقى الإنس على كفرهم ، فأنزل الله تعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) يعني الجن .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله في هذه الآية ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) قال : قبيل من الجن كانوا يعبدون ، فأسلموا .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني الحسين ، عن قتادة ، عن معبد ابن عبد الله الزماني ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن مسعود ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فأنزلت ( الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن  
حدث عمه عبد الله بن مسعود ، قال : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ،  
فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ  
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قوم عبدوا الجن ، فأسلم أولئك الجن ، فقال الله تعالى ذكره ( أُولَئِكَ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن  
أبي معمر ، عن عبد الله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : كان نفر  
من الإنس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم النفر من الجن ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فقال ( أُولَئِكَ  
الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم  
عن أبي معمر ، قال : قال عبد الله : كان ناس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم أولئك الجنيون ، وثبتت  
الإنس على عبادتهم ، فقال الله تبارك وتعالى ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) قال : كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا  
من الجن ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا ، فكانوا يبتغون أيهم أقرب ؟  
وقال آخرون : بل هم الملائكة .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوام ، قال : أخبرنا  
قتادة ، عن عبد الله بن معبد الزماني ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كان قبائل من العرب يعبدون صنفا  
من الملائكة يقال لهم الجن ، ويقولون : هم بنات الله ، فأنزل الله عز وجل ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ )  
معشر العرب ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ  
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : الذين يدعون الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة ( أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ  
رَحْمَتَهُ ) حتى بلغ ( إِنَّ عِدَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا ) قال : وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين  
وقال آخرون : بل هم عزير ، وعيسى ، وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ،  
عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ )  
قال : عيسى ، وأمه ، وعزير .



حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : عيسى بن مريم ، وأمه ، وعزير في هذه الآية ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : عيسى ابن مريم ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ) قال : هو عزير ، والمسيح ، والشمس ، والقمر .

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية : قول عبد الله بن مسعود الذي روينا ، عن أبي معمر عنه ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوه المشركون آلهة ، أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن عزير لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ، فبتغى إلى ربه الوسيلة ، وأن عيسى قد كان رُفِعَ ، وإنما يبتغى إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا ، يعمل بطاعة الله ، ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال . فأما من كان لاسبيل له إلى العمل ، فهم يبتغى إلى ربه الوسيلة . فإذا كان لامعنى لهذا القول ، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل ، أو قول من قال : هم الملائكة ، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل . وأما الوسيلة ، فقد بينا أنها القرربة والزلفة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الوسيلة : القرربة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : الوسيلة ، قال : القرربة والزلفة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ، كَانَ ذَلِكَ

فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وما من قرية من القرى ، إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء ، فبيدوهم استئصالا ، قبل يوم القيامة ، أو معذبوهم ، إما ببلاء ، من قتل بالسيوف ، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فبيدوها أو معدّبوها بالقتل والبلاء ، قال : كلّ قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : سيصيبها هذا أو بعضه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مَعَدّبوها ) قضاء من الله كما تسمعون ، ليس منه بدّ ، إما أن يهلكها بموت ، وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل ، إذا تركوا أمره ، وكذبوا رسله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ) قال : مبيدوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : « إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية ، أذن الله في هلاكها » .

وقوله ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وذلك اللوح المحفوظ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) قال : في أم الكتاب ، وقرأ ( لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ ) ويعني بقوله ( مَسْطُورًا ) مكتوبا مبينا ، ومنه قول العجاج :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدّر في الكتّاب الأولى التي كان سطر  
أمرك هذا فاحتفظ فيه الشّهر

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك ، إلا أن من كان قبلهم من الأمم المكذبة ، سألتوا ذلك مثل سؤالهم ، فلما أتاهم ما سألتوا منه ، كذبوا رسلهم ، فلم يصدقوا مع مجيئ الآيات ، فعوجلوا ، فلم نرسل إلى قومك بالآيات ، لأننا لو أرسلنا بها إليها ، فكذبوا بها ، سلكتنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها .

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذه آيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للعجاج بن ربيعة ، من أرجوزة معلولة ، عدة أبياتها ٢٢٩ بيتا ، يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر ، ( انظر ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ من ١٥ - ٢١ ) . وفيه « الكتب » في موضع : « الصحف » . ( فاعلم ) في موضع واعلم . وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٨٣ ) وقال مستور . أي مبينا مكتوبا . وفي روايته النثر ، بفتح النون والتاء وقال : النثر : الخديعة . وفي ( اللسان : نثر ) : والنثر بالتحريك : الفساد والضياع ، قال العجاج : « واعلم . . . الخ » الأبيات .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال ، فيزرعوا ، فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم ، لعلنا نجتني منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألو ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم ، قال : بل تستأني بهم ، فأنزل الله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ) ، وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً .

حدثني إسحاق بن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن بن قول الله تعالى ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ) قال : رحمة لكم أيها الأمة ، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها ، أصابكم ما أصاب من قبلكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون لحمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ، فمنهم من ضحرت له الريح ، ومنهم من كان يحجى الموتى ، فإن سرك أن تؤمن بك ونصدقك ، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا ، فأوحى الله إليه : إني قد سمعت الذي قالوا ، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا ، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن تستأني قومك استأنيت بهم ، قال : يا رب أستأني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ) قال : قال أهل مكة لنبي الله صلى الله عليه وسلم : إن كان ما تقول حقا ، ويسرك أن تؤمن ، فحوّل لنا الصفا ذهبا ، فأناه جبرئيل عليه السلام ، فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت استأنيت بقومك ، قال : بل استأنيت بقومي ، فأنزل الله ( وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ) وأنزل الله عز وجل ( مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْلَهُمْ يَوْمِنُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أنهم سألو أن يحول الصفا ذهبا ، قال الله ( وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ) قال ابن جريج : لم يأت قرية بآية فيكذبوا بها إلا عذبوا ، فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا ، عذبوا ، و « أن » الأولى التي مع مَنَعْنَا ، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها ، وأن الثانية رفع ، لأن معنى الكلام : وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين من الأمم ، فالفعل لأن الثانية .

## القول في تأويل قول تعالى

وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ، وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وقد سألت الآيات يا محمد من قبيل قومك ثمود ، فأتيناها ما سألت ، وجعلنا تلك

الآية ناقة مبصرة ، جعل الإبصار للناقة ، كما تقول للشجرة : موضحة ، وهذه حُجَّة مبينة . وإنما عني بالمبصرة : المضيئة البينة ، التي من يراها كانوا أهل بصر بها ، أنها لله حجة ، كما قيل : والنهار مبصر . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأْتَيْنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مَبْصِرَةً) : أي بيّنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ ذكره ( النَّاقَةُ مَبْصِرَةٌ ) قال : آية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقوله ( فَظَلَمُوا بِهَا ) يقول عزّ وجلّ : فكان بها ظلمهم ، وذلك أنهم قتلوها وعقروها ، فكان ظلمهم بعقروها وقتلها . وقد قيل : معنى ذلك : فكفروا بها ، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله ، أراد : فكفروا بالله بقتلها ، فيكون ذلك وجها .

وأما قوله ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) فإنه يقول : وما نرسل بالعبر والذِّكْر إِلَّا تَخْوِيفًا للعباد . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) وإن الله يخوف الناس بما شاء من آية ، لعلهم يعتبرون ، أو يذِّكِّرون ، أو يرجعون . ذُكِّرْنَا أن الكوفة رُجِفَتْ على عهد ابن مسعود ، فقال : يأبها الناس إن ربكم يستعيبكم فأعتبوه . حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا نوح بن قيس عن أبي رجاء عن الحسن ( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) قال : الموت الذريع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ، وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ اللممونةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على تبليغ رسالته ، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا . يقول جلّ ثناؤه : واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قُدْرَةً ، فهم في قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته ، ونحن مانعوك منهم ، فلا تهيّب منهم أحدا ، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول : أحاط بالناس ، عصمك من الناس .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن الحسن ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : يقول : أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك ، فعرف أنه لا يقتل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : فهم في قبضته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير قوله ( أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : منعك من الناس . قال معمر ، قال قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) قال : منعك من الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ) أى منعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك .

وقوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : هو رؤيا عين ، وهى ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، لما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هى رؤيا عين ، أربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، وليست برؤيا منام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، سئل عن قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هى رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن فرات القراز ، عن سعيد بن جبير ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : كان ذلك ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، فرأى مارأى ، فكذبه المشركون حين أخبرهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : أسرى به عشاء إلى بيت المقدس ، فصلى فيه ، وأراه الله ما أراه من الآيات ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، فقالوا له : يا محمد ما شأنك ، أمسيت فيه ، ثم أصبحت فينا ، نخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ، فعجبوا من ذلك ، حتى ارتد بعضهم عن الإسلام .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوَذَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : قال كفار أهل مكة : أليس من كَذِبِ بن أبي كَدْبِشَةَ أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حُصَيْنٌ ، عن أبي مالك في هذه الآية ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : مسيره إلى بيت المقدس .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : حين أُسْرِيَ به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : ليلة أُسْرِيَ به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس ، حين أُسْرِيَ به ، فكانت تلك فتنة الكافر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) يقول : الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا ارْتَدَّوْا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ حِينَ حَدَّثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَسِيرِهِ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ وَكَذَّبُوا بِهِ ، وَعَجَبُوا مِنْهُ ، وَقَالُوا : مُتَخَدِّثُنَا أَنْكَ سَرْتِ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هو ما أرى في بيت المقدس ليلة أُسْرِيَ به . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ) قال : أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أُسْرِيَ به ، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسْرِيَ به ، قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة ، ثم رجع من ليلته ، فقالت قريش : تعشى فينا وأصبح فينا ، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع ، وأيم الله إن الهداة لتنجيها شهرين شهرا مقبلة ، وشهرا مدبرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قال : هذا حين أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس ، افتتن فيها ناس ، فقالوا : يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة ! وقال : « كَلِمًا أَنَا فِي جَسْرِ كَيْلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ ، لِيَحْمِلَنِي عَلَيْهِ ، صَرَّتْ بِأَذُنَيْهَا ، وَأَنْقَبَبْصُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَتَنْظُرَ إِلَيْهَا جَسْرُ كَيْلٍ ،



فقال : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ ، مَا رَكِبْتُكَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قال : فَصَرَفْتُ بِأُذُنَيْهَا ، وَأَرَفَضْتُ عِرْقًا ، حَتَّى سَالَ مَا تَحْتَهَا ، وَكَانَ مُنْتَهَى خَطِّهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهَا ، فَلَمَّا أَنَاهُمْ بِذَلِكَ ، قَالُوا : مَا كَانَ مُحَمَّدٌ لِيُنْتَهَى حَتَّى يَأْتِيَ بِكَذِبَةٍ تَخْرُجُ مِنْ أَقْطَارِهَا ، فَأَتُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا صَاحِبُكَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ ، فَقَالُوا : تَصَدَّقْهُ إِنْ قَالَ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَرَجَعَ فِي لَيْلَةٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِيْ ، نَزَعَ اللَّهُ عَقُولَكُمْ ، أَصَدَّقَهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ ، وَالسَّمَاءُ أَعْبَدُ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَلَا أَصَدَّقُهُ بِخَبْرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ؟ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ قَدْ جِئْنَا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَصَفَّهُ لَنَا ، فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ ، رَفَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِثْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : هُوَ كَذَا ، وَفِيهِ كَذَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَأَبْيَكُمْ إِنْ أَخْطَأَ مِنْهُ حَرْفًا ، فَقَالُوا : هَذَا رَجُلٌ سَاحِرٌ .

حُدِّثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) يَعْنِي لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَكَانَتْ فِتْنَةً لَهُمْ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ( الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ) قَالَ : حِينَ أُسْرِي بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، بِنَحْوِهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي رَأَى أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ .

#### ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا عَمِي ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلَهُ ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) قَالَ : يُقَالُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْرَ إِلَى مَكَّةَ قَبْلَ الْأَجْلِ ، فَدَعَا الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَتْ أَنَسُ : قَدَرَدَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَيَدْخُلُهَا ، فَكَانَتْ رَجَعَتْهُ فِتْنَتُهُمْ .

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ قَالَ : هِيَ رُؤْيَا مَنْامٍ : إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي مَنْامِهِ قَوْمًا يعلون منبره :

#### ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حُدِّثَتْ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زُبَايَةَ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، قَالَ : «رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي فُلَانٍ يَسْتَزُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزُّوا الْقَبْرَةَ ،

فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، قال : وأنزل الله عز وجل في ذلك ( وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) . . . الآية .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عني به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأى من الآيات والعبر ، في طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أُسرى به ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل ، على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك ، وإياه عني الله عز وجل بها ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس ، إلا فتنة للناس ، يقول : إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام ، لما أُخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام ، وللمشركين من أهل مكة ، الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم ، وكفرا إلى كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ) ٢ .  
وأما قوله ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هي شجرة الزقوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو عبيدة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) قال : شجرة الزقوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) قال : هي شجرة الزقوم . قال أبو جهل : أخوفني ابن أبي كبشة بشجرة الزقوم ، ثم دعا بتمر وزُبد ، فجعل يقول : زقمي . فأنزل الله تعالى ( طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ) ، وأنزل ( وَنُحُوفُهُمْ قَمَاطًا يَنْزِدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ) .

حدثني أبو السائب ويعقوب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد ، ويقولون : ترقموا هذا الزقوم . قال أبو رجاء : فحدثني عبد القدوس ، عن الحسن ، قال : فوصفها الله لهم في الصافات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هود ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : قال أبو جهل وكفار أهل

(١) معناه : لم يره الناس بعدها ضاحكا ضاحكا تماما حتى مات .

(٢) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا .



مكة : أليس من كذب ابن أبي كَبْشَةَ أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة!  
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية  
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال في قوله  
(وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن رجل يقال له بدر ، عن  
عكرمة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال : سئل سعيد بن  
جبير عن الشجرة الملعونة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك العزرمي ، عن سعيد بن جبير  
(الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، بمثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجّل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كان يحلف  
ما يستثنى ، أن الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال :  
سألت سعيد بن جبير ، عن الشجرة الملعونة في القرآن ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة  
عن ابن عباس ، قال : هي الزقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ  
وَنُحُوقُهُمْ) فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) وهي شجرة الزقوم ، خوف الله بها عباده ، فافتتنوا

بذلك ، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام : زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ،  
وإن الله مانعهم الزقوم إلا التمر والزبد ، فتزقموا ، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة :

(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) إني خلقتها من النار ،  
وعذبت بها من شئت من عبادي .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ  
فِي الْقُرْآنِ) قال : الزقوم ، وذلك أن المشركين قالوا : يخبرنا هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ،

حتى لاتدع منه شيئا ، وذلك فتنة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) قال : شجرة الزقوم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) الزقوم التي سألوها الله أن يملأ بيوتهم منها . وقال : هي الصرْفان بالزبد تنزقمه ، والصرْفان : صنف من التمر . قال : وقال أبو جهل : هي الصرْفان بالزبد ، وافتنوا بها .  
وقال آخرون : هي الكَشُوث .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن مولى بني هاشم حدثه ، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أرسله إلى ابن عباس ، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن ؟ قال : هي هذه الشجرة التي تكسوي على الشجرة ، وتجعل في الماء ، يعني الكشوثا .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : عن شجرة الزقوم ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ، ونصبت الشجرة الملعونة عطفًا بها على الرؤيا . فتأويل الكلام إذن : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، والشجرة الملعونة في القرآن ، إلا فتنة للناس ، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد ، وتمادي أهل الشرك في شركهم ، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسرى به ، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه : يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابذة ، والنار تأكل الشجر ، فكيف تنبت فيها وقوله ( وَنَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ) يقول : ونحوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال ، فما يزيدهم نحويفنا إلا طغيانا كبيرا ، يقول : إلا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خوفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم ، دعوا بالتمر والزبد ، وقالوا : تنزقموا من هذا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

وقد تقدم ذكر بعض من قال ذلك ، ونذكر بعض من بقى .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ( الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ) قال : طلعتها كأنه رهوس الشياطين ، والشياطين ملعونون . قال ( وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ) لما ذكرها زادهم افتنانا وطغيانا ، قال الله تبارك وتعالى ( وَنَحْوُفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

(١) الكشوث ، والكشوثا ، والكشوثاء : نبت يتعلق بالأفصان ، ولا عرق له في الأرض . وهي لفظة سوادية ( انظر اللسان والتاج ) .



طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ، لَأَنْ أُخْرَجَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ  
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد تهادى هؤلاء المشركين فى غيبهم ، وارتدادهم عتوا على ربهم ، بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسدا واستكبارا ( لَأَنْ أُخْرَجَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ) وكيف صدقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم . ويعنى بقوله ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ) : واذكر إذ قلنا للملائكة ( اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلَّا إِبْلِيسَ ) فإنه استكبر وقال ( أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ) يقول : لمن خلقته من طين ؛ فلما حذف « من » تعلق به قوله ( خَلَقْتُ ) فنصب ، يفتخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار ، وخلق آدم من طين .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث رب العزة تبارك وتعالى إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذيبها وملحها ، فخلق منه آدم ، فكل شيء خلق من عذيبها ، فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين ، وكل شيء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ؛ ومن ثم قال إبليس ( أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ) : أى هذه الطينة أنا جئت بها ، ومن ثم سئى آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

وقوله ( أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ) يقول تعالى ذكره : أرايت هذا الذى كرمته على ، فأمرتنى بالسجود له ويعنى بذلك آدم ( لَأَنْ أُخْرَجَ ) ، أقسم عدو الله ، فقال لربه : لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيامة ( لِأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : لأستولين عليهم ، ولأستأصلنهم ، ولأستميلنهم ، يقال منه : احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفْتُ جَهْدًا إِلَى جَهْدٍ بِنَا فَأَضْعَفْتُ

وَاحْتَنَكْتُ أَمْوَالَنَا وَجَلَّفْتُ ١

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشعور الرجز ، من الأرجوزة السادسة فى بقية ديوان الزقيان السعدي ( عطاء بن أسيد الراجز ) ، وهى ملحقة بديوان العجاج المطبوع فى ليبرج سنة ١٩٠٣ ص ٦٥ ، مع اختلاف فى رواية بعضها . والبيتان الأولان هما :  
نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ جَلَّفْتُ أَمْوَالَنَا مِنْ أَصْلِهَا وَجَرَفْتُ

أما البيت الثالث فليس فى الأرجوزة . ومعنى أجحفت : أضرت بنا وذهبت بأموالنا ، فلقينا من شدتها جهدا إلى جهد . واحتنكت : قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٤ ) يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع ، من مال أو علم أو حديث أو غيره ؛ أخذه كله واستقصاه . قال : نشكو إليك . . الخ الأبيات . ومعنى جلفت : قشرت ، أو قشرت الجلد مع شيء من اللحم . والأبيات شاهد على أن الاحتنك معناه الاستئصال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (لَا حَتَّيْنِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأحتوينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَا حَتَّيْنِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لأستولين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا حَتَّيْنِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأصلهم ، وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى ، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد ، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣)

يقول تعالى ذكره : قال الله لإبليس إذ قال له (لَسِنَّ أُخْرُتَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا حَتَّيْنِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) : اذهب فقد أخرتك ، فمن تبعك منهم ، يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك ، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم . يقول : ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي . وثوابهم على اتباعهم إياك ، وخلافهم أمرى ، (جزاء موفورا) : يقول : ثوابا مكنثورا مكثلا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا) عذاب جهنم جزاؤهم ، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) قال : وافرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، موفورا ، قال : وافرا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ، وَأَجِيبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ ، وَمَا يَمْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)



يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَاسْتَفْزِرُ ) واستخفف واستجهل . من قولهم : استفز فلانا كذا وكذا ، فهو استفزه ( مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) . اختلف أهل التأويل في الصوت الذى عناه جل ثناؤه بقوله ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) فقال بعضهم : عنى به : صوت الغناء واللعب . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : باللهو والغناء .  
حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر ، عن مجاهد ، فى قوله : ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : اللعب واللهو .  
وقال آخرون : عنى به : ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ ) بدعاثك إياه إلى طاعتك ومعصية الله . ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : صوته كل داع دعا إلى معصية الله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) قال : بدعاثك .  
وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : واستفز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم يخص من ذلك صوتا دون صوت ، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته ، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله ، فهو داخل فى معنى صوته الذى قال الله تبارك وتعالى اسمه له ( وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) .  
وقوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبَلِكَ وَرَجْلِكَ ) يقول : وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك ، والصرف عن طاعنى ، يقال منه : أجنب فلان على فلان إجلا : إذا صاح عليه . والخلبة : الصوت ، وربما قيل : ما هذا الخلب ، كما يقال : الغالبة والغلب ، والشققة والشقوة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ، فى قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبَلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال : كل راكب وماش فى معاصى الله تعالى .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبَلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال : إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونه .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبَلِكَ وَرَجْلِكَ ) قال الرجال : المشاة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية . عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ) قال : خيله : كلّ راكب في معصية الله ، ورجله : كل راجل في معصية الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ) قال : ما كان من راكب يقاتل في معصية الله ، فهو من خيل إبليس ، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس . والرجل : جمع راجل ، كما التجرّ : جمع تاجر ، والصّحْب : جمع صاحب .

وأما قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) فقال بعضهم : هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله ، واكتسابها من غير حلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) التي أصابوها من غير حلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) قال : ما أكل من مال بغير طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : الشرك في أموال الربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد والله شاركهم في أموالهم ، وأعطاهم الله أمورا لأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه ، وهو قول قتادة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) مرهم أن يكسبوا من خبيث ، وينفقوها في حرام .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : كلّ مال في معصية الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : مشاركته إياهم في الأموال والأولاد ، ما زيّن لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) كلّ ما أنفقوا في غير حقّه .



وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك كلُّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يجرِّمون من الأنعام كالبحائر والسواحب ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : الأموال : ما كانوا يجرِّمون من أنعامهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : : مشاركتهم في الأموال : أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) فإنه قد فعل ذلك ، أما في الأموال ، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا .  
قال أبو جعفر : الصواب : حاميا .

وقال آخرون : بل عُنِيَ به ما كان المشركون يذبحونه لأنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) يعني ما كانوا يذبحون لأنهم .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِيَ بذلك كلُّ مال عَصِيَ الله فيه بإنفاق في حرام ، أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسيب ، أو تبخر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه ، وذلك أن الله قال ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ ) فكلُّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعَصِيَ الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض .  
وقوله ( والأولاد ) اختلف أهل التأويل في صفة شركته بنى آدم في أولادهم ، فقال بعضهم : شركته إياهم فيهم ، بزناهم بأمهاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أولاد الزنا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : أولاد الزنا ، يعني بذلك أهل الشرك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : الأولاد : أولاد الزنا .

وقال آخرون : عنى بذلك : وأدهم أولادهم وقتلهموهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : ما قتلوا من أولادهم ، وأتوا فيهم الحرام .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك : صبغهم إياهم في الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم ، فمجسوا ، وهودوا ، ونصروا ، وصبغوا غير صبغة الإسلام ، وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : قد فعل ذلك ، أما في الأولاد ، فإنهم هودوهم ، ونصروهم ، ومجسوهم .  
وقال آخرون : بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح عن ابن عباس ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) قال : شاركته إياهم في الأولاد ، سموا عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : كل ولد ولدته أنثى ، عصى الله بتسميته ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله وأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها ، بفعله به أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه ، لأن الله لم يخصص بقوله ( وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى ، فكل ما عصى الله فيه أو به ، وأطيع به الشيطان أو فيه ، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه .

وقوله ( وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) يقول تعالى ذكره لإبليس : وعِدُّ أتباعك من ذرية آدم ، النصرَةَ على من أرادهم بسوء ، يقول الله ( وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ) لأنه لا يغيث عنهم من عقاب الله ، إذا نزل بهم ، شيئاً ، فهم من عِدَّاته في باطل وخديعة ، كما قال لهم عدو الله حين



حصحص الحق (إن الله وعدكم وعده الحق ، ووعدتكم فأخلفتمكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلو موني وأتوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

يقول تعالى ذكره لإبليس : إن عبادي الذين أطاعوني ، فاتبعوا أمري ، وعصوك يا إبليس ، ليس لك عليهم حجة .

وقوله ( وكفى بربك وكيلًا ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكفاك يا محمد ربك حفظًا ، وقها بأمرك ، فانقد لأمره ، وبلغ رسالته هؤلاء المشركين ، ولا تخف أحدا ، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلًا ) وعباده المؤمنون ، وقال الله في آية أخرى ( إنما سلطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦)

يقول تعالى ذكره للمشركين به : ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر ، فيحملكم فيها ، لنتبعوا من فضله لتوصلوا بالركوب فيها إلى أما كن تجاراتكم ومطالبكم ومعاشكم ، وتلتمسون من رزقه . ( إنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) . يقول : إن الله كان بكم رحيمًا ، حين أجرى لكم الفلك في البحر ، تسهيلًا منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية ، التي لولا تسهيله ذلك ، لكم لصعب عليكم الوصول إليها . وبنحو ما قلنا في قوله ( يُزْجِي لَكُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) يقول : يجرى الفلك .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يسيرها في البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يجرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ) قال : يجريها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ ، فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضلَّ من تدعون : فقدتم من تدعون من دون الله من الأنداد والآفة ، وجار عن طريقكم فلم يغثكم ، ولم تجدوا غير الله مغيثا بغيثكم دعوتوه ، فلما دعوتوه وأغاثكم ، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد ، والبراءة من الآفة ، وإفراده بالألوهة كفرًا منكم بنعمته ( وكان الإنسان كفورًا ) يقول : وكان الإنسان إذا جحد لنعم ربه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)

يقول تعالى ذكره ( أفأمنتم ) أيها الناس من ربكم ، وقد كفرتم نعمته بئجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك ، فلما نجاكم وصرتم إلى البرِّ كفرتم ، وأشركتم في عبادته غيره ( أن يخسف بكم جانب البرِّ ) يعني ناحية البرِّ ( أو يرسل عليكم حاصبًا ) يقول : أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم ، كما فعل بقوم لوط ( ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ) يقول : ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه ، وما يمنعكم منه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرِّ أو يرسل عليكم حاصبًا ) يقول : حجارة من السماء ( ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ) : أي منعة ولا ناصرًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرِّ أو يرسل عليكم حاصبًا ) قال : مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر .



وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ( أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ) إلى : أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَنْضُرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطُنِ مَنَشُورًا

وأصل الحاصب : الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء : الأرض فيها الرمل والحصى الصغار . يقال في الكلام حَصَبَ فلان فلانا : إذا رماه بالحصباء . وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب ، لرميها الناس بذلك ، كما قال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهُنَّ شَمَالًا  
تَرْمِي العِضَاهُ بِحَاصِبٍ مِّنْ ثَلْجِهَا حَتَّى يَبْيِثَ عَلَى العِضَاهِ جَفَالًا<sup>٢</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)

يقول تعالى ذكره : أم أمنتم أيها القوم من ربكم ، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم . أن يعيدكم في البحر تارة أخرى : يقول : مرة أخرى ، والهاء التي في قوله « فيه » من ذكر البحر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أن يعيدكم في تارة أخرى ) :

أي في البحر مرة أخرى ( فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ) وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه ، من قولهم : قَصَفَ فلان ظهر فلان : إذا كسره ( فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ) يقول : فيغرقكم

الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم ، يقول : بكفركم به ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ) يقول : ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ، ولا نائرا يثأرنا بإهلا كنا إياكم . وقيل : تبيعا في موضع التابع ،

كما قيل : علم في موضع علم . والعرب تقول لكل طالب يدم أو دين أو غيره : تبيع . ومنه قول الشاعر :

عَدَاوًا وَعَدَدَاتٍ غَزَلًا لَهُمْ فَكَأَنَّهُنَّ ضَوَامِينُ غُرْمٍ لِّزَهْنٍ تَبِيعُ<sup>٣</sup>

(١) البيت للفردق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد بن المهلب ( ديوانه طبعة الصاوي ٢٦٢ - ٢٦٧ ) . استشهد به المؤلف على أن الحاصب : الريح التي تحمل الحصباء وهي صغار الحصى . والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة ، وأن أصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار ، كما أوضحه المؤلف .

(٢) البيتان للأخطل ( ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١ ) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويفتخر على قيس . والعشار : جمع عشار من الإبل ، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر وهي حامل . وتروحت : أي ذهبت في الرواح وهو المشي إلى حظائرها . والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعامة . والهدج : عدو متقارب . وتكبين : تسقطهن ، يريد تكبين الريح وهي هابة شمالا . والحاصب : ما تنثر من دقاق الثلج . والضمير في ترمى : راجع إلى ريح الشمال . والعصاه : كل شجر له شوك ، أو كل شجرة واسعة الظل ، كثيرة الأفتان ، واحده : عصة . والحفال : ما تراكم من الثلج وتراكب . وهذا الشاهد في معنى الذي قبله .

(٣) البيت : شاهد على أن معنى التبيع في الآية : كل طالب يدم أو دين أو غيره . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٥ ) أي من يتبعنا لكم تبيعا ، ولا طالبا لنا بها . وفي ( اللسان : تبيع ) : والتبيع التابع . وقول القرآن « ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا » :

وبنحو الذي قلنا في القاصف والتببع ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **فَبُرِّسِيلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ** ) يقول : عاصفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قاصفا التي تُغْرِقُ .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَسِيْرًا** ) يقول نصيرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال محمد ثاثر ، وقال الحارث نصيرا ثاثر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( **لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَسِيْرًا** ) قال : ثاثر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَسِيْرًا** ) أي لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( **لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَسِيْرًا** ) أي لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك ، والثارة : جمعه تارات وتير ، وأفعلت منه : أترت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

• **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ**

**عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)**

يقول تعالى ذكره ( **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق ، وتسخيرنا سائر الخلق لهم ( **وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ** ) على ظهور الدواب والمراكب ( **و** ) في ( **الْبَحْرِ** ) في الفلك التي سخرناها لهم ( **وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ** ) يقول : من طيبات المطاعم والمشارب ، وهي حلالها ولذيتها ( **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ) ذكر لنا أن ذلك : تمكثهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ، ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق .

قال الفراء : أي ثاثر ولا طالبا بالثأر ، لإغراقنا إياكم . وقال الزجاج : معناه : لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم ، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم . وقيل : تبعا : مطالبا . ومنه قوله تعالى : « فاتباع بالمعروف ، وأداء إليه بإحسان » يقول : على صاحب الدم اتباع بالمعروف ، أي المطالبة بالدية ، وعلى المطالب أداء إليه بإحسان .



كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) . . . الآية ، قال ( وَقَفَّضْنَا هُمْ ) في اليمين يأكل بهما ، ويعمل بهما ، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، في قوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) قال : قالت الملائكة : يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ، وينعمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في الآخرة ، فقال : وعزتي لأجعل ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له كمن فكان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ، فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ  
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)

اختلف أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به ، فقال بعضهم : هو نبيه ، ومن كان يستدري به في الدنيا ويتأتم به .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال : نبيهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ ) قال الإمام : ما عمل وأمل ، فكتب عليه ، فمن بعث متفيا لله جعل كتابه بيمينه ، فقرأه واستبشر ، ولم يظلم فتيلًا ، وهو مثل قوله ( وَإِلَهُمَا رَبٌّ مُبِينٌ ) والإمام : ما أمل وعمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ) قال : بأعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : بكتابتهم الذي فيه أعمالهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ) يقول : بكتابتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : بأعمالهم .

وقال آخرون : بل معناه : يوم ندعو كل أناس بكتابتهم الذي أنزلت عليهم فيه أمرى ونهى .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت يحيى بن زيد في قول الله عز وجل ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ) قال : بكتابتهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه ، والذي عليه يحاسبون ، وقرأ ( لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ) قال : الشريعة : الدين ، والمنهاج : السنة ، وقرأ ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ) قال : فنوح أولهم ، وأنت آخرهم .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمامِهِمْ ) : بكتابتهم .

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به ، ويأتمون به في الدنيا ، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما أتم واقتدى به ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ، ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها .

وقوله ( قَمِينَ أَوْ قِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ) يقول : فن أعطى كتاب عمله بيمينه ( فَأُولَئِكَ يَبْقَرُونَ كِتَابَهُمْ ) ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ( وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ) يقول تعالى ذكره : ولا يظلمهم الله من جزء أعمالهم فتيلًا ، وهو المنفصل الذي في شق بطن النواة . وقد مضى البيان عن الفتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ) قال : الذي في شق النواة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

يختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله هذه ، فقال بعضهم : أشير بذلك إلى النعم التي



عددها تعالى ذكره بقوله ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) فقال ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا )

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : سئل عن هذه الآية ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فقال : قال ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) قال : من عمى عن شكر هذه النعم في الدنيا ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه ، فهو في الآخرة أعمى .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ) يقول : من عمى عن قدرة الله في الدنيا ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي هَذِهِ أَعْمَى ) قال : الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ) يقول : من كان في هذه الدنيا أعمى عما عين فيها من نعم الله وخلقته وعجائبه ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى . حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ) في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم ( فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ) الغائبة التي لم يرها ( أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسئل عن قول الله تعالى ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) فقرأ ( إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ - وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) . وقرأ ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ) ، وقرأ حتى بلغ ( وَكَهْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهِ قَانِثُونَ ) قال : كل له مطيعون ، إلا ابن آدم . قال : فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا ، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى ، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلا .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى

عن حجج ، الله على أنه المنفرد بخلقها وتديرها ، وتصريف ما فيها ، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها ، وفيها هو كائن فيها ، أعمى وأصل سبيلا : يقول : وأصل طريقا منه في أمر الدنيا ، التي قد عاينها ورآها . وإنما قلنا : ذلك أولى تأويلاته بالصواب ؛ لأن الله تعالى ذكره لم يخص في قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ ) الدنيا ( أعمى ) عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها ، دون بعض ، فيوجه ذلك إلى عماء عن نعمه بما أنعم به عليه ، من تكريمه بنى آدم ، وحمله إياهم في البر والبحر ، وما عدّد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم ، بل عم بالخبر عن عماء في الدنيا ، فهم كما عمّ تعالى ذكره .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( فَهَوَ فِي الْآخِرَةِ أعمى ) فكسرت القراءة جميعا ، أعنى الحرف الأول ، قوله ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أعمى ) . وأما قوله ( فَهَوَ فِي الْآخِرَةِ أعمى ) فإن عامة قراءة الكوفيين أمالت أيضا قوله فهو ( فِي الْآخِرَةِ أعمى ) ، وأما بعض قراءة البصرة فإنه فتحه ، وتأوله بمعنى : فهو في الآخرة أشدّ عمى . واستشهد لصحة قراءته بقوله ( وَأَصْلٌ سَبِيلًا ) .

وهذه القراءة : هي أولى القراءتين في ذلك بالصواب ، للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك ، وإنما كره من كره قراءته كذلك ، ظنا منه أن ذلك مقصوده قصد عمى العينين ، الذي لا يوصف أحدا بأنه أعمى من آخر أعمى ، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت ، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر ، إلا بإدخال أشدّ أو أبين ، فليس الأمر في ذلك كذلك ؟

وإنما قلنا : ذلك من عمى القلب ، الذي يقع فيه التفاوت ، وإنما عبّئ به عمى قلوب الكفار ، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم ، فلذلك جاز ذلك وحسن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن  
بجاهد ( فَهَوَ فِي الْآخِرَةِ أعمى ) قال : أعمى عن حجته في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ، وَإِذَا لَا تَجِدُكَ

خَلِيلًا (٧٣)

يختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره ، فقال بعضهم : ذلك الإنمام بالآلهة ، لأن المشركين دعّوه إلى ذلك ، فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود ، فثنته قريش ، وقالوا : لاندعنه حتى يلجم بالهتنا ، فحدث نفسه ، وقال : ما على أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلجم الحجر ، والله يعلم أتي لها كاره ، فأبى الله ، فأنزل الله ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ) الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وكولوا أن ثبتتلك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ) ذكر لنا أن قريشا دخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح ، يكلّمونه ويفخّمونه ويسوّدونه ويقاربونه ، وكان في قولهم أن قالوا : إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا ، فما زالوا يكلّمونه حتى كاد أن يقارفهم ، ثم منعه الله وعصمه من ذلك ، فقال ( وكولوا أن ثبتتلك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لتفترى علينا غيره ) قال : أطافوا به ليلة ، فقالوا : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض ما يريدون ، فهم أن يقارفهم في بعض ما يريدون ، ثم عصمه الله ، فذلك قوله ( لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ) الذي أرادوا ، فهم أن يقارفهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالوا له : أنت آفنتنا فامسستها ، فذلك قوله ( شيئاً قليلاً ) .

وقال آخرون : إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن ينظر قوماً بإسلامهم إلى مدة سألوهم الإنظار إليها .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ) ، وإذا لا تخدوك خليلاً ) وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أجلتنا سنة حتى يهتدي لأهتنا ، فإذا قبضنا الذي يهتدي لأهتنا أخذناه ، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ، وأن يؤجلهم ، فقال الله ( وكولوا أن ثبتتلك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ) .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ، ليعمل بغيره ، وذلك هو الافتراء على الله ؛ وجائر أن يكون ذلك ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه إلى أن يمس آلهتهم ، ويلجم بها ، وجائر أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ، ومسألهم إياه ما سألوهم مما ذكرنا ؛ وجائر أن يكون غير ذلك ، ولا بيان في الكتاب ، ولا في خبر يقطع العذر ، أي ذلك كان ، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا ، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره ، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ، ببيان ما عسى بذلك منه .

(١) يقارفهم : يقارجم ويدانهم (اللسان) .

وقوله ( وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ وَكُتِبَ عَلَيْكَ إِتْمَانًا ، وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ ) يقول تعالى ذكره : ولو فعلت ما دعوك إليه ، من الفتنة عن الذي أوحينا إليك ، لآخذوك إذن لأنفسهم خليلا ، وكنت لهم وكانوا لك أولياء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن ثبتناك يا محمد ، بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة ، ( لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ) يقول : لقد كدت تميل إليهم ، وتطمئن شيئا قليلا ، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم هم به ، من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكر ، حين نزلت هذه الآية ، ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكليتي إلى نفسي طرفة عيني

القول في تأويل قوله تعالى

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره : لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلا فيما سألوك ، إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) يعني : ضعف عذاب الدنيا والآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( ضِعْفَ الْحَيَاةِ ) قال : عذابها ( وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) قال : عذاب الآخرة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) : أي عذاب الدنيا والآخرة .

حدثنا محمد . قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة . ( ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ )

قال : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) يعنى : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .  
 وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله ( إِذَا لَا ذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ) مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة ( وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ) فهما عذابان ، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة . وقوله ( ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ) يقول : ثم لا تجد لك يا محمد - إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم ، عذاب الحياة وعذاب الممات - علينا نصيرا يتصرك علينا ، ويمنعك من عذابك ، وينقلك مما نالك منا من عقوبة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُوْنَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيْلًا (٧٦)

يقول عز وجل : وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزوا بك من الأرض : يقول : ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ، ليخرجوك منها ( وَإِذَا لَا يَلْبَثُوْنَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيْلًا ) يقول : ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا ، حتى أهلكهم بعذاب عاجل .

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض ، وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها ، فقال بعضهم : الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود ، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرَمِيّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أرض الأنبياء أرض الشام ، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، فأنزله الله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوْكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا ) .  
 وقال آخرون : بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا ، والأرض مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوْكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا ) ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُوْنَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيْلًا ) وقد هم أهل مكة بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ولو فعلوا ذلك لما توطئوا ، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره ، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبي الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر .  
 حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَيَسْتَفِزُّوْكَ مِنَ الْأَرْضِ ) قال : قد فعلوا بعد ذلك ، فأهلكهم الله يوم بدر ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا ، حتى أهلكهم الله يوم بدر . وكذلك كانت سنة الله في الرسل ، إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : لو أخرجت قريش محمدا لعدّوا بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ : قول قتادة ومجاهد ، وذلك أن قوله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِيزُوكَ مِنَ الْأَرْضِ ) في سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر ، فيوجه قوله ( وَإِنْ كَادُوا ) إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبرا عن جري له ذكر ، أولى من غيره . وأما القليل الذي استثناه الله جل ذكره في قوله ( وَإِذْ لَا يَكْفُرُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) ، فإنه فيما قيل ، ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَإِذْ لَا يَكْفُرُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر ، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَإِذْ لَا يَكْفُرُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر ، فأخذهم بالعذاب يوم بدر ، وعيّن بقوله خلافاك : بعدك ، كما قال الشاعر :  
 عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَهَا فَكَأَنَّهَا بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا  
 يعني بقوله : خلافاها : بعدها . وقد حكى عن بعضهم أنه كان يقرؤها : خلافاك . ومعنى ذلك ، ومعنى الخلافا في هذا الموضع : واحد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

يقول تعالى ذكره : لو أخرجوك لم يلبثوا خلافاك إلا قليلا ، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا ، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، فإننا كذلك كنا نفعّل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله ( لَا يَكْفُرُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) لأن معنى ذلك : لعدّناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به .

(١) البيت للحارث بن خالد الخزومي (اللسان : خلف) . شاهد على أن خلافاك بمعنى بعدك . وقد سبق استشهاد المؤلف به عند تفسير قوله تعالى « فرح الخلفون بمقدمه خلافا رسول الله » (الجزء ١٠ : ٢٠٠) . ورواية المؤلف هنا تختلف عنها عند الآية من سورة التوبة ، ففيها « عقب الربيع خلافاهم فكأنما » . وفي (اللسان : عقب) : « عقب الرذاذ خلافاهم فكأنما » . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٨٧) « عقب الديار خلافاهم فكأنما » .



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( سُنَّةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّنْ رُّسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ) : أي سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك ، إذا كذبوا رسلهم وأخرجوهم ، لم يناظروا إن الله أنزل عليهم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا (٧٨)

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أقيم الصلاة ) يا محمد ( ليدلوك الشمس ) .  
واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس ، فقال بعضهم : هو وقت غروبها ،  
والصلاة التي أمر بإقامتها حينئذ : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني وأصل بن عبد الأعلى الأسدي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبي إسحاق ، يعني الشيباني ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، أنه كان مع عبد الله بن مسعود ، على سطح حين غربت الشمس ، فقرأ ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : والذي نفسى بيده إن هذا لخير من ذلكت الشمس ، وأفطر الصائم ، ووقت الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عتبة بن عبد الغافر ، أن أبا عبيدة بن عبد الله ، كتب إليه أن عبد الله بن مسعود ، كان إذا غربت الشمس صلى المغرب ، ويفطر عندها إن كان صائماً ، ويقسم عليها بما يقسمه على شيء من الصلوات ، بالله الذي لا إله إلا هو إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) .  
حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : هذا دلوك الشمس ، وهذا غسق الليل ، وأشار إلى المشرق والمغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : دلوك الشمس : غروبها ، يقول : ذلكت براح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله ، أنه قال : حين غربت الشمس ذلكت ، يعني براح مكانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ،

عن ابن عباس ، قال : دلوكها : غروبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصلها إذا وجبت ، وعندها يفطر إذا كان صائماً ، ثم يقسم عليها قسمها لا يقسمه على شيء من الصلوات ، بالله

الذي لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ثم يقرأ ويصليها ، وتصديقها من كتاب الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : كان أبي يقول : دلوكها : حين تريد الشمس تغرب ، إلى أن يغسق الليل ، قال : هي المغرب حين يغسق الليل ، وتدلوك الشمس للغروب .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس ، ويحلف أنه الوقت الذي قال الله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله حين غربت الشمس : هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة . وقال : دلوكها : غروبها .

وقال آخرون : دلوك الشمس : ميلها للزوال ، والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها : الظهر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : دلوكها : ميلها ، يعني الشمس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، في قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : دلوكها : ميلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة ، عن أبي برزة الأسلمي ، قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) قال : إذا زالت .

حدثنا ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : أنبت أبا برزة ، فسأله والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا : ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : الظهر دلوكها ، إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء .



حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر في ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) قال : لزوال الشمس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن عباس ، قال : دلوك الشمس : زيغها بعد نصف النهار ، يعني الظل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : دلوك الشمس ، قال : حين تزيغ عن بطن السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء ، لصلاة الظهر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لدلوك الشمس ) قال : حين تزيغ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : دلوك الشمس : حين تزيغ .

وهذا وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بقوله ( أقيم الصلاة لدلوك الشمس ) : صلاة الظهر ، وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل ، يقال منه : ذلك فلان إلى كذا : إذا مال إليه . ومنه الخبر الذي روى عن الحسن ، أن رجلا نال له : أيئد إليك الرجل امرأته ؟ يعني بذلك : أيميل بها إلى المماطلة بحقها ؟ ومنه قول الراجز :

هَذَا مَقَامٌ قَدَّمَى رِبَاحٍ غُدُوَّةَ حَتَّى دَلَكْتُ بِرَاحٍ ١

ويروى : بَرَّاحٍ بفتح الباء ، فمن روى ذلك بَرَّاحٍ ، بكسر الباء ، فإنه يعني : أنه يضع الناظر كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما بقي من غيباتها . وهذا تفسير أهل الغريب : أبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني

(١) الراجز من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ص ١٨١ ) وروايته فيه : « ذب » في موضع « غدوة » وهي كرواية ( اللسان : برح ) . قال الفراء : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » : جاء عن ابن عباس قال : هو زيغها وزوالها للظهر . قال أبو زكريا : ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس ، أنشدني بعضهم : « هذا مقام . . . البيت » : يعني الساق - ذب - طرد الناس براح : يقول حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ؟ قال : هكذا فسروه لنا . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٧ ) : ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب . وقال : « هذا مقام . . . البيت . ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما بقي من غيباتها . والدلوك دنوها من غيباتها . وقال أبو زيد الأنصاري في النوادر ( ص ٨٨ ) : ويقال : دلكت براح وبراح ( بفتح الباء وكسر الحاء ، أو ضمها ) وهو اسم للشمس معروف . قال الراجز .

هَذَا مَقَامٌ قَدَّمَى رِبَاحٍ غُدُوَّةَ حَتَّى دَلَكْتُ بَرَّاحٍ

قال أبو حاتم : براح : أي براحة . وفي ( اللسان : برح ) : وبراح وبراح ( بالياء مفتوحة وكسر الحاء وضمها ) : اسم للشمس معرفة ، مثل قطام ، سميت بذلك لانتشارها وبيانها .

وغيرهم . وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال حين غربت الشمس : دلكت براح ، يعني : براح مكانا ، ولست أدري هذا التفسير ، أعنى قوله : براح مكانا ، مين كلام من هو ممن في الإسناد ، أو من كلام عبد الله ، فإن يكن من كلام عبد الله ، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب ، الذين ذكرت قولهم . وأن الصواب في ذلك قوله ، دون قولهم ؛ وإن لم يكن من كلام عبد الله ، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج ، وهو قوله :

والشَّمْسُ قَدِ كَادَتْ تَكُونُ دَنْقًا أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَنْزَحَلْنَ

فأخبر أنه يدفع شعاعها ، لينظر إلى مغيبها براحه . ومن روى ذلك بفتح الباء ، فإنه جعله اسما للشمس ، وكسر الحاء ، لإخراجه إياه على تقدير قَطَامٍ وَحَدَامٍ وَرَقَاشٍ ، فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل ، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَدُلُّوكَ ، الشَّمْسُ ، حِينَ زَالَتْ ، فَصَلِّ فِي الظُّهْرِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميمة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحي ، قال : قال أبو برزقة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « دعوت نبي الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اخرج يا أبا بكر ، قد دلكت الشمس » .

حدثني محمد بن عثمان الرازي ، قال : ثنا سهل بن بكّار ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود بن قيس . عن نُبَيْحِ الْعَبَّازِيِّ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث ابن حميد . فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا ، فبين إذن أن معنى قوله جل ثناؤه ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما ، مما أوجب الله عليك فيهما ، لأنهما

(١) البيتان من مشطور الرجز للعجاج ( ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٢ من أرجوزة عدتها ٨١ بيتا ) وهي في زوائد الديوان ، لافي أصله . وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٨٨ ) قال : في دلوك الشمس : ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه من شعاعها ، لينظر ما بقى من غياها ، والدلوك دنوها من غيوبتها ، قال العجاج : « والشمس . . . الخ . . . » . وفي ( اللسان : تزحلت ) ويقال للشمس إذا مالت للمغيب ، إذا زالت عن كبد السماء نصف النهار : قد تزحلت . قال العجاج : « والشمس . . . الخ . . . » .



الصلتان اللتان فرضهما الله على نبيه ، من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل ؛ وغسق الليل : هو إقباله ودنوه بظلامه ، كما قال الشاعر :

أَبَ هَذَا اللَّيْلِ إِذْ غَسَقًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده ، فقال بعضهم : الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : غسق الليل : بدؤ الليل .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية : ( أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل ) قال : بدؤ الليل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : غسق الليل : غروب الشمس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( غسق الليل ) : صلاة المغرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إلى غسق الليل ) بدؤ الليل لصلاة المغرب . وقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تنزال طائفة من أممتي على الفطرة ، ما صلوا صلاة المغرب قبل أن تبسبوا النجوم » .  
حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إلى غسق الليل ) يعني ظلام الليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يقول ( غسق الليل ) : ظلمة الليل .

وقال آخرون : هي صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبي جعفر ( إلى غسق الليل ) : قال : صلاة العصر .

(١) هذا صدر بيت ، لعبيد الله بن قيس الرقيات . وعجزه « واشتكيت الهم والأرقا » واستشهد به على أن معنى « غسق الليل » : ظلامه . ( مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٨٨ ) ورواية أبي عبيدة : « إن هذا الليل قد غسقا » وتؤيدها رواية المسان أيضا . قال : غسق الليل يغسق ( كيقضب ) غسقا وغسقانا ، وأغسق : عن ثعلب : انصب وأظلم ، ومنه قول ابن الرقيات : « إن هذا الليل قد نسقا » .

بِهِ وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : قَوْلٌ مِنْ قَالٍ : الصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقَامَتِهَا عِنْدَ غَسَقِ اللَّيْلِ ، هِيَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ دُونَ غَيْرِهَا ، لِأَنَّ غَسَقَ اللَّيْلِ هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَظِلَامِهِ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ . فَأَمَّا صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَإِنَّهَا مِمَّا تَقَامُ بَيْنَ ابْتِدَاءِ دُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ غَسَقَ اللَّيْلِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) فَإِنَّ مَعْنَاهُ : وَأَقِمِ قُرْآنَ الْفَجْرِ : أَيِ مَا تَقْرَأُ بِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنَ مَعْطُوفٌ عَلَى الصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ ( أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ) .

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : نَصَبَ قَوْلُهُ ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) عَلَى الْإِغْرَاءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَلَيْكَ قُرْآنَ الْفَجْرِ ( إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) يَقُولُ : إِنْ مَا تَقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقُرْآنِ . كَانَ مَشْهُودًا ، يَشْهَدُهُ - فِيمَا ذُكِرَ - مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ .

وَبِالذِّي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ النَّاوِيلِ ، وَجَاءَتِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

#### ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ أَصْبَاطِ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُرَشِيِّ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قَالَ : تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثَنَا آدَمُ ، قَالَ : ثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَسْكَرٍ ، قَالَ ثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْثَمٍ ، قَالَ : ثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ زِيَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ : فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ ، يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، فَيَمْنَحُو مَا يَشَاءُ وَيُسْبِطُ ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهِيَ دَارَةُ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ ، وَلَا تَحْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَهِيَ مَسْكُونَةٌ ، وَلَا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرُ ثَلَاثَةٍ : النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكَ ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرُوحِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فَتَنْتَفِضُ ، فَيَقُولُ قَوْلِي بَعْوَتِي ، ثُمَّ يَطَّلِعُ إِلَى عِبَادِهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ ، مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ حَتَّى يَطَّلِعَ الْفَجْرُ ، فَذَلِكَ يَقُولُ ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) . قَالَ مُوسَى فِي حَدِيثِهِ : شَهِدَهُ اللَّهُ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ . وَقَالَ ابْنُ عَسْكَرٍ فِي حَدِيثِهِ : فَيَشْهَدُهُ اللَّهُ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدَى ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عُقَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ ، قَالَ :

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْدِثُ أَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ عِنْدَهَا يَجْتَمِعُ الْحَرَّاسَانُ مِنَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ ، وَيَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا )



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) وقرآن الفجر : صلاة الصبح ، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحراسان من ملائكة الله حراس الليل وحراس النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) صلاة الفجر . وأما قوله ( كَانَ مَشْهُودًا ) فإنه يقول : ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : أنه قال في هذه الآية ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : تنزل ملائكة النهار ، وتصعد ملائكة الليل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن أبي عبيدة ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : كانوا يقولون : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، فتشهد فيها جميعا ، ثم يصعد هؤلاء ، ويقم هؤلاء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) يعني صلاة الصبح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) قال : صلاة الصبح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) : صلاة الصبح ( إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) : يعني صلاة الغداة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ) قال : صلاة الفجر . ( إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : مشهودا من الملائكة فيما يذكرون . قال : وكان علي بن

أبي طالب ، وأبي بن كعب يقولان : الصلاة الوسطى التي حض الله عليها : صلاة الصبح . قال : وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر : صلاتا النهار ، والمغرب والعشاء : صلاتا الليل ، وهي بينها ، وهي صلاة نوم ، ما نعلم صلاة يُغْفَل عنها مثلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن الحريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

الحضري ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده ، إن هذه الآية ( وَقُرْآنَ  
الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ ، كَانَ مَشْهُودًا ) إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة .

حدثني الحسن بن علي بن عباس ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرني أبي ، عن الزهري ، قال  
ثني سعيد بن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ » ، ثم يقول أبو هريرة :  
أقرءوا إن شئتم ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ  
الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ) قال : صلاة الفجر ، تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ، عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن . نافلة  
لك خالصة ، دون أمتك . والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة من الليل . وأما المجهود نفسه : فالنوم ، كما  
قال الشاعر :

ألا طرقتنا والرفاقُ هجُودُ      فباتت بعُلاتِ التَّوَالِ تَجُودُ<sup>١</sup>  
وقال الحطبيته :

ألا طرقتُ هيندُ الهنُودِ وُصْبِي      بحورانِ حورانِ الجُنُودِ هجُودُ<sup>٢</sup>  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن مجاهد بن  
يزيد ، عن أبي هلال ، عن الأعرج : أنه قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن رجل من  
الأنصار « أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فقال : لأنظرن كيف يصلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، قال : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استيقظ ، فرفع رأسه إلى السماء ، فتلا

(١) البيت لم أفت على قائله . وهجود : يجوز أن يكون مصدر هجد هجودا : إذا نام ، ويكون المراد منه : والرفاق ذوو هجود  
أوالرفاق هاجدون ، فيكون بمعنى المشتق ، ويجوز أن يكون هجود جمعا لها جد ، بلا تأويل ، كقعود جمع قاعد ، وجلوس جمع جالس ،  
وحضور جمع حاضر . والعلات : جمع علة ، اسم للمرأة من العل ، وهو السق الثاني بعد الأول . والتوال : ما يعطيه الحبيب حبيبه  
من ثمرة الحب .

(٢) البيت للحطبيته ( ديوانه طبعه الحميدية ص ١٠٣ ) . وقال شارحه : كل كورة من كور الشام : جند . وهجود : جمع  
هاجد ، وهو التائم ، ومثله قعود : جمع قاعد . ومحل الشاهد أن المجهود فى الآية معناه : النوم ؛ كما فى بيت الحطبيته . مصدر هجد  
هجد هجودا إذا نام . ويكون المصدر فى معنى المشتق ، أو يكون على معنى : والرفاق « ذوو هجود » ، ثم حذف المضاف ، وأقيم  
المصدر مقامه .



أربع آيات من آخر سورة آل عمران ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) حتى مرّ بالأربع ، ثم أهوى إلى القربة ، فأخذ سواكاً فاستنّ به ، ثم توضأ ، ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ فصنع كصنعه أوّل مرّة ، ويزعمون أنه التهجّد الذي أمره الله :

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سعيد ، عن أبي إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن علقمة والأسود أنهما قالوا : التهجّد بعد نومة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، قال : التهجّد : بعد نومة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن علقمة ، الأسود ، بمثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : التهجّد : بعد النوم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : التهجّد : ما كان بعد العشاء الآخرة .

حدثت عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن كثير بن العباس ، عن الحجاج بن عمرو ، قال : إنما التهجّد بعد رقدة .

وأما قوله ( نَافِلَةٌ لَكَ ) فإنه يقول : نفلا لك ، عن فرائضك التي فرضتها عليك .

واختلاف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع كون صلاة كلّ مصلّ بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلا ، إذ كانت غير واجبة عليه . فقال بعضهم : معنى خصوصه بذلك : هو أنها كانت فريضة عليه ، وهي لغيره تطوع ، وقيل له : أقمها نافلة لك : أي فضلا لك ، من الفرائض التي فرضتها عليك ، عما فرضت على غيرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ) يعني بالنافلة أنها للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، أمر بقيام الليل ، وكتب عليه :

وقال آخرون : بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام ، لأنه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيئا من الذنوب ، لأن الله تعالى كان قد غفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فكان له نافلة فضل ، فأما غيره فهو له كفارة ، وليس هو له نافلة :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فأعمل من عمل سوى المكتوبة ، فهو نافلة ، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل وزيادة ، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها ، فليست للناس نوافل :

وأولى القولين بالصواب في ذلك : القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل ، دون سائر أمته . فأما ما ذُكِرَ عن مجاهد في ذلك ، فقول لامعني له ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكِرَ عنه ، أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ( لِيَسْتَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ) وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وأنزل عليه ( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ) عام قُبَيْض . وقيل له فيها ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ) فكان يعد له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد استغفار مئة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر ، إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك ، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن عطية ، عن شهر ، عن أبي أمامة ، قال : إنما كانت النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( نافلة لك ) قال : تطوعا وفضيلة لك :

وقوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) وعسى من الله واجبة ، وإنما وجه قول أهل العلم : عسى من الله واجبة ، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه ، من الجزاء على أعمالهم ، والعوض على طاعتهم إياه ، ليس من صفته الغرور ، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه ، إذا هو تعاهده ولزومه ، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ، ثم لم ينفعه ، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه ، مع الإطماع الذي تقدم منه لصاحبه ، على تعاهده إياه ولزومه ، فإنه لصاحبه غار ، بما كان من إخلافه إياه ، فيما كان أطمعه فيه ، بقوله الذي قال له . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده ، صحح ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته ، أو على فعل من الأفعال ، أو أمر أو نهي أمرهم به ، أو نهاهم عنه ، فإنه موف لهم به ، وإنه منه كالعادة التي لا يُخْلَفُ الوفاء بها ، قالوا : عسى ولعل من الله واجبة .

وتأويل الكلام : أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها ، ومن الليل فهجد ، فرضا فرضته عليك ، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده ، وتغبط فيه : ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو



يقوم به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ، ليريجهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زُفر ، عن حذيفة ، قال : « يجمع الناس في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادى : يا محمد ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هدّيت ، عبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك ربّ البيت . فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زُفر ، عن حذيفة ، قال : « يُجمع الناس في صعيد واحد ، فلا تكلم نفس ، فأول ما يدعو محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقوم محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : لبيك ، ثم ذكر مثله . »

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها ، قال : ثم يؤمر بالصراط ، فيضرب على جسر جهنم ، فيمرّ الناس بقدر أعمالهم ، يمرّ أولهم كالبرق ، وتمرّ الرياح ، وتمرّ الطير ، وكأسرع البهائم ، ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعيا ، ثم مشيا ، حتى يجيء آحرهم يتلبّط على بطنه ، فيقول : ربّ لِمَا أَبْطَأْتُ فِي ؟ فيقول : إني لم أبطئ بك ، إنما أبطأ بك عملك . قال : ثم يأذن الله في الشفاعة ، فيكون أول شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام ، روح القدس ، ثم إبراهيم خليل الرحمن ، ثم موسى ، أو عيسى . قال أبو الزعراء : لا أدري أيهما قال : قال : ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا ، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه ، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن في قول الله تعالى ( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : شفاعة محمد يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن

سلمان ، قال : هو الشفاعة ، يشفعه الله في أمته ، فهو المقام المحمود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) ، وقد ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، أَوْ مَلَكًا نَبِيًّا ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْ تَوَاضَعَ ، فَأَخْتَارَ نَبِيَّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا نَبِيًّا . فَأَعْطَى بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثِينَ : أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ . وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَسْرُونَ أَنَّهُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : هي الشفاعة ، يشفعه الله في أمته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر والثوري ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال : سمعت حذيفة يقول في قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : يجمع الله الناس في صعيد واحد ، حيث يُسْمَعُهُم الداعي ، فَيَسْتَفْذُهُمُ الْبَصْرُ حُفَاةَ عُرَاةٍ كَمَا خَلِقُوا ، سَكُونًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِلَاذِنِهِ ، قال : فينادي محمد ، فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمَهْدَى مِنْ هَدَايَتِ ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ . قال : فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، قال حذيفة : « يجمع الله الناس في صعيد واحد ، حيث يَسْتَفْذُهُمُ الْبَصْرُ ، وَيُسْمَعُهُمُ الداعي ، حُفَاةَ عُرَاةٍ كَمَا خَلِقُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقُومُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه ، هو أن يقاعده معه على عرشه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) قال : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما صحَّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن داود بن يزيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) سَأَلْتُ عَنْهَا ، قَالَ : هِيَ الشَّفَاعَةُ . »

حدثنا علي بن حرب ، قال : ثنا مكِّي بن إبراهيم ، قال : ثنا داود بن يزيد الأودي ، عن أبيه ،



عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم « في قوله (عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي . »

حدثنا أبو عتبة الحمصي أحمد بن القسرج ، قال : ثنا بقية بن الوليد، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْتَسِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ ، فَيَكْسُونِي رَبِّي حِلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُوْذَنُ لِي ، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنا الليث ، عن عبيد الله ابن أبي جعفر ، أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الشَّمْسُ لَتَقْدُنُّوْ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ ، فَيَبْتَسِمَا هُمُ كَذَلِكَ اسْتِغَاثُوا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ صَاحِبَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَمُوسِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ، فَيَسْتَفْعُ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَمْسِي حَتَّى يَأْخُذَ بِخَلْقَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَوْمئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَّحْمُودًا . »

حدثني أبو زيد عمر بن شببة ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، عن علي بن الحكم ، قال : ثنا عثمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود وعلقمة ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَقُومَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا ذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ حِفَاةَ عِمْرَاءَ غُرْلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيُوْذَنُ بِرِبْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ ، فَيَلْبَسُهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ ، ثُمَّ أَوْتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسَهَا ، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرِي ، يَغِيْطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعٌ قَدَّمَ بِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى ، وَجَسْبَرْتِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللَّهُ مَا رَأَاهُ قَبْلَهَا ، فَأَقُولُ : أَيُّ رَبِّ إِنْ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ ، ثُمَّ أَشْفَعُ ، قَالَ : فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : « ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ : يَا رَبَّ عِبَادِكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن آدم ، عن علي ، قال : سمعت ابن عمر يقول : « إِنْ النَّاسَ يَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَجِيءُ مَعَ كُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ ، ثُمَّ يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم في آخر الأمم هو وأمه ، فيرقى هو وأمه على كئوم فوق الناس ، فيقول : يا فلان اشفع ، ويا فلان اشفع ، ويا فلان اشفع ، فما زال يردّها بعضهم على بعض ، يرجع ذلك إليه ، وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا حبيوة وربيعة ، قالوا : ثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ ، فَبِكِسُوفِي رَجِي عَزٌّ وَجَلٌّ حَلَّةٌ خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤَذَّنُ لِي ، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ » .

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) ، لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، قول غير مدفوع صحتة ، لامن جهة خبر ولا نظر ، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين ، بإحالة ذلك . فأما من جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام ، إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله عز وجل بائن من خلقه ، كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسها ، وهو كما لم يزل ، غير أن الأشياء التي خلقها ، إذ لم يكن هو لها مماسا ، وجب أن يكون لها مياينا ، إذ لا فعّال للأشياء إلا وهو مماس للأجسام ، أو مياين لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله عز وجل فاعل الأشياء ، ولم يجز في قولهم : إنه يوصف بأنه مماس للأشياء ، وجب بزعمهم أنه لها مياين ، فعلى مذهب هؤلاء ، سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على الأرض ، إذ كان من قولهم إن بينوته من عرشه ، وبينوته من أرضه بمعنى واحد ، في أنه بائن منهما كليهما ، غير مماس لواحد منهما .

وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم خلق الأشياء ، فأقامها بقدرته ، وهو كما لم يزل قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه ، في أنه لا مماس ولا مياين لهذا ، كما أنه لا مماس ولا مياين لهذه :

وقالت فرقة أخرى : كان الله عز وجل ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه ، ولا شيء يباينه ، ثم أحدث الأشياء وخلقها ، فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا ، وصار له مماسا ، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يرزقه رزقا ، ولا شيء يحرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا ، وحرم هذا ، وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء ، لا شيء يماسه ولا يباينه ، وخلق الأشياء ، فماس العرش بجلوسه عليه ، دون سائر خلقه ، فهو مماس ماشاء من خلقه ، ومياين ماشاء منه ، فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو أقعد على منبر من نور ، إذ كان من قولهم : إن



جلوس الربّ على عرشه ، ليس بجلوس يشغل جميع العرش ، ولا في إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الأشياء ، غير موجبة له صفة الربوبية ، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، من أجل أنه موصوف بأنه له مباين ، كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة ، بأنه مباين لها ، هو مباين له . قالوا : فإذا كان معنى مباين ومباين لا يوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودية ، والدخول في معنى الربوبية ، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن ، فقد تبين إذن بما قلنا ، أنه غير محال في قول أحد ممن ينتحل الإسلام ، ما قاله مجاهد ، من أن الله تبارك وتعالى يتقعد محمدا على عرشه . فإن قال قائل : فإننا لاننكر إقعاد الله محمدا على عرشه ، وإنما ننكر إقعاده .

حدثني عباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، عن البحريري ، عن سيف السدوسي ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسي الربّ بين يدي الربّ ، تبارك وتعالى ، وإنما ينكر إقعاده إياه معه . قيل : أفجائز عندك أن يقعد عليه لامعه . فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه ، أو إلى أنه يقعد ، والله للعرش مباين ، أو لامع ، ولا مباين ، وبأى ذلك قال ، كان منه دخولا في بعض ما كان ينكره ، وإن قال : ذلك غير جائز ، كان منه خروجا من قول جميع الفرق التي حكينا قولهم ، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام ، إذ كان لا قول في ذلك إلا الأقوال الثلاثة التي حكيناها ، وغير محال في قول منها ما قال مجاهد في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا

أَصِيْرًا (٨٠)

يقول تعالى ذكره لنبية : وقل يا محمد يا ربّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ .

واختلف أهل التأويل في معنى مُدْخَلَ الصِدْقِ الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه في أن يدخله إياه ، وفي مخرج الصِدْقِ الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج إياه ، فقال بعضهم : عَسَى بِمُدْخَلَ الصِدْقِ : مُدْخَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، حين هاجر إليها ، وَمُخْرَجَ الصِدْقِ : مُخْرَجَهُ مِنْ مَكَّةَ ، حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالوا : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأُنزِلَ اللهُ تبارك وتعالى اسمه ( وَقُلْ رَبِّ

(١) لعله هذه الجملة قد سقطت بقيتها في هذا الموضع . واستحسن تغييرها تامة في السطر الثالث بعدها .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ) .  
 حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف عن الحسن ، في قول الله  
 ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، أو يطردوه ، أو يؤثقوه ، وأراد الله قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلى  
 المدينة ، فهو الذي قال الله ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، ( مُدْخَلَ صِدْقٍ )  
 قال : المدينة ( وَمُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ  
 وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي  
 مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال : المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق : مكة  
 حين خرج منها مخرج صدق ، قال ذلك حين خرج مهاجرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقل رب أمتني إمامة صِدْقٍ ، وأخرجني بعد الممات من قبرى يوم  
 القيامة مُخْرَجَ صِدْقٍ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : [ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
 ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) . . . الآية ، قال : يعنى بالإدخال : الموت ، والإخراج :  
 الحياة بعد الممات .

وقال آخرون : بل عَسَى بِذَلِكَ : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني  
 منه مُخْرَجَ صِدْقٍ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) قال : فيما أرسلتني به من  
 أمرك ( وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) قال كذلك أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه :  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني مدخل صدق : الجنة ، وأخرجني مخرج صدق : من مكة  
 إلى المدينة .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ( أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) الجنة ( وَخُجِّرْ صِدْقٍ ) من مكة إلى المدينة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني في الإسلام مُدْخَلَ صِدْقٍ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) قال : أدخلني في الإسلام مُدْخَلَ صِدْقٍ ( وَأَخْرِجْنِي ) منه ( مُخْرَجَ صِدْقٍ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني مكة آمناً ، وأخرجني منها آمناً :

## ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك قال في قوله ( رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) يعني مكة ، دخل فيها آمناً ، وخرج منها آمناً .

وَأَشْبَهَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ : قول من قال : معنى ذلك : وأدخلني المدينة مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأخرجني من مكة مُخْرَجَ صِدْقٍ .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن ذلك عقيب قوله ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلاَفَتَكَ إِلَّا قَلِيلًا ) . وقد دللنا فيما مضى ، على أنه عني بذلك أهل مكة ، فإذا كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجه عن مكة ، كان بيننا ، إذ كان الله قد أخرجه منها ، أن قوله ( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ) ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ) أمر منه له بالرغبة إليه ، في أن يخرج من البلدة التي هم المشركون باخراجها منها مخرج صدق ، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق .

وقوله ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : واجعل لي ملكاً نصرانياً ينصرني على من ناوأني ، وعِزّاً أقيم به دينك ، وأدفع به عنه من أراد به سوء .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله عز وجل : ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) يُوعِدُهُ لِيَسْتَرْعِنَ مَلِكُ فَارَسَ ، وَعِزٌّ فَارَسَ ، وليجعلته له ، وعزّ الروم ، وملك الروم ، وليجعلته له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ

سُلْطَانَا نَصِيرًا) وإن نبي الله علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسُلْطَان ، فسأل سُلْطَانَا نصيرا لكتاب الله عز وجل ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ، وإن السُلْطَان رحمة من الله ، جعلها بين أظهر عباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض ، فأكل شديدتهم ضعيفهم .  
وقال آخرون : بل عُنِي بذلك حجة بيّنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ( سُلْطَانَا نَصِيرًا ) قال : حجة بيّنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك أمر من الله تعالى نبيه ، بالرغبة إليه في أن يؤتبه سُلْطَانَا نصيرا له على من بغاه وكاده ، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده .  
وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ذلك عَقِيْب خبر الله عما كان المشركون هموا به ، من إخراجهم من مكة ، فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عُوْجِلوا بالعذاب عن قريب ، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجهم من بين أظهرهم ، إخراج صدق يحاوله عليهم ، ويُدْخِلُه بلدة غيرها ، بمدْخَل صدق يحاوله ، عليهم ولأهلها في دخوله إليها ، وأن يجعل له سُلْطَانَا نصيرا على أهل البلدة ، التي أخرجها أهلها منها ، وعلى كل من كان لهم شبيها ، وإذا أوتى ذلك ، فقد أوتى لاشك حجة بيّنة .

وأما قوله ( نَصِيرًا ) فإن ابن زيد كان يقول فيه ، نحو قولنا الذي قلنا فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ) قال : ينصرنى ، وقد قال الله لموسى ( سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ، فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ) هذا مقدم ومؤخر ، إنما هو سُلْطَان بآياتنا ، فلا يصلون إليكما :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد هؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الأرض ، ليخرجوك منها : ( جاء الحق ، وزهق الباطل ) .

واختلف أهل التأويل في معنى الحق الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم المشركين أنه قد جاء ، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زهق ، فقال بعضهم : الحق : هو القرآن في هذا الموضع ، والباطل : هو الشيطان هـ



ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : الحقّ : القرآن ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : القرآن . ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) قال : هلك الباطل ، وهو الشيطان . وقال آخرون : بل عُسِّيَ بالحقّ جهاد المشركين ، وبالباطل الشرك :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) قال : دنا القتال ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) قال : الشرك وما هم فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود ، قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاث مئة وستون صنًا ، فجعل يطعننها ويقول : ( جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء ، وهو كلّ ما كان لله فيه رضا وطاعة ، وأن الباطل قد زهق ، يقول : وذهب كلّ ما كان لارضاه الله فيه ولا طاعة ، مما هو له معصية ، وللشيطان طاعة . وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس ، وأن الباطل : هو كلّ ما وافق طاعته ، ولم يخصّص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعته ، ولا ذهاب بعض معاصيه ، بل عمّ الخبر عن جميع الحقّ ، وذهاب جميع الباطل ، وبذلك جاء القرآن والتنزيل ، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله ، أعنى على إقامة جميع الحقّ ، وإبطال جميع الباطل .

وأما قوله عزّ وجلّ ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) فإن معناه : ذهب الباطل ، من قولهم : زَهَقَتْ نَفْسُهُ : إذا خرجت ، وأزهقتها أنا ، ومن قولهم : أزهق السمّ : إذا جاوز الغرض ، فاستمرّ على جهته ، يقال منه : زهق الباطل يزهِقُ زهُوقًا ، وأزهقه الله : أى أذهبهُ ؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) يقول : ذاهبًا .

وقوله عزّ وجلّ ( وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء ، يستشفى به من الجهل من الضلالة ، ويصتر به من العمى للمؤمنين ، ورحمة لهم دون الكافرين به ، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحياون حلاله ، ويحرمون حرامه ،

فيدخلهم بذلك الجنة ، ويُنَجِّبهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله ، أنعم بها عليهم ( وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) يقول : ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خساراً ، يقول : إهلاكاً ، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء ، أو نهى عن شيء ، كفروا به ، فلم يأتَمروا لأمره ، ولم يَنْهَوْا عما نهاهم عنه ، فزادهم ذلك خساراً ، إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ، ورجسا إلى رجسهم قبل .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) إذا سمعه المؤمن انتفع به ، وحفظه ووعاه ( وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ ) به ( إِلَّا خَسَارًا ) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ، وأن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣)

يقول تبارك وتعالى : وإذا أنعمنا على الإنسان ، فنجَّيناه من كرب ما هو فيه في البحر ، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك ، بعصوف الريح عليه إلى البرِّ ، وغير ذلك من نعمنا ، أعرض عن ذكرنا ، وقد كان بنا مستغيثاً ، دون كلِّ أحد سوانا ، في حال الشدة التي كان فيها ( وَنَأَى بِجَانِبِهِ ) يقول : وبعد منا بجانبه ، يعنى بنفسه ، « كَتَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْ مَسَّهُ » قبل ذلك .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن مجاهد ، في قوله ( وَنَأَى بِجَانِبِهِ ) قال : تباعد منا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
والقراءة على تصيير الهمزة في نأى قبل الألف ، وهي اللغة الفصيحة ، وبها نقرأ . وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك ( وناء ) فيصير الهمزة بعد الألف ، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب ، بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخر ، وتأخيرهموه في موضع هو مقدم ، كما قال الشاعر :

أَعْلَامٌ يُقَلَّلُ رَأَى رُؤْيَا فَهَوَّ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَتَامِ

وكما قالوا آبار وهي آبار ، فقدموا الهمزة ، فليس ذلك هو اللغة الجلودى ، بل الأخرى هي الفصيحة .  
وقوله عز وجل ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ) يقول : وإذا مسه الشر والشدة ، كان قنوطاً من الفرج والروح .

(١) هكذا جاء هذا البيت في الأصول ، ولم نته إلى قائله بعد بحث ، وهو من بحر الخفيف ، وفيه تحريف في شطره الأول . ولعل الصواب في روايته هكذا :

أَمْ غُلَامٌ مُضَلَّلٌ رَأَى رُؤْيَا فَهَوَّ يَهْدِي بِمَا رَأَى فِي الْمَتَامِ

أما محل الشاهد في البيت فسلم ، في قوله « راه » فإنه مقلوب رأى ، قدمت اللام على العين ، وهو في تقدير « فلع » ، والدليل على ذلك أن مصدر الفعلين واحد ، وهو الرؤيا . ومثله في القلب : « ناه » ، أصله « نأى » ، ومصدرهما : النأى .



وبنحو الذي قلنا في اليثوس قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَا ) يقول : قَتَّوْطَا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَا ) يقول : إذا مسه الشر آيس وقنيط .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)

يقول عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس : كلكم يعمل على شاكلته ، على ناحيته وطريقته ( فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ ) منكم ( أَهْدَى سَبِيلًا ) يقول : ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحق من غيره .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ) يقول : على ناحيته .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى شَأْنِهِ ) قال : على ناحيته .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ) قال : على طبيعته ، على حيدته .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ) يقول : على ناحيته ، وعلى ما ينوي .  
وقال آخرون : الشاكلة : الدين :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ) قال : على دينه . الشاكلة : الدين :

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب ، عن الروح ما هي ؟ قل لهم : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا ، وذُكِرَ أن الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فنزلت هذه الآية بسألتهم إياه عنها ، كانوا قوما من اليهود .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، ومعه عسيب بن تكوفا عليه . فر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم : أسألوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، فقام متوكفا على عسيبه ، فقمت خلفه ، فظننت أنه يوحى إليه ، فقال ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقال بعضهم لبعض : ألم نقل لكم لا تسألوه .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : « بينا أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، إذ مررنا على يهود ، فقال بعضهم : سلّوه عن الروح ، فقالوا : ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون ؟ فقاموا إليه ، فسألوه ، فقام ، فعرفت أنه يوحى إليه ، فقمت مكاني ، ثم قرأ ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : ألم نهكم أن تسألوه .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : « سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزّل الله تعالى ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : أتزعّم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة ، ( وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) ؟ . قال : فنزلت ( وَكَتَبْنَا أَنْ مَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أُجْحُرٍ مَا نَعِدُّكَ كَلِمَاتِ اللَّهِ ) قال : ما أوتيتم من علم ، فنجاكم الله به من النار ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل .

حدثني إسماعيل بن أبي المتوكل ، قال : ثنا الأشجعي أبو عاصم الحمصي ، قال : ثنا إصحاق بن عيسى أبو يعقوب ، قال : ثنا القاسم بن معن ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : « إنى لمع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، إذ أتاه يهودي ، قال : يا أبا القاسم : ما الروح ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ )

« لقيت اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فتعشّوه وسألوه وقالوا : إن كان نبيا علم ، فسيعلم ذلك ، فسألوه عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، فأنزّل الله في كتابه ذلك كله ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) يعني اليهود :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : يهود تسأل عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : يهود تسأله .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) . . . الآية « وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا ما الروح ؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله عز وجل ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُجِبْ إليهم شيئا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال له : ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقالوا له : من جاءك بهذا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : جاءني به جبرئيل من عند الله ، فقالوا : والله ما قاله لك إلا عدو لنا ، فأنزل الله تبارك اسمه ( قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فررنا بأناس من اليهود ، فقالوا : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فأسكيت ، فرأيت أنه يوحى إليه ، قال : فتنجيت عنه إلى سباطة ، فنزلت عليه ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) . . . الآية ، فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » .

وختلف أهل التأويل في الروح الذي ذكِرَ في هذا الموضع ما هي ؟ فقال بعضهم : هي جبرئيل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : هو جبرئيل ، قال قتادة : وكان ابن عباس يكتبه .

وقال آخرون : هي ملك من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : الروح : ملك .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عن حدثه عن علي بن أبي طالب ، أنه قال في قوله ( وَيَسْتَلْهُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) قال : هو ملك من الملائكة ، له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة ، يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فإنه يعني : أنه من الأمر الذي يعلمه الله عز وجل دونكم ، فلا تعلمونه ويعلم ما هو .

وأما قوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بقوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فقال بعضهم : عني بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب ، خرج الكلام على المخاطبة ، لأن العرب كذلك تفعل ، إذا اجتمع في الكلام محبر عنه غائب ومخاطب ، أخرجوا الكلام خطابا للجمع .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، أفعنيتنا أم قومك ؟ قال كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي في عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتَاكُمْ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله عز وجل (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) قال : يا محمد والناس أجمعون .

وقال آخرون : بل عني بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) يعني : اليهود .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : خرج الكلام خطابا لمن خاطب به ، والمراد به جميع الخلق ، لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثر ، في علم الله قليل . وإنما معنى الكلام : وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير ، مما يعلم الله :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)

يقول تعالى ذكره : ولئن شئنا لنذهبن بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبن به ، فلا تعلمه ، ثم لانجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيفا ، يعني : قيسما يقوم لك ، فيممتنا من فعل ذلك بك ، ولا ناصرا ينصرك ، فيحول بيننا وبين ما نريد بك ، قال : وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عز وجل به ، رفعه من صدور قارئيه .



## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن بسندار ، عن معقل ، قال : قلت لعبد الله : وذكر أنه يسرى على القرآن ، كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا ؟ قال : يسرى عليه ليلا ، فلا يبقى منه في مصحف ، ولا في صدر رجل ، ثم قرأ عبد الله ( وَلَكِنَّ شَيْئًا لَنَسَدْ هَبْنٌ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن إسحاق بن يحيى ، عن المسيب بن رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تَطْرُقُ النَّاسَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ نَحْوِ الشَّامِ ، فَلَا يَبْقَى فِي مَصْحَفٍ رَجُلٌ وَلَا قَلْبِهِ آيَةٌ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنِّي قَدْ جَمَعْتُ الْقُرْآنَ ، قَالَ : لَا يَبْقَى فِي صَدْرِكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ قرأ ابن مسعود : ( وَلَكِنَّ شَيْئًا لَنَسَدْ هَبْنٌ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) » .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ، إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)

يقول عز وجل : ولئن شئنا لنذهبنّ يا محمد بالذي أوحينا إليك ، ولكنه لا يشاء ذلك ، رحمة من ربك ، وتفضلا منه عليك ، إن فضله كان عليك كبيرا ، باصطفائه إياك لرسالته ، وإنزاله عليك كتابه ، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٧٨)

يقول جل ثناؤه : قل يا محمد للذين قالوا لك : إنا نأتى بمثل هذا القرآن : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، لا يأتون أبدا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتهم بآية غيره ، شاهدة له على نبوته ، لأن مثل هذا القرآن ، بهم قدرة على أن يأتوا به .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبيحان وعمر بن أخصا ، وبحري بن عمرو ، وعزيز بن أبي عزيز ، وسلام بن ميشكم ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به ، حق من عند الله عز وجل ، فلما لانراه متناسقا كما تناسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتتعرفون أنه من عند الله

(١) قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود ، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أسان الذي جاء في الأصل ، ولعله نيمان بن أضا ، من بني قينقاع ( انظر السيرة طبعة الحلبي ٢ : ١٦١ ) .

تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ ، فقال عند ذلك ، وهم جميعاً: فَمِنْ حَاصٍ ، وعبد الله بن صُورِيَا ، وكنينانة بن أبي الحَقِيقِ ، وَأَشْيَعِ ، وكعب بن أسد ، وسهوءك بن زيد ، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يَعْلَمُكَ هَذَا إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فقالوا : يا محمد ، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا ( قُلْ لَيْسَ اجْتِمَاعُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لَيْسَ اجْتِمَاعُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ) . . . إلى قوله ( وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) قال : مُعِينًا ، قال : يقول : لو برزت الجن ، وأعانهم الإنس ، فتظاهروا ، لم يأتوا بمثل هذا القرآن . وقوله عز وجل ( لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ) رفع ، وهو جواب لقوله « لئن » ، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا ، رفعوا ما بعدها ، لأن « لئن » كالمبين ، وجواب المبين بلا مرفوع ، وربما جزم ، لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام ، كما قال الأعشى :  
لَيْسَ مُنِيَّتَ بِنَا عَنِّي غَيْبٌ مَعْرُكَةٌ لَا تُلْتَفِنَا عَنِّي دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَقِلُ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)

يقول تعالى ذكره : ولقد بيَّنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل ، احتجاجاً بذلك كله عليهم ، وتذكيراً لهم ، وتنبهياً على الحقِّ ليتبعوه ويعملوا به ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) يقول : فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحقِّ ، وإنكاراً للحججِ الله وأدلته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقال يا محمد ، المشركون بالله من قومك لك : لن نصدقك ، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء .

(١) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٦٣ ) من قصيدته التي مطلعها : « ودع هريرة » وعدتها ٦٦ بيتاً ، وبيت الشاهد هو ال ٦٣ قالها ليزيد بن ميمر ، أبي ثابت الشيباني . يقول : إنا لانمل القتال ، ولو قدر لك أن تبطل بنا في أعقاب معركة قد خضناها ، لو جدت فينا قوة على قتال جديد ، ولم ترنا نحيد عن الخوض في الدماء مرة أخرى . ومحل الشاهد فيه أن قول الله « لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ » جواب للقسم المتقدم عليه في قوله تعالى « لئن اجتمعت » ولم يؤكد فعل الجواب بالتون ، لأنه مسبق بالنون « لا » . ومثله في قول الأعشى : « لائلفنا » الذي لم يؤكد بالتون ، مع أنه جواب القسم « لئن منيت » ، وامتنع التوكيد ، لوجود النون في الجواب .



وقوله (يَنْبُوعًا) يفعل من قول القائل: نبع الماء: إذا ظهر وفار، يَنْبُعُ وَيَنْبُوعٌ، وهو ما نبع.  
كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ  
يَنْبُوعًا): أي حتى تفجر لنا من الأرض عيوناً: أي ببلدنا هذا.  
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (حَتَّى  
تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) قال: عيوناً.  
حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.  
حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،  
قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (يَنْبُوعًا) قال: عيوناً.  
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.  
وختلفت القراء في قراءة قوله (تَفْجُرَ) فروى عن إبراهيم النخعي، أنه قرأ (حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا) خفيفة  
وقوله (فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) بالشديد، وكذلك كانت قراءة الكوفيين يقرءونها، فكأنهم  
ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى: حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرة واحدة. ويتشديد في الثانية إلى أنها  
تفجر في أماكن شتى، مرة بعد أخرى، إذا كان ذلك تفجر أنهار لأنهر واحد. والتخفيف في الأولى  
والشديد في الثانية. على ما ذكرت من قراءة الكوفيين، أعجب إلى، لما ذكرت من افتراق معنيهما،  
وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها.

## القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ، فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدقك حتى  
تستنبط لنا عينا من أرضنا، تدفق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب،  
فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، بأرضنا هذه التي نحن بها. خلالها: يعني خلال النخيل والكروم، ويعني  
بقوله (خِلَالَهَا تَفْجِيرًا) بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها.

## القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا، أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)

ختلفت القراء في قراءة قوله (كَيْسَفًا) فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين بمعنى: أو  
تسقط السماء كما زعمت علينا كَيْسَفًا؛ وذلك أن الكَيْسَفَ في كلام العرب: جمع كَيْسَفَةٍ، وهو جمع الكثير من  
العدد للجنس، كما تجمع السُدْرَةَ بِسِدْرٍ، والتمر بتمر، فحكى عن العرب سماعاً: أعطى كَيْسَفَةً من هذا  
(١) في الكلام سقط ظاهر. والحاصل أنهم اتفقوا، على تشديد تفجر واختلفوا في حتى تفجر، فبعضهم شدد، وبعضهم خفف،  
واختار المؤلف التشديد لعله التي ذكرها.

الثوب : أى قطعة منه ، يقال منه : جاءنا بثريد كَيْسَفٍ : أى قطع خبز . وقد يحتمل إذا قرئ كذلك ( كَيْسَفًا ) بسكون السين ، أن يكون مراداً به المصدر من كَيْسَفٍ . فأما الكَيْسَفُ بفتح السين ، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر ، يقال : كَيْسَفَةٌ واحدة ، وثلاث كَيْسَفٍ ، وكذلك إلى العشر . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة وبعض الكوفيين ( كَيْسَفًا ) بفتح السين بمعنى : جمع الكَيْسَفَةِ الواحدة ، من الثلاث إلى العشر ، يعنى بذلك قِطْعًا : ما بين الثلاث إلى العشر .

وَأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى : قراءة من قرأه بسكون السين ، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، لم يقصدوا فى مسئلتهم إياه ذلك ، أن يكون بحد معلوم من القِطْعِ ، إنما سألوا أن يُسْقَطَ عليهم السماء قِطْعًا ، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَيْسَفًا ) قال : السماء جميعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قوله ( كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا ) قال : مرة واحدة ، والتي فى الروم ( وَيَجْعَلُهُ كَيْسَفًا ) قال : قطعا ، قال ابن جريج : كسفا لقول الله ( إن نَشَأَ نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمُ كَيْسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا ) قال : أى قطعا .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كَيْسَفًا ) يقول : قطعا .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كَيْسَفًا ) قال : قطعا .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا ) يعنى قطعا .  
القول فى تأويل قوله تعالى

( أَوْ تَأْتَىٰ رَبَّكَ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ) :

يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبى الله صلى الله عليه وسلم : أَوْ تَأْتَىٰ بِاللَّهِ يَا مُحَمَّدَ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا . واختلف أهل التأويل فى معنى القبيل فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : حتى يأتى الله والملائكة كل قبيلة منا ، قبيلة قبيلة ، فيعابونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) مصدر الفعل كسف يكسف ( كضرب يضرب ) هو الكسف ، بفتح الكاف وسكون السين ( اللسان ) .



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ) قال : على حدثنا ، كل قبيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ) قال : قبائل على حدثها كل قبيلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ عَيَانًا ، نقابلهم مقابلة ، فنعاينهم معاينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ) نعاينهم معاينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا ) فنعاينهم .

ووجهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل ، من قولهم : هو قبيل فلان بما لفلان عليه وزعيمه .  
وأشبهه الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي قاله قتادة ، من أنه بمعنى المعاينة ، من قولهم : قابلت فلانا مقابلة ، وفلان قبيل فلان ، بمعنى قبائلته ، كما قال الشاعر :

نُصَّاحِيكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا وَابْتِمَالِيهَا كَصَرَخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا<sup>١</sup>

يعنى قابلتها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : إذا وصفوا بتقدير « فعيل » من قولهم قابلت ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع ، من المؤنث والمذكر ، على لفظ واحد ، نحو قولهم : هذه قبيلي ، وهما قبيلي ، وهم قبيلي ، وهن قبيلي .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٧٧) وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتا . والشاهد هو ال ١٧ فيها . وقبله :

فَلَمَّا تَرَى السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً وَمَا صَكَ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبْيَلُهَا

والقصيدة قالها في الحرب التي كانت بينه وبين الخرقين ، يعاتب بني مرثد وبني جندر . وفي رواية الشاهد : « أصالحكم » بالهمزة بدل النون . يقول : لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنائيتكم وبنيكم ، وتصرخوا صرخة الحبل حين تعينها القابلة في الخاض . « وقبولها » في موضع : قبيلها . والأبيل الراهب . وتبوءوا : رجعوا . ويسرتها : سبها ولادتها ، وأعاتها فيها . والقبول : المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة .

وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٩٠) عند قوله تعالى : « والملائكة قبيلًا » مجازة : مقابلة ، أي معاينة . وقال :

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل بشرتها قبيلها

أي قابلتها . فإذا وصفوا بتقدير « فعيل » من قولهم « قابلت » ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع ، من المذكر والمؤنث ، على لفظ واحد ، نحو قولك ، هي قبيل ، وهما قبيل ، وهم قبيل ، وكذلك هن قبيل . اهـ . وفي (لسان العرب : قبل) : والقابل والقبول القابلة . المهكم : قبلت القابلة الولد قبلا : أخذته من الوالدة ، وهي قابلة المرأة وقبولها وقبيلها ، قال الأعشى :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل أسلمتها قبيلها

وروى : قبولها . أي يشت منها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ، أَوْ تَرْتَقِي فِي السَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا  
كِتَابًا نَقْرؤه، قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي، هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)

يقول تعالى ذكره مغبرا عن المشركين الذين ذكر أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب؟ وهو الزخرف.

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ) يقول: بيت من ذهب:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (مِّنْ زُخْرُفٍ) قال: من ذهب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ) والزخرف هنا: الذهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ) قال: من ذهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن رجل، عن الحكم، قال: قال مجاهد: كنا لاندرى ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ).

حدثنا محمد بن المنثري، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: لم أدر ما الزخرف، حتى سمعنا في قراءة عبد الله بن مسعود (بَيْتٌ مِّنْ ذَهَبٍ).

وقوله (أَوْ تَرْتَقِي فِي السَّمَاءِ) يعني: أو تصعد في درج إلى السماء، وإنما قيل في السماء، وإنما يرق إليها لأنها، لأن القوم قالوا: أو ترق في سلم إلى السماء، فأدخلت «في» في الكلام، ليدل على معنى الكلام، يقال: رقيت في السلم، فأنا أرقى رقياً ورقياً ورقياً، كما قال الشاعر:

أَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقِي الدَّرَجِ عَلَى الْكَلَالِ وَالْمَشِيْبِ وَالْعَرَجِ<sup>١</sup>

وقوله (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ) يقول: ولن نصدقك من أجل رقيبك إلى السماء (حتى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا) منشورا نقرؤه، فيه أمرنا باتباعك، والإيمان بك.

كما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،

(١) البيت في (اللسان: رقي) قال: ورقيت في السلم رقياً (بوزن سقت) ورقياً (بوزن فعول) إذا صعدت؛ وارتقيت

مثله: أنشد ابن بري: «أنت الذي... البيت، ولم ينسبه إلى قائله».



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كِتَابًا نَقَرُوهُ ) قال : من رب العالمين إلى فلان ، عند كل رجل صحيفة تصبغ عند رأسه يقرؤها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : كتابا نقرؤه من رب العالمين ، وقال أيضا : تصبغ عند رأسه موضوعة يقرؤها .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( حَتَّى تَسْتَزِلَّ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ ) : أي كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك .

وقوله ( قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته ، أو يكون لى سبيل إلى شيء مما تسألونيه ( هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ) يقول : هل أنا إلا عبد من عبيده من بنى آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سأتموني من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالق ومخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذي سأتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له ، لا يقدر على ذلك غيره .

وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره كان من ملا من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاجته ، فكلموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات .  
ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم والسبب الذي من أجله ناظروه به <sup>١</sup>

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان ابن حرب ، ورجلا من بنى عبد الدار ، وأبا البختري أخا بني أسد ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، وأميمة بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيها ومثنيها ابني الحجاج السهميين ، اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس ، عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض . ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه ، حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه بدأ لهم في أمره بداء ، وكان عليهم حريصا . يحب رشدهم ، ويعز عليه عنيتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعيبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جنت بهذا الحديث تطلب مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا ، سودناك علينا ، وإن كنت تريد به مملكة ، ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رؤيا تراها قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فرجما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطيب لك ، حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك . فقال رسول الله صلى

(١) انظر هذا الحديث في سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي ١ : ٣١٥) وفيه اختلاف يبرق بعض الألفاظ ، وفي تفسير القرطبي (١٠ : ٣٢٨ - ٣٣٠) .

الله عليه وسلم : « ما بي ما تقولون . ما جئْتُكُمْ بِمِثْلِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بِشِيرًا وَتَدِيرًا ، فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : يا محمد ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ مِنَّا ما عرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أُصِيبَ بِلادنا ، ولا أَقْلَ مالا ، ولا أَشَدَّ عيشًا مِنَّا ، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيرُ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، ويبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأَنْهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيُّ بن كلاب ، فإنه كان شيخًا صدوقًا ، ففسأهم عما تقول ، حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألتك ، وصدقوك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك بالحق رسولًا ، كما تقول : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعِثتُ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، فَصَدَّ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا ، فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث ملكًا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وأسأله ، فليجعل لك جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة ، ويعينك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلمس المعاش كما تلمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ، إن كنت رسولًا كما تزعم ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعلٍ ، ما أنا بالذي يسألُ رَبَّهُ هذا ، وَمَا بَعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِشِيرًا وَتَدِيرًا ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلْتُمْ ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ ، أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ . قالوا : فأسقط السماء علينا كِسْفًا ، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء ففعلَ بِكُمْ ذلك . فقالوا : يا محمد ، فما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلبُ منك ما نطلب ، فيتقدّم إليك ، ويُعَلِّمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدًا . أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما بلغت منا ، حتى تهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهن بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، هو لعاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا ، فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ، ليعرفوا منزلتك من الله ، فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجل

(١) في بعض نسخ السيرة ، وفي تفسير القرطبي : « وليخرق » .

(٢) في السيرة والقرطبي : « إنه قد بلغنا إنك إنما .. الخ » .



ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لأؤمن لك أبداً ، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتني معك بنسخة منشورة ، معك أربعة من الملائكة ، يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وإيم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا ، لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباحدهم إياه ؛ فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا ، و شتم آباءنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر قدر ما أطبق حمله ، فإذا سجد في صلاته ، فضخت رأسه به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث أبناء بني عبد الدار ، وأبا البخترى بن هشام : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد ، قال : قلت له في قوله تعالى : ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا ) قال : قلت له : نزلت في عبد الله بن أبي أمية ، قال : قد زعموا ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا؟ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله ، وبما جئتهم به من الحق ( إذ جاءهم الهدى ) يقول : إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم ، وصحة ما جئتهم به ، إلا قولهم جهلاً منهم ( أبعث الله بَشَرًا رَسُولًا ؟ ) فأن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها ، والثانية في موضع رفع ، لأن الفعل لها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ، لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا

رَسُولًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد هؤلاء الذين أتوا الإيمان بك ، وتصديقك فيما جئتهم به من عندي ، استنكاراً لأن يبعث الله رسولا من البشر : لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة ، ومن خصه الله من بني آدم برؤيتها . فأما غيرهم فلا يقدر على رؤيتها ، فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل ، وهم لا يقدر على رؤيتهم وهم (١) في تفسير القرطبي ( ١٠ : ٣٣٠ ) : ثم تأتي معك بمه أربعة . . الخ . وفي السيرة : « ثم تأتي معك أربعة . . الخ .

ببنياتهم التي خلقهم الله بها ، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم ، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد للقائلين لك : ( أبعث الله رسولا ؟ ) : ( كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ) فإنه نعم الكافي والحاكم ( إنه كان بعباده خبيرا ) يقول : إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمرهم وأفعالهم ، والحق منهم والمبطل ، والمهدى والضال ( بصيرا ) بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء ، وكيف شاء وأحب ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، وهو مجازي جميعهم بما قدم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدَاةِ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ، مَا أَوْهَمَ جَهَنَّمَ ، كَلِمًا خَبَتَ زِدَانُهُمْ سَعِيرًا (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ومن يهد الله يا محمد للإيمان به ، ولتصديقك وتصديق ماجئت به من عند ربك ، فوقه لذلك ، فهو المهتدي الرشيد المصيب الحق ، لا من هداه غيره ، فإن الهداية بيده . ومن يضل : ومن يضل الله عن الحق ، فيخذله عن إصابته ، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله ، فلن نجد لهم يا محمد أولياء ، ينصرونهم من دون الله ، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ، ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمما ) يقول : ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ( على وجوههم عميا وبكما ) وهو جمع أبكم ، ويعنى بالبككم : الخرس .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وبكما ) قال : الخرس ( وصمما ) وهو جمع أصم .

فإن قال قائل : وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يُحشرون عميا وبكما وصما ، وقد قال ( ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ) فأخبر أنهم يرون ، وقال ( إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ) ، وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ) فأخبر أنهم يسمعون وينطقون . قيل : جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم ، يكون صفتهم في حال حشرهم ، إلى موقف القيامة ، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال آخر ، غير حال الحشر ، ويجوز أن يكون ذلك ، كما روى عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمما ) ثم قال ( ورأى المجرمون النار فظنوا ) ، وقال : ( سمعوا لها تغيظا وزفيرا ) ،



وقال ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) . أما قوله ( عُمِيًّا ) : فلا يرون شيئاً يسرّهم . وقوله ( بَكُومًا ) : لا ينطقون بحجة . وقوله ( صَمًا ) لا يسمعون شيئاً يسرّهم . وقوله ( مَا وَآهَمُ جَهَنَّمَ ) : يقول جل ثناؤه : ومصيرهم إلى جهنم ، وفيها مساكنهم ، وهم وقودها .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( مَا وَآهَمُ جَهَنَّمَ ) : يعني أنهم وقودها .

وقوله ( كُلَّمَا خَبَّتْ رِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يعني بقوله خَبَّتْ : لانت وسكنت ، كما قال عدى بن زيد العبادي في وصف مِرْزَةَ :

وَسَطُّهُ كَالسَّرَّاحِ أَوْ سُرْجِ الْمِجْسَدِ كِ حِينَا يَحْتَبُو وَحِينَا يُنِيرُوا

يعني بقوله : يخبو السرج : أنها تلبن وتضعف أحياناً ، وتقوى وتنير أخرى ، ومنه قول القطامي :

فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا ٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( كُلَّمَا خَبَّتْ ) قال : سكنت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( كُلَّمَا خَبَّتْ رِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : كلما أحرقتهم تَسَعَّرَ بهم حطباً ، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمرات توهج ، فذلك خَبُّوها ، فإذا بدّلوا خلقاً جديداً عاودتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن مجاهد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي ( شعراء التصراعية ص ٤٥٥ ) وهو مما كتب به إلى النعمان ، وهو من غرر قصائده . والبراع : فراشة إذا طارت في الليل لم يشك من يعرفها أنها شرارة طائرة عن نار . قال الجاحظ نار البراعة : قيل هي نار حباب ، وهي شبيهة بنار البرق . قال : والبراعة طائر صغير ، إن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف ، أو مصباح يعطير . والمجدل ، بكسر الميم : الفص المشرق ، لوثاقه يثانه ، ويجمد مجدال . وخبث النار والحرب والحدة تخبو نحووا ( عل فعل ) ونحووا ( عل فعول ) : سكنت وطففت ، وخذ لها . وقوله تعالى : « كلما خبت زدناهم سعيراً » : قيل معناه : سكن لها ، وقيل معناه : كلما تمنوا أن تخبو ، وأرادوا أن تخبو . ( انظر اللسان : يرع ، وجدل ، وخبيا ) .

(٢) هذا عجز بيت للقطامي . ومصدره : وساع : جمع ساعة . وفي ( اللسان : سوع ) الساعة : جزء من الليل والنهار . والجمع : ساعات وساع . قال القطامي : وكنا كالخريق لدى كفاف . . . البيت . قال ابن بري : المشهور في صدر هذا البيت : وكنا كالخريق أصاب غابا . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ : ٣٩١ ) « كلما خبت زدناهم سعيراً » أي فأججا . وخبث سكنت . وأنشده عجز البيت ، ثم قال : ولم يذكرها هنا جلودم ، فيكون الخبو لها .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال ابن عباس ( كَلَّمَا خَبَبَتْ ) قال : خَبَبُواهَا أَنهَا تَسَعَّرَ بِهِمْ حَطْبًا ، فَإِذَا أَحْرَقْتَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، صَارَتْ جَمْرًا تَتَوَهَّجُ ، فَإِذَا بُدِّلُوا خَلْقًا جَدِيدًا عَاوَدْتَهُمْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( كَلَّمَا خَبَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : كلما احترقت جلودهم بُدِّلُوا جلودًا ، غيرها ، ليذوقوا العذاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كَلَّمَا خَبَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) قال : كلما لان منها شيء .

حدثت عن مروان ، عن جوير ، عن الضحاك ( كَلَّمَا خَبَبَتْ ) قال : سكنت ، وقوله ( زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) يقول : زدنا هؤلاء الكفار سعيرا ، وذلك إسماع النار عليهم ، والآيات فيها ، وتأججها بعد خببواها ، في أجسامهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِنَاتِنَا ، وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ؟ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة هؤلاء المشركين ، ماذا كسرتُ أنا تفعل بهم ، من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصبا ، وإصلاطنا إياهم النار ، على ما بيننا من حالتهم فيها ، ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا ، يعنى بأدلتهم وحججهم ، وهم رسلة الدين دعوهم إلى عبادته ، وإفرادهم إياه بالآلوهة ، دون الأوثان والأصنام ، ويقولهم إذا أمروا بالإيمان بالميعاد ، وبثواب الله وعقابه في الآخرة ( أئذا كُنَّا عِظَامًا ) بالية ( وَرَفَاتًا ) قد صرنا ترابا ( أئنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ ) يقولون : نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا ، كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا ؟ استنكارا منهم لذلك واستعظاما ، وتعجبا من أن يكون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

هَ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، وَجَعَلَ

لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ ، فِيهِ قَآبِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)

يقول تعالى ذكره لبيبه محمد صلى الله عليه وسلم : أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين ( أئذا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أئنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) يعيرون قلوبهم ، فيعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض ، فابتدعها من غير شيء ، وأقامها بقدرته ، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم ، وأمثالهم من الخلق بعد فناءهم ، وقبل ذلك ، وأن من قدر على ذلك ، فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا



جديداً ، بعد أن يصيروا عظاما ورُفَاقا . وقوله ( وَجَعَلْ لَّهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ) يقول تعالى ذكره :  
وجعل الله هؤلاء المشركين أجلا هلاكهم ، ووقنا لعذابهم . لا ريب فيه : يقول : لا شك فيه أنه آتاهم ذلك الأجل :  
( فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ) يقول : فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم ، وتكذيبا به :

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ

قَتُورًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد هؤلاء المشركين : لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي  
من الأموال ، وعن بالرحمة في هذا الموضع : المال ( إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) يقول : إذن  
لَبَخِلْتُمْ بِهِ ، فلم تجودوا بها على غيركم ، خشية من الإنفاق والإقتار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس  
( إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) قال : الفقر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ) أي خشية الفاقة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) يقول : وكان الإنسان بخيلا ممسكا .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله  
( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) يقول : بخيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) قال : بخيلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ) قال : بخيلا .

ممسكا . وفي القنور في كلام العرب لغات أربع ، يقال : قَسَّرَ فلان يَقْسُرُ وَيَقْسِرُ ، وَقَرَّ يَقْتَرُ ، وَأَقْتَرَّ  
يَقْتَرُ ، كما قال أبو دُواد :

لَا أَعْدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنَّ فَقْدُ مَنْ قَدِ رُزِيَتْهُ الْإِعْدَامُ<sup>(١)</sup>

(١) البيت لأبي دُواد (بواو غير مهموزة بعد الدال ، كما في الناج) وهو جارية بن الحجاج ، أو هو حنظلة بن الشريك الإيادي .  
والبيت في (الشعراء الشعراء لابن قتيبة طبعة لندن سنة ١٩٠٢ ص ١٢٢) . وفي اللسان : قَرَّ يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ قَتْرًا وَقَتُورًا ، فَهُوَ قَاتِرٌ  
وَقَتُورٌ ، وَأَقْتَرَّ . أي افتقر . وَقَرَّ عَلَى عِيَالِهِ وَأَقْتَرَّ وَقَتْرٌ : أي ضيق عليهم في النفقة . ويقال : إنه لقنور : أي مقتر . فتلخص أن  
اللغات في هذا أربع قَرَّ يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ (من باب نصر وخرسب) وَقَتْرٌ (بالتشديد) وَأَقْتَرُ (بالمعز) كما قال المؤلف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَنَسَّبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١)

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات، تُبَيِّنُ لمن رآها أنها حجج لموسى، شاهدة على صدقه، وحقيقة نبوته.

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ.

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال: التسع الآيات البيِّنات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) إلقاء العصا مرتين عند فرعون، ونزع يده، والعقدة التي كانت بلسانه. وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم. وقال آخرون: نحو من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ: إحداهما الطَّمْسَةُ، والأخرى الحَجَرُ: ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سألتني عمر بن عبد العزيز، عن قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) فقلت له: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطَّمْسَةُ، والحَجَرُ. فقال: وما الطَّمْسَةُ؟ فقلت: دعا موسى وأمنّ هارون، فقال: قد أُجيبَت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أُصِيبَت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والتعدسة ما تنكر، مُسِيخَت حجارة، كانت من أموال فرعون أُصِيبَت بمصر. وقال آخرون: نحو من ذلك، إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات:

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ومطر الوراق، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ) قالوا: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وعصاه، ويده:



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سئل عطاء بن أبي رباح عن قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) ما هي ؟ قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصا موسى ، ويده .

قال ابن جريج ، وقال مجاهد مثل قول عطاء ، وزاد : ( أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ، وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : هما التاسعتان ، ويقولون : التاسعتان : السنين ، وذهاب عجمة لسان موسى . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) وهي متتابعات ، وهي في سورة الأعراف ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : السنين في أهل البوادي ، ونقص من الثمرات لأهل القرى ، فهاتان آيتان ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، هذه خمس ، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء : البرص ، وعصاه إذ ألقاها ، فإذا هي ثعبان مبین .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والسنين ، ونقص من الثمرات :

وقال آخرون نحو من ذلك ، إلا أنهم جعلوا السنين ، والنقص من الثمرات ، آية واحدة ، وجعلوا التاسعة : تلقف العصا ما يأفكون :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) ، ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ) قال : هذه آية واحدة ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ويد موسى ، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبین ، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون :

وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو ابن مرة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى النبي ، حتى نسأله عن هذه الآية ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : لا تقل له نبي ، فإنه إن سمعتك صارت له أربعة أعين ، قال : فسألا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَسْحَرُوا ، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلَا تَمْشُوا بِبِرِّيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً ، أَوْ قَالَ : لا تَنْفِرُوا مِنَ الرَّحْفِ ، ( شعبة الشاك ) « وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ عَلَيكُمْ خَاصَّةٌ : لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ، فقبلاً يده ورجله ، وقالوا : تشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكما أن تسلما ؟ قال : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود » :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي ، عن سعيد ، عن عمرو ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أن ابن مهدي قال : « لا تَمْشُوا إلى ذى سلطان » وقال ابن مهدي : أراه قال : « يبرىء » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه ، عن شعبة بن الحجاج ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، فقال صاحبه : لا تنقل نبي ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين ، قال : فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألانه عن تسع آيات بينات ، فقال : هُنَّ : وَلا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلا تَمْشُوا بِبِرْيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلا تَسْحَرُوا ، وَلا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلا تَقْنَدُوا الْمُحْصَنَةَ ، وَلا تَوَلَّوْا يَوْمَ الرِّحْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ : أَنْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ، قال : فقبلوا بيديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي ؟ قالوا : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

وأما قوله ( فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم ) فإن عامة قراء الإسلام على قراءته على وجه الأمر ، بمعنى : فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى .

وروى عن الحسن البصري في تأويله ما حدثني به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن ( فاسأل بني إسرائيل ) قال : سؤالك إياهم : نظرك في القرآن .

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك ( فاسأل ) بمعنى : فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأ ( فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم ) يعني أن موسى سأل فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه .

والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ بغيرها ، هي القراءة التي عليها قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ، ورغبتهم عما خالفها .

وقوله ( فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ) يقول : فقال لموسى فرعون : إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحر ، وقد يجوز أن يكون مرادا به



إني لأظنك ياموسى ساحرا ، فوضِعَ مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشثوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم حجابا مستورا ، بمعنى : حجابا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ، وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ

يَفْرَعُونَ مُتَّبِعُونَ (١٠٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا ) فقرأ عامة قرآء الأمصار ذلك ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا ) بفتح التاء ، على وجه الخطاب من موسى لفرعون . وروى عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك ، أنه قرأ ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا ) بضم التاء ، على وجه الخبر من موسى عن نفسه . ومن قرأ ذلك على هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا ) إني لأظنك قد سحرت ، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب . وهذا وجه من التأويل . غير أن القراءة التي عليها قرآء الأمصار خلافها ، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه ، أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع ، مع علمهم بأنها من عند الله ، بقوله ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِمَّنْ غَيْرِ سَوَاءٍ ، فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ، وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا : هي سحر ، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله ، فكذلك قوله ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا ) إنما هو خبر من موسى لفرعون ، بأنه عالم بأنها آيات من عند الله . وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة .

قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا ) يافرعون بالنصب ( مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ، ثم تلا ( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال موسى لفرعون : لقد علمت يافرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات ، التي أريتكمها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه ، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي ، إني لله رسول ، ما بعثني إليك إلا رب السموات والأرض ، لأن ذلك لا يقدر عليه ، ولا على أمثاله أحد سواه . بصائر : يعني بالبصائر : الآيات ، أمهن بصائر لمن استنصر بهن ، وهدى لمن اهتدى بهن ، يعرف بهن من رآهن

أن من جاء بهن فحق ، وأنهن من عند الله ، لامن عند غيره ، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهن ، ولا على شيء منهن سوى ربّ السموات والأرض ، وهو جمع بصيرة .

وقوله ( وإني لأظننك يا فرعون مشبوراً ) يقول : إني لأظننك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير . والعرب تقول : ما ثبرك عن هذا الأمر : أي ما منعك منه ، وما صدك عنه؟ وثبره الله فهو يشبره ويشبوره لغتان ، ورجل مشور : محبوس عن الخيرات هالك ، ومنه قول الشاعر :

إذ أجازي الشيطان في سنن الغسى ومن مال ميسله مشبوراً

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، قال : ثنا عمر بن عبد الله ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( إني لأظننك يا فرعون مشبوراً ) قال ملعونا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إني لأظننك يا فرعون مشبوراً ) يقول : ملعونا . وقال آخرون : بل معناه : إني لأظننك يا فرعون مغلوباً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إني لأظننك يا فرعون مشبوراً ) يعني : مغلوباً .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إني لأظننك يا فرعون مشبوراً ) يقول : مغلوباً .

وقال بعضهم : معنى ذلك : إني لأظننك يا فرعون هالكا .

(١) البيت لعبد الله بن الزبير من مقطوعة أربعة أبيات ، قالها حين جاء إلى النبي مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه ، بتحريض فريش على ذلك ( انظر سيرة ابن هشام طبعة مصفاة الحلبي وأولاده ، بتحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبس ، الطبعة الثانية القسم الثاني ص ٤١٩ ) والبيتان الأولان منها :

يا رَسُولَ الْمَلِيكَ إِنِّي لَسَانِي رَأَيْتُ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ  
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْعَسَى وَمَنْ مَالٍ مَيْسَلَهُ مَشْبُورُ

والرائق : الذي يسد الحرق . تقول : رتقت الشيء : إذا أصلحته وسدده . وفتقت : يعني في الدين ، فكل إنم فتق وتمزيق ، وكل بوبه رتق . ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح ، من نصحت الثوب : إذا خبطه . والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور . وأباري : أجازي وأعارض . وهي رواية في البيت . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومشبور هالك . وهنا محل الشاهد عند المؤلف . قال : ثبره الله يشبره ويشبوره : كنعصر وضرب ، لغتان . ورجل مشبور : محبوس عن الخير هالك .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مشبورا : أي هالكا :  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ) :  
 أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .  
 وقال آخرون : معناه : إني لأظنك مبدلاً مغبراً .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عيسى بن موسى ، عن عطية ( إِنِّي لَأَظُنُّكَ  
 يَا فِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ) قال : مبدلاً .  
 وقال آخرون : معناه : مخبولاً ، لا عقل له .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ  
 مَشْبُورًا ) قال : الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه ؟ يعني : إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه ،  
 دعته العرب مشبوراً . قال : أظنك ليس لك عقل يا فرعون ، قال : بينا هو يخافه ولا ينطق لسانى أن أقول  
 هذا لفرعون ، فلما شرح الله صدره ، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله .  
 وقد بينا الذى هو أولى بالصواب فى ذلك قبل .

## القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي  
 إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : ( فَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ ) يستفز موسى وبني إسرائيل من الأرض ، ( فَأَغْرَقْنَاهُ ) فى  
 البحر ، ( وَمَنْ مَعَهُ ) من جنده ( جَمِيعًا ) ونجينا موسى وبني إسرائيل ( وَقُلْنَا لَهُمْ ) ( مِنْ بَعْدِ ) هلاك فرعون  
 ( اسْكُنُوا الْأَرْضَ ) أرض الشام ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ) يقول : فإذا جاءت الساعة ،  
 وهى وعد الآخرة ، جئنا بكم لفيفا : يقول : حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا ، أى مختلطين قدالتف

بعضكم على بعض ، لا تتعارفون ، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيته ، من قولك : لفتت الجيوش : إذا ضربت بعضها ببعض ، فاختلف الجميع ، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لُفَّ به . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن ابن أبي رزين ( جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) قال : من كل قوم . وقال آخرون : بل معناه : جئنا بكم جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) قال : جميعا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) جميعا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( فَلِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) : أي جميعا ، أولكم وآخركم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) قال : جميعا . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( جِئْنَا بِكُمْ لَقِيْفَا ) يعني جميعا ، ووحد اللقيف ، وهو خبر عن الجميع ، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لفته لفاً ولقيفاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ ، وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ ، وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : وبالحق أنزلناه هذا القرآن : يقول : أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الحميلة ، والأمور المستحسنة الحميدة ، ونهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة ، والأخلاق الرديئة ، والأفعال الذميمة . ( وبالحق نزل ) يقول : وبذلك نزل من عند الله ، على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك



يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا ، لإمبشرا بالحنّة من أطاعنا ، فأنهتني إلى أمرنا ونهيتنا ، ومنذرا لمن عصانا ، وخالف أمرنا ونهيتنا . ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار ( فَرَقْنَاهُ ) بتخفيف الراء من فرقناه ، بمعنى : أحكناه وفصلناه وبيناه . وذكر عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء ( فَرَقْنَاهُ ) بمعنى : نزلناه شيئا بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة .

بِهِ وَأولى القراءتين بالصواب عندنا : القراءة الأولى : لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن . فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فتأويل الكلام : وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وفصلناه قرآنا ، وبيناه وأحكناه ، لتقرأه على الناس على مكث .

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) يقول : فصلناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أنه قرأ ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) مخففا : يعني بيناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) قال : فصلناه .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا بدل بن الحبر ، قال : ثنا عباد ، يعني ابن راشد ، عن داود ، عن الحسن أنه قرأ ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) خفّفها : فرق الله بين الحقّ والباطل .

وأما الذين قرءوا القراءة الأخرى ، فإنهم تأوّلوا ما قد ذكرت من التأويل :

ذكر من قال ما حكيت من التأويل ، عن قارئ ذلك كذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان ابن عباس يقرؤها ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) مثقلة ، يقول : أنزل آية آية .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : ( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا - وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَتَنزِيلًا تَنزِيلًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ) لم ينزل جميعا ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ ) قال :

فرقه : لم ينزله جميعه . وقرأ ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ) . . . حتى بلغ ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) يَنْقُضُ عَلَيْهِمْ مَا يَأْتُونَ بِهِ .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : نصب قوله ( وَقُرْآنًا ) بمعنى : ورحمة ، ويتأول ذلك ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ) ورحمة ، ويقول : جاز ذلك ، لأن القرآن رحمة ، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى ، وذلك كما قال جل ثناؤه ( وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنَازِلَ ) . وقوله ( لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) يقول : لتقرأه على الناس على تُوْدَة ، فترتله وتبينه ، ولا تعجل في تلاوته ، فلا يفهم عنك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المُكْتَبِيبِ <sup>١</sup> ، قال : قلت لمجاهد : رجل قرأ البقرة وآل عمران ، وآخر قرأ البقرة ، وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ قال : الذي قرأ البقرة ، وقرأ ( وَقُرْآنًا فَفَرَّقْنَاهُ لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) يقول : على تأييد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى مُكُتٍّ ) قال : على ترتيل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) ، قال : في ترتيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) ، قال : التفسير الذي قال الله ( وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ) : تفسيره .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قوله ( لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) على تُوْدَة . وفي المُكْتِ للعرب لغات : مُكْتٌ ، ومكث ، ومكث ، ومكث ومكثي مقصور ، ومكثانا ، والقراءة : بضم الميم .

وقوله ( وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ) يقول تعالى ذكره : فرقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئا بعد شيء .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : حدثنا عن أبي رجاء ، قال : تلا الحسن ( وَقُرْآنًا فَفَرَّقْنَاهُ لِيَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍّ ) ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ) قال : كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض ، لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس ، لقد ذُكِرَ لنا أنه كان بين أوله وآخره ثمانين سنة ، قال : فسألته يوما على سخطه ، فقلت : يا أبا سعيد ( وَقُرْآنًا فَفَرَّقْنَاهُ ) فثقلها أبو رجاء ، فقال الحسن : ليس فرقناه ، ولكن فرقناه ، فقرأ الحسن مخففة . قلت : من يحدثك هذا يا أبا سعيد ؟ أصحاب محمد ؟ قال : فمن يحدثني ؟ قال : أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثمانين سنة ، وبالمدينة عشرين سنة .

(١) المكث : اسم فاعل من أكتب أو من كتب بالتشديد ، وهو المعلم ، يعلم الصبيان كتابة القرآن في ألواحهم .



حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ) لم ينزل في ليلة ولا ليلتين ، ولا شهر ولا شهرين ، ولا سنة ولا سنتين ، ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وما شاء الله من ذلك .  
حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : كان يقول : أنزل على نبي الله القرآن ثمانى سنين ، وعشرا بعد ما هاجر ، وكان قتادة يقول : عشرا بمكة ، وعشرا بالمدينة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ، إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء القائلين لك ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ) : آمنوا بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : أولا تؤمنوا به ، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ، ولا تترككم الإيمان به ينقص ذلك ، وإن تكفروا به ، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله ، من مؤمنى أهل الكتابين ، إذا يتلى عليهم هذا القرآن ، يخرون - تعظيما له وتكريما ، وعلمنا منهم بأنه من عند الله - لأذقانهم سجدا بالأرض .

واختلف أهل التأويل في الذى عسى بقوله ( يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ ) فقال بعضهم : عسى به : الوجوه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ) يقول : للوجوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ) قال : للوجوه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : بل عسى بذلك اللحنى .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن في ( يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ ) قال : اللحنى .

وقوله ( سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ) يقول جل ثناؤه : ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن ، إذ خروا للآذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم : تنزيها لربنا ، وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به ، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب ، إلا مفعولا حقا يقينا ، لإيمان

بالقرآن وتصديق به . والأذقان في كلام العرب : جمع ذقن وهو مجمع اللّحيين . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذي قال الحسن في ذلك ، أشبه بظاهر التنزيل .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم في الذين عُنُوا بقوله ( أوتُوا العِلْمَ ) وفي ( يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( الَّذِينَ أوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) . . . إلى قوله ( خُشُوعًا ) قال : هم ناس من أهل الكتاب ، حين سمعوا ما أنزل الله على محمد ( قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ، إِنَّ الَّذِينَ أوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) : من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) ، ما أنزل إليهم من عند الله ( يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ) . وقال آخرون : عُنِيَ بقوله ( الَّذِينَ أوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ) محمد صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) : كتابهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) ما أنزل الله إليهم من عند الله .

وإنما قلنا : عُنِيَ بقوله ( إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) : القرآن ، لأنه في سياق ذكر القرآن ، لم يَجْرُ لغيره من الكتب ذكر ، فيصرف الكلام إليه ، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله ( مِنْ قَبْلِهِ ) من ذكر القرآن ، لأن الكلام بذكره جرى قبله ، وذلك قوله ( وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ) وما بعده في سياق الخبر عنه ، فلذلك وجبت صحة ما قلنا ، إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : ويخِرُّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين ، من قبل نزول الفرقان ، إذا يُتْلَى عليهم القرآن ، لأذقانهم يبكون ، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبء خشوعا ، يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته ، واستكانة له .

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عبد الأعلى التيمي ، أن



من أوتي من العلم ما لم يبيحك، لخليق ألا يكون أوتي علما ينفعه ، لأن الله نعت العلماء فقال ( إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان ) . . . الآيتين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مسعر بن كدام ، عن عبد الأعلى التيمي بنحوه ، إلا أنه قال ( إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان ) ثم قال : ( ويخرون للأذقان يبتكون ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( ويخرون للأذقان يبتكون . . . ويزيد هم خشوعا ) . قال : هذا جواب وتفسير للآية التي في « كهيعص » ( إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ، وَلَا تَجْرَهُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تَخَافُ يَهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)

يقول تعالى ذكره لنبية : قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن : ادعوا الله ( أيها القوم ) ( أو ادعوا الرحمن ، أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) بأي أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم ، وإنما تدعون واحدا ، وله الأسماء الحسنى . وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم ، لأن المشركين فيما ذكر ، سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : يا ربنا الله ، ويا ربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، احتجاجا لنبية عليهم .

ذكر الرواية بما ذكرنا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو : يا رحمن يا رحيم ، فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى ، فأنزل الله تعالى ( قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) . . . الآية » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يتهجّد بمكة ذات ليلة ، يقول في سجوده : يا رحمن يا رحيم ، فسمعه رجل من المشركين ، فلما أصبح قال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي كبشة ، يدعو الليلة الرحمن الذي باليامة ، وكان باليامة رجل يقال له الرحمن ، فنزلت ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) ١ .

(١) كذا في الأصول ، ولم يذكر المتن اتكالا على ما تقدم ، وقد تكرر ذلك من .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَيَّامًا تَدْعُوا ) : بشيء من أسمائه .  
حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا محمد بن بكار النصرى ، قال : ثنا حماد بن عيسى ، عن عبيد بن الطَّمِيلِ الجَهَنِيِّ ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن عَرَكَ ابن مالك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ أَمَّا ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ ، مَنْ أَحْصَاهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

قال أبو جعفر : ولدخول « ما » في قوله ( أَيَّامًا تَدْعُوا ) وجهان : أحدهما : أن تكون صلة ، كما قيل : ( عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ) . والآخر أن تكون في معنى إن : كَرُرَّتْ لَمَّا اختلف لفظاهما ، كما قيل : ما إن رأيت كالليلة ليلة .

وقوله ( وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) اختلف أهل التأويل في الصلاة ، فقال بعضهم : عُنِي بذلك : ولا تجهر بدعائك ، ولا تخافت به ، ولكن بين ذلك . وقالوا : عُنِي بالصلاة في هذا الموضع : الدعاء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قالت : في الدعاء .

حدثنا بشار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . مثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن أشعث بن سوار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى : ( وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كانوا يجهرون بالدعاء ، فلما نزلت هذه الآية ، أمروا ألا يجهروا ، ولا يخافتوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن مالك البكري ، عن أبي الجوزاء عن عائشة ، قالت : نزلت في الدعاء .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي عياض ( وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض ، مثله .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن ذكره عن عطاء ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) قال : نزلت في الدعاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في الآية : ( ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ) قال : في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) في الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نزلت في الدعاء والمسألة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) قال : في الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عتياب العامري ، عن عبد الله بن شداد ، قال : كان أعراب إذا سكت النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا إبلا وولدا ، قال : فنزلت هذه الآية ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، في قوله ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) قال : في الدعاء .

حدثني ابن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( ولا تجهر بصلاتك ) . . . الآية ، قال : في الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) قال : ذلك في الدعاء .

وقال آخرون : عني بذلك الصلاة . واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عني بالنهي عن الجهر به ، فقال بعضهم : الذي نهي عن الجهر به منها : القراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار ( ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ) قال : كان إذا صلى بأصحابه ، رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع ذلك المشركون ، سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن

جاء به قال: فقال الله لنيبيه صلى الله عليه وسلم: (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) فيسمع المشركون، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عن أصحابك، فلا تُسْمِعْهم القرآن، حتى يأخذوا منك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن، شق ذلك على المشركين إذا سمعوه، فَيُؤْذِنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشم والعيب به، وذلك بمكة، فأنزل الله: يا محمد (لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) يقول: لاتعلن بالقراءة بالقرآن، إعلانا شديدا، يسمعه المشركون فيؤذونك، ولاتخافت بالقراءة بالقرآن: يقول: لاتخفض صوتك، حتى لاتُسْمِعَ أذنيك. (وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا). يقول: اطلب بين الإعلان والجهر، وبين التخافت والخفض طريقا، لاجهرا شديدا، ولا خفضا لاتُسْمِعُ أذنيك، فذلك القدر؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، سقط هذا كله، يفعل الآن أي ذلك شاء.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) . . . الآية، هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، كان إذا صلى بأصحابه، رفع صوته بالقراءة، أسمع المشركين، فأذوه، فأمره الله ألا يرفع صوته، فيسمع عدوه، ولا يخافت، فلا يُسْمِعُ من خلفه من المسلمين، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا صوته، سبوا القرآن، ومن جاء به؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُخْفِي القرآن، فما يسمعه أصحابه، فأنزل الله (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا، وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا).

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، يقول: أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته وسمع المشركون، سبوا القرآن، ومن جاء به، وإذا خفض لم يسمع أصحابه، قال الله (وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنى داود بن الحُصَيْن، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي، تفرقوا، وآبَوا أن يستمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع دونهم، فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا، فأنزل الله عليه (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ) فيتفرقوا عنك (وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) فلا تُسْمِعُ من أراد أن يسمعها، من استرق ذلك دونهم، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع، فينتفع به، (وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا).



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام ، فقالت قريش : لا تجهر بالقراءة ، فتوذي آلهتنا ، فهجرو ربك ، فأنزل الله : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) . . . الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختلف بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) : أي بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبوا القرآن . ( وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) عن أصحابك ، فلا تسمعهم ( وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : في القراءة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه ، وإذا سمع ذلك المشركون سبوه ، فنزلت هذه الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سلمة ، عن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ ، خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، قال : فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ فقال : أناجي ربي ، وقد علم حاجتي ، قيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) ، وأبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا حسان بن إبراهيم ، عن إبراهيم الصائغ ، عن عطاء ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : يقول ناس إنها في الصلاة ، ويقول آخرون إنها في الدعاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) وكان نبي الله وهو بمكة ، إذا سمع المشركون صوته ، رموه بكل خبث ، فأمره الله أن يَغْضُضَ من صوته ، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه ، وكان يقال : ما سمعته أذنك ، فليس بمخافتة . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة ، فيرمي بالخبث ، فقال : لا ترفع صوتك فتوذي ، ولا تخافيت بها ، ( وَأَبْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) » . وقال آخرون : إنما عسى بذلك : ولا تجهر بالتشهد في صلاتك ، ولا تخافت بها .

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت هذه الآية في التشهد ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين مثله . وزاد فيه : وكان الأعرابي يجهر فيقول : التحيات لله ، والصلوات لله ، يرفع فيها صوته ، فنزلت ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) . وقال آخرون : بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة جهارا ، فأمر بإخفائها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في بني إسرائيل ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته ، فأذى ذلك المشركين بمكة ، حتى أخفى صلته هو وأصحابه ، فلذلك قال ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) ، وقال في الأعراف ( وَأَذْكَرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تجهر بصلاتك ، تحسبها من إتيانها في العلانية ، ولا تخافت بها : تسيئها في السريرة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أنه كان يقول ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) : أي لاتراء بها علانية ، ولا تخفها سرا ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لاتحس علانيتها ، وتسمى سريرتها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لاتراء بها في العلانية ، ولا تخفها في السريرة .

حدثني علي بن الحسن الأزرقى ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحسن ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : تحس علانيتها ، وتسمى سريرتها .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ) قال : لاتصل مراعاة الناس ، ولا تدعها مخافة .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا ، وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) قال : السبيل بين ذلك الذي سن له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون . قال : وكان أهل الكتاب يخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف ،



فيصيح به، ويصيحون هم به وراءه، فهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وأن يخافت كما يخافت القوم، ثم كان السبيل الذى بين ذلك، الذى سن له جبرائيل من الصلاة .  
 وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس، فى الخبر الذى رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصح الأسانيد التى روى عن صحابى فيه قول مخرجا . وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تَخَافُ بِهَا ) عقيب قوله ( قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) وعقيب تفرغ الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان . فإذا كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى وأشبه بقوله ( وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا ) : أن يكون من سبب ما هو فى سياقه من الكلام، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل، يعلم به الانصراف عما هو فى سياقه .

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام : قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أيا ما تدعوا، فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك فى صلاتك ودعائك فيها ربك، ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها، فلا يسمعه أصحابك ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) : ولكن التمس بين الجهر والخافتة طريقا إلى أن تُسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك . ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لانتجيز خلافتهم فيما جاء عنهم، لكان وجهها يحتمله التأويل، أن يقال : ولا تجهر بصلاتك التى أمرناك بالخافتة بها، وهى صلاة النهار، لأنها عجماء، لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التى أمرناك بالجهر بها، وهى صلاة الليل، فإنها يجهر بها ( وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ) : بأن تجهر بالتى أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتى أمرناك بالخافتة بها، لا تجهر بجمعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجهها غير بعيد من الصحة، ولكننا لانرى ذلك صحيحا، لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه، فإن قال قائل : فأية قراءة هذه التى بين الجهر والخافتة ؟

قيل : حدثني مطر بن محمد، قال : ثنا قتيبة، ووهب بن جرير، قالا : ثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن الأسود بن هلال، قال : قال عبد الله : لم يخافت من أسمع أذنيه .  
 حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا شعبة، عن الأشعث، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
 وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا، وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ( وَقُلْ ) يا محمد : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ

وَلَدًا) فيكون مربوباً لاربا ، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فيكون عاجزاً إذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفاً ، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى معين على ما حاول ، ولم يكن منفرداً بالملك والسلطان . (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ) يقول : ولم يكن له حليف حالفه ، من الذلّ الذي به ، لأن من كان ذا حاجة إلى نصره غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر ، إلهاً يطاع . (وَكَبِيرَةٌ تَعْذِيرُهُ) يقول : وعظم ربك يا محمد ، بما أمرناك أن تعظمه به ، من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك ونهاك .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ) قال : لم يخالف أحداً ، ولا يتعفى نصر أحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ أَهْلَهُ هَذِهِ الْآيَةَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ، وَكَبِيرَةٌ تَعْذِيرُهُ) الصغير من أهله والكبير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا أبو الخنيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل ، ثم تلا (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو حنيفة ، عن القُرظي ، أنه كان يقول في هذه الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) . . . الآية ، قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب : لبيك ، لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك . وقال الصابئون والنجوس : لولا أولياء الله لذلت الله ، فأنزل الله (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ، وَكَبِيرَةٌ) أنت يا محمد على ما يقولون (تَكْبِيرًا) .

آخر تفسير سورة بني إسرائيل ، والحمد لله رب العالمين .



## تفسير سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله عز ذكره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خصّ برسالته محمداً، وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا، وأنزل عليه كتابه قويا، ولم يجعل له عوجا. وعيبي بقوله عز ذكره (قَيِّمًا) معتدلا مستقيما. وقيل: عيبي به: أنه قيم على سائر الكتب: يصدقها ويحفظها.

ذكر من قال: عني به معتدلا مستقيما

حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) يقول: أنزل الكتاب عدلا قويا، ولم يجعل له عوجا، فأخبر ابن عباس بقوله هذا، مع بيانه معنى القيم، أن القيم مؤخر بعد قوله، ولم يجعل له عوجا، ومعناه التقديم، بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قويا.

حدثت عن محمد بن زيد، عن جوير، عن الضحاك، في قوله (قَيِّمًا) قال: مستقيما.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) : أي معتدلا لاختلاف فيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) قال: أنزل الله الكتاب قويا، ولم يجعل له عوجا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا)

قال: وفي بعض القراءات (وَلَكِنَّ جَعَلَهُ قَيِّمًا).

والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، لدلالة قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم (قَيِّمًا) مستقيما، لاختلاف فيه، ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق، وكسرت العين من قوله (عِوَجًا) لأن العرب كذلك تقول في كل أعوجاج كان في دين، أو فيها لأبرى شخصه قائما، فيُدرك عيانا منتصبا كالعجاج في الدين، ولذلك كُسِرت

العين في هذا الموضع ، وكذلك العوج في الطريق ، لأنه ليس بالشخص المنتصب . فأما كان من عوج في الأشخاص المنتصبه قياما ، فإن عينها تفتح ، كالعوج . في القناة ، والحشبة ، ونحوها ، وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ( وكم يجعل له عوجا ) : ولم يجعل له ملتبسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وكم يجعل له عوجا قسيما ) ، ولم يجعل له ملتبسا .

ولا خلاف أيضا بين أهل العربية في أن معنى قوله ( قسيما ) وإن كان مؤخرا ، التقديم إلى جنب الكتاب . وقيل : إنما افتتح جل ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل ، وبأن خبر عن إنزال كتابه على رسوله ، إخبارا منه للمشركين من أهل مكة ، بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمها يهود ، من قريظة والنضير ، وأمروهم بمسئلتهموه عنها ، وقالوا : إن أخبركم بها فهو نبي ، وإن لم يخبركم بها فهو متقول ، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا ، فأبطأ الوحى عنه بعض الإبطاء ، وتأخر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه ، عن ميعاده القوم ، فتحدثت المشركون بأنه أخلفهم موعده ، وأنه متقول ، فأنزل الله هذه السورة ، جوابا عن مسائلهم ، وافتتح أولها بذكره ، وتكذيب المشركين في أحدوثهم التي تحدثوها بينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيما يروى أبو جعفر الطبري ، قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفيوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجوا ، حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره ، وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فترؤا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف ، بلغ مشارق الأرض ومغاريها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك ، فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن تسأله ، عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجمعوا رسول الله صلى الله

(١) الظاهر : أن قوله « فيما يروى أبو جعفر الطبري » : من عبارة المؤلف عن نفسه ، وليس معنى شخصا آخر ، ولا هو من تعبير بعض تلاميذه عنه .



عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمرهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ ، ولم يستثنوا ، فانصرفوا عنه ، فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة ،  
 وقالوا : وعدتنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها ، لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل عليه  
 السلام ، من الله عز وجل ، بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من  
 أمر القبية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ  
 رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) . قال ابن إسحاق : فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 افتتح السورة فقال : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ) يعني محمدا ، إنك رسول في تحقيق  
 ما سألوا عنه من نبوته ( وَكَمْ يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا قَيْمًا ) : أي معتدلا ، لا اختلاف فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

حَسَنًا (٢) مَكِّيِّينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)

يقول تعالى ذكره : أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه ، لينذركم أيها الناس بأسا من الله  
 شديدا ، وعنى بالأس العذاب العاجل ، والنكال الحاضر والسطوة . وقوله ( مِمَّنْ لَدُنْهُ ) يعني : من عند الله .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق : ( لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ) عاجل  
 عقوبة في الدنيا ، وعذابا في الآخرة . ( مِمَّنْ لَدُنْهُ ) : أي من عند ربك الذي بعثك رسولا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مِمَّنْ لَدُنْهُ ) : أي من عنده .  
 فإن قال قائل : فأين مفعول قوله ( لِيُنذِرَ ) ؟ فإن مفعوله محذوف ، اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام  
 عليه من ذكره ، وهو مضممر متصل ببنذر قبل البأس ، كأنه قيل : لينذركم بأسا ، كما قيل ( يُخَوِّفُ  
 أَوْلِيَاءَهُ ) إنما هو : يخوفكم أوليائه .

وقوله ( وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ويبشر المصدقين الله ورسوله ( الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ) ،  
 وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ، والانتباه عما نهى الله عنه ( أَنْ تَكُفُّوا عَنْهُ ) يقول : ثوابا جزيل  
 لهم من الله ، على إيمانهم بالله ورسوله ، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال ، وذلك الثواب : هو الجنة  
 التي وعدها المتقون . وقوله ( مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا ) خالدين ، لا ينتقلون عنه ، ولا ينفكون . ونصب ما كثر  
 على الحال من قوله ( أَنْ تَكُفُّوا عَنْهُ ) في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر .

(١) أي لم يقل : « إن شاء الله » . ويشير إليه قوله تعالى : « ولا تقولن شيئا إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا ) : أي في دار خلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به عن الله ، وعملوا بما أمرتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)

يُنذِرُ يقول تعالى ذكره : ويحذر أيضا محمد القوم ( الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) من مشركي قومه وغيرهم ، بأس الله وعاجل نقمته ، وآجل عذابه ، على قبيحهم ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) يعني قريشا في قولهم : إنما نعبد الملائكة ، وهن بنات الله . وقوله ( مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ) يقول : ما لقاتلي هذا القول ، يعني قولهم ( اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) . ( به ) : يعني بالله من علم ، والهاء في قوله ( بِهِ ) من ذكر الله . وإنما معنى الكلام : ما هؤلاء القائلين هذا القول بالله ، إنه لا يجوز أن يكون له ولد ، من علم ، فلعجلهم بالله وعظمتهم قالوا ذلك . وقوله ( وَلَا لِآبَائِهِمْ ) يقول : ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم ، على مثل الذي هم عليه اليوم ، كان لهم بالله وبعظمتهم علم . وقوله ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدنيين والكوفيين والبصريين ( كَبُرَتْ كَلِمَةً ) بنصب كلمة ، بمعنى : كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة ، على التفسير ، كما يقال : نعم رجلا عمرو ، ونعم الرجل رجلا قام ، ونعم رجلا قام . وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول : نُصِبَتْ كَلِمَةٌ ، لأنها في معنى : أَكْثِرَ بِهَا كَلِمَةً ، كما قال جل ثناؤه ( وَسَاءَتْ مَرِيئَتَانِ ) وقال : هي في النصب مثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهُنَّ شِمَالًا

(١) البيت غير منسوب . والقحاح : هي النوق ذوات اللبن ، تنتج في أول الربيع ، فتكون لقاحا ، واحدها لقحة ( بفتح اللام وكسرها ) فلا تزال لقاحا حتى يدبر الصيف عنها . ( انظر اللسان : لقح ) . وتروحت : عادت من مراعيها إلى مراعيها . أو تروحت : أصابها الريح . والهدج ( بسكون الدال ) مصدر هدج يهدج هدجا وهدجانا ، وهو المشى الرويد في ضعف . يقال : هدج الظلم يهدج هدجانا والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعام ، وخص بعضهم به الحول . ويقال في جمعه : أرؤل ، ورثلان ، ورثال ، ورثالة ( اللسان رأل ) وتكهن : تلقين على صدورهن في الأرض . والشمال : الريح تهب من جهة الشمال . شبه سير اللقاح في رجوعها إلى مراعيها بهدجان الرثال ، وهو مشى ضعيف . يريد أن اللقاح في ذلك الوقت تهديج في سيرها هدج الرثال حين تسوقهن ريح الشمال . والشاهد في قوله : تكهن شمالا ، فإن شمالا منصوب على التمييز ، وهو محول عن الفاعل . والأصل تكهن شمال . وهو نظير نصب كلمة من قوله تعالى : « كبرت كلمة » فإن كلمة منصوبة على التمييز ، وهو تمييز نسبة محول عن الفاعل ، والأصل كبرت كلمة ( بالرفع ) .



أى تكبير الرياح شمالا . فكأنه قال : كبرت تلك الكلمة ، وذُكِرَ عن بعض المكيبين ، أنه كان يقرأ ذلك ( كَسَبَرَتْ كَلِمَةً ) رفعا ، كما يقال : عَظُمَ قولُك وكَسِبَر شَأْنُكَ . وإذا قرئ ذلك كذلك ، لم يكن في قوله ( كَسَبَرَتْ كَلِمَةً ) مُضْمَر ، وكان صفة للكلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندي : قراءة من قرأ ( كَسَبَرَتْ كَلِمَةً ) نصبا ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، فتأويل الكلام : عَظُمَتِ الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم ، الذين قالوا : اتخذ الله ولدا ، والملائكة بنات الله .

كما حدثنا ابن حنبل ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( كَسَبَرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) قولهم : إن الملائكة بناتُ الله . وقوله ( إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) يقول عز ذكره : ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا ، بقليلهم ذلك ، إلا كذبا وفرية افتروها على الله .

#### القول في تأويل قول تعالى

فَلَمَّا كَبِخَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنْ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لَنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

يعنى تعالى ذكره بذلك : فلعلك يا محمد قاتلُ نفسك ومهلكها ، على آثار قومك الذين قالوا لك ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ ) تمردا منهم على ربهم ، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك ، فيصدقوا بأنه من عند الله ، حزنا وتلهفا ووجدا ، بإدبارهم عنك ، وإعراضهم عما أتيتهم به ، وتركهم الإيمان بك ، يقال منه : بَخِعَ فلان نفسه يبخعها بَخْعًا وبخوعا ، ومنه قول ذى الرمة :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لِيَشِيءَ نَحْتَهُ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

يريد : نَحْتَهُ ، فخفف .

وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ( باخيع ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا كَبِخَ نَفْسِكَ ) يقول :

قاتل نفسك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

(١) البيت في ديوان ذى الرمة طبع كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٥١ من القصيدة الثانية والثلاثين ، وعدتها ثمانية وسبعون بيتا . والباخيع : القاتل . ونحته : عدلته وصرفته . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٩٣) قال : « فلعلك باخع نفسك » : مهلك نفسك . قال ذو الرمة : « ألا أيها . . . » البيت . أى نحته ، مشدد . ويقال : بَخِعْتُ له نفسى ونصصى : أى جهدت له . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٨٣ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) باخع نفسك مخرج ، وقاتل نفسك . أى ( اللسان بَخِعَ ) نفسه يبخعها بَخْعًا وبخوعا ، قتلها غيظا أو نهما . وفى التنزيل « فلعلك باخع نفسك على آثارهم » قال الفراء : أى مخرج نفسك ، وقاتل نفسك . وقال ذو الرمة ألا أيها . . . . . بيش . . . ) ، البيت . قال الأعرابي : بَخِعْتُ لك نفسى ونصصى : أى جهدتها . أى بَخِعَ بخوعا .

وأما قوله (أسفًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ) قال : غضبا .  
وقال آخرون : جزعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أسفًا ) قال : جزعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : معناه : حزنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أسفًا ) قال : حزنا عليهم .  
وقد بيننا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .  
وهذه معاتبته من الله عز ذكره ، على وجده بمباعدة قومه إياه ، فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، وكان بهم رحيمًا .  
وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ) يعاتبه على حزنه عليهم ، حين فاته ما كان يرجو منهم : أي لا تفعل .  
وقوله ( إننا جعلنا ما على الأرض زينة لها ) يقول عز ذكره : إننا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض ( لينبئوهم أيهم أحسن عملا ) يقول : لنختبر عبادنا أيهم أترك لها ، وأتبع لأمرنا ونهيها ، وأعمل فيها بطاعتنا ؟

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما على الأرض زينة لها ) قال : ما عليها من شيء .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً  
 لَهَا ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ  
 مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَتَنَظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ » .  
 وأما قوله ( لِنَبِّئُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عاصم العسقلاني ، قال ( لِنَبِّئُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ  
 عَمَلًا ) قال : أتركها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبِّئُوهُمْ  
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) اختباراً لهم أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي ؟  
 وقوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) يقول عز ذكره : وإنا نجربوها بعد عمارتها ،  
 بما جعلنا عليها من الزينة ، فصيروها صعيداً جُرُزاً ، لانبات عليها ولا زرع ولا غرس . وقد قيل : إنه أريد  
 بالصعيد في هذا الموضع : المستوى بوجه الأرض ، وذلك هو شبيهه بمعنى قولنا في ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، وبمعنى الجُرُز ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) يقول : يهلك كل شيء عليها ويبيد .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( صَعِيدًا جُرُزًا ) قال : بَلَقَعًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا  
 جُرُزًا ) والصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا )  
 يعني : الأرض ، إن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لإلى ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( صَعِيدًا جُرُزًا ) قال : الجُرُزُ :  
 الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترى أنه يقول ( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ،  
 فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ) قال : والجُرُزُ : لاشيء فيها ، لانبات ولا منفعة . والصعيد : المستوى . وقرأ  
 ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : مستوية . يقال : جُرُزَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَجْرُوزَةٌ ، وَجُرُزَهَا الْجُرَادُ

والنعم ، وأَرْضُونَ أَجْرَازَ : إذا كانت لاشيء فيها . ويقال للسنة الهجدية : جُرُزٌ وسنون أجزاز ، بلحديها وييسها ، وقلةً أمطارها ؛ قال الراجز :

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السُّنُونُ الْأَجْرَازُ

يقال : أجزز القوم : إذا صارت أرضهم جُرُزًا ، وجِرَزُوا هم أرضهم : إذا أكلوا نباتها كله .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن ما خلقت من السموات والأرض ، وما فيهن من العجائب أعجب ، من أمر أصحاب الكهف ، وحجتي بكل ذلك ثابتة ، على هؤلاء المشركين من قومك ، وغيرهم من سائر عبادي ؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) قال محمد بن عمرو في حديثه ، قال : ليسوا عجبا بأعجب آياتنا . وقال الحارث في حديثه بقولهم : أعجب آياتنا : ليسوا أعجب آياتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) كانوا يقولون : هم عَجَبٌ . حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) يقول : قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) : أي وما قدروا من قَدْرٍ فيما صنعت من أمر الخلائق ، وما وضعت على العباد من حججى ما هو أعظم من ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبًا ، فإن الذى آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه .

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٩٤ ) قال جرزا : أى غلظا لا يثبت شيئا ، والجميع : أرضون أجزاز . ويقال للسنة الهجدية : جرز ، وسنون أجزاز ، بلحديها ، وييسها ، وقلة مطرها . ثم أنشد بيتا لذي الرمة ، ثم بيت الشاهد . والبيت أيضا من شواهد ( اللسان : جرز ) قال : وستة جرز : إذا كانت جدبة . والجرز : السنة الهجدية ، قال الراجز : « قد جرفتن . . . » البيت . ومعنى جرفتن : أى ذهبت بين كلهن ، أو جلهن . والضمير راجع إلى إبله . ويجوز أن يكون معنى جرفتن بالتشديد : هزلتن ، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم ، لقلة المرعى .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) يقول : الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب ، أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .  
 وإنما قلنا : إن القول الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه ، احتجاجا بها على المشركين من قومه ، على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس ، إذ سأله عنها اختصارا منهم له بالجواب عنها صدقته ، فكان تقريرهم بتكذيبهم ، بما هو أوكده عليهم في الحججة مما سألوها عنهم ، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه ، أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم .  
 وأما الكهف ، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم ، الذين قص الله شأنهم في هذه السورة .  
 وأما الرقيم ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : هو اسم قرية ، أو واد على اختلاف بينهم في ذلك

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يزعم كعب أن الرقيم : القرية .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أم حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ) قال : الرقيم : واد بين عُسْفَانَ وَأَيْلَةَ دُونَ فَلَاسْطِينَ ، وهو قريب من أيلة .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية ، قال : الرقيم : واد .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ) كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّ الرَّقِيمَ : الْوَادِي الَّذِي فِيهِ أَصْحَابُ الْكَهْفِ .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن سيالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( الرقيم ) قال : يزعم كعب أنها القرية .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( الرقيم ) قال : يقول بعضهم : الرقيم : كتاب تبيانهم . ويقول بعضهم : هو الوادي الذي فيه كهفهم : حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : أما الكهف : فهو غار الوادي ، والرقيم : اسم الوادي .  
 وقال آخرون : الرقيم : الكتاب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أم حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ) يقول : الكتاب :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا أبي ، عن ابن قيس ، عن سعيد بن جبير ، قال :  
الرقيم : لوح من حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الرقيم : كتاب ، ولذلك الكتاب خبر ،  
فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعمما فيه ، وقرأ ( وما أدراك ما علبون ، كتاب مرقوم ، يشهدُه  
المقرَّبون ، وما أدراك ما سجين ، كتاب مرقوم ) .  
وقال آخرون : بل هو اسم جبل أصحاب الكهف .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
الرقيم : الجبل الذى فيه الكهف .  
قال أبو جعفر : وقد قيل إن اسم ذلك الجبل : بنجلوس .  
حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد ،  
عن ابن عباس ، وقد قيل : إن اسمه بناجلوس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان  
عن شعيب الجبتي<sup>١</sup> إن اسم جبل الكهف : بناجلوس . واسم الكهف : حيزم . والكلب : حمران .  
وقد روى عن ابن عباس في الرقيم ما حدثنا به الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل  
عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كل القرآن أعلمه ، إلا حنانا ، والأواه ، والرقيم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن  
دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقيم ، أكتاب ، أم بنيان ؟  
وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم : أن يكون معنيا به : لوح ، أو حجر ، أو شيء كتبت فيه كتاب ،  
وقد قال أهل الأخبار : إن ذلك لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم ، حين أووا إلى الكهف . ثم  
قال بعضهم : رفع ذلك اللوح في خزانة الملك . وقال بعضهم : بل جعل على باب كهفهم . وقال بعضهم :  
بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم . وإنما الرقيم : فتعيل ، أصله : مرقوم ، ثم صرف إلى فعيل ، كما  
قيل للمجروح : جريح ، وللمقتول : قتيل ، يقال منه : رقمت كذا وكذا : إذا كتبت ، ومنه قيل للرقيم  
في الثوب رقمة ، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه . ومن ذلك قيل للحية : أرقم ، لما فيه من الآثار ، والعرب  
تقول : عليك بالرقمة ، ودع الضقة : بمعنى عليك برقمة الوادى حيث الماء ، ودع الضفة الجانبية .  
والضفتان : جانبا الوادى . وأحسب أن الذى قال الرقيم : الوادى ، ذهب به إلى هذا ، أعنى به إلى رقمة  
الوادى .

(١) شعيب الجبتي : هو شعيب بن الأسود الجبتي المحدث من أقران طائوس ، أخذ عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن هيران . وهو  
منسوب إلى الجبأ ، بالهمز والقصر ، كما قال الهمداني في صفة جزيرة العرب في مواضع ، وهو كورة المغافر ، بالقرب من الجند ( انظر  
معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة ، في رسم الجبأ ص ٣٦٠ ) .



القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ ، إِلَى الْكَهْفِ : فَقَالُوا رَبَّنَا ، آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشْدًا (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( أم حَسِبْتِ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل ، هربا بدينهم إلى الله ، فقالوا إذ أَوْءَ : ( رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ) رغبة منهم إلى ربهم ، في أن يرزقهم من عنده رحمة . وقوله ( وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ) يقول : وقالوا : يسر لنا بما نبتغي وما نلتمس من رضاك ، والمهرب من الكفر بك ، ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا . رَشْدًا : يقول : سدادا إلى العمل بالذي تحب . وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف ، الذي ذكره الله في كتابه ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك ، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، وكان لهم ملك عابد وتسن ، دعاهم إلى عبادة الأصنام ، فهربوا بدينهم منه ، خشية أن يفتنهم عن دينهم ، أو يقتلهم ، فاستخفوا منه في الكهف :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو في قوله ( أصحاب الكهف والرقيم ) كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام ، وكان ملكهم كافرا ، وقد أخرج لهم صنبا ، فأبوا ، وقالوا : ( رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَْا شَطَطًا ) قال : فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله ، فقال أحدهم : إنه كان لأبي كهف يأوى فيه غنمه ، فانطلقوا بنا نكن فيه ، فدخلوه وفقدوا في ذلك الزمان ، فطلبوا ، فقيل : دخلوا هذا الكهف ، فقال قومهم : لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف ، فبنوه عليهم ثم ردموه ، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى ، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم ، فقال بعضهم لبعض ( كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ ) (فقالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) . . . حتى بلغ ( فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ) . وكان ورق ذلك الزمان كبارا ، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب ، فلما ذهب ليخرج ، رأى على باب الكهف شيئا أنكره ، فأراد أن يرجع ، ثم مضى حتى دخل المدينة ، فأنكر ما رأى ، ثم أخرج درهما ، فنظروا إليه فأنكروه ، وأنكروا الدرهم ، وقالوا : من أين لك هذا ؟ هذا من ورق غير هذا الزمان ، واجتمعوا عليه يسألونه ، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم ، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون ، فنظروا في ذلك اللوح ، وسأله الملك ، فأخبره بأمره ، ونظروا في الكتاب متى فقد ، فاستبشروا به وبأصحابه ، وقيل له : انطلق بنا ، فأرنا أصحابك ، فانطلق وانطلقوا معه ، ليربهم ، فدخل قبل القوم ، فضرب على آذانهم ، فقال الذين غلبوا على أمرهم : ( لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : مَرَجَ أمر أهل الإنجيل ، وعظمت فيهم

الخطايا، وطلعت فيهم الملوك ، حتى عبدوا الأصنام ، وذبحوا للطواغيت ، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم ، متمسكون بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ، ملك من الروم ، يقال له : دَقِينُوس ، كان قد عبد الأصنام ، وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه في ذلك ، ممن أقام على دين عيسى ابن مريم ، كان ينزل في قَرْى الروم ، فلا يترك في قرية ينزلها أحداً ممن يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله ، حتى يعبد الأصنام ، ويذبح للطواغيت ، حتى نزل دَقِينُوس مدينة الفتية أصحاب الكهف ؛ فلما نزلها دَقِينُوس ، كبر ذلك على أهل الإيمان ، فاستخفوا منه ، وهربوا في كل وجه . وكان دَقِينُوس قد أمر حين قدمها ، أن يتبع أهل الإيمان ، فيجمعوا له ، واتخذ شُرطاً من الكفار من أهلها ، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها ، فيستخرجونهم إلى دَقِينُوس ، فيقدمهم إلى الجامع التي يذبح فيها للطواغيت ، فيخبرهم بين القتل ، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب في الحياة ، ويُفْطَع بالقتل ، فيفتين ، ومنهم من يأتي أن يعبد غير الله ، فيقتل ؛ فلما رأى ذلك أهل الصلابة ، من أهل الإيمان بالله ، جعلوا يُسَلِّمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيقتلون ويقطعون ، ثم يربط ما قطع من أجسادهم ، فيعلق على سور المدينة ، من نواحيها كلها ، وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فمنهم من كفر فترك ، ومنهم من صلب على دينه فقتل ؛ فلما رأى ذلك الفتية أصحاب الكهف ، حزوا حزناً شديداً ، حتى تغيرت ألوانهم ، ونحلت أجسامهم ، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة ، والتحميد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والبكاء ، والتضرع إلى الله ، وكانوا فتية أحداثاً أحراراً ، من أبناء أشرف الروم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورق ، قال ابن عباس : فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم ، يبيكون إلى الله ، ويستغيثونه ، وكانوا ثمانية نفر : مَكْسِلِمِينَا ، وكان أكبرهم ، وهو الذي كلّم الملك عنهم ؛ ومَحْسِمِيلِينَا ، ومَيْلِيخَا ، ومَرْطُوس ، وكشوطوش ، وبيرونس ، ودينموس ، ويطونس قالوس<sup>١</sup> فلما أجمع دَقِينُوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، بكوا إلى الله ، وتضرعوا إليه ، وجعلوا يقولون : اللهم رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونك لهما ( لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ) اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة ، وادفع عنهم البلاء ، وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ، ومنعوا عبادتك إلا سراً ، مستخفين بذلك ، حتى يعبدوك علانية . فبينما هم على ذلك ، عرفهم عرفاًؤهم من الكفار ، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، وذكروا أمرهم ، وكانوا قد خلتوا في مُصَلَّى لهم ، يعبدون الله فيه ، ويتضرعون إليه ، ويتوقعون أن يُدْكَرُوا لدَقِينُوس ، فانطلق أولئك الكفرة ، حتى دخلوا عليهم مُصَلَّاهم ، فوجدوهم سجدوا على وجوههم ، يتضرعون ويبيكون ، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دَقِينُوس وفتنته ؛ فلما رأهم أولئك الكفرة من عرفائهم ، قالوا لهم : ما خلتكم عن أمر الملك ، انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم ، فرفعوا أمرهم إلى دَقِينُوس ، وقالوا : تجمع الناس للذبح لآفتك ، وهؤلاء فتية من أهل بيتك ، يسخرون منك ، ويستهبئون بك ، ويعصون أمرك ، ويتركون

(١) قال القرطبي في تفسيره ( ١٠ : ٣٦٠ ) : وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية ، والسند في معرفتها واه . ونقلها عن الطبري .



آهتك. يعمدون إلى مصلى لهم ولأصحاب عيسى بن مريم، يصلون فيه، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى، وأصحاب عيسى، فلم تركهم يصنعون هذا وهم بين ظهرائي سلطانك ومملكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكلمينا، وهم أبناء عظماء المدينة، فلما قالوا ذلك لدقينوس، بعث إليهم، فأتى بهم من المصلى الذى كانوا فيه، تفيض أعينهم من الدموع، معفرة وجوههم فى التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تعبد فى الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسرة أهل مدينتكم، ولمن حضر منّا من الناس، اختاروا منى: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم، فقال مكلمينا: إن لنا إلهة نعبده، ملا السموات والأرض عظمتته، لن ندعو من دونه إله أبدا، ولن نقرّ بهذا الذى تدعوننا إليه أبدا، ولكننا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا، خالصا أبدا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نقرّ بها أبدا، ولنا بكائنين عبّادا للشياطين، ولا جاعلى أنفسنا وأجسادنا عبّادا لها، بعد إذ هدانا الله له، رهبتك، أو فترقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك. ثم قال أصحاب مكلمينا لدقينوس مثل ما قال. قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فمزّع عنهم لبوس كان عليهم، من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم، فإنى سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتى وبطانتى، وأهل بلادى، وسأفرغ لكم، فأجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم، إلا أنى أراكم فتينا حديثا أسنانكم، ولا أحب أن أهلككم حتى أستأنى بكم، وأنا جاعل لكم أجلا تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة، فمزّعت عنهم، ثم أمر بهم، فأخرجوا من عنده، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها، قريبا منها، لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم، بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذّكر بهم، فأتمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقى، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة، فى جبل يقال له: بنجلوس، فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله، حتى إذا رجع دقينوس أتوه، فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدق منها، وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى ذلك الجبل، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام، والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التى لاتنتقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له يملixa، فكان على طعامهم، يتناع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها، وذلك أنه كان من أجلمهم وأجلدهم، فكان يملixa يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين، الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة، فيشترى لهم طعاما وشرابا، ويتسمّع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكّر هو وأصحابه بشيء فى ملا المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك مالبثوا، ثم قدم دقينوس الجبار المدينة التى منها خرج إلى مدينته، وهى مدينة آفسوس؛ فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففزع من ذلك أهل الإيمان، فتنخبثوا فى كل مخبأ؛ وكان يملixa

بالمدينة، يشترى لأصحابه طعامهم وشرايبهم ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي، ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقنوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا وافترقدوا، والتسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت؛ فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعا شديدا، ووقعوا سجودا على وجوههم، يدعون الله، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة؛ ثم إن يملیخا قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعموا من هذا الطعام الذي جئتكم به، وتوكلوا على ربكم؛ فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع، حذرا وتخوفا على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضا، على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر، فبيناهم على ذلك؛ إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون، مُصدّقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم؛ فلما كان الغد فقدم دقنوس، فالتفتهم، فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا يظنون أن بي غضبا عليهم فيما صنعوا في أول شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمرى، ما كنت لأجهل عليهم في نفسى، ولا لأؤخذ أحدا منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتى، ولو فعلوا لتركهم، وما عاقبتهم بشيء سلف منهم. فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بتحقيق أن ترحم قوما فجّرة مردّة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنت أجّلتهم أجلا، وأخّرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا، ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يبدّرون أموالهم بالمدينة؛ فلما علموا بقدمك، فرّوا فلم يدروا بعد. فإن أحببت أن تؤتّى بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم، واشدّد عليهم، يدكوك عليهم، فإنهم يختبئون منك، فلما قالوا ذلك لدقنوس الجبار، غضب غضبا شديدا، ثم أرسل إلى آبائهم، فأتى بهم، فسألم عنهم، وقال: أخبروني عن أبنائكم المرّدة، الذين عصوا أمرى، وتركوا آلهتى، اتّوفى بهم، وأنبتوني بمكانهم. فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك، ولم نخالفك. قد عبدنا أقتك، وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مرّدة، قد ذهبوا بأموالنا فبدّروها وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة، هربا منك؟ فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله عزّ وجلّ في نفسه أن يأمر بالكهف، فيُسدّ عليهم، كرامة من الله أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لامة تُستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقنوس بالكهف أن يُسدّ عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المرّدة الذين تركوا آلهتى، فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم، قبرا لهم، ففعل بهم ذلك عدوّ الله، وهو يظنّ أنهم أبقاظ، يعلمون ما يصنع بهم، وقد توتّى في الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشّاه الله ماغشاهم، يُقلّبون ذات النبين وذات الشمال. ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقنوس يكتمان إيمانهم: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتمرا أن يكتبنا



شأن الفتية أصحاب الكهف ، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم ، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص ، ثم يصنعان له تابوتا من نحاس ، ثم يجعل اللوحين فيه ، ثم يكتب عليه في فم الكهف بين ظهرا في البنيان ، ويختم على التابوت بخاتمهما ، وقالوا : لعل الله أن يُظنهم على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ، فعلا ، ثم بنيا عليه في البنيان ، فبقي دقینوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا ، ثم هلك دقینوس والقرن الذي كانوا معه ، وقرن بعده كثيرة ، وخلفت الخلوف بعد الخلوف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم ، وأهل شرفهم ، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة ، على غير ميعاد ، فقال رجل منهم هو أسنهم : إني لأجد في نفسي شيئا ، ما أظن أن أحدا يجده ، قالوا : ماذا تجد ؟ قال : أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض ، وقالوا : نحن نجد ، فقاموا جميعا ، فقالوا ( رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ) ، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف ، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقینوس ، فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا رقدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا ، مُطَوِّقِينَ مُسَوَّرِينَ ذَوِي ذَوَائِبٍ ، وكان معهم كلب صيدهم ، فخرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب ، وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدون ، وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان ، فأمنوا ، وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه ، فقالوا في أنفسهم ، من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرهم ، فخرج شاب منهم ، حتى انتهى إلى ظل شجرة ، فجلس فيه ، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره ، من غير أن يظهر منه ، فجاء حتى جلس إليه ، ثم خرج الآخرون ، فجاءوا حتى جلسوا إليهما ، فاجتمعوا ، فقال بعضهم : ما جمعكم ؟ وقال آخر : بل ما جمعكم ؟ وكل يكتم إيمانه من صاحبه ، مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج منكم فتيتان ، فيخلفوا ، فيتواتفا أن لا يفشى واحد منهما على صاحبه ، ثم يفشى كل واحد منهما لصاحبه أمره ، فإذا نرجو أن نكون على أمر واحد ، فخرج فتيتان منهم ، فتواتفا ، ثم تكلما ، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما ، قد اتفقا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على الإيمان ، وإذا كهف في الجبل قريب منهم ، فقال بعضهم لبعض : اثنا إلى الكهف ( يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِيراً فَتَقَا ) فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم ، فناموا ، فجعله الله عليهم رقدة واحدة ، فناموا ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا ، قال : وفقدتهم قومهم فطلبوهم ، وبعثوا البُرْدَ ، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح : فلان بن فلان ، وفلان ابن فلان ، أبناء ملوكنا ، فنقدناهم في عهد كذا وكذا ، في شهر كذا وكذا ، في سنة كذا وكذا ، في مملكة فلان

ابن فلان ؛ ورفعوا اللوح في الخزانة ، فمات ذلك الملك ، وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين ، وجاء قرن بعد قرن ، فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين ، وازدادوا تسعا .

وقال آخرون : بل كان مصيرهم إلى الكهف ، هربا من طلب سلطان كان طلبهم ، بسبب دعوى جنابة ، ادعى على صاحب لم أنه جناها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن شروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنبا ، لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأتى حماما ، فكان فيه قريبا من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه الإسلام ، وجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة ، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض ، وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حُسْنِ الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك ، حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيره الحوارى ، فقال : أنت ابن الملك ، وتدخل معك هذه النكداء ، فاستحيا ، فذهب فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، فسبه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة ، فانا في الحمام جميعا ، فأتى الملك ، فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنتك ، فالتمس ، فلم يقدر عليه هربا ، قال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية ، فالتمسوا ، فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحب لم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم ، فذكروا أنهم التمسوا ، فانطلق معهم الكلب ، حتى أوام الليل إلى الكهف ، فدخلوه ، فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ، ثم نصبح إن شاء الله ، فترون رأيكم ، ففُضِرْبَ على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم . قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرْعِبَ ، فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، ودعهم فيه ، يموتوا عطشا وجوعا ، ففعل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)

يعنى جل ثناؤه بقوله ( فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ) : فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف : أى ألقينا عليهم النوم ، كما يقول القائل لآخر : ضربك الله بالفالج ، بمعنى ابتلاه الله به ، وأرسله عليه . وقوله ( سِنِينَ عَدَدًا ) يعنى سنين معدودة ، ونصب العدد بقوله ( فَضْرَبْنَا ) . وقوله ( ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ )



لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ) يقول : ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أَوْأُوا إلى الكهف ، بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم ، لينظر عبادى ، فيعلموا بالبحث : أَيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مَكْتُ الْفَتِيَّةِ فِي كَهْفِهِمْ رَقُودًا ( أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : أصوب لقدّر لبثهم فيه أمدًا ؛ ويعنى بالأمد : الغاية ، كما قال النابغة :

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ

وذكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم ، قوم من قوم الفتية ، فقال بعضهم : كان الحزبان جميعا كافرين . وقال بعضهم : بل كان أحدهما مسلما ، والآخر كافرا .

ذكر من قال : كان الحزبان من قوم الفتية

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ) من قوم الفتية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : ما كان لواحد من الفريقين علم ، لا لكفارهم ولا للمؤمنينهم . وأما قوله ( أَمَدًا ) فإن أهل التأويل : اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : معناه : بعيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) يقول : بعيدا .

وقال آخرون : معناه : عددا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَمَدًا ) قال : عددا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وفي نصب قوله ( أَمَدًا ) وجهان : أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله ( أَحْصَى ) كأنه قيل : أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَصُوبٌ عَدَدًا لِقَدْرِ لَبْثِهِمْ . وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب ، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

(١) البيت للنابغة الذبياني ، في ( مختار الشعر الجاهل ) ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ١٥٢ من قصيدته التي مطلعها : « يادارمية بالعلياء فالسند » وهي خمسون بيتا ، والشاهد هو السادس والعشرون منها . قال شارحه : الأمد : الغاية التي تجرى إليها ( وعلى هذا استشهد المؤلف ) . يقول : لا تنطو على حقد ونفس ، إلا لمن هو مثلك في الناس ، أو قريب منك .

والآخر : أن يكون منصوبا بوقوع قوله (لَيْسُوا) عليه ، كأنه قال : أي الحزين أحصى للبهيم غاية .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِآلِ حَقِّهِمْ ، إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نأخبرك عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف . بالحق : يعني بالصدق واليقين الذي لا شك فيه . ( إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ) يقول : إن الفتية الذين أووا إلى الكهف الذين سألتك عن نبئهم الملائ من مشركي قومك ، فتية آمنوا بربهم ، ( وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ) يقول : وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا ، وبصيرة بدينهم ، حتى صبروا على هجران دار قومهم ، والحرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش وليته ، إلى خشونة المكث في كهف الجليل .

وقوله ( وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) يقول عز ذكره : وألهمناهم الصبر ، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) : يقول بالإيمان . وقوله ( إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس ، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته : ( رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيها من شيء ، وأهلك مربوبة ، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ، ونعبد المربوب ( لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ) يقول : لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلها ، لأنه لا إله غيره . وإن كل ما دونه فهو خلقه ( لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ) : يقول جل ثناؤه : لئن دعونا إلها غير إله السموات والأرض ، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها ، شططا من القول : يعني غالبا من الكذب ، مجاوزا مقداره في البطول والغلو ، كما قال الشاعر :

أَلَا يَا لِقَوْمِي قَدْ أَشْطَطْتُ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أُوْدِي بِحَقِّي بَاطِلِي

(١) البيت للأحوص بن محمد . وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٩٤ ) قال : « قلنا إذا شططا » : أي جورا ونلوا ، قال : « ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي » . . . البيت ، وذكر بعده بيتا آخر ، وهو :

وَيَلْحَحِيَّتِي فِي اللَّهْوِ أَنْ لَا أَحْبِبُهُ وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ

وفي ( اللسان : شطط ) : الشطط : مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام ، أو غير ذلك من كل شيء مشتق منه . اه . وقال : وشط في سلعة وأشط : جاوز القدر ، وتباعد عن الحق . وشط عليه في حكمة يشط شططا . واشتط وأشط : جاز في قضيته . وقال أبو عبيد : شططت أشط ، بضم الشين ، وأشططت : جرت . قال ابن بري : أشط : بمعنى أبعد ، وشط : بمعنى بعد . وشاهد أشط بمعنى أبعد ، قول الأحوص : « ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي » . . . البيت .



يقال منه : قد أشط فلان في السوم : إذا جاوز القدر وارتفع ، يُشيط إشطاطا وشططا . فأما من البعد فلإنما يقال : شط منزل فلان يشط شطوطا ، ومن الطول : شطت البخارية تشط شطاطا وشطاطة : إذا طالت . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( شططا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا ) يقول : كذبا . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطَا ) قال : لقد قلنا إذن خطأ ، قال : الشطط : الخطأ من القل .

القول في تأويل قوله تعالى

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥)

يقول عز ذكره مخبرا عن قبل الفتية من أصحاب الكهف : ( هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ) الله ( آلهة ) يعبدونها من دونه ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) يقول : هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بيينة ، وفي الكلام محذوف اجتزأ بما ظهر عما حذف ، وذلك في قوله ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلهة ، والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان ، ولا يسأل السلطان عليها ، وإنما يسأل عابدها السلطان على عبادتهمها ، فمعلوم إذ كان الأمر كذلك ، أن معنى الكلام : لولا يأتون على عبادتهمها ، واتخاذهمها آلهة من دون الله ، بسلطان بين .

وبنحو ما قلنا في معنى السلطان قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) يقول : بعذر بين ، وعني بقوله عز ذكره ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) : ومن أشد اعتداء وإشراكا بالله ، من اختلق ، فتخرص على الله كذبا ، وأشرك مع الله في سلطانه شريكا يعبده دونه ، ويتخذة إلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) \*

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل بعض الفتية لبعض : وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من

دون الله آلهة (وَمَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) يقول : وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله ، فإما إذ كان ذلك معناه : في موضع نصب ، عطفاً لها على الماء والميم ، التي في قوله ( وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ) وَمَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ) وهي في مصحف عبد الله ( وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) هذا تفسيرها .  
وأما قوله ( فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ) فإنه يعني به : فصبروا إلى غار الجبل ، الذي يسمى بنجلوس ، ( يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) يقول : يبسط لكم ربكم من رحمته ، بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُميت به من الكافر دقينوس ، وطلبه إياكم ، لعرضكم على الفتنة .  
وقوله ( فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ) جواب لإذ ، كأن معنى الكلام : وإذا اعتزلتم أيها القوم قومكم ، فأووا إلى الكهف ، كما يقال : إذ أذنبت فاستغفر الله ، وتب إليه .

وقوله ( وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) يقول : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب ، خوفاً منكم على أنفسكم ودينكم . مرفقا ، ويعنى بالمرفق : ما ترفقون به من شيء . وفي المرفق من اليد وغير اليد لغتان : كسر الميم وفتح الفاء ، وفتح الميم وكسر الفاء . وكان الكسائي يُسكّر في مِرْفَقِ الْإِنْسَانِ الذي في اليد إلا فتح الفاء وكسر الميم . وكان الفراء يحكى فيهما ، أعنى في مرفق الأمر واليد ، اللغتين كليهما ، وكان ينشد في ذلك قول الشاعر :

بِتْ أَجَافِي مِرْفَقًا عَن مِرْفَقِي

ويقول : كسر الميم فيه أجود .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول في قوله ( مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) شيئا ترفقون به ، مثل المِثْقَطِ ، ومِرْفَقًا ، جمعها أسما كالمسجد ، ويكون لغة ، يقولون : رفق يرفق مِرْفَقًا ، وإن شئت مِرْفَقًا ، تريد رفقًا ، ولم يقترأ . وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ( وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ) بفتح الميم ، وكسر الفاء ، وقرأته عامة قراء العراق في المصيرين ( مِرْفَقًا ) بكسر الميم ، وفتح الفاء .  
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما قراء من أهل القرآن ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذي أختار في قراءة ذلك

(١) هذا بيت من الرجز ، استشهد به المؤلف على أن المرفق الذي يرفق به وينتفع : يجوز فيه فتح الميم مع كسر الفاء وكسر الميم مع فتح . وكذلك مرفق اليمين ، وهو موافق لما قاله الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٨٤ من مصورة الجامعة ) قال : وقوله « من أمركم مرفقا » كسر الميم الأعمش والحسن ، ونصبها أهل المدينة وعاصم ؛ فكان الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء ، أرا دوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر ، والمرفق من الإنسان . وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ، ومن الإنسان . والعرب أيضا تفتح الميم من مرفق الإنسان ، لغتان فيهما . اهـ . أما أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٩٥ ) فإنه قال : المرفق : ما ارتفق به ، ويقروء قوم مرفقا ( أي بالفتح ) فأما في اليمين فهو مرفق . ولم أجد هذا الشاعر عند الفراء ، ولا عند أبي عبيدة ، ولا في لسان العرب . ومعنى أجافي : أبعد .



( وَبَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا ) بكسر الميم وفتح الفاء ، لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب ، وكذلك ذلك في كل ما ارتفع به من شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ، وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِّنْهُ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهَوِّ الْمُهْتَدِ ، وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧)

يقول تعالى ذكره ( وَتَرَى الشَّمْسَ ) يا محمد ( إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يعني بقوله ( تَزَاوَرُ ) : تعديل وتميل ، من الزَّوَرُ : وهو العَوَج والميل ؛ يقال منه : في هذه الأرض زَوَرٌ : إذا كان فيها اعوجاج ، وفي فلان عن فلان ازورار ، إذا كان فيه عنه إعراض ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم .

يَوْمٌ بِهَا الْحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وَفِيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازوراراً

يعني : إعراضاً وصدأ .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة ( تَزَاوَرُ ) بتشديد الزاي ، بمعنى : تزاور بناءين ، ثم أُدغم إحدى التاءين في الزاي ، كما قيل : نظأهرون عليهم . وقراً ذلك عامة قراء الكوفيين ( تَزَاوَرُ ) بتخفيف التاء والزاي ، كأنه عنى به تَفَاعَلَ من الزور . ورؤى عن بعضهم ( تَزَوَرُ ) بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمَّر ، وبعضهم : تزوارَ : مثل تحمارَ .  
والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان ، أعني ( تَزَاوَرُ ) بتخفيف الزاي ، و ( تَزَوَرُ ) بتشديدها ، معروفتان ، مستفيضتا القراءة بكل واحد منهما في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . وأما القراءتان الأخريان فلإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما ، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم ، لشذوذهما عما عليه قراءة الأمصار .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ) قال أهل التأويل .

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . ذكره البكري في معجم ما استعجم طبع القاهرة ( لجنة التأليف ، بتحقيق مصطفى السقا ) في رسم « أبان » . قال : أبان : جبل . وهما أبانان : أبان الأبيض وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرمة يقطع بينهما . فأبان الأبيض لبني جريد من بني قزارة ، خاصة ، والأسود : لبني والبة ، من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وقال بشر فيها « وفيها عن أبانين ازورار » . وقال الأسمي : أراد أبانا ، فشاء الضرورة . ونخل ، كما في معجم ما استعجم : عل لفظ جمع نخلة ، قال يعقوب : هي قرية يواد يقال له : شخ ، لقزارة وأشجع وأمار وقريش والأنصار . . . عل لبانين من المدينة . أو هي ماء بين القصة والثاملية . ويؤم بها : يقصد بالإبل ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل يحدو بها ، ويعنى لها . والازورار : الميل والعدول والإعراض عن الشيء ، كما استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « تزاور عن كهفهم » أي تميل عنه وتتحرف .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) قال : تمثيل .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يقول : تمثيل عنهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول : تمثيل عن كهفهم يمينا وشمالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) يقول : تمثيل ذات اليمين ، تدّ عنهم ذات اليمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) قال : تمثيل عن كهفهم ذات اليمين .

حدثت عن يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقهم ، ولو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض ، قال : وذلك قوله ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : ( تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ) تمثيل .

وقوله ( وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول تعالى ذكره : وإذا غربت الشمس تركبهم من ذات شمالهم . وإنما معنى الكلام : وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين ، لئلا تصيب الفتية . لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقهم وثيابهم ، أو أشحبهم . وإذا غربت تركبهم بذات الشمال ، فلا تصيبهم ؛ يقال منه : قرّضت موضع كذا : إذا قطعتة فجاوزته . وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب : قرّضته قبلا ودُبُرًا ، وحدوته ذات اليمين والشمال ، وقبلا ودُبُرًا : أي كنت بجذائه ؛ قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد . وأصل القرّض : القطع ، يقال منه : قرّضت الثوب : إذا قطعتة ؛ ومنه قيل للمقرّض : مقرّض ، لأنه يقطع ؛ ومنه قرّض الثوب ؛ ومنه قول ذي الرمة :

إلى ظعنٍ يقرّضن أجوازٍ مشرفٍ شمالاً وعن أيمانٍ الفوارس<sup>١</sup>

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣١٣ من القصيدة رقم ٤١ ، وعدة أبياتها ٥١ بيتا . أي نظرت =



يعنى بقوله : **تَقْرَضُنَّ** : يقطعن .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول : **تَدْرَهُم** .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبیر ، قال ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ) تركهم ذات الشمال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عز وجل ( **تَقْرَضُهُمْ** ) قال : تركهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ )

يقول : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله :

( **تَقْرَضُهُمْ** ذَاتَ الشَّمَالِ ) قال : **تَدَعُهُمْ** ذات الشمال .

حدثنا ابن سنان القرظى ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، عن

سالم ، عن سعيد بن جبیر ( وَإِذَا غَرَبَتِ **تَقْرَضُهُمْ** ) قال : تركهم .

وقوله ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) يقول : والفتية الذين أووا إليه فى متسع منه ، **يُجْمَعُ** : فجوات ،

وفجاء ممدودا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) يقول :

فى فضاء من الكهف ، قال الله ( ذلك من آيات الله ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفظس ، عن

سعيد بن جبیر ( **وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) قال : المكان الداخلى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( **وَهُمْ**

**فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ** ) قال : المكان الداخلى .

= إلى ظن يقرضن أى يملن عنها . والفوارس : رمال بالدهناء . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى ( مجاز القرآن : ١ : ٣٩٦ ) ، قال : « تقرضهم ذات الشمال » أى تخلفهم شمالا ، وتجاوزهم وتقطعهم ، وتركهم عن شمالها . ويقال : هل مرت بمكان كذا وكذا ؟ فيقول المسئول : قرضت ذات اليمين ليلا . وقال ذو الرمة : « إلى ظن يقرضن أجواز مشرف » . البيت . ومشرف والفوارس : موضعان بنجد ، كما فى معجم ما استعجم ، وأنشد البيت فى رسم الفوارس ، ونسبه إلى ذى الرمة . والظن : جمع ظئبة ، وهى المرأة فى المودج على جملها أو ناقها .

حدثني ابن سينان ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ( فِي فَجْوَةِ مِثْنَةٍ ) قال : في مكان داخل .  
 وقوله ( ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) يقول عزّ ذكره : فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم ، من تصييرناهم ، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم ، بحيث تراور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت ، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غربت ، مع كونهم في المتسع من المكان ، بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم ، ولا تيبلي على طول رقبتهم ثيابهم ، فتعفن على أجسادهم ، من حجج الله وأدلته على خلقه ، والأدلة التي يستدل بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه ، وأنه لا يُعجزه شيء أراده . وقوله ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ) يقول عزّ وجلّ : من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق ، التي جعلها أدلة عليه ، فهو المهتدي : يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق ( وَمَنْ يَضِلْ ) يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته ، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد ( فَكَلَنَ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ) يقول : فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفا يرشده لإصابها ، لأن التوفيق والخذلان بيد الله ، يوفق من يشاء من عباده ، ويخذل من أراد ؛ يقول : فلا يحزنك إدبار من أدبر عنك من قومك ، وتكذيبهم إياك ، فإنّ لو شئت هديتهم فأمنوا ، وبيدي الهداية والضلال .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ، وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ، لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)  
 يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصصهم ، لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا . والأيقاظ : جمع يقظ ؛ ومنه قول الراجز :

وَوَجَدُوا إِخْوَتَهُمْ أَيْقَاظًا وَسَيِّفَ غِيَاظٍ لَهُمْ غِيَاظًا

وقوله ( وَهُمْ رُقُودٌ ) يقول : وهم نيام . والرُقود : جمع راقد ، كالجُلوس : جمع جالس ، والقعود : جمع قاعد . وقوله ( وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) يقول جلّ ثناؤه : ونقلب هؤلاء الفتية في رقبتهم مرةً للمجنب الأيمن ، ومرةً للمجنب الأيسر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) وهذا التقلب في رقبتهم الأولى . قال : وذكر لنا أن أبا عياض قال : لهم في كل عام تقليبان ،

(١) البيتان ( في ديوان المعراج الراجز ، في الملحق بديوان ص ٨١ - ٨٢ ) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتا . ورقا البيتين فيها هما : ١٦ ، ٨ . وهما من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٣٩٧ ) قال « وتحسبهم أيقاظا » : واحدهم : يقظ . ورجال أيقاظ ؛ وكذلك جمع يقظان : أيقاظ ، يذهبون به إلى جمع يقظ . وقال رؤبة : « ووجدوا . . . البيتين » وقد نسجها لرؤبة ، وهما في ديوان المعراج . وقد تداخلت أشعارهما على الرواة والغويين . وغياظ : اسم رجل .



حدثت عن يزيد ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَتَقَلَّبُوهُمْ<sup>١</sup> ذَاتَ الِيسْمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ) قال : لو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض .  
وقوله ( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٢</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله :  
( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٣</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ ) فقال بعضهم : هو كلب من كلابهم كان معهم . وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى . وقال بعضهم : كان إنسانا<sup>٤</sup> من الناس ، طبأخا لهم تببهم .  
وأما الوصيد ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : هو الفناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بِالْوَصِيدِ ) يقول : بالفناء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٥</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بالفناء . قال ابن جريج : يمسك باب الكهف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٦</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) يقول : بفناء الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( بِالْوَصِيدِ ) قال : بفناء الكهف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( بِالْوَصِيدِ ) قال : يعني بالفناء .

وقال آخرون : الوصيد : الصعيد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٧</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) يعني فناءهم . ويقال : الوصيد : الصعيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون ، عن عنبرة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : ( وَكَلَّبَهُمْ<sup>٨</sup> بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : الوصيد : الصعيد .

(١) قوله « كان إنسانا الخ » كذا في الأصول وفي ابن كثير . وقيل كلب مطبخ الملك ، وقد كان وافقهم على الدين ، وصبه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو ، في قوله ( وَكَلَّبَهُمْ بِاسِطًا ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : الوصيد : الصعيد ، التراب .  
وقال آخرون : الوصيد : الباب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَكَلَّبَهُمْ بِاسِطًا ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) قال : بالباب ، وقالوا بالفناء .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : الوصيد : الباب ، أو فناء الباب ، حيث يغلّق الباب ، وذلك أن الباب يُوصد ، وإيصاده : إطباقه وإغلاقه ، من قول الله عز وجل ( إِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَوْصِدَةٌ ) . وفيه لغتان : الأصيد ، وهي لغة أهل نجد ، والوصيد : وهي لغة أهل تهامة ، وذو كبر عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : إنها لغة أهل اليمن ، وذلك نظير قولهم : ورخت الكتاب وأرخته ، ووكدت الأمر وأكدته ، فن قال الوصيد ، قال : أوصدت الباب ، فأنا أوصيده ، وهو موصد ، ومن قال الأصيد ، قال : آصدت الباب ، فهو موصد ، فكان معنى الكلام : وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب ، يحفظ عليهم بابه .  
وقوله ( لَوْ اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَهُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا ) يقول : لو اطّلت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم ، لأدبرت عنهم ، هاربا منهم فارا ( وَوَلَّيْتَهُمْ مِنْهُمْ رُعبًا ) يقول : ولّيت نفسك من اطّلاعت عليهم فرعا ، لما كان الله ألبسهم من الهيبة ، كي لا يصل إليهم واصل ، ولا تلمسهم يد لاس ، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، وتوقفهم من رقدتهم قدرته وسلطانه ، في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه ، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَوَلَّيْتَهُمْ مِنْهُمْ رُعبًا ) فقرأه عامة قراء المدينة بتشديد اللام من قوله ( وَوَلَّيْتَهُ ) بمعنى أنه كان يمتلي مرة بعد مرة . وقرأ ذلك عامة قراء العراق ( وَوَلَّيْتَهُ ) بالتخفيف ، بمعنى : ملئت مرة . وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيح .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ : كَمْ لَبِئْتُمْ ؟ قَالُوا : لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ  
بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالُوا : رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ ، فَأَنْبَشُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ،  
فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ، فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ، وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)  
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠)



يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف ، فحفظناهم من وصول واصل إليهم ، وعين ناظر أن ينظر إليهم ، وحفظنا أجسامهم من البلاء ، على طول الزمان ، وثيابهم من العفن على مر الأيام ، بقدرتنا ، فكذلك بعثناهم من رقدتهم ، وأيقظناهم من نومهم ، لنعرفهم عظيم سلطاننا ، وعجيب فعلنا في خلقنا ، وليردادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه ، من براءتهم من عبادة الآلهة ، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له ، إذا تبينوا طول الزمان عابهم ، وهم بهيتهم حين رقدوا . وقوله ( لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ) يقول : ليسأل بعضهم بعضا ( قال قائلٌ منهمُ كَمْ لَبِثْتُمْ ) يقول عز ذكره : فتساءلوا ، فقال قائل منهم لأصحابه : ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم ( قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) يقول : فأجابهم الآخرون ، فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ظنا منهم أن ذلك كذلك كان ، فقال الآخرون : ( رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ) فسلموا العلم إلى الله :

وقوله ( فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ) : يعنى مدينتهم التي خرجوا منها هيرابا ، التي تسمى أفسوس ( فلتبينظُرْ أيتها أركى طعاما ؟ فقلنا تيكُم برزقٍ منه ) ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جوعا ، فلذلك طلبوا الطعام .

ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن بشرس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إنهم غيروا ، يعنى الفتية من أصحاب الكهف ، بعد ما نبى عليهم باب الكهف ، زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه ، ورد إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما ، فلما أتى باب مدينتهم ، رأى شيئا ينكره ، حتى دخل على رجل فقال : يعنى بهذه الدراهم طعاما ، فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس ، فأوانا الليل ، ثم أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان ، فأنت لك بها ؟ فرفعه إلى الملك ، وكان ملكا صالحا ، فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس ، حتى أدركتنا الليل في كهف كذا وكذا ، ثم أمروني أن أشتري لهم طعاما ، قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ، قال : فانطلقوا معه ، حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل على أصحابي قبلكم ، فلما رأوه ، ودنا منهم ، ضرب على أذنه وأذانهم ، فجعلوا كلما دخل رجل أرب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، اتخذوها مسجدا يصلون فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتعودوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرَب الله على سمعهم ، فلبثوا دهرا طويلا ، حتى هلكت أممهم ، وجاءت أمّة مسلمة ، وكان ملكهم مسلما ، فاختلفوا في الروح والجسد ، فقال قائل : يبعث الروح والجسد جميعا :

وقال قائل : يُبعث الروح ، فأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئا ، فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسْوَح ، وجلس على الرَّمَاد ، ثم دعا الله تعالى ، فقال : أى ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم آية تبيّن لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما ، فدخل السوق ، فجعل يُسكّر الوجوه ، ويعرف الطرق ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلا يشتري منه طعاما ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها ، قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبْع ، يعنى الإبل الصغار ، فقال له الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله ، فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم ، فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان ، يعنى ملكهم الذى مضى ، فقال الفتى : انطلقوا إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضُرب على أذنه وعلى آذانهم ؛ فلما استبطئوه دخل الملك ، ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا يتكرونها شيئا ، غير أنها لأرواح فيها ، فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم . قال قتادة ، وعن ابن عباس ، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة ، فرأوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف ، قال : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح ، يقال له تيدوسيس ؛ فلما ملك بقرى ثمانيا وستين سنة ، فتحزب الناس فى ملكه ، فكانوا أحزبا ، فمنهم من يؤمن بالله ، ويعلم أن الساعة حقّ ، ومنهم من يكذب ، فكبر ذلك على الملك الصالح تيدوسيس ، وبكى إلى الله وتضرّع إليه ، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ، ويقولون : لا حياة إلا الحياة الدنيا ، وإنما تُبعث النفوس ، ولا تُبعث الأجساد ، ونسوا ما فى الكتاب ، فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يقنّ فيه خيرا ، وأنها أئمة فى الحقّ ، فجعلوا يكذبون بالساعة ، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ وملة الخواريين ؛ فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس ، دخل بيته فأغلقه عليه ، ولبس مِسْحَا ، وجعل تحت رمادا ، ثم جلس عليه ، فدأب ذلك ليلة ونهاره زمانا ، يتضرّع إلى الله ، ويبكى إليه مما يرى فيه الناس ؛ ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد ، أراد أن يظّهر على الفتية أصحاب الكهف ، ويبيّن للناس شأنهم ، ويجعلهم آية لهم ، وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس ، ويتمّ نعمته عليه ، فلا ينزع منه ملكه ، ولا الإيمان الذى أعطاه ، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا ، وأن يجمع من كان تبتدّ من المؤمنين ، فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف ، وكان الجبل بنجلوس الذى فيه الكهف لذلك الرجل ، وكان اسم ذلك الرجل أولياس - أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف ، فيبنى به حظيرة لغنمه ، فاستأجر عاملين ، فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ، ويبنيان بها تلك الحظيرة ، حتى نزعوا ما على فم الكهف ، حتى فتحا عنهم باب الكهف ، وحجبتهم الله من الناس بالرعب ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم



غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ، ثم يتقدم حتى يرى كلهم دونهم إلى باب الكهف نائما ؛ فلما نزعوا الحجارة ، وفتحوا عليهم باب الكهف ، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى ، للفتية أن يجلسوا بين ظَهْرِي الكهف ، فجلسوا فرحين ، مُسْتَفِرِّين وجوههم ، طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ ، فَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، حَتَّى كَانُوا اسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَيْقِظُونَ لَهَا ، إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمُ الَّتِي بَيَّتُوا فِيهَا ، ثُمَّ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلُّوا ، كَالَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ ، لَا يُرَوْنَ ، وَلَا يُرَى فِي وُجُوهِهِمْ ، وَلَا أُبْشِرُهُمْ ، وَلَا أَلْوَانُهُمْ ، شَيْءٌ يُنْكِرُونَهُ ، كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا بَعَثَى أَمْسٌ ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَلَكَهُمْ دَقِينُوسَ الْجَبَّارَ فِي طَلَبِهِمْ وَالنَّاسِمَهُمْ ؛ فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، قَالُوا لِمَلِيخَا ، وَكَانَ هُوَ صَاحِبَ نَفْسِهِمْ ، الَّذِي كَانَ يَبْتَاعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَجَاءَهُمْ بِالْخَبْرِ أَنَّ دَقِينُوسَ يَلْتَمِسُهُمْ ، وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ ، أَنْبِئْنَا يَا أَخِي ، مَا الَّذِي قَالَ النَّاسُ فِي شَأْنِنَا عَشَى أَمْسٍ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ ؟ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ رَقَدُوا كَبَعْضِ مَا كَانُوا يَرَقُدُونَ ، وَقَدْ خَبِلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ نَامُوا كَأَطْوَلِ مَا كَانُوا يَنَامُونَ ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَصْبَحُوا فِيهَا ، حَتَّى تَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) نِيَامًا ؟ ( قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ) وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ يَسِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ مَلِيخَا : افْتَقِدْتُمْ وَالتَّمِيسْتُمْ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُؤْتِيَ بِكُمْ الْيَوْمَ ، فَتَدْبُرُجُونَ لِلطَّوَاغِيَةِ ، أَوْ يَقْتُلُكُمْ ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلْ ، فَقَالَ لَهُ مَكْسَلَمِينَا : يَا إِخْوَتَاهُ ، اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُونَ ، فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِذَا دَعَاكُمْ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَلَا تُنْكِرُوا الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تَبِيدُ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ ، وَالْحَيَاةَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ؛ ثُمَّ قَالُوا لِمَلِيخَا : انْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَتَسْمَعْ مَا يُقَالُ لَنَا بِهَا الْيَوْمَ ، وَمَا الَّذِي نُنْذِرُكَ بِهِ عِنْدَ دَقِينُوسَ ، وَتَلَطَّفْ ، وَلَا يَشْعُرَنَّ بِنَا أَحَدٌ ، وَابْتَغِ لَنَا طَعَامًا فَاتْنَا بِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَنَ لَكَ ، وَزَدْنَا عَلَى الطَّعَامِ الَّذِي قَدْ جِئْنَا بِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ قَلِيلًا ، فَقَدْ أَصْبَحْنَا جِيَاعًا . ففعل مَلِيخَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وَوَضَعَ ثِيَابَهُ ، وَأَخَذَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَتَّكِرُ فِيهَا ، وَأَخَذَ وَرَقًا مِنْ نَفْسِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ ، الَّتِي ضُرِبَتْ بِطَابَعِ دَقِينُوسِ الْمَلِكِ ، فَانْطَلَقَ مَلِيخَا خَارِجًا ؛ فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ الْكَهْفِ ، رَأَى الْحِجَارَةَ مَنزُوعَةً عَنِ بَابِ الْكَهْفِ ، فَعَجِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ مَرَّ فَلَمْ يَبَالِ بِهَا ، حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ مُسْتَخْفِيًا ، بِصَدِّعٍ عَنِ الطَّرِيقِ ، نَحْوًا أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَيَعْرِفُهُ . فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى دَقِينُوسَ ، وَلَا يَشْعُرُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَنَّ دَقِينُوسَ وَأَهْلَ زَمَانِهِ قَدْ هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِئَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، إِذْ كَانَ مَا بَيْنَ أَنْ نَامُوا إِلَى أَنْ اسْتَيْقَظُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ ؛ فَلَمَّا رَأَى مَلِيخَا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفَعَ بَصْرَهُ ، فَرَأَى فَوْقَ ظَهْرِ الْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ إِذَا كَانَ ظَاهِرًا فِيهَا ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا عَجِبَ ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ مُسْتَخْفِيًا إِلَيْهَا ، فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَتَعَجَّبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ ، فَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَنَظَرَ فَرَأَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَحِيطُ بِالْمَدِينَةِ كُلِّهَا ، وَرَأَى عَلَى كُلِّ بَابٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ ، وَرَأَى نَاسًا كَثِيرًا مُخَدِّعِينَ ، لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَمْشِي وَيَعَجِبُ ، وَيَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانٌ ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَ شِعْرِي ، أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةُ أَمْسٍ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَخْفُونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ ، وَيَسْتَخْفُونَ بِهَا ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ ، لِعَالِي حَالٍ ، ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ ؛ فَأَخَذَ كِسَاءَهُ

فجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة ، فجعل يمشي بين ظهري سوقها ، فيسمع أناسا كثيرا يخلفون باسم عيسى ابن مريم ، فترآده فرقا ، ورأى أنه حيران ، فقام مُسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ، ويقول في نفسه : والله ما أدري ما هذا ؟ أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قُتِل ، وأما الغدا فأسمعهم وكل إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف ، ثم قال في نفسه : لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف ، أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا ، فقام كالحيران لا يتوجه وجها ، ثم لقي فتى من أهل المدينة ، فقال له : ما اسم هذه المدينة يا فتى ، قال : اسمها أفسوس ، فقال في نفسه : لعل بي مسأ ، أو بي أمر أذهب عقلي ، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها ، قبل أن أخزى فيها ، أو يصيبني شر فأهلك ، هذا الذي يحدث به يملخا أصحابه ، حين تبين لهم ما به ، ثم إنه أفاق فقال : والله لو عَجَلت الخروج من المدينة قبل أن يُفْطِن بي لكان أكيس لي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام ، فأخرج الورق التي كانت معه ، فأعطاها رجلا منهم ، فقال : يعنى بهذه الورق يا عبد الله طعاما ، فأخذها الرجل ، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها ، فعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه ، فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم ، من رجل إلى رجل ، ويتعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ، ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا في الأرض ، منذُ زمان ودهر طويل ، فلما رأهم يتشاورون من أجله ، ففرق فرقا شديدا ، وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقنوس ، يسلمونه إليه . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه ، فقال لهم وهو شديد الفترق منهم : أفضلوا عليّ ، فقد أخذتم وِرق فأمسِكوا ، وأما طعامكم فلا حاجة لي به ، قالوا له : من أنت يا فتى ؟ وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين ، فأنت تريد أن تخفيه منا ، فانطلق معنا ، فأرناه وشاركنا فيه ، نُخِفْ عليك ما وجدت ، فإنك إن لاتفضل نأت بك السلطان ، فنسلمك إليه فيقتلك . فلما سمع قولهم ، عجب في نفسه ، فقال : قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ! ثم قالوا : يا فتى ، إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت ، ولا تظن في نفسك أنه سيخفي حالك ، فجعل يملخا لا يدري ما يقول لهم ، وما يرجع إليهم ، وفترق حتى ما يُخبر إليهم جوابا ، فلما رأوه لا يتكلم ، أخذوا كساءه ، فطوقوه في عنقه ، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مُلَبَّبا ، حتى سمع به من فيها ، فقيل : أُخِذ رجل عنده كنز ، واجتمع عليه أهل المدينة ، صغيرهم وكبيرهم ، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة ، وما رأيناه فيها قط ، وما نعرفه ، فجعل يملخا لا يدري ما يقول لهم ، مع ما يسمع منهم ، فلما اجتمع عليه أهل المدينة ، فترق ، فسكت فلم يتكلم ، ولو أنه قال : إنه من أهل المدينة لم يُصدّق ، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة ، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها ، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها ، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا . فبينما هو قائم كالحيران ، ينتظر متى يأتيه بعض أهله ، أبوه أو بعض إخوته ، فيخلصه من أيديهم ، إذ اختطفوه ، فانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها ، وهما رجلان صالحان ، كان اسم أحدهما أريوس ، واسم الآخر أسطيوس ، فلما



انطلق به إليهما، ظنّ يملیخا أنه ينطلق به إلى دقینوس الجبار، ملكهم الذى هربوا منه، فجعل يلتفت يمينا وشمالا، وجعل الناس يسخرون منه، كما يسخر من الخبثون والخبيران، فجعل يملیخا يبكى، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهم إله السموات والأرض، أولج معي روحا منك اليوم، تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكى ويقول في نفسه: فترق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأنى يذهب بي إلى دقینوس الجبار، فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعا بين يدي دقینوس، فإننا كنا توافقنا لتكوننّ معا، لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا، ولا نعبد الطواغيت من دون الله، فترق بيني وبينهم، فلن يروني، ولن أراهم أبدا، وقد كنا توافقنا أن لانفترق في حياة ولا موت أبدا! يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي هو أم لا؟ ذلك الذى يحدث به يملیخا نفسه، فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم.

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يملیخا أنه لم يذهب به إلى دقینوس، أفاق، وسكن عنه البكاء، فأخذ أريوس وأسطيوس الورق، فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذى وجدت يافتي؟ هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا، فقال لهما يملیخا: ما وجدت كنزا، ولكن هذه الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأنى، وما أدري ما أقول لكم. فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يملیخا: ما أدري، فكنت أرى أنى من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأجابهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب، لانتبنا بالحق، فلم يدري يملیخا ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون، فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحمق نفسه عمدا، لكي ينفلت منكم؛ فقال له أحدهما، ونظر إليه نظرا شديدا: أظنّ أنك إذ تتجاسنّ نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك؟ وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، وإنما أنت غلام شاب، تظنّ أنك تأفينا، ونحن نخط كما ترى، وحولك سرّاة أهل المدينة، وولاة أمرها، إني لأظنّنى سأمر بك فتعذب عذابا شديدا، ثم أوثقت حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدت؛ فلما قال ذلك، قال يملیخا: أنبئوني عن شيء أسألکم عنه، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي، أرايتم دقینوس الملك الذى كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل؟ فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقینوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال له يملیخا: فوالله إني إذا لخيران، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول، والله لقد علمت، لقد فررنا من الجبار دقینوس، وإني قد رأيت عشية أمس، حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدري أمدنية أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذى في جبل بنجلوس أريكم أصحابي. فلما سمع أريوس ما يقول يملیخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله، جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يترنا أصحابه، كما قال: فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة، كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف، لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يملیخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرايهم، عن القدر الذى كان يأتي به،

ظنوا أنه قد أُخِذَ ، فذُهب به إلى ملكهم دَقِينُوسَ الذي هربوا منه ، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه ، إذ سمعوا الأصوات وجلَّبة الخيل منصَّعة نحوهم ، فظنوا أنهم رُسل الجبار دَقِينُوسَ ، بعث إليهم لِيُؤْتِيَ بِهِمْ ، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة ، وسلَّم بعضهم على بعض ، وأوصى بعضهم بعضا ، وقالوا : انطلقوا بنا ، نأت أخانا يَمْلِيخَا ، فإنه الآن بين يدي الجبار دَقِينُوسَ ينتظر متى تأتيه . فبينما هم يقولون ذلك ، وهم جلوس بين ظهري الكهف ، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوا على باب الكهف ، وسبقهم يَمْلِيخَا ، فدخل عليهم وهو يبكي ؛ فلما رأوه يبكي بكوا معه ، ثم سألوه عن شأنه ، فأخبرهم خبره ، وقصَّ عليهم النبأ كله ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله ، وإنما أُوقِظُوا لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ ، وتصديقا للبعث ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ؛ ثم دخل على أثر يَمْلِيخَا أريوس ، فرأى تابوتا من نحاس ، محتوما بخاتم من فضة ، فقام بباب الكهف ، ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ، ففتح التابوت عندهم ، فوجدوا فيه لوحين من رصاص ، مكتوبا فيهما كتاب ، فقرأهما ، فوجد فيهما : أن مكسلميْنَا ، ومحسلميْنَا ، ويمليخَا ، ومرطونس ، وكسطنوس ، وبيورس ، ويكرنوس ، ويطبيونس ، وقالوش ، كانوا فتية هربوا من ملكهم دَقِينُوسَ الجبار ، مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ؛ فلما أُخْبِرَ بِمَكَانِهِمْ ، أمر بالكهف ، فسدَّ عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم ، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرعوه ، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم ، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبته ، ثم دخلوا على الفتية الكهف ، فوجدوهم جلوسا بين ظهريه ، مُشْرِقَةً وجوههم ، لم تبل ثيابهم . فخرَّ أريوس وأصحابه سجودا ، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا ، وأنبأهم الفتية عن الذي لَقُوا من ملكهم دَقِينُوسَ ، ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه . ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيدوسيس : أن عجل ، لعلك تنظر إلى آية من آيات الله ، جعلها الله على ملكك ، وجعلها آية للعالمين ، لتكون لهم نورا وضياء ، وتصديقا بالبعث ، فاعجل على فتية بعثهم الله ، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . فلما أتى الملك تيدوسيس الخبر ، قام من المسندة التي كان عليها ، ورجع إليه رأيه وعقله ، وذهب عنه همه ، ورجع إلى الله عزَّ وجلَّ ، فقال : أحمدك اللهم ربَّ السموات والأرض ، أعبدك ، وأحمدك ، وأسبح لك ، تطولت على ، ورحمتي برحمتك ، فلم تطفىَّ النور الذي كنت جعلته لأبائي ، وللعبد الصالح قسطينوس الملك . فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه ، وساروا معه ، حتى أتوا مدينة أفسوس ، فتلقاهم أهل المدينة ، وساروا معه ، حتى صعدوا نحو الكهف ، حتى أتوه ؛ فلما رأى الفتية تيدوسيس ، فرحوا به ، وخرَّوا سجودا على وجوههم ؛ وقام تيدوسيس قدامهم ، ثم اعتنقهم وبكى ، وهم جلوس بين يديه على الأرض ، يسبحون الله ويحمدونه ، ويقول : والله ما أشبه بكم إلا الحواريين<sup>٢</sup> حين رأوا المسيح ، وقال : فرج الله عنكم ، كأنكم الذين تُدْعُونَ فَتُحْشَرُونَ من القبور ، فقال الفتية لتيدوسيس : إنا نودعك السلام ، والسلام عليك ورحمة الله ، حفظك الله ، وحفظ لك ملكك بالسلام ، ونعيذك بالله من شرِّ الجنِّ والإنس . فأمر بعيش من

(١) في عدد هذه الأسماء ، وضبطها ، اختلاف كثير بين ناقلها . وهي في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، غير منقوطة .

(٢) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير : « وما أشبه بكم إلا الخرداء » ، ولعله تحريف عن الحواريين .



خُلِّدَ ونشيل إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، وإلا هوانا إن أهين بها .  
 فبينما الملك قائم ، إذ رجعوا إلى مضاجعهم ، فناموا ، وتوفى الله أنفسهم بأمره ، وقام الملك إليهم ،  
 فجعل ثيابه عليهم ، وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب ؛ فلما أمسوا ونام ، أتوه في المنام ،  
 فقالوا : إننا لم نخلق من ذهب ولا فضة ، ولكننا خلقنا من تراب ، وإلى التراب نصير ، فتركنا كما كنا  
 في الكهف على التراب ، حتى يبعثنا الله منه ؛ فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج ، فجعلوهم فيه ، وحجبه الله  
 حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، وأمر الملك ، فجعل كهفهم مسجدا  
 يُصَلِّي فيه ، وجعل لهم عيدا عظيما ، وأمر أن يؤتى كل سنة . فهذا حديث أصحاب الكهف :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال :  
 بعثهم الله : يعنى الفتية أصحاب الكهف ، وقد سلاط عليهم ملك مسلم ، يعنى على أهل مدينتهم ؛ وسلط الله  
 على الفتية الجوع ، فقال قائل منهم ( كَمْ لَيْسْتُمْ ؟ ) قَالُوا لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) قال : فردوا علم  
 ذلك إلى الله ( قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ ) ، فابعثوا أحدا كُمْ بَوْرَقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ )  
 وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذى كانوا فى زمانه ( فَكَيْفًا تَكْفُمُ بِرِزْقِ مَنْهُ ) : أى بطعام ( وَلَا  
 يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ) ، فخرج أحدهم ، فرأى المعالم متحركة ، حتى انتهى إلى المدينة ، فاستقبله الناس ، لا يعرف  
 منهم أحدا ، فخرج ولا يعرفونه ، حتى انتهى إلى صاحب الطعام ، فسامه بطعامه ، فقال صاحب الطعام :  
 هات ورقك ، فأخرج إليه الورق ، فقال : من أين لك هذا الورق ؟ قال : هذه ورقنا وورق أهل بلادنا ،  
 فقال : هيات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين ، أنت أصبت كنزا ، ولست  
 بتاركك حتى أرفعك إلى الملك ، فرفعه إلى الملك ، وإذا الملك مسلم ، وأصحابه مسلمون ، ففرح واستبشر ،  
 وأظهر لهم أمره ، وأخبرهم خبر أصحابه ، فبعثوا إلى اللوح فى الخزانة ، فأثروا به ، فوافق ما وصف من أمرهم ،  
 فقال المشركون : نحن أحقّ بهم ، هؤلاء أبناء آبائنا ، وقال المسلمون : نحن أحقّ بهم ، هم مسلمون منا ،  
 فانطلقوا معه إلى الكهف ؛ فلما أتوا باب الكهف قال : دعونى حتى أدخل على أصحابى ، حتى أبشرهم ، فإنهم  
 إن رأوكم معى أرفعتموهم ، فدخل فبشّرهم ، وقبض الله أرواحهم ، قال : وعى الله عليهم مكانهم ، فلم  
 يبتدوا ، فقال المشركون : نبئى عليهم بئيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : نحن أحقّ  
 بهم ، هم منا ، نبئى عليهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

بَيِّنُوا وَأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : إن الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم  
 كما بيئنا قبل ، لأن الله عزّ ذكره ، كذلك أخبر عباده فى كتابه ، وإن الله أعرّ عليهم القوم الذين أعرّهم  
 عليهم ، ليتحقق عندهم بيعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم ، بعد طول مدتها ، بيئتهم يوم رقدوا ، ولم يشيئوا على  
 مرّ الأيام والليالى عليهم ، ولم يهرموا على كثر الدهور والأزمان فيهم ، قدرته على بعث من أماته فى الدنيا من

(١) العبارة من أول قوله : فأمر بعيش من خلر ونشيل . . . إلى هنا : ساقطة من هذا الخبر فى عرائس المجالس للعلبى المفسر  
 ص ٤٢٧ . والخبر : حب يقتات به ، قيل : هو الجلبان ؛ والنشيل : اللبن ساعة يجلب ، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب  
 الكهف .

قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة ، لأن الله عز ذكره بذلك أخبرنا ، فقال : ( وكذلك أعترنا عليهم ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض العراقيين ( بورقكم هذه ) بفتح الواو وكسر الراء والقاف . وقرأ عامة قراء الكوفة والبصرة ( بورقكم ) بسكون الراء ، وكسر القاف . وقرأه بعض المكيين بكسر الراء ، وإدغام القاف في الكاف ، وكل هذه القراءات متفقات المعاني ، وإن اختلفت الألفاظ منها ، وهن لغات معروفة من كلام العرب ، غير أن الأصل في ذلك فتح الواو ، وكسر الراء والقاف ، لأنه الوراق ، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف . وفيه أيضا لغة أخرى وهو الوراق ، كما يقال للكتيب كيبند . فإذا كان ذلك هو الأصل ، فالقراءة به إلى أعجب ، من غير أن تكون الأخرى مدفوعة صحتهما ، وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بعث معه بالوراق إلى المدينة ، كان اسمه يملبخا .

وقد حدثني عبيد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، عن مقاتل ( فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ) اسمه يملبخ .

وأما قوله ( فليتنظروا أيها أزكى طعاما ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فليتنظر أى أهل المدينة أكثر طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ( أيها أزكى طعاما ) قال : أكثر .

وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن عكرمة مثله ، إلا أنه قال : ( أيه أكثر ) .

وقال آخرون : بل معناه : أيها أحل طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : ( أيها أزكى طعاما ) قال : أحل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد ابن جبير ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أيها خير طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( أزكى طعاما ) قال : خير طعاما .

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أحل وأطهر ، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه ، إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما ، كان خليقا أن يكون الأفضل منه



عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا، وإنما وجّه من وجّه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر، وكما قال الشاعر:

قَبَائِلُنَا سَبْعٌ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ      وَالسَّبْعُ أَزْكَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَطْيَبُ

بمعنى: أكثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحلال الجيد وإن قلّ، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر: وقيل (فَلَيْسَ نَظَرُ أَيُّهَا) فأضيف إلى كناية المدينة، والمراد بها أهلها، لأن تأويل الكلام: فليظنر أي أهلها أزكى طعاما، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. وقد يُحتمل أن يكونوا عَنَوْا بقولهم (أيها أزكى طعاما): أيها أحلّ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم، وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم. وقوله (فَلَيْسَ تَيْكُمُ بَرِزْقٍ مِنْهُ) يقول: فليأتكم بقوت منه تقنانونه، وطعام تأكلونه.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير (فَلَيْسَ تَيْكُمُ بَرِزْقٍ مِنْهُ) قال: بطعام.

وقوله (وَلَيْسَ تَلَطَّفٌ) يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة (ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) يقول: ولا يُعلِّمَنَّ بكم أحدا من الناس. وقوله (لَأَنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يعنون بذلك: دقنوس وأصحابه، قالوا: إن دقنوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلموا مكانكم، يرموكم شتمًا بالقول.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله (لَأَنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) قال: يشتموكم بالقول، يؤذوكم:

وقوله (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) يقول: أو يردوكم في دينهم، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان (وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا) يقول: ولن تدركووا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان. إذن: أي إن أنتم عدتُم في ملتهم. أبدا: أيام حياتكم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَزَّعُونَ  
يَلْبَسُهُمْ آمْرَهُمْ، فَقَالُوا: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا، رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ، قَالَ: الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ  
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١)

(١) البيت للقتال الكلامي، أنشده سيبويه في (الكتاب ٢: ١٨١) وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٢٣٧، ٢٣٩٧) قال في الموضع الثاني: «أيها أزكى طعاما؟: أي أكثر؟ قال: «بالتسبيع وأنتم ثلاثة... البيت، وقال في الموضع الأول: ذكر ثلاثة، ذهب به إلى بطن، ثم أنه، لأنه ذهب به إلى قبيلة. قلت والنحاة يجوزون في اسم العدد التذكير والتأنيث، إذا لم يذكر المعداد، وهذا شاهد عليه وفي (اللسان: زكا): الزكاء مفعولاً: أتماء والربع: زكا يزكو زكاه وزكوا.

يقول تعالى ذكره : وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا ، ليتساءلوا بينهم ، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة ، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة ( كذلك أعثرنا علىيهم ) : يقول : كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر ، الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى ، وفي مريبة من إنشاء أجسام خلقه ، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البسلى ، فيعلموا أن وعد الله حق ، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها : وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وكذلك أعثرنا علىيهم ) يقول : أطلعنا عليهم ، ليعلم من كذب بهذا الحديث ، أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها . وقوله ( إذ يتنازعون بينهم ) : يعني : الذين أعثروا على الفتية ، يقول تعالى : وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة ، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم ، من قوم تيدوسيس ، حين يتنازعون بينهم أمرهم ، فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده ، فأبلاه في قبره بعد مماته ، أمشئهم هو أم غير منشئهم ؟ وقوله ( فقالوا ابنوا علىيهم بنينا ) يقول : فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف : ( ابنوا عليهم بنينا ربهم أعلم بهم ) يقول : رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم . وقوله ( قال الذين غلبوا على أمرهم ) يقول جل ثناؤه : قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف ( لنتخذن علىيهم مسجداً ) . وقد اختلف في قائل هذه المقالة ، أهم الرهط المسلمون ، أم هم الكفار ؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن علىيهم مسجداً ) قال : يعني عدوهم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : عمى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم ، فلم يبتدوا ، فقال المشركون : نبي عليهم بنينا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : بل نحن أحق بهم ، هم منا ، نبي عليهم مسجداً نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تَحَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا ، وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره : سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف ، هم ثلاثة رابعهم



كلبهم ، ويقول بعضهم : هم خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب : يقول : قذفا بالظن ، غير يقين علم ، كما قال الشاعر :

« وَأَجْعَلُ مِثِّي الْحَقَّ غَيْبًا مُرْجَمًا » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ) : أى : قذفا بالغيب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( رَجْمًا بِالْغَيْبِ ) قال : قذفا بالظن .

وقوله ( وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ) يقول : ويقول بعضهم : هم سبعة وثامنهم كلبهم ( قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ) يقول عز ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقاتلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف ، رجما منهم بالغيب : ( رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ ) يقول : ما يعلم عددهم ( إِلَّا قَلِيلٌ ) من خلقه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) يقول : قليل من الناس .

وقال آخرون : بل عني بالقليل : أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : يعنى أهل الكتاب . وكان ابن عباس يقول : أنا ممن استثناه الله ، ويقول : عدتهم سبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : عدتهم سبعة ، وثامنهم كلبهم ، وأنا ممن استثنى الله .

(١) هذا عجز بيت لم أقب على قائله . وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه : القول بالظن على غير يقين علم . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٣٩٨ ) : « رجما بالغيب » : الرجم ما لم تستيقنه . وقال : ظن مرجم : لا يدري : أحق هو أم باطل ؟ قال زهير :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا رَأَيْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ

وفى (اللسان : رجم) : والرجم : القول بالظن والحسد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ) قال : كان ابن عباس يقول : أنا من القليل ، هم سبعة ، وثلاثون منهم كلبيهم . وقوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول عز ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تمار يا محمد : يقول : لا تجادل أهل الكتاب فيهم ، يعنى في عداة أهل الكهف ، وحُدِّثت العداة ، اكتفاء بذكرهم فيها ، لمعرفة السامعين بالمراد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ ) قال : لا تمار فى عداتهم . وقوله ( إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر ، الذى استثناه الله ، ورخص فيه لئيبه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : هو ما قص الله فى كتابه ، أبيض له أن يتلوه عليهم ، ولا يماريهم بغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : حَسْبُكَ ما قصصت عليك ، فلا تمار فيهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) : أى حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ ) قال : حَسْبُكَ ما قصصنا عليك من شأنهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) يقول : حَسْبُكَ ما قصصنا عليك . وقال آخرون : المراء الظاهر : هو أن يقول ليس كما تقولون ، ونحو هذا من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ) قال : أن يقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس تعلمون عداتهم ، إن قالوا كذا وكذا ، فقل ليس كذلك ، فإنهم لا يعلمون عداتهم . وقرأ ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ ) حتى بلغ ( رَجْمًا بِالْغَيْبِ ) . وقوله ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) يقول تعالى ذكره : ولا تستفت فى عداة الفتية من



أصحاب الكهف . منهم ، يعنى من أهل الكتاب أحداً ، لأنهم لا يعلمون عيبتهم ، وإنما يقولون فيهم رجماً بالغيب ، لا يقينا من القول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من يهود ، قال : ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف ، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) : من أهل الكتاب ، كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ كَانُوا بَنَى الرُّكْنَا . والركنا : ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفردوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على أصمختهم ، فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أممتهم ، وجاءت أمة مسلمة بعدهم ، وكان ملكهم مسلماً .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ ؕ ، إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ،

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)

وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه ألا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة ، إلا أن يصله بمشيئة الله ، لأنه لا يكون شىء إلا بمشيئة الله .

وإنما قيل له ذلك ، فيما بلغنا ، من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى ،

اللواتى إحداهن المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف ، أن يجيبهم عنهن غد يومهم ، ولم يستثن ، فاحتبس

الوحى عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة ، حتى حزنه إبطاؤه ، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن ، وعرف

نبيه سبب احتباس الوحى عنه ، وعلمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عياداته وخبره عما يحدث من الأمور

التي لم يأتها من الله بها تنزيل ؟ فقال : ( وَلَا تَقُولَنَّ ) يا محمد ( لِيَشَىءِ ) أى فاعيل ذلك غداً ) ، كما قلت

لهؤلاء الذين سألوكم عن أمر أصحاب الكهف ، والمسائل التى سألوكم عنها ، سأخبركم عنها غداً ( إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ ) . ومعنى الكلام : إلا أن تقول معه : إن شاء الله ، فترك ذكره تقول ، اكتفاء بما ذكر منه ، إذ

(١) الركنا : كذا بالقصر ، ولعل أصله الركنا بالمد ، جمع ركنين ، وهو من الرجال : الوقور الرزين . أو هو القوى بعشيرة وكثرتها .

كان في الكلام دلالة عليه . وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله (إلا أن يشاء الله) ، استثناء من القول ، لامن الفعل ، كأن معناه عنده : لا تقولن قولا إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل ، مع خلافه تأويل أهل التأويل .  
وقوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : واستثنى في يمينك ، إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال الخيم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن هارون الحرابي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في الرجل يحلف ، قال له : أن يستثنى ولو إلى سنة ، وكان يقول (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) في ذلك قيل للأعمش : سمعته من مجاهد ؟ فقال : نسي به ليث بن أبي سليم ، يرى ذهب كسائي هذا .  
حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَقُولْنَ لَيْسَ بِإِذَى فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) الاستثناء ، ثم ذكرت فاستثنى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، في قوله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : بلغني أن الحسن قال : إذا ذكر أنه لم يقل : إن شاء الله ، فليقل : إن شاء الله .  
وقال آخرون : معناه : وأذكر ربك إذا عصيت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، في قول الله (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال : اذكر ربك إذا عصيت .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، مثله .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وأذكر ربك إذا تركت ذكره ، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك ، وقد بيننا ذلك فيما مضى قبل .

فإن قال قائل : أفجائز للرجل أن يستثنى في يمينه ، إذ كان معنى الكلام ما ذكرت ، بعد مدة من حال حلفه؟ قيل : بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حينه في يمينه ، فيقول : إن شاء الله ، ليخرج بقبيله ذلك مما أزمه الله في ذلك بهذه الآية ، فيسقط عنه الحرج ، بتركه ما أمره بقبيله من ذلك ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون استثناءه موصولا بيمينه .

فإن قال : فما وجه قول من قال : له ثنياه ولو بعد سنة ، ومن قال : له ذلك ولو بعد شهر ، وقول من قال : ما دام في مجلسه ؟ قيل : إن معنهم في ذلك نحو معناها ، في أن ذلك له ولو بعد عشر سنين ، وأنه باستثنائه ، وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه ، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان له لازما ، فأما

(١) قوله « يرى : ذهب كسائي هذا » هكذا جاءت هذه العبارة في الجزء الخامس عشر من النسخة المخطوطة رقم ١٠٠ الورقة ٤١١ والعبارة غامضة ، ولعل فيها تحريفا .



الكفارة فله لازمة بالحنث بكل حال ، إلا أن يكون استثناءه كان موصولاً بالخلف ، وذلك أنا لانعلم قائلها قال ممن قال له التذنب بعد حين ، يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث ، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، وأن معنى القول فيه ، كان نحو معناها فيه .

وقوله ( وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِمَّنْ هَذَا رَشَدًا ) يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لعل الله أن يهديني ، فيسددني لأشد مما وعدتكم ، وأخبرتكم أنه سيكون ، إن هو شاء . وقد قيل : إن ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه ، الذي هو عنده في أمر مستقبل ، مع قوله : إن شاء الله إذا ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن محمد ، رجل من أهل الكوفة ، كان يفسر القرآن . وكان يجلس إليه يحيى بن عباد ، قال ( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَأَذْكُرُ رَبِّيَ إِذَا نَسَيْتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِمَّنْ هَذَا رَشَدًا ) قال فقال : وإذا نسي الإنسان أن يقول : إن شاء الله ، قال : فتوبته من ذلك ، أو كفارة ذلك أن يقول (عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِمَّنْ هَذَا رَشَدًا) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ، وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) فقال بعضهم : ذلك حَسْبُ من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب ، أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) وقالوا : لو كان ذلك خيرا من الله عن قدر لُبِثهم في الكهف ، لم يكن لقوله ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) وجه مفهوم ، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لُبِثهم فيه وقدره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) هذا قول أهل الكتاب ، فردّه الله عليهم ، فقال : ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) قال في حرف ابن مسعود ( وَقَالُوا : وَلَبِثُوا ) يعني أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطرٍ الوراق ، في قول الله : ( وَكَلِّبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ ) قال : إنما هو شيء قاله اليهود ، فردّه الله عليهم ، وقال : ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) .

وقال آخرون : بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَلِّبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) قال : عدد ما لبثوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، وزاد فيه ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ) قال : وتسع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثني الأجلح ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : نزلت هذه الآية ( وَكَلِّبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ ) فقالوا : أياما ، أو أشهرًا ، أو سنين ؟ فأنزل الله ( سِنِينَ ، وَازْدَادُوا تِسْعًا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَلِّبُوا فِي كَهْفِهِمْ ) قال : بين جبلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله عزّ ذكره : وليث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله ، ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعتز عليهم من أعتز ، ثلاث مائة سنين ، وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه . وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ ( وَقَالُوا : وَكَلِّبُوا فِي كَهْفِهِمْ ) وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد ردّ الله ذلك عليهم ، فإن معناه في ذلك إن شاء الله كان ، أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للفتية من لدن دخلوا الكهف ، إلى يومنا ، ثلاث مائة سنين ، وتسع سنين ، فردّ الله ذلك عليهم ، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لئيبهم في الكهف ، من لدن أروا إليه ، إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ؛ ثم قال جلّ ثناؤه لئيبه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا ، بعد أن قبض أرواحهم ، من بعد أن بعثهم من رقبتهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله ذلك .

فإن قال قائل : وما يدلّ على أن ذلك كذلك ؟ قيل : الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عن



قدر لبثهم في كهفهم ابتداء ، فقال ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ) ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ، لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره ، جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك قلب أعيان الحقائق ، وما لا يخيل فسادة .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) دليل على أن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك ، لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ، فأما وهو محتمل ما قلنا ، من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا ، إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني ، فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ) خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صح ما قلنا ، وفسد ما خالفه .

واختلفت القرآء في قراءة قوله ( ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ ) فقرأت ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ ) بثنتين ثلاث مئة ، بمعنى : ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ سِنِينَ ثَلَاثَ مِئَةٍ . وقرآءة عامة قرآء أهل الكوفة ( ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ ) بإضافة ثلاث مئة إلى السنين ، غير منون .

وأولى القرآءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه ( ثَلَاثَ مِئَةٍ ) بالثنتين ( سِنِينَ ) ، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها ، إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد ، وذلك كقولهم ثلاث مئة درهم ، وعندى مئة دينار ، لأن المئة والألف عدد كثير ، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد ، والواحد يؤدّى عن الجنس ، وليس ذلك للقليل من العدد ، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير ، وليس ذلك بالكثير . وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع ، فإنها تنون ، فتقول : عندى ألف دراهم ، وعندى مئة دينار ، على ما قد وصفت .

وقوله ( لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : لله علم غيب السموات والأرض ، لا يعزب عنه علم شيء منه ، ولا يخفى عليه شيء ، يقول : فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف ، إلى يومكم هذا ، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذى يعلم غيب السموات والأرض ، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار . وقوله ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) يقول : أبصر بالله وأسمع ! وذلك بمعنى المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه !

وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ! كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، تبارك وتعالى !

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ) ! ما كُنْتُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاِلَى قال : يرى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا .

وقوله ( مَا كُنْتُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاِلَى ) يقول جل ثناؤه : ما خلقتهم دون ربهم الذى خلقهم ولى بلى

أمرهم وتدبيرهم ، وصرّفهم فيما هم فيه مصرفون ، ( وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ) يقول : ولا يجعل الله في قضائه ، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا ، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم ، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ

مُلْتَحِدًا (٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تتركن تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وحرامه ، فتكون من الهالكين . وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة ، إلى جهنم ( لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ) يقول : لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك ، أهل معاصيه ، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك . وقوله ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) يقول : وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتّم به . فنالك وعيد الله الذي أوعده فيه المخالفين حدوده . لن تجد من دون الله موثلا تتل إليه ، ومعدلا تعدل عنه إليه ، لأن قدرة الله محيطه بك وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد منهم على الحرب من أمر أراد به . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) قال : موثلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مُلْتَحِدًا ) قال : ملجأ ولا موثلا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحِدًا ) قال : لا يجدون ملتحدا يلتحدونه ، ولا يجدون من دونه ملجأ ، ولا أحدا يمنعهم . والملتحد : إنما هو المقتعل من اللحد ، يقال منه : لحدت إلى كذا : إذا ملت إليه ، ومنه قيل للحد : لحد ، لأنه في ناحية من القبر ، وليس بالشق الذي في وسطه ، ومنه الإلحاد في الدين ، وهو المعاندة بالعدول عنه ، والترك له .



القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ  
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ  
أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَأَصْبِرْ ) يا محمد ( نَفْسَكَ مَعَ ) أصحابك ( الَّذِينَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة ،  
من الصلوات المفروضة وغيرها ( يُرِيدُونَ ) يفعلهم ذلك ( وَجْهَهُ ) لا يريدون به عَرْضًا من عَرْضِ الدُّنْيَا .  
وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) في سورة الأنعام ،  
والصواب من القول في ذلك عندنا ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . والقراء على قراءة ذلك :  
( بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) ، وقد ذكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السُّلَمِيُّ : أنهما كانا يقرآنه بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ ، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة ، لأن غَدَاة معرفة ، ولا أَلْف ولا لام فيها ، وإنما يعرف  
بالألف واللام ما لم يكن معرفة ، فأما المعارف فلا تعرف بهما ؛ وبعد ، فإن غَدَاة لاتضاف إلى شيء ،  
وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها ، لأن مادخلته الألف واللام من  
الأسماء ، صلحت فيه الإضافة ؛ وإنما تقول العرب ؛ أُنَيْتُكَ غَدَاةَ الْجُمُعَةِ ، ولا تقول : أُنَيْتُكَ غَدَاةَ الْجُمُعَةِ .  
والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القراء في الأمصار ، لانستجيز غيرها ، لإجماعها على ذلك ، وللعلة التي بيننا  
من جهة العربية .

وقوله ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) : يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تصرف عينك  
عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم ، إلى غيرهم من الكفار ، ولا تتجاوزهم إليه ، وأصله  
من قولهم : عَدَوْتُ ذَلِكَ ، فأنا أعدوه : إذا جاوزته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) قال : لا تتجاوزهم إلى غيرهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا  
تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) يقول : لا تتعدّهم إلى غيرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ) . . .  
الآية ، قال : « قال القوم للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا ، فجانبهم

يا محمد . وجالس أشرف العرب ، فنزل القرآن ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ) ولا تحقرهم . قال : قد أمروني بذلك . قال :  
( وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن  
عبد الرحمن بن سهل بن حنيف : « أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في بعض  
آياته ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) فخرج  
يلتمس ، فوجد قوما يذكرون الله ، منهم ثائر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم  
جلس معهم ، فقال : الحمد لله الذي جعل لي في أمسي من أمرني أن أصبر نفسي معه » .  
ورفعت العينان بالفعل ، وهو لاتعد .

وقوله ( تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : لاتعد عينك عن  
هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم ، إلى أشرف المشركين ، تنبغي بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ، فيما ذكر ، قوم من عظماء أهل الشرك ، وقال بعضهم : بل من عظماء  
قبائل العرب ، ممن لا بصيرة لهم بالإسلام ، فأروه جالسا مع خيآب وصهيب وبلال ، فسألوه أن يقيمهم عنه  
إذا حضروا . قالوا : فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عليه ( وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويركعهم قعودا ، فأنزل الله  
عليه : ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ) . الآية ( وَلَا تَعْدُ  
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشراف .  
وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل ، في سورة الأنعام .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد  
الأزدى ، وكان قارئ الأزدي عن أبي الكنود ، عن خيآب ، في قصة ذكرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ذكر فيها هذا الكلام مُدْرَجًا في الخبر ( وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ، تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال :  
تجالس الأشراف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « أخبرت أن عيينة  
ابن حصن قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذاني ريح سلیمان الفارسي ، فاجعل لنا مجلسا  
منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلسا لانجامهم فيه ، فنزلت الآية » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال  
نبي الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي جعل لي في أمسي من أمرت أن أصبر نفسي معه » .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : تريد أشراف الدنيا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا الوليد بن عبد الملك ، قال : ثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة بن عبد الله الجهني ، عن عمه أبي مشجعة بن ربيعي ، عن سلمان الفارسي ، قال : « جاءت المؤلفلة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذوهم ، فقالوا : يا نبي الله ، إنك لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان ، وأباذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك ، وحدثناك ، وأخذنا عنك ، فأنزل الله : ( وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ) ، حتى بلغ ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ) يهددهم بالنار ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم ، حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمَيِّتْنِي حَتَّى أَمُرَ بِأَنْ أَصِيرَ نَفْسِي مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، مَعَكُمْ الْمُتَحِبُّونَ وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ » .

وقوله ( وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ، وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ ) يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار ، الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي عنك ، عن ذكرنا ، بالكفر وغلبة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونبيه ، و أثر هوى نفسه ، على طاعة ربه ، وهم فيما ذكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذوهم .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أنس بن سويد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب ( وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ) قال عيينة ، والأقرع .

وأما قوله ( وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وكان أمره ضياعا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ) قال ابن عمرو في حديثه ، قال : ضائعا . وقال الحارث في حديثه : ضياعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ضياعا . وقال آخرون : بل معناه : وكان أمره ندما .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود ( فُرُطًا ) قال : ندامة .

(١) في الأصل : عيينة بن بدر . والصواب : ابن حصن ، ولعله من سبق القلم . وقد ذكره صحيحا بده بقليل .

وقال آخرون : بل معناه : هلاكاً .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خياب ( وكان أمره فرطاً ) قال : هلاكاً .  
وقال آخرون : بل معناه : خلافاً للحق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وكان أمره فرطاً ) قال : مخالفاً للحق ، ذلك الفرط .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ضياعاً وهلاكاً من قولهم : أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً : إذا أسرف فيه وتجاوز قدره ، وكذلك قوله ( وكان أمره فرطاً ) معناه : وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، في الرياء والكبر ، واحتقار أهل الإيمان ، سرّفاً قد تجاوز حدّه ، فتصيّع بذلك الحق ، وهلك .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : قيل له : كيف قرأ عاصم ؟ فقال ( كان أمره فرطاً ) قال أبو كريب : قال أبو بكر : كان عيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَمَا لَمَلَّ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد لؤلؤا الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ، واتبعوا أهواءهم ، الحق أيها الناس من عند ربكم ، وإليه التوفيق والحيدلان ، ويبيده الهدى والضلال ، يهدى من يشاء منكم للرشاد ، فيؤمن ، ويضل من يشاء عن الهدى ، فيكفر . ليس إلى من ذلك شيء ، ولست بطارد لخواكم من كان للحق متبعا ، وبالله وبما أنزل على مؤمننا ، فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا ، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها ، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته ، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته .

وروي عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ) . يقول : من شاء الله له الإيمان



آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو قوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ). وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد.

وقد بين أن ذلك كذلك قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) والآيات بعدها.

كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن عمر بن حبيب، عن داود، عن مجاهد، في قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ). قال: وعيد من الله، فليس بمعجزى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)، وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال: هذا كله وعيد، ليس مصانعة ولا مراعاة ولا تنويضا. وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) يقول تعالى ذكره: إنا أعددنا، وهو من العدة: للظالمين: الذين كفروا بربهم.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) أحاط بهم سرادقها) قال: للكافرين. وقوله (أحاط بهم سرادقها) يقول: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين برهيم، وذلك فيما قيل: حائط من نار يُطَيِّف بهم، كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تُطَيِّف بالفسطاط، كما قال رؤبة:

يا حنكَمَ بنَ المُشَدِّرِ بنَ الجارودِ  
سرادقِ الفضلِ عليكِ تمدودُ<sup>١</sup>

وكما قال سلامة بن جندل:

هو المولىجُ النعمانُ يديتاً سناؤد  
صدورُ الفيُولِ بعدَ بيتِ مسردقِ<sup>٢</sup>

يعنى: بيتا له سرادق.

(١) البيتان من أرجوزة قصيرة سبعة أبيات لرؤبة في (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ضمن الزوائد الملحقه بالديوان، وهما الأول والخامس، ص ١٧٢). والبيتان من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٩٩) إلا أن رواية البيت الثاني فيه: «أنت الجواد بن الجواد العمود» وبعده البيت الثاني. قال: «أحاط بهم سرادقها»: كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، قال رؤبة: «يا حنكَمَ بنَ المُشَدِّرِ بنَ الجارودِ» وفي (اللسان: سردق): السرادق: ما أحاط بالبناء، والجمع: سرادقات. قال سيبويه: جمعوه بالبناء وإن كان مذكرا، حين لم يكسر. وفي التنزيل: «أحاط بهم سرادقها». في صفة النار، أعادنا الله منها. قال الزجاج: صار عليهم سرادق من العذاب. والسرادق كل ما أحاط بالشيء، نحو الشقة في المضرب (الحيمة) أو الحائط المشتمل على الشيء.

(٢) البيت في ديوان سلامة بن جندل السعدي التميمي (طبعة بيروت سنة ١٩١٠ ص ١٩) من قصيدة عدة أبياتها ثلاثون بيتا. قال أبو عمرو: كان كسرى حبس النعمان في بيت فيه ثلاثة فيول، والمسردق: ذو السرادق، أو الذي عليه سرادق. وقال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٣٩٩) بعد أن أورد البيت: أي له سرادق. اه. وفي (اللسان: سردق): وقد سردق البيت. قال سلامة بن جندل: (وأورد البيت). ثم قال: الجوهري: السرادق: واحد السرادقات التي تمد فوق حصن الدار. وكل بيت من كرسف (قطن) فهو سرادق. قال رؤبة:

يا حنكَمَ بنَ المُشَدِّرِ بنَ الجارودِ  
أنت الجواد بن الجواد العمود  
سرادق المجد عليك مسردود

قال: وقيل: الرجز للكذاب الحرمازي.

ونسب الجوهري بيت سلامة بن جندل إلى الأعشى، وقال في سببه: يذكر ابن وهر وقنله النعمان بن المنذر. (عن لسان العرب: سردق).

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) قال : هي حائط من نار .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أخبره ، قال : أحاط بهم سرادقها ، قال : دخان يحيط بالكفار يوم القيامة ، وهو الذي قال الله ( ظِلٌّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ) .  
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر ، يدل على أن معنى قوله ( أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) أحاط بهم ذلك في الدنيا ، وأن ذلك السرادق هو البحر .

## ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن محمد والحسين بن نصر ، قالا : ثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن أمية ، قال : ثنا محمد بن حبيب بن يعلى ، عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » ، قال : فقيل له : كيف ذلك ؟ فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية ( نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ) ثم قال : والله لا أدخلها أبداً أو ما دُمْتُ حَيًّا ، وَلَا تُصَيِّتِي مِنْهَا قَطْرَةٌ » .  
حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رشدين بن سعد قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةٌ جُدُرٌ ، كَيْشْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ ، كَيْشْفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَاءٌ كَالْمُهْلِ ، قَالَ كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَ قَرْوَةٌ وَجَنَهِ فِيهِ » .  
وقوله ( وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) يقول تعالى ذكره : وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار ، من شدة ما بهم من العطش ، فيطلبون الماء ، يُغَاثُوا بِمَاءِ الْمُهْلِ .  
واختلف أهل التأويل في المهل ، فقال بعضهم : هو كل شيء أذيب وانما .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود ، فخذ في الأرض ، ثم قذف فيه من جزل حطب ، ثم قذف فيه تلك السقاية ، حتى إذا أزيدت وانما ، قال لعلنا : ادع من يحضرنا من أهل الكوفة ، فدعاهم ، فلما



دخلوا عليه قال : أترون هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : ما رأينا في الدنيا شيئا للمُهْل أَدْنَى من هذا الذهب والفضة ، حين أُرْبِدَ وانماح .  
وقال آخرون : هو القَيْحِج والدم الأسود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : القَيْحِج والدم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : القَيْحِج والدم الأسود ، كَعَكْرِ الزَّيْتِ . قال الحارث في حديثه : يعني دُرْدِيَّةَ .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كَالْمُهْلِ ) قال : يقول : أسود كهيشة الزيت .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) ماء جهنم أسود ، وهي سوداء ، وشجرها أسود ، وأهلها سود .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبيد الله بن جابر ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ) قال : هو ماء غليظ مثل دُرْدِيَّةِ الزَّيْتِ .  
وقال آخرون : هو الشيء الذي قد انتهى حره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُشَيْرِيُّ ، عن جعفر وهارون بن عثرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : المهل : هو الذي قد انتهى حره .  
وهذه الأقوال ، وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها ، فمتقاربات المعنى ، وذلك أن كل ما أُذِيبَ من رصاص أو ذهب أو فضة ، فقد انتهى حره ، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار ، حتى صار كدُرْدِيَّةِ الزَّيْتِ ، فقد انتهى أيضا حره .  
وقد حدثت عن معمر بن المثنى ، أنه قال : سمعت المنتجع بن نَسْبَانَ يقول : والله لفلان أبغض إلى من الطَّلَبَاءِ أو المُهْلِ ، قال : فقلنا له : وما هما ؟ فقال : الجُرْبَاءُ ، والمَلَّةُ التي تنحلل عن جوانب الخبزة إذا ملئت في النار من النار ، كأنها سهيلة<sup>٢</sup> حمراء مدققة ، فهي أحمره<sup>١</sup> ، فالمهل إذا : هو كل مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره ، أو لم يكن مائعا ، فانماح بالوقود عليه ، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر .  
وقوله ( يَشْوِي الوُجُوهُ بِبَيْتَسِ الشَّرَابِ ) يقول : جل ثناؤه : يشوي ذلك الماء الذي يُغَاثُونَ به وجوههم .

كما حدثني محمد بن خلكف العسقلاني ، قال : ثنا حبيوة بن شريح ، قال : ثنا ببيعة ، عن صفوان

(١) يريد بالطبائخ : الناقة الجرباء المطوية بالقطران أو الخضخاض . ويريد بالمهل : الملة إذا حوت جدا ورأيتها تموج .

(٢) المهلة ، بالكسر : تراب كالرمل أحمر يحيى به الماء (اللسان) .

ابن عمرو ، عن عبد الله بن بسُسر ، هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ) قال : يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا قرب منه ، شوى وجهه ، ووقعت فَرْوَةٌ رأسه ، فإذا شربه قطع أمعائه ، يقول الله ( وَإِنْ يَسْتَعِيشُوا بِغَائِثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ ، بِئْسَ الشَّرَابُ ) !

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ويعمر بن بشر ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الله بن بسُسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال هارون : إذا جاع أهل النار . وقال جعفر : إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها ، فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً مرّ بهم يعرفهم ، لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يُصَبَّ عليهم العطش ، فيستغيثون ، فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حرّه ، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم ، التي قد سقطت عنها الجلود .

وقوله ( بِئْسَ الشَّرَابُ ) يقول تعالى ذكره : بئس الشراب ، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم ، الذي صفته ما وصف في هذه الآية . وقوله ( وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ) يقول تعالى ذكره : وساءت هذه النار التي أعتدنا لها هؤلاء الظالمين مرتفقا ، والمرتفق في كلام العرب : المتكأ ، يقال منه : ارتفتت إذا اتكأت ، كما قال الشاعر :

قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَقْتُ أَلَا فَتَى يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَرَالَاتِ الضُّحَى

أراد : واتكأت على مرفقها ، وقد ارتفق الرجل : إذا بات على مرفقه لا يأتية نوم ، وهو مرتفق ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

نَامَ الْخَلِيَّ زَبْتُ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَانَ عَيْتِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحًا

وأما من الرفق فانه يقال : قد ارتفتت بك مرتفقا ، وكان مجاهد يتأول قوله ( وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ) يعني المجتمع ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مُرْتَفَقًا ) : أي مجتمعا .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، ذكرهما اللسان في : غزل . ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف ، وهي : دعت سليمان دعوة هل من فتى . وفي رواية أخرى : « دعوة القوم ألا هل من فتى » وغزاه الضحى وغزالاته : بعدما تيسر الشمس وتضحى . ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين .  
(٢) البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية ، (القسم الأول من ديوان الهذليين ص ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له . وفيه « مشجرا » في موضع « مرتفقا » . ومشجرا أي يشجر رأسه بيده ، يريد أنه وضع رأسه على يديه ، كما يشجر الثوب بالعود . وقال الأصمعي : الصاب : شجرة مرة لها لبن يعض العين إذا أصابها . ومذبوح : مشقوق . والذبح : الشق . ومرتفقا : واضعا مرفقه تحت رأسه . والبيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤٠٠) وأوله : « إني أرقفت فبت . . . » . وقال : « ساءت مرتفقا » : أي متكئا . قال أبو ذؤيب . . . البيت .



حدثني يعقوب ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ) قال : مجتمعاً .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . ولست  
أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب ، وإنما الارتفاق : افتعال ، إما من المرفق ، وإما من الرفق .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، إنا  
لنضيع ثواب من أحسن عملاً ، فأطاع الله ، واتبع أمره ونهيه ، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن ، جنات  
عدن تجري من تحتها الأنهار .

فإن قال قائل : وأين حسَبُ « إن » الأولى ؟ قيل : جائز أن يكون خبرها قوله ( إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ )  
أَحْسَنَ عَمَلًا ) ، فيكون معنى الكلام : إنا لنضيع أجر من عمل صالحاً ، فترك الكلام الأول ، واعتمد  
على الثاني بنية التكرير ، كما قيل ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ) بمعنى : عن قتال فيه ، على  
التكرير ، وكما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ أَلَّفَ سَرِيْلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْحَوَاتِيمُ<sup>١</sup>

ويروى : تُرْجَى ؛ وجائز أن يكون ( إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ) جزءاً ، فيكون معنى الكلام : إن من عمل  
صالحاً فلنا لنضيع أجره ، فنضم الفاء في قوله « إِنَّا » ؛ وجائز أن يكون خبرها : أولئك لهم جنات عدن ،  
فيكون معنى الكلام : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك لهم جنات عدن .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ،  
وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ، مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، نِعْمَ الثَّوَابُ  
وَحَسْبَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)

(١) في (اللسان : سرييل) : السريال : القميص والدرع . وفي حديث عثمان : « لأعلى سربالا سربلنيه الله » : كنى به عن  
الخلافة . واشتبه به المؤلف على أن التكرار في قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لنضيع . . . الآية » له نظير  
في قول الشاعر : « إن الخليفة إن أله سربله . . . البيت . وقد بين وجهى الإعراب في المكرر . والبيت من شواهد الفراء  
في (معاني القرآن : الورقة ١٨٥ من مصورة الجامعة) قال : خبر الذين آمنوا في قوله : إنا لنضيع ، وهو مثل قول الشاعر : إن الخليفة  
. . . البيت ، فإنه في المعنى : إنا لنضيع ، أجر من عمل صالحاً . فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني ، بنية التكرير . كما قال :  
« يسئلونك عن الشهر الحرام » ، ثم قال : « قتال فيه » يريد : عن قتال فيه ، بالتكرير . ويكون أن تجعل « إن الذين آمنوا وعملوا »  
في مذهب جزء ، كقولك : إن من عمل صالحاً فلنا لنضيع أجره ، فنضم الفاء في قوله « فلنا » ، وإلغاؤها جائز ، وهو أحب  
الوجوه إلى .

يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن ، يعني بساتين إقامة في الآخرة ، ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ) يقول تجري من دونهم ومن أيديهم الأنهار . وقال جل ثناؤه : من تحتهم ، ومعناه : من دونهم وبين أيديهم ، ( يُجَدُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ) يقول : يلبسون فيها من الخلي أساور من ذهب ، والأساور : جمع إسوار .

وقوله ( يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ ) والسندس : جمع ، واحدها : سندسة ، وهي مارق من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه وتخنن ، وقيل : إن الإستبرق : هو الحرير ، ومنه قول المرقش :

تَرَاهُنَّ يَلْبَسْنَ الْمَشَاعِرَ مَرَّةً  
وَإِسْتَبْرَقَ الدِّيْبَاجَ طَوْرًا لِبَاسُهَا

يعني : وغلظ الديباج .

وقوله ( مُتَكَيِّفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ) يقول : متكئين في جنات عدن على الأرائك ، وهي السرر في الحجال ، واحدها : أريكة ، ومنه قول الشاعر :

خُدُودًا جَفَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى كَأَنَّهَا  
بِبَاشِيرِنَ بِالْمَعْزَاءِ مَسَّ الْأَرَائِكِ ٢

ومنه قول الأعشى :

بَيْنَ الرِّوَاقِ وَجَانِبِ مِيزَانِ سَيْرِهَا  
مِنْهَا وَبَيْنَ أَرِيكَةِ الْأَنْضَادِ ٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( على الأرائك ) قال : هي الحجال . قال معمر ، وقال غيره : السرر في الحجال .

وقوله ( نِعْمَ الثَّوَابُ ) يقول : نعم الثواب جنات عدن ، وما وصف جل ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ( وَحَسُنَتْ مُرْتَفَعًا ) يقول : وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكئا . وقال جل ثناؤه ( وَحَسُنَتْ مُرْتَفَعًا ) فأنت الفعل بمعنى :

(١) البيت للمرقش . المشاعر : جمع مشعر ، وهو الشعر الذي يلى جسد الإنسان من الثياب ، دون ما سواه . وفي الحديث ذكر الأنصار : هم الشعار دون الدثار ، يصفهم بالمودة والقرب . وقد فسر المؤلف الإستبرق والديباج . والبيت شاهد على معنى الإستبرق .  
(٢) البيت لذي الرمة (ديوانه طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٢) وقوله :

إِذَا وَقَعُوا وَهَنَا كَسَوْا حَيْثُ مَوَّتَتْ  
مِنْ الْجَهْدِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ الْحَوَاشِيكِ

وقوله خدودا : مفعول كسوا في البيت قبله . والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك ، وهي الأسرة ، الواحد سرير . أي صيروا المكان الذي ناموا فيه كسوة للخدود . وفي (اللسان : أرك) قال المفسرون : الأرائك : السرر في الحجال . وقال الزجاج : الأرائك الفرش في الحجال ، وقيل هي الأسرة ، وهي في الحقيقة الفرش كانت في الحجال ، أو في غير الحجال . وقيل الأريكة : سرير منجد مزين ، في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

(٣) البيت لم أجده في ديوان الأعشى ميمون ، ولا في سائر أشعار العشى الملحقة به ، إنما وجدت بيتين اثنين من وزنه وقافيته ، من ٢٤٥ مطبعة الدكتور محمد حسين بالقاهرة . ولم أجده غيرها . والرواق ، بضم الراء المشددة وكسرها : الخيمة . والبيت شاهد كالذي قبله ، على أن معنى الأرائك : السرر في الحجال ، وأن واحدها : أريكة . والأنضاد : جمع نضد بالتحريك ، وهو ما نضد من متاع البيت ، وجعل بعضه فوق بعض .



وحسنت هذه الأرائك مرتقفاً ، ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صواباً ، لأن نِعَمَ وبِئْسَ إنما تدخلهما العرب في الكلام ، لتدلا على المدح والذم ، لالفعل ، فلذلك تذكروهما مع المؤنث ، وتوحدتهما مع الاثني والجماعة :

الفول في تأويل فرد تعالى

\* **وَاضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ، وَفَجَّرْنَا خِلْمَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)**

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب يا محمد هؤلاء المشركين بالله ، الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، مثلاً مثل ( رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ) أى جعلنا له بستين من كروم ( وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ) يقول : وأطفنا هذين البستانين بنخل . وقوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ) يقول : وجعلنا وسط هذين البستانين زرعاً . وقوله ( كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ) يقول : كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس ، من النخل والكرم وصنوف الزرع . وقال : كلتا الجنتين ، ثم قال : آتت ، فوحد الخبر ، لأن كلتا لا يفرد واحدها ، وأصله كل ، وقد تفرد العرب كلنا أحياناً ، ويذهبون بها وهى مفردة إلى التثنية ، قال بعض الرُّجَاز في ذلك :

فِي كِلْتَا رَجُلَيْهَا سَلَامِي وَاحِدَةً كِلْتَاهُمَا مَقْسُورُونَ<sup>١</sup> بِنَزَائِدِهِ<sup>٢</sup>

يريد بكلت : كلنا ، وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل ، إذا أضيفت إلى معرفة ، وجاء الفعل بعدهن ، ويجمع ويوحد . وقوله ( وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ) يقول : ولم تنقص من الأكل شيئاً ، بل آتت ذلك تاماً كاملاً ، ومنه قولهم : ظلم فلان فلانا حقّه : إذا بحسه ونقصه ، كما قال الشاعر :

تَظْلَمْتَنِي مَالِي كَذًّا وَلَوْ يَ بَدِي لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ<sup>٣</sup>

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٨٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال : وقد تفرد العرب إحدى « كلتى » ( كتبها بالياء للإمالة ) . وهو من شواهد النحويين على أن « كلت » أصلها « كلتا » ، حذف ألفها للضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها ( خزائن الأدب لبغدادي ١ : ٦٢ ) وقال : رأيت في حاشية الصحاح أن هذا البيت من رجز يصف به نعاماً ، فضمير رجلها عائد على النعام . والسلاى ، على وزن حيارى : عظم في فرس البعير ، وعظام صغار طول أصبع أو أقل ، في اليد والرجل . والجمع : سلاميات . والفرس : بمنزلة الحافر للفرس . والضمير في كلتاها للرجلين . ثم قال : استدلالهم بهذا البيت على الأفراد يرد معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني ، فتأمل . وقال أبو حيان في تذكرته : هذا البيت من اضطراب الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هو جاء بمعنى كلا ، غير أنه أسقط الألف اعتياداً على الكسرة التي قبلها ، وعلا على أنها تكن من الألف المائلة إلى الياء : وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعى أن لكلا وكلتا واحداً منفرداً في النطق مستعملاً ، فإن ادعاء عليه مدح ، فهو تشيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم . انتهى .

(٢) البيت من أبيات تسعة لفرعان بن الأعراف في ابنة منازل ( الحماسة بشرح التبريزي ٤ : ٩ ) وأوله : « نعمد حق ظالمنا ولوى يدي » . ونعمد حق : ستره . وهو في معنى : « تظلمنى مالى » ( ولوى يدي : أى فتلها وأزالها عن حالها وهيئتها . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٢ ) قال : « ولم تظلم منه شيئاً » : ولم تنقص . ويقال : ظلمنى فلان حق ، أى نقصنى . وقال رجل لابنه : « تظلمنى مالى كذا . . . الخ » .

ورواية البيت في اللسان : « تظلم مالى هكذا . . . البيت . ولم ينسبه . وقال قبله : وظلمه حقه ، وتظلمه إياه . يريد أهما بمعنى

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَمْ تَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا ) : أي لم تنقص منه شيئاً .

وقوله ( وَقَجْرْنَا خِيَلًا لَّهُمَا نَهْرًا ) يقول تعالى ذكره : وَسَيَلْنَا خِلَالَ هَذَيْنِ الْبِسْتَانَيْنِ نَهْرًا ، يعني بينهما وبين أشجارهما نهراً . وقيل ( وَقَجْرْنَا ) فنقل الجيم منه ، لأن التنجير في النهر كله ، وذلك أنه يمد ماء ، فيُسبِل بعضه بعضاً .

وقوله ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بضم التاء والميم . واختلف قارئو ذلك كذلك ، فقال بعضهم : كان له ذهب وفضة ، وقالوا : ذلك هو التمر ، لأنها أموال مثمرة ، يعني مكثرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) قال ذهب وفضة ، وفي قول الله عز وجل ( بِشْمُرِهِ ) قال : هي أيضا ذهب وفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( تَمْرٌ ) قال : ذهب وفضة . قال : وقوله ( وَأُحِيطَ بِشْمُرِهِ ) هي أيضا . وقال آخرون : بل عني به : المال الكثير من صنوف الأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن هارون ، عن سعيد بن أبي عسرة ، عن قتادة ، قال : قرأها ابن عباس ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) بالضم ، وقال : يعني أنواع المال .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) يقول : مال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) يقول : من كل المال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَأُحِيطَ بِشْمُرِهِ ) قال : التمر من المال كله ، يعني التمر وغيره من المال كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « التمر » المال كله ، قال : وكل مال إذا اجتمع فهو تمر ، إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله . وقال آخرون : بل عني به الأصل .



## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان له "تُمْرٌ" ) التمر : الأصل . قال ( وأُحِيطَ بِشُمْرِهِ ) قال : بأصله ، وكان الذين وجهوا معناها إلى أنها أنواع من المال ، أرادوا أنها جمع ثمار جمع تُمْر ، كما يجمع الكتاب كتباً ، والحمار حُمراً . وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة ( تُمْرٌ ) بضم التاء ، وسكون الميم ، وهو يريد الضم فيها ، غير أنه سكنها طلب التخفيف . وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع تُمْرَة ، كما تجمع الحشبة حشَبًا . وقرأ ذلك بعض المدنيين ( وكان له "تُمْرٌ" ) بفتح التاء والميم ، بمعنى جمع التمرة ، كما تجمع الحشبة حشَبًا ، والقصبه قَصَبًا .

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأ ( وكان له "تُمْرٌ" ) بضم التاء والميم ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن كانت جمع ثمار ، كما الكتب جمع كتاب :

ومعنى الكلام ( وَقَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ، وكان له ) منهما ( تُمْرٌ ) بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار . وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه ، قوله ( جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَمَقْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ) ثم قال : وكان له من هذه الكروم والنخل والزروع تُمْرٌ .

وقوله ( فَقَالَ لِصَاحِبِيهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ) يقول عز وجل : فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه ( أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) يقول : وأعز عشيرة ورهطنا ، كما قال عبيدة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن سادات العرب ، وأرباب الأموال ، ففتح عنا سلمان وحباباً وصُهيباً ، احتقاراً لهم ، وتكبراً عليهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَقَالَ لِصَاحِبِيهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ) وتلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال ، وعزة النفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ( دَخَلَ جَنَّتَهُ ) وهي بستانه ( وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) وظالمة نفسه : كفره بالبعث ، وشكه في قيام الساعة ، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى ، فأوجب لها بذلك سخط الله ، وأليم عقابه . وقوله ( قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ) يقول جل ثناؤه ، قال لما عاين جنته ، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة ، شكاف في المعاد إلى الله : ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ الْجَنَّةُ أَبَدًا ، ولا تفنى ولا تتحرب ، وما أَظُنُّ السَّاعَةَ التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه ، فقال ( وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ) فرجعت إليه ، وهو غير موقن أنه

راجع إليه (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول: لأجدن خيرا من جنتي هذه عند الله ، إن رددت إليه مَرَجَعًا وَمَرَدًّا ، يقول : لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ) قال : شك ، ثم قال : ( وَلَكِنَّ ) كان ذلك ثم ( رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ) ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خيرا من ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ) قال ما أظنُّ أن تبديد هذه أبدياً ، وما أظنُّ الساعة قائمة ) كفور لنعم ربه ، مكذب بلفائه ، متمن على الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)

يقول تعالى ذكره : قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالا وولدا ، وهو يحاوره : يقول : وهو يخاطبه ويكلمه : ( أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ؟ ) يعني خلق أباك آدم من تراب . ( ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ) يقول : ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ، ( ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ) يقول : ثم عدلك بشرا سويا رجلا ، ذكر لا أنثى : يقول : أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا ، بعد ما تصير رفانا ؟ ( لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) يقول : أما أنا فلا أكفر بربي ، ولكن أنا هو الله ربي ، معناه أنه يقول : ولكن أنا أقول : هو الله ربي ( وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ) . وفي قراءة ذلك وجهان : أحدهما لكن هو الله ربي بتشديد النون ، وحذف الألف في حال الوصل ، كما يقال : أنا قائم ، فتحذف الألف من أنا ، وذلك قراءة عامة قراء أهل العراق . وأما في الوقف فإن القراءة كلها تثبت فيها الألف ، لأن النون إنما شددت لاندغام النون من لكن ، وهي ساكنة في النون التي من أنا ، إذ سقطت الهمزة التي في أنا ، فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا ، فقيل : لكننا ، لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا بإسقاطها . وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز : ( لَكِنَّا ) بإثبات الألف في الوصل والوقف ، وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

أَنَا سَيِّفُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيدًا قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا

(١) البيت : من شواهد التحوين ، على أن ثبوت ألف « أنا » في الوصل عند غير بني تميم لا يكون إلا في ضرورة الشعر . (غزاة الأدب للبيدادي ٢ : ٣٩٠) ثم قال : قال ابن جني في شرح تصريف المازني : أما الألف في « أنا » في الوقف فزائدة ، ليست بأصل . ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيد ، كما قال تعالى : « إني أنا ربك » تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في المقطع ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل ، كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل وبينت الحركة بالألف كما بينت بالهاء ، لأن الهاء مجاورة للألف . اهـ . و « حميدا » بدل من الياء في اعرفوني ، يروي مصفرا ومكبرا . وفي الصحاح : « = »



فأثبت الألف في أنا ، فليس ذلك بالفصيح من الكلام ، والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ، ما ذكرنا عن العراقيين ، وهو حذف الألف من « لكن » في الوصل ، وإثباتها في الوقف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا

وَوَلَدًا (٣٩)

يقول عز ذكره : وهلا إذ دخلت بستانك ، فأعجبك ما رأيت منه ، قلت ما شاء الله كان ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه . وهو جواب الجزاء ، وذلك : كان .

وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا ، كانت « ما » نصبا بوقوع فعل الله عليه ، وهو شاء ؛ وجاز طرح الجواب ، لأن معنى الكلام معروف ، كما قيل : فإن استطعت أن تبغني نفاقا في الأرض ، وترك الجواب ، إذ كان مفهوما معناه . وكان بعض أهل العربية يقول « ما » من قوله ( ما شاء الله ) في موضع رفع بإضمار هو ، كأنه قيل : قلت : هو ما شاء الله ( لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) يقول : لا قُوَّةَ على ما نحاول من طاعته إلا به . وقوله ( إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ) وهو قول المؤمن الذي لا مال له ، ولا عشيرة ، مثل صاحب الجنتين وعشيرته ، وهو مثل سلمان وصهيب وخباب ، يقول : قال المؤمن للكافر : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا ؛ فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل ، وبه القراءة عندنا ، لأن عليه قراءة الأمصار ، وإذا جعلته اسما رفعت أقل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ

صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد ، إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة : إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا في الدنيا ، فعسى ربِّي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا . ( وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ) يعني على جنة الكافر التي قال لها : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ( حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ) يقول : عذابا من السماء ، ترمى به رميا وتقذف . والحسبان : جمع حُسْبَانَة ، وهي المرامي .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

« جميعا » في موضع « حمدا » . وتذريت السام : علوته . ونسب ياقوت هذا البيت في حاشية الصحاح إلى حميد بن مجدل ، شاعر . وهو حميد بن حريث بن مجدل ، من بني كلب بن وبرة ، ينتهي نسبه إلى قضاة . وهو شاعر إسلامي ، كانت محته ميسون بنت مجدل ، أم يزيد بن معاوية .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أو يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) : عذابا . حدثت عن محمد بن يزيد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : عذابا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) . قال : عذابا ، قال : الحسبان : قضاء من الله يقضيه . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الحسبان : العذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ) قال : عذابا . وقوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) يقول عز ذكره : فتصبح جنتك هذه أيها الرجل ، أرضا ملساء لاشيء فيها ، قد ذهب كل ما فيها من عرس ونبت ، وعادت خرابا بلاقع . زلقا ، لا يثبت في أرضها قدم لاملسائها ، ودروس ما كان ثابتا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) : أي قد حصيد ما فيها ، فلم يترك فيها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) قال : مثل الجرز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ) : قال : صعيدا زلقا ، وصعيدا جرزا واحدا ، ليس فيها شيء من النبات .

وقوله ( أو يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا ) يقول : أو يصبح مأوها غائرا ، فوضع الغور وهو مصدر ، مكان الغائر ، كما قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ مَقْلَسِدَةً أَعْيَنَتْهَا صَفُونَا

بمعنى نائمة ، وكما قال الآخر :

هَرَبِيْقٍ مِّنْ دُمُوعِهِمَا سَجَامًا ضَبَاعٌ وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا

(١) البيت لعمر بن كلثوم فارس تغلب وسيدها ، من معلقته المشهورة ، ورواية الشطر الأول منه في شرح التبريزي والزوزني وجمهرة أشعار العرب طبع القاهرة : « تركنا الخيل عاكفة عليه » .

قال الزوزني : الصقون : جمع صاقن . وقد صقن الفرس يصفن صفونا : إذا قام على ثلاث ، وثني سبكه الرابع . يقول : قتلناه ، وحسنا غيلنا عليه ، وقد قلدناها أمتها في حال صفونها عنده . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٣ ) قال : « أو يصبح مأوها غورا » أي غائرا . والعرب قد تصف الفاعل بمصدره ، وكذلك الاليتين والجميع ، على لفظ المصدر ، قال عمرو بن كلثوم : « تظل جياده نوحا عليه » . . . البيت : أي نائمات .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٤ ) قال بعد الشاهد السابق : وقال بك يبيك هشام بن المغيرة : « هريق... البيت » قال محققه : لعلم هشام بن عتبة بن عمار بن الوليد بن المغيرة الخزومي . اهـ . والشاهد فيه كالشاهد في البيت الذي قبله ، يريه بقوله « نوحا » : نائمات ، وهذا في المصدر كثير . وضباع : مرخم ضباعة ، اسم امرأة .



والعرب توحد الغور مع الجمع والاثنتين ، وتذكر مع المذكر والمؤنث ، تقول : ماء غور ، وماءان غور ومياه غور . ويعنى بقوله ( غوراً ) ذاهبا قد غار في الأرض ، فذهب ، فلا تلحقه الرشاء .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أُرْيُصْبِحَ مَأْوُهَا غُورًا ) : أى ذاهبا قد غار في الأرض . وقوله ( فَلَئِنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ) يقول : فلن تطيق أن تدرك الماء الذى كان فى جنتك بعد غوره ، بطلبك إياه .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره : وأحاط الملاك والجواريح بشمره . وهى صنوف ثمار جنته ، التى كان يقول لها : ( ما أظن أن تبديد هذه أبدًا ) فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين ، يقلب كفيه ظهرها لبطن ، تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التى أنفق فى جنته . ( وهى خاوية على عروشها ) يقول : وهى خالية على نباتها وبيوتها .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ ) : أى يصفق كفيه ( عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا ) متلهفا على ما فاته ، وهو يقول ( يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ) ويقول : يا ليتنى . يقول : يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته ، أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا ، يعنى بذلك : هذا الكافر إذا هلك ، وزالت عنه دنياه ، وانفرد بعمله ، ودأنه لم يكن كفر بالله ، ولا أشرك به شيئا .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ، هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فئته ، وهم الجماعة ، كما قال العجاج :  
كَمَا يَحْمُوزُ الْفَيْئَةُ الْكَمِيَّ .

(١) البيت للعجاج من أرجوزة له مطولة (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكرى طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ من ١٨٤) وقوله :

• يحوذهن وله حوذى • خوف الخلاط وهو أجنبى • كما يحوذ الفئته الكمي •

وقال فى شرحه : ويحوذ : يسوق ويطرده . وله حوذى : أى له ما يطردهن به . والكمي : الشجاع . وأجنبى : أى بجانب من متخوف ، لا يمكنهن من نفسه . اهـ . و ( فى اللسان : حوذ ) حاذ الإبل يحوذها : إذا حازها وجمعها ليسوقها . وحاذه يحوذه حوذاً : غلبه ، وحاذ الحمار أنه : إذا استولى عليها وجمعها ، وكذلك حازها . والفئته : الفرقة والجماعة من الناس فى الأصل ، والطائفة التى تقم وراء الجيش ، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجئوا إليهم .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا ، فإن معناهم نظير معناها فيه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل ( **وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ) قال : عشيرته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ) : أي جند ينصرونه . وقوله ( **يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ) يقول : يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله : إذا عاقبه وعذبه .

وقوله ( **وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا** ) يقول : ولم يكن ممتنعا من عذاب الله إذا عذبه .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا** ) : أي ممتنعا .  
وقوله ( **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** ) يقول عز ذكره : ثم ، وذلك حين حلّ عذاب الله بصاحب الجنة في القيامة .

واختلفت القرآء في قراءة قوله الولاية ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة ( **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ** ) بفتح الواو من الولاية ، يعنون بذلك هنالك الموالاتة لله ، كقول الله ( **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ) وكقوله ( **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا** ) : يذهبون بها إلى الولاية في الدين . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة : ( **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ** ) بكسر الواو : من المُلْك والسلطان ، من قول القائل : **وَلَيْتُ عَمَلُ كَذَا** ، أو بلدة كذا ، إليه ولاية .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الواو ، وذلك أن الله عقّب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه ، وأن من أحلّ به نعمته يوم القيامة ، فلا ناصر له يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفرادة بالمملكة والسلطان ، أولى من الخبر عن الموالاتة ، التي لم يجر لها ذكر ولا معنى ، لقول من قال : لا يسمّى سلطان الله ولاية ، وإنما يسمّى ذلك سلطان البشر ، لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفردا به ، دون جميع خلقه ، لأنه يكون أميرا عليهم .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( **الْحَقِّ** ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والعراق خفضا ، على توجيهه إلى أنه من نعت الله ، وإلى أن معنى الكلام : هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته ، لا الباطل بطول ألوهيته التي يدعوها المشركون بالله آلهة . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين ( **اللَّهُ الْحَقُّ** ) برفع الحقّ توجيها منهما إلى أنه من نعت الولاية ، ومعناه : هنالك الولاية الحقّ ، لا الباطل ، لله وحده لا شريك له .

(١) لعل كلمة « بطول » هذه مقحمة من قلم الناسخ ، وأن الأصل : لا الباطل ألوهيته . . الخ .



وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه خفضا ، على أنه من نعت الله ، وأن معناه ما وصفت ، على قراءة من قرأه كذلك .

وقوله ( هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ) : يقول عز ذكره : خير للمؤمنين في العاجل والآجل ثوابا ( وخَيْرٌ عَقْبًا ) : يقول : وخيرهم عاقبة في الآجل ، إذا صار إليه المطيع له ، العامل بما أمره الله ، والمنتهى عما نهاه الله عنه . والعُقْب : هو العاقبة ، يقال : عاقبة أمر كذا وعُقْبَاهُ وعُقْبِيهِ ، وذلك آخره ، وما يصير إليه منتهاه . وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة ( عَقْبًا ) بضم العين ، وتسكين القاف . والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هُوَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ،  
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٥٤)

يقول عز ذكره لذيبي محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك : اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، إذا نحن جنناك الدنيا منهم مثلا : يقول : شبيها ( كَمَا هُوَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ) يقول : كطير أنزلناه من السماء إلى الأرض ( فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ) : يقول : فاختلط بالماء نبات الأرض ( فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ) يقول : فأصبح نبات الأرض يابسا متفتتا ( تَذْرُوهُ الرِّيحُ ) يقول : تطيره الرياح وتفترقه ، يقال منه : ذَرَتْهُ الرِّيحُ تَذْرُوهُ ذَرْوًا ، وَذَرْتَهُ ذَرِيًا ، وَأَذَرْتَهُ تَذْرِيهِ إِذْرَاءً ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ صَوَّبٌ وَلَا تُجْهَدْتَهُ فَيَذْرُكُ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَزَلُّقِي ٢

يقال : أذريت الرجل عن الدابة والبعير : إذا ألقيته عنه .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ) يقول : وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته ( مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ) وإهلاك أموال ذوى الأموال ، الباخلين بها عن حقوقها ، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم ، وغير ذلك مما يشاء ، قادر لا يعجزه شيء أراد ، ولا يعنيه أمر أراد . يقول : فلا يفخر ذوا الأموال بكثرة أمواله ، ولا يستكبر على غيره بها ، ولا يغترن أهل الدنيا بدنياهم ، وإنما مسألها مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه بالمطر ، فلم يكن إلا ريث أن انقطع

(١) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية ، وهي : عقبا ، بضم العين والقاف .

(٢) البيت لامرئ القيس بن حجر ( غنار الشعر الجاهل طيبة مصطلق البابي الحلبي بشرح مصطلق السقا ص ١٢٥ ) قال في شرحه : يذرك : يصرعك ويلقك ؛ يقال : أذريت الشيء عن الشيء : إذا ألقيته . والقطاة : مقعد الرديف . يقول : قلت للغلام : صوب الفرس نحو القصد ، وخذ عفوه ، ولا تحمله على سرعة العفو ؛ فيلقيك بن آخر القطاة . ويروي : من أعل القطاة .

عنه الماء ، فنهاى نهايته ، عاد يابسا تذروه الرياح ، فاسدا ، تنبو عنه أعين الناظرين ، ولكن يعمل للباقي الذي لا يفنى ، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير .

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْبُقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : المال والبنون أيها الناس ، التي يفخر بها عينة والأقرع ، ويتكبران بها على سألهم وخباب وصهيب ، مما يتزين به في الحياة الدنيا ، وليس من عداد الآخرة ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً ) يقول : وما يعمل سألهم وخباب وصهيب من طاعة الله ، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا ، خيرٌ يا محمد عند ربك ثواباً ، من المال والبنين ، التي يفخر هؤلاء المشركون بها التي تفنى ، فلا تبقى لأهلها ( وخبيرٌ أملاً ) يقول : وما يؤمل من ذلك سألهم وصهيب وخباب ، خير مما يؤمل عينة والأقرع ، من أموالهما وأولادهما . وهذه الآيات من لدن قوله ( وآتلهما ما أوحى إليك من كتاب ربك ) إلى هذا الموضع ، ذكر أنها نزلت في عينة والأقرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، وكان قارئ الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن خباب في قوله ( ولا تنظروا الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ) ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام ، في قصة عينة والأقرع ، إلى قوله ( ولا تطيع من أغفطنا قلبه عن ذكرنا ) قال : عينة والأقرع ( وأتبعه هواه ) قال : قال : ثم ضرب لهم مثلاً رجلين ، ومثل الحياة الدنيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالباقيات الصالحات ، اختلافهم في المعنى بالدعاء الذي وصف جل ثناؤه به الذين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن طردهم ، وأمره بالصبر معهم ، فقال بعضهم : هي الصلوات الخمس . وقال بعضهم : هي ذكر الله بالتسبيح والتكبير والتلهيل ، ونحو ذلك . وقال بعضهم : هي العمل بطاعة الله . وقال بعضهم : الكلام الطيب .

ذكر من قال : هي الصلوات الخمس

حدثني محمد بن إبراهيم الأتصالي ، قال : ثنا يعقوب بن كاسب ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال : سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز ، يحدث عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنه قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثني زريق بن إسحاق ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : الصلوات الخمس .



حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق عن عمرو بن شريحيل في هذه الآية ( والباقيات الصالحات ) قال : هي الصلوات المكتوبات .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم ، قال ( الباقيات الصالحات ) : الصلوات الخمس .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ( والباقيات الصالحات ) قال : الصلوات الخمس .

ذكر من قال : هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك

حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبي زياد ومحمد بن مغيرة الأسدي ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حبيوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تيم ، من رهط أبي بكر الصديق ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هنّ لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حبيوة ، قال : ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان بن عفان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هي لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .  
حدثني بن عبد الرحيم التبرقي ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ورشد بن سعد ، قالوا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قالوا لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنم ، عن زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك ، عن مغيرة بن عبد الله بن صياد ، عن سعيد ابن المسيب ، قال ( الباقيات الصالحات ) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن نافع بن سرجس ، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن جريج ، وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن ، مولى سلم ابن عبد الله ، حدثه قال : أرسلني سالم بن محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له النقيبي عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة ، قال : فالتقيا ، فسلم أحدهما على الآخر ، ثم قال سالم : ما تعد الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ فقال : ما زلت أجعلها ، قال : فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع ، قال : فأثبت ، قال سالم : أجل ، فأثبت ، فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَأُرِيْتُ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ » فَقَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَرَحَّبَ بِي وَسَهَّلَ ، ثُمَّ قَالَ : مَرُّ أُمَّتِكَ فَذَلَّتْ كَثِيرٌ مِنْ غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا تَرُبَّتْهَا طَيِّبَةً ، وَأَرْضُهَا وَأَسِيعَةٌ ، فَتَقُلْتُ : وَمَا غَيْرَ أَسِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله ( والباقيات الصالحات خير ) قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله : هن الباقيات الصالحات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَكْبَرُوا مِنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قِيلَ : الْمَلَّةُ ، قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك ، عن عمارة بن صباد ، أنه سمع سعيد



ابن المسيب يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حدثني ابن التبرقي ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن عجلان . عن نهمارة بن صياد ، قال : سألت سيدي بن المسيب ، عن الباقيات الصالحات ، فقلت : الصلاة والصيام . قال : لم تصب ، فقلت : الزكاة والحج ، فقال : لم تصب ، ولكن الكلمات الخمس : لا إله إلا الله . والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ذكر من قال : هي العمل بطاعة الله عز وجل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخَيْرٌ أملاً ) قال : الأعمال الصالحة : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي . عن ابن عباس ، قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : هي ذكر الله قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله ، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعنف والجهاد والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهن الباقيات الصالحات ، التي تبقى لأهلها في الجنة مادامت السموات والأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخَيْرٌ أملاً ) قال : الأعمال الصالحة .  
ذكر من قال : هي الكلم الطيب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( والباقيات الصالحات ) قال : الكلام الطيب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : هن جميع أعمال الخير ، كالذي روى عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة ، وعليها يجازى ويثاب ، وإن الله عز ذكره لم يخصص من قوله ( والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً ) بعضاً دون بعض في كتاب ، ولا يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي روينا عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هن الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ، ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البر أيضاً باقيات صالحات .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا  
عَلَى رَبِّكَ صَفًّا : لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)  
يقول تعالى ذكره ( وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ ) عن الأرض ، فُنَيْسَهَا بَسًا ، ونجعلها هباء منبثا ( وَتَرَى  
الْأَرْضَ بَارِزَةً ) ظاهرة ، وظهورها لرأى أعين الناظرين ، من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر ، هو بروزها .  
وبنحو ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ) قال : لا تخمر فيها  
ولا غيابة ، ولا بناء ولا حجر فيها .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ) ليس عليها  
بناء ولا شجر . وقيل : معنى ذلك : وترى الأرض بارزا أهلها ، الذين كانوا في بطنها ، فصاروا على ظهرها .  
وقوله ( وَحَشَرْنَاهُمْ ) يقول : جمعناهم إلى موقف الحساب ( فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) ،  
يقول : فلم نترك ، ولم نُبقي منهم تحت الأرض أحدا ، يقال منه : ما غادرت من القوم أحدا ، وما أغدرت  
منهم أحدا ، ومن أغدرت قول الراجز :

هَلْ لَكَ وَالْعَارِضُ مَيْتُكَ عَائِضُ فِي هَجْمَةِ يُغْدِرُ مَيْتُهَا الْقَابِضُ<sup>١</sup>

وقوله ( وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ) يقول عز ذكره : وعرض الخلق على ربك يا محمد صفا ( لَقَدْ  
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) يقول عز ذكره : يقال لهم إذ عرضوا على الله : لقد جئتمونا  
أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أول مرة ، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام .  
وقوله ( بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ) وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله

(١) هذان بيتان من مشطور الراجز ، من ثلاثة أبيات أوردتها (اللسان : عرض) والثالث قبلهما ، وهو : ياليل أسفك البريق الوامض «  
وهي لأبي محمد القعس ، قاله يعقوب امرأه خطبها إلى نفسها ، ورغبها في أن تنكحه ، فقال : هل لك رغبة في مئة من الإبل  
أو أكثر من ذلك ، لأن الهجمة أو لها الأربعون ، إلى ما زادت ، يجعلها لها مهرا . قال : وفيه تقديم وتأخير ، والمعنى هل لك في مئة من  
الإبل أو أكثر ، يسر منها قابضها الذي يسوقها ، أي يبيع ، لأنه لا يقدر على سوقها ، لكثرة رقبته ، لأنها تفرق عليه . ثم قال :  
والعارض منك عائض ، أي المعطى بدل فضلك عرضا عائض ، أي أخذ عوضا منك بالتزويج ، يكون كفاء لما عرض منك . ويقال  
عضت أعاض : إذا اعتضت عوضا ، ( بكسر العين في الماضي ) وعضت أعوض ( بضم عين الماضي ) : إذا عوضت عوضا ، أي  
دفعت . فقوله عائض من عضت ( بالكسر ) لا من عضت ( بالضم ) . ومن روى « يغدر » : أراد يترك ، من قولهم غادرت  
الشيء . قال ابن بري : والذي : في شعره : « والعائض منك عائض » : أي والعوض منك عوض ، كما تقول : الهبة منك هبة ،  
أي لها موقع . اه - قلت : في رواية اللسان لهذا الراجز « يسر » أي يبيع ، في موضع « يغدر » .



به الجميع ، والمراد منه الخصوص ، وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل ، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث . ومعلوم أنه لا يُقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله في الدنيا ، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات ، والحشر إلى القيامة موعداً ، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذباً بالبعث وقيام الساعة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

يقول عز ذكره : ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم ، فأخذ واحد يمينه ، وأخذ واحد بشماله . ( فتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ) يقول عز ذكره : فتري المجرمين المشفقين بالله . مشفقين : يقول : خائفين وجلين مما فيه مكتوب ، من أعمالهم السيئة ، التي عملوها في الدنيا ، أن يؤاخذوا بها ( وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! ) يعني أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم ، ورأوا ما قد كتبت عليهم فيه من صفائر ذنوبهم وكبائرهم ، نادوا بالويل ، حين أيقنوا بعذاب الله ، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة ، التي قد أحصاها كتابهم ، ولم يقدرُوا أن ينكروا صحفها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ! ) : اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء ، ولم يشك أحد ظلماً ، فإياكم والمحقرات من الذنوب ، فإنها تجتمع على صاحبها حتى يهلكه . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلاً ، يقول : كمثل قوم انطلقوا يسبرون ، حتى نزلوا بفلاة من الأرض ، وحضر صنيع القوم ، فانطلق كل رجل يحتطب ، فجعل الرجل يجيء بالعود ، ويجيء الآخر بالعود ، حتى جمعوا سواداً كثيراً ، وأججوا ناراً ، فإن الذنب الصغير ، يجتمع على صاحبه حتى يهلكه . وقيل : إنه عني بالصغيرة في هذا الموضع : الضحك .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الزبير بن عمرو ، عن عباس ( لا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ) قال : الضحك .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبي ، قال : حدثني أمي حمادة ابنة محمد ، قالت : سمعت أبي محمد ابن عبد الرحمن يقول في هذه الآية ، في قول الله عز وجل : ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ) قال : الصغيرة : الضحك .

ويعني بقوله ( مَا لِهَذَا الْكِتَابِ ) : ما شأن هذا الكتاب ( لا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ) يقول : لا يبقي صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها ( إِلَّا أَحْصَاهَا ) . يقول : إلا حفظها ( وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا )

في الدنيا من عمل (حاضراً) في كتابهم ذلك مكتوباً مثبتاً ، فجوزوا بالسيئة مثلاً ، والحسنة ما الله جازيهم بها (ولا يظلم ربيك أحداً) يقول : ولا يجازي ربك أحداً يا محمد ، بغير ما هو أهله ، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان ، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة ، وذلك هو العدل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ

رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ؛ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)

يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ، ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه ، حين أمره بالسجود له ، وأنه من العداوة والحسد لهم ، على مثل الذي كان عليه لأبيهم : (وَ) اذكر يا محمد (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) الذي يطعمه هؤلاء المشركون ، ويتبعون أمره ، ويخالفون أمر الله ، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله ، وحسداً لآدم (كَانَ مِنَ الْجِنِّ) . واختلف أهل التأويل في معنى قوله (كَانَ مِنَ الْجِنِّ) فقال بعضهم : إنه كان من قبيلة يقال لهم الجن . وقال آخرون : بل كان من خزّان الجنة ، فنُسب إلى الجنة . وقال آخرون : بل قيل من الجن ، لأنه من الجن الذين استجنتوا عن أعين بني آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خَلَّادِ بْنِ عَطَاءٍ ، عن طَاوُسٍ ، عن ابن عباس ، قال : كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزرازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر ، وكان من حى يسمى جناً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي رَوْحٍ ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجن ، خلّقوا من نار السموم ، من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خزّان الجنة . قال : وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى . قال : وخلقت الجن الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار ، الذي يكون في طرفها إذا تهبت .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قال : كان إبليس من خزّان الجنة ، وكان يدهب أمر سماء الدنيا .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض ، وكان فيما قضى الله ، أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله ، فلما كان عند السجود ، حين أمره أن يسجد لآدم ، استخرج الله كبره عند السجود ، فلغنه وأخبره إلى يوم الدين . قال : قال ابن عباس : وقوله ( كان من الجن ) إنما سمي بالجنان أنه كان خازنا عليها ، كما يقال للرجل : مكى ، ومدنى ، وكوفى ، وبصرى ، قاله ابن جريج .

وقال آخرون : هم سيط من الملائكة قبيلة ، وكان اسم قبيلته الجن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة ، وشريك بن أبي نمر ، أحدهما أو كلاهما ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخط الله عليه ، فسخره شيطانا رجيا ، لعنه الله ممسوخا . قال : وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه . وإذا كانت خطيئته في معصية فارجمه ، وكانت خطيئة آدم في معصية ، وخطيئة إبليس في كبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ) قبيل من الملائكة يقال لهم الجن . وقال ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ، وكان على خزينة السماء الدنيا . قال : وكان قتادة يقول : جن عن طاعة ربه . . وكان الحسن يقول : ألجأه الله إلى نسيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إلا إبليس كان من الجن ) قال : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان إبليس على السماء الدنيا ، وعلى الأرض ، وخازن الجنان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ) كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف الملائكة ، وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا ، وسلطان الأرض ، وكان مما سألته له نفسه من قضاء الله ، أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء ، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله ، فاستخرج الله ذلك الكبر منه ، حين أمره بالسجود لآدم فاستكبر ، وكان من الكافرين . فذلك قوله للملائكة ( إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ) : يعنى : ما أسر إبليس في نفسه من الكبر .

وقوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) كان ابن عباس يقول : قال الله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) لأنه كان خازنا على الجنان ، كما يقال للرجل : مكى ، ومدنى ، وبصرى ، وكوفى .

وقال آخرون : كان اسم قبيلة إبليس الجن ، وهم سبيط من الملائكة ، يقال لهم الجن ، فلذلك قال الله عز وجل ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) ، فنسبه إلى قبيلته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( كَانَ مِنَ الْجِنِّ ) قال : من الجنان الذين يعملون في الجنان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو سعيد اليمامى إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا سوار بن الجعد اليمامى ، عن شهر بن حوشب ، قوله ( مِنَ الْجِنِّ ) قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة ، فذهب به إلى السماء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) قال : كان خازن الجنان ، فسمى بالجنان . حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن سفیان بن أبي المقدام ، عن سعيد ابن جبير ، قال : كان إبليس من خزنة الجنة .

وقد بيئنا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) يقول : فخرج عن أمر ربه ، وعدل عنه ومال ، كما قال رؤبة :  
يَهْرِينُ فِي تَجْدٍ وَعَوْرًا غَائِرًا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا  
يعنى بالفواسق : الإبل المتعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعдал عن القصد ، والميل عن الاستقامة ، ويحكى عن العرب سماعا : فَسَقَتِ الرَّطْبَةُ مِنْ قَشْرِهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ ، وَفَسَقَتِ الْفَأْرَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) لأنه مراد به : فسق عن رده أمر الله ، كما تقول العرب : اتخمت عن الطعام ، بمعنى : اتخمت لما أكلته . وقد بيئنا القول في ذلك ، وأن معناه : عدل وجار عن أمر الله ، وخرج عنه . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى الفسق : الاتساع . وزعم أن العرب تقول : فسق في النفقة : بمعنى اتسع فيها . قال : وإنما سمي الفاسق فاسقا ، لانساعه في محارم الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة ، أوردهما صاحب مجموع أشعار العرب ج ٣ في ملحق ديوان رؤبة ص ١٩٠ والبيت الثاني في (اللسان : فسق) . والشاهد في قوله : فواسقا بمعنى خوارج . وقد استشهد بهما أبو عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤٠٦) قال : فسق عن أمر ربه : جار عنه ، وكفر به . وقال رؤبة : « يهوين . . . الخ » ، وما قاله المؤلف شبيه بما قال أبو عبيدة .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) قال : في السجود لآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) قال : عَصَى فِي السَّجُودِ لَأَدَمَ .

وقوله ( أَفْتَتَخَذُ وَنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِمَّنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ) يقول تعالى ذكره : أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده ، وكفر نعمتي عليه ، وغره حتى أخرجه من الجنة ونعم عيشه فيها ، إلى الأرض وضيق العيش فيها ، وتطبعونه وذريته من دون الله ، مع عداوته لكم قديما وحدثنا ، وتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم ، بأن أعبد لوالدكم ملائكته ، وأسكنه جناته ، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده ، وذرية إبليس : الشياطين الذين يغفرون بني آدم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَفْتَتَخَذُ وَنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِمَّنْ دُونِي ) قال : ذريته : هم الشياطين ، وكان يعدّهم « زَلْتَبُورًا » : صاحب الأسواق ، ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض ، و« تَسْبِر » : صاحب المصائب ، و« الأعمش » : صاحب الزنا ، و« مسوط » : صاحب الأخبار ، يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس ، ولا يجدون لها أصلا ، و« داسم » الذي إذا دخل الرجل بيته ، ولم يسلم ولم يذكر الله ، بصره من المتاع ما لم يرفع ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : سمعت الأعمش يقول : إذا دخلت البيت ولم أسلم ، رأيت مطهرة ، فقلت : ارفعوا ارفعوا ، وخاصمتهم ، ثم أذكر فأقول : « داسم ، داسم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هم أربعة تسبّر ، وداسم ، وزلتبور ، والأعمش ، ومسوط : أحدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَفْتَتَخَذُ وَنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِمَّنْ دُونِي ) . . . الآية ، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وهم لكم عدو .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَفْتَتَخَذُ وَنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِمَّنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ) وهو أبو الجن ، كما آدم أبو الإنس . وقال : قال الله لإبليس : إني لا أذرا لآدم ذرية ، إلا ذرات لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به .

وقوله ( بئس للظالمين بدلا ) يقول عز ذكره : بئس البديل للكافرين بالله ، اتخذ إبليس وذريته أولياء من دون الله ، وهم لكم عدو ، من تركهم اتخذ الله ، ولما باتباعهم أمره ونبيه ، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم ، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا .

(١) زلتبور وما عطف عليه من أسماء أولاد إبليس : المذكورة في ( التاج : زلتبور ) ، نقلها عن الأزهرى في التهذيب في الخامس ، والغزالي في الإحياء ، والصاغاني في التكملة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بئس ليلظاً لمين بدلاً ) : بثما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

عَصُدًا (٥١)

يقول عز ذكره : ما أشهدت إبليس وذريته ( خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : يقول : ما أحضرتهم ذلك ، فأستعين بهم على خلقها ( وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ) يقول : ولا أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم ، فأستعين به على خلقه ، بل تفردت بخلق جميع ذلك ، بغير معين ولا ظهير ، يقول : فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني ، وهم خلق من خلق أمثالهم ، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم ، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني ، منفرداً بذلك من غير معين ولا ظهير .

وقوله ( وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ) يقول : وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق ، ولكنه يضل ، فمن تبعه يجر به عن قصد السبيل ، أعواناً وأنصاراً ، وهو من قولهم : فلان يعصُد فلانا إذا كان يقويه ويعينه .

وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ) : أي أعواناً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وإنما يعنى بذلك أن إبليس وذريته يضلون بني آدم عن الحق ، ولا يهدونهم للرشد ، وقد يحتمل أن يكون عني بالضلبيين الذين هم أتباع على الضلالة ، وأصحاب على غير هدى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ، فَدَعَوْهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ

مُؤَبَقًا (٥٢) وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)

يقول عز ذكره : ( وَيَوْمَ يَقُولُ ) الله عز ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد : ( نَادُوا شُرَكَائِيَ )



الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ) يقول لهم : ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة ، لينصروكم ويمنعوكم مني .  
( فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ) يقول : فاستغاثوا بهم ، فلم يغيثوهم . ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) .  
فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا  
يدعون من دون الله شركاء في الدنيا ، يومئذ عداوة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، في قول الله  
( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : جعل بينهم عداوة يوم القيامة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن عوف ، عن الحسن ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : عداوة :

وقال آخرون : معناه : وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا  
بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : مهلكا .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَوْبِقًا )  
قال : هلاك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : الموبق : المهلك ، الذي أهلك بعضهم بعضا فيه ، أوبق بعضهم بعضا . وقرأ ( وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ  
مَوْعِدًا ) .

حدثت عن محمد بن يزيد ، عن جوير ، عن الضحاك ( مَوْبِقًا ) قال : هلاك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عرقبة ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا )  
قال : مهلكا .

وقال آخرون : هو اسم واد في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عمرو البيكالي :  
( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واد عميق ، فُصِّلَ بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَأَهْلِ الْهُدَى ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ  
وَأَهْلِ النَّارِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) ذكر  
لنا أن عمرو البيكالي حدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو واد عميق ، فُزِقَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى  
وَأَهْلِ الضَّلَالَةِ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الحجاج بن أرطاة ، قال : مجاهد قال : ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واديا في النار .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس ابن مالك يقول في قول الله عزّ وجلّ ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال : واد في جهنم من قيح ودم .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، ومن وافقه في تأويل الموبق : أنه المهلك ، وذلك أن العرب تقول في كلامها : قد أوبقت فلانا : إذا أهلكته . ومنه قول الله عزّ وجلّ ( أَوْ يَوْبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ) بمعنى : يهلكهن . ويقال للمهلك نفسه : قد وبقّ فلان ، فهو يَوْبِقُ وَبَقًا . ولغة بني عامر : يابق بغير همز . وحكى عن تميم أنها تقول : يَبِيقُ . وقد حكي وَبَقَ وَبِقَ وَبِقًا ، حكاهما الكسائي . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : الموبق : الموعد ، ويستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

وحادَ شُرُورِي فَالَسْتَارَ فَلَمْ يَدْعُ تِعَارًا لَهُ وَالْوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِي

ويتأوله بموعد . وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جلّ ثناؤه بين هؤلاء المشركين ، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو . وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن .  
وقوله ( وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ) يقول : وعابن المشركون النار يومئذ ( فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا ) يقول : فعلموا أنهم داخلوها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا ) قال : علموا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إِنَّ الْكَافِرَ يَرَى جَهَنَّمَ ، فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ ، مِنْ مَسِيرَةٍ أُرْبَعِينَ سَنَةً » .

(١) البيت في (اللسان: وبق) قال: وبق الرجل يبق وبقا ووبوقا (من باب ضرب) ووبق (من باب حسب) وبقا ، واستويق ذلك. وأو بقة هو . والموبق : مفعول (بكسر العين) منه ، كالموعد مفعول من وعد يعد . ومنه قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقا » قال القرطبي : يقول جعلنا توأصلهم في الدنيا موبقا : أي مهلكا لهم في الآخرة . وقال ابن الأعرابي : موبقا : أي حاجزا ، وكل حاجز بين شيئين فهو موبق . وقال أبو عبيد : الموبق : الموعد ، في قوله « وجعلنا بينهم موبقا » واحتج بقوله : « وحاد شروري . . . » البيت معناه : بموعد . وحاد شروري : نأى عنها وهي جبل بين العمق والمعدن ، في طريق مكة إلى الكوفة ، بين بني أسد وبني عامر . والستار جبل بالحجاز معروف ، أسفل من التناج . وتعار : جبل أيضا ، ببلاد قيس .



وقوله ( وَكَمْ يَجِدُوا عَنَّا مَصْرِفًا ) يقول: ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلاً يعدلون عنها إليه ، يقول: لم يجدوا من مواقعها بدءاً ، لأن الله قد حتم عليهم ذلك ، ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهدلي:   
أزْهَبِيرُ هَلْ عَن شَيْبَةِ مِّنْ مَّصْرِفٍ أَمْ لَأَخْلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفٍ

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلًا (٥٤)

يقول عز ذكره : ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، ووعظناهم فيه من كل عظة ، واحتجنا عليهم فيه بكل حجة ، ليتذكروا فينبوا ، ويعتبروا فيتعتروا ، وينزجروا عما هم عليه مقيمون ، من الشرك بالله وعبادة الأوثان ( وكان الإنسان أكثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) يقول : وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة ، لا ينيب لحق ، ولا ينزجر لموعظة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان الإنسان أكثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) قال : الجدل : الخصومة ، خصومة القوم لأنبيائهم ، وردتهم عليهم ما جاءوا به . وقرأ : ( مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ) . وقرأ : ( يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ) . وقرأ ( حَتَّى تَوْتَى ) . . . الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ) . . . الآية . وقرأ ( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ) قال : هم ليس أنت . ( لِقَالُوا : إِنَّمَا سَكَّرتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ

الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥)

يقول عز ذكره : وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله . إذ جاءهم الهدى : بيان الله ، وعلومها صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته ، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم ، إلا يجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم ، أو إتيانهم العذاب قبلاً .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو يأتيهم العذاب فجأة .

(١) البيت لأبي كبير الهدلي ، وهو في القسم الثاني من ديوان الهدليين طبعة دار الكتب ص ١٠٤ مطلع قصيدة له . وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن : ١ : ٤٠٧ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ولم يجدوا عنها مصرفاً » : أي معدلاً . وقال أبو كبير الهدلي : أزهير . . . الخ البيت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَوْ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ قُبُلًا ) قال : فجاء حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : معناه : أو يأتيهم العذاب عيانا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ قُبُلًا ) قال : قُبُلًا : معانيه ، ذلك القبيل .  
وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة ذات عدد ( أَوْ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ قُبُلًا ) بضم القاف والباء ، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ، ووجهوا القبيل إلى جمع قبيل ، كما يُجمع القبيل ، القبيل ، والجديد الجدد . وقرأ جماعة أخرى ( أَوْ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ قِبَلًا ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم : كلمته قِبَلًا . وقد بينت القول في ذلك في سورة الأنعام . بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا (٥٦)

يقول عز ذكره : وما نرسل رسلنا إلا لبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله . بجزيل ثوابه في الآخرة ، ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب ، عظيم عقابه ، وأليم عذابه ، فينتهوا عن الشرك بالله ، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه . ( وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ) يقول : ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل ، ذلك كفولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن حديث فتيه ذهبوا في أول الدهر لم يندر ما شأنهم ، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ، وما أشبه ذلك ، مما كانوا يخاصمون به ، يبتغون إسقاطه ، تعنتا له صلى الله عليه وسلم ، فقال الله لهم : إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجيدال والخصومات ، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة ، ومنذرين أهل الكفر بالنار ، وأنتم تجادلونهم بالباطل ، طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي ، وعسى بقوله ( لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ) : ليبطلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به ، يقال منه : دحّض الشيء : إذا زال وذهب ، ويقال : هذا مكان دحّض : أي مزل مزلق ، لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم ، ومنه قول الشاعر :



رَدَيْتُ وَنَجَّيْتُ الْيَشْكُرِي حَيْدَارُهُُ وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ

ويروى : ونجى ، وأدحضته أنا : إذا أذهبته وأبطلته .

وقوله ( واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ) يقول : واتخذوا الكافرون بالله حججه التي احتج بها عليهم ، وكتابه الذي أنزله إليهم ، والندور التي أنذروهم بها سحرها يسخرون بها ، يقولون : ( إن هذا إلا آساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ) و ( لو شئنا لقلنا مثل هذا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا

أَبَدًا (٥٧)

يقول عز ذكره : وأى الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعهما ، ممن ذكروه بآياته وحججه ، فدلها بها على سبيل الرشاد ، وهداه بها إلى طريق النجاة ، فأعرض عن آياته وأدلتها ، التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك ( ونسى ما قدَّمت يدها ) يقول : ونسى ما أسلف من الذنوب المهلكة ، فلم يتب ، ولم يتوب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ونسى ما قدَّمت يدها ) : أى نسي ما أسلف من الذنوب .

وقوله ( إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ) يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها ، أغشية ، لتلا يفقهوه ، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به . وقوله ( وفي آذانهم وقراً ) يقول : في آذانهم ثقلاً ، لتلا يسمعه ( وإن تدعهم إلى الهدى ) يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن تدع يا محمد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها ، إلى الاستقامة على محجة الحق والإيمان بالله ، وما جئتهم به من عند ربك ( فلن يهتدوا إذا أبداً ) يقول : فلن يستقيموا إذا أبداً على الحق ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه ، لأن الله قد طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم .

(١) البيت في (اللسان : دحض) وفي التاج وأساس البلاغة ، منسوبا إلى طرفة ، ولا يوجد في شعر الشعراء الستة ( مختار الشعر الجاهلي ) وغيره . وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين في الملحق بشعر طرفة مقطوعة صادية مطلعها :

أبا مُنْذِرٍ كَانَتْ غَمْرُورًا صَحِيفِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة . وإن كان شائعا في كتب الأدب واللفظ . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٨ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ليدحضوا به الحق » : مجازة : ليزيلوا به الحق ، ويذهبوا به . ويقال مكان دحض . . . البيت : أى منزل مزلق ، لا يثبت فيه خف ولا قدم ولا حافر . قال طرفة « رديت ونجى . . . » .  
وفي (اللسان : دحض) ، وشاهد الدحض قول طرفة : « رديت . . . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده ، يغفوه عنهم إذا تابوا منها ، ذو الرحمة بهم ، لو يؤاخذهم بما كسبوا هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام ، ( لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ) ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم ، ( بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ ) يقول : لكن لهم موعد ، وذلك ميقات محل عذابهم ، وهو يوم بدر ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) يقول تعالى ذكره : لن يجد هؤلاء المشركون ، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ، مكثنا يلجئون إليه ، ومنجى ينجون منه ، يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله ، يقال منه وألت من كذا : إلى كذا ، ألت وعولا ، مثل وعولا ، ومنه قول الشاعر :

لَا وَاةَ لَتَ نَفْسُكَ خَلْبَيْتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَكَمْ تَكَلَّمَا

يقول : لانت ، وقول الأعشى :

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفَلْتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مَيْتِي تَمَّ مَا يَسِيلُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَوْثِقًا ) قال : محمزا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) : يقول : ملجأ .

(١) البيت : من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة : ١٨٧ ) قال وقوله : « لن يجدوا من دونه موثقا » : الموثل : المنجى ، وهو الملجأ والمعنى واحد . والعرب تقول : إنه ليواصل إلى موضعه . يريدون : يذهب إلى موضعه وحرزه . وقال الشاعر : لا واملت نفسك . . . البيت . يريدون : لا تحت . وفي ( اللسان : رآل ) قال أبو الهيثم : يقال : رآل يثل وألا ووألة ، ووادل يواصل مواملة وموثالا . وقال الليث : المآل والموثل : الملجأ .

(٢) البيت من لامية الأعشى ميمون بن قيس ( ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩ ) قال : خلس الشيء سرقة وأخذة خفية . ما يثل : ما ينجو ، والماضي : آل : أي نجا . يقول : وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ، ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه من الخلد . وهو أيضا من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١ : ٤٠٨ ) كالشاهد السابق ، في تفسير قوله تعالى : « لن يجدوا من دونه موثقا » ، قال : وقال الأعشى : « وقد أخالس . . . البيت . أي لا ينجو . »



حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) : أى لن يجدوا من دونه وليا ولا منجأ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) قال : ليس من دونه ملجأ يلجئون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمُومًا ظَالِمُونَ، وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة ، أهلكتنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته ، ( وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ) أى ميقانا وأجلا ، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به ، يقول : فكذلك جعلنا لظؤلاء المشركين من قومك يا محمد ، الذين لا يؤمنون بك أبدا موعدا ، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكتناهم ، سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ) قال : أجلا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لِمَهْلِكِهِمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بضم الميم ، وفتح اللام ، على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكوا إهلاكا . وقرأه عاصم ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بفتح الميم واللام ، على توجيهه إلى المصدر من هلكوا هلاكا ومهلكا .

وأولى القراءتين بالصواب عندى في ذلك : قراءة من قرأه ( لِمَهْلِكِهِمْ ) بضم الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القراء عليه ، واستدلالا بقوله ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمُومًا ) فإن يكون المصدر من أهلكنا ، إذ كان قد تقدم قبله ، أولى . وقيل : أهلكناهم ، وقد قال قبل : ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ) . لأن الهلاك إنما حل بأهل القرى ، فعاد إلى المعنى ، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ .

وقال بعض نحوي البصرة : قال ( وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمُومًا ) لَمَّا ظَلَمُوا ) أى أهلها ، كما قال ( وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ) ولم يعنى بلفظ القرى ، ولكن أجرى اللفظ على القوم ، وأجرى اللفظ في القرية عليها إلى قوله ( الَّتِي كُنَّا فِيهَا ) ، وقال ( أَهْلَكْتُمُومًا ) ولم يقل : أهلكناها ، حمله على القوم ، كما قال : جاءت تميم ، وجعل الفعل لبني تميم ، ولم يجعله لتميم ، ولو فعل ذلك لقال : جاء تميم ، وهذا لا يحسن في نحو هذا . لأنه قد أراد غير تميم في نحو هذا الموضع ، فجعله اسما ، ولم يحتمل إذا اعتل أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بني تميم ، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئا قبل تميم . وقال بعضهم : إنما جاز أن يقال : تلك القرى أهلكتناهم ، لأن القرية قامت مقام الأهل ، فجاز أن ترد على الأهل مرة ، وعليها مرة . ولا يجوز ذلك في تميم ، لأن القبيلة تعرف به ، وليس تميم هو القبيلة ، وإنما عرفت القبيلة به ، ولو كانت القبيلة

قد سميت بالرجل لجرت عليه ، كما تقول : وقعت في هود ، تريد في سورة هود ، وليس هود اسما للسورة ، وإنما عرفت السورة به ، فلو سميت السورة بهود لم يجر ، فقلت وقعت في هود يا هذا ، فلم يجر ، وكذلك لو سمى بنى تميم تيمما لقيط : هذه تميم قد أقبلت ، فتأويل الكلام : وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا ، وجعلنا لإهلاكهم موعدا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)

يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع : ( لا أبرح ) يقول : لأزال أسير ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا أبرح ) قال : لانتهمي . وقيل : عنى بقوله ( مجمع البحرين ) اجتماع بحر فارس والروم ، والمجمع : مصدر من قولهم : جمع يجمع .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( حتى أبلغ مجمع البحرين ) والبحران : بحر فارس وبحر الروم ، وبحر الروم مما يلي المغرب ، وبحر فارس مما يلي المشرق . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( مجمع البحرين ) قال : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( مجمع البحرين ) قال : بحر الروم ، وبحر فارس ، أحدهما قبيل المشرق ، والآخر قبيل المغرب . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال ( مجمع البحرين ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، في قوله ( لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ) قال : طنجة .

وقوله ( أو أمضي حقبًا ) يقول : أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد ، ويجمع كثيره وقليله : أحقاب ، وقد تقول العرب : كنت عنده حقبية من الدهر ، ويجمعونها حقبيا . وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ( لا أبرح ) : أي لأزول ، ويستشهد لقوله ذلك بيت الفرزدق :

فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَهَادَتْ نِسَاؤُهُمْ بِيَطْحَاءِ ذِي قَارِ عِيَابِ اللَّطَائِمِ ٢

يقول : ما زالوا .

(١) يياض بالأصل ، وفي الدر عن ابن عباس « تفسير مجمع البحرين : بملق البحرين » .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق طبعة الصاوي ص ٧٧٣ من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، عدتها تسعة أبيات =



وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحُقْبُ في لغة قيس : سنة . فأما أهل التأويل فإنهم يقولون : في ذلك ما أنا ذاكره ، وهو أنهم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو ثمانون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن هشيم ، قال : ثنا أبو بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الحُقْبُ : ثمانون سنة .

وقال آخرون : هو سبعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أو أمّصِي حُقْبًا ) قال : سبعين خريفًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون في ذلك ، بنحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أو أمّصِي حُقْبًا ) قال : دهرا .

حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( حُقْبًا ) قال : الحُقْبُ : زمان .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو أمّصِي حُقْبًا ) قال : الحُقْبُ : الزمان .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرَبًا (٦١)

يعنى تعالى ذكره : فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين ، كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ) قال : بين البحرين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( نَسِيًا حُوتَهُمَا ) يعنى بقوله : نسيًا : تركًا .

والواو في برحوا عائدة على بن تميم الذين فخر بأعمالهم في يوم ذي قار ؛ والعياب : جمع عيبة ، وهى الحقيبة والقطائم : جمع لطيمة ، وهى اللابل يعمل عليها البز والطيب خاصة . والبيت شاهد على أن بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله « لا أرح » أى لا أزال .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نَسِيًا حَوْتَهُمَا ) قال : أضلاه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أضلاه . قال بعض أهل العربية : إن الحوت كان مع يوشع ، وهو الذي نسيه ، فأضيف النسيان إليهما ، كما قال ( يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ) وإنما يخرج من الملح دون العذب .<sup>١</sup> وإنما جاز عندى أن يقال ( نَسِيًا ) لأنهما كانا جميعا تزوّده لسفرهما ، فكان حمل أحدهما ذلك ، مضافا إلى أنه حمل منهما ، كما يقال : خرج القوم من موضع كذا ، وحملوا معهم كذا من الزاد ، وإنما حمله أحدهم ، ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم ، أضيف ذلك إلى جميعهم ، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع ، قيل نسي القوم زادهم ، فأضيف ذلك إلى الجميع ، بنسيان حامله ذلك ، فيجري الكلام على الجميع ، والفعل من واحد ، فكذلك ذلك في قوله ( نَسِيًا حَوْتَهُمَا ) لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها ، وما يتعارفونه بينهم من الكلام .

وأما قوله ( يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ) فإن القول في ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه ، وسنبيته إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه .

وأما قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سَرَبًا . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : الحوت اتخذ . ويعني بالسَرَبِ : المسلك والمذهب ، يَسْرُبُ فيه : يذهب فيه ويسلكه . ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبيله في البحر سَرَبًا ، فقال بعضهم : صار طريقه الذي يسلك فيه كالحجر :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( سَرَبًا ) قال : أثره كأنه حجر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « ما أنجاب ماءً منذُ كان الناسُ غيرهُ ثبتَ مكانُ الحوتِ الذي فيه ٢ فأنجابَ كالكتوةِ حتى رجعَ إليه موسى ، فرأى مسلكه ، فقال ذلك ما كُنَّا نَبغِي » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ،

(١) هذا كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ الورقة ١٨٩) .

(٢) كذا في الأصل ، والذي في الدر هكذا: غير بيت ماء كان الحوت دخل منه . الخ . وفي تفسير ابن كثير : غير مسير مكان الحوت . الخ .



عن ابن عباس ، في قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء ، قال ابن عباس ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) وحلقت بيده .  
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر ماء جامدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سرب : من البحر حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك ، فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا .  
وقال آخرون : بل صار طريقه في البحر حجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمس شينا من البحر إلا يبس ، حتى يكون صخرة .  
وقال آخرون : بل إنما اتخذ سبيله سربا في البر إلى الماء ، حتى وصل إليه ، لاني البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ) قال : قال : حشير الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله . قال ابن زيد : وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال : أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة ، وشيق آخر ليس فيه شيء .  
والصواب من القول في ذلك : أن يقال ، كما قال الله عز وجل : واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا .  
وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض ، وجائز أن يكون كان يتحوله حجرا .

وأصح الأقوال فيه ما روى الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي ذكرنا عن أبي ، عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)

يقول تعالى ذكره : فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين ، قال موسى لفتاه يوشع ( آتِنَا غَدَاءَنَا ) يقول : جئنا بغدائنا وأعطيناه ، وقال : آتينا غداءنا ، كما يقال : أتى الغداء وأتيته ، مثل ذهب وأذهبته ، ( لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ) يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا . وقال ذلك موسى ، فيما ذكر ، بعدما جاوز الصخرة ، حين ألقى عليه الجوع ، ليتذكر الحوت ، ويرجع إلى موضع مطلبه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا أَنسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

أذْكَرُهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)

(١) في ( البخاري : كتاب التفسير ، من رواية سعيد بن جبير ) : وحلق بين إبهاميه واللتين تليانها .

(٢) لعل المراد بالجر هنا : الوهدة من الأرض ، كما في ( اللسان : جر ) .

يقول تعالى ذكره: قال فني موسى لموسى حين قال له: آتنا غذاءنا لنطعم: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَنفِثْنَا نَسِيتُ الْخُحُوتَ) هنالك (وَمَا أُنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ) يقول: وما أنساني الحوت إلا الشيطان (أَنْ أَذْكَرُهُ) فأن: في موضع نصب، ردأ على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، ورد عليه قوله (أَنْ أَذْكَرُهُ) وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان.

حدثني بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة؛ حدثني العباس بن الوليد، قال: سمعت محمد بن معقل، يحدث عن أبيه، أن الصخرة التي أوى إليها موسى، هي الصخرة التي دون نهر الذئب ١، على الطريق (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) يعجب منه.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر، ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضيرا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى لما اتخذ سبيله في البحر عجبا، يعجب من سرب الحوت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: عَجَبٌ والله: حوت كان يؤكل منه أدهرا، أي شيء أعجب من حوت كان دهرًا من الدهور يؤكل منه، ثم صار حيا، حتى حُشِر في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس، حتى يكون صخرة، فجعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحسن بن عطية، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: يعني كان سرب الحوت في البحر لموسى عجا.

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ، فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)

يقول تعالى ذكره: (فَقَالَ) موسى لفتاه (ذَلِكَ) يعني بذلك: نسيانك الحوت (مَا كُنَّا نَبْغِ) يقول: الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قبل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت.

(١) في (تراث المجالس للعلبي المفسر، طبعة الحلبي ص ٢١٨): دون نهر الزيت.



كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ) قال موسى : فذلك حين أخبرت أنى واجد خَصِيْرًا حيث يفوتني الحوت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : حيث يفارقني الحوت .

وقوله ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) يقول : فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ، ناكصين على أديبارهما ، يقصان آثارهما التي كانا سلكماهما .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( قَصَصًا ) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت ، فشقا البحر راجعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر ، وموسى وفتاه راجعان ، وموسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : رجعا عودهما على بدئهما ( فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « ( ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ) ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا » أَيْ يَقْصَانِ آثَارِهِمَا ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى مَدْخَلِ الْحَوْتِ .  
وقوله ( فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آمِنًا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ) يقول : وهبنا له رحمة من عندنا ( وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) يقول : وعلمناه من عندنا أيضا علما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) : أى من عندنا علما .  
وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر ، أن موسى سئل ، هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال : لا ، أو حدثته نفسه بذلك ، ففكره ذلك له ، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه ، وأنه لم يكن له أن يحْتِمِ على ما لا علم له به ، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى علمه .

وقال آخرون : بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جل ثناؤه أن يدلّه على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون بن عنتره ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : «سأل موسى ربه وقال : ربّ أيّ عبادك أحبّ إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فأىّ عبادك أفضى؟ قال : الذي يقضى بالحقّ ، ولا يتبع الهوى . قال : أيّ ربّ أيّ عبادك أعلم؟ قال : الذي ينتهي علم الناس إلى علم نفسه ، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردّي . قال : ربّ فهل في الأرض أحد؟ قال : نعم ؛ قال : ربّ ، فمن هو؟ قال : الخَصِيرُ ؛ قال : وأين أطلبه؟ قال : على الساحل عند الصخرة التي انفلت عندها الحوت ؛ قال : فخرج موسى يطلبه ، حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى إليه موسى عند الصخرة ، فسلم كلّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إني أريد أن تستصحبني ، قال : إنك لن تطيق صحبتي ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتي ( فلا تَسَأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فانطلقا ، حتى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَتَهَا ، قال : أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا . قال : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قال : لَنْتُو أَخِيذَنِي بِمَا نَسِيتُ ، وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . فانطلقا ، حتى إذا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قال : أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا )... إلى قوله ( لَنْتُو أَخِيذَنِي عَلَيْهِ أَجْرًا ) . قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ، وطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله : ( قال هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ ، سَأُنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) فأخبره بما قال : أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار ، قال : فسار به في البحر ، حتى انتهى إلى مجمع البحور ، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه . قال وبعث ربك الخُطَافَ ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقبل لموسى كم ترى هذا الخُطَافَ رَزَاً من هذا الماء؟ قال : ما أقلّ ما رَزَا ، قال : يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله ، كقدر ما استقي هذا الخُطَافَ من هذا الماء ؛ وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فنتم أمر أن يأتي الخَصِيرُ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : «خطب موسى بنى إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره مني ، فأوحى الله إليه أن يأتي هذا الرجل .»

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أنه قيل له : إن آية لُقْيَيْكَ إِيَّاهُ ، أن تنسى بعض متاعك ، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون ، وتزوذا حوتا مملوحا ، حتى إذا كانا حيث شاء الله ، ردّ الله إلى الحوت رُوحه ، فسَرَبَ في البحر ، فاتخذ الحوت طريقه سرّبا في البحر ، فسرب فيه ( فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ) . . . حتى

(١) أي أعلم ، فتنبه .

(٢) رزأ : أصاب أو نقص .



بلغ قوله ( وَاَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ) فكان موسى اتخذ سبيله في البحر عجباً ، فكان يعجب من سَرَبِ الحوت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما اقتصر موسى أثر الحوت ، انتهى إلى رجل راقد ، قد سُجِّيَ عليه ثوبه ، فسلم عليه موسى ، فكشف الرجل عن وجهه الثوب ، وردّ عليه السلام ، وقال : من أنت ؟ قال : موسى ، قال : صاحب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : أو ما كان لك في بني إسرائيل شغل ؟ قال : بلى ، ولكني أمرت أن آتيتك وأصحبك ، قال : إنك لن تستطيع معي صبراً ، كما قصّ الله ، ( حتى ) بلغ فلما ( ركبنا في السفينة خرقها ) صاحب موسى ( قال آخر قوتها ليتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئاً إمرأاً ) : يقول : نكراً ( قال لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمرى عسراً . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فعتقه ، قال : أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوحاً يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً ، فقبل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتبّ الله عليه حين لم يردّ العلم إليه ، فقال : بلى عبيد لي عند مجمع البحرين . فقال : يارب كيف به ؟ فقبل : تأخذ حوتاً ، فتجعلها في ميكتل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى أتيا صخرة ، فرقد موسى ، فاضطرب الحوت في الميكتل ، فخرج ، فوقع في البحر ، فأمسك الله عنده جريفة الماء ، فصارت مثل الطاق ، فصارت للحوت سرباً ، وكان كئيباً ، ثم انطلقا ، فلما كان حين الغد ، قال موسى لفتاه : آتينا غداً كما لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً . قال : ولم يجِدْ موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله ، قال : فقال : أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة ، فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجباً ، قال : فقال : ذلك ما كنا نبغ ، فارتدأ على آثارهما قصصاً ، قال : يقصان آثارهما ، قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بشوبيه ، فسلم عليه موسى ، فقال : وأني بأرضنا السلام ، فقال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمني به الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علمه علمك لا أعلمه . قال : فإني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ، قال : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فعرف الخضر ، فحمل بغير نول ، فجاء عصفوراً ، فوقع على حرفها فنقر ، أو فنقد في الماء ، فقال الخضر لموسى : ما نقص

عَلِمِي وَعَلِمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارَ مَا نَقَرْنَا أَوْ نَقِصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ ،  
 أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ يَشْكُ ، وَهُوَ فِي كِتَابِهِ نَقَرَ ، قَالَ : فَبَيَّنَّا هُوَ إِذْ لَمْ يَفْتَجَأْ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ  
 يَتَدُّ وَتَدًا ، أَوْ يَنْزِعُ تَحْتَا مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : مَحِلُّنَا بَغِيرَ نَوَلٍ ، وَتَحْرِقُهَا لِيَتَغْرَقَ أَهْلُهَا ؟  
 لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ :  
 لَا تَوَاحِدُنِي بِمَا نَسِيتُ ، قَالَ : وَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ، قَالَ : ثُمَّ أَخْرَجَا فَانْطَلَقَا  
 بِمَشْيَانٍ ، فَأَبْصَرَا غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَفَتَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى :  
 أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا . قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ  
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ  
 مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا . قَالَ : فَانْطَلَقَا ، حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا ، فَلَمْ يَجِدُوا  
 أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيهِمْ ، فَوَجَدُوا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ، فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ ، قَالَ :  
 مَسَّحَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : لَمْ يُضَيِّقُوا وَلَا كَمْ يُبْزِلُونَا ، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا .  
 قَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبِيرًا  
 حَتَّى يَقْصُرَ عَلَيْنَا قَصَصَهُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ،  
 عن سعيد بن جبير ، قال : جلست ، فأسند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ،  
 إِنَّ نَوْفًا ابْنَ امْرَأَةِ كَعْبٍ ، يَزْعَمُ عَنْ كَعْبٍ ، أَنَّ مُوسَى النَّبِيَّ الَّذِي طَلَبَ الْعَالِمَ ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى بْنُ مِيثَا ، قَالَ  
 سَعِيدٌ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْوَفٌ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ سَعِيدٌ : فَقُلْتُ لَهُ نَعَمْ ، أَنَا سَمِعْتُ نَوْفًا يَقُولُ ذَلِكَ ، قَالَ :  
 أَنْتَ سَمِعْتَهُ بِسَعِيدٍ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : كَذَبٌ نَوْفٌ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : حَدَّثَنِي أَبِي بِنَ كَعْبٍ أَنَّ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ مُوسَى ، هُوَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ : أَيُّ  
 رَبِّ ، إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَأَدُلَّنِي عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ فِي عِبَادِي  
 مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، ثُمَّ نَعَتْ لَهُ مَكَانَهُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي لُقَيْبِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتَاهُ  
 وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : إِذَا حَسِبْتَ هَذِهِ الْحُوتُ فِي مَكَانٍ ، فَصَاحِبُكَ هُنَاكَ ، وَقَدْ  
 أَدْرَكْتَ حَاجَتَكَ ، فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ ، وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحُوتُ يُحْمِلَانَهُ ، فَسَارَ حَتَّى  
 جَهَدَهُ السَّيْرُ ، وَأَنْتَهَى إِلَى الصَّخْرَةِ ، وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ : مَاءَ الْحَيَاةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ ،  
 وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا حَيٌّ ، فَلَمَّا نَزَلَا ، وَمَسَّ الْحُوتُ الْمَاءَ حَسْبِي ، فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي  
 الْبَحْرِ سَرَبًا ، فَانْطَلَقَا ، فَلَمَّا جَاوَزَا مُنْقَلَبَهُ قَالَ مُوسَى : آتَيْنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ  
 سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ الْفَتَى وَذَكَرَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا  
 أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ ، وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَظَهَرَ مُوسَى  
 عَلَى الصَّخْرَةِ ، حِينَ انْتَهَى إِلَيْهَا ، فَإِذَا رَجُلٌ مُتَلَفِفٌ فِي كِسَاءٍ لَهُ ، فَسَلَّمَ مُوسَى ، فَردَّ عَلَيْهِ الْعَالِمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :



وما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلمني مما علمت رشداً، (قال إنك لن تستطيع معي صبراً)، وكان رجلاً يعلم علم الغيب قد علم ذلك، فقال موسى: بلى (قال وكيف تصبر على ما لم تحيط به خبراً): أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم (قال ستجدني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً) وإن رأيت ما يخالفني، (قال فإن اتبععتني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكراً)، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، يتعرضان الناس، يلتزمان من يحملهما، حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة، لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجهل ولا أوثق منها، فسألا أهلها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنا فيها، ولحجت بهما مع أهلها، أخرج منقاراله ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية منها، فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها. قال له موسى، ورأى أمراً فيضج به (أخرقتها لئلا يرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت): أي ما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسراً). ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية، فإذا غلمان يلعبون خلفها، فيهم غلام ليس في الغلمان أطرف منه، ولا أثرى ولا أوضأ منه، فأخذه بيده، وأخذ حجراً، قال: فضرب به رأسه، حتى دمهغه فقتله، قال: فرأى موسى أمراً فظيماً لا صبر عليه: صبي صغير لا ذنب له (قال: أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس؟) أي صغيرة بغير نفس (لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: إن سألتك عن شيء بعد فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً): أي قد أعذرت في شأني. (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض) فهدمه، ثم قعد بينيه، فضجير موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر، فقال (لو شئت لاتخذت عليه أجراً): أي قد استطعناهم فلم يطعمونا، وضيفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت في غير صنيعة، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً في عمله (قال هَذَا؟ فراق بيتي وبيتك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا). وفي قراءة أبي بن كعب: كل سفينة سالحة، وإنما عيبها لأرده عنها، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها. (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً، فأردنا أن يبدلناهما خيراً منه زكاةً وأقرب رهماً. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحاً، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما، رحمةً من ربك، وما فعلته عن نفسي (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علماً.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، عن الحسن بن نهمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتي موسى بذكر من حديث ، وقد كان معه ١ ، فقال ابن عباس : فإيا يذكر من حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من الماء فخلد ، فأخذته العالم ، فطابق به سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتتوج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ) قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر ، أنزل قومه مصر ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عليه أن ( ذَكَرَهُمْ بِآيَاتِهِمْ هَلَاكَ عَدُوِّهِمْ ، وَمَا اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، وَقَالَ : كَلِمَ اللَّهُ نَبِيكُمْ تَكَلِيمًا ، وَاصْطَفَانِي لِنَفْسِي ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ حُجْبَةً مِنْهُ ، وَأَتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، فَنَبِّئِكُمْ أَفْضَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَأَنْتُمْ تَقْرءُونَ التَّوْرَةَ ، فَلَمْ يَتْرِكْ نِعْمَةَ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا ذَكَرَهَا ، وَعَرَفَهَا إِيَّاهُمْ . ) فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي الله ، قد عرفنا الذي تقول : فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا . فبعث الله جبرئيل إلى موسى عليهما السلام ، فقال : إن الله يقول : وما يدريك أين أضع علمي ، بلى إن على شطأ البحر رجلا أعلم منك ، فقال ابن عباس : هو الخضير ، فسأل موسى ربه أن يرده إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطأ البحر حوتًا ، فخذها فادفعه إلى فتاك ، ثم الزم شطأ البحر ، فإذا نسيت الحوت ، وهلك منك ، فمجد العبد الصالح الذي تطلب ؛ فلما طال سفر موسى نبي الله ، ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه ( أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَأَتَى نَسِيَتُ الْحُوتِ ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ ) قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرًا ، فأعجب ذلك موسى . فرجع حتى أتى الصخرة ، فوجد الحوت يضرب في البحر ، ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه ، يفرج بها عن الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شئنا من البحر إلا يبس ، حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله يعجب من ذلك ، حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضير بها ، فسلم عليه ، فقال الخضر : و عليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ، ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له الخضر : أصحاب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك على أن تعلمني مما علمت رشداً ( قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) قال : لا تطيق ذلك قال : موسى ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) . قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه ، فذلك قوله ( حَتَّى أَحْدَثَ لَكُمْ مِنهُ ذِكْرًا ) فركبا في السفينة ، يريدان البر ، فقام الخضر فخرق السفينة ، فقال له موسى ( أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) .

(١) الذي في الدر بدل هذا : لم نسمع : يعنى موسى يذكر من حديث فتاه ، وقد كان . . . الخ .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « قوله ( فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ) : ذُكِرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَطَعَ الْبَحْرَ ، وَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، جَمَعَ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ، فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَعْلَمُهُ ، قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّكُمْ ، وَأَقَطَعَكُمْ الْبَحْرَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ التَّورَةَ ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : إِنْ هَاهُنَا رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ : فَاَنْطَلِقْ هُوَ وَفَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ يَطْلُبَانِهِ ، وَتَرَوْا سَمَكَةً مَمْلُوحَةً فِي مِكْتَلٍ لَهَا ، وَقِيلَ لَهَا : إِذَا نَسِينَا مَا مَعَكُمْ ، لَقِينَا رَجُلًا عَالِمًا ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ ، فَلَمَّا أَتَيَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، رَدَّ اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ رُوحَهُ ، فَسَرَبَ لَهُ مِنَ الْبَحْرِ ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ سَلَكَ فَجَعَلَ لَا يَسْلُكُ فِيهِ طَرِيقًا إِلَّا صَارَ مَاءً جَامِدًا . قَالَ : وَمَضَى مُوسَى وَفَتَاهُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ( فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِينَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَاتَى نَسِيَتُ الْحُوتَ ) . . . ثُمَّ تَلَا إِلَى قَوْلِهِ ( وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) فَلَقِيَا رَجُلًا عَالِمًا ، يُقَالُ لَهُ الْخَضِرُ ، فَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا ، لِأَنَّهُ قَعَدَ عَلَى قِرْوَةٍ بَيْضَاءَ ، فَاهْتَزَّتْ بِهِ خَضِرًا » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو والحري بن قيس بن حيصن الفزاري ، في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضير ، فمرّ بهما أبي بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى ، الذي سأل السبيل إلى لقيته ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : تَعَلَّمْ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : بَيِّنْ عِبْدُنَا خَضِرًا ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْبِهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ ، فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ، فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ ، قَالَ مُوسَى : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ، فَوَجَدَا عَبْدًا عِبْدُنَا خَضِرًا ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الله بن عمر النخعي ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهري يحدث ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، أنه تمارى هو والحري بن قيس بن حيصن الفزاري ، في صاحب موسى ، ثم ذكر نحو حديث العباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) في (عرائن المجالس للعلبي المفسر ص ٢٢٠ طبعه الحلبي) : فإذا هي تَهَيَّرَتْ تَحْتَهُ خَضِرًا .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَهُ مُوسَى: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: ( هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي ) من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق، ودليل على هدى؟ ( قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) يقول تعالى ذكره قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بالظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل، من أنه كان رجلا يعمل على الغيب، قد علم ذلك.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي

لَكَ أَمْرًا (٦٩)

يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب، وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها، لأنها تبتدأ لأسباب تحدث آجلة، غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خبرا، يقول علما ( قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ) على ما أرى منك، وإن كان خلافا لما هو عندي صواب. ( وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) : يقول: وأنتهى إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقا هوأى.

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)

يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتنى الآن، فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره، فإنني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا يحيط به علما ( حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعالها، التي تستنكرها، أذكرها لك، وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها.

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) يعني عن شيء أصنعه، حتى أبين لك شأنه.



## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ : أَخْرَقَتَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

إِمْرًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : فانطلق موسى والعالم يسيران ، يطلبان سفينة يركبها ، حتى إذا أصابها ركبها في السفينة ، فلما ركبها ، خرق العالم السفينة ، قال له موسى : أخرقتها بعد ما لجمجناني البحر ( لِيَتَغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) يقول : لقد جئت شيئا عظيما ، وفعلت فعلا منكرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) : أي عجبا ، إن قوما لجمجوا سفينتهم فخرقها ، كأحوج ما تكون إليها ، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى ، ذلك من علم الله الذي آتاه ، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام : ( فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) يقول : نكرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ) قال : منكرا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والإمر : في كلام العرب : الداهية ، ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الْأَقْرَانَ مِثِّي نُكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : أصله : كل شيء شديد كثير ، ويقول منه : قيل للقوم : قد أميروا : إذا كثروا ، واشتد أمرهم . قال : والمصدر منه : الأمر ، والاسم : الإمر . واختلقت القراء في قراءة قوله ( لِيَتَغْرِقَ أَهْلَهَا ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ، ( لِيَتَغْرِقَ أَهْلَهَا ) بالتاء في لتغرق ، ونصب الأهل ، بمعنى : لتغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة ، بالخرق الذي خرقت فيها . وقرأه عامة قرآء الكوفة ( لِيَتَغْرِقَ ) بالياء أهلها بالرفع ، على أن الأهل هم الذين يغرقون .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ) ١ : ٤٠٩ ( قال في تفسير قوله تعالى « جئت شيئا إمرًا » : أي داهية نكرا عظيمة . وفي آية أخرى شيئا إذا . قال : « قد لقي الأقران . . . البيت » . وفي ( اللسان : إمر ) : الأخطش : يقال : أمرأره يأمر أمرا ( الفعل كفتح يفرح ) أي اشتد . والاسم : الإمر بكسر الهمزة . قال الراجز : « قد لقي . . . البيت » ويقال : عجبا . وأمر إمرًا : منكر ، وفي التنزيل العزيز : « لقد جئت شيئا إمرًا » قال أبو إسحاق : أي جئت شيئا عظيما من المنكر . وقيل : الإمر بالكسر ، الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجيب . قال : ونكرا : أقل من قوله : إمرًا ؛ لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة . قال ابن سيده : وذهب الكسائي إلى أن معنى إمرًا : شيئا داهيا منكرا عجبا ، واشتقه من قولهم : أمر القوم : إذا أكثروا . اهـ .

﴿٧٢﴾ والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى ، وإن اختلفت ألفاظهما ، فبأى ذلك قرأ القارى فصيَّب .

وإنما قلنا : هما متفقتا المعنى ، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالم خرق السفينة ، إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها ، إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها ، فلا خفاء على أحد معنى ذلك ، قرئ بالثناء ونصب الأهل ، أو بالياء ورفع الأهل .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ : لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، وَلَا

تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)

﴿٧٢﴾ يقول عز ذكره : قال العالم لموسى إذ قال له ما قال ( أَمْ أَقُلْ لِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) على ما ترى من أفعالى ، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرًا ، قال له موسى ( لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ) . فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالم معارضة ، لأنه كان نسي عهده ، وما كان تقدم فيه حين استصحبه بقوله ( فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن زياد ، قال : ثنا يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد بن جبیر ، عن أبي ابن كعب الأنصارى في قوله ( لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ) قال : لم ينس ، ولكنها من معارض الكلام . وقال آخرون : بل معنى ذلك : لَا تَوَاخِذْنِي بِتَرْكِي عَهْدِكَ ، ووجه أن معنى التسيان : الترك :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ( قَالَ لَاتَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ) : أى بما تركت من عهدك . ﴿٧٢﴾ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه ، لا بما سأله عنه ، وهو لعهد ذاك للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن ذلك معناه من الخبر . وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ) قال : كَانَتْ الْأَوَّلَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا .

وقوله ( لَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ) يقول : لَا تُعْشِنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ، يقول : لَا تُضِيقْ عَلَيَّ أَمْرِي مَعَكَ ، وَصَحْبِي إِيَّاكَ .



## القول في تأويل قوله تعالى

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

نُكْرًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله العالم ، فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ( أقتلت نفسا زكية ) وقالوا  
معنى ذلك : المظهرة التي لا ذنب لها ، ولم تذب قط لصغرها . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( نفسا  
زكية ) بمعنى : التائبة المغفور لها ذنوبها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
( أقتلت نفسا زكية ) والزكية : التائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال أقتلت نفسا زكية ) قال :  
الزكية : التائبة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ( أقتلت نفسا زكية )  
قال : قال الحسن : تائبة ، هكذا في حديث الحسن وشهر زكية :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله  
( نفسا زكية ) قال : تائبة .

ذكر من قال : معناها المسلمة التي لا ذنب لها

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ،  
أنه سمع سعيد بن جبير يقول : وجد خصير غلاما يلعبون ، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ، ثم ذبحه بالسكين .  
قال : وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجعفي قال : اسم الغلام الذي قتله الخضر : جيسور ( قال  
أقتلت نفسا زكية ) قال : مسلمة . قال : وقرأها ابن عباس ( زكية ) كقولك : زكيا .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول : معنى الزكية والزكية واحد ، كالقاسية والقسية ،  
ويقول : هي التي لم تجن شيئا ، وذلك هو الصواب عندي ، لأنني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب :  
فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب ، لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة  
الأمصار بمعنى واحد :

وقوله ( بغير نفس ) يقول : بغير قصاص بنفس قتلت ، فلزمها القتل قودا بها . وقوله ( لقد  
جئت شيئا نكرا ) يقول : لقد جئت بشيء منكر ، وفعلت فعلا غير معروف :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَقَدْ جِئْتَنَا نَكْرًا ) والنكسر أشد من الإمر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ : إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)

يقول تعالى ذكره : قال العالم لموسى ( أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خبرا ، قال موسى له : ( إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ) يقول : بعد هذه المرة ( فَلَا تُصَحِّبْنِي ) يقول : ففارقني ، فلا تكن لي مصاحبا ( قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) يقول : قد بلغت العذر في شأني .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة ( مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) بفتح اللام ، وضم الدال ، وتخفيف النون . وقراءه عامة قراء الكوفة والبصرة ، بفتح اللام ، وضم الدال ، وتشديد النون . وقراءه بعض قراء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون ، وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة ، إذ كانت في الأصل ساكنة ، ولو لم تشدّد لتحركت ، فشددوها كراهة منهم تحريكها ، كما فعلوا في « مِنْ ، وَعَنْ » إذ أضافوهما إلى مكني الخبر عن نفسه ، فشددوهما ، فقالوا مَنِّي وَعَنِّي . وأما الذين خففوها ، فإنهم وجدوا مكني الخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها ، لانون معها ، فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك ، مع سائر الأشياء غيرها .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما لغتان فصيحتان ، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء بالقرآن ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى في ذلك ، قراءة من فتح اللام وضم الدال وشدّد النون ، لعلتين : إحداهما أنها أشهر اللغتين . والأخرى أن محمد بن نافع البصري حدثنا ، قال : ثنا أمية بن خالد ، قال : ثنا أبو البخارية العبدى ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ( قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ) مثقلة .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال « اسْتَحْيَا فِي اللَّهِ مُوسَى » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا بدل بن الهجر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : ثنا داود ، في قول



الله عز وجل (إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استحيا في الله موسى عندها».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو لبثت مع صاحبه لا بصر العجب، ولكننه قال: إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً» مثقلة.

### القول في تأويل قوله تعالى

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْتُمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا

يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ: لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)

يقول تعالى: فانطلق موسى والعالم حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها من الطعام فلم يطعموهما، واستضافهما (فأبوا أن يضيفوهما، فوجدوا فيها جداراً يريد أن يريد أن ينقض) يقول: وجدنا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع؛ يقال منه: انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت؛ ومنه انقضا الكوكب؛ وذلك سقوطه وزواله عن مكانه؛ ومنه قول ذي الرمة:

فانقض كالكوكب الدرّي منصلتنا

وقد روى عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك (يريد أن ينقض) .

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرئ ذلك كذلك في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: مجاز ينقض: أي ينقلع من أصله، ويتصدع بمنزله قولهم: قد انقضت السن: أي؛ تصدعت؛ وتصدعت من أصلها، يقال: فراق كقيض السن: أي لا يجتمع أهله. وقال بعض أهل الكوفة منهم: الانقياض: الشق في طول الحائط في طي البئر وفي سن الرجل، يقال: قد انقضت سنه: إذا انشقت طولاً. وقيل: إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه، فأبوا أن يضيفوهما: الآية.

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي، قال: ثنا حماد أبو صالح، عن محمد بن سيرين، قال: انتابوا الآية، فإنه قل من يأتيها، فيرجع منها خائبا، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء.

(١) هذا صدر بيت لذي الرمة. وفي (اللسان: قس): انقض الجدار: تصدع من غير أن يسقط. وقيل: انقض: سقط. وفي التنزيل العزيز: «فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض» هكذا عدده أبو عبيد وغيره ثنائياً، وجعله أبو علي ثلاثياً من نقض، فهو عنده «افعل» بتشديد اللام. وفي التهذيب: ينقض: أي ينكسر، يقال: قفضت الشيء: إذا دققته. والمتصل: المرع من كل شيء.

(٢) هو الفراء (انظر معاني القرآن له، مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ١٩٠).

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا آتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ) ، وتلا إلى قوله ( لَأَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا ) شرّ القرى التي لا تُضَيِّف الضيف ، ولا تعرف لابن السبيل حقه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب ، في معنى قول الله عزّ وجلّ ( يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ) فقال بعض أهل البصرة : ليس للحائظ إرادة ولا للموت ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته ، وهذا كقول العرب في غيره :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدَرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَبْرَغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ<sup>١</sup>

وقال آخر منهم : إنما كلم القوم بما يعقلون ، قال : وذلك لما دنا من الانقضاء ، جاز أن يقول : يريد أن ينقض ، قال : ومثله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ) وقولهم : إني لأكاد أطير من الفرح ، وأنت لم تقرب من ذلك ، ولم تهّم به ، ولكن لعظيم الأمر عندك . وقال بعض الكوفيين منهم : من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط ؛ قال : ومثله من قول العرب قول الشاعر :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي يَجْمَلُ لَرَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ<sup>٢</sup>

وقول الآخر :

يَشْكُو إِلَى جَمَلِي طُولَ الشَّرَى صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَانَا مُبْتَلَى<sup>٣</sup>

قال : والجمل لم يشك ، وإنما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك ؛ قال : وكذلك قول عنتره :  
وَأَزُورُ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا يَلْبَانِي وَشَكَ إِلَى بَعْبِرَةَ وَتَحْمَحُمُ<sup>٤</sup>  
قال : ومنه قول الله عزّ وجلّ ( وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ) والغضب لا يسكت ، وإنما يسكت

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (بجاء القرآن ١ : ٤١٠) قال في تفسير قوله تعالى : « يريد أن ينقض » ليس للحائظ إرادة ولا للموت ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة ، فهو إرادته . وهذا قول العرب في غيره ، قال الخارقي : « يريد الرمح . . . البيت . وفي اللسان : رود » : وقوله عزّ وجلّ « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » أي أقامه الخضر ، وقال : يريد ، والإرادة إنما تكون من الحيوان ، والجدار لا يريد إرادة حقيقية ؛ لأن تهويّه للسقوط قد ظهر ، كما تظهر أفعال المريدين ، فوصف الجدار بالإرادة ، إذا كانت الصورتان واحدة ، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر ، قال الراعي :

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الغنوس إذا أردن نصولا

وقال الآخر : « يريد الرمح صدر أبي براء . . . البيت .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ١٩٠ من مصورة الجامعة ) قال : « يريد أن ينقض » : يقال : كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قول الله : « ولما سكت عن موسى الغضب » والغضب لا يسكت ، وإنما يسكت صاحبه ، ومعناه : سكن . وقوله : فإذا عزم الأمرم : وإنما يعزم الأمر أهله . وقال الشاعر : « إن دهرا . . . البيت . وقال الآخر « شكا إلى جمل . . . البيت . ( وسبى بعد هذا ) . والجمل لم يشك ، وإنما تكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك ، وكذلك قول عنتره : « وأزور من وقع القنا . . . » ؛ « البيت ( سبى ، بعد هذا ) . . . وقال أبو عبيدة في (بجاء القرآن ١ : ٤١١) : « ويجاز » أن ينقض « مجاز : يقع . يقال : انقضت الدار إذا أهدمت وسقطت ، وقرأ قوم « أن ينقض » ، « ويجاز » : أن ينقلع من أصله ويتصدع ؛ بمنزلة قولهم : قد انقضت السن : أي انصدعت ، وتقلعت من أصلها .

(٣) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق عليه . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن .

(٤) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق على الذي قبله . وليانه : صدره . والقنا : جمع قنات ، وهي الرمح . وهو من شواهد الفراء .



صاحبه ، وإنما معناه : سكن . وقوله (فَلْيَذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) إنما يعزم أهله . وقال آخر منهم : هذا من أفصح كلام العرب ، وقال : إنما إرادة الجدار : ميله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَرَأَى نَارَاهُمَا » ، وإنما هو أن تكون نار ان كل واحدة من صاحبها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى في القرب ؛ قال : وهو كقول الله عز وجل في الأصنام ( وَتَرَأَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ) قال : والعرب تقول : دارى تنظر إلى دار فلان ، تعنى : قرب ما بينهما ؛ واستشهد بقول ذى الرمة في وصفه حوضاً أو منزلاً دارساً :

قَدْ كَادَ أَوْ قَدْ هَمَّ بِالْبُيُودِ

قال : فجعله بهم ، وإنما معناه : أنه قد تغير للبلبى ، والذي نقول به في ذلك ، أن الله عز ذكره ، بلطفه جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم ، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم ، مما لا تحسه أبصارهم ، وقد عقلت العرب معنى القائل :

فِي مَهْمِهِ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا قَلِقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولًا

وفهمت أن الفؤوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور ، مع وصفها إياها بأنها تريد ، وعلمت ما يريد القائل بقوله :

كَيْثَلِ هَيْلِ النَّقَا طَافَ الْمَشَاةُ بِهِ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ السَّرَى حِينًا

وإنما لم يرد أن الثرى نطق ، ولكنه أراد به أنه تلبّد بالندى ، فنعته من الانهبال ، فكان منعه إياه من ذلك ، كأنه من ذوى المنطق فلا ينهال . وكذلك قوله ( جيداً أراداً يريد أن ينقض ) قد علمت أن معناه : قد قارب من أن يقع أو يسقط ، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الرحي بلسانه ، وقد عقلوا ما عنى به ، وإن استعجم عن فهمه ذرو البلاد والعمى ، وضل فيه ذوو الجهالة والغيا .

وقوله ( فأقامه ) ذكر عن ابن عباس أنه قال : هدمه ثم قعد بينيه .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن

عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن

عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ( فوجدنا فيها جيداً أراداً يريد أن ينقض ) قال : رفع الجداراً بيده فاستقام .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدنا جداراً يريد أن ينقض ، فأقامه صاحب موسى ، بمعنى : عدك ميسله ، حتى عاد مستويا . وجائز أن يكون كان

(١) هذا بيت من الرجز . لذى الرمة . والبيود : مصدر باد يبيد : إذا هلك . والشاهد فيه مثل الشواهد السابقة عليه .

(٢) هذا البيت للرأى ، وقد سبق الكلام عليه قبل في أكثر من موضع .

(٣) حال التراب والرمل هيلاً وأهاله فانهال ، وهيله فهيل : أى دفعه فانهال . والنقا : الكتيب من الرمل النقى . والبيت كالشواهد السابقة عليه ، في أن قوله ينهال الثرى : أى يمسه الثرى عن التهيل ، جعل ذلك بمنزلة نبيه عن السقوط ، مع أن الثرى لا ينهى ولا يأمر ، ولكنه جاء كذلك على لسان العرب ، كما جاء قوله تعالى في القرآن « يريد أن ينقض » . وقد انضح معناه بما لا مزيد عليه في الشواهد السابقة قريباً .

ذلك بإصلاح بعد هدم . وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده ، فاستوى بقدره الله ، وزال عنه ميبته بلطفه ، ولا دلالة من كتاب الله ، ولا خير للعدر قاطع ، بأي ذلك كان من أي .

وقوله ( قال لَوُ شِئْت لَأَتَّخِذْت عَلَيْهٍ أَجْرًا ) يقول : قال موسى لصاحبه : لو شئت لم تقم لؤلؤاء القوم جدارهم ، حتى يعطوك على إقامتك أجرا ، فقال بعضهم : إنما عتني موسى بالأجر الذي قال له ( لَوُ شِئْت لَأَتَّخِذْت عَلَيْهٍ أَجْرًا ) القري : أي حتى يقرؤنا ، فإنهم قد أبوا أن يضيئفونا . وقال آخرون : بل عني بذلك العيوض والجزاء على إقامته الحائط المائل .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكرفة ( لَوُ شِئْت لَأَتَّخِذْت عَلَيْهٍ أَجْرًا ) على التوجيه منهم له ، إلى أنه لا فتعلت من الأخذ . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة ( لَوُ شِئْت لَتَّخِذْت ) بتخفيف التاء ، وكسر الخاء ، وأصله : لا فتعلت ، غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة ، ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل ، من ذلك : تخذ فلان كذا يتخذُه تخذًا ، وهي لغة فيها ذكر هذَّيل ، وقال بعض الشعراء : وَقَدْ تَخِذْتُ رَجُلِي لَدَى جَنْبِ عَرَزِهَا نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ الْقِطَاةِ الْمُطَّرَّقِ ا والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أني أختار قراءته بتشديد التاء على لا فتعلت ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما ، وأكثرهما على ألسن العرب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، سَأُتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قال صاحب موسى لموسى : هذا الذي قلته وهو قوله ( لَوُ شِئْت لَأَتَّخِذْت عَلَيْهٍ أَجْرًا ) ( فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ) ، يقول : فرقة ما بيني وبينك : أي مفترق بيني وبينك . ( سَأُتَّبِعُكَ ) يقول : سأخبرك ( بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) يقول : بما يشول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها ، فلم تستطع على ترك المسئلة عنها ، وعن النكير على فيها صبرا ، والله أعلم .

(١) البيت للمزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، شاعر جاهل قديم . وهو من شواهد أفي عبادة في مجاز القرآن ( ١ : ٤١١ ) قال : « لو شئت لتخذت عليه أجرا » : انحاء مكسورة ، ومعناها معنى أخذت ، فكان مخرجها مخرج فعلت تفعل ( من باب فرح يفرح ) قال المزق العبدى ( من عبد القيس ) : « وقد تخذت رجل . . . البيت » . وفي اللسان : والفرز للجمال مثل الركاب لبغل ، وهو ما يفسع الركاب فيه قدمه عند الركوب . والأفحوص : عجم القطاة ، لأنها تفحص الموضع ، ثم تبيض فيه ، وكذلك هو للدجاجة ، قال المزق العبدى : « وقد تخذت رجل . . . البيت » . والتسيف : أثر عض الفرز في جنب الناقة ، من عضه أو انحصاص وبر . والمطرق من وصف القطاة . يقال : طرقت المرأة وكل حامل تطرق : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب ، فيقال : طرقت ثم خلصت . وقيل التطريق للقطاة : إذا فحصت للبيض ، كأنها تجعل له طريقا .



تمّ الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه : الجزء السادس عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( أمّا السّفينةُ )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جزير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء السادس عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهارس الجزء السادس عشر

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

---

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين . . .	١	١٠٢	أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا . . .	٣١
٨٠	وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين . . .	٢	١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . . .	٣٢
٨١	فأردنا أن يبدلها ربهما . . .	٢	١٠٤	الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا . . .	٣٢
٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين . . .	٥	١٠٥	أولئك الذين كفروا بآيات ربهم . . .	٣٥
٨٣	ويسألونك عن ذى القرنين . . .	٨	١٠٦	ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا . . .	٣٥
٨٤	إنا مكّنا له في الأرض . . .	٨	١٠٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٣٦
٨٥	فأتبّع سبيا . . .	٨	١٠٨	خالدين فيها لا يغيغون عنها حيولا . . .	٣٦
٨٦	حتى إذا بلغ مغرب الشمس . . .	١٠	١٠٩	قل لو كان البحر مبداداً لكلمات . . .	٣٩
٨٧	قال أما من ظلم فسوف نعذبه . . .	١٢	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى . . .	٣٩
٨٨	وأما من آمن وعمل صالحا . . .	١٣	<u>تفسير سورة مريم عليها السلام</u>		
٨٩	ثم أتبّع سبيا . . .	١٣	١	كهيعض . . .	٤١
٩٠	حتى إذا بلغ مطلع الشمس . . .	١٣	٢	ذكر رحمة ربك عبده زكريا . . .	٤٥
٩١	كذلك وقد أحطنا بما لديه خبيرا . . .	١٣	٣	إذ نادى ربه نداء خفيا . . .	٤٥
٩٢	ثم أتبّع سبيا . . .	١٥	٤	قال ربّ إني وهنّ العظم مني . . .	٤٥
٩٣	حتى إذا بلغ بين السدّين . . .	١٥	٥	وإني خفت الموالي من ورائي . . .	٤٦
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج . . .	١٥	٦	برثني ويرث من آل يعقوب . . .	٤٦
٩٥	قال ما مكّني فيه ربي خير . . .	٢٣	٧	يا زكريا إنا نبشرك بغلام . . .	٤٩
٩٦	آتوني زبر الحديد . . .	٢٤	٨	قال ربّ آتني يكون لي غلام . . .	٥٠
٩٧	فما استطاعوا أن يظهروه . . .	٢٤	٩	قال كذلك قال ربك . . .	٥١
٩٨	قال هذا رحمة من ربي . . .	٢٧	١٠	قال ربّ اجعل لي آية . . .	٥١
٩٩	وتركنا بعضهم يومئذ يموج . . .	٢٨	١١	فخرج على قومه من المحراب . . .	٥٣
١٠٠	وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين . . .	٢٨	١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوة . . .	٥٤
١٠١	الذين كانت أعينهم في غطاء . . .	٣١			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً . . .	٥٤	٤١	وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ . . .	٨٩
١٤	وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا . . .	٥٨	٤٢	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ . . .	٨٩
١٥	وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ . . .	٥٨	٤٣	يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ . . .	٩٠
١٦	وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ . . .	٥٩	٤٤	يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ . . .	٩٠
١٧	فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا . . .	٥٩	٤٥	يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ . . .	٩٠
١٨	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ . . .	٦١	٤٦	قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي . . .	٩٠
١٩	قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ . . .	٦١	٤٧	قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ . . .	٩٢
٢٠	قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ . . .	٦١	٤٨	وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . .	٩٢
٢١	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ . . .	٦١	٤٩	فَلَمَّا اعْتَرَفَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ . . .	٩٣
٢٢	فَحَمَلْتَهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا . . .	٦٢	٥٠	وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا . . .	٩٣
٢٣	فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ . . .	٦٢	٥١	وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ مُوسَى . . .	٩٤
٢٤	فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي . . .	٦٧	٥٢	وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ . . .	٩٤
٢٥	وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ . . .	٦٧	٥٣	وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ . . .	٩٤
٢٦	فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا . . .	٧٣	٥٤	وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ . . .	٩٥
٢٧	فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ . . .	٧٦	٥٥	وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ . . .	٩٦
٢٨	يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ . . .	٧٧	٥٦	وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ . . .	٩٦
٢٩	فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ . . .	٧٨	٥٧	وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا . . .	٩٦
٣٠	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ . . .	٧٩	٥٨	أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . . .	٩٧
٣١	وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَا كُنْتُ . . .	٧٩	٥٩	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ . . .	٩٨
٣٢	وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا . . .	٨١	٦٠	إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا . . .	١١١
٣٣	وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ . . .	٨١	٦١	جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ . . .	١٠١
٣٤	ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . . .	٨٢	٦٢	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا . . .	١٠٢
٣٥	مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ مِثْلَ حُجْرَتِهِ . . .	٨٤	٦٣	تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا . . .	١٠٣
٣٦	وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ . . .	٨٤	٦٤	وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ . . .	١٠٣
٣٧	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ . . .	٨٥	٦٥	رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .	١٠٥
٣٨	أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا . . .	٨٦	٦٦	وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِيتَ . . .	١٠٦
٣٩	وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَى . . .	٨٧	٦٧	أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ . . .	١٠٦
٤٠	إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ . . .	٨٩	٦٨	فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ . . .	١٠٧



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٩	ثم لننزعن من كل شيعة . . .	١٠٧	٩٧	فإنما يسرناه بلسانك . . .	١٣٢
٧٠	ثم لنحن أعلم بالذين هم . . .	١٠٨	٩٨	وكم أهلكنا قبلهم من قرن . . .	١٣٤
٧١	وإن منكم إلا واردها . . .	١٠٨	<u>تفسير سورة طه</u>		
٧٢	ثم ننسجى الذين اتقوا . . .	١١٤	١	طه . . .	١٣٥
٧٣	وإذا تئلى عليهم آياتنا . . .	١١٥	٢	ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . . .	١٣٥
٧٤	وكم أهلكنا قبلهم من قرن . . .	١١٧	٣	إلا تذكرة لمن يخشى . . .	١٣٥
٧٥	قل من كان في الضلالة . . .	١١٩	٤	تنزيلا ممن خلق الأرض . . .	١٣٨
٧٦	ويزيد الله الذين اهتدوا هدى . . .	١١٩	٥	الرحمن على العرش استوى . . .	١٣٨
٧٧	أفرأيت الذي كفر بآياتنا . . .	١٢٠	٦	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٣٨
٧٨	أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن . . .	١٢٠	٧	وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر . . .	١٣٩
٧٩	كلا سنكتب ما يقول ونمد له . . .	١٢٢	٨	الله لا إله إلا هو . . .	١٣٩
٨٠	ونرئه ما يقول ويأتينا فردا . . .	١٢٢	٩	وهل أتاك حديث موسى . . .	١٤١
٨١	واخذوا من دون الله آله . . .	١٢٣	١٠	إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا . . .	١٤١
٨٢	كلا سيكفرون بعبادتهم . . .	١٢٣	١١	فلما أتاها نودى يا موسى . . .	١٤٣
٨٣	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين . . .	١٢٥	١٢	إني أنا ربك فاخلع نعليك . . .	١٤٣
٨٤	فلا تعجل عليهم إنما نعد . . .	١٢٥	١٣	وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى . . .	١٤٧
٨٥	يوم نحشر المتقين إلى الرحمن . . .	١٢٦	١٤	إني أنا الله لا إله إلا أنا . . .	١٤٧
٨٦	ونسوق الجحيم إلى جهنم وردا . . .	١٢٦	١٥	إن الساعة آتية . . .	١٤٨
٨٧	لا يملكون الشفاعة . . .	١٢٨	١٦	فلا يصدئك عنها من لا يؤمن بها . . .	١٤٨
٨٨	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . . .	١٢٩	١٧	وما تلك بيمينك يا موسى . . .	١٥٣
٨٩	لقد جنم شيئا إدا . . .	١٢٩	١٨	قال هي عصاى أتوكأ عليها . . .	١٥٤
٩٠	تكاد السموات يتفطرن منه . . .	١٢٩	١٩	قال ألقها يا موسى . . .	١٥٦
٩١	أن دعوا للرحمن ولدا . . .	١٣١	٢٠	فألقاها فإذا هي حية تسعى . . .	١٥٦
٩٢	وما ينبغى للرحمن . . .	١٣١	٢١	قال خذها ولا تخف . . .	١٥٦
٩٣	إن كل من في السموات . . .	١٣١	٢٢	واضمم يدك إلى جناحك . . .	١٥٧
٩٤	لقد أحصاهم وعدهم عددا . . .	١٣٢	٢٣	لُنُرِيكَ من آياتنا الكبرى . . .	١٥٧
٩٥	وكلهم آتية يوم القيامة فردا . . .	١٣٢	٢٤	اذهب إلى فرعون إنه طغى . . .	١٥٨
٩٦	إن الذين آمنوا وسمِعُوا الصَّالِحَاتِ . . .	١٣٢			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	قال ربّ اشرح لي صدري . . .	١٥٨	٥٣	الذي جعل لكم الأرض مهتدا . . .	١٧٤
٢٦	ويسرّ لي أمري . . .	١٥٨	٥٤	كلوا وارعوا أنعامكم . . .	١٧٤
٢٧	واحلّل عقدة من لساني . . .	١٥٨	٥٥	منها خلقناكم . . .	١٧٥
٢٨	يفقهوا قولي . . .	١٥٨	٥٦	ولقد أريناها آياتنا كلّها . . .	١٧٥
٢٩	واجعل لي وزيرا من أهلي . . .	١٥٨	٥٧	قال أجنثنا لتخرجنا . . .	١٧٥
٣٠	هارون أخي . . .	١٥٨	٥٨	فلنأتينك بسحر مثله . . .	١٧٥
٣١	أشدّد به أزرى . . .	١٦٠	٥٩	قال موعدكم يوم الزينة . . .	١٧٧
٣٢	وأشركه في أمري . . .	١٦٠	٦٠	فتولى فرعون فجمع كيده . . .	١٧٧
٣٣	كفى نسبحك كثيرا . . .	١٦٠	٦١	قال لهم موسى ويلكم . . .	١٧٨
٣٤	ونذكرك كثيرا . . .	١٦٠	٦٢	فتنازعوا أمرهم بينهم . . .	١٧٩
٣٥	إنك كنت بنا بصيرا . . .	١٦٠	٦٣	قالوا إن هذان لساحران . . .	١٧٩
٣٦	قال قد أوتيت سؤالك يا موسى . . .	١٦٠	٦٤	فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا . . .	١٨٣
٣٧	ولقد مننا عليك مرّة أخرى . . .	١٦٠	٦٥	قالوا يا موسى إما أن تلقى . . .	١٨٤
٣٨	إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي . . .	١٦٠	٦٦	قال بل ألقوا فإذا جبالهم . . .	١٨٤
٣٩	أن اقدفيه في التابوت . . .	١٦١	٦٧	فأوجس في نفسه خيفة . . .	١٨٦
٤٠	إذ تمشى أحتك فتقول . . .	١٦٢	٦٨	قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . . .	١٨٦
٤١	واصطعتك لنفسى . . .	١٦٨	٦٩	وألق ما في يمينك . . .	١٨٦
٤٢	اذهب أنت وأخوك بآياتي . . .	١٦٨	٧٠	فألقى السحرة سجدا . . .	١٨٧
٤٣	اذهبا إلى فرعون إنه طغى . . .	١٦٨	٧١	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	١٨٧
٤٤	فقولا له قولا لينا . . .	١٦٩	٧٢	قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا . . .	١٨٩
٤٥	قالا ربنا إننا نخاف . . .	١٦٩	٧٣	إنا آمننا بربنا ليغفر لنا . . .	١٨٩
٤٦	قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى . . .	١٧٠	٧٤	إنه من يأت ربه مجرما . . .	١٩٠
٤٧	فأتياه فقولا إنا رسولا ربك . . .	١٧٠	٧٥	ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات . . .	١٩٠
٤٨	إنا قد أوحى إلينا أن العذاب . . .	١٧١	٧٦	جنات عدن تجري من تحتها الأنهار . . .	١٩٠
٤٩	قال فن ربكما يا موسى . . .	١٧١	٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى . . .	١٩١
٥٠	قال ربنا الذي أعطى . . .	١٧١	٧٨	فأتبعهم فرعون بجنوده . . .	١٩٢
٥١	قال فما بال القرون الأولى . . .	١٧٣	٧٩	وأصل فرعون قومه وما هدى . . .	١٩٢
٥٢	قال علمها عند ربّي في كتاب . . .	١٧٣	٨٠	يا بني إسرائيل قد أنجيناكم . . .	١٩٢



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨١	كلوا من طيبات ما رزقناكم . . .	١٩٢	١٠٩	يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن . . .	٢١٥
٨٢	وإني لغفار لمن تاب وآمن . . .	١٩٤	١١٠	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	٢١٥
٨٣	وما أعجلك عن قومك يا موسى . . .	١٩٥	١١١	وعنت الوجوه للحى القيوم . . .	٢١٥
٨٤	قال هم أولاء على أثرى . . .	١٩٥	١١٢	ومن يعمل من الصالحات . . .	٢١٧
٨٥	قال فإننا قد فتننا قومك . . .	١٩٦	١١٣	وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا . . .	٢١٩
٨٦	فرجع موسى إلى قومه . . .	١٩٦	١١٤	فتعالى الله الملك الحق . . .	٢١٩
٨٧	قالوا ما أخلفنا موعدك . . .	١٩٧	١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل . . .	٢٢٠
٨٨	فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار . . .	١٩٧	١١٦	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . .	٢٢٢
٨٩	أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا . . .	٢٠٢	١١٧	فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك . . .	٢٢٢
٩٠	ولقد قال لهم هارون . . .	٢٠٢	١١٨	إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . . .	٢٢٢
٩١	قالوا لن نبرح عليه عاكفين . . .	٢٠٢	١١٩	وأنتك لاتنظما فيها ولا تضحي . . .	٢٢٢
٩٢	قال يا هارون ما منعك . . .	٢٠٢	١٢٠	فوسوس إليه الشيطان . . .	٢٢٢
٩٣	ألا تبعن ؟ أفعصيت أمرى . . .	٢٠٢	١٢١	فأكلا منها فبدت لهما سوءاً لهما . . .	٢٢٤
٩٤	قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى . . .	٢٠٣	١٢٢	ثم اجتباه ربه فتاب عليه . . .	٢٢٤
٩٥	قال فما خطبك يا سامرى ؟ . . .	٢٠٤	١٢٣	قال اهبطا منها جميعا . . .	٢٢٤
٩٦	قال بصرت بما لم يبصروا به . . .	٢٠٤	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى . . .	٢٢٥
٩٧	قال اذهب فإن لك في الحياة . . .	٢٠٦	١٢٥	قال رب لم حشرتنى أعمى . . .	٢٢٥
٩٨	إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو . . .	٢٠٦	١٢٦	قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها . . .	٢٢٥
٩٩	كذلك نقص عليك من أنباء . . .	٢٠٩	١٢٧	وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن . . .	٢٣٠
١٠٠	من أعرض عنه فإنه يحمل . . .	٢٠٩	١٢٨	أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم . . .	٢٣٠
١٠١	خالدين فيه وساء لهم . . .	٢١٠	١٢٩	ولولا كلمة سبقت من ربك . . .	٢٣٢
١٠٢	يوم ينفخ فى الصور ونحشر . . .	٢١٠	١٣٠	فاصبر على ما يقولون . . .	٢٣٢
١٠٣	يتخافتون بينهم إن لبثتم . . .	٢١٠	١٣١	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به . . .	٢٣٥
١٠٤	نحن أعلم بما يقولون . . .	٢١١	١٣٢	وأمرأهلك بالصلاة واصطبر . . .	٢٣٦
١٠٥	ويستلونك عن الجبال . . .	٢١١	١٣٣	وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه . . .	٢٣٧
١٠٦	فيذرهما قاعا صفصفاً . . .	٢١١	١٣٤	ولو أنا أهلكناهم بعذاب . . .	٢٣٧
١٠٧	لا ترى فيها عوجا ولا أمماتا . . .	٢١١	١٣٥	قل كل متربص فتربصوا . . .	٢٣٨
١٠٨	يومئذ يتبعون الداعى لا عيرج له . . .	٢١٣			





الصفحة	الصفحة
١٨٤ ما حصل بين موسى والسحرة .	١٣٢ تأويل قوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا
١٨٧ ما حصل بين السحرة وفرعون .	الصالحات » . . . الآية ، وبيان أنه ما يُقْبَل
١٩٧ فتنة السامريّ لبني إسرائيل .	أحد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب
٢٠٣ ما فعله موسى بأخيه هارون ، واعتذار	الناس إليه :
هارون له .	١٣٥ تفسير سورة طه
٢٠٤ ما رآه السامريّ من أثر جبريل .	١٣٩ بيان ما هو أخفى من السرّ .
٢٠٦ ما فعله موسى بالسامريّ وعيجه .	١٤١ خروج موسى بأهله ، وما لاقاه من الشدة .
٢١١ ما يفعل بالجبال عند قيام الساعة .	١٤٣ السبب في كون موسى أمر بخلع نعليه .
٢٢٠ العهد الذي عهد إلى آدم عليه السلام .	١٤٧ تأويل قوله تعالى « وأنا اخترتك » ، وبيان
٢٢٨ معيشة الضنك التي تكون للكافر .	أن الصلاة ذكر لله .
٢٣٢ تأويل قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت » ...	١٥٤ فوائد عصا موسى .
الآية ، ومعنى الأجل والالزام .	١٥٧ لون موسى ، وذكر بعض حيلاه .
٢٣٥ ما أمر به صلى الله عليه وسلم من إعراضه	١٦٣ امتناع موسى عليه السلام من المراضع ،
عن الدنيا وزهرتها .	وما تمّ لأمه معه .
	١٧١ ما حصل بين موسى وفرعون من المحاورة .
	١٧٧ يوم الزينة .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٥٢	أَضْمَرَا				ا
١٤٩	غَمِيرَا	د			
		١٥٠	لَا تَصْعُدْ	٦٤	والرجاءُ
٢٠٧	شُوسُ	١٤١	بِأَوْحَدٍ		ب
١٥١	يَتَنَفَّسُ	١٤٥	الْمُسْرَدُ	١٨١	لَتَغْرِبُ
١٢٦	جِيسَا	١٣٠	إِدَا	١٥٢	أَقَارِبُهُ
٢١٤	لَيْسَا	١٢٢	وَوُلْدَا	١٨١	الْأَعْضَبُ
		١٢٢	وُلْدَا	١١٧	الْمُكْعَبُ
٥٦	بَعْضُ	١٣١	الْقَرَدَا	٩٠	نَاصِبُ
٥٧	وَحْضَا			١٥٢	وَالْحُطْبَا
١٥١	مَامَضَى	ر		١٨١	شَهْرَبَهُ
		١٦٨	غَسْبَرُ		ت
	ع	٩٣	سَخَرُ		وَبَيَّتُ
١٨٣	مُجْمَعُ	٩٣	وَالْحَدَرُ	٥٧	أَمْتُ
١٤٨	النَّقِيعُ	٢٢٣	فَيَخْضَرُ	٢١٣	الْمُنْتَعَتِ
١٦	تُبْعَا	١١٥	خُزُرِ	٢٦	تَبَلَّتِ
١٨٨	بِأَجْدَعَا	١٣١	الصَّدْرِ	٦٦	
	ف	١٧٦	وَالْفِزْرِ		ج
١٧٨	مُجَلَّفُ	١٦٨	قَدَرِ	٧٩	الْأَرْتَدَجِ
	ق	١٢١	حَارِ	٤	تَعَوَّجَا
١٨٥	وَصَدِيقُ	١٤١	أَطْهَارِ		ح
١٥٣	طَلِيقُ	٤٧	مُخْضَرِ		يَسْرَحُ
	ل	١٤٧	نَارَا	١٥١	وَالجَنَاحِ
١٣١ ، ٨٤	جَبَلُ	١٢٩	إِمْرَا	١٥٧	



الجزء السادس عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٣٧	الملاعِبِ	١٣٥	سَقَامُهَا	٣٦	والبَصَلُ
٣٠	مُصَلِّتِينَا	٧١	قَلَامُهَا	٢٣٣	يَنْتَعِلُ
٢٠٨	بِحَرْقُونَا	٢٣	تَوَهُمِ	٢٢٥	أَنْزَلَ
		١٥٤	والبِشَامِ	٢٣٦	وَجَنَدَلِ
	هـ	١٨٠	لَصَمَمَا	١٤٦	الأَبْطَالِ
٧٣	فِيهِ	١٠١	لَا نَمَّا	٢١٦	اِخْتِيَابِ لَهَا
		٦٦	حَرَامَا	٥٧	مَقَالَا
	ي			١٣٧	مُؤَاتِلَا
			ن	٢١٦	اسْتِقَامَا
٦٣	المَقْلَبِ	٢٤	الرُّكْنَيْنِ		
٧٦	الفَرِييَا	٥٧	الْحَنَانِ		م
١	وَرَائِيَا	٧٢	وَالشَّهْبَانِ	٩٠	يَتَوَسَّمُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ مَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ  
مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)

يقول : أما فعلى ما فعلت بالسفينة ، فلأنها كانت لقوم مساكين ( يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ) بالخرق الذى خرقتها .

كما حدثني ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ( فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ) قال : أخرقتها .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ) وكان أمامهم وقُدَّ أمهم ملك .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ )

قال قتادة : أمامهم ، ألا ترى أنه يقول ( مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ) وهى بين أيديهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان فى القراءة : وكان أمامهم ملك

يأخذ كل سفينة صهيحة غصبًا . وقد ذكر عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

أنه قرأ ذلك : وكان أمامهم ملك .

قال أبو جعفر : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب « وراء » من حروف الأضداد ، وزعم أنه

يكون لما هو أمامه ولما خلفه ، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أَبْرَجُو بَنُو مَرْوَانَ تَمِيمِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٍ وَالْفَسْلَاءُ وَرَائِيَا

(١) البيت لسوار بن المضرب (اللسان : وري) . وهو من شواهد أبي عبيدة فى (مجاز القرآن: ١ : ٤١٢) قال : فى تفسير قوله

تعالى : « وكان وراءهم ملك » : أى بين أيديهم وأمامهم . قال : « أبرجو بنو مروان . . . البيت » : أى أمامى . اهـ . وفى

(اللسان : وري) : وقوله عز وجل : « وكان وراءهم ملك » : أى أمامهم . قال ابن برى : ومثله قول سوار بن المضرب : « أبرجو بنو مروان . . . البيت » .



بمعنى أمامي ، وقد أغفل وجه الصواب في ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائي ، لأنك من ورائه ، فأنت ملاقيه كما هو ملائيك ، فصار إذ كان ملائيك ، كأنه من ورائك وأنت أمامه . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائي ، ولا إذا كان وراءك أن يقال : هو أمامي ، ويقول : إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة ، كقول القائل : وراءك برد شديد ، وبين يديك حر شديد ، لأنك أنت وراءه ، فجاز لأنه شيء يأتي ، فكأنه إذا لحقتك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغت صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

وقوله ( يَا خُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ) فيقول القائل : فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، متعيبها وغير متعيبها ، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها ، لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ؟ قيل : إن معنى ذلك : أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، ويدع منها كل معيبة ، لأنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها . فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله ( فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ) فأبان بذلك أنه إنما عابها ، لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتمى بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : هي في حرف ابن مسعود : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى الحسن بن دينار ، عن الحكم بن عيينة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : في قراءة أبي : ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ) : وإنما عابها لأردده عنها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ) فإذا خلفوه أصلحوها بزفت ، فاستمتعوا بها . قال ابن جريج : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجببي ، أن اسم الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا : هُدَدُ بْنُ بُدَدُ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)

يقول تعالى ذكره : وأما الغلام ، فإنه كان كافرا ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما : يقول يرهقهما طغيانا ، وهو الاستكبار على الله ، وكفرا به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكر ذلك في بعض الحروف . ( وأما الغلام فكان كافرا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ( وأما الغلام فكان

كافراً) في حرف أبيّ ، وكان أبواه مؤمنين (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) وكان كافراً في بعض القراءة ، قوله (فَخَشِينَا) وهي في مصحف عبد الله (فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الجبار بن عباس الحمداقي ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الغلامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبِيعَ يَوْمَ طَبِيعَ كَيْفَرًا» . والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظنّ ، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشئ الذي يُدرك من غير جهة الحسّ والعيان . وقد بيّنا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى قوله (خَشِينَا) في هذا الموضع : كرهنا ، لأنّ الله لا يخشى . وقال في بعض القراءات : فخاف ربك ، قال : وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا ، وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما .

وقوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا) : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا) . وكان بعضهم يعتلّ لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدّداً في عامّة القرآن ، كقول الله عزّ وجلّ (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) ، وقوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) ، فألحق قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا بِهِ) . وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفة (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا) بتخفيف الدال . وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول : أبدل يُبَدِّلُ بالتخفيف وبَدَّلَ يُبَدِّلُ بالتشديد : بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وقيل : إن الله عزّ وجلّ أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا المبارك بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن قيس في قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) قال : بلغني أنها جارية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، أخبرني سليمان بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول : أُبَدِّلَا مكان الغلام جارية .

قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أنه سمع سعيد بن جبيرة يقول : أبدلا مكان الغلام جارية .



وقال آخرون : أبدلها ربهما بغيلام مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) قال : كانت أمه حبلى يومئذ بغيلام مسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضير ، فقال : قد فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره ، خير له من قضائه فيما يحب .  
وقوله ( خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ) يقول : خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ) قال : الإسلام .  
وقوله ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقرب رحمة بالديه ، وأبر بهما من المقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أبر بالديه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أى أقرب خيرا .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَقْرَبَ رُحْمًا ) : أرحم به منهما بالذى قتل الخضر . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : وأقرب أن يرحمها . والرحم : مصدر رحمت ، يقال : رحمته رحمة ورُحْمًا . وكان بعض البصريين يقول : من الرَّحِيمِ والقِرابَةِ . وقد يقال : رُحْمٌ ورُحْمٌ مثل عُسْرٍ وعُسْرٍ ، وهُلْكٌ وهُلْكٌ ، واستشهد لقوله ذلك بيت العجاج :

وَلَمْ تَعْوَجْ رُحْمٌ مِّنْ تَعْوَجِهَا

ولا وجه للرحيم في هذا الموضع ، لأن المقتول كان الذى أبدل الله منه والديه ولدا لأبوى المقتول ، فقربتهما من والديه ، وقربهما منه في الرحيم سواء . وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرحم والديه ، فيبرهما كما

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو للعجاج (ديوانه طبع ليبس سنة ١٩٠٣ ص ١٠) وهو من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن ١ : ٤١٣ ) قال في تفسير قوله تعالى : « وأقرب رحما » : معناها : معنى رحما ، مثل عسر ويسر ، وهك وهك . قال العجاج : « ولم تعوج . . . البيت . » وفي ( اللسان : رحم ) : الرحم ، بالفهم : الرحمة . وفي التنزيل : « وأقرب رحما » ، وقرئت رحما ( بضمين ) . وقال أبو إسحاق : أى أقرب علقا ، وأمس بالقِرابَةِ . والرحم والرحم ( بضم الراء المشددة فيها ، مع سكون الحاء أو نونها ) في اللغة : العطف والرحمة .

قال قتادة . وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه : وأقرب أن برحاه ، غير أنه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك ، فإذا لم يكن فيه قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بيننا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ، وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول صاحب موسى : وأما الحائط الذي أقمته ، فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز ، فقال بعضهم : كان مصففاً فيها علم مدفونة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وكان تحته كنز لهما) قال : كان تحته كنز علم .  
حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وكان تحته كنز لهما) قال : كان كنز علم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وكان تحته كنز لهما) قال : علم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وكان تحته كنز لهما) قال : علم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكان تحته كنز لهما) قال : مصف لغلامين فيها علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مصف علم .  
حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : ثنا هنادة بنت مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحب حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل (وكان تحته كنز لهما) قال : سطران ونصف ، لم يتم الثالث : «عجبت للموقن بالرزق ، كيف يتعب ؟ وعجبت للموقن بالحساب ، كيف يغفل ، وعجبت للموقن بالموت ، كيف يفرح ؟» وقد قال (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا



بِهَا وَكَفَى بَيْنَا حَاسِبِينَ ) قالت : وذكر أنهما حُفِظَا بِصِلَاحِ أَبِيهِمَا ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حُفِظَا بِهِ سبعة آباء ، كان ناسجا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا الحسن بن حبيب بن ندبة ، قال : ثنا سلمة بن محمد ، عن نعيم العنبري ، وكان من جلساء الحسن ، قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم : عجبت لمن يؤمن كيف يخزن ؟ وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها ، كيف يطمئن إليها ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما كان الكنز إلا عِلْمًا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : مُصْحَفٌ مِنْ عِلْمٍ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، عن عمر مولى عُفْرَةَ ، قال : إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : كان لوحا من ذهب مصمت ، مكتوبا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . عَجَبٌ مِمَّنْ عَرَفَ الْمَوْتَ ثُمَّ ضَحِكَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ نَصَبَ ، عَجَبٌ مِمَّنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ آمَنَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وقال آخرون : بل كان مالا مكنوزا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : كنز مال :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، مثله . حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو داود ، عن شعبة ، قال : أخبرني أبو حصين ، عن عكرمة ، مثله ، قال شعبة : ولم نسمعه منه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ) قال : مال لهما ، قال قتادة : أُحِيلَ الْكَنْزُ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَحُرِّمَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِيلُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ ، وَيُحَرِّمُ ، وَهُوَ السَّنُّ وَالْفَرَاثُصُ ، وَيُحِيلُ لِأُمَّةٍ ، وَيُحَرِّمُ عَلَى أُخْرَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مَضَى إِلَّا الْإِخْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ لَهُ .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله عكرمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كل ما يكنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك ، لعل قد بيناها في غير موضع .

(١) عمر بن عبد الله المدني ، مولى غفرة ، بضم المعجمة ، قيل : هي أخت بلال بن رباح . توفي سنة ١٤٥ هـ (الحرزجي) .

وقوله (أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ) يقول : فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته ، رحمة من ربك بهما ، يقول : فعلت فعل هذا بالجدار ، رحمة من ربك للقيمين .

وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ) قال : حُفِيظًا بِصَالِحِ أَبِيهِمَا ، وما ذكر منهما صلاح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بمثله .

وقوله ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) يقول : وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي ، ومن تلقاء نفسي ، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) كان عبدا مأمورا ، ففضي لأمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ) ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي .

وقوله ( ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا كَمْ تَسْطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ) يقول : هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني ، تأويل . يقول : ما تنول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسئلتك إياي عنها ، وإنكارك لها صبورا .

وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانا لأولياته ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها ، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى ، إذ لم يكن عالما بعواقبها ، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآئلة إلى الصواب في العاقبة ، ينبي عن صحة ذلك قوله : ( وَبَلَّغْنَاكَ اللَّهُمَّ الْعَقُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَكُمُ الْعَذَابَ ، بَلَّغْنَاكَ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا ) . ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لؤلاء المشركين ، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يحسب من لاعلم له بما الله مدبر فيهم ، نظرا منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم .



القرن في تأويل قوله تعالى

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ ، سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ  
فِي الْأَرْضِ ، وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين : ما كان شأنه؟ وما كانت قصته؟ فقل لهم : سأتلو عليكم من خبره ذكرا : يقول : سأقص عليكم منه خبرا . وقد قيل : إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين ، كانوا قوما من أهل الكتاب . فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل .  
وأما الخبر بأن الذين سألوه ، كانوا قوما من أهل الكتاب ، فحدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن ابن طبيعة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من نجيب ، قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث ، قال : فأتيته فقالا : جئنا لتحدثنا ، فقال : «كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت من عنده ، فلقيت قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه ، فأخبرته ، فقال ما لي وما هم؟ ما لي علم إلا ما علمني الله . ثم قال : اسكب لي ماء ، فتوضأ ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه ، ثم قال : أدخلهم على ، ومن رأيت من أصحابي ، فدخلوا فقاموا بين يديه ، فقال : إن شئتم سألتكم فأخبرتكم عما تجدون في كتابكم مكتوبا ، وإن شئتم أخبرتكم ، قالوا : بلى أخبرنا ، قال : جئتم تسألوني عن ذى القرنين ، وما تجدون في كتابكم : كان شابا من الروم ، فجاء فبنى مدينة مصر الاسكندرية : فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء ، فقال له ما ترى؟ فقال : أرى مدينتي ومدائن ، ثم علا به ، فقال : ما ترى؟ فقال : أرى مدينتي ، ثم علا به فقال : ما ترى؟ قال : أرى الأرض ، قال : فهذا اليم محيط بالديار ، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل ، وتثبت العالم ، فأتى به السد ، وهو جبلان ليمان يزلت عليهما كل شيء ، ثم مضى به حتى جاوز مأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى ، وجوههم وجوه الكلاب ، يقاتلون مأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى ، يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم .

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين : ذوا القرنين ، فقال بعضهم : قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك ، ثم أحسب ، فضرب على القرن الآخر فهلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبيد المكتئب ، عن أبي الطغيب ، قال : سألت ابن الكواء عليا عن ذى القرنين ، فقال : هو عبد أحب الله فأحبه ، وناصح الله فنصحه ، فأمرهم بتقوى الله ، فضربوه على قرنه فقتلوه ، ثم بعثه الله ، فضربوه على قرنه فمات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، قال :  
سئل عليّ رضوان الله عليه عن ذى القرنين ، فقال : كان عبدا ناصح الله فناصحته ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه  
على قرنه فمات ، فأحياه الله ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه فمات ، فسمى ذا القرنين .  
حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن  
أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا وسأله عن ذى القرنين أنبيا كان؟ قال : كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه ،  
وناصح الله فنصحته ، فبعثه الله إلى قومه ، فضربوه ضربتين في رأسه ، فسمى ذا القرنين ، وفيكم اليوم مثله .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال :  
ثني عبد الصمد بن معقل ، قال : قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين ملكا ، فقبل له فلم يسمي ذا القرنين؟  
قال : اختلف فيه أهل الكتاب ، فقال بعضهم : ملك الروم وفارس . وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين .  
وقال آخرون : إنما سمى ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، قال : ثني من لآتهم عن وهب بن منبه  
البياني ، قال : إنما سمى ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .  
وقوله ( إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : إنا وطأنا له في الأرض .  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : وآتيناه من كل شيء : يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : علما .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) :  
أي علما .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
سَبَبًا ) قال : من كل شيء علما . .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ سَبَبًا ) قال : علم كل شيء .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) علما .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ) يقول : علما .



وقوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قرآء المدينة والبصرة ، فاتَّبَعَ بوصل الألف ، وتشديد التاء ، بمعنى : سلك وسار ، من قول القائل : اتَّبَعْتُ أثر فلان : إذا قفوتَه ؛ وسرت وراءه . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( فَاتَّبِعَ ) بهمز الألف ، وتخفيف التاء ، بمعنى لحق . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه ( فَاتَّبِعَ ) بوصل الألف ، وتشديد التاء ، لأن ذلك خير من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين في الأرض التي يمكن له فيها ، لاعن لحاقه السبب ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) يعني بالسبب : المنزل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( سَبَبًا ) قال : منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب .  
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : طريقا في الأرض .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) : اتبع منازل الأرض ومعالمها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ( يا هامان ابن لي صرّحاً لعلّي أبليغ الأسباب ، أسباب السموات ) قال : طُرُق السموات .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : منازل الأرض .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) قال : المنازل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ، قُلْنَا يَا  
الْقُرْآنِ ، إِمَّا أَنْ تَكْفُرَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)

(١) عبارة الدر : هذه الآن الطرق ، ثم قال : والشئ يكون اسمه واحدا ، وهو متفرق في المعنى .

يقول تعالى ذكره : ( حتى إذا بَلَغَ ) ذو القرنين ( مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ، فاختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) بمعنى : أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة ، وقرأته جماعة من قراء المدينة ، وعامة قراء الكوفة ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) يعني أنها تغرب في عين ماء حارة .

واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته :

ذكر من قال ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ )

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : في طين أسود .

حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ذات حمأة .

حدثنا الحسين بن الجعيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن عثمان بن حاضر ، قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : قرأ معاوية هذه الآية ، فقال : ( عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، قال : فجعلنا كعبا بينهما ، قال : فأرسلا إلى كعب الأحبار ، فسألاه ، فقال كعب : أما الشمس فلأنها تغيب في ناط ، فكانت على ما قال ابن عباس ، والناط : الطين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ثني نافع بن أبي نعيم ، قال : سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول : كان ابن عباس يقول ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ثم فسرها : ذات حمأة ، قال نافع : وسئل عنها كعب ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : هي الحمأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ناط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله عز ذكره ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) قال : ناطة .

قال : وأخبرني عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : قرأت ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) وقرأ عمرو بن العاص ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) فأرسلنا إلى كعب ، فقال : إنها تغرب في حمأة طينة سوداء . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) والحمئة : الحمأة السوداء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف ( فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ) ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .



وقال آخرون : بل هي تغيب في عين حارة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) يقول : في عين حارة .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) قال : حارة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ) قال : حارة ، وكذلك قرأها الحسن .

والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم ، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين ، فيكون القارىء في عين حامية بصفها التي هي لها ، وهي الحرارة ، ويكون القارىء في عين حمئة واصفها بصفها التي هي بها ، وهي أنها ذات حمأة وطين . وقد روى بكلا صيغتيها اللتين قلت إنهما من صفتيها أخبار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوام ، قال : ثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله ، قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت ، فقال : « فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ ، فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ ، لَوْلَا مَا يَزَعُهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَحْرَقَتْ مَا عَلَى الْأَرْضِ » .

حدثني الفضل بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأه ( حَامِيَةٍ ) .

وقوله ( وَوَجَدَهَا قَوْمًا ) ذكر أن أولئك القوم يقال لهم : ناسك . وقوله ( قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّا إِمَّا أَنْ تُلْعَدَّبْ ) يقول : إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله ، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ( وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ) يقول : وإما أن تأسيرهم فتعلمتهم الهدى ، وتبصرهم الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)

يقول جل ثناؤه ( قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ) يقول : أما من كفر فسوف نقتله .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ) قال : هو القتل . وقوله ( ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ) يقول : ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله ، فيعذب به عذابا عظيما ، وهو النكر ، وذلك عذاب جهنم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)

يقول : وأما من صدق الله منهم ووحده ، وعمل بطاعته ، فله عند الله الحسنى ، وهي الجنة ، جزاء : يعنى ثوابا على إيمانه ، وطاعته ربه .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة ( فقله جزاء الحسنى ) برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى .

وإذا قرئ ذلك كذلك ، فله وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يجعل الحسنى مرادا بها إيمانه وأعماله الصالحة ، فيكون معنى الكلام إذا أريد بهاذلك : وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها ، يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة .

والوجه الثانى : أن يكون معنيا بالحسنى : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها ، كما قيل ( ولتدار الآخرة خير ) والدار : هى الآخرة ، وكما قال ( وذلك دين القويم ) والدين : هو القيم .

وقرأ آخرون : ( فقله جزاء الحسنى ) بمعنى : فله الجنة جزاء ، فيكون الجزاء منصوبا على المصدر ، بمعنى : يجازيهم جزاء الجنة :

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى : قراءة من قرأه ( فقله جزاء الحسنى ) بنصب الجزاء وتنوينه ، على المعنى الذى وصفت ، من أن لهم الجنة جزاء ، فيكون الجزاء نصبا على التفسير .

وقوله ( وسنقول له من أمرنا يسرا ) يقول : وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه ، مما يقربه إلى الله ويلين له من القول . وكان مجاهد يقول نحو ما قلنا فى ذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( من أمرنا يسرا ) قال معروف . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

## القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ

دُونِهَا سَبِيلًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)

يقول تعالى ذكره : ثم سار وسلك ذوالقرنين طرقا ومنازل :

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس قوله ( ثم اتبع سببا ) يعنى منزلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثم اتبع سببا ) منازل الأرض ومعالمها



( حتى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) :  
يقول تعالى ذكره : ووجد ذوالقرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، وذلك أن أرضهم  
لا جبل فيها ولا شجر ، ولا تحتل بناء ، فيسكنوا البيوت ، وإنما يغفرون في المياه ، أو يسرّبون في الأسراب .  
كما حدثني إبراهيم بن المستمر ، قال : ثنا سليمان بن داود وأبو داود ، قال : ثنا سهل بن أبي الصلت  
السراج ، عن الحسن ( تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) قال : كانت أرضا لا تحتل  
البناء ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغفروا في الماء ، فإذا غربت خرجوا يتراعون ، كما ترعى البهائم ،  
قال : ثم قال الحسن : هذا حديث سمّرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا  
تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَانٍ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ ،  
وَأِنَّمَا يَكُونُونَ فِي أَسْرَابٍ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا زَالَتْ عَنْهُمْ ، الشَّمْسُ خَرَجُوا إِلَى مَعَائِشِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ ، قَالَ : كَذَلِكَ  
وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى  
قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) قال : لم يبنوا فيها بناء قَطَّ ، ولم يسبن عليهم فيها بناء قَطَّ ، وكانوا  
إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم ليس  
فيها جبل ، وجاءهم جيش مرّة ، فقال لهم أهلها : لا تطلعنّ عليكم الشمس وأنتم بها ، فقالوا : لا تبرح حتى  
تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيئف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فاتوا ، قال : فذهبوا  
هاربين في الأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( تَطْلُعُ  
عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) قال : بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء ،  
فكانوا يدخلون في أسراب لهم إذا طلعت الشمس ، حتى تزول عنهم ، ثم يخرجون إلى معائشهم .  
وقال آخرون : هم الزنج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( تَطْلُعُ  
عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ) قال : يقال : هم الزنج .  
وأما قوله ( كَذَلِكَ ) فإن معناه : ثم أتبع سببا كذلك ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس ، وكذلك : من  
صلة أتبع . وإنما معنى الكلام : ثم أتبع سببا . حتى بلغ مطلع الشمس ، كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها ،  
وقوله ( وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ) يقول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما ، لا يفتني علينا  
مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ، ولا من غيرهم ، شيء .  
وبالذي قلنا في معنى الخبر ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حُسْبِرًا ) قال : علما .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَذَلِكَ وَوَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ حُسْبِرًا ) قال : علما .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ  
قَوْلًا (٩٣) قَالُوا: يَا قَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْمَلُكَ خَرَجًا  
عَلَىٰ أَنْ نَجْمَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ثم سار طرُوقًا ومنازل ، وسلك سبلا ( حَسَىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين ( حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) ،  
بضم السين ، وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك ، بضم السين . وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله .  
وكان أبو عمرو وابن العلاء يفتح السين في هذه السورة ، وبضم السين في يس ، ويقول : السد بالفتح : هو  
الحاجز بينك وبين الشيء ، والسد بالضم : ما كان من غشاوة في العين . وأما الكوفيون فإن قراءة عامتهم في  
جميع القرآن بفتح السين غير قوله ( حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) فلإنهم ضموا السين في ذلك خاصة .  
وروي عن عكرمة في ذلك ، ما حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن  
هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما كان من صنعة بني آدم فهو السد ، يعني بالفتح ، وما كان  
من صنع الله فهو السد . وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، ولغتان  
متفقنا المعنى غير مختلفة ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء ،  
وعكرمة بين السد والسد ، لأننا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك ، على ما حكى عنهما . ومما يبين  
ذلك أن جميع أهل التأويل الذي روي لنا عنهم في ذلك قول ، لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك  
وضمه ، ولو كانا مختلفي المعنى ، لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله ، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير  
مفترق ، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك . وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك ، فإن الذي نقل  
ذلك عن أيوب هارون ، وفي نقله نظر ، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه . والسد والسد  
جميعا : الحاجز بين الشيتين ، وهما ههنا فيما ذكر جبلان ، سد ما بينهما ، فردم ذوالقرنين حاجزا بين يأجوج  
ومأجوج ومن وراءهم ، ليقطع مادة غوائلهم وعييتهم عنهم .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( حتى إذا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ ) قال : الجبلين ، الرَّدْمُ الذي بين يأجوج ومأجوج ، أمتين من وراء رَدْمٍ ذى القرنين ، قال : الجبلان : أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ ) وهما جبلان . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( بَيْنَ السُّدَّيْنِ ) يعنى بين جبلين :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بَيْنَ السُّدَّيْنِ ) قال : هما جبلان .

وقوله ( وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) يقول عز ذكره : وجد من دون السدّين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم :

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( يَفْقَهُونَ ) فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) بفتح القاف والياء ، من فقه الرجل يفقه فقها . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) بضم الياء وكسر القاف : من أفقحت فلانا كذا أفقحه إفقاها : إذا فهمته ذلك : والصواب عندي من القول في ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، غير دافعة إحداهما الأخرى ، وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر ، جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم ، فيكون صوابا القراءة بذلك ؛ وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل : إما بألسنتهم ، وإما بمنطقهم ، فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا .

وقوله ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) بغير همز على فاعول ، من يمجج وجمجت ، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين ، غير عاصم بن أبي السجود والأعرج ، فإنه ذكر أنهما قرأ ذلك بالهمز فيهما جميعا ، وجعلوا الهمز فيهما من أصل الكلام ، وكانهما جملا يأجوج : يفعل من أجمجت ، ومأجوج : مفعول :

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا : أن ( يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ) بألف بغير همز ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

لَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مَعًا وَعَادَ عَادُوا وَاسْتَجَاشُوا تَبَعًا !

وهم أمتان من وراء السدّ :

(١) البيت لرؤبة بن العجاج (ديوانه طبعه ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٩٢) قال : « يأجوج ومأجوج : لا ينصرفان . وبعضهم همز ألفيهما ، »

وقوله ( مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأممين ، فقال بعضهم : كانوا يأكلون الناس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني ، قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) قال : كانوا يأكلون الناس :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض ، لأنهم كانوا يومئذ يفسدون :

ذكر من قال ذلك ، وذكر صفة اتباع ذى القرنين الأسباب التي ذكرها الله

في هذه الآية ، وذكر سبب بناؤه للردم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ، ممن قد أسلم ، مما توارثوا من علم ذى القرنين ، أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني ، من ولد يونس بن يافث بن نوح :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلابي ، وكان خالد رجلا قد أدرك الناس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين ، فقال : « مَلِكٌ مَسَّحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ » قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول : يا ذا القرنين ، فقال : اللهم غشغشاً ، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء ، حتى تسموا بأسماء الملائكة ؟ فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فالحق ما قال ، والباطل ما خالفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من لآتهم عن وهب ابن منبه الجاني ، وكان له علم بالأحاديث الأولى ، أنه كان يقول : ذو القرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، فلما بلغ - وكان عبدا صالحا ، قال الله عز وجل له : يا ذا القرنين إني باعتك إلى أم الأرض ، وهي أم مختلفة ألسنتهم ، وهم جميع أهل الأرض ؛ ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ؛ ومنهم أمتان

و بعضهم لا يهمنها قال رؤبة : « لو أن يأجوج ومأجوج معا فلم يصر فهما . وفي (اللسان: أجيح) : ويأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله ، جاءت القراءة فيهما يهمز وغير همز . قال : وجاء في الحديث « إن الخلق عشرة أجزاء ، تسعة منها يأجوج ومأجوج . وهما اسمان أعجميان ، واشتقاق مثلهما من كلام العرب : يفرج من أجت النار ، ومن الماء الأجاج ، وهو الشديد الملوحة ، الهرق من ملوحة . قال : ويكون التقدير في يأجوج : « يفعل » . وكذلك مأجوج . قال : وهذا لو كان الاثمان عريبان ، لكان هذا اشتقاقهما ؛ فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية . ومن لا يهمز ، وجعل الألفين زائدتين ، يقول : يأجوج : من يهجت ، ومأجوج : من يهجت وهما غير مصروفين ؛ قال رؤبة : لو أن يأجوج ومأجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تبعاً .



بينهما عرض الأرض كله ، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض : فأمة عند مغرب الشمس ، يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها ، يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض ، فأمة في قطر الأرض الأيمن ، يقال لها : هاويل . وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها : تاويل ؛ فلما قال الله له ذلك ، قال له ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم ، لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها ، بأى قوة أكابريهم ، وبأى جمع أكابريهم ، وبأى حيلة أكابريهم ، وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أعي قوالم ، وبأى بصر أتفقدهم ، وبأى حجة أخاصمهم ، وبأى قلب أعقل عنهم ، وبأى حكمة أدبر أمرهم ، وبأى قسط أعدل بينهم ، وبأى حلم أصابهم ، وبأى معرفة أفصل بينهم ، وبأى علم أتقن أمورهم ، وبأى يد أسطو عليهم ، وبأى رجل أطوهم ، وبأى طاقة آخصمهم ، وبأى جند أقاتلهم ، وبأى رفق أستألفهم ، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ، ولا يقوى عليهم ، ولا يطيقهم ، وأنت الرب الرحيم ، الذي لا يكلّف نفسا إلا وسعها ، ولا يحملها إلا طاقتها ، ولا يُعزّئها ، ولا يفقد حياها ، بل أنت ترأفها وترحمها ؟ قال الله عز وجل : إني سأطوّقك ما حملتك ، أشرح لك صدرك ، فَيَسَّعَ كلَّ شيء ، وأشرح لك فهمك ، فتفقه كلَّ شيء ، وأبسط لك لسانك ، فتتلق بكلَّ شيء ، وأفتح لك سمعك ، فتعي كلَّ شيء ، وأمدّ لك بصرك ، فتتفقد كلَّ شيء ، وأدبر لك أمرك فتتقن كلَّ شيء ، وأحصي لك فلا يفوتك شيء ، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء ، وأشدّد لك ظهرك ، فلا يهدّك شيء ، وأشدّد لك ركنك فلا يغلبك شيء ، وأشدّد لك قلبك فلا يرّوعك شيء ، وأخبر لك النور والظلمة ، فأجعلهما جندا من جنودك ، يهديك النور أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك ، وأشدّد لك عقلك فلا يهولك شيء ، وأبسط لك من بين يديك ، فتسطو فوق كلَّ شيء ، وأشدّد لك وطأتك ، فهُدّ كلَّ شيء ، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء .

ولما قيل له ذلك ، انطلق يؤمّ الأمة التي عند مغرب الشمس ، فلما بلغهم ، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله ، واللسنة مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وقلوبا متفرقة ؛ فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها ، فأحاطتهم من كلّ مكان ، وحاشتهم حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور ، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته ، فمنهم من آمن له ، ومنهم من صدّ ، فعمد إلى الذين تولّوا عنه ، فأدخل عليهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم ودورهم ، وغشيتهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، ومن كلّ جانب منهم ، فاجوا فيها وتحيروا ؛ فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ، عَجَبُوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم ، وأخذهم عتوة ، فدخلوا في دعوته ، فجنّد من أهل المغرب أمما عظيمة ، فجعلهم جنّدا واحدا ، ثم انطلق بهم يقودهم ، والظلمة تسوقهم من خلفهم ، وتحرسهم من حولهم ، والنور أمامهم يقودهم ويدلّهم ، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى ، وهو يريد الأمة

(١) يقال : رأف به يرأف : إذا رحمه ، وهو بوزن فتح وكرم وفرح . ويعمدى بالباء ، كما في اللسان ، ولعل هنا مضمّن معنى رُمّه ، فعدى بنفسه ، أو محرف عن ترأفها .

التي في قطر الأرض الأيمن ، التي يقال لها هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره واثماره ، فلا يخطئ إذا اتتمر ، وإذا عمل عملاً أتقنه . فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه ، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال ، فنظمها في ساعة ، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود ، فإذا قطع الأنهار والبحار فتتقها ، ثم دفع إلى كل إنسان لوحاً ، فلا يكترثه حمله ، فلم يزل كذلك ذأبه حتى انتهى إلى هاويل ، فعمل فيها كعمله في ناسك . فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى ، حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها ، وجند منها جنوداً ، كفعله في الأمتين اللتين قبلها ، ثم كثر مقبلاً في ناحية الأرض اليسرى ، وهو يريد تأويل ، وهي الأمة التي بحيال هاويل ، وهما متقابلتان ، بينهما عرض الأرض كله ؛ فلما بلغها عمل فيها ، وجند منها كفعله فيما قبلها ؛ فلما فرغ منها ، عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض ، من الجنّ وسائر الناس ، وأجوج وأجوج ؛ فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق ، قالت له أمة من الإنس صالحة : ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للإنس ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفرسها السباع ، ويأكلون خشاش الأرض كلّها من الحيات والعقارب ، وكلّ ذى روح مما خلق الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمو نمامهم في العام الواحد ، ولا يزداد كزيادتهم ، ولا يكثر ككثرتهم ، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمامهم وزيادتهم ، فلا شك أنّهم سيمثلون الأرض ، ويحلّون أهلها عنها ، ويظنّهرون عليها ، فيفسدون فيها ، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم ، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ( فهلّ نجعل لك حرجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال : ما مكّنتي فيه ربّي خيرٌ ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردّاً ) : أعيدوا إلى الصخور والحديد والنحاس حتى ارتاد بلادهم ، وأعلم علمهم ، وأقيس ما بين جليلهم . ثم انطلق يؤمّمهم حتى دفع إليهم ، وتوسط بلادهم ، فوجدهم على مقدار واحد ، ذكرهم وأنثاهم ، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا ، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا ، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحنالك كأحنالك الإبل قوّة ، تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الحجر من الإبل ، أو كقضم الفحل المسنّ ، أو الفرس القوى ، وهم هلّسب ، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريههم ، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم ؛ ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان : إحداهما ويرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما ، يلتحف إحداهما ، ويفترش الأخرى ، ويصيف في إحداهما ، ويشثني في الأخرى ، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ، ومنقطع عمره ، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم ، حتى يخرج من صلبه ألف ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت ، وهم يرزقون التّنين أيام الربيع ، ويستمطرونه إذا تحينوه ، كما نستمطر الغيث حينه ، فيقدفون منه كلّ سنة بواحد ، فيأكلونه عامهم كله ، إلى مثله من العام القابل ، فيغنيهم على كثرتهم ونمامهم ، فإذا مطّروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا ، ورؤي أثره عليهم ، فدرّت عليهم الإناث ، وشيّقت منهم الرجال

(١) في (عرائس المجالس للعلبي المفسر ، طبعة : الحلبي ص ٣٦٥) ليس فيهم مشابهة من الإنس . وهو أليق بالمقام .



الذكور ، وإذا أخطأهم هزّلوا وأجدبوا ، وجفرت الذكور ، وحالت الإناث ، وتبين أثر ذلك عليهم ، وهم يتداعون تداعى الحمام ، ويعوون عواء الكلاب ، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم .

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصّدّقين ، فقام ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس ، فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ ؛ فلما أنشأ في عمله ، حفر له أساسا حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ، وجعل حشوه الصخر ، وطينه النحاس ، يذاب ثم يُصب عليه ، فصار كأنه عيرق من جبل تحت الأرض ، ثم علاه وشرّفه بزبر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عيرقا من نحاس أصفر ، فصار كأنه بردٌ مُخبر من صفرة النحاس وحرته وسواد الحديد ؛ فلما فرغ منه وأحكمه ، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجنّ ، فبينما هو يسير ، دفع إلى أمة صالحه يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، فوجد أمة منقسمة مقتتة ، يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ، ويتأسون ويترحمون ، حالم واحد ، وكلمتهم واحدة ، وأخلاقهم مشبهة ، وطريقتهم مستقيمة ، وقلوبهم متألّفة ، وسيرتهم حسنة ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ، وليس على بيوتهم أبواب ، وليس عليهم أمراء ، وليس بينهم قضاة ، وليس بينهم أغنياء ، ولا ملوك ، ولا أشرف ، ولا يتفاوتون ، ولا يتفاضلون ، ولا يختلفون ، ولا يتنازعون ، ولا يستبؤون ، ولا يقتتلون ، ولا يتفحطون ، ولا يتحرّدون ، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ، ولا فقير ، ولا فظّ ، ولا غليظ . فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم ، عجب منه ! وقال : أخبروني أيها القوم خبركم ، فلما قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها ، وشرقها وغربها ، ونورها وظلمتها ، فلم أجد مثلكم ، فأخبروني خبركم ؛ قالوا : نعم ، فسلنا عما تريد ، قال : أخبروني ، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك ، لئلا ننسى الموت ، ولا يخرج ذكره من قلوبنا ؛ قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا : ليس فينا منهم ، وليس منا إلا أمين مؤتمن ؛ قال : فما لكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لانتظام ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم حكام ؟ قالوا : لانختم ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لانتكاثر ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لانتكاثر ؛ قال : فما بالكم لاتتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قبيل ألفة قلوبنا ، وصلاح ذات بيننا ؛ قال : فما بالكم لاتستبؤون ولا تقتتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعتنا بالعزم ، وسنا أنفسنا بالأحلام ؛ قال : فما بالكم كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة مستوية ؟ قالوا : من قبل أنا لانتكاذب ، ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا ؛ قال : فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سيرتكم ؟ قالوا : صحّت صدورنا ، فنزع بذلك الغيل والحسد من قلوبنا ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أنا نقسم بالسوية ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذلّ والتواضع ؛ قال : فما جعلكم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أنا نعطى الحقّ ، ونحكم بالعدل . قال : فما بالكم لاتفحطون ؟ قالوا : لانغفل عن الاستغفار ؛ قال : فما بالكم لاتتحرّدون ؟ قالوا : من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا ، وأحببناه وحرصنا عليه ، فعرينا منه ؛ قال : فما بالكم لاتصيبكم الآفات كما تصيب الناس ؟ قالوا : لاتتوكل على غير الله ، ولا نعمل

بالأنواء والنجوم ؛ قال : حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويؤاسون فقراءهم ، ويعفون عن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلمون عن جهل عليهم ، ويستغفرون لمن سبهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدون أماناتهم ، ويحفظون وقتهم لصلاتهم ، ويؤفون بعهودهم ، ويصدقون في مواعيدهم ، ولا يرغبون عن أكفائهم ، ولا يستنكفون عن أقاربهم ، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم ، وحفظهم ما كانوا أحياء ، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفُرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَرْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدًا ، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرْكُوهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ قَالَ : إِنَّ شَاءَ اللَّهُ ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ ، فَيَنْشِفُونَ الْمِيَاهَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ ، فَيَرْجِعُ فِيهَا كَهَيْئَةِ الدَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَعَدَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ مِنْ لِحُومِهِمْ » .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري ، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، فَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ ، حَتَّى إِذَا بَعْضُهُمْ لِيَمْرُؤٍ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ ، حَتَّى يَسْرُكُوهُ يَابِيسًا ، حَتَّى إِذَا مَنْ بَعْدَهُمْ لِيَمْرُؤٍ بِذَلِكَ النَّهْرِ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً ، حَتَّى كَمْ يَبْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا انْحَازَ إِلَى حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ ، قَالَ قَائِلُهُمْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُمْ ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يَهْرُؤُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مَحْضَبَةً دَمَا لِلبِلَاءِ وَالْفِتْنَةِ ، فَيَبِينَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ فِي أَعْنَاقِهِمْ كَالنَّعْفِ ، فَتَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، لَا يُسْمَعُ كُفُّهُمْ حِسٌّ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ ، فَيَسْتَظِرُّ مَا فَعَلَ الْعَدُوُّ ، قَالَ : فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُخْتَسِبًا لِنَفْسِهِ ، قَدْ وَطَّنَهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيُنَادِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَلَا أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَسْرَحُونَ مَوَاشِيَهُمْ ، فَتَأْكُلُونَ لَهَا رَعِيَّ إِلَّا لِحُومِهِمْ ، فَتَشْكُرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا شَكَرْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْ قَطُّ » .



حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني معاوية ، عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد : أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف : صنف طولهم كطول الأرز ، وصنف طوله وعرضه سواء ، وصنف يفرش أحدهم أذنه ، ويلتحف بالأخرى ، فتغطي سائر جسده :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) قال : كان أبو سعيد الخدري يقول : « إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُوَلَّدَ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ » . قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه .

فالحبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج ، يدل على أن الذين قالوا الذي القرنين ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد في الأرض ، لأنهم شكوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم . والأخبار عن رسول صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض ، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم ، إفساد .

فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيننا ، فالصحيح من تأويل قوله ( إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ )

وقوله ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) كأنهم نحووا به نحو المصدر من خرج الرأس ، وذلك جعله . وقراءته عامة قراء الكوفيين ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) بالألف ، وكأنهم نحووا به نحو الاسم ، وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم .

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب : قراءة من قرأه ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) بالألف ، لأن القوم فيما ذكر عنهم ، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد ، وقد بين ذلك بقوله ( فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ) ولم يعرضوا عليه جزية لهم وسهم ، والخراج عند العرب : هو الغلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) قال : أجرا ( عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ) . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ) قال : أجرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خِرَاجًا ) قال : أجرا .

وقوله ( عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ) يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن نجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ، ويمنعهم من الخروج إلينا ، وهو السد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره : قال ذو القرنين : الذي مكنتني في عمل ما سألتوني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي ، ووطأه لي ، وقواني عليه ، خير من جعلكم ، والأجرة التي تعرضونها علي لبناء ذلك ، وأكثر وأطيب ، ولكن أعينوني منكم بقوة ، أعينوني بقوّة وصنّاع يحسنون البناء والعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ما مكنتني فيه ربي خيرٌ ، فأعينوني بقوة ) قال : برجال ( أجعل بينكم وبينهم ردمًا ) وقال ما مكنتني ، فأدغم إحدى النونين في الأخرى ، وإنما هو ما مكنتني فيه . وقوله : أجعل بينكم وبينهم ردمًا ، يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردمًا . والردم : حاجز الخائط والسد ، إلا أنه أمتع منه وأشد ، يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردمًا وردًا ما . ويقال أيضا : ردم ثوبه يردمه ، وهو ثوب مُردّم : إذا كان كثير الرقاق ؛ ومنه قول عنتره :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِينَ مُسْتَرْدَمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ ٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ) قال : هو كأشدّ الحجاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : انعتته لي ، قال : كأنه السُّبْرُدُ الحُخْبِرُ ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : قد رأيتته . »

(١) الردام : مصدر ردم يردم (بالضم في المضارع) ردما : شرط . (عن اللسان) .

(٢) البيت لعنتره بن عمرو بن شداد العيسى ، من معلقته المشهورة ( انظره في شرح الزوزني للمعلقات السبع ، وشرح : التبريزي لقصائد العشر ، وختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا طبعة الخليلي ص ٣٦٩ ) قال شارحه : متردم : موضع يسترقع ويستصلح لوته ووجهه ، من قولهم : ردمت الشيء إذا أصلحته ، وقويت ما وهى منه . ويروي : مترم ، من الترم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول : هل ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد أصلحو ، أو هل تركت الشعراء شيئا إلا رجعوا نغماته بإنشاء الشعر في وصفه ؟ والمعنى : لم يترك الأول للاعترش شيئا . ثم أنشرب عن ذلك ، وسأل نفسه : هل عرفت دار عشيتك ، بعد شكك فيها ؟ وفي ( اللسان : ردم ) : والمتردم : الموضع الذي يرقع . ويقال : ترم الرجل ثوبه : أي رقعته يتعدى ، ولا يتعدى . ابن سيده : ثوب مردم ، ومرتم ، ومتردم وملوم . خلق مرقع ؛ قال عنتره : « هل غادر الشعراء من متردم . . . البيت . » . معناه : أي مستصلح . قال ابن سيده : أي من كلام يلصق بفضه ببعض ويليق : أي قد سبقونا إلى القول ، فلم يدعوا مقالا لقلنا .



## الفول في تأويل قول تعالى

«آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ، حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا، حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ  
«آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا» (٩٦) فَمَا اسْتَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوا، وَمَا اسْتَبَعُوا لَهُ نِقَابًا (٩٧)

يقول عزّ ذكره : قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً (آتوني) أي جيتوني بزُبَرَ الحديد ، وهي جمع زُبْرَة ، والزُبْرَة : القطعة من الحديد .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) يقول : قطع الحديد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عليّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد ، قوله (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آتوني زُبَرَ الحديدِ) : أي فالتق الحديد : حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (آتوني

زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (آتوني زُبَرَ الحديدِ) قال : قطع الحديد .

وقوله (حتى إذا ساوى بين الصدفين) يقول عزّ ذكره : فأتوه زُبَرَ الحديد ، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبَر الحديد ، ويقال : سَوَى : والصَّدَفَان : ما بين ناحيتي

الجبلين وروؤيهما ، ومنه قول الراجز :  
قَدْ أَخَذَتْ مَا بَيْنَ عَرْضِ الصَّدَفَيْنِ نَاحِيَّتَيْهَا وَأَعَالَى الرُّكْنَيْنِ

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة في (بجاء القرآن ١ : ٤١٤) قال : « بين الصدفين » : فبعضهم يضمها ، وبعضهم يفتحها (الصاد المشددة) ويحرك الدال . ومجازها : ما بين الناحيتين من الجبلين . وقال : « قد أخذت . . . البيتين » . ولم يضمهما . وفي (اللسان : صدف) : والصدفان (بالتحريك) والصدفان يضمهما : جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج . وفي التنزيل العزيز : « حتى إذا ساوى بين الصدفين » : قرئ « الصدفين » (بالتحريك) والصدفين وبضمهما ، والصدفين (بضم الأول وفتح الثاني) . وفي هاشم اللسان : « وبقيت رابعة : الصدفين كعضدين كما في القاموس » . ثم قال في اللسان : وفي الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مر بصدف أو هدف ما ثل أسرع المشي » . ابن الأثير : هو بفتحيتين وضميتين . قال أبو عبيدة : الصدف والهدف : واحد ، وهو كل بناء مرتفع عظيم . قال الأزهرى : وهو مثل صدف الجبل ، شبه به ، وهو ما قابلك من جانبه . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بين الصّدّ قسّين ) يقول : بين الجبلين .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
 ( حتى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) قال : هو سدّ كان بين صدّفين ، والصدفان : الجبلان .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الصّدّ قسّين ) رءوس الجبلين .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( بين الصّدّ قسّين ) يعني الجبلين ، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى إذا ساوى بين الصّدّ قسّين ) وهما الجبلان .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قرأها ( بين الصّدّ قسّين ) منصوبة الصاد والذال ، وقال : بين الجبلين ، وللعرب في الصدفين : لغات ثلاث ، وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القرّاء الفتح في الصاد والذال ، وذلك قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ، والضمّ فيهما ، وهي قراءة أهل البصرة ؛ والضمّ في الصاد وتسكين الذال ، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة . والفتح في الصاد والذال أشهر هذه اللغات ، والقراءة بها أعجب إلىّ ، وإن كنت مستجيزا القراءة بجميعها ، لانفاق معانيها . وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة .

وقوله ( قال انْفُخُوا ) يقول عزّ ذكره ، قال للفعله : انفخوا النار على هذه الزُّبر من الحديد .  
 وقوله ( حتى إذا جَعَلَهُ نَارًا ) وفي الكلام متروك ، وهو : فنفخوا ، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا ( قال آتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( قال آتُونِي ) بمدّ الألف من ( آتُونِي ) بمعنى : أعطوني قطرا أفرغ عليه . وقرأه بعض قرّاء الكوفة ، قال ( ائْتُونِي ) بوصل الألف ، بمعنى : جيئوني قِطْرًا أفرغ عليه ، كما يقال : أخذت الحطام ، وأخذت بالحطام ، وجئتك زيدا ، وجئتك يزيد . وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرئ كذلك إلى معنى أعطوني ، فيكون كأنّ قارئه أراد مدّ الألف من آتوني ، فترك الهمزة الأولى من آتوني ، وإذا سقطت الأولى همز الثانية .

وقوله ( أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) يقول : أصبّ عليه قِطْرًا ، والقِطْرُ : النُّحْاسُ .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أفرغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) قال : القِطْرُ : النحاس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( أفرغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) : يعنى النحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أفرغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) أى النحاس ليلزمه به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أفرغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ) قال : نحاسا .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : القِطْرُ : الحديد المذاب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

حُسَامَا كَكَوْنِ الْمِلْحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرْأَزًا مِنْ أَقْطَارِ الْحَدِيدِ الْمُنْتَعَتِ ١  
وقوله ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) يقول عز ذكره : فما استطاع بأجوج ومأجوج أن يعلموا الردم الذى جعله ذو القرنين حاجزا بينهم ، وبين من دونهم من الناس ، فيصبروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس ، يقال منه : ظهر فلان فوق البيت : إذا علاه ؛ ومنه قول الناس : ظهر فلان على فلان : إذا قهره وعلاه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) يقول : ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) من فوقه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) : أى من أسفله :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : ما استطاعوا أن ينزِعوه .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة فى ( مجاز القرآن ١ : ٤١٥ ) عند تفسير قوله تعالى : ( أفرغ عليه قطرا ) قال : أى أصب عليه حديدا ذائبا ، قال : « حساما . . . البيت » : جمع قطر ، وجعله بعضهم الرصاص النقرة . اه . وفى ( اللسان : قطر ) والتقطر بالكسر : النحاس الذائب ، وقيل ضرب منه اه . وفى ( اللسان : جرز ) : وسيف جراز : قاطع . قال : ويقال : سيف جراز : إذا كان مشاهلا . والجراز من السيوف : الماشى النافذ . اه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : أن يرتقوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : أن يرتقوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ) قال : يعلوه ( وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) : أي ينقبوه من أسفله .

واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله ( فَمَا اسْتَطَاعُوا ) فقال بعض نحويي البصرة : فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول : استطاع يستطيع ، يريدون بها : استطاع يستطيع ، ولكن حذفوا التاء إذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد . قال : وقال بعضهم : استاع ، فحذف الطاء لذلك . وقال بعضهم : استطاع يُسْتَطِيع ، فجعلها من القطع ، كأنها أطاع يطيع ، فجعل السين عوضا من إسكان الواو . وقال بعض نحويي الكوفة : هذا حرف استعمل فكثُر حتى حذف .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ، فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

يقول عزّ ذكره : فلما رأى ذوالقرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بيني من الردم ، ولا يقدرّون على نقبه ، قال : هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الأمة ، ومن دون الردم رحمة من ربي ، رحم بها من دون الردم من الناس ، فأعانتني برحمته لم حتى بنيته وسويته ، ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم . وقوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ) يقول : فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم ، جعله دَكَّاءَ ، يقول : سواه بالأرض ، فألزقه بها من قولهم : ناقة دَكَّاءَ : مستوية الظهر لاسنام لها . وإنما معنى الكلام : جعله مدكوكا ، فقيل : دكاء .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ) قال : لأدرى : الجبلين يعني به ، أو ما بينهما . وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال .

#### ذكر الخبر بذلك

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام ، عن جبلة بن صهيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنَقِيبَ لَيْلَةَ الإسْرَاءِ إِسْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، فَتَدَاكُرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، وَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى إِسْرَاهِيمَ فَقَالَ إِسْرَاهِيمُ : لَاعِلِمَ لِي بِهَا ، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : لَاعِلِمَ لِي بِهَا ، »

(١) أي عوضا من ذهاب حركة الواو ، كما في اللسان .



فَرَدُّوا الْأُمُورَ إِلَىٰ عِيسَىٰ ؛ قَالَ عِيسَىٰ : أَمَا قِيَامُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَكِنَّ رَّبِّي قَدْ  
عَهَدَ إِلَيَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ دُونَ وَقْتِهَا ؛ عَهْدًا إِلَىٰ أَنْ الدَّجَالُ خَارِجٌ ، وَأَنْتُمْ مُنْهَبَطِي إِلَيْهِ ؛  
فَدَكَرَ أَنْ مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ ، فإِذَا رَأَىٰ أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، قَالَ : فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ ؛  
حَتَّىٰ إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ ، وَيَرْجِعُ  
النَّاسُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ،  
لَا يَأْتُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَمْرُونَ عَلَىٰ مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَىٰ ،  
فَيَشْكُونَهُمْ ، فَأَدْعُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، فَيُمِيتُهُمْ حَتَّىٰ تَجْوَىٰ الْأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ ، فَيَنْزِلُ  
الْمَطَرُ ، فَيَجْرُ أَجْسَادُهُمْ ، فَيَلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ يَنْسِفُ الْجِبَالَ حَتَّىٰ تَكُونَ الْأَرْضُ  
كَالْأَدِيمِ ، فَعَهْدَ إِلَىٰ رَبِّي أَنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كَالْحَامِلِ الْمَيْتِ الَّتِي  
لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَىٰ تَفْجُوهُمْ بِوِلَادِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا .

حدثني عبيد بن إسماعيل ، قال : ثنا المحاربي ، عن أصبغ بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جيلة  
ابن صميم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : «لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم  
التي هو إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فنذاكروا أمر الساعة» فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقي  
عن هشيم ، وزاد فيه : قال العوام بن حوشب : فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ، قال الله عز  
وجل (حَتَّىٰ إِذَا فَتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ  
الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ،  
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) يقول : وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في ذلك هذا الردم ، وخروج هؤلاء القوم  
على الناس ، وعيبتهم فيه ، وغير ذلك من وعده حقا ، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن ؟

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَتَفْخُ فِي الْأُصُورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا  
جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم ، بأنا نذك الجبال وننسفها عن  
الأرض نسفا ، فنذرنا قاعا صمصما ، بعضهم يموج في بعض ، يقول : يختلط جنهم بإنسهم .  
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عثرة ، عن شيخ من بني فزارة ، في  
قوله (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) قال : إذا ماج الجن والإنس ، قال إبليس : فأنا  
أعلم لكم هذا الأمر ، فيظعن إلى المشرق ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب ،  
فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة قطعوا الأرض ،  
فيقول : ما من حيص ، فيينا هو كذلك ، إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذريته ، فيينا هم

عليه ، إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنا من خزّان النار ، قال : يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ، ألم تكن في الجنان ؟ فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض عليّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه ، فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة ، فيقول : ماهي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار ، فيتلكأ عليه ، فيقول له وبندريته بجناحيه ، فيقدفهم في النار ، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، إلا جثا لركبتيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ) قال : هذا أوّل القيامة ، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ، ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور ، وما هو ، وما عسى به . واختارنا الصواب من القول في ذلك بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع ، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن أعرابيا سأله عن الصور ، قال : قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن العجلي ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن الحارث القنطري ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : كنت في جنازة عمر بن ذر فليت مالك بن مغول ، فحدثنا عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ وَحَتَّى الْجَبْهَةَ ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَكَلَّوْا اجْتَمَعَ أَهْلُ مِثْنِي مَا أَقَالُوا ذَلِكَ الْقَرْنَ » كذا قال ، وإنما هو ما أقلوا .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى ظَهْرَهُ ، وَجَحَظَ بَعَيْنَيْهِ ، قَالُوا : مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ ، وَحَتَّى جَبْهَتَهُ ، يَسْتَمِيعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ فِيهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ نَقُولُ ؟ قَالَ : تَقُولُونَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ » .

(١) يقول : بمن يدفع به ويحركه .



حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة ، قالوا : ثنا أسباط ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا شعيب بن حرب ، قال : ثنا خالد أبو العلاء ، قال : ثنا عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنَ وَحَتَّى الْجَبْهَةَ ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ ، مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ مِثْيَ اجْتَمَعُوا عَلَى الْقَرْنِ عَلَى أَنْ يُقْلُوهُ مِنْ الْأَرْضِ ، مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : فَأَبْلِسَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن فلان ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب الثقفي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا فَرَعَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَضَعَهُ عَلَى فِيهِ شَاحِصٌ بِصَرِّهِ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَقِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الصُّورُ ؟ قَالَ : قَرْنٌ ، قَالَ : قَرْنٌ عَظِيمٌ يَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ : الْأُولَى : نَفْخَةُ الْفَرَجِ ، وَالثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . »

وقوله ( فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ) يقول : فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا . وقوله ( وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ) يقول : وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ؛ ولو جعل الفعل لها قيل : أعرضت إذا استبان ، كما قال عمرو بن كلثوم :

وَأَعْرَضْتَ الْيَمَامَةَ وَاشْتَمَخَرْتَ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّتِينَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : « يَقُومُ الْخَلْقُ لِلَّهِ إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ ، قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ اللَّهُ

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي في (جمهرة أشعار العرب ٧٤ - ٨٤ ، وفي شرحي الزوزني والتبريزي للمعلقات) وأعرضت ظهرت ، وعرضت الشيء : أظهرته ، ومنه قوله عز وجل (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وهذا من النوادر عرضت الشيء . فأعرض ، ومثله كعبته فأكب ، واشتمخرت : طالت وارتفعت . والمعنى بدت مستطيلة . والكاف في قوله كأسياف : في موضع نصب ، على أنها نعت لمصدر محذوف . والمصطلت الشاهر سيفه ، يقال : أصلت السيف : إذا ملته . والمعنى : ظهرت لنا قرى اليمامة ، وارتفعت في أعيننا ، كأسياف بأيدي رجال سألين سيوفهم ، فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذي نصير إليه . والشاهد في قوله : أعرضت بمعنى ظهرت .

عز وجل للخلق، فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال : فيلقى اليهود، فيقول : من تعبدون ؟ قال : فيقولون : نعبد عَزْرِيَا ، قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ ( وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ) ثم يلقى النصراري فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، قال : فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله ( وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)

يقول تعالى : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله ، فيتكفرون فيها ولا يتأملون حُجُجَه ، فيعتبرون بها ، فيتذكرون وينبشون إلى توحيد الله ، وينقادون لأمره ونهيه ، وكانوا لا يستطيعون سَمْعًا ، يقول : وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكروهم به ، وبيانه الذي بينه لهم في آي كتابه ، بخذلان الله إياهم ، وغلبة الشقاء عليهم ، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان ، فيتعظون به ، ويتدبرونه ، فيعرفون الهدى من الضلالة ، والكفر من الإيمان .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا يستطيعون سَمْعًا ) قال : لا يعقلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وكانوا لا يستطيعون سَمْعًا ) قال : لا يعلمون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ) . . . الآية ، قال : هؤلاء أهل الكفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ  
لِلْكَافِرِينَ نَزُلًا (١٠٢)

يقول عز ذكره : أظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح ، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء ، يقول : كلا بل هم لهم أعداء .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ ) قال : يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة ، وهم عباد الله ، ولم يكونوا للكفار أولياء . وبهذه القراءة ، أعنى بكسر السين من ( أَفَحَسِبَ ) بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قرآء الأمصار . ورؤى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد ، أنهم قرءوا ذلك ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) بتسكين السين ، ورفع الحرف بعدها ، بمعنى : أفحسبهم ذلك : أى أفكفاهم أن يتخذوا عبادى من دوفى أولياء من عباداتى وموالاتى .

كما حدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) قال : أفحسبهم ذلك ، والقراءة التى نقرؤها هى القراءة التى عليها قرآء الأمصار ( أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) بكسر السين ، بمعنى أظن ، لإجماع الحجة من القرآء عليها : وقوله ( إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزُلًا ) يقول : أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا :

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ ) يا محمد هؤلاء الذين يبعون عننتك ويجادلونك بالباطل ، ويحاورونك بالمسائل ، من أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ) أى القوم ( بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) يعنى بالذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يبعون به ربحا وفضلا ، فنالوا به عطفًا وهلاكًا ، ولم يدركوا طلبًا ، كالمشترى سلعة يرجو بها فضلًا وربحًا ، فخاب رجاءه ، وخسر بيعه ، ووكس فى الذى رجا فضله .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بذلك ، فقال بعضهم : عُنَى به الرهبان والقسوس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا المقبرى ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : أخبرنى السكن بن أبى كريمة ، أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خبيصة عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول فى هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع : حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت حيوة يقول : ثنى السكن بن أبى كريمة ، عن أمه ، أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول : سمعت على بن أبى طالب يقول ، فذكر نحوه : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ،

عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبي ( وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) أهم الخرورية ؟ قال : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا فضالة بن الفضل ، قال : قال بزيع : سألت رجل الضحاك عن هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : هم القيسيون والرهبان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن هلال ابن يساف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن سعد ، قال : قلت لسعد : يا أبت ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) أهم الخرورية ، فقال : لا ، ولكنهم أصحاب الصوامع ، ولكن الخرورية قم زاغوا ، فأزاع الله قلوبهم . وقال آخرون : بل هم جميع أهل الكتابين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) ، الذين فصل سعيهم في الحياة الدنيا ) أهم الخرورية ؟ قال : لا ، هم أهل الكتاب ، اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا بمحمد . وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا : ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الخرورية ( الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وينقضون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض ، أولئك هم الخاسرون ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن إبراهيم بن أبي حرة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، في قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن زاذان ، عن علي بن أبي طالب ، أنه سئل عن قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : هم كفرة أهل الكتاب ، كأن أوائلهم على حق ، فأشركوا بربهم ، وابتدعوا في دينهم ، الذين يجتهدون في الباطل ، ويحسبون أنهم على حق ، ويجتهدون في الضلالة ، ويحسبون أنهم على هدى ، فضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ثم رفع صوته ، فقال : وما أهل النهار منهم ببعيد . وقال آخرون : بل هم الخوارج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان بن سالم ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ،



قال : سأل عبد الله بن الكوّاء علياً عن قوله ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) قال : أنتم يا أهل حرّوراء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجليّ ، عن أبي الصهباء البكريّ ، عن عليّ بن أبي طالب ، أن ابن الكوّاء سأله ، عن قول الله عزّ وجلّ ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) فقال عليّ : أنت وأصحابك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ، قال : قام ابن الكوّاء إلى عليّ ، فقال : منّ الأخرسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال : ويسلك ! أهل حرّوراء منهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد ابن عثمة ، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله ، قال : ثنا أبو الخويرث ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال ابن الكوّاء لعليّ بن أبي طالب : ما الأخرسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ؟ قال : أنت وأصحابك .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله عزّ وجلّ عنى بقوله ( هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ) كلّ عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً ، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض ، وهو بفعله ذلك لله مسخط ، وعن طريق أهل الإيمان به جائر ، كالرهبانة والشامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم ، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفر ، من أهل أيّ دين كانوا .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله ( أَعْمَالًا ) ، فكان بعض نحويّ البصرة يقول : نصب ذلك ، لأنه لما أدخل الألف واللام والنون في الأخرسرين ، لم يوصل إلى الإضافة ، وكانت الأعمال من الأخرسرين ، فلذلك نصب ، وقال غيره : هذا باب الأفعال والفتعل ، مثل الأفضّل والفضّل ، والأخسر والخسر ، ولا تدخل فيه الواو ، ولا يكون فيه مفسر ، لأنه قد انفصل بمن هو ، كقوله الأفضّل والفضّل ، وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخرة ، وقال : ألا ترى أنك تقول : مررت برجل حسن وجهها ، فيكون الحسن للرجل والوجه ، وكذلك كبير عقلا ، وما أشبهه ؛ قال : وإنما جاز في الأخرسرين ، لأنه رده إلى الأفعّل والأفعلة . قال : وسمعت العرب تقول : الأوّلات دخولا ، والآخريات خروجا ، فصار للأوّل والثاني كسائر الباب قال : وعلى هذا يقاس .

وقوله ( الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به ، بل على كفر منهم به ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ يقول : وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون ، وفيها ندب عباده إليه مجتهدون ؛ وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحديته ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم

(١) هي أم محمد ، وخالد أبوه ، فيلزم إثبات الألف اه .

في هذه الآية ، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا ، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك ، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم ، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم ، أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ، كانوا مثابين مأجورين عليها ، ولكن القول بخلاف ما قالوا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة ، وأن أعمالهم حابطة . وعنى بقوله ( أَلْتَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) عملا ، والصنع ، والصنعة والصنيع واحد ، يقال : فرس صنيع : بمعنى مصنوع .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَزَنَّا (١٠٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، الأחסرون أعمالا ، الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته ، وأنكروا لقاءه ( فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ) يقول : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة ، بل لهم منها عذاب وخيزى طويل . ( فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ) يقول تعالى ذكره : فلا نجعل لهم ثقلا ، وإنما عنى بذلك : أنهم لا تثقل بهم موازينهم ، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة ، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن أبي يحيى ، عن كعب ، قال : يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا ( فلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن الصلت ، قال : ثنا ابن أبي الزناد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرْبِ الطَّوِيلِ ، فَيُوزَنُ ، فَلَا يَبْرُنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، ثُمَّ قُرَأَ ( فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله ، واتخاذهم آيات كتابه ، وحجج رسله مُخْتَرِيًا . واستهزأهم برسله .



القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَلِيدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأقروا بتوحيد الله ، وما أنزل من كتبه ، وعملوا

بطاعته ، كانت لهم بساتين الفردوس ، والفردوس : معظم الجنة ، كما قال أمية :

كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ إِذْ ذَاكَ ظَاهِرَةً فِيهَا الْفَرَادِيسُ وَالْفُؤْمَانُ وَالْبَسَلُ

واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس ، فقال بعضهم : عنى به أفضل الجنة وأوسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ،

قال : الفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي ، قال : ثنا الهيثم أبو بشر ، قال : أخبرنا الفرّج بن فضالة ، عن لقمان ،

عن عامر ، قال : سئل أبو أسامة عن الفردوس ، فقال : هي سرّة الجنة .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا حماد بن عمرو النصيبى ، عن أبي عليّ ، عن كعب ، قال : ليس

في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، وفيها الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر .

وقال آخرون : هو البستان بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سهل الرملى ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ،

قال : الفردوس : بستان بالرومية .

حدثنا العباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله عن مجاهد . مثله .

وقال آخرون : هو البستان الذى فيه الأعتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله

ابن الحارث ، عن كعب ، قال : جنات الفردوس التي فيها الأعتاب .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفى (اللسان : قوم) . قال : وقال أمية في جمع القوم ، « كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة » . . . .  
البيت . قال : ويروى الفرّاريس . قال أبو الإصبع الفرّاريس : البصل . وقال : الزجاج : القوم الخنطة . ويقال الحبوب ، لا اختلاف  
بين أهل اللغة أن القوم الخنطة وسائر الحبوب التي تختبئ يلحمها اسم القوم ، قال : ومن قال : القوم ههنا القوم ، فإن هذا لا يعرف .  
وقال أبو منصور : فإن قرأها ابن مسعود بالثاء ، فعناه القوم وهو الخنطة . وفى « (اللسان : فردس) الفردوس : البستان . قال  
القراء : هو عربي . وقال ابن سيده : الفردوس : الوادى المخصب عند العرب ، كالبستان وهو بلسان الروم : البستان . والفردوس :  
الروضة عن السرا في . والفردوس : خضرة الأعتاب . قال الزجاج : وحقيقته : أنه البستان الذى يجمع ما يكون في البساتين ، وكذلك  
هو عند أهل كل لغة . والفردوس : حديقة في الجنة . والفردوس : أصله رومى عرب ، وهو البستان .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ : مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَرِيحٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ :  
ثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
« الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ عَامٌ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ ، وَمِنْهَا  
الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ قَوْقِهَا ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : ثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ  
عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ  
مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ ، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ  
الْأَرْبَعَةُ ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو يَحْيَى بْنُ سَلْيَانَ ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَامَةَ ، عَنْ  
عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَوْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :  
« إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَقَوْقِهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَامِرٍ ، قَالَ : ثَنَا قُلَيْبُ بْنُ قَالِبٍ ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَامَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ ،  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « وَسَطُ الْجَنَّةِ » وَقَالَ أَيْضًا : « وَمِنْهُ  
تُفَجَّرُ أَوْ تَتَفَجَّرُ » .

حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ بَكَّارٍ الْكَلَاعِيُّ ، قَالَ : ثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثَنَا  
زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ  
فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ  
وَأَوْسَطُهَا ، وَقَوْقِهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » .  
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، قَالَ : ثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرٍ ، عَنْ  
أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعَةٌ ، اثْنَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ ،  
حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ ، وَاثْنَتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا ، وَمَا  
فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ » .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَرِيحٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو قَدَامَةَ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعٌ  
ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِيَّتُهُمَا  
وَمَا فِيهِمَا » .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : خلق الله جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها في كل يوم خميس ، فيقول : ازدادى طيبا لأولياي ، ازدادى حسنا لأولياي .  
 حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردي ، قالا : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لِلْجَنَّةِ مِثْلَ دَرَجَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِثْلُهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَعْلَى دَرَجَةٍ مِثْلُهَا الْفِرْدَوْسُ » .  
 حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا أحمد بن الفرج الطائي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد ابن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الْجَنَّةِ ، هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أنبأنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ الْفِرْدَوْسَ هِيَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَحْسَنُهَا وَأَرْفَعُهَا » .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال للربيع ابنة النضر : « يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى » . والفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .  
 وقوله ( نَزُلًا ) يقول : منازل ومساكن ، والمنزل : من النزول ، وهو من نزول بعض الناس على بعض . وأما النَّزْلُ : فهو الرَّبِيعُ ، يقال : ما لطفناكم هذا نَزْلٌ ، يراد به الرَّبِيعُ ، وما وجدنا عندكم نزلا : أي نزولا .

وقوله ( خَالِدِينَ ) يقول : لا يثيب فيها أبدا ( لَا يَبْسُغُونَ عَنْهَا حِيَالًا ) يقول : لا يريدون عنها تحولا ، وهو مصدر تحولت ، أخرج إلى أصله ، كما يقال : صَغُرُ بِصَغُرٍ صِغْرًا ، وعاج يعوج عِوَجًا .  
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَا يَبْسُغُونَ عَنْهَا حِيَالًا ) قال : متحولا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت مخرم بن الحسين يقول : وسئل عنها ، قال : سمعت بعض أصحاب أنس يقول : قال : يقول : « أَوْلَهُمْ دَخُولًا إِنَّمَا أَدْخَلَنِي اللَّهُ أَوْلَهُمْ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَيَقُولُ آخَرُهُمْ دَخُولًا : إِنَّمَا أُخْرِنِي اللَّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَانِي » .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)

يقول عز ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِي) لمقلم الذي يكتب به (كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَتَفِدَ) ماء (الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا): يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا، من قول القائل: جئتك مددا لك، وذلك من معنى الزيادة. وقد ذكر عن بعضهم: ولو جئنا بمثله مددا، كأن قارى ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذى يكتب به مدادا. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ «ح» وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) للقلم: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) يقول: إذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّمَاءَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ، فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠).

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بنى آدم، لا علم لى إلا ما علمنى الله، وإن الله يوحى إلى أن معبودكم الذى يجب عليكم أن تعبدوه، ولا تشرکوا به شيئا، معبود واحد لاثنائى له، ولا شريك (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن أبى راشد، عن سعيد بن جبیر (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) قال: ثواب ربه.



وقوله ( وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) يقول : ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه ، وإنما يكون  
 جاعلا له شريكا بعبادته ، إذا رأى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو يريد به غيره .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ( وَلَا  
 يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) .<sup>١</sup>

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ( وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا )  
 قال : لا يرأى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الخزري ،  
 عن طاوس ، قال : « جاء رجل ، فقال : يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله ، وأحب أن يرى موطني  
 ويرى مكاني ، فأنزل الله عز وجل ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا  
 يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ومسلم بن خالد  
 الزنجي ، عن صدقة بن يسار ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وزاد فيه :  
 وإني أعمل العمل وأتصدق وأحب أن يراه الناس ، وسائر الحديث نحوه » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، قال : ثنا حمزة أبو عمارة  
 مولى بني هاشم ، عن شهر بن حوشب ، قال : جاء رجل إلى عبادة بن الصامت ، فسأله فقال : أنبئني عما  
 أسألك عنه ، أرأيت رجلا يصلي يتغى وجه الله ويحب أن يُحمد ، ويصوم ويتغى وجه الله ويحب أن  
 يُحمد ؟ فقال عبادة : ليس له شيء ، إن الله عز وجل يقول : « أنا خير شريك ، فمن كان له معي  
 شريك ، فهو له كله ، لا حاجة لي فيه » .

حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السكوني ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا  
 عمرو بن قيس الكندي ، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ،  
 فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ) وقال : إنها آخر آية أنزلت من القرآن .

آخر تفسير سورة الكهف

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، بدار الكتب المصرية ، وفي الدر عن سعيد : لا يشرك : لا يرأى بعبادة ربه أحدا .

## تفسیر سورة مریم علیها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فی تأویل قوله تعالى

كَهَيِّعَصَّ (١)

﴿﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره : كَافٍ مِنْ (كَهَيِّعَصَّ) فقال بعضهم : تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير ، دلَّ به عليه ، واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم :

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل ابن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية ( كهيعص ) قال : كبير ، يعني بالكبير : الكاف من ( كهيعص ) .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله : حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول ( كهيعص ) قال : كَافٍ : كبير ؟

حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير في ( كهيعص ) قال : كَافٍ : كبير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

وقال آخرون : بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كَافٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، في قوله ( كهيعص ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم في قوله ( كهيعص ) قال : كَافٍ : كَافٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن الكلبي ، مثله .  
وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كَرِيمٍ .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ( كهيعص ) قال :  
كاف من كريم .

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص : حرف من حروف اسمه الذي هو هاد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن  
عباس ، قال : كان يقول في الهاء من ( كهيعص ) هاد .

حدثنا أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن

جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : ها : هاد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله

( كهيعص ) قال : ها : هاد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنيسة ، عن الكلابي ، مثله .

واختلفوا في تأويل الياء من ذلك ، فقال بعضهم : هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين :

## ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس ، قال : « يا » من ( كهيعص ) ياء يمين .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس ، قال : « يا » من ( كهيعص ) ياء يمين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير

ياء : يمين .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو حكيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ( كهيعص ) قال :  
يا : من حكيم .

وقال آخرون : بل هي حرف من قول القائل : يا من يجير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا إبراهيم بن الضريس ، قال : سمعت الربيع بن  
أنس في قوله ( كهيعص ) قال : يا من يجير ولا يجار عليه .  
واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين ، فقال بعضهم : هي حرف من حروف اسمه الذى هو  
عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( كهيعص ) قال : عين من عالم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبي ، مثله .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد  
ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .  
حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبيه ، في قوله  
( كهيعص ) قال : عين : من عالم .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عزيز :

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ( كهيعص ) عين : عزيز .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن  
جبير ، عن ابن عباس ، مثله .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله :  
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .  
حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله  
( كهيعص ) قال : عين عزيز .

وقال آخرون : بل هي حرف من حروف اسمه الذى هو عدل .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( كهيعص ) قال : عين : عدل .  
وقال الذين تأولوا ذلك هذا التأويل : الصاد من قوله ( كهيعص ) : حرف من حروف اسمه الذي هو صادق :

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول في ( كهيعص ) صاد : صادق .  
حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .  
حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال :  
صاد : صادق :  
حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : صادق ، يعني الصاد من ( كهيعص ) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ( كهيعص ) قال : صاد صادق .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلبي ، قال : صادق .  
وقال آخرون : بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عائكة ، عن فاطمة ابنة عليّ قالت : كان عليّ يقول : يا ( كهيعص ) : اغفر لي .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( كهيعص ) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .  
وقال آخرون : كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عز وجل .

ذکر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد العزيز بن مسلم القسطلي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال ( كهيعص ) ليس منها حرف إلا وهو اسم . وقال آخرون : هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن .

ذکر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( كهيعص ) قال : اسم من أسماء القرآن .  
 قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا نظير القول في ( الم ) وسائر فوائح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)

اختلف أهل العربية في الرفع للذكر ، والنصب للعبد ، فقال بعض نحوي البصرة في معنى ذلك كأنه قال : مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده ، وانتصب العبد بالرحمة كما تقول : ذكر ضرب زيد عمرا . وقال بعض نحوي الكوفة : رفعت الذكر بكهيعص ، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك ، قال : والمعنى ذكر ربك عبده . برحمته تقديم وتأخير .

قال أبو جعفر : والقول الذي هو الصواب عندي في ذلك أن يقال : الذكر مرفوع بمضمر محذوف ، وهو هذا ، كما فعل ذلك في غيرها من السور ، وذلك كقول الله ( بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) وكقوله : ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) ونحو ذلك . والعبد منصوب بالرحمة ، وزكريا في موضع نصب ، لأنه بيان عن العبد ، فتأويل الكلام : هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا .

وقوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) يقول حين دعا ربه ، وسأله بنداء خفي ، يعني : وهو مستسر بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) أي سرا ، وأن الله يعلم القلب النقي ، ويسمع الصوت الخفي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ) قال : لا يريد رياء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : رغب زكريا



في الولد ، فقام فصلي ، ثم دعا ربه سرّاً ، فقال ( رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) . . . إلى ( وَأَجْعَلْنَاهُ رَبِّ رَضِيئاً ) . . . وقوله ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) يقول تعالى ذكره ، فكان نداؤه الخفيّ الذي نادى به ربه أن قال : ( رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) يعني بقوله ( وَهَنَ ) ضعف ورقّ من الكبر : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) أي ضعف العظم مني .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ) قال : تحلّ العظم ، قال عبد الرزاق ، قال الثوري : وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة .

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشَّيْب ، فقال بعض نحوِّي البصرة : نصب على المصدر من معنى الكلام ، كأنه حين قال : اشتعل ، قال : شاب ، فقال : شَيْباً على المصدر . قال : وليس هو في معنى : تفتأت شحماً وامتلاأت ماء ، لأن ذلك ليس بمصدر . وقال غيره : نصب الشيب على التفسير ، لأنه يقال : اشتعل شيبُ رأسى ، واشتعل رأسى شيباً ، كما يقال : تفتأت شحماً ، وتفتأت شحمى . وقوله ( وَكَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيباً ) يقول : ولم أشق يا ربّ بدعائك ، لأنك لم تخيب دعائى قبل إذ كنت أدعوك في حاجتى إليك ، بل كنت تجيب وتقضى حاجتى قبلك : كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قوله ( وَكَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيباً ) يقول : قد كنت تعرفنى الإجابة فيما مضى :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰهَا وَكَانَتِ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا ، فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)

يقول : وإني خفت بنى عمى وعصبى من ورأى : يقول : من بعدى أن يرثونى ، وقيل : عنى بقوله ( مِنْ وَرَأَىٰهَا ) من قدامى ومن بين يديّ ؛ وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل : وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰهَا ) يعنى بالموالى : الكلالاة الأولياء أن يرثوه ، فوهب الله له يحيى : حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰهَا ) قال : العصبية :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( وَإِنِّي خِيفْتُ  
 الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : خاف موالى الكلاله .  
 حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح بنحوه .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( وَإِنِّي  
 خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : يعني الكلاله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال  
 ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا ) قال : العصبه .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( إِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ  
 مِثْرًا ) قال : العصبه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ مِثْرًا )  
 والموالى : هن العصبه ، والموالى : جمع مولى ، والمولى والولى في كلام العرب واحد . وقرأت قراء الأمصار  
 ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ ) بمعنى : الخوف الذي هو خلاف الأمن . وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه :  
 ( وَإِنِّي خِيفْتُ الْمَوَالِيَّ ) بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة ، كأنه وجه تأويل الكلام : وإني ذهبت عصبتي  
 ومن يرثني من بني أعمامى : وإذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالى مسكنة غير متحركة ، لأنها تكون  
 في موضع رفع بخيفت .

وقوله ( وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ) يقول : وكانت زوجتي لانلد ، يقال منه : رجل عاقر ، وامرأة عاقر  
 بلفظ واحد ، كما قال الشاعر :

لَيْسَ الْفَتَى أَنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُسِّرِي لَدَيْ كُلِّ مَخْضَرٍ

وقوله ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ) يقول : فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا .

وقوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) يقول : يرثني من بعد وفاتي مالى ، ويرث من آل يعقوب  
 النبوة ، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب .  
 وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله ( يَرِثُنِي وَيَرِثُ  
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) يقول : يرث مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل ، طبعة ليدن سنة ١٩١٣ . والرواية فيه « فبتس » في مكان : « لبتس » . وفي اللسان : العاقر  
 الذى لا تحمل ، ورجل عاقر : لا يولد له ، ونساء عقر ، ورجال عقر ، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة . وقد استشهد به المؤلف على  
 معنى العاقر ، في سورة آل عمران ( ٣ : ٢٥٧ ) وأعادته في هذا الموضع ، ومحل الاستشهاد في الموضعين واحد .



حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرث مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله  
 ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرثني مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله  
 ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : وكان  
 وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : كان  
 وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ،  
 في قوله ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : نبوته وعلمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي زَكَرِيَّا ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ مَالِهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لِي  
 مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ )  
 قال : كان الحسن يقول : يرث نبوته وعلمه . قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا  
 قرأ هذه الآية ، وأتى على ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : رحم الله زكريا ما كان عليه  
 من ورثته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم ، قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ زَكَرِيَّا وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةٍ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا إِنْ كَانَ  
 لَيْتًا وَيُؤَيِّدُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ،  
 يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) قال : يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي )  
 آلِ يَعْقُوبَ ) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة  
 ومكة وجماعة من أهل الكوفة ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ )  
 برفع الحرفين كليهما ، بمعنى : فهب لي الذي يرثني ويرث  
 من آل يعقوب ، على أن يرثني ويرث من آل يعقوب ، من صلة الولي : وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل  
 الكوفة والبصرة ( يَرْثُنِي وَيَرِثُ )  
 بجزم الحرفين على الجزاء والشرط ، بمعنى : فهب لي من لدنك وليا، فإنه

یرثنی إذا وهبته لی . وقال الذین قرءوا ذلك كذلك : إنما حسُن ذلك فی هذا الموضع ، لأن یرثنی من آية غیر التي قبلها . قالوا ، وإنما یحسُن أن یرثنی مثل هذا صلة ، إذا كان غیر منقطع عما هو له صلة ، كقوله ( رِذَاءٌ أَيْصَدُّ قِسْنِي ) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندی فی ذلك بالصواب : قراءة من قرأه برفع الحرفین علی الصلة للولی ، لأنّ الولی نكرة ، وأن زكريا إنما سأل ربه أن یرثه له ولیا یرثه بهذه الصفة ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه سأله ولیا ، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك ، كانت هذه صفة ، لأن ذلك لو كان كذلك ، كان ذلك من زكريا دخولا فی علم الغیب ، الذي قد حجبه الله عن خلقه . وقوله ( وَأَجْعَلُهُ رَبًّا رَضِيًّا ) يقول : واجعل یاربّ الولی الذي تهبه لی مرَضِيًّا ، ترضاه أنت ، ویرضاه عبادك ، دینا وخلقنا وخلقنا . والرضی : فعیل صرف من مفعول إليه .

#### القول فی تأویل قوله تعالى

يَزْكُرِيَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ، لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧)

يقول تعالى ذكره : فاستجاب له ربه ، فقال له : يا زكريا إنا نبشرك بيهبتنا لك غلاما اسمه يحيى . كان فتادة يقول : إنما سماه الله يحيى ، لإحيائه إياه بالإيمان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن فتادة ، قوله ( يا زكريا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ) : عبد أحياه الله للإيمان .

وقوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه لم تلد مثله عاقر قط .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ليحيى ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) يقول : لم تلد العواقر مثله ولدا قط .

وقال آخرون : بل معناه : لم نجعل له من قبله مثلا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا أبو الربيع ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : شديدا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : مثلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يسم باسمه أحد قبله .



ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) لم يسم به أحد قبله .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( كَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : لم يسم يحيى أحد قبله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قول الله ( كَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) قال : لم يسم أحد قبله بهذا الاسم .  
 حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، كَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) : لم يسم أحد قبله يحيى .  
 قال أبو جعفر : وهذا القول أعنى قول من قال : لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك ، وإنما معنى الكلام : لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى ، من قبله أحدا مسمى باسمه .  
 والسَّمِيُّ : فاعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبُّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا ۗ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۗ (٨)

يقول تعالى ذكره : قال زكريا لما بشره الله يحيى : ( رب أأنى يكون لي غلام ) ، ومن أنى وجه يكون لي ذلك ، وامرأتى عاقرة لا تحبل ، وقد ضعفت من الكبر عن مباحضة النساء ؟ أبأن تقوينى على ما ضعف عنه من ذلك ، وتجعل زوجتى ولودا ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتى العاقرة ، يستنبت ربّه الخبر ، عن الوجه الذى يكون من قبله له الولد ، الذى بشره الله به ، لأنكارا منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكارا ، لأن يرزقه الولد الذى بشره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك ، بقوله ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ) بعد قوله ( إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ، وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ) .

وقال السدي في ذلك ، ما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : نادى جبرائيل زكريا : ( إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، كَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ) . فلما سمع النداء ، جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله ، إنما هو من الشيطان ، يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك ، كما يوحى إليك غيره من الأمر ، فشك وقال : ( أأنى يكون لي غلام ) يقول : من أين يكون ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ ) .

وقوله ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) يقول : وقد عتوت من الكبر ففت تحيل العظام

يابسها ، يقال منه للعود اليابس : عود عاتٍ وعاسٍ ، وقد عتا يعْتُو عَيْتِيًّا وَعُسُوًّا ، وعسى يعسو عَيْسِيًّا وَعُسُوًّا ، وكل متناه إلى غايته في كبر أو فساد ، أو كفر ، فهو عاتٍ وعاسٍ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قد علمت السنة كلها ، غير أني لأدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ، ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) أو ( عَيْسِيًّا ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : يعني بالعَيْتِيَّ : الكبر . .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عِتِيًّا ) قال : نُحْوِلُ الْعِظْمَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : سنًا ، وكان ابن بِيضَعٍ وسبعين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : العَيْتِيَّ : الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) قال : هو الكبر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيَّ هَيْنٍ، وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ

لِي آيَةً ، قَالَ يَا أَيُّكَ الْأَتْكَلِمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)

بِسْمِ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : قَالَ اللَّهُ لِزَكَرِيَّا جَبِيلاً لَهُ : ( قَالَ كَذَلِكَ ) يَقُولُ : هَكَذَا الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ مِنْ أَنْ امْرَأَتُكَ عَاقِرٌ ، وَأَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ الْعَيْتِيَّ ، وَلَكِنْ رَبُّكَ يَقُولُ : خَلَقْتُ مَا بَشَّرْتُكَ بِهِ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ أَنْ اسْمُهُ يَحْيَى عَلِيَّ هَيْنٍ ، فَهُوَ إِذَنْ مِنْ قَوْلِهِ ( قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيَّ هَيْنٍ ) كِتَابَةٌ عَنِ الْخَلْقِ : وَقَوْلُهُ ( وَقَدْ خَلَقْتِكُمْ مِنْ قَبْلُ ) وَمِنْ قَبْلُ وَمِنْ قَبْلُ وَمِنْ قَبْلُ يَقُولُ : تَعَالَى ذَكَرَهُ وَلَيْسَ خَلْقٌ مَا وَعَدْتِكَ أَنْ أَهْبَهُ لَكَ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ أَمْرَهُ ، مِنْكَ مَعَ كِبَرِ سِنِكَ ، وَعَقْمِ زَوْجَتِكَ ، بِأَعْجَبٍ مِنْ خَلْقِكَ ، فَإِنِّي قَدْ خَلَقْتُكَ ، فَأَنْشَأْتُكَ بَشَرًا سَوِيًّا مِنْ قَبْلِ خَلْقِي مَا بَشَّرْتُكَ بِأَنِّي وَأَهْبَهُ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ، وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ،



فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر ، مع عيتك ووهن عظامك ، واشتعال شيب رأسك .  
وقوله ( قال رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ) يقول تعالى ذكره : قال زكريا : يا رب اجعل لي علما ودليلا  
على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام ، عن أمرك ورسالتك ، ليطمئن إلى ذلك قلبي .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قال رَبِّ اجْعَلْ لِي  
آيَةً ) قال : قال رب اجعل لي آية أن هذا منك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : قال رب فإن كان هذا الصوت منك ، فاجعل  
لي آية ، قال الله ( آيَتُكَ ) لذلك ( أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً ) يقول جل ثناؤه : علامتك لذلك ،  
ودليلك عليه : أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ وأنت سوى صحيح ، لاعلة بك من خرس ، ولا مرض يمنعك من الكلام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ( ثلاث ليالٍ  
سوياً ) قال : اعتقل لسانه من غير مرض .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثلاث  
ليالٍ سوياً ) يقول : من غير خرس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا  
ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : لا يمنعك من الكلام مرض .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ألا تكلم  
الناس ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال آيَتُكَ ألا تكلم الناس ثلاث  
ليالٍ سوياً ) من غير بأس ولا خرس ، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة ،  
أخذ بلسانه ، حتى ما كان يفيض الكلام إلا أوما إيماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، في قوله  
( ثلاث ليالٍ سوياً ) قال : سوياً من غير خرس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قال آيَتُكَ ألا تكلم  
الناس ثلاث ليالٍ سوياً ) وأنت صحيح ، قال : فحبس لسانه ، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا ، وهو  
في ذلك يسبح ، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل ، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه البياي ، قال :  
أخذ الله بلسانه من غير سوء ، فجعل لا يطبق الكلام ، وإنما كلامه لقومه بالإشارة ، حتى مضت الثلاثة  
الأيام التي جعلها الله آية لمصدق ما وعده من هبته له .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال آيَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ) يقول : من غير خَرَسٍ إلَّا رمزا ، فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال .  
وقال آخرون : السوي من صفة الأيام ، قالوا : ومعنى الكلام : قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قال آيَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ) : قال : ثلاث ليال متتابعات .

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

يقول تعالى ذكره : فخرج زكريا على قومه من مُصَلَّاه حين حُبس لسانه عن كلام الناس ، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد .

فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) قال : أشرف على قومه من المحراب .  
قال أبو جعفر : وقد بيننا معنى المحراب فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) قال : المحراب : مُصَلَّاه ، وقرأ ( فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ) : وقوله ( فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ) يقول : أشار إليهم ، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك ، مما يفهم به عنه ما يريد . وللعرب في ذلك لغتان : وَحَى ، وَأَوْحَى ، فمن قال : وَحَى ، قال في يفعل : يَحْيِي ؛ ومن قال : أَوْحَى ، قال : يُوحِي ، وكذلك أَوْمَى وَوَمَى ، فمن قال : وَمَى ، قال في يفعل : يَمِي ؛ ومن قال أَوْمَى ، قال يُومِي .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه ، فقال بعضهم : أوحى إليهم إشارة باليد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَأَوْحَى ) : فأشار زكريا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) قال : الوحي : الإشارة .



حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) قال : أوحى إليهم .

وقال آخرون : معنى أوحى : كتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمود بن خداش ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفیان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : كتب لهم في الأرض .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) قال : كتب لهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ) فكتب لهم في كتاب ( أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) ، وذلك قوله ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) .  
وقال آخرون : معنى ذلك : أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : ما أدري كتابا كتبه لهم ، أو إشارة أشارها ، والله أعلم . قال : أمرهم أن سَبَّحُوا بكرة وعشيا ، وهو لا يكلمهم .

وقوله ( أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح ، وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عَسَى به التسبيح الذي هو ذكر الله ، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ، ويجوز أن يكون عَسَى به الصلاة ، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين .  
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ) أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : أَوْحَى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰٓيٰحْيٰى خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ ، وَاَتَيْنٰهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكٰوَةً ، وَكَانَ

تَقِيًّا (١٣)

يقول تعالى ذكره : فولد لذكرى يحيى ، فلما ولد ، قال الله له : يا يحيى ، خذ هذا الكتاب بقوة ، يعنى كتاب الله الذى أنزله على موسى ، وهو التوراة . بقوة ، يقول : بجده .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ ) قال : بجده .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) قال : بجِدِّ .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) قال : القوة : أن يعمل ما أمره الله به ، ويجانب فيه ما نهاه الله .  
قال أبو جعفر : وقد بينت معنى ذلك بشواهد فيها مضى من كتابنا هذا ، في سورة آل عمران ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال .

وقد حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني معمر ، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) قال : باغى أن الصبيان قالوا ليحيى : اذهب بنا نلعب ، فقال : ما للعب خلقتُ ، فأنزل الله ( وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ) .

وقوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول تعالى ذكره : ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا .  
وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان ، فقال بعضهم : معناه : الرحمة ، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : ورحمة من عندنا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، في هذه الآية ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة من عندنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاک ، قوله : ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : رحمة من عندنا ، لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ورحمة من عندنا لذكرنا ، آتيناه الحكم صبيا ، وفضلنا به الذي فعلنا .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول :  
رحمة من عندنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : وتعطفنا من عندنا عليه ، فعلنا ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : تعطفنا من  
ربه عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : بل معنى الحنان : المحبة . ووجهوا معنى الكلام إلى : ومحبة من عندنا فعلنا ذلك :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا )  
قال : محبة عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَحَنَانًا ) قال : أما الحنان  
فالمحبة .

وقال آخرون معناه تعطفنا منا له :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء بن  
أبي رباح ( وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا ) قال : تعطفنا من لدنا . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :  
لأدرى ما الحنان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار  
أنه سمع عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله ما أدرى ما حنانا . وللعرب في حَنَانِكَ لغتان : حَنَانُكَ  
ياربنا ، وحَنَانِيكَ ؛ كما قال طرفة بن العبد في حنانيك :

أبا مُتَدِيرٍ أَفْتَنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ ١

وقال امرؤ القيس في اللغة الأخرى :

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري (اللسان : حنن) . والشاهد في قوله حنانيك ، أي تحننا على بعد تحنن . وحكي الأزهرى عن  
البيت : حنانيك يا فلان افعل كذا ، ولا تفعل كذا ، يذكره الرحمة والبر ، وأنشد بيت طرفة . قال ابن سيده : وقد قالوا حنانا ،  
فصلوه من الإضافة في حد الأفراد ، وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل .

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيْزُهُمْ حَنَّانَكَ ذَا الْحَنَّانِ ۱

وقد اختلف أهل العربية في « حنانك » فقال بعضهم : هو تثنية « حنان » . وقال آخرون : بل هي لغة ليست بتثنية ؛ قالوا : وذلك كقولهم : حَوَالِكَ ؛ وكما قال الشاعر :

ضَرَبَا هَذَا ذَيْكَ وَطَعْنَا وَخَصَا ۲

وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانك تثنية ، في أن كل ذلك تثنية . وأصل ذلك أعنى الحنان ، من قول القائل : حنّ فلان إلى كذا ، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق ، ثم يقال : تحنّ فلان على فلان ، إذا وصف بالتعطف عليه والرقّة به ، والرحمة له ، كما قال الشاعر :

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ۳

بمعنى : تعطف عليّ . فالحنان : مصدر من قول القائل : حنّ فلان على فلان ، يقال منه : حننت عليه ، فأنا أحنّ عليه حنيناً وحناناً ، ومن ذلك قيل لزوجة الرجل : حننته ، لتحننه عليها وتعطفه ، كما قال الراجز :

وَلَيْلَةَ ذَاتِ دُجَى سَرَيْتُ وَأَمَّ تَضِيرِي حَنَّةً وَبَيْتُ ۴

وقوله ( وَزَكَاةٌ ) يقول تعالى ذكره : وآتينا يحيى الحكيم صبياً ، وزكاة : وهو الطهارة من الذنوب ، واستعمال بدنه في طاعة ربه ، فالزكاة عطف على الحكيم من قوله ( وآتيناَهُ الْحُكْمَ ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَزَكَاةٌ ) قال : الزكاة : العمل الصالح . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَزَكَاةٌ ) قال : العمل الصالح الزكوى .

( ١ ) البيت لامرئ القيس بن حجر ( اللسان : حنن ) و ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا طبعة الخليلي من ١١٠ ) قال شارحه ويمنحها : هذه رواية الأصمعي ، أي يعطيها . ويروي : ويمنعا ، وهي أشبه بمعنى البيت . وقوله حنانك ذا الحنان : فسرّه ابن الأعرابي : رحمتك يا رحمن ، فأعنى عنهم . وعلى أية حال . قال الشاعر برم بمجاورة بني شمجى بن جرم ، متسخط فعلهم ، زار عليهم ، إذ منعه المعزى . فأما إذا منحوه إياها ( على رواية الأصمعي ) فإنه يكون ساخطاً ، لا اضطرابه إلى أن يقبل منح أمثالهم ، مع ماله من الشرف والعراقة في الملك ؛ كأنه يقول في نفسه : أبعد ما كان لنا من العز الشامخ ، تذلّ نفسي وتضطر إلى قبول المنح والصلوات من الناس . وفي اللسان : فرواية ابن الأعرابي تسخط وذم ، وكذلك تفسيره ؛ ورواية الأصمعي : تشكر وحمد ودعاء لهم ، وكذلك تفسيره .

( ٢ ) البيت في ( اللسان : هذ ) غير منسوب . قال : الهد والهدذ : سرعة القطع ، وسرعة القراءة . قال : ضرباً هذا ذلك : أي هذا بعد هذا ، يعنى قطعاً بعد قطع . وعلى هذا استشهد به المؤلف . . . والوخض : إذا خالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ ، فذلك الوخض ، والوخض . ا . يقال : وخضه بالرمح وخضاً .

( ٣ ) البيت للمحيطية ( لسان العرب : حنن ) . قال : وحنن عليه : ترحم ، وأنشد ابن بري للمحيطية : تحنن على . . . البيت . ( ٤ ) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبي محمد الفقعسي ، وبينهما بيت ثالث ، وهو قوله « ولم يلني عن سراها ليت » ( اللسان : حنن ) . وقد استشهد بالبيتين الأولين منهما صاحب اللسان في ( ليت ) . واستشهد بهما المؤلف في أول الجزء الخامس عشر عند تفسير قوله تعالى « سبحانه الذي أسرى بعبده » وموضع الشاهد هنا في البيت الثالث وهو قوله : « حنة » . قال : وحنة الرجل : امرأته ، قال أبو محمد الفقعسي : « وليلة » . . . الخ الأبيات الثلاثة . قال : وهي طله وكتيبته ونهفته وحاصفته وحاضفته .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَزَكَاتٌ ) يعني العمل الصالح الزاكي .  
 وقوله ( وَكَانَ تَقِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وكان لله خائفا مؤدباً فرائضه ، مجتنباً محارمه مسارعاً في طاعته .  
 كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَزَكَاتٌ وَكَانَ تَقِيًّا ) قال : طهر فلم يعمل بذنوب .  
 حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَزَكَاتٌ وَكَانَ تَقِيًّا ) قال : أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

يقول تعالى ذكره : وكان برًّا بوالديه ، مسارعاً في طاعتهما ومحبتهما ، غير عاقٍ بهما ( وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ) يقول جل ثناؤه : ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه ، ولكنه كان لله ولو والديه متواضعاً متذللاً ، يأتمر لما أمر به ، وينتهي عما نهى عنه ، لا يعصيه ربه ، ولا والديه .  
 وقوله ( عَصِيًّا ) فعيل بمعنى أنه ذوعصيان ، من قول القائل : عصى فلان ربه ، فهو يعصيه عصياً .  
 وقوله ( وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من سوء ، بما ينال به بنى آدم ، وذلك أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا » .  
 حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( جَبَّارًا عَصِيًّا ) قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْتَقِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا ذَا ذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا » .  
 قال : وقال قتادة : ما أذنبت ، ولا هم بامرأة .

وقوله ( وَيَوْمَ يَمُوتُ ) يقول : وأمان من الله تعالى ذكره له من فتنة القبر ، ومن هول المطلع ( وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) يقول : وأمان له من عذاب الله يوم القيامة ، يوم الفرع الأكبر ، من أن يروعه شيء ، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق .

وقد ذكر عن ابن عيينة في ذلك ما حدثني أحمد بن منصور الفيروزي ، قال : أخبرني صدقة بن الفضل

قال : سمعت ابن عطية يقول : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم ، قال : فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال ( وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن قال : إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى : استغفر لي ، أنت خير مني ، فقال له الآخر : استغفر لي ، أنت خير مني ، فقال له عيسى : أنت خير مني ، سأمت على نفسي ، وسلّم الله عليك ، فعرف والله فضالها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمُ إِذِ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) ، فَأَتَتْهُم مِّنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكريا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم بنت عمران ، حين اعزلت من أهلها ، وانفردت عنهم ، وهو افتعل من التنبذ ، والتبذ : الطرح ، وقد بينا ذلك بشواهد في ماضي قبل .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمُ إِذِ اتَّبَعَتْ ) أي انفردت من أهلها .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كندة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( إِذِ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ) قال : خرجت مكانا شرقيا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خرجت مريم إلى جانب الخراب لحيض أصابها ، وهو قوله : ١ فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا : في شرق الخراب .

وقوله ( مَكَانًا شَرْقِيًّا ) يقول : فتنحت واعزلت من أهلها في موضع قبيل مشرق الشمس دون مغربها كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَكَانًا شَرْقِيًّا ) قال : من قبيل المشرق .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : إنى لأعلم خلق الله لأى شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة ؟ لقول الله : فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة .

(١) كذا هنا ، وفي موضعين بعد : فانتبذت ، والقراءة : إذ اتبذت .



حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله .  
 حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : أخبرنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت ، والحج لله ، وما صرفهم عنهما إلا قيل ربك ( فانتبذت من أهلها مكانا شرقياً ) فصلوا قبل مطلع الشمس .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً )  
 قال : شاسعا متنحيا ، وقيل : إنها إنما صارت بمكان يلي مشرق الشمس ، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيرا مما يلي المغرب ، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب .

وقوله ( فانتبذت من ذويهم حجابا ) يقول : فانتبذت من دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس . وذكر عن ابن عباس ، أنها صارت بمكان يلي المشرق ، لأن الله أظلمها بالشمس ، وجعلها منها حجابا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( انتبذت من أهلها مكانا شرقياً ) قال : مكانا أظلمها الشمس أن يراها أحد منهم .  
 وقال غيره في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فانتبذت من ذويهم حجابا ) من الجدران .

وقوله ( فأرسلنا إليها روحنا ) يقول تعالى ذكره : فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، وانتبذت من ذويهم حجابا : جبريل .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأرسلنا إليها روحنا ) قال : أرسل إليها فيما ذكر لنا جبريل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فأرسلنا إليها روحنا ) قال : جبريل .

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل بن أخي وهب ، قال : سمعت وهب بن منبه ، قال : أرسل الله جبريل إلى مريم ، فتمثل لها بشرا سويا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فلما طهرت ، يعني مريم من حيضها ، إذا هي برجل معها ، وهو قوله ( فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لنا بشرا سويا ) يقول تعالى ذكره : فتشبه لها في صورة آدمي سوى الخلق منهم ، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق .

القول فی تاویل قول تعالیٰ

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ

لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)

يقول تعالیٰ ذكره : فخافت مریم رسولنا ، إذ تمثّل لها بشرا سويا ، وظنته رجلا يريد لها على نفسها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) قال : خشيت أن يكون إنما يريد لها على نفسها .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ) فلما رآته فرغت منه وقالت : ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) فقالت : إِنِّي أَعُوذُ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ، تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له ، تتقّى محارمه ، وتجتنب معاصيه ، لأن من كان لله تقيا ، فإنه يجتنب ذلك . ولو وجه ذلك إلى أنها عنّت : إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا الله في استجارتى واستعاذتى به منك ، كان وجهها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لابنهم ، عن وهب بن منبه ( قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم :  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : قال ابن زيد : وذكر قصص مریم فقال : قد علمت أن التقى ذو نبيه حين قالت ( إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) قال إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ يقول تعالیٰ ذكره : فقال لها روحنا : إنما أنا رسول ربك يا مریم ، أرسلني إليك ، ( لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو ( لِأَهَبَ لَكَ ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك : يقول : أرسلني إليك لأهب لك ( غُلَامًا زَكِيًّا ) على الحكاية . وقرأ ذلك أبو عمرو و بن العلاء ( لِیَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك ، أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قراء الأمصار ، وهو ( لِأَهَبَ لَكَ ) بالألف دون الياء ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين ، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم ، غير أبي عمرو ، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم ، والغلام الزكى : هو الطاهر من الذنوب ، وكذلك تقول العرب : غلام زكٍ وزكى ، وعال وعلى .

القول فی تاویل قول تعالیٰ

قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ، وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٣٠) قَالَ ، كَذَلِكَ ، قَالَ رَبُّكِ

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)



يقول تعالى ذكره : قالت مريم لجبريل ( أَتَى بِكُونُ لِي غَلَامٌ ) من أى وجه يكون لى غلام ؟ أمن قبيل زوج أتزوج ، فأرزقه منه ، أم يتدى الله فى خلقه ابتداء ( وَكَمْ يَمَسُّنِي بِشَرٌّ ) من ولد آدم بنكاح حلال ( وَكَمْ أَلُ ) إذ لم يمسنى منهم أحد على وجه الحلال ( بَغِيًّا ) بغيت ، ففعلت ذلك من الوجه الحرام ، فحملته من زنا .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَكَمْ أَلُ بَغِيًّا ) يقول : زانية ( قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَسِينٌ ) يقول تعالى ذكره : قال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسك بشر ، ولم تكونى بغيا ، ولكن ربك قال : هو على هين : أى خلقت الغلام الذى قلت أن أهبه لك على هين ، لا يتعذر على خلقه ، وهبته لك من غير فحل يفتحك .

وقوله ( وَلَيَنْجَعَنَّ لَهُ آيَةٌ لِلنَّاسِ ) يقول : وكى نجعل الغلام الذى نهبه لك علامة وحجة على خلقي ، أهبه لك . ( وَرَحْمَةً مِنَّا ) يقول : ورحمة منا لك ، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك ( وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ) يقول : وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ، ومضى فى حكمه وسابق علمه أنه كائن منك :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : نبي من لآتهم ، عن وهب بن منبه ( وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ) أى إن الله قد عزم على ذلك ، فليس منه بد .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَأُتْبِدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٣) ﴾

وفى هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه ( فَتَنَفَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) بغلام ، ( فَحَمَلَتْهُ ، فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) . وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : نبي عبد الصمد بن معقل بن أخى وهب بن منبه ، قال : سمعت وهبا قال : لما أرسل الله جبريل إلى مريم ، تمثل لها بشراسويا ، فقالت له ( لَأَنى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ) ، ثم نفخ فى جيب درعها ، حتى وصلت النفخة إلى الرحم ، فاشتملت . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لآتهم ، عن وهب بن منبه النخلى ، قال : لما قال ذلك ، يعنى لما قال جبريل ( قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَسِينٌ ) . . . الآية ، استسلمت لأمر الله ، فنفخ فى جيبها ، ثم انصرف عنها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : طرحت عليها جلبابها ، لما قال جبريل ذلك لها ، فأخذ جبريل بكميها ، فنفخ فى جيب درعها ، وكان مشقوقا من قدامها ، فدخلت النفخة صدرها ، فحملت ، فأنثها أنثها امرأة زكريا ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمها ، فقالت امرأة

زكريا : يا مریم أشعرت أنى حبلى ، قالت مریم : أشعرت أيضا أنى حبلى ، قالت : امرأة زكريا : إني وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله ( مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : يقولون : إنه إنما تفتح فى جيب درعها وكها .

وقوله ( فَاَنْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) يقول : فاعتزلت بالذى حملته ، وهو عيسى ، وتنهت به عن الناس مكانا قصيا : يقول : مكانا نائيا قاصيا عن الناس ، يقال : هو بمكان قاص ، وقصى : بمعنى واحد ، كما قال الراجز :

لَتَقْعُدَنَّ مَقْعَدَ الْقَصِيِّ مِثِّي ذِي الْقَاذُورَةِ الْمُقْلِيِّ<sup>١</sup>

يقال منه : قصا المكان يقصو قصوا : إذا تباعد ، وأقصيت الشيء : إذا أبعدته وأخرته .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاَنْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) قال : مكانا نائيا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَكَانًا قَصِيًّا ) قال : قاصيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما بلغ أن تضع مریم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقى منه ، فأنت أقصاه .

وقوله ( فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ) يقول تعالى ذكره : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة . ثم قيل : لما أسقطت الباء منه أجاءها ، كما يقال : أتيتك بزبد ، فإذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا ، كما قال جل ثناؤه ( آتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ ) والمعنى : آتوني بزُبْرَ الحديد ، ولكن الألف مدّت لما حذفت الباء ، وكما قالوا : خرجت به وأخرجته ، وذهبت به وأذهبت ، وإنما هو « أَفْعَلٌ » من المجيء ، كما يقال : جاء هو ، وأجأته أنا : أى جئت به ، ومثل من أمثال العرب : « شَرَّ مَا أَجَاءَنِي إِلَى مُخْتَةِ عَرْقُوبٍ » ، وأشاء ويقال : شَرَّ مَا يُجِيئُكَ وَيُشِيئُكَ إِلَى ذَلِكَ ؛ ومنه قول زهير :

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج الراجز ( انظر فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد للمعنى ص ١١٥ - ١١٦ ) وبعدهما بيتان

آخران وهما :  
أو تحصلق بريك العسل أن أبو ذهاك الصبى

ومقعد القصى : إما مفعول مطلق ، على أن يكون المقعد بمعنى التعمود أو على أنه مفعول فيه ، أى فى مقعد القصى ، أى البعيد ، من قصا المكان يقصو : إذا بعد . ويقال رجل قاذورة : أى لا يخالط الناس ، لسوء خلقه . والمقل المبعض من قلاء يقليه قل بالكسر . وهما صفتان للقصى . وفى ( لسان العرب : قصا ) قصاعته قصوا ، وقصوا وقصا وقصاه ، وقصى ( بكسر الصاد ) : بعد . وقصا المكان يقصو قصوا ( على فعول ) : بعد . والقصى والقاصى : البعيد ، والجمع : أقصاء قبيها ، كشاهد وأشهد ، ونصير وأنصار .



وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ<sup>١</sup>

يعنى : جاء به ، وأجاءه إلينا وأشاءك : من لغة تميم ، وأجاءك من لغة أهل العالية ، وإنما تأول من تأول ذلك بمعنى : أبلأها ، لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة ، كان قد أبلأها إليه :  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فأجاءها المخاض ) قال : المخاض أبلأها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أبلأها المخاض . قال ابن جريج : وقال ابن عباس : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة : حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ) يقول : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ) قال : اضطرها إلى جذع النخلة .

واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت مريم بعبسى لوضعها ، وأجاءها إليه المخاض ، فقال بعضهم : كان ذلك فى أدنى أرض مصر ، وآخر أرض الشام ، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت ، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما اشتملت مريم على الحمل ، كان معها قرابة لها ، يقال له يوسف النجار ؛ وكانا منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون ، وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم ، فكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد ، فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا يليان معالجه بأنفسهما ، تحبيره وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما ، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ؛ فلما رأى الذى بها استفظعه ، وعظم عليه ، وفطس به ، فلم يدر على ماذا يضع أمرها ، فإذا أراد يوسف أن يتهمها ، ذكر صلاحها وبراعتها ، وأنها لم تغب عنه ساعة قط ؛ وإذا أراد أن يبرئها ، رأى الذى ظهر عليها ؛ فلما اشتد عليه ذلك كلمها ،

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (اللسان : جيا) . قال : وأجاءه إلى شئ . جاء به ، وأجاءه ، واضطره إليه . قال زهير بن أبي سلمى : « وجار . . . البيت . قال الفراء : أصله من جئت ، وقد جعلته العرب إجماء . وفى المثل : « شر ما أجاءك إلى نخة العرقوب ، وشر ما يجيئك إلى نخة عرقوب » قال الأصمى : وذلك أن العرقوب لا يخ فيه ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شئ . ومنهم من يقول : شر ما أبلأك : والمعنى واحد . وتميم تقول : شر ما أشاءك .

فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيتك ، وقد حرّصت على أن أميته وأكتمه في نفسي ، فغلبني ذلك ، فرأيت الكلام فيه أشنى لصدرى . قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول لك إلا ذلك ، فحدثيني ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم . قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكّر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ؟ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده ، أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟ قال يوسف لها : لأقول هذا ، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كمن فيكون ، قالت مریم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك ، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ، ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفها كل عمل كانت تعمل فيه ، وذلك لما رأى من رقة جسمها ، واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، وتورّ بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ، ولم تكن مریم قبل ذلك كذلك ، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيروك ، وقتلوا ولدك ، فأفضت ذلك إلى أخيها ، وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى ، فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خراً لوجهه ساجداً معترفاً لعيسى ، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء ، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها ، أدرك مریم النفاس ، أبلجها إلى أرى حمار ، يعنى مذود الحمار ، وأصل نخلة ، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً « الشك من أبي جعفر » ، فاشتدّ على مریم الخناص ، فلما وجدت منه شدة ، التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محديقين بها .

وقد روى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا ، وذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما حضر ولادها ، يعنى مریم ، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق ، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء ، حتى تدرکہا الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم ، فأجاءها الخناص إلى أصل نخلة ، إليها مذود بقرة ، تحبها ربيع من الماء ، فوضعت عندها . وقال آخرون : بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه ، فأنت أقصاه ، فأبلجها الخناص إلى جذع النخلة ، وذلك قول السدى ، وقد ذكرت الرواية به قبل .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ما هي إلا أن حملت فوضعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول : ليس إلا أن حملت فولدت .



وقوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ) ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) تقول : يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه ، والحزن بولادتي المولود من غير بعول ، وكنت نسيًا منسياً : شيئاً نسي فترك طلبه ، كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسي . ونسي بفتح النون وكسرهما هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد ، مثل الوتر والوتر ، والجسر والجسر ، وبأيهما قرأ القاري فصيح عندنا ، وبالكسر قرأت عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ، وبالفتح قرأه أهل الكوفة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًا تَقْصُهُ إِذَا مَا غَدَتُ وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ

ويعنى بقوله : تقصه : تطلبه ، لأنها كانت نسيت حتى ضاع ، ثم ذكرته فطلبته ، ويعنى بقوله : تبلت : تحسن وتصدق ، ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صواباً ، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول : نسيت نسيانا ونسياً ، كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصبي الشيطان ، يعنى وعصيان ، وكما تقول أتيته إتيانا وأتيتها ، كما قال الشاعر :

أَتَيْتُ الْفَوَاحِشَ فِيهِمْ مَعْرُوفَةً وَيَرَوْنَ فِعْلَ الْمَكْرُمَاتِ حَرَامًا

وقوله ( مَنَسِيًّا ) مفعول من نسيت الشيء ، كأنها قالت : ليتني كنت الشيء الذي ألقى ، فترك ونسي . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) لم أخلق ، ولم أك شيئاً . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) يقول : نسيًا : نسي ذكرى ، ومنسياً : تقول : نسي أثرى ، فلا يرى لى أثر ولا عين . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًّا ) : أى شيئاً لا يعرف ولا يذكر .

(١) البيت الشنفرى (اللسان : نسي) قال : والنسي : الشيء المنسى الذي لا يذكر . وقال الأعشى : النسي : ما أهفل من شيء حقير ونسي . وقال الزجاج النسي في كلام العرب الشيء المطروح ، لا يؤبه له . وقال الشنفرى : « كأن لها . . . البيت . قال ابن بري : بلى ، بالفتح : إذا قطع ، وبلى بالكسر : إذا سكن . وقال الفراء : النسي والنسي ( بكسر النون المشددة وفتحها ) لغتان فيما تلقيه المرأة من خرق اعتلاها (حيضها) مثل وتر ووتر . قال ولو أراد بالنسي (بالفتح) مصدر النسيان ، كان صواباً . (٢) في (اللسان : أتى) : الإتيان : المجهى . أتيتها أتياً وإتياناً وإتيانة ومأناة : جته . واستشهد المؤلف بالبيت على أن العرب تقول نسيت نسيانا ونسياً ، كما تقول أتيتها إتيانا وأتياً . وقوله معروفة : أنت الخبر بالتاء مع أن المبتدأ وهو الأتى مذكر ، لكننا أضيف إلى الفواحش ، وهي جمع فاحشة . اكتسب منها التأنيث . فذلك أنت الخبر بالتاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَكُنْتُ نَسِيًا مِّنْسِيًّا ) قال : لا أعرف ولا يدري من أنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ( نَسِيًا مِّنْسِيًّا ) قال : هو السقط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مِّنْسِيًّا ) لم أكن في الأرض شيئاً قط .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَىٰ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) بمعنى : فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله ، فمن متأول منهم إذا قرأه ( مِن تَحْتِهَا ) كذلك ، ومن متأول منهم ، أنه عيسى ، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته . وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) بفتح التاءين من تحت ، بمعنى : فناداها الذي تحتها ، على أن الذي تحتها عيسى ، وأنه الذي نادى أمه .

ذكر من قال : الذي ناداها من تحتها الملك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت ابن عباس قرأ ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) بمعنى : جبرائيل .

حدثني أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس ، قال : أخبرنا عبّثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : الذي ناداها الملك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا الرفاعي ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأها كذلك . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ( فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ) قال : جبرائيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) : أى من تحت النخلة .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَنَادَاهَا ) جبرائيل ( مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَاتَحْزَنِي ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : المَلَكُ .

حدثت عن الحسين ، قال سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) يعنى : جبرائيل ، كان أسفل منها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها .

ذكر من قال : ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال : عيسى بن مريم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) ابنها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هو ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( فَنَادَاهَا )

عيسى ( مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَاتَحْزَنِي ) .

حدثنى أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن

ثابت بن عجلان ، عن سعيد بن جبير ، قوله ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال عيسى : أما تسمع الله يقول :

( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قال عيسى :

ناداها ( أَنْ لَاتَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ) .

حدثت عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى

ابن كعب قال : الذى خاطبها هو الذى حمته فى جوفها ، ودخل من فيها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندنا قول من قال : الذى ناداها ابنها عيسى ، وذلك أنه من

كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل ، فردّه على الذى هو أقرب إليه ، أولى من ردّه على الذى هو أبعد

منه . ألا ترى فى سياق قوله ( فَحَمَلْتَهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ) يعنى به : فحملت عيسى ، فأنبذت

به ، ثم قيل : فنأداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخير عنه . ولعله أخرى ، وهي قوله ( فَأَشَارَتْ  
إِلَيْهِ ) ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك ، ولذی كانت قد عرفت ووثقت به  
منه بمخاطبته إياها بقوله لها ( أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) وما أخبر الله عنه أنه قال لها  
أشيرى للقوم إليه ، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل ، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر ، مبيناً أن عيسى  
سينطق ، ويحتج عنها للقوم ، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله .

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بيننا ، فبين أن كلتا القراءتين ، أعنى ( مِنْ تَحْتِهَا )  
بالكسر ، و ( مَنْ تَحْتِهَا ) بالفتح صواب . وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله ( فنأداها ) ذكر  
من عيسى . وإذا قرئ ( مَنْ تَحْتِهَا ) بالفتح ، كان الفعل لمن وهو عيسى . فتأويل الكلام إذن : فنأداها  
المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا )

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فنأداها مِنْ تَحْتِهَا )  
أَنْ لَا تَحْزَنِي ) قالت : وكيف لأحزن وأنت معي ، لا ذات زوج فأقول من زوج ، ولا مملوكة فأقول  
من سيدي ، أى شيء عذرى عند الناس ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ) ، فقال لها  
عيسى : أنا أكفيك الكلام .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالسري في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به : النهر الصغير .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ( قَدْ  
جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : الجداول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول  
في هذه الآية : ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : الجداول .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ جَعَلَ  
رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) وهو نهر عيسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : السري : النهر الذي كان تحت مريم حين ولده ، كان  
يجرى يسمى سرياً .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبير ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال في هذه  
الآية ( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : السري : نهر يشرب منه .

حدثنا يعقوب وأبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، في قوله  
( قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ) قال : هو الجداول .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سرياً) قال : نهر بالسريانية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : نهر إلى جنبها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : كان سرياً ، فقال حميد بن عبد الرحمن : إن السرى : الجداول ، فقال : غلبتنا عليك الأمراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : هو الجداول ، النهر الصغير ، وهو بالنبطية : السرى .  
حدثني أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان قال : سألت سعيد بن جبيرة ، عن السرى ، قال : نهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : النهر الصغير .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : هو النهر الصغير : يعني الجداول ، يعني قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک ، قال : جدول صغير بالسريانية .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تَحْتَكِ سَرِيًّا) : الجداول الصغير من الأنهار .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : هو الجداول ، تسميه أهل الحجاز .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله (سَرِيًّا) قال : هو جدول .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني ربيع الماء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : هو النهر .  
وقال آخرون : عنى به عيسى .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسرى : عيسى نفسه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا)

تَحْتَكِ سَرِيًّا) یعنی نفسه ، قال : وأى شيء أسرى منه ، قال : والذين يقولون : السرى : هو النهر ليس كذلك النهر ، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها ، ولا يكون النهر تحتها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قيل من قال : عنى به الجدول ، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها ، وقال لها ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي ) من هذا الرطب ( وَأَشْرَيْ نِي ) من هذا الماء ( وَقَرَّتْ عَيْنَا ) بولدك ، والسرى معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قَلَامَهَا

ويروى مبدأ مسجورة ، ويروى أيضا : فغادرا .

وقوله ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا ، وأمرها أن تهزه ، وذلك في أيام الشتاء ، وهزه إياه كان تحريكه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) قال : حركها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) قال : كان جذعا يابسا ، فقال لها : هزبه ( تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نبيك يقول : كانت نخلة يابسة .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول في قوله ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ) وكان جذعا منها مقطوعا فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في الحراب نهر ، فتساقطت النخلة رطبا جنيا ( فَكُلِي وَأَشْرَيْ نِي ) .

(۱) البيت لبيد بن ربيعة العامري ، من معلقته المشهورة ( انظره في شرح الزوزني على المعلقات السبع ، وفي شرح التبريزي على القصائد العشر ، وفي جوهرة أشعار العرب ص ۶۳ - ۷۴ ) . قال صاحب الجمهرة : توسطاً ؛ أي دخلاً وسطه . وعرض السرى : أي ناحية النهر ، وأهل الحجاز يسمون النهر سرياً . وصدعا : أي فرقا . ومسجورة : أي عينا مملوءة ؛ قال الله تعالى : « والبحر المسجور » . وأقلامها ، ويروى قلامها ، وهو ضرب من شجر الحمض ، والأقلام : قصب البراع . وقال الزوزني : يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير ، وشقا عينا مملوءة ماء ، قد تجاوز قلامها ، أي قد كثر هذا الضرب من الثبت عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عينا مملئة ماء ، فدخلا فيها من عرض نهرها ، وقد تجاوز نبتها . والشاهد في قوله « السرى » ، وهو اسم للنهر الصغير . (۲) كذا في المخطوطة بغير نقط ، ولم نقت على هذه الرواية .



وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهزى إليك بالنخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال مجاهد ( وهزى إليك  
بجذع النخلة ) قال : النخلة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله  
( وهزى إليك بجذع النخلة ) قال : العجوة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، أنه تلا هذه الآية  
( وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ) قال : فقال عمرو : ما من شيء خير  
للنساء من التمر والرطب ، وأدخلت الباء في قوله ( وهزى إليك بجذع النخلة ) كما يقال : زوجتك  
فلانة ، وزوجتك بفلانة ؛ وكما قال : تنبت بالدهن ، بمعنى : تنبت الدهن . وإنما فعل العرب ذلك ، لأن  
الأفعال تكتى عنها بالباء ، فيقال إذا كئيت عن ضربت عمرا : فعلت به ، وكذلك كل فعل ، فلذلك تدخل  
الباء في الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى ؛ فمعى الكلام : وهزى إليك جذع النخلة ،  
وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك : وهزى إليك رطبا بجذع النخلة ، بمعنى : على جذع النخلة  
وجها صحيحا ، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك . ومن الشاهد على دخول الباء في موضع  
دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر :

بِوَادِ يَمَانَ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّيْبَانِ

واختلف القراء في قراءة قوله ( تساقط ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة ( تساقط )  
بالتاء من تساقط وتشديد السين ، بمعنى : تساقط عليك النخلة رطبا جنيا ، ثم تُدغم إحدى التاءين في  
الأخرى فتشدد ٢ ، وكان الذين قرءوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام : إلى وهزى إليك بجذع النخلة  
تساقط النخلة عليك رطبا . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة ( تساقط ) بالتاء وتخفيف السين ، ووجه معنى

(١) في (اللسان : سدر) السدر : شجر التيق ، واحدها سدره . والمرخ : شجر كثير الوري سريعه . وفي (اللسان : شبه)  
الشبهان : نبت يشبه الخثام ، ويقال له الشبهان . قال ابن سيده : والشبهان (بالتحريك) والشبهان (بضمين) : ضرب من الغصاء ؛  
وقيل : هو الخثام ، يمانية ، حكاه ابن دريد . قال رجل من عبد القيس : « بواد يمان ينبت الشث صدره » . . . البيت . قال  
ابن بري قال أبو عبيدة : البيت للأحول اليشكري . واسمه يعل . قال : وتقديره : وينبت أسفل المرخ . على أن تكون الباء زائدة .  
وإن شئت قدرته : وينبت أسفل المرخ ، فتكون الباء لتعدية ، لما قدرت الفعل ثلاثيا . وفي الصحاح : وقيل : الشبهان : هو الخثام من  
الرياحين . و (في اللسان : شث) الشث : ضرب من الشجر عن ابن دريد ، وأنشده البيت : « بواد يمان ينبت الشث فرعه » الخ .  
وقيل : الشث شجر مليب الريح مر الطعام ، يدغ به . قال أبو الدقيش : وينبت في جبال الغور وتهامة ونجد . والبيت شاهد على أن الباء  
في قوله « بالمرخ » زائدة ، دخولها كخروجها ، وهي مثل الباء في قوله تعالى : وهزى إليك بجذع النخلة . قال في (اللسان : هز) الهز :  
تحريك الشيء ، كما تهر القنائة ، فتضطر ب وتهز . وهزه يهزه هزا ، وهز به . وفي التنزيل العزيز « وهزى إليك بجذع النخلة » أي  
حركي . والعرب تقول : هزه وهز به إذا حركه . ومثله : غد الحطام ، وغد بالخطام ، وتعلق زيدا وتعلق يزيد . قال ابن سيده : وإنما  
عده بالباء ، لأن في هز معنى جرى ، (أمر من الجر) .

(٢) عبارة الجلالين : بتأمين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين .

الكلام ، إلى مثل ما روجه إليه مشدّودها ، غير أنهم خالفوه في القراءة . ورُوي عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك ( يتساقط ) بالياء .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام : إلى وهزّي إليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا .

ورُوي عن أبي نهبك أنه كان يقرؤه ( تُسْقِطُ ) بضمّ التاء وإسقاط الألف .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام إلى : تسقط النخلة عليك رطبا جنيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إن هذه القراءات الثلاث ، أعني ( تَسَاقَطُ ) بالتاء وتشديد السين ، وبالتاء وتخفيف السين ، وبالياء وتشديد السين ، قراءات متقاربات المعاني ، قد قرأ بكل واحدة منهنّ قرأ أهل معرفة القرآن ، فبأى ذلك قرأ القارئ فصيب الصواب فيه ، وذلك أن الجذع إذا تساقط رطبا ، وهو ثابت غير مقطوع ، فقد تساقطت النخلة رطبا ، وإذا تساقطت النخلة رطبا ، فقد تساقطت النخلة بأجمعها ، جذعها وغير جذعها ، وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها ، فانما هي جذع وجريد وسعف ، فإذا قطعت صارت جذعا ، فالجذع الذي أمرت مریم بهزه ، لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدى ، وقد زعم أنه عاد بهزه إياه نخلة ، فقد صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا نخلة : واحدا ، فتبين بذلك صحة ما قلنا .

وقوله ( جنّياً ) يعنى مجنيا ، وإنما كان أصله مفعولا ، فصرف إلى فعيل ، والجنّى المأخوذ طريّا ، وكل ما أخذ من ثمرة ، أو نقل من موضعه بطراوته ، فقد اجتنى ، ولذلك قيل : فلان يجتنى الكأة ؛ ومنه قول ابن أخت جذيمة :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقرّبي عينا ، فإمّا ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك ، واشربي من ماء السرى الذي جعله ربك

(١) البيت في (اللسان : جنّى) قال : قال أبو عبيد : يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده . قال أبو عبيد : وذكر ابن الكلبي أن المثل لعمر بن عبد الحمى ابن أخت جذيمة ، وهو أول من قاله ، وإن جذيمة نزل منزلا ، وأمر الناس أن يجتنوا له الكأة ، فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد ، ويأكل طيبها ، وعمره يأتيه بخير ما يجد ، ولا يأكل منها شيئا ، فلما أتى خاله جذيمة قال : هذا . . . البيت . والجنّى : ما يجنى من الشجر . وروى : « هذا جنّاي وهجانه فيه » أى خياره . اهـ . وقال : وجنيت الثمرة أجنيها واجنتيتها : بمعنى : ابن سيده : جنّى الثمرة ونحوها وجنّانها ، كل ذلك : تناولها من شجرتها . وعلم هذا استشهاد المؤلف بالبيت .



تحتك ، ولا تخشى جوعا ولا عطشا ( وَقَرَّتْ عَيْنَا ) يقول : وطبى نفسا وأفرحى بولادتك إياي، ولا تحزنى . ونصبت العين لأنها الموصوفة بالقرار . وإنما معنى الكلام : ولتقرر عينك بولادتك، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين ، فنصبت العين ، إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير ، نظير ما فعل بقوله ( فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ) وإنما هو : فإن طببت أنفسهن لكم . وقوله ( وَصَاقَ رَبِّهِمْ ذُرْعًا ) ومنه قوله ( يُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ) إنما هو يساقط عليك رطب الجذع ، فحوّل الفعل إلى الجذع ، في قراءة من قرأه بالياء . وفي قراءة من قرأه ( تُسَاقِطُ ) بالياء، معناه : يساقط عليك رطب النخلة ، ثم حوّل الفعل إلى النخلة .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَقَرَّتْ ) ( وَقَرَّتْ ) فأما أهل المدينة فقرأوه ( وَقَرَّتْ ) بفتح القاف، على لغة من قال : قَرَرْتُ بالمكان أَقَرُّ بِهِ ، وَقَرَّرْتُ عَيْنًا ، أَقَرُّ بِهِ قُرُورًا؛ وهى لغة قريش فيما ذكر لى، وعليها القراءة . وأما أهل نجد فلإنها تقول : قَرَّرْتُ بِهِ عَيْنًا ؛ أَقَرُّ بِهِ قَرَارًا؛ وَقَرَّرْتُ بِالْمَكَانِ أَقَرُّ بِهِ، فالقراءة على لغتهم ( وَقَرَّتْ عَيْنَا ) بكسر القاف ، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف .

وقوله ( فَلِمَ تَرَيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ) يقول: فإن رأيت من بنى آدم أحدا يكلمك، أو يسألك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك ( فَتَقُولِي لِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) يقول: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتا ألا أكلم أحدا من بنى آدم اليوم : ( فَتَلَنَّ أَكْثَمَ الْيَوْمِ لِأَنسِيًّا ) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الصوم قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول فى هذه الآية ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) صمتا .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : صمتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : يعنى بالصوم : الصمت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سليمان التيمى ، قال : سمعت أنسا قرأ ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا وَصَمْتًا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) أما قوله ( صَوْمًا ) فأنها صامت من الطعام والشراب والكلام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال : كان من بنى إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام ،

إلا من ذكر الله، فقال ذلك لها لذلك، فقالت: إني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام، إلا من ذكر الله ؛

فلما كلموها أشارت إليه ، فقالوا ( كَيْفَ نُنْكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) فأجابهم فقال : ( إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ) حتى بلغ ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ) قول الحق الذي فيه يمترون .  
واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر ، فقال بعضهم : أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة ، وذلك أنها جاءت وهي أيم بولد ، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها . .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان ، فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ فقال أصحابه : حلف ألا يكلم الناس اليوم ، فقال عبد الله : كالم الناس وسلم عليهم ، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعني بذلك مريم عليها السلام .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم ( لا تحزني ) قالت : وكيف لأحزن وأنت معي ، لا ذات زوج ولا مملوكة ، أي شيء عذري عند الناس ؟ ( يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ) فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام ( فإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) قال : هذا كله كلام عيسى لأمه .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن وهب بن منبه ( فإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) فإني سأكفيك الكلام .  
وقال آخرون : إنما كان ذلك آية لمريم وابنها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) قال في بعض الحروف : صمتا ، وذلك أنك لالتقي امرأة جاهلة تقول : نذرت كما نذرت مريم ، ألا تنكلم يوما إلى الليل ، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولا بنها ، ولا يجعل لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فقرا ( إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) وكانت تقرا في الحرف الأول : صمتا ، وإنما كانت آية بعث الله لمريم وابنها .  
وقال آخرون : بل كانت صائمة في ذلك اليوم ، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس ، فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا )



يكلمك ( فَتَقُولُ لِي أَنْذَرْتُكَ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا، فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقبل لها : لا تريد على هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)

يقول تعالى ذكره : فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها ، وسلمت لأمر الله ، وحملته حتى أتت به قومها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : أنساها يعني مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذا كلمها ، يعني عيسى ، وجاءها مصداق ما كان الله وعدا احتملته ثم أقبلت به إلى قومها .

وقال السدي في ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ولدته ذهب الشيطان ، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتمون ، فدعوها ( فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ ) .

وقوله ( قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ) يقول تعالى ذكره : فلما رأوا مريم ، ورأوا معها الولد الذي ولدته ، قالوا لها : يا مريم لقد جئت بأمر عجيب ، وأحدثت حدثا عظيما ، وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه ، كما قال الراجز :

قَدْ أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَجْرِيًّا قَدْ كُنْتِ تَقْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ( فَرِيًّا ) قال : عظيما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) في (اللسان : دقل) : الدقل من التمر : معروف ، قيل : هو أردأ أنواعه . وفي (اللسان : فرى) : التهذيب : ويقال للرجل إذا كان جادا في الأمر قويا : تركته يفرى الفراء ويقعد . والعرب تقول : تركته يفرى الفرى : إذا عمل العمل أو السق فأجاد... وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية :

قَدْ أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَوْلِيًّا مُسَوِّمًا مُدَوِّدًا حَجْرِيًّا

قَدْ كُنْتِ تَقْرِينِ بِهِ الْفَرِيًّا

أى كنت تكثرين فيه القول وتعلمينه . يقال : فلان يفرى الفرى : إذا كان يأتي بالمعجب في عمله . ثم قال : وفي التنزيل العزيز في قصة مريم : « لقد جئت شيئا فريا » . قال الفراء : الفرى الأمر العظيم ، أى جئت شيئا عظيما . وقيل : جئت شيئا فريا : أى مصنوعا مختلفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا )  
قال : عظيما .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا )  
قال : عظيما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أروها  
ورأوه معها ، قالوا : يا مريم ( لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ) : أي الفاحشة غير المقاربة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها : يا أخت هارون ، ومن كان هارون هذا الذي  
ذكره الله ، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته ، فقال بعضهم : قيل لها ( يا أخت هارون ) نسبة منهم لها إلى  
الصلاح ، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وليس بهارون أخي موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يا أخت  
هارون ) قال : كان رجلا صالحا في بني إسرائيل يسمى هارون ، فشبّهوها به ، فقالوا : يا شبيهة هارون  
في الصلاح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أخت هارون ما كان أبوك  
امرا سؤء وما كانت أمك بغيا ) قال : كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ، ولا يعرفون بالفساد  
ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به ، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به ، وكان هارون  
مصلحا محببا في عشيرته ، وليس بهارون أخي موسى ، ولكنه هارون آخر . قال : وذكر لنا أنه شيع جنازته  
يوم مات أربعون ألفا ، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن  
كعبا قال : إن قوله ( يا أخت هارون ) ليس بهارون أخي موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ،  
قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فلاني أجد بينهما ست مئة  
سنة ، قال : فسكت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يا أخت هارون ) قال :  
اسم واطأ اسما ، كم بين هارون وبينهما من الأمم أم كثيرة .

حدثنا أبو كريب وابن المثني وسفيان وابن وكيع وأبو السائب ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس الأودي ،  
قال : سمعت أبي يذكر ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبه ، قال :



« بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران ، فقالوا لى : ألسم تفرعون ( يا أُخْتِ هَارُونَ ) ؟ قلت : بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : « أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْمَوْنَ بِأَنْبِيَاءِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : « أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه إلى أهل نجران ، فقالوا : أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى ؟ فلم أدر ما أردد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فقال : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْمَوْنَ بِأَسْمَاءِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ » . وقال بعضهم : عني به هارون أخو موسى ، ونُسبت مريم إلى أنها أخته ، لأنها من ولده ، يقال للتميمي : يا أخا تميم ، وللمضري : يا أخا مضر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( يا أُخْتِ هَارُونَ ) قال : كانت من بني هارون أختى موسى ، وهو كما تقول : يا أخا بني فلان . وقال آخرون : بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معان الفسق ، فنسبوا إليه .  
 قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه ، وأنها نسبت إلى رجل من قومها .  
 وقوله ( ما كان أبوك امرأة سوء ) يقول : ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش ( وما كانت أمك بغية ) يقول : وما كانت أمك زانية .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وما كانت أمك بغية ) قال : زانية . وقال ( وما كانت أمك بغية ) ولم يقل : بغية ، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال ، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق ، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم : ملحفة جديدة وامرأة قتيل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : فلما قال قومها ذلك لها ، قالت لهم ما أمرها عيسى بقبيله لهم ، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قالوا لها ( ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغية ) قالت لهم : ما أمرها الله به ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه : إلى عيسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فأشارتُ إليه ) قال : أمرتهم بكلامه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( فأشارتُ إليه ) يقول : أشارت إليه أن كلّموه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فأشارتُ إليه ) أن كلّموه .

وقوله ( قالوا كيف نكلّم من كان في المهدي صبيياً ) يقول تعالى ذكره ، قال قومها لها : كيف نكلّم من وجد في المهدي ؟ ، وكان في قوله ( من كان في المهدي صبيياً ) معناها الخاتم ، لا التي تقتضى الخبر ، وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله ( هل كنت إلا بشرّاً رسولاً ) وإنما معنى ذلك : هل أنا إلا بشر رسول ؟ وهل وجدت أو بعثت ؛ وكما قال زهير بن أبي سلمى :

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ

بمعنى : وقد صار أو وجد . وقيل : إنه عنى بالمهدي في هذا الموضع : حجر أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( من كان في المهدي صبيياً ) والمهدي : الحجر . قال أبو جعفر : وقد بيننا معنى المهدي فيما مضى بشواهد ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ

وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)

يقول تعالى ذكره : فلما قال قوم مریم لها ( كيف نكلّم من كان في المهدي صبيياً ) وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم ، قال عيسى لهم متكلماً عن أمه ( إني عبدُ الله آتاني الكتاب ) وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا ، وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلّم هذا الصبي أشدّ علينا من زناها ( قالوا كيف نكلّم من كان في المهدي صبيياً ) .

(١) البيت في ( ديوان زهير بن أبي سلمى طبعة دار الكتب المصرية بشرح أبي العباس ثعلب ، ص ٢٢٣ ) ورواية الأصل : أجرت تحريف . وقوله عليه : عل ذلك الطريق . وحررة : كريمة . وأرحبية : منسوبة إلى أرحب ، وأرحب بطن من همدان ، تنسب إليهم النجائب الأرحبية ، وقيل : هو موضع . وقال الأزهرى : يحتمل أن يكون أرحب فعلاً تنسب إليه النجائب لأنها من نسله . والأرندج والبرندج : السواد يسود به الخف ، أو هو الجلد الأسود . أي زجرت عل هذا الطريق هذه الناقة ، والليل أسود مثل الأرندج .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايهم ، عن وهب بن منبه ( قالوا كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) فأجابهم عيسى عنها ، فقال لهم ( إني عبدُ الله آتاني الكتابُ ، وجعلني نبيًّا ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قالوا كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) قال لهم : ( إني عبدُ الله آتاني الكتابُ وجعلني نبيًّا ) فقرأ حتى بلغ ( وكم يجعلني جبارًا شقيًّا ) فقالوا : إن هذا لأمر عظيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول ( كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قال إني عبدُ الله ) لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين ( قالوا كيف نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) وقوله ( آتاني الكتابُ ) يقول القائل : أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظن ، وإنما معناه : وقضى يوم قضى أمور خلقه إلى أن يؤتيني الكتاب .

كما حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاک ، يعني ابن مخلد ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ( قال آتاني الكتابُ ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله ( إني عبدُ الله آتاني الكتابُ ) قال : القضاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قول الله ( إني عبدُ الله آتاني الكتابُ ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب .

وقوله ( وجعلني نبيًّا ) وقد بينت معنى النبي واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وكان مجاهد يقول في معنى النبي وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال النبي وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل .

وقوله ( وجعلني مباركًا ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلني نفاعا . ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي ، قال : ثنا العلاء ، عن عائشة امرأة لث ، عن لث ، عن مجاهد ( وجعلني مباركًا ) قال : نفاعا .

وقال آخرون : كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخزومي ، قال : سمعت وهيب

ابن الورد مولى بنى مخزوم ، قال : لقي عالم عالما لما هو فوفقه في العلم ، فقال له : يرحمك الله ، ما الذي أعلن من علمي ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله ( وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّامًا كُنْتُ ) وقيل : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أيما كان .

وقال آخرون : معنى ذلك : جعلني معلّم الخير .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان في قوله ( وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّامًا كُنْتُ ) قال : معلما للخير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله ( وَجَعَلْتَنِي مُبَارَكًا أَيَّامًا كُنْتُ ) قال : معلما للخير حينما كنت .

وقوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) يقول : وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة ، يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها على . وفي الزكاة معنيان : أحدهما : زكاة الأموال أن يؤديها . والآخر : تطهير الجسد من دنس الذنوب ، فيكون معناه : وأوصاني بترك الذنوب ، واجتناب المعاصي . وقوله ( مَا دُمْتُ حَيًّا ) يقول : ما كنت حيا في الدنيا موجودا ، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع : تطهير البدن من الذنوب ، لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئا لغد ، فتجب عليه زكاة المال ، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته ، فيكون ذلك وجهها صحيحا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

يقول تعالى ذكره : مخبرا عن قبيل عيسى للقوم : وجعلني مباركا وبرّا : أي جعلني برّا بوالدي . والبرّ هو البارّ ، يقال : هو برّ بوالده ، وبارّ به ، ويفتح الباء قرأت هذا الحرف قرآء الأمصار . وروى عن أبي نبيك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبي نبيك أنه قرأ ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ) من قول عيسى عليه السلام ، قال أبو نبيك : أوصاني بالصلاة والزكاة والبرّ بالوالدين ، كما أوصاني بذلك ، فكانّ أبانا نبيك وجه تأويل الكلام إلى قوله ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ) هو من خبر عيسى عن وصية الله إياه به ، كما أن قوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) من خبره عن وصية الله إياه بذلك ، فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرّ ، بمعنى عمل الوصية فيه ، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللفظ ، فإنهما بمعنى النصب ، من أجل أنه مفعول بهما .



وقوله ( وَكَمْ يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ) يقول : ولم يجعلني مستكبرا على الله فيما أمرني به ، ونهاني عنه . شقيا ، ولكن ذللتني لطاعته ، وجعلني متواضعا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه يعني عيسى ، كان يقول : سلوني ، فإن قلبي لئين ، وإني صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع .

وحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَكَمْ يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ) ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذي حملك ، والثدى الذي أرضعت به ، فقال نبي الله ابن مريم يحييها ، طوبى لمن تلا كتاب الله ، واتبع ما فيه ( وَكَمْ يَكُنُّ جَبَّارًا شَقِيًّا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء ، عن بعض أهل العلم ، قال : لا نجد عاقبا إلا وجدته جبارا شقيا . ثم قرأ ( وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَكَمْ يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ) قال : ولا نجد سيئ الملائكة إلا وجدته مختالا فخورا ، ثم قرأ ( وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ) .

وقوله ( وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا ) يقول : والأمنة من الله على من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون من يولد عند الولادة ، من الطعن فيه ، ويوم أموت ، من هول المطلق ، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعابنتهم أهوال ذلك اليوم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ( وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا ) قال : يخبرهم في قصة خبره عن نفسه ، أنه لأب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا ، يقول الله تبارك وتعالى ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي بينت لكم صفته ، وأخبرتكم خبره ، من أمر الغلام الذي حملته مريم ، هو عيسى ابن مريم ، وهذه الصفه صفته ، وهذا الخبر خبره ، وهو ( قَوْلُ الْحَقِّ ) يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق ، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره ، لا خبر غيره ، الذي يقع فيه الوهم والشك ، والزيادة والنقصان ، على ما كان يقول الله تعالى ذكره : فقولوا في عيسى أيها الناس ، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه ، لا ما قالته اليهود ، الذين زعموا أنه لغير رشدة ، وأنه كان ساحرا كذابا ، ولا ما قالته النصارى ، من أنه كان لله ولدا ، وإن الله لم يتخذ ولدا ، ولا ينبغي ذلك له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( ذَلِكْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ) قال : الله الحق .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يقولون فى هذا الحرف فى قراءة عبد الله ، قال : ( الذِّى فِيهِ يَمْتَرُونَ ) ، قال : كلمة الله . ولو وُجِّهَ تأويل ذلك إلى : ذلك عيسى بن مريم القول الحق ، بمعنى ذلك القول الحق ، ثم حذف الألف واللام من القول ، وأضيف إلى الحق ، كما قيل : ( إِنَّ هَذَا كَلِمَةُ الْحَقِّ الْبَقِيَّةِ ) . وكما قيل : ( وَعِنْدَ الصِّدِّيقِ الذِّى كَانُوا يُوعَدُونَ ) ، كان تأويلا صحيحا .

وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( قَوْلَ الْحَقِّ ) ، برفع القول ، على ما وصفت من المعنى ، وجعلوه فى إعرابه تابعا لعيسى ، كالنعت له ، وليس الأمر فى إعرابه عندى على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى ، إلا أن يكون معنى القول الكلمة ، على ما ذكرنا عن إبراهيم ، من تأويله ذلك كذلك ، فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى ، وإلا فرفعه عندى بمضمر ، وهو هذا قول الحق على الابتداء ، وذلك أن الخبر قد تنهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ( ذَلِكْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ) ثم ابتداء الخبر بأن الحق فيما فيه تتمرى الأمم من أمر عيسى ، هو هذا القول ، الذى أخبر الله به عنه عباده ، دون غيره . وقد قرأ ذلك عاصم بن أبى النجود وعبد الله بن عامر بالنصب ، وكأنهما أرادا بذلك المصدر : ذلك عيسى ابن مريم قولاً حقا ، ثم أدخلت فيه الألف واللام . وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته ( ذَلِكْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ) ، فإنه بمعنى قول الحق ، مثل العاب والعيب ، والذام والذيم .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وأما قوله تعالى ذكره ( الذِّى فِيهِ يَمْتَرُونَ ) فإنه يعنى : الذى فيه يختصمون ويختلفون ، من قولهم : ماريت فلانا : إذا جادلته وخاصمته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ذَلِكْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الذِّى فِيهِ يَمْتَرُونَ ) امتّرت فيه اليهود والنصارى ، فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب ، وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وإله ، وكذبوا كلهم ، ولكنه عبد الله ورسوله ، وكلمته وروحه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( الذِّى فِيهِ يَمْتَرُونَ ) قال : اختلفوا ، فقالت فرقة : هو عبد الله ونبيه ، فأمنوا به . وقالت فرقة : بل هو الله . وقالت فرقة : هو ابن الله . تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . قال : فذلك قوله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ )



والتي في الزخرف ، قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب ، قال أحدهم حين رفع الله عيسى : هو الله ، وقال الآخر : ابن الله ، وقال الآخر : كلمة الله وعبده . فقال المفريان : إن قولي هو أشبه بقولك ، وقولك بقولي من قول هذا ، فهلم فلنقاتلهم ، فقاتلوهم وأوطئوهم إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل قوم علمهم ، فامتروا في عيسى حين رُفِعَ ؛ فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض ، وأحيا من أحيا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية . فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال اثنان منهم للثالث ، قل أنت فيه ، قال : هو ابن الله ، وهم النسطورية ، فقال الاثنان : كذبت ، ثم قال أحد الاثنان للآخر : قل فيه ، قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصراني ؛ قال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ، وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال ، فاقتتلوا ، فظهر على المسلمين ، وذلك قول الله ( وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ) . قال قتادة : هم الذين قال الله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ) اختلفوا فيه ، فصاروا أحزابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)  
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : لقد كفرت الذين قالوا : إن عيسى ابن الله ، وأعظموا الفرية عليه ، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا ، ولا يصلح ذلك له ، ولا يكون ، بل كل شيء دونه فخلقته ، وذلك نظير قول عمرو بن أمية : في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة لا يبستغى دوتها سهل ولا جبيل<sup>١</sup> وأن من قوله ( أَنْ يَتَّخِذَ ) في موضع رفع بكان . وقوله ( سُبْحَانَهُ ) يقول : تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون : عيسى ابن الله . وقوله ( إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) يقول جل ثناؤه : إنما ابتداء الله خلق عيسى ابتداء ، وأنشأه إنشاء ، من غير فعل افتحل أمه ، ولكنه قال له ( كُنْ فَيَكُونُ ) لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها ، إنما يقول : إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه : كن فيكون موجودا حادثا ، لا يعظم عليه خلقه ، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ، ولا ينشئه بمعالجة وشدة .

وقوله ( وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ ) اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرآته عامة قرآء أهل المدينة والبصرة ( وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ) واختلف أهل العربية في وجه فتح « أن » إذا فتحت ، فقال

(١) البيت لعمر بن أمية . (اللسان : عنق) قال : وأما قول ابن أمية :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةٍ لَا يَبُتْغَىٰ دُوتَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبِيلٌ

فإنه يصف جبلا ، يقول : لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحسن منها . اهـ . قلت : والخلقاء : الصخرة المسماة . والعنقاء : البعوضة في السماء . والمشرفة : العالية . ورواية الشطر الثاني في الأصل « ما ينبغي دوتها سهل ولا جبل »

بعض نحوئی الكوفة : فُتحت ردًا على عيسى وعطفا عليه ، بمعنى : ذلك عيسى ابن مریم ، وذلك أن الله ربی وربکم . وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا ، وتكون بتأويل خفض ، كما قال ( ذَلِكَ أَنْ كُنْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ) قال : ولو فتحت على قوله ( وَأَوْصَانِي ) بأن الله ، كان وجها ، وكان بعض البصريين يقول : وذكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل ( وَقَضَىٰ ) أن الله ربی وربکم . وكانت عامة قرآء الكوفيين يقرءونه ( وَإِنَّ اللَّهَ ) بكسر إن بمعنى النسق على قوله ( فَلِئِمَّا يَقُولُ لَهُ ) وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه ( فَلِئِمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ) بغير واو .

قال أبو جعفر : والقراءة التي نختار في ذلك : الكسر على الابتداء . وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع ، وقد يجوز أن يكون عطفا على « إن » التي مع قوله ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ - وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ) ولو قال قائل ، ممن قرأ ذلك نصبا : نصب على العطف على الكتاب ، بمعنى : آتاني الكتاب ، وآتاني أن الله ربی وربکم ، كان وجها حسنا . ومعنى الكلام : وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد ، فإياه فاعبدوا دون غيره :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ( أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ ) ، هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) أي إني وإياكم عبيد الله ، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره .  
وقوله ( هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) يقول : هذا الذي أوصيتكم به ، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم ، الذي من سلكه نجا ، ومن ركبته اهتدى ، لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۳۷)

يقول تعالى ذكره : فاختلفوا في عيسى ، فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ) قال : أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ) ذكر لنا أنه لما رفع ابن مریم ، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم ، فقالوا للأول : ماتقول



في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى، وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى، وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه، فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فخصمهم المسلم؛ قال: فاقتتل القوم. قال: فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ، وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فاختلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا. وقوله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول: فوادى جهنم الذى يدعى ويلا للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه، وذلك يوم القيامة.

وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) شهدوا هولاء إذا عظيما.

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به، الجاعلين له أندادا، والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عميا عن إِبْصَارِ الحَقِّ، والنظر إلى حجج الله التى تدل على وحدانيته، صا عن سماع آى كتابه، وما دعوتهم إليه رسل الله فيها، من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ ) قال : أَسْمِعْ قَوْمٍ وَأَبْصُرْهُمْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ) يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال ( أَسْمِعْ ) بحديثهم اليوم ( وَأَبْصُرْ ) كيف يصنع بهم ( يَوْمَ يَأْتُونَنَا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ) قال : هذا يوم القيامة ، فأما الدنيا فلا ، كانت على أبصارهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر في الدنيا ، فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا ، وقرأ ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ) .

وقوله ( لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يقول تعالى ذكره : لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته ، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا ، في ضلال مبين : يقول : في ذهاب عن سبيل الحق ، وأخذ على غير استقامة ، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى ، لمن تأمله وفكّر فيه ، فهُدَى لرشده .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۳۹)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم ، على ما فرطوا في جنب الله ، وأورثت مسألتهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له ، وادخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار ، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم ، والحياة التي لاموت بعدها ، فيألفا حسرة وندامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها ، قال : ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة ، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا ، فيقال لهم : لو آمنتم وعلمتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة ، فتأخذهم الحسرة ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، فيقال : لولا أن منّ الله عليكم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَتَبَتْ »



أَمْلَحُ ، قال : فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، قال : فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) وأشار بيده في الدنيا .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : « يُنَادَى يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَيْبُونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَيْبُونَ فَيَنْظُرُونَ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ الْمَوْتَ ؟ قال : فَيَقُولُونَ : لا ، قال : فَيُجَاءُ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةٍ كَتَبَتْ أَمْلَحُ ، فَيُقَالُ هَذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ ، قال : ثُمَّ يُنَادَى يَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : يصور الله الموت في صورة كبش أملح ، فيذبح ، قال : فيياس أهل النار من الموت ، فلا يرجونه ، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار ، وفيها أيضا الفرع الأكبر ، ويأمن أهل الجنة الموت ، فلا يخشونه ، وأمنوا الموت ، وهو الفرع الأكبر ، لأنهم يخلدون في الجنة . قال ابن جريج : يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون ، فذلك قوله ( إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) قال : ذبح الموت ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول : يؤتى بالموت كأنه دابة ، فيذبح والناس ينظرون .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) قال : يوم القيامة ، وقرأ ( أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ) من أسماء يوم القيامة ، عظمتها الله ، وحذره عباده . وقوله ( إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) يقول : إذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ، ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها ، بذبح الموت . وقوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ) يقول : وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم ، من تخليده إياهم في جهنم ، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ( وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث ، ومجازاة الله إياهم على سيئ أعمالهم ، بما أخبر أنه مجازيهم به .

القول فی تأویل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبیه محمد صلى الله عليه وسلم : لا یحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق ، فإن إلینا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غیرهم ، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس ، بفنائهم منها ، وبقائها لامالك لها غیرنا ، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله ، عند مرجعه إلینا ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول فی تأویل قوله تعالى

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ

مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبیه : ( وَأَذْكُرُ ) يا محمد في كتاب الله ( إِبْرَاهِيمَ ) خليل الرحمن ، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه ، ( إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ) يقول : كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب ، والصدق هو القبول من الصدق .

وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( نَبِيًّا ) يقول : كان الله قد نبأه وأوحى إليه . وقوله ( إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ) يقول : اذكره حين قال لأبيه ( يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ) يقول : ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ( وَلَا يُبْصِرُ ) شيئاً ( وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ) يقول : ولا يدفع عنك ضرراً شيئاً ، إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع . يقول : ما تصنع بعبادة ما هذه صفته ؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعائك ، وإذا أحبط بك أبصرك فنصرك ، وإذا نزل بك ضرراً دفع عنك .

واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله ( يَا أَبَتِ ) فكان بعض نحويي أهل البصرة يقول : إذا وقفت عليها قلت : يا أبة ، وهي هاء زيدت نحو قولك : يا أمه ، ثم يقال : يا أم إذا وصل ، ولكنه لما كان الأب على حرفين ، كان كأنه قد أُخِلَّ به ، فصارت الهاء لازمة ، وصارت الياء كأنها بعدها ، فلذلك قالوا : يا أبة أقبل ، وجعل التاء للتأنيث ، ويجوز الترقيم من يا أب أقبل ، لأنه يجوز أن تدعو ماتضيفه إلى نفسك في المعنى مضموماً ، نحو قول العرب : يا رب اغفر لي ، وتقف في القرآن : يا أبة في الكتاب . وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء . وقال بعض نحويي الكوفة : الهاء مع أبة وأمة هاء وقف ، كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث ، وأدخلوا عليها الإضافة ، فن طلب الإضافة ، فهي بالتاء لاغير ، لأنك تطلب بعدها الياء ، ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء ، كقولك : يا أبت لاغير ، ومن قال : يا أبة ، فهو الذي يقف بالهاء ، لأنه لا يطلب بعدها ياء ، ومن قال : يا أبنا ، فإنه يقف عليها بالتاء ، ويجوز بالهاء ، فأما





وبنحو ما قلنا فی ذلك قال أهل التأویل .

ذکر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدی ( قال : أرأغب أنت عن آلهتی یا إبراهیم لئن لم تنته لأرجمَنَّک ) بالشتیمة والقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، قال : قال ابن جریج ، فی قوله ( لئن لم تنته لأرجمَنَّک ) قال : بالقول ؛ لأشتمنک .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول فی قوله ( لأرجمَنَّک ) یعنی : رجمَّ القول .

وأما قوله ( وأهجرني مكيًّا ) فإن أهل التأویل اختلفوا فی تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأهجرني حيناً طويلاً ودهراً . ووجهها معنى الملى إلى الملاءة من الزمان ، وهو الطويل منه .

ذکر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، فی قوله ( وأهجرني مكيًّا ) قال : دهرًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مكيًّا ) قال : حيناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( وأهجرني مكيًّا ) قال طويلاً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فی قوله : ( وأهجرني مكيًّا ) قال : زماناً طويلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وأهجرني مكيًّا ) يقول : دهرًا ، والدهر : الملى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( وأهجرني مكيًّا ) قال دهرًا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدی ( وأهجرني مكيًّا ) قال : أبداً .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأهجرني سويًّا سالماً من عقوبتي إياك ، ووجهها معنى الملى إلى قول الناس : فلان ملى بهذا الأمر : إذا كان مضطرباً به غنياً فيه . وكأن معنى الكلام كان عندهم : وأهجرني وعرضك وافر من عقوبتي ، وجسمك معافي من أذى .

ذکر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنی معاوية بن صالح ، عن علي بن

أبي طلحة ، عن ابن عباس ( وأهجرني مكيًّا ) يقول : اجتنبتني سويًّا .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَهْجُرْتِي مَكِيًّا ) قال : اجتنبتني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَهْجُرْتِي مَكِيًّا ) قال : سالما .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عطية الجذلي ( وَأَهْجُرْتِي مَكِيًّا ) قال : سالما .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَهْجُرْتِي مَكِيًّا ) : اجتنبتني سالما لا يصيبك مني معرفة .  
قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية عندى قول من قال : معنى ذلك : واهجرتني سويا ، سلما من عقوبتي ، لأنه عقيب قوله ( لَسِيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَسْنَاكَ ) وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آفته بالسوء أن يرمجه بالقول السيئ ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَدْعُوا رَبِّي، عَمِيَّ إِلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه حين توعدده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة : سلام عليك يا أبت ، يقول : أمنة منى لك أن أعاودك فيما كرهت ، ولدعائك إلى ما توعدتني عليه بالعقوبة ، ولكني ( سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ) يقول : ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) يقول : إن ربي عهدته بي لطيفا يجب دعائي إذا دعوته ، يقال منه : تحنى بي فلان . وقد بينت ذلك بشواهد فيها مضى ، بما أغنى عن إعادته ها هنا .  
وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) يقول : لطيفا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ) قال : إنه كان بي لطيفا ، فإن الحفي : اللطيف .  
وقوله ( وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : وأجتنبكم وما تدعون من دون الله

من الأوثان والأصنام (وَأَدْعُو رَبِّي) يقول : وأدعوني ، بإخلاص العبادة له ، وإفراده بالربوبية (عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) يقول : عسى أن لا أشقى بدعاء ربي ، ولكن يجيب دعائي ، ويعطيني ما أسأله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩)  
وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آتسنا وحشته من فراقهم ، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم ، فوهبنا له ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق (وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) يقول : وجعلناهم كلهم ، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء ، وقال تعالى ذكره (وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) فوحد ، ولم يقل أنبياء ، لتوحيد لفظ كل (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا) يقول جل ثناؤه : ورزقنا جميعهم ، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا ، وكان الذي وهب لهم من رحمة ، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه ، وأغناهم بفضله .

وقوله (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول تعالى ذكره : ورزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الحميل من الناس .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول : الثناء الحسن ، وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم ، والعرب تقول : قد جاءني لسان فلان ، تعني ثناءه أو ذمه ، ومنه قول عامر بن الحارث .

لَاقَى أَتَنِّي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِمنْ عَدَوِّ لَاعَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ  
ويروى : لا كذب فيها ولا سخر .

جاءت مُرْجَمَةٌ قَدْ كُنْتُ أَحْدَرُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي الْإِشْفَاقُ وَالْحَدْرُ  
مرجمة : يظن بها .

(١) البيت لأعشى بأهله واسم عامر ابن الحارث (جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥) وهي إحدى المراثي الجهاد . وفي (اللسان: لسن) اللسان : جارحة الكلام ، وقد يكفى بها عن الكلمة ، فيؤث حيثئذ . قال أعشى بأهله : «إني أتني لسان . . . البيت . . . قال ابن بري اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام . ثم قال : قال النحوي : اللسان في الكلام يذكر ويؤث ، يقال إن لسان الناس عليك حسنة وحسن ، أي ثناؤهم . اهـ . واللسان : الثناء ، وقوله عز وجل : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين » : معناه : اجعل لي ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر . اهـ . وفي (تاج العروس : علا) : وأما قول أعشى بأهله «من علو» فيروى بضم الواو وفتحها وكسرهما ، أي أتاني خبر من أعلى نجد . اهـ . وفي جمهرة أشعار العرب : السخر : الاستهزاء . اهـ . وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يجيء بمعنى الثناء ، مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة .

(٢) هذا البيت لأعشى بأهله أيضا ، وهو بعد البيت السابق عليه في القصيدة نفسها ، كافي (جمهرة أشعار العرب ص ١٣٦) . ومعنى =



القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ، وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى ابن عمران ، واقصص على قومك أنه كان مخلصا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إنه كان مخلصا) بكسر اللام من اُخْلِص ، بمعنى : إنه كان يخلص لله العبادة ، ويفرده بالألوهة ، من غير أن يجعل له فيها شريكا ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم (إنه كان مخلصا) بفتح اللام من مُخْلِص ، بمعنى : إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته ، وجعله نبيا مرسلا .

يقول أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله ، مخلصا للرسالة والنبوة ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب :

(وكان رسولاً) يقول : وكان لله رسولا إلى قومه بني إسرائيل ، ومن أرساه إليه نبيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ

نَبِيًّا (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وناديناه من ناحية الجبل الأيمن ، ويعنى بالأيمن : يمين موسى ، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ) قال : جانب الجبل الأيمن . وقد بينا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ، ودلنا على الصواب من القول فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) يقول تعالى ذكره : وأدنيناه مناجيا ، كما يقال : فلان نديم فلان ومنادمه ، وجليس فلان ومجالسه ، وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه ، حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : أدنى حتى سمع صريف القلم .

= مرجحة : أي مظلونة ، لا يوقف على حقيقتها . ويقال : كلام مرجم : عن غير يقين . ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذه الفاجعة التي نزلت بهم ، فهم بين مصدق ومكذب .

حدثنا محمد بن منصور الطُّوسِيّ ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، قال : أراه عن مجاهد ، في قوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : بين السماء الرابعة ، أو قال : السابعة ، وبين العرش سبعون ألف حجاب : حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمة ؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، وسمع ا صرّيف القلم ( قال رَبِّ ارِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ) . حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : قرّبه منه حتى سمع صرّيف القلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : أدنى حتى سمع صرّيف القلم في اللوح ، وقال شعبة : أردفه جبرائيل عليه السلام . وقال قتادة في ذلك ، ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ) قال : نجا بصدقه . وقوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ مَنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ ) يقول : ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ( نَبِيًّا ) يقول : أبديناه بنبوته ، وأعنتاه بها .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ مَنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب له نبوته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ كُرِيَ فِي الْكِتَابِ لِسْمِعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد في هذا الكتاب إسماعيل بن إبراهيم ، فأقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده ، ولا يخلف ، ولكنه كان إذا وعد ربه ، أو عبدا من عباده وعدا وفق به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ) قال لم يعد ربه عِدَّة إلا أنجزها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل ، حدثه أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظلم به إسماعيل ، وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا ؟ قال : لا ، قال : إني نسيت ، قال : لم أكن لأبرح حتى تأتي ، فبذلك كان صادقا .

(١) عبارة الدر المنثور للسيوطي : حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه ونزع . . . الخ .



القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)

يقول تعالى ذكره ( وكان يأمر أهله بـ ) إقامة ( الصلاة ) و إيتاء ( الزكاة ) وكان عند ربه مَرْضِيًّا ( عمله ، محمودا فيما كلفه ربه ، غير مقصر في طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأذْكَرُ فِي آلِ كَثِبٍ إِدْرِيسَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس ( إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ) لا يقول الكذب ، ( نَبِيًّا ) نوحى إليه من أمرنا ما نشاء ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) ذكر أن الله رفعه وهو حى إلى السماء الرابعة ، فذلك معنى قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) يعنى به إلى مكان ذى علو وارتفاع . وقال بعضهم : رُفِعَ إلى السماء السادسة . وقال آخرون : الرابعة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سألت ابن عباس كعبا وأنا حاضر ، فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال كعب : أما إدريس ، فإن الله أوحى إليه : إنى رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم ، فأحب أن تزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إن الله أوحى إلى كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت ، فليؤخرنى حتى أزداد عملا ، فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ؛ فلما كان في السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا ، فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هوذا على ظهري ، قال ملك الموت ، فالعجب بعثت أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : إدريس رُفِعَ فلم يمض ، كما رُفِعَ عيسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ولم يمض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : رفع إلى السماء السادسة ، فمات فيها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) إدريس ، أدرکه الموت في السماء السادسة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : السماء الرابعة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي هارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : في السماء الرابعة .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحى ، عن أبي هريرة أو غيره ، « شك أبو جعفر الرازى » قال : « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل إلى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قالوا : ومن معه ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المحييء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال : هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) قال : حدثنا أنس بن مالك « أن نبي الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على إدريس في السماء الرابعة . »

#### القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ، وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ،  
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ، وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ  
خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : هؤلاء الذين اقتضت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد ، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه ، فهداهم لطريق الرشده من الأنبياء من ذرية آدم ، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك ، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن ، ومن ذرية إسرائيل ، ومن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته . واجتبتنا : يقول : ومن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا ، فالذى عنى به من ذرية آدم إدريس ، والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم ، والذى عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، والذى عنى به من ذرية إسرائيل : موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم ، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم ، وإن كان يجمع جميعهم آدم ، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، وإدريس جد نوح .

وقوله تعالى ذكره ( إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ ) يقول : إذا تلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه ، ( خَرُّوا ) لله ( سُجَّدًا ) ، استكانة له وتذلا وخضوعا



لأمره وانقيادا (وَبُكِيًّا) : يقول : خَرَّوا سَجداً وهم باكون ، والبُكِيّ : جمع باك ، كما العَيْتَى جمع عات ، والبُكِيّ : جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فِعُول ، كما يجمع القاعد قعودا ، والجالس جلوسا ، وكان التماس أن يكون : وُبُكْرًا وَعُتْوًا ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة ، فقلبت ياء ، كما قيل في جمع دلو أدل . وفي جمع البهو آبه ، وأصل ذلك أَفْعُل : أدلُّ وأبهو ، فقلبت الواو ياء لمحيثها بعد الضمة استئقلا ، وفي ذلك لغتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحد علماء من القراء بالقرآن بُكِيًا وَعُتْوًا بالضم ، وُبُكِيًا وَعُتْيًا بالكسر . وقد يجوز أن يكون البُكِيّ هو البكاء بعينه .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم ، فسجد وقال : هذا السجود ، فأين البُكِيّ ، يريد : فأين البكاء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) ﴾

يقول تعالى ذكره : فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم ، ووصفت صفتهم في هذه السورة ، خَلَفٌ سَوْءٌ خَلْفُوهم في الأرض ، أضاعوا الصلاة . ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة ، فقال بعضهم : كانت إضاعتها هوها تأخيرهم إياها عن مواقيتها ، وتضييعهم أوقاتها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعد الكندي ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن موسى بن سايان ، عن القاسم بن مخيمرة ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ) قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركا كان كفرا .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي ، قال : ثنا الفريابي ، عن الأوزاعي ، عن القاسم بن مخيمرة ، نحوه . حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : أضاعوا المواقيت ، ولو تركوها لصاروا بتركها كفرا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن القاسم ، نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن الأوزاعي ، عن إبراهيم بن يزيد ، أن عمر ابن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين ، فخرج إلى حرسه ، وقد كان تقدم إليهم أن لا يتوموا إذا رأوه ، قال : فأوسعوا له ، فجلس بينهم فقال : أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا : كلنا نعرفه ، قال : فليتم أحدثكم سنا ، فليدعه ، فأتاه الرسول فقال : لاتعجلني أشد علي ثيابي ، فأتاه فتال : إن اليرم الجمعة ، فلا تبرحن حتى تصلى ، وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين ، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك مصليها لاحالة ، ثم قرأ ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسِرَفَ يَلْقَمُونَ غَيِّبًا ) ثم قال : لم يكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، والحسن بن مسعود ، عن ابن مسعود ، أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ - وَعَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ - وَعَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) فقال ابن مسعود رضي الله عنه على مواقيتها ، قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذلك الكفر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عمر أبو حفص الأبار ، عن منصور بن المعتمر ، قال : قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس ، فيكتب من الغافلين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن .  
وقال آخرون : بل كانت إضاعتهموها : تركها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القُرظي ، أنه قال في هذه الآية ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ) يقول : تركوا الصلاة .  
قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية ، قول من قال : إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك ، وذلك قوله جل ثناؤه ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ) فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن ، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ، ولا يؤدّون له فريضة ، فسبقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، وقد قيل : إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيِّبًا ) قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة ، قال محمد بن عمرو : زنا . وقال الحارث : زناة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، وقال : زنا كما قال ابن عمرو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبي رباح ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ) . . . الآية ، قال : هم أمة محمد .  
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا شريك ، عن أبي تميم بن مهاجر في قول الله : ( فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ) قال : هم في هذه الأمة يترابكون تراكب الأنعام والحمر في الطرق ، لا يخافون الله في السماء ، ولا يستحيون الناس في الأرض .



وأما قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) فإنه يعنى أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا ، وهو اسم واد من أودية جهنم ، أو اسم بئر من آبارها .  
 كما حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد بن رزان <sup>١</sup> ، قال : ثنا شرتق بن قطنى ، عن لقمان بن عامر الخزاعى ، قال : جئت أبا أمامة صدق بن عجلان الباهلى ، فقلت : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ مَخْضَرَةَ زَنْتَةَ عَشْرٍ أَرَأَى قُدْفَ يَبَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا تَحْسِينِ خَرِيْفَا ، ثُمَّ تَنْتَهَى إِلَى غَيٍّ وَأَنَامٍ ، قَالَ : قُلْتُ وَمَا غَيٌّ وَمَا أَنَامٌ ؟ قَالَ : يَسْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ ، يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وَهُمَا اللَّتَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) ، وقوله في الفرقان ( وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) »  
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : واديا في جهنم .  
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : واديا في النار .  
 حدثنا محمد بن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : نهر في جهنم ، خبيث الطعم ، بعيد القعر .  
 حدثني محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِ هِمِّ خَلْفٍ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغى : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله ( فَخَلَفَ مِنْ بَعدِ هِمِّ خَلْفٍ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغى : نهر جهنم في النار ، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : نهر في النار ، يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات .

وقال آخرون : بل عنى بالغى في هذا الموضع : الخسران .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) يقول : خسرانا .

(١) ذكر صاحب تاج العروس : الحافظ أبا بكر : محمد بن علي بن عاصم بن رازان ، سنة أصبهان المعروف بابن المقرئ ، بألف بعد الراء ، فلعن « رزان » هنا محرف عن « رازان » .

وقال آخرون : بل عنى به الشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ) قال : الغي : الشر ، ومنه قول الشاعر :  
 فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَانَمَا  
 قال أبو جعفر : وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني ، وذلك أن من ورد البئر اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم ، فدخل ذلك ، فقد لاقى خسرانا وشرًا ، حسبه به شرًا .

القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فسوف يلقي هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا ، (إلا) الذين تابوا فراجعوا أمر الله ، والإيمان به وبرسوله ( وعمل صالحا ) يقول : وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه ، وأدى فرائضه ، واجتنب محارمه ( فأولئك يدخلون الجنة ) يقول : فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة ، دون من هلك منهم على كفره ، وإضاعتة الصلاة واتباعه الشهوات . وقوله ( ولا يُظلمون شيئا ) يقول : ولا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئا ، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالتهم ، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم ، ولكنهم يُدخلون مدخل أهل الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١)

يقول تعالى ذكره : فأولئك يدخلون الجنة ( جنات عدن ) . وقوله ( جنات عدن ) نصب ترجمة عن الجنة . ويعنى بقوله ( جنات عدن ) : بساتين إقامة . وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله ( التي وعد الرحمن عباده بالغيب ) يقول : هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب ، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها ، فهي غيب لهم . وقوله ( إنه كان وعده مأتيا ) يقول تعالى ذكره : إن الله كان وعده ، ووعدته في هذا الموضع موعوده ، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله . وقال بعض نحويي الكوفة : خرج الخبر على أن الوعد هو المأتى ، ومعناه : أنه هو الذي يأتي ، ولم يقل : وكان وعده آتيا ، لأن كل ما أتاك فأنت تأتيه ،

(١) البيت للمرقش الأصغر : ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو ابن أخي المرقش الأكبر ، وعم طرفة بن العبد ( المفضليات طبع القاهرة ص ١١٨ ) . وفي ( اللسان : غوى ) قال : التي : الضلال والحمية . غوى ( بالفتح ) غيا ، وغوى ( بالكسر ) غواية . الأخيرة عن أبي عبيد : ضل . ورجل غاوى ، وغوى ، وغوى ، وغيان : ضال . وأغواه هو . وأشد المرقش : « فمن يلقى . . . . البيت » .



وقال : ألا ترى أنك تقول : أتيتُ على خمسين سنة ، وأتتُ على خمسون سنة ، وكلّ ذلك صواب . وقد بيّنت القول فيه ، والهاء في قوله ( إنّه ) من ذكر الرحمن .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ، وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)

يقول تعالى ذكره : لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا ، وهو الخذمي والباطل من القول والكلام ، إلا سلاما ؛ وهذا من الاستثناء المنقطع ، ومعناه : ولكن يسمعون سلاما ، وهو تحية الملائكة إياهم . وقوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) يقول : ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب ، في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا ، وإنما يعنى أن الذي بين غدائهم وعشاءهم في الجنة ، قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشاءه ، وكذلك ما بين العشاء والغداء ، وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار ، وذلك كقوله ( خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ - وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) يعنى به : من أيام الدنيا .

كما حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت زهير بن محمد ، عن قول الله : ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبدا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب ، وفتح الأبواب .

حدثنا علي ، قال : ثنا الوليد ، عن خليل ، عن الحسن ، وذكر أبواب الجنة ، فقال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، فَتَكَلَّمْتُمْ وَتُكَلِّمْتُمْ ، فتهمهم : انفتحت انغلق ، فتفعل : حدثني ابن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا عامر بن يساف ، عن يحيى ، قال : كانت العرب في زمانهم : من وجد منهم عشاء وغداء ، فذلك الناعم في أنفسهم ، فأنزل الله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) : قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشاءكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) قال : كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عَجِبَ له ، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا ، قدر ذلك الغداء والعشاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ليس بكرة ولا عشي ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ) فيها ساعتان بكرة وعشي ، فإن ذلك لهم ، ليس ثم ليل ، إنما هو ضوء ونور .

القول فی تأویل قول تعالیٰ

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)

يقول تعالیٰ ذكره : هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها ، هي الجنة التي نورثها ، يقول : نورث مساكن أهل النار ( فيها من عبادنا من كان تقياً ) يقول : من كان ذا انقضاء عذاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

القول فی تأویل قول تعالیٰ

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ

نَسِيًّا (٦٤)

ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي ، وقد ذكرت بعض الرواية ، ونذكر إن شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا عبد الله بن أبان العجلي ، وقيصة ووكيع ، وحدثنا سفيان بن وكيع قال : ثنا أبي جميعا ، عن عمر بن ذر ، قال : سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن محمدا قال لجبرائيل : « ما يمتنعك أن تنزورنا أكثر مما تنزورنا » فنزلت هذه الآية ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيًّا ) قال : هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن ذر ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : « ما يمتنعك أن تنزورنا أكثر مما تنزورنا ؟ فنزلت ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) . . . إلى ( وما كان ربك نسيًّا ) قال : احتبس جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن ، فأتاه جبرائيل فقال : يا محمد ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيًّا ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : « لبث جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي استبطأه ، فلما أتاه قال له جبرائيل ( وما ننزل إلا بأمر ربك ) . . . الآية » .



حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ) قال : « هذا قول جبرائيل . احتبس جبرائيل في بعض الوحي ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « مَا جِئْتَ حَتَّى اسْتَشَقُّتُ إِلَيْكَ ، فقال له جبرائيل : ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ) » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) قال : قول الملائكة حين استراهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كالتي في الضحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : « لبث جبرائيل عن محمد اثني عشرة ليلة ، ويقولون : قُبِلي ، فلما جاءه قال : أَيْ جِبْرَائِيلَ ، لَقَدْ رِثْتَ عَلَيَّ حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنَّ . فنزلت ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ) » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) « احتبس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تكلم المشركون في ذلك ، واشتد ذلك على نبي الله ، فأناه جبرائيل ، فقال : اشتد عليك احتباسنا عنك ، وتكلم في ذلك المشركون ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، إذا أمرني بأمر أطعته ( وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ) يقول : بقول ربك » . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) فقال بعضهم : يعنى بقوله ( ما بين أيدينا ) من الدنيا ، وبقوله ( وَمَا خَلْفَنَا ) الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) النفختين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) يعنى الدنيا ( وَمَا خَلْفَنَا ) الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) النفختين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال ( ما بين أيدينا ) من الدنيا ( وَمَا خَلْفَنَا ) من أمر الآخرة ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين النفختين . وقال آخرون : ( ما بين أيدينا ) الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) الدنيا ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين الدنيا والآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( بَيْنَ أَيْدِينَا ) الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) من أمر الآخرة ( وَمَا خَلْفَنَا ) من أمر الدنيا ( وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) ما بين الدنيا والآخرة ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ) .

حدثنا الحسن بن یحیی ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( له ما بین  
 أیدینا ) من الآخرة ( وما خلفنا ) من الدنيا ( وما بین ذلك ) ما بین النشختین .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله  
 ( ما بین أیدینا ) من الآخرة ( وما خلفنا ) من الدنيا .  
 وقال آخرون في ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ( ما بین  
 أیدینا ) قال : ما مضى أمامنا من الدنيا ( وما خلفنا ) ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة ( وما بین ذلك )  
 قال : ما بین ما مضى أمامهم ، وبين ما يكون بعدهم .  
 وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك ( له ما بین أیدینا ) قبل أن نخاق ( وما خلفنا )  
 بعد الفناء ( وما بین ذلك ) حين كنا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : له ما بین أیدینا من أمر  
 الآخرة ، لأن ذلك لم يحيىء وهو جاء ، فهو بين أیدیهم ، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا هذا الأمر  
 بين يديك ، أنهم يعنون به ما لم يحيىء وأنه جاء ، فلذلك قلنا : ذلك أولى بالصواب : وما خلفنا من أمر  
 الدنيا ، وذلك ما قد خلفوه فمضى ، فصار خلفهم بتخلفهم إياه ، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء  
 وخلفه هو خلفه ، ووراءه وما بین ذلك : ما بین ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ، لأن ذلك هو الذي  
 بين ذینك الوقتین .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على  
 الأغلب من معانيه ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له . فتأويل الكلام إذن : فلا تسقطنا يا محمد في تخلفنا  
 عنك ، فإننا لانتزّل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها ، لله ما هو حادث من أمور الآخرة  
 التي لم تأت وهي آتية ، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا ، وما بین وقتنا هذا إلى قيام الساعة ، بيده ذلك  
 كله ، وهو مالكة ومصرفه ، لا يملك ذلك غيره ، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به .  
 ( وما كان ربك نسيياً ) يقول : ولم يكن ربك ذا نسيان ، فيتأخر نزولك إليك بنسيانه إياك ، بل هو الذي  
 لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض ، تبارك وتعالى ، ولكنه أعلم بما يدبر ويقضى في خلقه جل ثناؤه .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ( وما كان ربك  
 نسيياً ) قال : ما نسيك ربك .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ؟ (٦٥)



ﷻ يقول تعالى ذكره : لم يكن ربك يا محمد ربّ السموات والأرض وما بينهما نسيا ، لأنه لو كان نسيا لم يستقم ذلك ، ولهلك لولا حفظه إياه ، فالربّ مرفوع ردّاً على قوله ( رَبُّكَ ) . وقوله ( فاعْبُدْهُ ) يقول : فالزم طاعته ، وذلّ لأمره ونهيه . ( وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ) يقول : واصبر نفسك على التفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده ، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه ؟ كلاً ، ما ذلك بموجود .  
وينحوما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) يقول : هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهاً .  
حدثني سعيد بن عثمان التميمي ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي ، عن عباد بن عوام ، عن شعبة ، عن الحسن بن عمار ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : شبيهاً .  
حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مجاهد في هذه الآية ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : هل تعلم له شبيهاً ، هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) لاسمى لله ولا عدل له ، كلّ خلقه يقرّ له ويعترف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية ( وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ) قال : يقول : لا شريك له ولا مثل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ

مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)

ﷻ يقول تعالى ذكره : ( وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ ) الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حياً ، فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء ، إنكاراً منه ذلك . يقول الله تعالى ذكره ( أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ ) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فناءه ، وإيجاده بعد عدمه في خالق نفسه ، أن الله خلقه من قبل مماته ، فأنشأه بشراً سويّاً من غير شيء ، ( وَلَمْ يَكُ ) من قبل إنشائه إياه ( شَيْئًا ) ، فيعتبر بذلك ، ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته ، وإيجاده بعد فناءه .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (أولاً يذكُرُ الإنسانُ) فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة : (أولاً يذكُرُ) بتخفيف الذال ، وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز (أولاً يذكُرُ) بتشديد الذال والكاف ، بمعنى : أولاً يتذكر ، والتشديد أعجب إلى ، وإن كانت الأخرى جائزة ، لأن معنى ذلك : أولاً يتفكر فيعتبر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَوَرَبِّكَ) يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين : أنذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم ، مقرنين بأوليائهم من الشياطين (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) والجيثي : جمع الجاثي .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) يعني : القعود ، وهو مثل قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً)

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)

يقول تعالى ذكره ، ثم لناخذن من كل جماعة منهم أشدّهم على الله عتواً وتمرداً ، فلنبدان بهم . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن الأقرع ، عن أبي الأحوص (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) قال : نبدأ بالأكابر فالأكابر جرماً . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : أيهم أشدّ للرحمن معصية ، وهي معصيته في الشرك .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : عيصياً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) قال : أمة . وقوله (عِتِيًّا) قال : كفراً .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه ابن جريج : فلنبدأن بهم .

قال أبو جعفر : والشيعه هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور ، يقال من ذلك : تشايح القوم : إذا تعاونوا ؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع : إنه لمشيح : أى معان ؛ فعنى الكلام : ثم لننزعن من كل جماعة تشايحت على الكفر بالله ، أشدهم على الله عتوا ، فلنبدأن بإصلاته جهنم ، والتشايح فى غير هذا الموضع : التفرق ؛ ومنه قول الله عز ذكره ( وكانوا شيعا ) يعنى : فرقا ؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد : إني أكره أن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : شيعت بين أمتي ، بمعنى : فرقت .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)

يقول تعالى ذكره ( ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ ) من هؤلاء الذين نزعهم من كل شيعه أولاهم بشده العذاب ، وأحقهم بعظيم العقوبة .

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ) قال : أولى بالخلود فى جهنم . قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، قول لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعه من الكفرة ، أشدهم كفرا ، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مغلد فى النار ، فلا وجه ، وجميعهم مغلدون فى جهنم ، لأن يقال : ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المغلدين ، ولكن المعنى فى ذلك ما ذكرنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صلييا . والصلي : مصدر صليت تصلى صلييا ، والصلي : فُعُول ، ولكن واوها انقلبت ياء ، فأدغمت فى الياء التى بعدها ، التى هى لام الفعل ، فصارت ياء مشددة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)

يقول تعالى ذكره : ( وَإِنْ مِنْكُمْ ) أيها الناس ( إِلَّا وَارِدُهَا ) جهنم ( كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ) يا محمد إيرادها قضاء ( مَقْضِيًّا ) ، قد قضى ذلك وأوجه فى أم الكتاب .

واختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الدخول :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ، قال : أخبرنى من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول ، وقال نافع لا ، فقرأ

ابن عباس (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ هُنَا وَآرِدُونَ) أورد هو أم لا؟ وقال (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَيَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) أورد هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك ، قال : فضحك نافع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : قال أبو راشد الخروزي : ذكروا هذا فقال : الخروزي لا يسمعون حسيبها ، قال ابن عباس : ويملك أجنون أنت ؟ أين قوله تعالى (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَيَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) . (وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنة غانماً .

قال ابن جريج : يقول : الورد الذي ذكره الله في القرآن : الدخول ، ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أورد (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَحَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ هُنَا وَآرِدُونَ) ؛ وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) يعرف البرّ والفاجر ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَيَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) ، وقال (وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) فسمى الورد في النار دخولا ، وليس بصادر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن بكار بن أبي مروان ، عن خالد بن معدان ، قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورد على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة . قال ابن عرفة ، قال مروان بن معاوية ، قال بكار بن أبي مروان ، أو قال : جامدة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا مرحوم بن عبد العزيز ، قال : ثنى أبو عمران الجوني ، عن أبي خالد قال : تكون الأرض يوماً ناراً ، فإذا أعددت لها ؟ قال : فذلك قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي السليل ، عن غنيم بن قيس ، قال : ذكروا ورود النار ، فقال كعب : 'تمسك النار للناس كأنها متن إهالة ، حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم ، ثم يناديها مناد : أن أمسكي أصحابك ، ودعي أصحابي ، قال : فيخسف بكلّ ولي لها ، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده ، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم . قال : وقال كعب : ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة ، مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان ، يدفع به الدفّعة ، فيصرع به في النار سبع مئة ألف :



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق ، قال : كان أبو ميسرة إذا أرى إلى فراشه ، قال : يا ليت أُمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل : وما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ قال : أخبرنا أنا واردة ها ، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : بكى عبد الله بن رواحة في مرضه ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ، قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : ابن رواحة : إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبير ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : داخلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : يدخلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ابن أبي حازم ، قال : كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته ، فبكي ، فبكت امرأته ، قال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) فلا أدري أنجو منها ، أم لا ؟ .

وقال آخرون : بل هو المرء عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعني جهنم مرّ الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : هو المرء عليها .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : الصراط على جهنم مثل حدّ السيف فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم . ثم يمرّون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم .

وقال آخرون : بل الورود : هو الدخول ، ولكنه عن الكفار دون المؤمنين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عبد الله بن السائب ، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعني الكفار ، قال : لا يردها مؤمن .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن الوليد الشَّشِيُّ ، قال : سمعت عكرمة يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) يعني الكفار .  
وقال آخرون : بل الورود عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المؤمن المرور ، وورود الكافر الدخول .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرها وورود المشركين أن يدخلوها ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » ، وَقَدْ أَحَاطَ الْجَيْسَرُ سِمَاطَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، دَعَوْاهُمْ يَوْمَئِذٍ يَا اللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ » .  
وقال آخرون : ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : الحمى حفظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) .  
حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه ، ثم قال : إن الله يقول : هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن ، لتكون حظه من النار في الآخرة .

وقال آخرون : يردُّها الجميع ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنى السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) قال : يردُّونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم .  
حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس رأيت قول الله ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ، كان على ربك حتماً مقضياً ) قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسردها ، فانظر هل تصدر عنها أم لا ؟ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : نحن يوم القيامة على كوى أو كرى ، فوق الناس ، فتدعى الأمم



بأوثانها ، وما كانت تعبد الأول فالأول ، فينطلق بهم ويتبعونه ، قال : ويعطى كل إنسان منافق ومؤمن نورا ، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله ، فيطغأ نور المنافق ، وينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر ، وسبعون ألفا لأحساب عليهم ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ، ثم كذلك ثم ، تحلّ الشفاعة فيشفعون ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير ، ثم يلقون تلقاء الجنة ، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون نبات الشيء في السيل ، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن المبارك ، عن الحسن ، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك بأنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال : فقيم الضحك ؟ قال : فما روى ضاحكا حتى لحق بالله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر ابن سعيد : إن فلانا يقول : إن ورود النار القيام عليها . قال بسر : أما أبو هريرة فسمعتة يقول : « إذا كان يوم القيامة ، يجمع الناس نادى مناد : ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون ، فيقوم هذا إلى الحجر ، وهذا إلى القرس ، وهذا إلى الخشبة حتى يبيى الذين يعبدون الله ، فيأتيهم الله ، فإذا رأوه قاموا إليه ، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط ، وفيه عليق ، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة ، فيمرّ الناس ، والنبيون يقولون : اللهم سلم سلم . قال بكير : فكان ابن عميرة يقول : فجاج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش ، ثم ناج . »  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوى فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فجاج مسلم ومكس فيها .

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة : « لا يدخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، قالت : فقالت حفصة : يا رسول الله ، أليس الله يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهـ ( ثُمَّ يَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ) . »  
 حدثنا الحسن بن مدرك ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن حفصة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَئِنْ لَأَرَجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ ، قالت : فقلت يا رسول الله ، أليس الله يقول ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ؟ قال : فَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ ( ثُمَّ نَسْجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) ؟ »

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبيد الله بن المغيرة ابن معيقب ، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتوارى ، أحد بني ليث ، وكان في حجر أبي سعيد ، قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُوَضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ وَمَجْرُوحٌ بِهِ ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُخْتَبِسٌ وَمُكَدَّسٌ فِيهَا ، حَتَّى إِذَا فَرَّخَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ تَفَقَّدَ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ ، وَيَحْجُونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا عِبَادَ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا ، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا ، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا ، وَيَحْجُونَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا ، لَانَرَاهُمْ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيَجِدُ وَتَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ وَكَمْ تَغْشَى الْوُجُوهُ ، فَيَسْتَخْرِجُوهُمْ مِنْهَا ، فَيَطْرَحُوهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ ، قِيلَ : وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غَثَائِ السَّيْلِ ، ثُمَّ تَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، فَيَسْتَخْرِجُوهُمْ مِنْهَا ، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا ، فَمَا يَسْتَرْكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث بن خالد ، عن يزيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُوْتَى بِالْجَسْرِ - يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ - فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟ قَالَ : مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ مَفْلُطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيْقَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَالْبَرْقِ وَكَالرَّبِيعِ ، وَكَأَجَادِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُسْلِمٌ ، وَمُكَدَّوسٌ فِي جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِي فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَّيْنَا لَكُمْ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِذَا رَأَوْهُمْ قَدْ تَجَمَّوْا وَبَقِيَ إِخْوَانُهُمْ .

حدثني أحمد بن عيسى ، قال : ثنا سعيد بن كثير بن عفَيْر ، قال : ثنا ابن أبي عمير ، عن أبي الزبير ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هُوَ الدُّخُولُ ، يَرْدُونَ النَّارَ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ، فَأَخِيرُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَرْحَفُ ، فَيَرْفَعُ اللَّهُ



لَهُ شَجَرَةٌ ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدْتَنِي مِنْهَا ، قَالَ : فَيُبْدِيهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : سَلْ ، قَالَ : فَيَسْأَلُ ، قَالَ : فَيَقُولُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أضعافه أو نحوها ، قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ تَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قَالَ : فَيَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُو لَهُوَانَهُ وَأَضْرَاسَهُ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب « ح » ، وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن زيد ، عن رشدين جميعا ، عن زياد بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ حَرَسَ وَرَأَى الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُتَطَوِّعًا ، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ بِحَرَسٍ ، لَمْ يَرِ النَّارَ بَعَيْنِهِ إِلَّا تَحِيلَةَ الْقَسَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) . »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ إِلَّا تَحِيلَةَ الْقَسَمِ » يعني : الورود .

وأما قوله ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم معناه : كان على ربك قضاء مقضيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حَتْمًا ) قال : قضاء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( حَتْمًا مَقْضِيًّا ) قال : قضاء . وقال آخرون : بل معناه : كان على ربك قسما واجبا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبير قان ، قال : سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) قال : قسما واجبا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ) يقول : قسما واجبا .

قال أبو جعفر : وقد بينت القول في ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ نُجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)

يقول تعالى ذكره: ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم إياها، الذين اتقوا فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ( وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) يقول جل ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه في النار: جثيا، يقول: بروكا على ركبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) على ركبهم. حدثنا الحسن ابن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) على ركبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) قال: الجثي: شر الجلوس لا يجلس، الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ) إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغُ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ أَمْؤَا ۗ أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ؟ (۷۳)

يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على الناس آياتنا التي أنزلناها على رسولنا محمد بينات، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده، قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته، وهم قريش، للذين آمنوا فصدقوا به، وهم أصحاب محمد (أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا؟) يعنى بالمقام: موضع إقامتهم، وهي مساكنهم ومنازلهم (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم نددوا: إذا جمعهم في مجلس، ويقال: هو في ندى قومه وفي ناديتهم: بمعنى واحد، ومن الندى قول حاتم:

وَدُعِيتُ فِي أَوْلَى النَّدِيِّ وَكَمْ يُسْتَظَرُّ إِلَىٰ بِأَعْيُنٍ خَزْرًا

(١) البيت لحاتم الطائي، من شعره في كتاب ( شعراء النصرانية: القسم الأول ص ١١٥ ) وفي (اللسان: ندى): والندى: الهجاسة وناديت: جالسته، وتنادوا: تجالسوا في النادي، والندى: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس ندى. وقيل: الندى: مجلس القوم نهارا عن كراع. والنادي: كالندى. التهذيب: النادي المجلس، يتدو إليه من حواله، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن ناديا، وهو الندى، والجمع الأندية. اهـ. والخزر: جمع خزراء من الخزر، وهو كما في (اللسان: خزر): كسر العين بصرها خلقة. وقيل: هو ضيق العين وصغرها. وقيل هو النظر الذي كأنه في أحد الشقين، ثم استشهد بيت حاتم، وقد استشهد المؤلف به، على أن معنى الندى: مجلس القوم.



وتأويل الكلام : وإذا تئلى عليهم آياتنا بيّنات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا ، وأنعم بالا ، وأفضل مسكنا ، وأحسن مجلسا ، وأجمع عددا وغاشية في المجلس ، نحن أم أنتم ؟ وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قوله ( خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) قال : المقام : المنزل ، والندى : المجلس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس بمثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ؟ ) قال : المقام : المسكن ، والندى : المجلس والنعمة والبهجة التى كانوا فيها ، وهو كما قال الله لقوم فرعون ، حين أهلكهم وقص شأنهم فى القرآن فقال ( كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينُوا ) فالمقام : المسكن والنعم ، والندى : المجلس والجمع الذى كانوا يجتمعون فيه ، وقال الله فيها قصص على رسوله فى أمر لوط إذ قال ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) ، والعرب تسمى المجلس : النادى .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قام : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) يقول : مجلسا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( أَيْ الْفَرِيقَيْنِ ) قال : قرىش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ( وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) قال : مجالسهم ، يقولونه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ؟ ) رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة ، وفيهم قسافة ، فعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله ( وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) يقول : مجلسا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ) قال : الندى : المجلس ، وقرأ قول الله تعالى ( فَكَلِمَاتٌ نَادِيَةً ) قال : مجلسه .

القول فی تأویل قوله تعالى

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا (۷۴)

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين ، إذا تئلى عليهم آيات الرحمن ، أى الفريقين خير مقاما ، وأحسن ندبا ؟ مجالس ، من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء ، وأحسن منهم منظرا ، وأجمل صورا ، فأهلكنا أموالهم ، وغيرنا صورهم ؛ ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

كَمَيْتٌ كَلَوْنَ الْأَرْجُونَ نَشْرَتُهُ لِيَبِيعَ الرَّثِيَّ فِي الصَّوَانِ الْمُكْعَبِ

يعنى بالصَّوَانِ : التخت الذى تصان فيه الثياب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا ) قال : الرثي : المنظر ، والأثاث : المتاع .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الرثي المنظر .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي عن ابن عباس ، قوله ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا ) يقول : منظرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا ) الأثاث : المال ، والرثي : المنظر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله ( أَثْمًا وَرِثِيًّا ) قال : الأثاث : أحسن المتاع ، والرثي : المال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، يقول الله تبارك وتعالى ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا ) : أى أكثر متاعا ، وأحسن منزلة ومستقرا ، فأهلك الله أموالهم ، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( أَحْسَنُ أَثْمًا وَرِثِيًّا ) قال : أحسن صورا ، وأكثر أموالا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(۱) البيت لعلقمة بن عبدة ، وهو الثانى والعشرون من قصيدته التى مطلعها : « ذهب من المجران فى غير مذهب » ( مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي بشرح مصطفى السقا ص ۴۳۶ ) وفيه « الرداء » فى موضع الرثي قال شارحه الكيت : القرس الذى لونه بين السواد والحمرة . والأرجوان : صبغ أحمر مشبع . والمراد هنا : ثوب أحمر . والصوان : ثوب تصان فيه الثياب ، ويقال له التخت . والمكعب هنا : الموشى من الثياب ، وهو من صفة الرداء . ويقال : المكعب : المطوى المشدود ، وكل ما ربهته فقد كعبته ، ومنه الفتاة الكاعبة : التى تكعب ثديها وبرز . وفى (اللسان : رأى ) : الرثي (عل فعليل) والرثي (عل فعل، بكسر أوله) : الثوب ينشر لبيع . عن أبي علي . التهذيب : الرثي ، بهزة مسكنة : الثوب الفاخر الذى ينشر ليرى حسنه .



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أثا) قال : المتاع (وَرَثِيَا) قال : فيما يرى الناس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ ، قالوا : ثنا جرير بن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأثا :  
المال ، والرثي : المنظر الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَرَثِيَا) :  
منظرا في اللون والحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَرَثِيَا) : منظرا  
في اللون والحسن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَحْسَنُ أَثَا وَرَثِيَا) قال :  
الرثي : المنظر ، والأثا : المتاع ، أحسن متاعا ، وأحسن منظرا .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله (أَحْسَنُ أَثَا) : يعني المال (وَرَثِيَا) يعني :  
المنظر الحسن .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (وَرِيَا) غير مهموز ، وذلك إذا قرئ كذلك  
يتوجه لوجهين : أحدهما : أن يكون قارئه أراد الهمزة ، فأبدل منها ياء ، فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز ،  
والياء التي هي لام الفعل ، فأدغمنا ، فجعلنا ياء واحدة مشددة ، لِيَسْأَلُوا ذَلِكَ ، إذ كان رأس آية ، بنظائره  
من سائر رموس الآيات قبله وبعده . والآخر : أن يكون من رويت أروى روية ورييا ، وإذا أريد به ذلك  
كان معنى الكلام : وكم أهلكتنا قبلهم من قرن ، هم أحسن متاعا ، وأحسن نظرا لماله ، ومعرفة لتدبيره ،  
وذلك أن العرب تقول : ما أحسن رؤية فلان في هذا الأمر ، إذا كان حسن النظر فيه ، والمعرفة به . وقرأ ذلك  
عامة قراء العراق والكوفة والبصرة (وَرَثِيَا) بهمزها ، بمعنى : رؤية العين ، كأنه أراد : أحسن متاعا ومراة .  
وحكى عن بعضهم أنه قرأ : أحسن أثا وزيا ، بالزاي ، كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا ، وذلك أن  
الزى هو الهيئة والمنظر ، من قولهم : زَيَّيتَ الجارية ، بمعنى : زينتها وهيأتها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه (أثا وَرَثِيَا) بالراء والهمز ، لإجماع  
الحجة من أهل التأويل على أن معناه : المنظر ، وذلك هو من رؤية العين ، لامن الرؤية ، فلذلك كان  
المهموز أولى به ، فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز ، وهو يريد هذا المعنى ، فغير مخطئ في قراءته . وأما قراءته  
بالزاي ، فقراءة خارجة عن قراءة القراء ، فلا أستجيز القراءة ، بها لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم في التأويل  
وجه صحيح .

واختلف أهل العربية في الأثا : أجمع هو أم واحد ؟ فكان الأحمر فيما ذكر لي عنه يقول : هو جمع ،  
وأحدثها : أثاثة ، كما ألحمام جمع وأحدثها : حمامة ، والسحاب جمع ، وأحدثها : صحابة . وأما الفراء فإنه كان يقول :

لاواحد له ، كما أن المتاع لاواحد له . قال : والعرب تجمع المتاع : أمتعة ، وأمتيع ، ومُتْع . قال : ولو جمعت الأثاث لقلت : ثلاثة آثثة وأثُت . وأما الرُّقِّي فإن جمعه : آراء .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ  
وَإِمَّا السَّاعَةَ ، فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهيم ، القائلين : إذا تتلى عليهم آياتنا ، أى الفريقين منا ومنكم خير مقاماً وأحسن ندياً ؟ من كان منا ومنكم فى الضلالة جائزاً عن طريق الحق ، سالكا غير سبيل الهدى ، فليمدد له الرحمن مدّاً : يقول : فليطول له الله فى ضلالته ، وتبليبه فيها إملاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً ) فليدعه الله فى طغيانه .

وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( حتى إذا رأوا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ) يقول تعالى ذكره : قل لهم : من كان منا ومنكم فى الضلالة ، فليمدد له الرحمن فى ضلالته ، إلى أن يأتيهم أمر الله ، إما عذاب عاجل ، أو يلقوا ربه عند قيام الساعة التى وعد الله خلقه أن يجمعهم لها ، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين ، ( فسيعلمون من هو شرٌّ مكاناً ) ومسكناً منكم ومنهم ( وأضعفُ جُنْدًا ) أهم أم أنتم ؟ ويتبينون حينئذ أى الفريقين خيرٌ مقاماً ، وأحسن ندياً .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ، وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦)

يقول تعالى ذكره : ويزيد الله من سلك قصد المحجة ، واهتدى لسبيل الرشd ، فأمن بره ، وصدق بآياته ، فعمل بما أمره به ، وانتهى عما نهاه عنه ، هُدًى ، بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التى يفرضها عليه ، ويفرّ بلزوم فرضها إياه ، ويعمل بها ، فذلك زيادة من الله فى اهتدائه بآياته ، هدى على هداه ؛ وذلك نظير قوله ( وإذا أنزلت سورةً فمنهم من يقولُ أئِكمُ زادتهُ هُدًى إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهمُ إيماناً وهمُ يستبشرون ) . وقد كان بعضهم يتأول ذلك : ويزيد الله الذين اهتدوا هُدًى



بناسخ القرآن ومنسوخه ، فيؤمن بالناسخ ، كما آمن من قبل بالمنسوخ ، فذلك زيادة هُدًى من الله له على هُداه من قبل ( وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ) يقول تعالى ذكره : والأعمال التي أمر الله بها عباده ، ورضيها منهم ، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات ( خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ) جزاء لأهلها ( وَخَيْرٌ مَرَدًّا ) عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله ، وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا . وقد بيننا معنى الباقيات الصالحات ، وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ، ودلنا على الصواب من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمر بن راشد ، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فأخذ عودا يابساً ، فحطَّ ورقه ، ثم قال : إنَّ قَوْلَ لَإِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، تَحُطُّ الْخَطَايَا ، كَمَا تَحُطُّ وَرَقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الرَّيْحُ ، خُذْهُنَّ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُجَالَبَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ، وَهُنَّ مِثْلُ كَنْزِ الْجَنَّةِ . قال أبو سلمة : فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأهلنَّ الله ، ولأكبرنَّ الله ، ولأسبحنَّ الله ، حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ

الرَّحْمَنِ عَهْدًا؟ (٧٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أَفْرَأَيْتَ ) يا محمد ( الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ) : حججنا ، فلم يصدق بها ، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر ( وَقَالَ ) وهو بالله كافر وبرسوله ( لَأُوتِيَنَّ ) في الآخرة ( مَالًا وَوَلَدًا ) . وذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي ، أبي عمرو بن العاص . ذكر الرواية بذلك .

حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خبيّاب ، قال : كنت رجلاً قينا ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أنقاضاه ، فقال : والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ، ثم تبعث ، قال : فقال : فإذا أنا مت ثم تبعث كما تقول ، جئتني ولى مال وولد ، قال : فأنزل الله تعالى ( أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ، أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا؟ ) . . . إلى قوله : ( وَيَأْتِينَا فَرْدًا ) .

حدثني به أبو السائب ، وقرأ في الحديث : وولدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهميّ بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألسم تزعمون أن في الجنة فضة وذهبا وحريرا، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتينّ مالا وولدا، ولأوتينّ مثل كتابكم الذي جنتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا) . . . إلى قوله (وَيَأْتِينَا فَرْدًا). حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) قال: العاص بن وائل يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) فذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال: فيعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جنتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأوتينّ مالا وولدا، يقول الله (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال حَبَّابُ بن الأَرْت: كنت قينا بمكة، فكنت أعمل للعاص بن وائل، فاجتمعت لي عليه دراهم، فجننت لأتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا؟) . . . إلى (وَيَأْتِينَا فَرْدًا).

واختلفت القرآء في قراءة قوله (وَوَلَدًا) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَوَلَدًا) بفتح الواو من الولد في كل القرآن، غير أن أبا عمرو بن العلاء خصّ التي في سورة نوح بالضم، فقراها (مَالُهُ وَوَلَدُهُ). وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرءوا من هذه السورة من قوله (مَالًا وَوَلَدًا) إلى آخر السورة، واللتين في الزخرف، والتي في نوح، بالضم وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العُدْم والعُدَم، والحُزْن والحُزَن. واستشهدوا لقبيلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ      وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ حِمَارِ

(١) البيت في (السان: ولد) ولم ينسبه. قال: الولد والولد: واحد، مثل العرب والعرب، والمعجم والمعجم، ونحو ذلك. وأنشد الفراء: «فليت فلانا . . .» البيت. فهذا واحد. قال: وقيس يجعل الولد جمعا، والولد (بالتحريك) واحدا. ابن السكيت يقال في الولد: الولد (بكر أوله) والولد (بضم أوله). قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحدا وجمعا، قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد. (وهذا قريب مما نقله المؤلف عن القراء في معاني القرآن).



ويقول الحارث بن حلزة :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ تَمَرُّوا مَالًا وَوُلْدًا

وقول رؤبة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ قَرْدًا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدٍ شَيْءًا وَوُلْدًا

وتقول العرب في مثلها: **وُلْدُكَ مِنْ دَمِي عَقَبَيْتِكَ**، قال: وهذا كله واحد، بمعنى الولد. وقد ذكر لي أن قيسا يجعل **الوُلْد** جمعا، والوَلَد واحدًا. ولعل الذين قرءوا ذلك بالضم فيما اختاروا فيه الضم، إنما قرءوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي: أن الفتح في الواو من الولد، والضم فيها: بمعنى واحد، وهما لغتان، فأبتهما قرأ القارئ فصيب الصواب، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها، فالقراءة به أعجب إلى لذلك.

وقوله ( **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ** ) يقول عز ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه ( **أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ) يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهد أن يؤتیه ما يقول من المال والولد. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ**، **أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** ) ؟ بعمل صالح قدمه.

#### القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله « كلاً »: ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً، بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر، ثم قال تعالى ذكره ( **سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ** ) : أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل ( **لَأُوتِينَ** ) في الآخرة ( **مَالًا وَوُلْدًا** )، ونعده له **مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا** يقول: ونزيده من العذاب في جهنم، بقليله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله.

وقوله ( **وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ** ) يقول عز ذكره: ونسلب هذا القائل - لأوتين في الآخرة مالا وولدا - ماله وولده، ويصير لنا ماله وولده دونه، ويأتينا هو يوم القيامة فرداً، وحده لا مال معه ولا ولد.

(١) البيت للحارث بن حلزة البشكري، وهو من شواهد ( لسان العرب : ولد ) مثل الشاهد الذى قبله . واستشهد به القراء أيضا في معاني القرآن ( مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٩٥ ) ثم قال : والولد والولد : لغتان مثل ما قالوا : العدم والعدم .

(٢) البيتان لرؤبة بن المعجاج، وهما من مشطور الرجز، والفرد: المنفرد بالربوبية، وبالامر دون خلقه، وهو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا ثنى. والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه. شواهد على أن الولد، بضم الواو وسكون اللام، بمعنى الولد، بالتحريك. وأنه مفرد، وقد يحى بمعنى الجمع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) : ماله وولده ، وذلك الذي قال العاصي بن وائل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ) :  
لامال له ولا ولد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) قال : ما عنده ، وهو قوله ( لَا وَتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا ) وفي حرف ابن مسعود : وترثه ما عنده .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) قال :  
ما جمع من الدنيا وما عمل فيها . قال ( وَيَأْتِينَا فَرْدًا ) قال : فردا من ذلك ، لا يتبعه قليل ولا كثير .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرِثُهُ مَا يَقُولُ ) : ترثه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ  
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْدًا (٨٢)

يقول تعالى ذكره : واتخذوا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله ، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًا ، يمنعونهم من عذاب الله ، ويتخذون عبادتهموها عند الله زُلْفَى . وقوله ( كَلَّا ) يقول عزّ ذكره : ليس الأمر كما ظنوا وأمّلوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، في أنها تنقذهم من عذاب الله ، وتنجيهم منه ، ومن سوء إن أرادهم بهم ربهم . وقوله ( سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ) يقول عزّ ذكره : ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها ، وكفرهم بها قبلهم لربهم : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، فجددوا أن يكونوا عبدوهم أو أمرؤهم بذلك ، وتبرءوا منهم ، وذلك كفرهم بعبادتهم . وأما قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْدًا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وتكون آلهتهم عليهم عونًا ، وقالوا : الصدد : العون .

(١) كذا في ابن كثير أيضا ، والذي في الدر عن ابن عباس : وترثه ما يقول : ماله وولده .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول : أعوانا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : عون عليهم ، تخصمهم وتكذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : أوثانهم يوم القيامة في النار .

وقال آخرون : بل عَسَى بالضدّ في هذا الموضع : القرناء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول : يكونون عليهم قرناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) : قرناء في النار ، يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( ضِدًّا ) قال : قرناء في النار .

وقال آخرون : معنى الضدّ هاهنا : العدو .

## ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : أعداء .

وقال آخرون : معنى الضدّ في هذا الموضع : البلاء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال : يكونون عليهم بلاء : الضدّ ، البلاء ، والضدّ في كلام العرب : هو الخلاف ، يقال : فلان يضادّ فلانا في كذا ، إذا كان يخالفه في صنيعه ، فيفسد ما أصلحه ، ويصلح ما أفسده ، وإذا كان ذلك معناه ، وكانت آفة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم ، وينتفون يومئذ ، صاروا لهم أضدادا ، فوصفوا بذلك .

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضدّ ، وهو صفة لجماعة . فكان بعض نحوّي البصرة يقول :

وحد ، لأنه يكون جماعة وواحدا ، مثل الرصد والأرصاد . قال : ويكون الرصد أيضا لجماعة . وقال بعض نحوئي الكوفة : وَحَدَّ ، لأن معناه عوننا ، وذكر أن أبا نبيك كان يقرأ ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نبيك الأزدي يقرأ ( كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ) يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا (٨٣) فَلَا تَعۡجَلْ عَلَيۡهِمۡ ، إِنَّمَا نَعۡدُهُمۡ عَدۡآ (٨٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ، ( تَوۡزُؤُهُمُ ) يقول : تحركهم بالإغواء والإضلال ، فترعجهم إلى معاصي الله ، وتغريهم بها حتى يواقعوها ، ( أَزۡوَٰجًا ) إزعاجا وإغواء .  
وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَزۡوَٰجًا ) يقول : تغريهم إغراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : تَوۡزُؤَ الكافرين : إغراء في الشرك ، امضِ امضِ في هذا الأمر ، حتى توقعهم في النار ، امضُوا في الغي امضُوا .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله ( تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ) قال : تغريهم إغراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ) قال : ترعجهم إزعاجا في معصية الله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة في قول الله ( تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ) قال : ترعجهم إلى معاصي الله إزعاجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ) قال : ترعجهم إزعاجا في معاصي الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ) فقرأ ( وَمَنۡ يَّعۡشُرۡ عَنۡ ذِكۡرِ الرَّحۡمٰنِ نُنۡفِثۡ لَهُ شَٰطِطٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ) قال : تَوۡزُؤُهُمُ أَزۡوَٰجًا ، قال : تُسَلِّبُهُمُ إِسۡلَآءًا عَلَىٰ مَعَاصِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وتغريهم عليها .



كما يغرى الإنسان الآخر على الشيء ، يقال منه : أزرّت فلانا بكذا ، إذا أغريته به ، أوزّه أزا وأزيرا ، وسمعت أزيز القدر : وهو صوت غليانها على النار ، ومنه حديث مطرف عن أبيه ، أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

وقوله ( فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ) يقول عزّ ذكره : فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك ، يا محمد إنما نعدّ لهم عدّا ، يقول : فإنما تؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما ، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونخصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ) يقول : أنفاسهم التى يتنفسون فى الدنيا ، فهى معدودة كسهم وآجالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا (٨٦)

يقول تعالى ذكره : يوم نجمع الذين اتقوا فى الدنيا فخافوا عقابه ، فاجتنبوا لذلك معاصيه ، وأدّوا فرائضه إلى ربهم ( وَفَدًّا ) يعنى بالوفد : الركبان ، يقال : وفدت على فلان : إذا قدمت عليه ، وأوفد القوم وفدا على أمرهم ، إذا بعثوا من قبلهم بعثا . والوفد فى هذا الموضع بمعنى الجمع ، ولكنه وحده ، لأنه مصدر ، واحدهم : وافد ، وقد يجمع الوفد : الوفود ، كما قال بعض بنى حنيفة :

إِنِّي كَلْمَتَسَدِاحٌ قَمًا هُوَ صَانِعٌ رَأْسُ الْوُفُودِ مُزَاحِمٌ بَنَ جِسَاسٍ ١

وقد يكون الوفود فى هذا الموضع جمع وافد ، كما الجلوس جمع جالس .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعد ، عن على ، فى قوله ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ) قال : أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا يساقون سوفا ، ولكنهم يؤتون بنوق لم يراخلاق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها ، حتى يضرّوا أبواب الجنة .

(١) البيت لبعض بنى حنيفة ، كما قال المؤلف . وفى ( تاج العروس : جسس ) جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التميمى ، ابن عمرو بن عبد الله بن لؤى بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مائة بن أد : أبو قبيلة ، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج بن الحارث بن عامر بن جساس عن شعبة ، وعنه أبو الربيع الزهرانى ، وأخوه عثمان بن ظفر ، حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره . وفى خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى : مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفى ، عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه شعبة وسفيان ، وثقه ابن معين . وفى ( اللسان : وقد ) : قال الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » : قيل الوفد : الركبان المكرمون . . . وم الوفود . فأما الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافد . . . وجمع الوفد : أوفاد ووفود .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة ( يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : على الإبل .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) يقول : ركبانا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة ، وأطيبها ريحا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عمك الصالح طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ، وتلا ( يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إلى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : وفدا إلى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : على النجائب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول ( يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) قال : على الإبل النوق .

وقوله ( وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) يقول تعالى ذكره : ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا . والورد : مصدر من قول القائل : وردت كذا أرده وردا ، ولذلك لم يجمع ، وقد وصف به الجمع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثني عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) يقول : عطاشا :

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبي هريرة ( وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) قال : عطاشا .

حدثني يعقوب والفضل بن صباح ، قال : ثنا إسماعيل بن علقمة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله ( وَتَسْؤُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) قال : عطاشا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إلى جَهَنَّمَ وَرِدًا ) قال : ظيما إلى النار .



حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا )  
سوقوا إليها وهم ظمء عطاش .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : سمعت سفيان يقول في قوله ( وَتَسُوقُ  
الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ) قال : عطاشا .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧)

يقول تعالى ذكره : لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد ، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة ،  
حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ، فيشفع بعضهم لبعض ( إِلَّا مَنْ أَخَذَ ) منهم ( عِنْدَ  
الرَّحْمَنِ ) في الدنيا ( عَهْدًا ) بالإيمان به ، وتصديق رسوله ، والإقرار بما جاء به ، والعمل بما أمر به .  
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا  
مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ،  
ولا يرجو إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ  
إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعا ( إِلَّا مَنْ أَخَذَ  
عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) قال : عملا صالحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ  
أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) : أى بطاعته ، وقال في آية أخرى ( لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ  
لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ) ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض ، ذكر لنا أن  
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن في أمي رجلا لبيد خيلن الله يشفاعة الجنة أكثر  
من بني تميم » ، وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن عوف بن مالك ،  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شفاعةي لمن مات من أمي لا يشرك بالله شيئا »  
و « من » في قوله ( إِلَّا مَنْ ) في موضع نصب على الاستثناء ، ولا يكون خفضا بضمير اللام ، ولكن قد  
يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل : أردت المرور اليوم إلا العدو ، فإني لا أمر  
به ، فيستثنى العدو من المعنى ، وليس ذلك كذلك في قوله ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ  
الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) لأن معنى الكلام : لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله ، فالؤمنون ليسوا من أعداد  
الكافرين ، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة  
للمتقين ، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، لا يملكون الشفاعة ، إلا من اتخذ

عند الرحمن عهدا ، فيكون معناه عند ذلك : إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا . فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن الهجرين ، فإن « مَنْ » تكون حينئذ نصبا ، على أنه استثناء منقطع ، فيكون معنى الكلام : لا يملكون الشفاعة ، لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ،  
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ) يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه : لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( شَيْئًا إِدًّا ) يقول : قولاً عظيماً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ) يقول : لقد جئتم شيئا عظيماً ، وهو المنكر من القول :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( شَيْئًا إِدًّا ) قال : عظيماً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( شَيْئًا إِدًّا ) قال : عظيماً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ) قال : جئتم شيئا كبيرا من الأمر ، حين دعوا للرحمن ولدا . وفي الإدّ لغات ثلاث ، يقال : لقد جئت شيئا إدّا ، بكسر الألف ، وأدّا بفتح الألف ، وأدّا بفتح الألف ومدّها ، على مثال مادّ ( فاعيل ) . وقرأه قرأه الأمصار ، وبها نقرأ ، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف ، ولا أرى قراءته كذلك ، لخلافها قراءة قرأه الأمصار . والعرب تقول لكل أمر عظيم : إدّ ، وإمّر ، نُكّر ، ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الْأَعْدَاءُ مِثِّي نُكْرًا دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِدًّا إِمْرًا

(١) هذان بيتان من مشطور الراجز . وقد سبق استشهاد المؤلف بهما عند قوله تعالى في سورة الكهف ( ١٥ : ١٨٤ ) « لقد جئت شيئا إمرا » . وقد شرحناها ثمة .



ومنه قول الآخر :  
 وقوله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشققن قطعا من قبلهم ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) ، ومنه قيل : فَطَرَ نَابَهُ : إذا انشق .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا . أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) قال : إن الشرك فرغت منه السموات والأرض والجبال ، وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقِنُوا مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » ، قالوا : يا رسول الله ، فمن قالها في صحته ؟ قال : تلك أو جَبُّ أو جَبُّ . ثم قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُجِبِيَءَ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ ، فَوُضِعْنَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ) ذكر لنا أن كعبا كان يقول : غضبت الملائكة ، واستعرت جهنم ، حين قالوا ما قالوا .

وقوله ( وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ) يقول : وتكاد الأرض تنشق ، فتصدع من ذلك ( وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ) يقول : وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا ، والهدى : السقوط ، وهو مصدر هددت ، فأنا أهدت هداً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ) يقول : هدماً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس : ( وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ) قال : الهدى : الانقضاء .

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله . والتهت والمهات : حر العطش في الجوف . وفي ( اللسان : لهت ) ابن سيده : لهت الكلب بالفتح ، ولهت يلهت فيهما لهتا : دلح لسانه من شدة العطش والحر ، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش . ولهت الرجل ولهت ( يفتح الهاء في الأول وكسرها في الثاني ) يلهت ( بالفتح ) في اللتين جميعاً ، لهتا فهو لهتان : أعبأ . وأما الختل فلم أجد في مادة ( حتل ) في المعاجم معنى يناسب البيت ، ولعله محرف عن الخبل ، وهو فساد الأعضاء . أو عن الختل ، وهو التخاذل عن غفلة ، ولعل الراجز يصف كلب صيد أو فرسا . وأما الإد فهو العجب ، والأمر الفطوح ، وهو محل الشاهد في كلام المؤلف ، كالبيتين قبله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَخَيْرُ الْجِبَالُ هَدًى ) قال : غضبا لله ، قال : ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السموات والأرض والجبال من قولهم : لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة ، فقال ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ) قالوا : هو وصاحبه وابنه ، جعلوهما إلهين معه ( وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ) . . . إلى قوله ( وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ شَفِيعٌ لَهُ ) .

### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، ( ٩١ ) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ( ٩٢ ) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ( ٩٣ )

يقول تعالى ذكره : وتكاد الجبال أن تحرّ انفقاضا ، لأنّ دعوا للرحمن ولدا ، فـ « أن » في موضع نصب في قول بعض أهل العربية ، لاتصالها بالفعل ، وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الخافض - وقد بيّنا الصواب من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا - بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقال ( أن دعوا للرحمن وكذا ) يعنى بقوله ( أن دعوا ) : أن جعلوا له ولدا ، كما قال الشاعر :  
الْأَرْبُ مَنْ تَدْعُو نَصِيحًا وَإِنْ تَغِيْبُ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ  
وقال ابن أحرر :

أَهْوَى لَهَا مَشْقَصًا حَشْرًا فَشَبْرَقَهَا وَكُنْتُ أَدْعُو قَدَاهَا الْإِمْسِدَ الْقَرْدَا

وقوله ( وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ) يقول : وما يصلح لله أن يتخذ ولدا ، لأنه ليس كالمخلوق الذين تغلبهم الشهوات ، وتضطرتهم اللذات إلى جماع الإناث ، ولا ولد يحدث إلا من أنثى ، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه ، وذلك كقول ابن أحرر :

فِي رَأْسِ خَلَاءَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةٍ مَا يَنْبَغِي دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ  
يعنى : لا يصلح ولا يكون .

( ١ ) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح قائله .

( ٢ ) البيت في ( اللسان : دعا ) . ونسبه إلى ابن أحرر الباهل . قال : ودعوته يزيد ، ودعوته إياه : شجته به ، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف ؛ قال ابن أحرر الباهل : « أهوى لها . . . البيت . أى اسمه ، وأراد : أهوى لها بمشقص ، فحذف الحرف وأوصل . وقوله عز وجل « أن دعوا للرحمن ولدا » : أى جعلوا ، وأنشد بيت ابن أحرر أيضا وقال : أى كنت أجعل وأسمى ؛ ومثله قول الشاعر : « الأرب من تدعو نصيحا . . . البيت . والمشقص من النصال : ما كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضا فهو المعبلة ( اللسان : شقص ) . وسهم محشور وحشر : مستوى قذ الريش ، وكل لطيف دقيق حشر . وشبرقها : مزقها ، يقال : شوب مشبرق : مقطوع بمزق . وفي كتاب ( المعاني الكبير لابن قتيبة طبع حيدر آباد ص ٩٨٨ ) : يقول : كنت من إشفاق عليها أسمى ما يصلحها قذى ، فكيف ما يؤذيها . وقوله « أدعو » أى أسمى ؛ تقول : ما تدعون هذا فيكم ؟ أى ما تسمونه؟ والحشر : السهم الخفيف الريش الذى قد شد قصبه ورسافه . والإئمد الكحل الأسود . والقرد : هو الذى يتقطع في العين ؛ وقيل القرد : الذى لصق بعضه ببعض . والمعنى : كنت أسمى الإئمد قذى ، من حذرى عليها .

( ٣ ) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريبا في هذا الجزء ص ٨٤ وشرحاته ثمة .



(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا) يقول : ما جميع من في السموات من الملائكة ، وفي الأرض من البشر والإنس والجن (إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا) يقول : إلا يأتي ربه يوم القيامة عبداً له ، ذليلاً خاضعاً ، مقرّاً له بالعبودية ، لانسب بينه وبينه . وقوله (آتَى الرَّحْمَنَ) إنما هو فاعل من أتيت ، فأنا آتية .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)

يقول تعالى ذكره : لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم ، وعدّهم عدداً ، فلا ينجي عليه مبالغ جميعهم ، وعرف عددهم ، فلا يعزب عنه منهم أحد (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) يقول : وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً ، لناصر له من الله ، ولا دافع عنه ، فيقضى الله فيه ما هو قاض ، ويصنع به ما هو صانع .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ، لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله ورسوله ، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم ، فعملوا به ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) في الدنيا ، في صدور عباده المؤمنين . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مسلم الملقب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في الناس في الدنيا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : حباً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : الودّ من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن ، واللسان الصادق . حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن عبيد المصعب ، عن مجاهد ، في قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة في المسلمين في الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : يحبهم ويحبّهم إلى خلقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : يحبهم ويحبهم إلى المؤمنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يحبهم ويحبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ، وزاده من عنده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) : إى والله في قلوب أهل الإيمان . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَرَمَ بْنَ حِيَانَ كَانَ يَقُولُ : مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بَقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَرْزُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عثمان بن عفان كان يقول : ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا شرًّا ، إلا كساه الله رداء عمله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال : محبة . وذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ .

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي ، قال : أخبرنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن أمه أم إبراهيم ابنة أبي عبيدة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيها ، عن عبد الرحمن بن عرف ، أنه لما هاجر إلى المدينة ، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة ، منهم شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميمة بن خلف ، فأنزل الله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) .

وقوله ( فَلَمَّا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ) يقول تعالى ذكره : فلما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه ، لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، بالجنة . ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) يقول : ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش ، فإنهم أهل لُدٍّ وجدل بالباطل ، لا يقبلون الحق ، واللُدُّ : شدة الخصومة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لُدًّا ) قال : لا يستقيمون .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) يقول : لتنذر به قوما ظلمة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) : أي جدالا بالباطل ،  
ذوي لُدِّ وخصومة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله  
( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال : فُجَّارًا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( قَوْمًا لُدًّا )  
قال : جدالا بالباطل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا )  
قال : الألد : الظلوم ، وقرأ قول الله ( وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ) .  
حدثنا أبو صالح الضراري ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن الحسن  
في قول الله عز وجل ( وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال : صما عن الحق .  
حدثني ابن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن هارون ، عن الحسن ، مثله .  
وقد بيننا معنى الألد فيما مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ، هَلْ نُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)

يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكتنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش . من قرن ، يعني من جماعة من  
الناس ، إذ سلكوا في خلافي وركوب معاصي مسلكهم ، هل نحيس منهم من أحد : يقول : فهل نحس  
أنت منهم أحدا يا محمد ، فتراه وتعاينه ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يقول : أو تسمع لهم صوتا ، بل بادوا  
وهلكوا ، وختلت منهم دورهم ، وأوحشت منهم منازلهم ، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من  
عمل قدموه ، فكذلك قومك هؤلاء ، صاثرون إلى ماصار إليه أولئك ، إن لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ تَسْمَعُ  
لَهُمْ رِكْزًا ) قال : صوتا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ  
نُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) قال : هل ترى عينا ، أو تسمع صوتا .

(١) أبو صالح الضراري ، بالفساد المعجمة ، كما في ( تاج العروس : ضرر ) . وفي الأصل : بالصاد المهملة . تحريف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) يقول : هل تسمع من صوت ، أو ترى من عين ؟ .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يعني : صوتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : رِكْزُ النَّاسِ : أصواتهم . قال أبو كريب : قال سفيان : ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) ؟  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ) قال : أو تسمع لهم حيسا . قال : والركز : الحس .

قال أبو جعفر : والركز في كلام العرب : الصوت الخفي ، كما قال الشاعر :

فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الْأَنْبِيسِ فَرَاعَهَا      عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْبِيسُ سَقَامُهَا

آخر تفسير سورة مريم ، والحمد لله رب العالمين

### تفسير سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣)

قال أبو جعفر محمد بن جرير : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( طه ) فقال بعضهم : معناه يارجل . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : طه : بالنسب طية : يارجل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) فإن قومه قالوا : لقد شق هذا الرجل بربه ، فأنزل الله تعالى ذكره ( طه ) يعني : يارجل ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ) .

(١) البيت من معلقة ليبيد بن ربيعة العامري ( جهرة أشعار العرب ص ٦٣ - ٧٤ وشرح الزوزني للمعلقات السبع . وشرح التبريزي للفصائل العشر ) . والرواية في الجمهرة : « وتسمعت رجز الأنيس » . قال : والرجز الصوت الخفي . قال الله تعالى : « أو تسمع لهم ركزا » . ويروي ( رزا بالثديه . والأنيس : الإنس . عن ظهر غيب : أي مكان خفي . والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم . وفي التبريزي : وتسمعت رز الأنيس . قال : ويروي : توجست رجز الأنيس . أي تسمعت البقرة صوت الناس . فأفزعها ، ولم تر الناس . والرز والرجز الصوت الخفي . وقوله « عن ظهر غيب » معناه : من وراء حجاب ، أي تطلع من حيث لا ترى . « الأنيس سقامها » : معناه : والأنيس هلاكها ، أي يصيدها . وراعها أي أفزعها . وفاعل تسمعت : ضمير البقرة . وفاعل راعها : ضمير الرز ، وفي الزوزني وتوجست رز الأنيس ، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزي له .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن مسلم ، أو يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير أنه قال : طه : يا رجل بالسريانية .

قال ابن جريج : وأخبرني زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بذلك أيضا . قال ابن جريج ، وقال مجاهد ، ذلك أيضا .

حدثنا عمران بن موسى الفزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله : ( طه ) قال : يا رجل ، كلمه بالنبطية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله ، عن عكرمة ، في قوله : ( طه ) قال : بالنبطية : يا إنسان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن قررة بن خالد ، عن الضحاك ، في قوله : ( طه ) قال : يا رجل بالنبطية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة في قوله : ( طه ) قال : يا رجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ( طه ) قال : يا رجل ، وهي بالسريانية :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله : ( طه ) قال : يا رجل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، يعني ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( طه ) قال : يا رجل .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء الله ، وقسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ( طه ) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : هو حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى ، واختلفوا في ذلك اختلافهم في الم ، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه ، وبيئنا ذلك بشواهد .

والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه : قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل ، أنشدت لمتمم بن نويرة :

هَتَفْتُ بَطْنَهُ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فَحِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُؤَابِلًا

وقال آخر :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَّ مِنْ خَلَائِقِكُمْ<sup>٢</sup> لَابَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ<sup>٢</sup>

فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا ، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين .

فتأويل الكلام إذن : يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي ، ما أنزلناه عليك ، فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل ، وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يأتي من النَّصَبِ والعناء والسهر في قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي ) قال : هي مثل قوله ( فاقْرَأْهُ وَمَا تَنبَسَّرَ مِنْهُ ) فكانوا يُعَلِّقُونَ الحبال في صدورهم في الصلاة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي ) قال في الصلاة ، كقوله ( فاقْرَأْهُ وَمَا تَنبَسَّرَ مِنْهُ ) فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي ) لا والله ما جعله الله شقيا ، ولكن جعله رحمة ونورا ، ودليلا إلى الجنة .

وقوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) يقول تعالى ذكره : ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه ، بأداء فرائض ربه ، واجتناب محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) وإن الله أنزل كتبه ، وبعث رسله ، رحمة رحم الله بها العباد ، ليتذكر ذاكر ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذِكْرٌ له ، أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، فقال ( تَنْزِيلًا لِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ) قال : الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى .

(١) البيت لمضمع بن نورية كما قال المؤلف . وفي (اللسان : طهه) : الليث في تفسير (طه) مجزومة ، أنها بالخبشية : يارجل ، قال : ومن قرأ (طه) فحرقان . وبلغنا أن موسى لما صنع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف ، حتى قام على أصابع قدميه خوفا ، فقال الله عز وجل : (طه) أي اطمئن . الفراء : (طه) حرف هجاء . قال : وجاء في التفسير (طه) يارجل : يا إنسان . قال : وحدث قيس عن عاصم عن زر ، قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله : (طه) بكسرتين ، فقال الرجل : أليس إنما أمر أن يقرأ قومه ، فقال له عبد الله : هكذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الفراء وكان بعض القراء يقطعها (ط . ه) وروى الأزهرى عن أبي حاتم قال : (طه) : افتتاح سورة ، ثم استقبال الكلام فخطب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي » . وقال قتادة : (طه) بالسريانية : يارجل . وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هي بالنبطية : يارجل ، وروى ذلك عن ابن عباس . ٥١ . (اللسان) .

(٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن معنى (طه) في كلام العرب . يارجل ، ولم أقف على قائل البيت .



فمعنى الكلام إذن : يارجل ، ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى .  
وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة ، فكان بعض نحويي البصرة يقول : قال : إلا تذكرة  
بدلا من قوله لتشقى ، فجعله : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : نصبت  
على قوله : ما أنزلناه إلا تذكرة . وكان بعضهم ينكر قول القائل : نصبت بدلا من قوله ( لِيَتَشَقَّى ) ،  
ويقول : ذلك غير جائز ، لأن ( لِيَتَشَقَّى ) في الجحد ، و ( إِيَّاكَ تَذَكُّرًا ) في التحقيق ، ولكنه تكبير .  
وكان بعضهم يقول : معنى الكلام : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، لا لتشقى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الأرض  
والسماوات العلى . والعلى جمع عُلْيَا .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله ( تَنْزِيلًا ) فقال بعض نحويي البصرة : نصب ذلك بمعنى :  
نزل الله ذلك تنزيلا . وقال بعض من أنكر ذلك من قبيله : هذا من كلامين ، ولكن المعنى : هو تنزيل ، ثم أسقط  
هو ، واتصل بالكلام الذى قبله ، فخرج منه ، ولم يكن من لفظه .  
قال أبو جعفر : والقولان جميعا عندى غير خطأ .

وقوله ( الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا . وقد  
بيننا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا  
الموضع . وللرفع في الرحمن وجهان : أحدهما بمعنى قوله : تنزيلا ، فيكون معنى الكلام : نزل من خلق  
الأرض والسماوات ، نزله الرحمن الذى على العرش استوى . والآخر بقوله ( عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) لأن  
في قوله استوى ، ذكرا من الرحمن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦)

يقول تعالى ذكره : لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى ، ملكا له ، وهو  
مدبر ذلك كله ، ومصرف جميعه . ويعنى بالثرى : الندى ، يقال للتراب الرطب المبتل : ثرى ، منقوص ،  
يقال منه : ثريت الأرض ثرى ، ثرى ، منقوص ، والثرى : مصدر .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) والسَّرَى : كل شيء مبتل .

حدثنا عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) ما حفر من التراب مبتلا ، وإنما عنى بذلك : وما تحت الأرضين السبع . كالذي حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب ( وَمَا تَحْتِ السَّرَى ) قال : الثرى : سبع أرضين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تجهر يا محمد بالقول ، أو تخف به ، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ( فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ) يقول : فإنه لا يخفى عليه ما استسررت به في نفسك ، فلم تبده بجوارحك ، ولم تتكلم بلسانك ، ولم تنطق به ، وأخفى .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَأَخْفَى ) فقال بعضهم : معناه : وأخفى من السر ، قال : والذي هو أخفى من السر : ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما عملته أنت ، وأخفى : ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) يعني بأخفى : ما لم يعمله ، وهو عامله ؛ وأما السر : فيعني ما أسر في نفسه . حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السر : ما أسر ابن آدم في نفسه . وأخفى : ما أسر ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله ، فالله يعلم ذلك ، فعلمه فيما مضى من ذلك ، وما بقى علم واحد ، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة ، وهو قوله ( مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : السر : ما أسر الإنسان في نفسه ؛ وأخفى : ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو ، قالوا : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى : الوُسُوسَة . زاد بن عمرو والحارث في حديثيهما : والسر : العمل الذي يسرون من الناس .

(١) في الخلاصة للخرجي : محمد بن إبراهيم بن صدران ، بضم المهملة الأولى ، الأزدي ، السلمي ، بصحافية بعد اللام المكسورة .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وأخفى ) قال : الوسوسة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى حديث نفسك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدّينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السرّ : ما يكون في نفسك اليوم . وأخفى : ما يكون في غد وبعد غد ، لا يعلمه إلا الله .

وقال آخرون : بل معناه : وأخفى من السرّ ما لم تحدث به نفسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : السرّ : ما أسررت في نفسك ؛ وأخفى من ذلك : ما لم تحدث به نفسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) كنا نحدث أن السرّ ما حدثت به نفسك ، وأن أخفى من السرّ : ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا أبو قتادة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : يعلم ما أسررت في نفسك ، وأخفى : ما لم يكن وهو كائن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : أخفى من السرّ : ما حدثت به نفسك ، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن . حدثت عن الحسين بن القزّاح ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) أما السرّ : فما أسررت في نفسك . وأما أخفى من السرّ : فما لم تعمله وأنت عامله ، يعلم الله ذلك كله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه يعلم سرّ العباد ، وأخفى سرّ نفسه ، فلم يطلع عليه أحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال : يعلم أسرار العباد ، وأخفى سرّه فلا يعلم .

قال أبو جعفر : وكان الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أن السرّ : هو ما حدثت به الإنسان غيره سرّا . وأن أخفى : معناه : ما حدثت به نفسه ، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفى . وقال بعضهم : قد توضع أفعال موضع الفاعل ، واستشهدوا لقليلهم ذلك بقول الشاعر :

تَمَسَّنِي رِجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فَتَلَكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَرْحَدٍ ۖ  
 والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : معناه : يعلم السر وأخفى من السر ، لأن ذلك هو الظاهر  
 من الكلام ، ولو كان معنى ذلك ماتأوله ابن زيد ، لكان الكلام : وأخفى الله سره ، لأن أخفى : فعل  
 واقع متعد ، إذ كان بمعنى فعل على ماتأوله ابن زيد ، وفي انفراد أخفى من مفعوله ، والذي يعمل فيه لو  
 كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعال . وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السر وأخفى منه ، فإذا  
 كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول في معنى أخفى من السر أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ،  
 ولم يعلموه ، مما هو كائن ولما يكن ، لأن ما ظهر وكان فغير سر ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء ،  
 وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السر ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، ثم من أعلمه ذلك من عباده .  
 وأما قوله تعالى ذكره ( اللهُ لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ ) فإنه يعني به : المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، يقول  
 فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ماسواه من الآلهة والأوثان ( لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) يقول جل ثناؤه :  
 لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى ، فقال : الحسنى ، فوحده ، وهونعت للأسماء ، ولم يقل الأحاسن ،  
 لأن الأسماء تقع عليها هذه ، فيقال : هذه أسماء ، وهذه في لفظة واحدة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَنَنْتُ بِهِ رَبَّ غَفُورٌ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارٍ ۲

فوحده ذات ، وهونعت للبييض ، لأنه يقع عليها هذه ، كما قال : حدائق ذات بهجة ، ومنه قوله جل ثناؤه  
 ( مَارِبٌ أُخْرَى ) فوحده أخرى ، وهي نعت لمأرب ، والمأرب : جمع ، وأحدتها : مأربة ، ولم يقل  
 أخرى ، لما وصفنا ، ولوقيل : أخرى ، لكان صوابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۙ (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، أَعْلَى

ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقي من الشدة من مشركي قومه ، ومعرفة  
 ما إليه صائر أمره وأمرهم ، وأنه معلية عليهم ، وموهن كيد الكافرين ، ويحثه على الجدة في أمره ، والصبر

(١) ورد هذا البيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمى موته ، لماله  
 من العهد بعده ، فعاتبه الوليد في كتاب وفيه هذه الأبيات ، وأولها : « تمى رجال . . . الخ » . ذكرها المسعودي في ( مروج الذهب  
 طبعة دار الرجا ٣ : ١٠٣ ) . والشاهد في قوله بأوحد ، فإنه بمعنى : بواحد .

(٢) في ( اللسان : عقب ) يقال : أعقبه الله بإحسانه خيرا : والاسم العقبي ، وهو شبه العوض . واستعقب منه خيرا أو شرا :  
 اعتاقه ، فأعقبه خيرا ، أي عوضه وأبدله . والشاهد في البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء ، بكلمة ( ذات ) وهي واحدة ،  
 ولم يطابق بين التمت والمنعوت في العدد . وتأويل ذلك عند المؤلف أن كلمة البيض وإن كانت جمعا ، فإنها يشار إليها بكلمة هذه ، وهذه  
 في الأصل إشارة للواحدة ، فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع ، جاز أن ينعمت البيض بذات التي هي الواحدة ، وذلك نظير قول القرآن :  
 « له الأسماء الحسنى » ، والأسماء جمع ، والحسنى صفتها ، وهي واحدة .



على عبادته ، وأن يتذكر فيها ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم ، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ، ثم من قومه ، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة ، طفلاً صغيراً ، ثم يافعا مترعرا ، ثم رجلاً كاملاً ( وَهَلْ أَتَاكَ ) يا محمد ( حَدِيثُ مُوسَى ) ابن عمران ( إِذْ رَأَى نَارًا ) ذُكِرَ أَنْ ذَلِكَ كَانَ فِي الشَّتَاءِ لَيْلًا ، وَأَنَّ مُوسَى كَانَ أَضَلَّ الطَّرِيقَ ، فَلَمَّا رَأَى ضَوْءَ النَّارِ ( قَالَ لِأَهْلِهِ ) مَا قَالَ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قضى موسى الأجل ، سار بأهله ، فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت لهم نار ، فلما رآها ظن أنها نار ، وكانت من نور الله ( قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه النخعي ، قال : لما قضى موسى الأجل ، خرج ومعه غنم له ، ومعه زئذ له ، وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاراً ، فإذا أمسى اقتدح بزئذه ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غداً بأهله وغنمه ، فتوكأ على عصاه ، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته ، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه ، أخطأ فيها الطريق ، حتى لا يدري أين يتوجه ، فأخرج زئذه ليقترح ناراً لأهله ، ليبيتوا عليها حتى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد زئذه ، فلا يورى له ناراً ، فقدم حتى أعياه ، لاحت النار فرآها ، فقال لأهله ( امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) . وعنى بقوله ( آنَسْتُ نَارًا ) وجدت ، ومن أمثال العرب بعد اطلاع إناس ، ويقال أيضاً : بعد طلوع إناس ، وهو مأخوذ من الأنس .

وقوله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) يقول : لعل أجيئكم من النار التي آنست بشعلة . والقَبَسُ : هو النار في طرف العود أو القصبه ، يقول الفائل لصاحبه : أقبسن ناراً ، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبه . وإنما أراد موسى بقوله لأهله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) لعل آتاكم بذلك لتصلوا به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) قال : بقبس تصطاون .

وقوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه ، إما من خير هاد يهدينا إليه ، وإما من بيان وعلم تبيته به ونعرفه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) يقول : من يدل على الطريق .

(١) المقام يقتضي أن يقول : حتى إذا أعياه ، لاحت ... الخ أو : فلاحت ، ثم لاحت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : هاديا يهديه الطريق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) : أي هداة يهدونه الطريق .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن صاحب له ، عن حديث ابن عباس ، أنه زعم أنها أيلة ( أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) وقال أبي ، وزعم قتادة أنه هدى الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : من يهدينى إلى الطريق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : هدى عن علم الطريق الذى أضللتنا بنعت من خبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ( نَعَلَى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال : كانوا أضلوا عن الطريق ، فقال : لعل أجد من يدلنى على الطريق ، أو آتاكم بقبس لعلكم تصطلون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْؤُسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢)

يقول تعالى ذكره : فلما أتى النار موسى ، ناداه ربه ( يا مَوْسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : خرج موسى نحوها ، يعنى نحو النار ، فإذا هى فى شجر من العَلَيْقِ ، وبعض أهل الكتاب يقول فى عَوْسَجَةٍ ؛ فلما دنا استأخرت عنه ؛ فلما رأى استخارها رجع عنها ، وأوجس فى نفسه منها خيفة ؛ فلما أراد الرجعة ، دنت منه ، ثم كَلَّمَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله تبارك وتعالى ( يا مَوْسَىٰ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) فخلعها فألقاها .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه ، فقال بعضهم : أمره بذلك ، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فكره أن يبطأ بهما الوادى المقدس ، وأراد أن يمسه من بركة الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي قلابة ، عن



كعب ، أنه رأهم يخلعون نعالم ( اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) فقال : كانت من جلد حمار ميت ، فأراد الله أن يمسه القدس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد ، عن قتادة ، قال : حدثنا ، أن نعليه كانتا من جلد حمار ، فخلعهما ثم أتاه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقبل له اخلعهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبوسفيان ، عن معمر ، عن جابر الجعفي ، عن علي بن أبي طالب ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقبل له اخلعهما . قال : وقال قتادة مثل ذلك .

وقال آخرون : كانتا من جلد بقر ، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه ، ليصل إليه بركتها .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال الحسن : كانتا ، يعني نعلي موسى من بقر ، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض ، وكان قد قدس مرتين . قال ابن جريج : وقيل لجهاد : زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة ، قال : لا ، ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعني ابن عسبة ، سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : يقول : أفض بقدميك إلى بركة الوادي .  
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ، ليباشر بقدميه بركة الوادي ، إذ كان واديا مقدسا .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه لادلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما ، من أجل أنهما من جلد حمار ، ولا لنجاستهما ، ولا خبر بذلك عن يلزم بقوله الحجة ، وإن في قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) بعقبه ، دليلا واضحا ، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا .

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن حميد بن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ، كَانَتْ عَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٍ ، وَكِسَاءٌ صُوفٍ ، وَسَرَائِيلُ صُوفٍ ، وَتَعْلَانِ مِينَ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ مُذَكِّيٍّ » صحيفا ، لم نعدّه إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة ( نُودِيَّ يَا مُوسَى )

أُتِيَ ( بفتح الألف من « أُتِيَ » ، فأنَّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله : نودي ، فإن معناه كان عندهم : نودي هذا القول . وقراءه بعض عامة قرآء المدينة والكوفة بالكسر : نودي ياموسى إنى ، على الابتداء ، وأن معنى ذلك : قيل يا موسى إنى .

قال أبو جعفر : والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب ، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في آن قوله « يا موسى » ، وحظ قوله « نودي » أن يعمل في آن لو كانت قبل قوله « ياموسى » ، وذلك أن يقال : نودي أن يا موسى إنى أنا ربك ، ولا حظ لها في « إن » التى بعد موسى .

وأما قوله ( إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) فإنه يقول : إنك بالوادي المطهر المبارك . كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ) يقول : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله ( إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : قدس بورك مرتين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : بالوادي المبارك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( طُوًى ) فقال بعضهم : معناه : إنك بالوادي المقدس طوىته ، فعلى هذا القول من قولهم ، طوى : مصدر خرج من غير لفظه ، كأنه قال : طوىت الواد المقدس طوىً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) يعنى الأرض المقدسة ، وذلك أنه مرّ بواديه ليلا فطواه ، يقال : طويت وادى كذا وكذا طوىً من الليل ، وارتفع إلى أعلى الوادى ، وذلك نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم وقال آخرون : بل معنى ذلك : مرتين ، وقال : ناداه ربه مرتين ؛ فعلى قول هؤلاء طوىً مصدر أيضا من غير لفظه ، وذلك أن معناه عندهم : نودي يا موسى مرتين ، نداهن . وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوىً ، أنه بمعنى مرتين ، قول عدى بن زيد العبادى :

أعاذل إن اللوم في غدير كُنْهيه على طوى من غيبك المُتَرَدِّدا

وروى ذلك آخرون : « على ثنى » : أى مرة بعد أخرى ، وقالوا : طوى وثنى بمعنى واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) كنا نحدّث أنه واد قدس مرتين ، وأن اسمه طوى .

(١) البيت لعدي بن زيد (اللسان : طوى) . قال : وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمها) وهو الشيء المطوى مرتين ، فهو صفة بمنزلة ثنى وثنى (بكسر التاء وضمها) ، وليس يعلم لشيء ، وهو مصروف لا غير ، كما قال عدى بن زيد : « أعاذل إن اللوم ... البيت » . ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذى في شعر عدى : « على ثنى من غيبك . أراد اللوم المكرر » .



وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه قدس طُوًى مرتين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، قال الحسن : كان قد قدس مرتين .

وقال آخرون : بل طُوًى : اسم الوادي .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله طُوًى : اسم للوادي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : طُوًى : اسم الوادي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : ذلك الوادي هو طُوًى ، حيث كان موسى ، وحيث كان إليه من الله ما كان . قال : وهو نحو الطور . وقال آخرون : بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا صالح بن إسحاق ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله تبارك وتعالى ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) قال : طأ الوادي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( طُوًى ) قال : طأ الوادي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبيرة ، في قول الله ( طُوًى ) قال : طأ الأرض حافيا ، كما تدخل الكعبة حافيا ، يقول : من بركة الوادي .

حدثنا القاسم ، ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد ، ( طُوًى ) طأ الأرض حافيا .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرآء المدينة ( طُوًى ) بضم الطاء وترك التنوين ، كأنهم جعلوه اسم الأرض التي بها الوادي ، كما قال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهِمْ رَشَدُوا أَزْرَهُ  
بِحُنَيْنٍ حِينَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان: حنن). والشاهد فيه أن حنين غير مصروف، لأنه جملة اسماء للبادية، كما قال المؤلف، أوالبقعة .

فلم يجر حنين ، لأنه جعله اسماً للبلدة لالوادي : ولو كان جعله اسماً للوادي لأجراه كما قرأت القرآء ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَسْرَتُكُمْ ) ، وكما قال الآخر :

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الشَّقَلَيْنِ رَحَلًا وَأَعْظَمَهُمْ بَيْطُنَ حِرَاءَ نَارًا

فلم يجر حراء ، وهو جبل ، لأنه جعله اسماً للبلدة ، فكذلك ( طُوًى ) في قراءة من لم يجره ، جعله اسماً للأرض . وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة ( طُوًى ) بضم الطاء والتنوين ، وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه ، على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل ؛ فأما من أراد به المصدر من طويت ، فلا مؤنة في تنوينه ؛ وأما من أراد أن يجعله اسماً للوادي ، فإنه إنما يتوّننه لأنه اسم ذكر لا مؤنث ، وإن لام الفعل منه باء ، فزاده ذلك خفة ، فأجراه كما قال الله ( وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ) إذ كان حنين اسم واد ، والوادي مذكر .

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندي بالصواب : قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين ، لأنه إن يكن اسماً للوادي فحظه التنوين ، لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك ، وإن كان مصدرًا أو مفسراً ، فكذلك أيضا حكمه التنوين ، وهو عندي اسم الوادي . وإذ كان ذلك كذلك ، فهو في موضع خفض ، ردًا على الوادي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)

اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القرآء الذين قرءوا ( وَأَنَا ) بتشديد النون ، ( وأنا ) بفتح الألف من « أنا » ردًا على : نودي يا موسى ، كأن معنى الكلام عندهم : نودي يا موسى إني أنا ربك ، وأنا اخترتك ، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرآء الكوفة . وأما عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرءوه ( وأنا اخترتُك ) بتخفيف النون ، على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحد منهما قرآء أهل العلم بالقرآن ، مع اتفاق معنيهما ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فيه . وتأويل الكلام : نودي أنا اخترتك ، فاجتبتناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ( فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ) يقول : فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعيه ، واعمل به ( إِنِّي أَنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره : إني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ( لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ) فلا تعبد غيري ، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ( فَاعْبُدْنِي ) يقول : فأخلص العبادة لي دون كل ما عبُد من دوني ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أقم الصلاة لي ، فإنك إذا أقمتها ذكرني .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :

(١) البيت في (اللسان : حري) قال الجوهري : لم يصرف حراء لأنه ذهب به إلى البلدة التي هو بها . وفي الحديث « كان يتحنث

بحراء » مصروفًا ، وهو جبل من جبال مكة . وفي رواية اللسان : طرا ، في موضع : رحلا .



ثنا ورفاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( أقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) قال : إذا صلى ذكر ربه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وأقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) قال : إذا ذكر عبده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقم الصلاة حين تذكرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ( وأقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) قال : يصلها حين يذكرها .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثني عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثني يونس ومالك بن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، قَالَ اللَّهُ ( أقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) » . وكان الزهري يقرأها : ( أقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) بمنزلة فعلى .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من قال : معناه : أقم الصلاة لتذكرني فيها ، لأن ذلك أظهر معنييه ؛ ولو كان معناه : حين تذكرها ، لكان التنزيل : أقم الصلاة لذكرتها . وفي قوله ( لِيَذْكُرِي ) دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ؛ ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار ، كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى : أقم الصلاة حين تذكرها ، وذلك أن الزهري وجهه بقراءته ( أقيم الصلاة لِيَذْكُرِي ) بالألف لا بالإضافة إلى أقم لذكرها ، لأن الهاء والألف حذفنا ، وهما مرادتان في الكلام ، ليوافق بينها وبين سائر رموس الآيات ، إذ كانت بالألف والفتح ، ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرناها ، إنما قصد الزهري بفتحها تصديره الإضافة ألفا ، للتوفيق بينه وبين رموس الآيات قبله وبعده ، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة ، وقال : إنما ذلك كقول الشاعر :

أَطْوَفُ مَا أَطْوَفُ مِمَّ آوَى إِلَى أُمَّا وَيُرْوِيهِ النَّقِيعُ<sup>١</sup>

وهو يريد : إلى أمي ، وكقول العرب : يا أبا وأما ، وهي تريد : يا أبي وأمى ، كان له بذلك مقال .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن

لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦)

(١) في الأصل : إذ ، ولعله تحريف عن « إلى » .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٩٦) قال : والعرب تقول : بيتا وأما ، يريدون : بأبي وأمي ومثله ياولنا أعجزت ، وإن شئت جعلتها يا إضافة ، وإن شئت ياندية . اهـ . والتقيع والتقيعة : المحض من اللبن يبرد ، قال ابن بري شاهده قول الشاعر : « . . . . . ويكفيني التقيع » .

يقول تعالى ذكره : إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ( أكادُ أخفيها ) فعلى ضم الألف من أخفيها قراءة جميع قرآء أمصار الإسلام ، بمعنى : أكاد أخفيها من نفسي ، لئلا يطلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أكادُ أخفيها ) يقول : لأظهر عليها أحدا غيري .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إن الساعة آتية أكادُ أخفيها ) قال : لانتأيتكم إلا بغتة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( إن الساعة آتية أكادُ أخفيها ) قال : من نفسي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أكادُ أخفيها ) قال : من نفسي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( أكادُ أخفيها ) قال : من نفسي .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( أكادُ أخفيها ) قال : يخفيها من نفسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أكادُ أخفيها ) وهي في بعض القراءة : أخفيها من نفسي . ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء المرسلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال في بعض الحروف ( إن الساعة آتية أكادُ أخفيها من نفسي ) .

وقال آخرون : إنما هو ( أكادُ أخفيها ) بفتح الألف من أخفيها ، بمعنى : أظهرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن سهل ، قال : سألت رجل في المسجد عن هذا البيت .

دَابَّ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيكَأَ بِأَرِيكَتَيْنِ بِخَفِيَانِ غَمِيرًا

(١) البيت لكعب (اللسان : والتاج : دمك) قال : يقال أقمت عنده شهرا دميكا ، أي شهرا تاما ، قال كعب : « داب شهرين ثم شهرا دميكا » . اه . ولم يذكر الشطر الثاني من البيت . وفي (معجم ما استعجم للبكري ص ١٤٤) : قال أبو عبيدة : أريك في بلاد ذيبان . قال : وهما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . ويخفيان : بفتح الياء يخرجان . والغمير : له معان كثيرة ، منها في تاج العروس : الغمير : كأمير : حب الهمى الساقط من سفله حين يبس ، أو نبات أخضر قد غمره اليبس . . . الخ .



فقلت : يظهران ، فقال ورقاء بن إياس وهو خلمي : أقرأنيها سعيد بن جبير ( أكادُ أخفيها ) بنصب الألف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا : معناه : أكاد أخفيها من نفسي .

#### ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن مجاهد ، قال ( إن السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ) قالوا : من نفسي .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهبباري ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( أكادُ أخفيها ) قال : من نفسي .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية من القول : قول من قال : معناه : أكاد أخفيها من نفسي ، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء ، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف : قراءة لأستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا .

فإن قال قائل : ولم وجهت تأويل قوله ( أكادُ أخفيها ) بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفيها من نفسي ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين : أحدهما الإظهار ، والآخر الكتمان ، وأن الإظهار في هذا الموضوع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه ، إذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيئا هو به عالم ، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية ؟ قيل : الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت ، وإنما وجهنا معنى ( أخفيها ) بضم الألف إلى معنى : أسترها من نفسي ، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : السر . يقال : قد أخفيت الشيء : إذا سترته . وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار ، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندي .

حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : أنشدني أبو الخطاب ، عن أهله في بلده :

فإن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِيهِ وَإِنْ تَبَعْتُوا الْحَرْبَ لَا تَنْقُصُهَا

بضم النون من لا تخفه ، ومعناه : لانظهره ، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضوع إلى الإظهار ، على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت ، على ما وصفت من ضم النون من تخفه . وقد أنشدني الثقة عن الفرء :

فإن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِيهِ

بفتح النون من تخفه ، من خفيته أخفيه ، وهو أولى بالصواب ، لأنه المعروف من كلام العرب . فإذا كان ذلك

(١) البيت لامرئ القيس بن عابس الكندي . استشهد به صاحب ( اللسان : خفا ) على أن قوله لا تخفه ، بفتح النون أي لانظهره . وكذا قرئ قوله تعالى : « أكاد أخفيها » أي أظهرها . حكاه المحياني ، عن الكسائي ، عن محمد بن سهل ، عن سعيد بن جبير . اه . قال في اللسان : يقال خفيت الشيء خفيا : أظهرته واستخرجته ، يقال خفي المطر الفشار : إذا أخرجته من أنفاقه ، أي من جحرتها . قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن وديق من عثى مجلب .

وخفيت الشيء أخفيه : كتمته ، وهو من الأضداد . وأخفيت الشيء : سترته وكتمته . ورواية المؤلف البيت كما في معاني القرآن لفراء . وفي ( اللسان : خفا ) : « فإن تكتموا السر لا تخفه » .

كذلك ، وكان الفتح فى الألف من أخفيها غير جائز عندنا ، لما ذكرنا ، ثبت وصح الوجه الآخر ، وهو أن معنى ذلك : أكاد أسرها من نفسى .

وأما وجه صحة القول فى ذلك ، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم ، وجرى به خطابهم بينهم ؛ فلما كان معروفا فى كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة فى الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسر : قد كدت أن أخفى هذا الأمر عن نفسى ، من شدة استسراى به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته ، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم ، وما قد عرفوه فى منطقتهم ، وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا . وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال ، لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، إذ كنا لانستجيز الخلاف عليهم ، فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر . فأما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الاتزاع من كلام العرب ، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين ، وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف ، فإنهم اختلفوا فى معناه بينهم ، فقال بعضهم : يحتمل معناه : أريد أخفيها ؛ قال : وذلك معروف فى اللغة . وذكر أنه حكى عن العرب أنهم يقولون : أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم ، وقال : معناه : لأنزل إلا عليهم ، قال : وحكى : أكاد أبرح منزلى : أى ما أبرح منزلى ، واحتج بيت أنشده لبعض الشعراء :

كادت وكيدت وتلك خبير إرادة لو عاد من عهد الصباية ما مضى<sup>١</sup>

وقال : يريد بكادت : أرادت ؛ قال : فيكون المعنى : أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل :

سريع إلى الهياج شاك سلاحه فمأ إن يكاد قرنته يتنفس<sup>٢</sup>

وقال : كأنه قال : فما يتنفس قرنه ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وقال ذو الرمة :

إذا غيّر النأى المحيين كم يكند رسيس الهوى من حب مية يبرح<sup>٣</sup>

(١) البيت فى (اللسان : كيد) . قال : ويقال : فلان يكيد أمرا ما أدري ما هو ؟ إذا كان يريد به ، ويحتال له ، ويسمى له . وقال : « بلغوا الأمر الذى كادوا » : يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأنشد أبو بكر فى كاد بمعنى أراد ، للأفوه :

فإن نجيع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أراد : الذى أرادوا . وأنشد :

كادت وكدت وتلك غير إرادة لو (كان) من أمر الصباية ما مضى

قال : معناه : ما أرادت . قال : ويحتمله قوله تعالى : « لم يكدرها » لأن الذى عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليد ، والإبصار إليها . والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد ، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « أكاد أخفيها » .

(٢) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف . واستشهد به صاحب (اللسان : كاد) على أن كاد قد تجيء صلة فى الكلام . قال : وتكون كاد صلة للكلام (زائدة) ، أجاز ذلك . الأخفش وقطرب وأبو حاتم . واحتج قطرب بقول الشاعر : « سريع . . الخ » . معناه : ما يتنفس قرنه . ولكن أبا جعفر الطبرى جملة شيئا بالشاهد السابق عليه ، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن . وإن اتى قبل يكاد : زائدة ، أو نافية مؤكدة لما التافية قبلها .

(٣) هذا البيت من حالية ذى الرمة المشهورة (ديوانه طبعه كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٧٨) قال شارحه : التأى البعد . رسيس الهوى : مسه ، وما أخفى منه ، أو أوله ، ويقال : لم يجد رسيس الحمى . واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه : لم يبرح ، =



قال : وليس المعنى : لم يكذب يبرح : أى بعد يسر ، ويبرح بعد عسر ؛ وإنما المعنى : لم يبرح ، أو لم يرد يبرح ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وكذلك قول أبي النجم :

وإن أناك نعي فاندُبْنُ أبأ قد كاد يَضْطَلِّعُ الأعداءَ والحطبا

وقال : يكون المعنى : قد اضْطَلِّعُ الأعداءَ ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد ، لأن معناه : أكاد أن آتى بها ؛ قال : ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : وذلك نظير قول ابن ضابط :

هَمَمْتُ وَكَمْ أَفْعَلُ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي أَقَارِبَهُ ٢

فقال : كدت ، ومعناه : كدت أفعل .

وقال آخرون : معنى ( أخفيها ) : أظهرها ، وقالوا : الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى

الإظهار ، واستشهد بعضهم لقبوله ذلك بيت الفرزدق :

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجَ جَرَدًا سَيْفَهُ أَسْرَّ الْحَرَوْرِيَّ الَّذِي كَانَ أَضْمَرَ ٣

= أو لم يرد يبرح ؛ وعلى هذا يكون الفعل ( يكاد ) زائدا في الكلام ، وقد جاء في ( اللسان : رسن ) رواية أخرى للبيت ، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف ، من أن المعنى على زيادة ( يكاد ) ، وهي :

إِذَا غَسَّيرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيْسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَسْبِرُ

وهذه الرواية هي التي عدل إليها الشاعر ، حين خطأه ابن شبرمة قاضي البصرة ، لما سمعه ينشد القصيدة في المريد . ولكن المحققين قالوا إن بديهة ذي الرمة في الرواية الأولى ، كانت أجود من رويته ، ( في الرواية الثانية ) . وقد بين العلامة المحقق رضى الله الدين الأستراباذى : محمد بن الحسن ، صواب الرواية الأولى ، بأن معنى لم يكذب : لم يقرب وأن نفي مقارنة الشيء أبلغ من نفي الشيء ، فيكون معنى البيت : إذا غير البعاد قلوب المحبين ، فبعاد مية عنى لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ، ولا يقارب أن يذهب به . ( وانظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، طبعة الآستانة ٢ : ٣٠٦ أفعال المقاربة ) . وقد أبطل الرضى زعم من زعم من التحاة « أن نفي كاد إثبات ، وأن إثباته نفي » ؛ وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه .

(١) البيت لأبي النجم كما قال المؤلف . والشاهد في قوله « كاد يضطلع » فقد ذهب المؤلف أن معناه : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل . وعلى هذا التخريج للبيت يكون الفعل ( كاد ) صلة ( زائدة ) ، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده . ويضطلع الأعداء : أى يضطلع بهم ويأخطبهم ، أسقط الباء ، فعدى الفعل بنفسه إلى المفعول الذي كان مجرورا بالباء ، قبل إسقاطها . يقال اضطلع بحمله ، أى قوى عليه ونهض به . وهو من الضلعة أى القوة . وفي ( اللسان : ضلع ) : واضطلع الحمل أى احتمله أضلاعه . وقال ابن السكيت : يقال : هو مضطلع بحمله ، أى قوى على حمله ، وهو مفتعل من الضلعة . والنهي : الناعي الذي يغير بموت من مات .

(٢) البيت لضابط بن الحارث البرجمي ، حبسه الخليفة عثمان ، لأنه كان فعاشا ، هجما قوما فأراد عثمان تأديبه ، فلما دعى ليؤدب ، شد سكينتا في ساقه ، ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه ، ثم شرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه . والبيت من مقطوعة لامية له أنشدتها أبو العباس المبرد ( رغبة الأمل ، بشرح الكامل للمرصني ٤ : ٩١ ) .

فلا تتبعيني إن هلكت ملامة فليس بهار قتل من لا أقاتله

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلالته

والشاهد في قوله : كدت ، أى كدت أفعل ما همت به من قتل عثمان . وهو نظير ما في القرآن : « إن الساعة آتية أكاد » . ذهب قوم إلى أن معناه : أكاد أن آتى بها . ثم ابتداء فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . والبيت لضابط لا لابه كما قال المؤلف .  
(٣) لم أجده هذا البيت في ديوان الفرزدق ، وهو من شواهد أبي عبيدة ( اللسان : سرر ) قال : أسررت الشيء : أخفيته ، وأسررت به : أعلته ، ومن الإظهار قوله تعالى : وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، أى أظهروها . وأنشد للفرزدق :

وقال : عَسَى بِقَوْلِهِ : أَسْرَ : أَظْهَرَ . قَالَ : وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ( وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ) وَأَظْهَرُ وَهِيَ . قَالَ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : ( بِالْيَسْتِنَا تُرَدُّ وَلَا نُنْكَدُّ بِآيَاتِ رَبِّنَا ) . وَقَالَ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَكَمْنَا قَوْلَهُمْ : جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ : أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي ، أَنْ يَكُونَ : أَرَادَ أَخْفِيهَا مِنْ قَبِيلِي وَمَنْ عِنْدِي . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَنْ ذِكْرِنَا ، تَوْجِيهِ مَنَّهُمُ لِلْكَلامِ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ الْمَعْرُوفِ ، وَغَيْرِ جَائِزٍ تَوْجِيهِ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِ الْأَغْلَبِ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ ، فَنِي ذَلِكَ ، مَعَ خِلَافِهِمْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فِيهِ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَى خَطَأِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِيهِ .

وقوله ( لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ) يقول تعالى ذكره : إِنْ السَّاعَةُ آتِيَةٌ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ : يَقُولُ : لِتُنَابِئَ كُلَّ نَفْسٍ أَمْتَحِنَهَا رَبُّهَا بِالْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا بِمَا تَسْعَى : يَقُولُ : بِمَا تَعْمَلُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَقَوْلُهُ ( فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَلَا يَرُدُّنَّكَ يَا مُوسَى عَنِ التَّأَهُبِ لِلْسَّاعَةِ ، مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا ، يَعْنِي : مَنْ لَا يَقْرَأُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ ، وَلَا يَصُدِّقُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَلَا يَرْجُو ثَوَابًا ، وَلَا يَخَافُ عِقَابًا . وَقَوْلُهُ ( وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ ) يَقُولُ : اتَّبَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ ( فَتَرَدَّى ) يَقُولُ : فَهَلَكَ إِنْ أَنْتَ انْصَدَدْتَ عَنِ التَّأَهُبِ لِلْسَّاعَةِ ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهَا ، وَبِأَنَّ اللَّهَ بَاعَثَ الْخَلْقَ لِقِيَامِهَا مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ ، بِصُدِّ مَنْ كَفَرَ بِهَا . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ الْهَاءَ وَالْأَلْفَ مِنْ قَوْلِهِ ( فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا ) كِتَابَةٌ عَنِ ذِكْرِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : وَإِنَّمَا قِيلَ عَنْهَا ، وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ الْإِيمَانِ ، كَمَا قِيلَ ( إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) يَذْهَبُ إِلَى الْفَعْلَةِ ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْإِيمَانِ ذِكْرٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَيَجْعَلُ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَإِنَّمَا جَرَى ذِكْرُ السَّاعَةِ ، فَهُوَ بَأَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِهَا أُولَى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

#### وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧)

يقول تعالى ذكره : وما هذه التي في يمينك يا موسى ؟ فالباء في قوله ( بِيَمِينِكَ ) من صلة تلك ، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ؛ ومنه قول يزيد بن مفرغ :

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمْنِيَّتٍ وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ

كأنه قال : والذي تحمّلين طليق .

« فلما رأى الحجاج جرد سيفه البيت . قال شعر : لم أجِدْ هذا البيتَ للفَرَزْدَقِ ، وما قال غير أبي عبيدة في قوله « وأسروا الندامة » : أي أظهِروها . قال : ولم أسمع ذلك لغيره . قال الأزهري : وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار . وقيل : أسروا الندامة : يعنى : الرؤساء من المشركين أسروا الندامة في سفلتهم الذين أضلّوهم ، وأسروها : أخفوها ، وكذلك قال الزجاج ، وهو قول المفسرين . والحجوري : الخارجى نسبة إلى حروراء ، وهى أول مجتمعاتهم لما نابذوا أمير المؤمنين علياً ، وأظهِروا التحكيم « لاحكم إلا لله » . قسموا الحكمة ، والحرورية ، والموارج .

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى ، يخاطب بقلته حين هرب من عبيد الله بن زياد وأخيه عباد ، وكان ابن مفرغ يهجوها إذا تأخر عليه العطاء ، وله قصة مشهورة . وعدس : زجر لبغل ، أو اسم له . ويروى نجوت في مكان : أمنت (السان : عدس) . وهذا : اسم إشارة ، وقد وصل بجملة تحمّلين ، فصار من الأسماء الموصولة في قول بعض النحويين . هذا : مبتدأ . وجملة تحمّلين : صلة . طليق : خبر لمبتدأ . أى والذي تحمّلته طليق ، ليس لأحد عليه سلطان .



ولعلّ قائلًا أن يقول : وما وجه استخبار الله موسى عما في يده ؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا ؟ قيل له : إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه ، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحولها حية تسعى ، وهي خشبة ، فنبه عليها ، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها ، ويهشّ بها على غنمه ، ليعرفه قُدْرته على ما يشاء ، وعظم سلطانه ، ونفاذ أمره فيما أحبّ ، بتحويله إياها حية تسعى ، إذا أراد ذلك به ، ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه .

### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأُشْفِي بِهَا عَمِّي ، وَلِي فِيهَا مَثَابٌ آخَرَ (١٨)

يقول تعالى ذكره محبرا عن موسى : قال موسى مجيبا لربه ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَمِّي ) يقول : أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي ؛ يقال منه : هشّ فلان الشجر يهشّ هشا : إذا اختبط ورق أغصانها ، فسقط ورقها ؛ كما قال الراجز :

أهشّ بالعصا على أغنمى من ناعيم الأراك والبشام

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وأهشّ بها على غنمى ) قال : أخطب بها الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأهشّ بها على غنمى ) قال : أخطب : حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأهشّ بها على غنمى ) قال : كان نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم يهشّ على غنمه ورق الشجر .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( وأهشّ بها على غنمى ) يقول : أضرب بها الشجر للغم ، فيقع الورق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَمِّي ) قال : يتوكأ عليها حين يمشى مع الغنم ، ويهشّ بها ، يحرك الشجر حتى يسقط الورق : الحبلة وغيرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن عكرمة ( وأهشّ بها على غنمى ) قال : أضرب بها الشجر ، فيسقط من ورقها على .

(١) في (اللسان: هش): الهش، أن تنثر ورق الشجر بعصا. هش الغنم يشه هشا: خبطه؛ فألق ورقه لغنمه، ومنه قوله عز وجل: «وأهش بها على غنمى»، قال الفراء: أى أضرب بها الشجر اليابس، ليسقط ورقها، وترعاه غنمه. والأراك والبشام: نوعان من الشجر ترعاهما المشاة، وفي أغصانها لبن، وقد تأكلها المشاة إذا كانت خضرا.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة يقول ( وأهشُّ بها على غنمِي ) قال : أضرب بها الشجر ، فيساقط الورق على غنمي .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وأهشُّ بها على غنمِي ) يقول : أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي .  
وقوله ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) يقول : ولى في عصاي هذه حوائج أخرى ، وهي جمع ماربة ، وفيها للعرب لغات ثلاث : ماربة بضم الراء ، وماربة بفتحها ، وماربة بكسرها ، وهي متفعل من قولهم : لأرب لى في هذا الأمر : أى لاحتاجة لى فيه . وقيل أخرى وهن مآرب جمع ، ولم يقل أُخْرَى ، كما قيل ( لهُ الأسماءُ الحُسْنَى ) وقد بينت العلة في توجيه ذلك هنالك .  
وبنحو الذى قلنا في معنى المآرب قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حوائج أخرى قد علمتها .  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) يقول : حاجة أخرى .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حاجات .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حاجات ومنافع .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حاجات .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) يقول : حوائج أخرى : أحمل عليها الميزود والسقاء .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حوائج أخرى .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) قال : حاجات ، منافع أخرى .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( ولى فيها مآربٌ أُخْرَى ) :  
أى منافع أخرى .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلى فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ) قال : حوائج أخرى سوى ذلك .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( مَارِبٌ أُخْرَى ) قال : حاجات أخرى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا ، فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : ألق عصاك التي يمينك يا موسى ، يقول الله جل جلاله : فألقها موسى ، فجعلها الله حية تسعى ، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة ، وعصا يتوكأ عليها ، ويهش بها على غنمه ، فصارت حية بأمر الله .

كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سفيان بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قيل لموسى : ألقها يا موسى ، ألقها ( فإذا هي حية تسعى ) ولم تكن قبل ذلك حية ؛ قال : فررت بشجرة فأكلتها ، ومرت بصخرة فابتلعها ؛ قال : فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها ؛ قال : فوالى مُدْبِرًا ، فنودى : أن يا موسى خذها ، فلم يأخذها ؛ ثم نودى الثانية : أن ( خذها ولا تخف ) فلم يأخذها ؛ فقيل له في الثالثة : ( إنك من الأمنين ) ، فأخذها .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال له ، يعنى لموسى ربه ( ألقها يا موسى ) يعنى ( فألقها فإذا هي حية تسعى ) - فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مُدْبِرًا ولم يعقب ( فنودى ) يا موسى لا تخف ، أتى لا يخاف لُدَى المرسلون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، ( قال ألقها يا موسى ، فألقها فإذا هي حية تسعى ) تهتز ، لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون ، فرأى أمرًا فظيعا ( فوالى مُدْبِرًا ، ولم يعقب ) فناداه ربه ( يا موسى أقبيل ولا تخف ، سنعيد لها سيرتها الأولى ) .

وقوله ( قال خذها ولا تخف ) يقول تعالى ذكره ، قال الله لموسى : خذ الحية ، والهاء والألف من ذكر الحية ( ولا تخف ) يقول : ولا تخف من هذه الحية ( سنعيد لها سيرتها الأولى ) يقول : فإننا سنعيد لها هيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية ، ونردّها عصا كما كانت . يقال لكل من كان على أمر فتركه ، وتحوّل عنه ثم راجعه : عاد فلان سيرته الأولى ، وعاد لسيرته الأولى ، وعاد إلى سيرته الأولى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( سيرتها الأولى ) يقول : حالتها الأولى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سيرتها الأولى ) قال : هيئتها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ( سننعيدها سيرتها الأولى )  
أى سردّها عصا كما كانت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( سننعيدها سيرتها الأولى ) قال : إلى هيئتها الأولى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى (٢٢) لِئُرِيكَ مِنْ

آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)

يقول تعالى ذكره : واضمم يديك ، فضعها تحت عضدك ، والجناحان هما اليدان ، كذلك روى الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحمار . وأما أهل العربية ، فإنهم يقولون : هما الجنبان . وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز :

أَضْمُهُ لِلصَّدْرِ وَالجَنَاحِ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إلى جناحك ) قال : كفه تحت عضده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( تَخْرُجُ بَيِّضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء ، من غير برص ، مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه .

(١) في (اللسان : جنح) : وجناحا الطائر : يده . وجناح الإنسان يده . ويدها الإنسان : جناحاه . وقال الزجاج : الجناح : العضد ، ويقال : اليد كلها جناح . اهـ . وجناحا المسكر جانباه ، وجناحا الوادي : مجريان عن يمينه وشماله . اهـ . ولم أقف على قائل الرجز .



حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه .  
حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، في قوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : من غير برص .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن في قول الله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال : أخرجه الله من غير سوء ، من غير برص ، فعلم موسى أنه لقي ربه .  
وقوله ( آيَةٌ أُخْرِي ) يقول : وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبالتها من تحويل العصا حية تسعى ، على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه ، ونصب آية على اتصالها بالفعل ، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي . وقوله ( لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ) يقول تعالى ذكره : واضمم يدك ياموسى إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء ، كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا ، وقال الكبرى فوحده ، وقد قال ( مِنْ آيَاتِنَا ) كما قال ( لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) وقد بيننا ذلك هنالك . وكان بعض أهل البصرة يقول : إنما قيل الكبرى ، لأنه أريد بها التقديم ، كأن معناها : عنده لريك الكبرى من آياتنا .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)  
وَأَحْمِلْ عُقْدَةَ مِن لِسَانِي (٢٧) يَتَقَهَّوْا قَوْلِي (٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠)  
يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه : ( اذْهَبْ ) يا موسى ( إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) يقول : إنه تجاوز قدره ، وتمرد على ربه . وقد بيننا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، في هذا

الموضع ، وفي الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه ، وهو قوله ( اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) فادعه إلى توحيد الله وطاعته ، وإرسال بني إسرائيل معك ( قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) يقول رب اشرح لي صدري ، لأعيني عنك ما تودعه من وحيك ، وأجرتي به على خطاب فرعون . ( وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ) يقول : وسهل علي القيام بما تكلفني من الرسالة ، وتحملني من الطاعة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) قال : جرأة لي .

وقوله ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِثْلَيْ لِسَانِي ) يقول : وأطلق لساني بالمنطق ، وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام ، للذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه ، يوم هم فرعون يقتله .  
ذكر الرواية بذلك عن قاله

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن سعيد بن جبير ، ( في قوله عُقْدَةَ مِثْلَيْ لِسَانِي ) قال : عجمة بجمرة نار أدخلها في فيه عن امرأاة فرعون ، ترد به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدو لي ، فقالت له : إنه لا يعقل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِثْلَيْ لِسَانِي ) بجمرة نار أدخلها في فيه عن امرأاة فرعون ، تدرأ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل ، فقال : هذا عدو لي ، فقالت له : إنه لا يعقل ، هذا قول سعيد بن جبير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِثْلَيْ لِسَانِي ) قال : عجمة بجمرة نار أدخلها في فيه ، عن امرأاة فرعون ، ترد به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما تحرك الغلام ، يعني موسى أورته أمه آسية صبيا ، فيما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه ؛ فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته ، فتنفها ، فقال فرعون : على الذباحين ، قالت آسية : ( لَاتَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني ، أنا أضع له حلبا من الياقوت ، وأضع له جمر ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل ، فأذبحه ، وإن أخذ الجمر فلنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ، ووضعته له طسستا من جمر ، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فطرح في يده جمرة ، فطرحها موسى في فيه ، فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل ( وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِثْلَيْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ) ، فزالت<sup>١</sup> عن موسى من أجل ذلك .

وقوله ( يَفْقَهُوا قَوْلِي ) يقول : يفقهوا عنى ما أخطبهم وأراجعهم به من الكلام ( وَأَجْعَلْ لِي

(١) في النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية : فزالت ، ولعله : فزالت ، أي العقدة .



وَزَيْرًا مِّنْ أَهْلِى ( يقول : واجعلى لى عوناً من أهل بيتى ( هَارُونَ أَخِي ) وفى نصب هارون وجهان :  
أحدهما أن يكون هارون منصوباً على الترجمة عن الوزير .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس : كان  
هارون أكبر من موسى .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ  
كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)

يقول تعالى ذكره : خبراً عن موسى إنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون . وإنما يعنى بقوله  
( أَشَدُّدٌ بِهِ أَزْرِي ) قوّ ظهري ، وأعنى به ، يقال منه : قد أزر فلان فلاناً : إذا أعانه وشدّ ظهره .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ،  
قوله ( أَشَدُّدٌ بِهِ أَزْرِي ) يقول : أشدد به ظهري .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( أَشَدُّدٌ بِهِ أَزْرِي ) يقول :  
أشدد به أمرى ، وقوّى به ، فإن لى به قوّة .

وقوله ( وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ) يقول : واجعله نبياً مثل ما جعلتني نبياً ، وأرسله معى إلى فرعون ( كَيْ  
نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ) يقول : كى نعظمك بالتسبيح لك كثيراً ( وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ) فنحمدك ( إِنَّكَ  
كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ) يقول : إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شئ .  
وذكر عن عبد الله بن أبى إسحاق أنه كان يقرأ ( أَشَدُّدٌ بِهِ أَزْرِي ) بفتح الألف من أشدد ( وَأَشْرِكُهُ  
فِي أَمْرِي ) بضم الألف من أشركه ، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه ، أنه يفعل ذلك ، لاعلى وجه الدعاء ،  
وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء ، أو جواب الدعاء ، وذلك قراءة لأرى القراءة بها ،  
وإن كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التى لا يجوز خلافها .

## القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى  
أُمَّكَ مَا يُوحَى (٣٨)

(١) لم يبين المؤلف الوجه الثانى فى نصب هارون ، وقد بينه الشركانى فى تفسيره فى « فتح القدير » طبعة الحلبي ( ٣ : ٣٥١ ) قال :  
وانتصاب « وزيراً » و « هارون » : على أنهما مفعولاً اجعل . وقيل مفعولاً : « لى وزيراً » ، ويكون هارون عطف بيان لوزير . ٥١ .  
قلت : وعنى المؤلف بالترجمت : البديل : وهو أخو عطف البيان .

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم : قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك ، من شرحه صدرك ، وتيسيره لك أمرك ، وحل عقدة لسانك ، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك ، وشد أزرك به ، وإشراكه في الرسالة معك . ( وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مِرَّةً أُخْرَى ) يقول تعالى ذكره : ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى ، وذلك حين أوحينا إلى أمك ، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ، ما أوحينا إليها ؛ ثم فسرتعالى ذكره ما أوحى إلى أمه ، فقال : هو : أن اذنيه في التابوت . فأن في موضع نصب ، رداً على « ما » التي في قوله ( ما يُوحَى ) ، وترجمة عنها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ، فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ ، فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ، يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي .

يقول تعالى ذكره : ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا إلى أمك ، أن اذني ابنك موسى ، حين ولدتك ، في التابوت ( فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ) يعني باليم : النيل ( فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ) يقول : فاقدفيه في اليم ، يلقيه اليم بالساحل ، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر ، كأن اليم هو المأمور ، كما قال جل ثناؤه : ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ) يعني : اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم . ففعلت ذلك أمه به ، فألقاه اليم بمشرفة آل فرعون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ولدت موسى أمه أرضعته ، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك ، عمدت إليه ، فصنعت به ما أمرها الله تعالى ، جعلته في تابوت صغير ، ومهدت له فيه ، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه ، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة ، فبينما هو جالس ، إذ مر النيل بالتابوت ، فقذف به ، وآسية ابنة مزارح امرأته جالسة إلى جنبه ، فقال : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به ، ففتح التابوت ، فإذا فيه صبي في مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه . وعنى جل ثناؤه بقوله ( يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي ) فرعون هو العدو ( كان ) لله ولموسى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ) وهو البحر ، وهو النيل .

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) ، فقال بعضهم : عني بذلك أنه حبيبه إلى عباده .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن علي الصدائي والعباس بن محمد الدوري ، قالا : ثنا حسين الجعفي عن موسى بن



قيس الحضرمي ، عن سلمة بن كهيل ، في قول الله ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) قال عباس : حبيبتك إلى عبادي ، وقال الصُّدَّاقُ : حبيبتك إلى خلقي .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أي حسنت خلقك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني إبراهيم بن مهدي ، عن رجل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) قال : حُسْنًا ومِلاحة .  
قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى ، كما قال جل ثناؤه ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) فحبيه إلى آسية امرأة فرعون ، حتى تبنته وغذته وربته ، وإلى فرعون ، حتى كف عنه عاديته وشره . وقد قيل : إنما قيل : وألقيت عليك محبة مني : لأنه حبيه إلى كل من رآه . ومعنى ( الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) : حبيبتك إليهم ؛ يقول الرجل لآخر إذا أحبه : ألقىت عليك رحمي : أي محبتي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ (٤٠)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) فقال بعضهم : معناه : ولتغذى وتربني على محبتي وإرادتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : هو غذاؤه ، ولتغذى على عيني .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : جعله في بيت الملك ، يُنْعَمُ وَيُسْتَرْفَى ، غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت بعيني في أحوالك كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) قال : أنت بعيني إذ جعلتلك أمك في التابوت ، ثم في البحر ( وَإِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ) ، وقرأ ابن نهيك ( وَلِتُصْنَعَ ) بفتح التاء . وتأوله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ ( وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ) فسألته عن ذلك ، فقال : ولتعمل على عيني .

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجير القراءة بغيرها ( وَكَلِمَاتُهَا ) بضم التاء ، لإجماع الحجة من القراءة عليها . وإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به ، التأويل الذي تأوله قتادة ، وهو ( وَالْقَبِيَّتُ عَلَيْنِكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ) ولتغذني على عيني ، أقيت عليك المحبة مني . وعنى بقوله ( عَلَيَّ عَيْتِي ) بمراي مني ومحبة وإرادة .

وقوله ( إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ؟ ) يقول تعالى ذكره : حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ، ثم تأتي من يطلب المراضع لك ، فتقول : هل أدلكم على من يكفله ؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله ( إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ) : استغناء بدلالة الكلام عليه . وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ألقته أمه في اليم ( قَالَتْ لِأُخْتِي قُصِيهِ ) فلما التقطه آل فرعون ، وأرادوا له المراضعات فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فقالت أخته : ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) ؟ فأخذوها وقالوا : بل قد عرفت هذا الغلام ، فدُلينا على أهله ، قالت : ما أعرفه ، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت : يعني أم موسى لأخته : قُصِيهِ ، فانظري ماذا يفعلون به ، فخرجت في ذلك ( فَابْصُرْ بِهِ عَن جُنُبٍ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) وقد احتاج إلى الرضاع ، والتمس الثدي ، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه . فلا يؤتى بامرأة ، فيقبل ثديها ، فيبرمضهم ذلك ، فيؤتى بمرضع بعد مرضع . فلا يقبل شيئا منهم ، فقالت لهم أخته ، حين رأت من وجد هيم به ، وحرصهم عليه ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) : أي لمنزله عندكم وحرصكم على مسرة الملك . وعنى بقوله ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ) : هل أدلكم على من يضمه إليه ، فيحفظه ويرضعه ويربيه . وقيل : معنى ( وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ) ضمها .

وقوله ( فَارْجِعْنَاهُ إِلَىٰ أُمَّكَ حَتَّىٰ تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ) يقول تعالى ذكره : فرددناك إلى أمك ، بعد ما صرت في أيدي آل فرعون ، كما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم ، وكبلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قالت أخت موسى لهم ما قالت ، قالوا : هات ، فأنت أمه فأخبرتها ، فانطلقت معها حتى أتتهم ، فناولوها إياه ، فلما وضعت في حجرها أخذ ثديها ، وسرروا بذلك منه ، وردّه الله إلى أمه حتى تقر عينها ، ولا تحزن ، فبلغ لطف الله لها وله ، أن ردّها عليها ولدّها ، وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته ، مع الأمانة من القتل الذي يستخوف على غيره ، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة ، فكان على فرس فرعون وسروره .

وقوله ( وَقَتَلْتَ نَفْسًا ) يعني جل ثناؤه بذلك : قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي ، فوكره موسى . وقوله ( فَتَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ) يقول تعالى ذكره : فنجيناك من غمك ، بقتلك النفس التي



قتلت ، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم ، حتى هربت إلى أهل مدين ، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك . وكان قتله إياه فيما ذكر خطأ ، كما حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَاً ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ ، وَقَتَلْتَ نَفْسًا ، فَتَجَبَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا ) .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَتَجَبَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ) قال : من قتل النفس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَتَجَبَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ) النفس التي قتل . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا ) فقال بعضهم : ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا ) يقول : اختبرناك اختبارا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا ) قال : ابتليت بلاء .

حدثني العباس بن الوليد الأملي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني ، قال : أخبرنا القاسم بن أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن قول الله لموسى ( وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا ) فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يابن جبير ، فإن لها حديثا طويلا ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس ، لأنتجز منه ما وعدني ، قال : فقال ابن عباس : تذكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يتشككون ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ؛ فلما هلك قالوا : أليس هكذا كان الله وعد إبراهيم ، فقال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلا معهم الشفار ، يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم وأن الصغار يذبحون ؛ قالوا : يوشع أن تفتنوا بني إسرائيل ، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدعة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، فيقتل أبناؤهم ، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا ، فتشبه الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم ، فتخافون مكائرتهم إياكم ، ولن يقلوا بمن تقتلون ، فأجمعوا أمرهم على ذلك ، فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا بن جبير ، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله

إليها ( ألا تخافي ولا تحزني ، إننا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين ) . وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم ؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به ، حتى إذا توارى عنها ابنها ، أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني ؟ لو ذبح عندي ، فواريته وكفنته ، كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيطان البحر ودوابه ، فانطلق به الماء ، حتى أوفى به عند فرضة مستمتي جواري آل فرعون ، فرأينه فأخذنه ، فهمن أن يفتحن الباب ، فقال بعضهن لبعض : إن في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملته كهيئته ، لم يجر كن منه شيئا ، حتى دفعنه إليها ؛ فلما فتحته رأته فيه الغلام ، فألقيني عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ( وأصبح فتواد أم موسى فارغا ) من كل شيء إلا من ذكر موسى ؛ فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا إلى امرأة فرعون بشيفارهم ، يريدون أن يذبحوه ، وذلك من الفتون يا بن جبير ؛ فقالت للذباحين : انصرفوا عني ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتي فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم أملككم ؛ فلما أتت به فرعون ( قالت قرة عتيبي ولك ) قال فرعون : يكون لك ، وأما أنا فلا حاجة لي فيه . فقال : والذي يحلف به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين ، كما أقرت به ، لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمة ذلك ، فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن ، لتختار له ظمرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحزنها ذلك ، فأمرت به ، فأخرج إلى السوق ، يجمع الناس ، ترجو أن تصيب له ظمرا يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى ، فقالت لأختها : قصيه واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا ، أحيى ابني ، أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه ونسيت الذي كان الله وعدا ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصون ، فأخذوها وقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ، هل يعرفونه ؟ حتى شككوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا بن جبير ؛ فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، رغبتهم في ظؤورة الملك ، ورجاء منفعتهم ، فتركوها ، فانطلقت إلى أمها ، فأخبرتها الخبر ، فجاءت ؛ فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها ، حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون ، يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظمرا ، فأرسلت إليها ، فأثبتت بها وبه ؛ فلما رأته ما يصنع بها قالت : امكئي عندي حتى ترضعي ابني هذا ، فإنني لم أحب جبه شيئا قط ؛ قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي ، فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه ، فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي ، لا آلوه خيرا ، فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدا ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأثبته الله نباتا حسنا ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخررة التي كانت فيهم ؛ فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أزيريني ابني ، فوعدها يوما تزييرها إياه فيه ، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها : لا يبقين أحد منكم إلا استقبال ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة تحصى كل ما يصنع كل إنسان منكم ؛



فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه ، إلى أن دخل على امرأة فرعون ؛ فلما دخل عليها تحلته وأكرمه ، وفرحت به ، وأعجبا ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت : انطلقن به إلى فرعون ، فلينحله ، وليكرمه ، فلما دخلوا به عليه ، جعلته في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال عدوّ من أعداء الله : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه ، وذلك من الفتون يا بن جبير ، بعد كلّ بلاء ابتلى به ، وأريد به ، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي ؟ قال : ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ، فقالت : اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق ، اثت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقربهنّ إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين ، واجتنب الجمرتين ، علمت أنه يعقل ؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه ، فتناول الجمرتين ، فنزعوهما منه ، مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه ، بعد ما قد همّ به ، وكان الله بالغا فيه أمره .

فلما بلغ أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يتخلّص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا تخنّة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ؛ فينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان ، أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فغضب موسى ، واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنّما ذلك من قبيل الرضاة ، غير أمّ موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ؛ فوكر موسى الفرعونيّ فقتله ، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيليّ ، فقال موسى حين قتل الرجل : ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) ثم قال ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) الأخبار ، فأتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك ، فقال : ابغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبوت ، فطلبوا له ذلك ؛ فيبناهم يطوفون لا يجدون ثبوتا ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ ، فقال للإسرائيليّ : لما فعلت بالأمس واليوم ( إِنَّكَ لَتَعْدَوِي مُبِينٌ ) فنظر الإسرائيليّ موسى بعد ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونيّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له ( إِنَّكَ لَتَعْدَوِي مُبِينٌ ) أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراد ، وإنما أراد الفرعونيّ ، فخاف الإسرائيليّ ، فحاجز الفرعونيّ ، فقال ( يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتناكرا ؛ فانطلق الفرعونيّ إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ من الخبر ، حين يقول : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسي بالأمس ؟ فأرسل فرعون الذباحين ، فسلك

موسى الطريق الأعظم ، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم . وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر ، وذلك من الفتون يا بن جبير<sup>١٢</sup> .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَتُونَا ) قال : بلاء : إلقاءه في التابوت ، ثم في البحر ، ثم التقاط آل فرعون إياه ، ثم خروجه خائفا .

قال محمد بن عمرو ، وقال أبو عاصم : خائفا ، أو جائعا « شك أبو عاصم » ، وقال الحارث : خائفا يترقب ، ولم يشك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله وقال : ( خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) ولم يشك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) يقول : ابتليناك بلاء . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) هو البلاء على إثر البلاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أخلصناك .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) أخلصناك إخلاصا .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، قال : سمعت سعيد ابن جبير ، يفسر هذا الحرف ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) قال : أخلصناك إخلاصا .

قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة ، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنبة عن الإعادة في هذا الموضع .

وقوله ( فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه ، اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف . ومعنى الكلام : وفتناك فتونا ، فخرجت خائفا إلى أهل مدين ، فلبثت سنين فيهم .

وقوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) يقول جل ثناؤه : ثم جئت للوقت الذى أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولقذاره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) يقول : لقد جئت لميقات ياموسى .





حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : ولا تضعفا في ذكري .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : لا تضعفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( تَنْبِيَا ) تضعفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : لا تضعفا في ذكري .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : لا تضعفا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول : لا تضعفا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال : الواني : هو الغافل المفرط ذلك الواني .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعِنَا (٤٥)

يقول تعالى ذكره موسى وهارون : فقولا لفرعون قولاً لينا ، ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولا له ، هو أن يتكئبياه .

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفى ، قال : ثنا علي بن صالح ، عن السدى ( فَمَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ) قال : كتئبياه .

وقوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) اختلف في معنى قوله ( لَعَلَّهُ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم معناها هاهنا الاستفهام ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : فقولا له قولاً لينا ، فانظروا هل يتذكر ويراجع ، أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ؟

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) يقول : هل يتذكر أو يخشى ؟

وقال آخرون : معنى لعل ههنا كى . ووجهوا معنى الكلام إلى ( اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) فادعوا وعظاه ليتذكر أو يخشى ، كما يقول القائل : اعمل عمك ، لعلك تأخذ أجرك ، بمعنى : لتأخذ أجرك ،



وافرغ من عملك لعلنا نتعدى ، بمعنى : لتتعدى ، أو حتى نتعدى . ولكلا هذين القولين وجه حسن ، ومذهب صحيح .

وقوله (قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهارون : ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعونا إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه ، أن يعجل علينا بالعقوبة ، وهو من قولهم : فرط منى إلى فلان أمر : إذا سبق منه ذلك إليه ، ومنه : فرط القوم ، وهو المتعجل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل ، كما قال الراجز :

قَدْ فَرَطَ الْعِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجِلْ<sup>١</sup>

وأما الإفراط : فهو الإسراف والإشطاط والتعدى . يقال منه : أفرطت في قولك : إذا أسرف فيه وتعدى . وأما التفريط : فإنه التواني . يقال منه : فرطت في هذا الأمر حتى فات : إذا تواني فيه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أن يَفْرُطَ عَلَيْنَا ) قال : عقوبة منه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ، أَوْ أَنْ يَطْغَى ) قال : نخاف أن يعجل علينا إذ نبليغه كلامك أو أمرك ، يَفْرُطُ ويعجل . وقرأ ( لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ، فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧)

يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون ( لَا نَخَافَا ) فرعون ( إِنِّي مَعَكُمَا ) أعينكما عليه ، وأبصركما ( أَسْمَعُ ) ما يجرى بينكما وبينه ، فأفهمكما ما تخاورانه به ( وَأَرَى ) ما تعلان ويفعل ، لا يخفى على من ذلك شيء ( فَأْتِيَاهُ فَقُولَا ) له ( إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ) . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ( قَالَ لَا نَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) ما يخاوركما ، فأوحى إليكما فتجاوبانه .

(١) فى (اللسان : فرط) عليه يفرط : عجل عليه وعدا وآذاه . وقال الفراء فى قوله تعالى : «إنا نخاف أن يفرط علينا» قال : يعجل إلى عقوبتنا . والعلاج : الرجل القوى الضخم . ولم أعرف قائل الرجز .

وقوله ( فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ) أرسلنا إليك بأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل ، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ ) معجزة ( مِنْ رَبِّكَ ) على أنه أرسلنا إليك بذلك ، إن أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أرينا كما ( وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ) يقول : والسلامة لمن اتبع هدى الله ، وهو بيانه ، يقال : السلام على من اتبع الهدى ، ولمن اتبع ، بمعنى واحد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ؟ (٤٩)

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون : قولاً لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لانفاد له ، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته ، وإجابة رسله ( وَتَوَلَّى ) يقول : وأدبر معرضاً عما جئناه به من الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ) كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله ( قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ) في هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناءً بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو قوله ( فَأْتِيَاهُ ) فقال له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته ، فقال فرعون لهما ( فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ) فخاطب موسى وحده بقوله : يا موسى ، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الجواب إنما تكون من الواحد ، وإن كان الخطاب بالجماعة لامن الجميع ، وذلك نظير قوله ( نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ) .

وقوله ( قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى له مجيباً : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ، يعنى : نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم ، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً ، وكذلك من البهائم ، أعطاهم نظير خلقها ، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً ، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه ، فبزوجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هدهم للمأثى الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه ، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَعْطَىٰ



كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ ثُمَّ هَدَيْتَهُ (يقول: خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنشكحيه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده).

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) يقول: أعطى كل دابة خلقها زوجا، ثم هدى للنكاح. وقال آخرون: معنى قوله (ثم هدى) أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) يعني: هدى بعضهم إلى بعض، ألفت بين قلوبهم، وهداهم للتزويج، أن يزوج بعضهم بعضا. وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كل شيء صورته، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يصلحه من الاحتياج للغذاء والمعاش.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال: أعطى كل شيء صورته، ثم هدى كل شيء إلى معيشته. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال: سوى خلق كل دابة، ثم هداهما لما يصلحها، فعملها إياه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال: سوى خلق كل دابة، ثم هداهما لما يصلحها، وعلمها إياه، ولم يجعل الناس في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الناس، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا. حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حميد، عن مجاهد (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال: هداه إلى حيلته ومعيشته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كل شيء ما يصلحه، ثم هداه له.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (أعطى كل شيء خلقه) قال: أعطى كل شيء ما يصلحه، ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شيء خلقه، ولا يعطى المعطى نفسه، بل إنما يعطى ما هو غيره، لأن العطية تقتضى المعطى والمعطى والعطية، ولا تكون العطية هي المعطى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه، كان معلوما أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع

غيره دعى إنسانا ، فكأن قائله قال : أعطى كل خلق نفسه ، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معالي العظيمة ، وإن كان قد يحتمله الكلام . فإذا كان ذلك كذلك ، فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كل شيء أعطاه ربه مثل خلقه ، فزوجه به ، ثم هداه لما بيننا ، ثم ترك ذكر مثل ، وقيل ( أعطى كل شيء خلقه ) كما يقال : عبد الله مثل الأسد ، ثم يحذف مثل ، فيقول : عبد الله الأسد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى؟ (٥١) قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَفْضِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لموسى ، إذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان ، وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال ، فما شأن الأمم الخالية من قبلنا ، لم تقر بما تقول ، ولم تصدق بما تدعو إليه ، ولم تخلص له العبادة ، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه ، وأنها في نعمه تتقلب ، وفي ميثنه تتصرف . فأجابه موسى فقال : علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك ، عند ربى في كتاب : يعنى فى أم الكتاب ، لا علم لى بأمرها ، وما كان سبب ضلال من ضل منهم ، فذهب عن دين الله ( لا يفضيل ربى ) يقول : لا يخطئ ربى فى تدبيره وأفعاله ، فإن كان عذب تلك القرون فى عاجل ، وعجل هلاكها ، فالصواب ما فعل ، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة ، فالحق ما فعل ، هو أعلم بما يفعل ، لا يخطئ ربى ( ولا ينسى ) فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فى كتاب لا يفضيل ربى ولا ينسى ) يقول : لا يخطئ ربى ولا ينسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قفنا بال القرون الأولى ) يقول فما أعمى القرون الأولى ، فوكلفها نبى الله موكيلا فقال : ( علمها عند ربى ) . . . الآية يقول : أى أعمارها وأجالها .

وقال آخرون : معنى قوله ( لا يفضيل ربى ولا ينسى ) واحد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا يفضيل ربى ولا ينسى ) قال : هما شيء واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
والعرب تقول : ضل فلان منزله : إذا أخطأه ، يضل به غير ألف ، وكذلك ذلك فى كل ما كان من



شيء ثابت لا يبرح ، فأخطأه مريده ، فإنها تقول : أضله ، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقته وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب ، فإنها تقول : أضل فلان بغيره أو شاته أو ناقته ، يُضله بالألف . وقد بيننا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ، وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله ( ( مَهْدًا ) ) فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة ( الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا ) بكسر الميم من الميهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء ، وكذلك عملهم ذلك في كل القرآن . وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك ، أنه إنما اختاره من أجل أن الميهاد : اسم الموضع ، وأن المهد الفعل ؛ قال : وهو مثل الفرش والفراش . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين ( مَهْدًا ) بمعنى : الذي مهد لكم الأرض مهدا .

وقال القارئ فصيب الصواب فيها .

وقوله ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) يقول : وأنهج لكم في الأرض طرقا ، والهاء في قوله فيها : من ذكر الأرض .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) : أي طرقا .

وقوله ( وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يقول : وأنزل من السماء مطرا ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه ، بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سوائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه ، وثناؤه على ربه بما هو أهله ، يقول جل ثناؤه : فأخرجنا نحن أيها الناس بما نزل من السماء من ماء أزواجا ، يعني ألوانا من نبات شتى ، يعني مختلفة الطعوم ، والأرابيع والمنظر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ) يقول : مختلف .

القول في تأويل قوله تعالى

كُلُوا وَارْزُقُوا أَنعَمَ لَكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه ، وما هو من أقواتكم وغذائكم ، وارعوا فيها هو أرزاق بها تمكم منه وأقواتها أنعامكم ( إن في ذلك آيات ) يقول : إن فيها وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم ، وعظيم سلطانه آيات : يعني لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم ، وأن لا إله لكم غيره ( أولي النهى ) يعني : أهل الحجى والعقول . والنهى : جمع نهي ، كما الكشي : جمع كشيبة .

قال أبو جعفر : والكشي : شحمة تكون في جوف الضب ، شبيهة بالسرة ، وخص تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النهى ، لأنهم أهل التفكير والاعتبار ، وأهل التدبر والانتعاض :

#### القول في تأويل قوله تعالى

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » (٥٥)

يقول تعالى ذكره : من الأرض خلقناكم أيها الناس ، فأنشأناكم أجساما ناطقة ( وفيها نُعِيدُكُمْ ) يقول : وفي الأرض نُعِيدُكُمْ بعد مماتكم ، فنصيركم ترابا ، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ) يقول : ومن الأرض نُخْرِجُكُمْ كما كنتم قبل مماتكم أحياء ، فننشئكم منها ، كما أنشأناكم أول مرة . . . وقوله ( تَارَةً أُخْرَى ) يقول : مرة أخرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ) يقول : مرة أخرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَارَةً أُخْرَى ) قال : مرة أخرى الخلق الآخر .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا ، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى ، كما أخرجناكم منها أول مرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرينا فرعون آياتنا ، يعني أدلنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولنا ، موسى وهارون إليه كلها ( فَكَذَّبَ وَأَبَى ) أن يقبل من موسى وهارون ما جاء به من عند ربهما من الحق ، استكبارا وعتوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ؟ (٥٧) فَلَمَّا تَيَسَّنَا بِسِحْرِهِ ، فَأَجْمَلَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)



﴿ يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أرىناه آياتنا كلها لرسولنا موسى ، أجبثنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جبثنا به ( فَلَسْنَا نَبِينَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ) لاتعداه ، لنجىء بسحر مثل الذي جبثت به ، فننظر أين يغلب صاحبه ، لانتخلف ذلك الموعد ( نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانَا سُوِّي ) يقول : بمكان عدل بيننا وبينك ونصف .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( مَكَانَا سُوِّي ) بكسر السين ، وقراءته عامة قراء الكوفة ( مَكَانَا سُوِّي ) بضمها .

﴿ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما لغتان ، أعني الكسر والضم في السين من « سوي » مشهورتان في العرب . وقد قرأت بكل واحد منهما علماء من القراء ، مع اتفاق معنييهما ، فبأيهما قرأ القاري فصيبي . وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح ، كما قال جل ثناؤه ( تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ) وإذا فتح السين منه مد ، وإذا كسرت أو ضمت فقصير ، كما قال الشاعر :

فإن أبانا كان حلالاً بيلدة سوي بين قيس قيس عيلان والفزرا

ونظير ذلك من الأسماء : طوي ، وطوي ، وثني وثني ، وعدي ، وعدي .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مَكَانَا سُوِّي ) قال : منصفاً بينهما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَكَانَا سُوِّي ) : أي عادلاً بيننا وبينك . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( مَكَانَا سُوِّي ) قال : نصفاً بيننا وبينك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَأُتْلَفَهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانَا سُوِّي ) قال : يقول : عدلاً .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( مَكَانَا سُوِّي ) قال : مكانا مستويا يبين للناس مافيه ، لا يكون صوب ولا شيء ، فيغيب بعض ذلك عن بعض ، مستوحين يرى .

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفي (اللسان : سوي) قال : قال الأخفش : « سوي إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضمنت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعا ، وإن فتحت : مددت . تقول مكان سوي وسوي وسواء : أي عدل ووسط بين الفريقين ، قال موسى بن جابر : « وجدنا أبانا . . . البيت » . والفزرا : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زيد مائة بن تميم .

## القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ

أَتَى (٦٠)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون ، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع : موعدكم للاجتماع ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) يعنى يوم عيد كان لهم ، أو سوق كانوا يتزينون فيه ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ) يقول وأن يساق الناس من كل فج وناحية ( ضُحًى ) فذلك موعد ما بينى وبينك للاجتماع .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ، وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم زينة لهم ، ويوم عيد لهم ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) إلى عيد لهم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم السوق .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) مواعدهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قال : موسى « مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى » وذلك يوم عيد لهم .  
حدثنا يشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) يوم عيد كان لهم . وقوله ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) يجتمعون لذلك الميعاد الذى وعدوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) قال : يوم العيد ، يوم يتفرغ الناس من الأعمال ، ويشهدون ويحضرون ويرون .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ) يوم عيد كان فرعون يخرج له ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) حتى يحضروا أمرى وأمرى ، وأن من قوله ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) رفع بالعطف على قوله ( يَوْمُ الزَّيْنَةِ ) .  
وذكر عن أبى نهيك فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقول : ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ) . يعنى فرعون يحشر قومه .





حدثنا موسى قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ) يقول يهلككم بعذاب . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( فَيَسْحِتْكُمْ ) بفتح الياء من سحت يسحت . وقرأته عامة قراء الكوفة ( فَيُسْحِتْكُمْ ) بضم الياء من أسحت يسحيت . قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الفتح فيها أعجب إلى لأنها لغة أهل العالية . وهي أفصح ، والأخرى وهي الضم قبيح . وقوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) يقول : ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله ، بكذبه ذلك ، بحاجته التي طلبها به ، ورجا إدراكها به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ، وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا : إِنَّ هَذَا نَسْحِرٌ نِيرِيدُ أَنْ نَخْرِجَ كُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ، وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فتنازع السحرة أمرهم بينهم .

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) قال : السحرة بينهم : إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه ، وإن كان من السماء فله أمر . وقال آخرون : بل هو أن بعضهم قال لبعض : ما هذا القول بقول ساحر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع كل ساحر حباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكى على عصاه ، حتى أتى الحجمع ، وفرعون في مجلسه ، معه أشراف أهل مملكته ، قد استكف له الناس ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم ( وَيَلْتَكُمُ لَاتَقْسَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) فتراد السحرة بينهم ، وقال بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر .

وقوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) يقول تعالى ذكره : وأسروا السحرة المناجاة بينهم .

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه ، فقال بعضهم : هو قول بعضهم لبعض : إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه ، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : أشار بعضهم إلى بعض بتناج ( إِنَّ هَذَا نَسْحِرٌ نِيرِيدُ أَنْ نَخْرِجَ كُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا



النَّجْوَى) من دون موسى وهارون ، قالوا في نجواهم : (إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى) قالوا : إن هذان لساحران ، يَعْتُونُ بِقَوْلِهِمْ : إن هذان موسى وهارون ، لساحران يريدان أن يخرجكما من أرضكم بسحرهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) موسى وهارون صلى الله عليهما .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فقرأته عامة قرآءة الأمصار (إِنَّ هَذَانِ) بتشديد إن وبالألف في هذان ، وقالوا : قرأنا ذلك كذلك . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : «إن» خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما . وقال بعض نحويي الكوفة : ذلك على وجهين : أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاؤهم ، يعملون الاثنيين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف . وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث ابن كعب :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَكَوَّ رَأَى مَسَاغَا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّامَا

قال : وحكى عنه أيضا : هذا خط يدا أحمى أعرفه ، قال : وذلك وإن كان قليلا أقيس ، لأن العرب قالوا : مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ، لأنها لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ؛ قالوا : فلما رأوا الياء من الاثنيين لايمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحا ، تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان في كل حال . قال : وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين ، في الرفع والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلا بني كنانة ، فإنهم يقولون : رأيت كيلتي الرجلين ، ومررت بكلي الرجلين ، وهي قبيلة قليلة مَضَوَا على القياس . قال : والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من هذا دعامة ، وليست بلام «فعلتي» ؛ فلما بنيت زدت عليها نونا ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لاتزول بكل حال ، كما قالت العرب الذي ، ثم زادوا نونا تدل على الجمع ، فقالوا : الذين في رفعهم ونصبهم

(١) البيت للمتلوس : جرير بن عبد العزى ، وقيل جرير بن عبد المسيح ، من كلمة له رواها ابن السجري (انظر كتاب الأشعري في النحو بشرح الأستاذ محيي الدين عبد الحميد طبعة الحلبي ١ : ٤٧) . قال : أطرق : سكت فلم يتكلم وأرخص عينيه ينظر إلى الأرض . والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها . أو هو الحية العظيمة تشب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها ، وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون في الصحارى . ومساعا : اسم مكان من ساع يسوغ : إذا دخل ونفذ . وصمم عض ونيب . والبيت جار على لغة بني الحارث بن كعب ومن لف لفهم ، والشاهد فيه أن قوله لناباه مثني مجرور باللام ، وقد جاء بالألف ، وهي لغة بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وطلون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزبيد وششم وهمدان وعذرة . ويخرج بعض النحويين على هذه اللفظة قوله تعالى : «إن هذان لساحران» وقوله صلى الله عليه وسلم «لا وتران في ليلة» . قال القراء في معاني القرآن (الورقة ١٩٨ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فقرأنا بتشديد إن ، وبالألف على وجهين : أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب يعملون الاثنيين في رفعهما وخفضهما بالألف ، أنشدني رجل من الأسد عنهم «فأطرق إطراق الشجاع» . . . البيت . وحكى هذا الرجل عنهم : هذا خط يدا أحمى ، أعرفه بعينه . وذلك وإن كان قليلا أقيس . (وساق المؤلف كلام القراء إلى آخره) .

وخفضهم ، كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه . قال : وكان القياس أن يقولوا : الدُّون . وقال آخر منهم : ذلك من الخزم المرسل ، ولو نصب لخرج إلى الانبساط .

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس : إن هذين لساحران في اللفظ ، وكتب « هذان » كما يريدون الكتاب ، واللفظ صواب . قال : وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم ، يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب . قال : وقال بشر بن هلال : إن بمعنى الابتداء والإيجاب . ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها ، فترفع الخبر ولا تنصبه ، كما نصبت الاسم ، فكان مجاز « إن هذان لساحران » ، مجاز كلامين ، مخرجه : إنه : إى نَعَم ، ثم قلت : هذان ساحران . ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابي :

فَمَنْ بِنِكَ أُمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَمَنْ قِيَارٌ قِيَارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ

وقوله :

إِنَّ السُّيُوفَ غُدُوها وَرَوَّاحِها تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْضَبِ ٢

قال : ويقول بعضهم : إن الله وملائكته يصلون على النبي ، فيرفعون على شركة الابتداء ، ولا يعملون فيه إن . قال : وقد سمعت الفصحاء من أئمة يرفعون : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك . قال : وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها . قال : ويجوز ، لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل ، قال :

أُمُّ الْخَلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ ٣

(١) البيت لضابي بن الحارث البرجمي ، وهو أول أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة ، في زمن عثمان بن عفان . وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد في الكامل ( خزنة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٢٣ - ٣٢٤ ) واستشهد به النحاة على أن قوله ( قيار ) مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، والتقدير : فاني ، وقيار كذلك لغريب . وإنما لم يجعل الخبر لقيار ، ويكون خبر إن محذوفا ، لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم ، نحو لقائم زيد . وهذا تخريج له خلاف مذهب سيبويه ، فإن الجملة عنده في نية التأخير ، وهي معطوفة لا معترضة . وزعم الكسائي والفراء أن نصب إن ضحيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن إن قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل ، إلا فيما لم يسم فاعله . وكيف يكون نصب إن ضعيفا وهي تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها ، نحو « إن فيها قوما جبارين » ، ونصب إن من أقوى المنصوبات . ١ .

(٢) البيت للأعطل ( خزنة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٧٢ ) من قصيدة له ستة عشر بيتا مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثاني ، أي يعتبر المبدل منه في اللفظ ، دون البديل ، فإن قوله « غدوها » بدل من السيوف ، قال المبرد في الكامل : هو بدل اشتغال ، وقد روي المبدل منه في اللفظ ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يراع البديل ولو روي لغيره « تركا » بالثنية . وهو ازن : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . والأعضب : الذي انكسر أحد قرنيه . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أنهم قد يرفعون المشترك ، أي المعطوف على اسم إن ، وليس في البيت عطف على اسم إن ، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبوعل الفارسي في إيضاح الشعر .

(٣) هذا بيت من مشطور الرجز نسبة الصاعقاني في العباب إلى عترة بن عروش بالشين في آخره ، وقيل بالسین ، مولى ثقيف . ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٣٢٨ - ٣٣٠ ) . وهو شاهد على أنه قد دخل اللام على خبر المبتدأ المؤخر ، مجردا من إن . وقد ترجم بعضهم : حتى عجوز ، لتكون في التقدير داخلة على المبتدأ . قال ابن السراج في الأصول : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جبير ( إلا أنهم ليأكلون الطعام ) : فتح أن ، وجعل اللام زائدة كما زيدت في قوله :

أُمُّ الْخَلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقِيعِ



قال : وزعم قوم أنه لا يجوز ، لأنه إذا خفف نون « إن » فلا بد له من أن يدخل « إلا » فيقول : إن هذا إلا ساحران .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ( إن ) بتشديد نونها ، وهذان بالألف ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه كذلك هو في خط المصحف . ووجهه إذا قرئ كذلك : مشابهته الذين ، إذ زادوا على الذى النون ، وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة ، فكذلك ( إن هَذَا ) زيدت على « هذا » نون ، وأقر في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة ، وهى لغة بَلَحَرِث بن كَعْب ، وخَشَعَم ، وزُبَيْد ، ومن وليهم من قبائل النين .

وقوله ( وَيَذُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم ، يقال : هو طريقة قومه ، وتظنورة قومه : ونظيرتهم : إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه ، يقال ذلك للواحد والجمع ، وربما جمعوا ، فقالوا : هؤلاء طرائق قومهم ؛ ومنه قول الله تبارك وتعالى ( كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا ) وهؤلاء نظائر قومهم . وأما قوله ( الْمُثَلَّى ) فإنها تأنيث الأمثل ، يقال للمؤنث : خذ المثل مني . وفى المذكر : خذ الأمثل مني ، ووحدت المثل ، وهى صفة ونعت للجماعة ، كما قيل ( لهُ الْأَسَاءُ الْحُسْتَى ) ، وقد يحتمل أن يكون المثل أنثى لتأنيث الطريقة .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَذُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : أمثلكم وهم بنو إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَذُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : أولى العقل والشرف والأنساب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَيَذُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : أولى العقول والأشرف والأنساب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَذُهَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) وطريقتهم المثل يومئذ كانت بنو إسرائيل ، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا . قال عدو الله : إنما يريد أن يذها بهم لأنفسهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ

الْمُثَلَّى ) قال : بنى إسرائيل .

انتهى . وعند ابن جنى غير زائدة ، لكنها فى البيت ضرورة . قال فى سر الصناعة : وأما الضرورة التى تدخل لها اللام فى غير خبر إن فن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها ، والوجه أن يقال : لأم الخليس عجوز شهرية ، كما يقال لزيد قائم . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أن اللام فى « وقاربها لغريب » هى لام ابتداء أخرت إلى الخبر ، كما فى قول الراجز : أم الخليس لعجوز ، وأصله : لأم الخليس عجوز .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول : يذهبا بأشرف قومكم .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويفيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه ؛ من قولهم : فلان حسن الطريقة . ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) قال : يذهبا بالذي أنتم عليه ، يغير ما أنتم عليه . وقرأ ( ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ) قال : هذا قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) وقال : يقول طريقتم اليوم طريقة حسنة ، فإذا غيبت ذهبت هذه الطريقة .

وروي عن عليّ في معنى قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : بصرفان وجوه الناس إليهما .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتَيْكُمُ الْمُثَلَّى ) وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام ، فإن تأويل أهل التأويل خلافه ، فلا أستجيز لذلك القول به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفَاً ، وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى (٦٤)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) بهمز الألف من ( فَأَجْمِعُوا ) ، ووجهها معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه ؛ من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ؛ ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُسْنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ

يعنى بقوله : « مجمع » : قد أحكم وعزم عليه ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَمَّ يُجْمَعُ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَا صَوْمَ لَهُ » .

(١) البيت في (اللسان : جمع) ولم ينسبه . قال : وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له ، والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا . . . وقال آخر : « ياليت شعري . . . البيت » . وقوله تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » ، أي : وادعوا شركاءكم . قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله ؛ لأنه لا يقال : أجمعت « شركائي » ، إنما يقال : جمعت . وقال القراء : الإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصب شركاءكم بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم . قال أبو إسحاق : الذي قاله القراء غلط في إضماره : « وادعوا شركاءكم » ، لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم ؛ وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه . قالوا : والواو : بمعنى مع ، كقولك : « لوتركت الناقة وفصيلها لرضعها » . المعنى : لوتركت الناقة مع فصيلها . قال ومن قرأ : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال : ويجوز : فأجمعوا أمركم مع شركائكم .



وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة ( فاجتمعوا كئيدكم ) بوصل الألف ، وترك همزها ، من جمعت الشيء ، كأنه وجهه إلى معنى : فلا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جنتم به . وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتلّ فيها ذكر لى لقراءته ذلك كذلك بقوله ( فَتَسَّأَلِي فِرْعَوْنُ فَنَجْمَعُ كَيْدَهُ ) .

قال أبو جعفر : والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع ، لإجماع الحجة من القرآء عليه ، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين ، فلا وجه لأن يقال لهم : اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون ، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده ، ولم يكن ذلك يوم تزيد فى علمهم بما كانوا يعملونه من السحر ، بل كان يوم إظهاره ، أو كان متفرقا مما هو عنده ، بعضه إلى بعض ، ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجمعونه . وأما قوله ( فَنَجْمَعُ كَيْدَهُ ) فغير شبيه المعنى بقوله ( فاجتمعوا كئيدكم ) وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا ، فقيل : فتولى فرعون فجمع كيده .

وقوله ( ثُمَّ اتَّشَوْا صَفًّا ) يقول : احضروا وجيئوا صفا ؛ والصف هنا مصدر ، ولذلك وحده ، ومعناه : ثم اتوا صفوفا ، وللصف فى كلام العرب موضع آخر ، وهو قول العرب : أتيت الصف اليوم بمعنى به المصلى الذى يصلى فيه .

وقوله ( وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ) يقول : قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره ؛ كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع فرعون الناس لذلك الجمع ، ثم أمر السحرة فقال : ( اتشوا صفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ) أى قد أفلح من أفلح اليوم على صاحبه .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)

يقول تعالى ذكره : فأجمعت السحرة كيدهم ، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى : ( يا موسى إمّا أن تلقى ، وإمّا أن نكون أول من ألقى ) وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا ، فقال بعضهم : كانوا سبعين ألف ساحر . مع كل ساحر منهم حبل وعصا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علبية ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بزة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ؛ فألقى موسى عصاه ، فإذا هى ثعبان مبین فاغر به ناه ، فابتلع حبالهم وعصيهم ، ( نَأْتَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا ) عند ذلك ،

فما رفعوا رموسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها ، فعند ذلك ( قالوا لنن\* نؤثر ك\* على ما جاءنا من البيّنات ) .

وقال آخرون : بل كانوا نيفاً وثلاثين ألف رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ( قالوا ياموسى إماً أن\* تلتقى وإماً أن\* تكون\* نحن\* الملقين\* ، قال\* لهم\* موسى ) : ألقوا ، فألقوا جبالهم وعصيهم ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه جبل وعصا .  
وقال آخرون : بل كانوا خمسة عشر ألفاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : صف\* خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل\* ساحر جباله وعصيه .  
وقال آخرون : كانوا تسع مئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان السحرة ثلاث مئة من العريش ، وثلاث مئة من فيوم ، ويشكون في ثلاث مئة من الاسكندرية ؛ فقالوا لموسى : إما أن تلقى مامعك قبلنا ، وإما أن تلقى مامعنا قبلك ، وذلك قوله ( وإماً أن\* تكون\* أول\* من\* ألقى ) وأن\* في قوله ( إماً أن\* ) في موضع نصب ، وذلك أن معنى الكلام : اختر ياموسى أحد هذين الأمرين : إما أن تلقى قبلنا ، وإما أن تكون أول\* من ألقى ، ولو قال قائل : هو رفع كان مذهباً ، كأنه وجهه إلى أنه خبر كقول القائل : فسيراً فإماً حاجة\* تقضيها وإماً مقيل\* صالح\* وصديق\*<sup>١</sup> وقوله ( قال\* بل\* ألقوا ) يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة : بل ألقوا أنتم ما معكم قبلى .  
وقوله ( فإذا جبالهم\* وعصيتهم\* يختل\* إليهم\* من\* سحرهم\* أنها تسعى ) ، وفي هذا الكلام متروك ، وهو : فألقوا ما معهم من الجبال والعصى ، فإذا جبالهم ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه . وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس ، قبل أن يلقوا جبالهم وعصيتهم ، فختل حينئذ إلى موسى أنها تسعى .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامة ، الورقة ١٩٨) قال : وقوله « إما أن تلقى وإما أن تكون أول من ألقى » : أن وأن : في موضع نصب ، والمعنى : اختر إحدى هاتين ؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل ، كان صواباً ، كأنه خبر . كقول الشاعر : فسيراً . . . البيت . . . ولو رفع « فلما منا بعد وإما فداء » كان أيضاً صواباً . ومذهبه كذهب قوله : « فلما ساك بمعروف أو تسريح بإحسان » والنصب في قوله « إما أن تلقى » وفي قوله « فلما منا بعد وإما فداء » : أجود من الرفع ، لأنه شيء ليس بعام ، مثل ما ترى من معنى قوله « فلما ساك » و « فصيام ثلاثة أيام » لما كان المعنى يعم الناس في الإمساك بالمعروف وفي صيام الثلاثة الأيام في كفارة اليمين ، كان كالجزاء ، فرغ لذلك . والاختيار إنما هي فعلة واحدة .



كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : ( قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا ) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادي ، يركب بعضها بعضا .  
واختلفت القراءة في قراءة قوله ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بالياء بمعنى : يخيل إليهم سعيها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع رفع . وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه ( يُخَيَّلُ ) بالياء ، بمعنى : تخيل جباهم وعصبيهم بأنها تسعى . ومن قرأ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع نصب لتعلق تخيل بها . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بمعنى : تتخيل إليه . وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا فـ « أن » في موضع نصب بمعنى : تتخيل بالسعي لهم .  
والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها ( يُخَيَّلُ ) بالياء ، لإجماع الحجة من القراءة عليه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)

يعني تعالى ذكره بقوله : ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ ) خوفا موسى فوجده . وقوله ( قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ) يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة لا تخف إنك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة ، وعلى فرعون وجنده ، والقاهر لهم ( وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ) يقول : وألق عصاك تبتلع جباهم وعصبيهم التي سحروها ، حتى خيل إليك أنها تسعى .

وقوله ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض قرآء الكوفة ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ ) برفع كيد وبالألّف في ساحر بمعنى : إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ ) برفع الكيد وبغير الألّف في السحر بمعنى إن الذي صنعه كيد سحر .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة ، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر ، ومكر السحر وخدعته : تخيله إلى المسحور ، على خلاف ما هو به في حقيقته ، فالساحر كائد بالسحر ، والسحر كائد بالتخييل ، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ ( كَيْدُ سِحْرٍ ) بنصب كيد . ومن قرأ ذلك كذلك ، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافها .

وقوله ( وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ) يقول : ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان .

وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : معنى ذلك : أن الساحر يُقتل حيث وُجد . وذكر بعض نحوِّي البصرة ، أن ذلك في حرف ابن مسعود ( وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى ) وقال : العرب تقول : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم . وقال غيره من أهل العربية الأول : جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال : وأما قول العرب : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم ، فإنما هو جواب لم يفهم ، فاستفهم كما قالوا : أين الماء والعشب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا : قَالُوا : ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ ءَأَمْنُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ  
ءَاذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ ، فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ  
خَلْفٍ ، وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ، وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو : فألقى موسى عصاه ، فنلقفت ما صنعوا ( فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده نحوّل ثعبانا ، فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصى .

#### ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر : ( خيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا ) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان ميين . قال : فتحت فمها مثل الدحل ، ثم وضعت مشفرها على الأرض ، ورفعت الآخر ، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر ، ثم جاء إليها فقبض عليها ، فإذا هي عصا ، فخر السحرة سجدا ( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) ، قال آمنتم له قيل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ) قال : فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ( وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) قال : فكان أول من صلب في جدوع النخل فرعون . حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ) فأوحى الله إليه ( لَا تَخَفْ وَالتَّقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا يَأْفِكُونَ ، فَأَلْقَى عَصَاهُ ) فأكلت كل حية لهم ، فلما رأوا ذلك سجدوا و ( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ) لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصى خيل إليه أنها تسعى ، وقال : والله إن كانت لعصيا في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاي هذه ، أو كما حدثت نفسه ، فأوحى الله



إليه أن ( أَلْتَقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كِبِيدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ) وفرح موسى فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حبات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصا فى يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا ، قالوا : آمنا بربِّ هارون وموسى ، لو كان هذا سحر ما غلبنا .

وقوله ( قال آمَنُتُمْ لَهُ قَبِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) يقول جل ثناؤه : وقال فرعون للسحرة : أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم ( إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ ) يقول : إن موسى لعظيمكم ( الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ، قال : لما قالت السحرة : ( آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) قال لهم فرعون ، وأسف ورأى الغلبة البينة : ( آمَنُتُمْ لَهُ قَبِيلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ : أى لعظيم السحار الذى علمكم . وقوله ( فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) يقول : فلا قطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك ، وذلك أن يقطع يمنى اليمين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليمين ويمنى الرجلين ، فيكون ذلك قطعا من خلاف ، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون ، وقد ذكرنا الرواية بذلك . وقوله ( وَلَا صَلْبَيْكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) يقول : ولا صلبنكم على جذوع النخل ، كما قال الشاعر :  
هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِدْعِ نَخْلَةٍ      فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا  
يعنى على جذع نخلة ، وإنما قيل : فى جذوع ، لأن المصلوب على الخشبة يرفع فى طولها ، ثم يصير عليها ، فيقال : صلب عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا صَلْبَيْكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخرؤا سجدا ، وآمنوا عند ذلك ، قال عدو الله : ( فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) . . . الآية .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال فرعون : ( لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) ، وَلَا صَلْبَيْكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) فقتلهم وقطعهم ، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : ( رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ) وقال كانوا فى أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

(١) البيت لسويد بن أبى كاهل البشكري ( اللسان : عبد ) قال : قال سيويه : النسبة إلى عبد القيس عدى ، وهو مع القسم الذى أنشئ فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسى ، لا لئس بالمغضاب إلى قيس عيلان ونحوه ، قال سويد بن أبى كاهل : « وهم صلبوا . . . البيت » . قال ابن برى : قوله بأجدعا ، أى بأنف أجدع ، فحذف الموصوف ، وأقام صفته مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العبدى فى جذع نخلة أى على جذع نخلة ، كقول القرآن : « ولا صلبنكم فى جذوع النخل » . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية فى الحرف ( فى ) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، يجمع الممكن فى كل منهما .

وقوله ( وَتَعَلَّمْنَ أَثَدُّ عَدَايَا وَأَبْقَى ) يقول : ولتعلمن أيها السحرة أيثا أشدّ عذابا لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا ، آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ( لَنْ نُؤْتِرَكَ ) فتبعك وتكذب من أجلك موسى ( عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ) يعنى من الحجج والأدلة على حقيقة مادعاهم إليه موسى . ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) يقول : قالوا لن نؤثرك على الذى جاءنا من البيئات ، وعلى الذى فطرنا ، ويعنى بقوله ( فَطَرْنَا ) خلقنا ، فالذى من قوله ( وَالَّذِي فَطَرْنَا ) خفض على قوله ( ما جاءنا ) ، وقد يحتمل أن يكون قوله ( وَالَّذِي فَطَرْنَا ) خفضا على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والله . وقوله ( فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) يقول : فاصنع ما أنت صانع ، واعمل بنا ما بدا لك ( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) يقول : إنما تقدر أن تعذبنا فى هذه الحياة الدنيا التى تفتى ، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه ( لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا ) أى على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة ( فاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) : أى اصنع ما بدا لك ( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) أى ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لاسلطان لك بعده .

وقوله ( إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ) يقول تعالى ذكره : إنا أقررنا بتوحيد ربنا ، وصدقنا بوعده ووعيده . وأن ما جاء به موسى حق ( لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ) يقول : ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) يقول : ليغفر لنا ذنوبنا ، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر ، وعلمنا به الذى أكرهتنا على تعلمه والعمل به . وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعيد ، عن



عكرمة . عن ابن عباس . في قول الله تبارك وتعالى ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِّنَ السَّحَرِ ) قال : غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة ، تعلمهم السحر بالفِرمَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِّنَ السَّحَرِ ) قال : أمرهم بتعلم السحر ، قال : تركوا كتاب الله ، وأمروا قومهم بتعلم السحر .  
( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِّنَ السَّحَرِ ) قال : أمرتنا أن نتعلمه .

وقوله ( وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ) يقول : والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه ، وأبى عذابا لمن عصاه وخالف أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ) : خير منك ثوبا ، وأبى عذابا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، ومحمد بن قيس في قول الله ( وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ) قالوا : خيرا منك أن أطيع ، وأبى منك عذابا إن عصى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل السحرة لفرعون : ( إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ ) من خلقه ( مُجْرِمًا ) يقول مكنسبا الكفر به ( فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ) يقول : فإن له جهنم مأوى ومسكنا ، جزاء له على كفره ( لَا يَمُوتُ فِيهَا ) فتخرج نفسه ( وَلَا يَحْيَى ) فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ، ولكنها تتعلق بالخناجر منهم ( وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ) موحدا لا يشرك به ( قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ) يقول : قد عمل ما أمره به ربه ، وانتهى عما نهاه عنه ( فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) يقول : فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : ( وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) . ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي ، فقال : هن ( جَنَّاتُ عَدْنٍ ) يعنى : جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاذ لها ولا فناء ( تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجري من تحت أشجارها الأنهار ( خَالِدِينَ فِيهَا ) يقول : ماكين فيها إلى غير غاية محدودة ، فالجنات من قوله ( جَنَّاتُ عَدْنٍ ) مرفوعة بالرد على الدرجات .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ، فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ) قال : عدن .

وقوله ( وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ) يقول : وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله : ثواب من تزكى ، يعنى : من تطهر من الذنوب ، فأطاع الله فيما أمره ، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْدَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ، فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ، لَا تَخَفُ  
دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧)

يقول تعالى ذكره ( وَأَقْدَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ ) نبينا ( مُوسَىٰ ) إذ تابعنا له الحجج على فرعون ، فأبى أن يستجيب لأمر ربه ، وطفئ وتمادى في طغيانه ( أَنْ أَسْرِ ) ليلا ( بِعِبَادِي ) يعنى بعبادى من بنى إسرائيل ( فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ) يقول : فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا . واليَبَسُ واليَبَسُ : يجمع أبياس ، تقول : وقفوا في أبياس من الأرض . واليَبَسُ المخفف : يجمع ييوس . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَبَسًا ) قال : يابسا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله . وأما قوله ( لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) فإنه يعنى : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا . وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) يقول : لا تخاف من آل فرعون دَرَكًا ( وَلَا تَخْشَى مِنَ الْبَحْرِ ) غرقا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) يقول : لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج : قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر قد غشينا ، فأنزل الله ( لَا تَخَفُ دَرَكًا ) أصحاب فرعون ( وَلَا تَخْشَى ) من البحر وحلا .

حدثني أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، في قوله ( لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) قال : الوَحْل .



واختلفت القراء في قراءة قوله ( لا تخافُ دَرَكًا ) فقراءته عامة قراء الأمصار غير الأعمش وحمة :  
 ( لا تخافُ دَرَكًا ) على الاستئناف بلا كما قال ( وأصطبرٌ عليّها لانسألك رزقا ) ورفع ، وأكثر ما جاء  
 في هذا الأمر الجواب مع « لا » . وقرأ ذلك الأعمش وحمة ( لا تخفُ دَرَكًا ) فجزما لا تخاف على الجزاء ، ورفعا  
 ( ولا تخشى ) على الاستئناف ، كما قال جل ثناؤه ( يُولُوكُمُْ الأدبارَ ، ثمَّ لا يُنصِرُونَ ) فاستأنف بم  
 ولو نوى بقوله ( ولا تخشى ) الجزم ، وفيه الياء كان جائزا ، كما قال الراجز :

هزى إليك الجذعَ يجنيك الجنى

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها ( لا تخافُ ) على وجه الرفع ، لأن ذلك أفصح اللغتين ، وإن كانت  
 الأخرى جائزة . وكان بعض نحوي البصرة يقول : معنى قوله ( لا تخافُ دَرَكًا ) ضرب لم طريقا لا تخاف  
 فيه دركا ، قال : وحذف فيه كما تقول : زيد أكرمت وأنت تريد أكرمته ، وكما تقول ( وأنقوا يَوْمًا  
 لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئا ) أى لا تجزى فيه . وأما نحويو الكوفة فإنهم ينكرون حذف فيه إلا  
 في المواقيت ، لأنه يصلح فيها أن يقال : قمت اليوم وفي اليوم ، ولا يجوزون ذلك في الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا

هَدَى (٧٩)

يقول تعالى ذكره : فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسرهم ، فأتبعهم فرعون بجنوده  
 حين قطعوا البحر ، فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشيهم ، فغرقوا جميعا ( وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا  
 هَدَى ) يقول جل ثناؤه : وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل ، وأخذ بهم على غير استقامة ، وذلك  
 أنه سلك بهم طريق أهل النار ، بأمرهم بالكفر بالله ، وتكذيب رسله ( وَمَا هَدَى ) يقول : وما سلك بهم  
 الطريق المستقيم ، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى ، والتصديق به ، فأطاعوه ، فلم يهدم بأمره  
 إياهم بذلك ، ولم يهدوا باتباعهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَدْبِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطَّوْرِ الْأَيْمَنِ ،  
 وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ  
 عَلَيْكُمْ غَضَبِي

يقول تعالى ذكره : فلما نجا موسى بقومه من البحر ، وغشي فرعون وقومه من اليم ما غشيهم ، قلنا لقوم موسى ( يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ) فرعون ( وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن . وقد بيننا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما ، وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ ) فكانت عامة قرآء المدينة والبصرة يقرءونه ( قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ ) بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك ، وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( قَدْ أَنْجَيْتُكُمْ ) بالتاء ، وكذلك سائر الحروف الأخر ، إلا قوله ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) ، فإنهم وافقوا الآخرين في ذلك ، وقرءوه بالنون والألف .

والقول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى ، فأبتهما قرآ القارى ذلك فصيب . وقوله ( كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره لهم : كلوا يا بني إسرائيل من شهييات رزقنا الذي رزقناكم ، وحلاله الذي طيبناه لكم ( وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ) يقول : ولا تعتدوا فيه ، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ) يقول : ولا تظلموا .

وقوله ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) يقول : فينزل عليكم عقوبتي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) يقول : فينزل عليكم غضبي .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ ) بكسر الحاء ( وَمَنْ يَحْلِلْ ) بكسر اللام . ووجهوا معناه إلى : فيجب عليكم غضبي . وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ ) بضم الحاء ، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه ، فيقع وينزل عليكم غضبي .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان ، مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل ، وقوع بأسه بهم ونزوله ، بمعصيتهم إياه إن هم عصوه ، وخوفهم وجوبه لهم ، فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب ، لأنهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما .



القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ  
أَهْتَدَىٰ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يجب عليه غضبي ، فينزل به . فقد هوى ، يقول فقد تردى فشقى .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله

( فَقَدَ هَوَىٰ ) يقول : فقد شقي .

وقوله ( وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) يقول : وإنى لذو غفر لمن تاب من شركه ، فرجع منه إلى الإيمان إلى

وآمن ، يقول : وأخلص إلى الألوهة ، ولم يشرك في عبادته إياي غيري . ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : وأدى

فرائضي التي افترضتها عليه ، واجتنب معاصي . ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) يقول : ثم لزم ذلك ، فاستقام ولم يضيع

شيئا منه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) قال

أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنِّي

لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وءَامِنٌ ) يقول : وحَّد الله ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : أدى فرائضي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من

ذنبه ( وءَامِنٌ ) به ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) فيما بينه وبين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ( وَإِنِّي

لَنَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وءَامِنٌ ) يقول : وأخلص لله ، وعمل في إخلاصه .

واختلفوا في معنى قوله ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) فقال بعضهم : معناه : لم يشكك في إيمانه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ )

يقول : لم يشكك .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم لزم الإيمان والعمل الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ) يقول : ثم لزم الإسلام

حتى يموت عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم استقام .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ( **هُمَّ اهْتَدَى** ) قال : أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .  
وقال آخرون : بل معناه : أصاب العمل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( **وَعَمِلَ صَالِحًا هُمَّ اهْتَدَى** ) قال : أصاب العمل .  
وقال آخرون : معنى ذلك : عرف أمر مثيبه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبي ( **وَإِنِّي لَتَغْفَارٌ لِمَنْ تَابَ** ) من الذنب ( **وَأَمَّنَ** ) من الشرك ( **وَعَمِلَ صَالِحًا** ) أدى ما افترضت عليه ( **هُمَّ اهْتَدَى** ) عرف مثيبه إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا .

وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا عمر بن شاکر ، قال : سمعت ثابتا البُنَانِي يقول في قوله ( **وَإِنِّي لَتَغْفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَّنَ وَعَمِلَ صَالِحًا هُمَّ اهْتَدَى** ) قال : إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة ، فمن فعل ذلك وثبت عليه ، فلا شك في اهتدائه :

## القول في تأويل قوله تعالى

\* **وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى؟ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرِي ، وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ**

**لِتَرْضَى (٨٤)**

يقول تعالى ذكره : وما أعجلك ؟ وأي شيء أعجلك عن قومك يا موسى ، فتقدمتهم وخلفتهم ورائك ، ولم تكن معهم ؟ ( قال : هم أولاء علي أثري ) يقول : قومي على أثري يتكحقون بي . ( **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِيَرْضَى** ) يقول : وعجلت أنا فسبقتهم رب ، كما ترضى عني .

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى : ما أعجلك عن قومك ؟ لأنه جل ثناؤه فيما بلغنا ، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه ، وقطع بهم البحر ، وعداهم جانب الطور الأيمن ، فتعجل موسى إلى ربه ، وأقام هارون في بني إسرائيل ، يسير بهم على أثر موسى :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وعد الله موسى حين أهلك فرعون



وقومه ونجاه وقومه ، ثلاثين ليلة ، ثم أمها بعشر ، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ، تلقاه فيها بما شاء ، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل ، ومعه السامري ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به ، فلما كلم الله موسى ، قال له ( ما أعجبتك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثرى ، وعجلت إليك رب لترضى ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وعجلت إليك رب لترضى ) قال : لأرضيك .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَيْنِكَ وَأُضَلُّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا . قَالَ : يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا؟ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ؟ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي؟ (٨٦)

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى : فإننا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل ، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى . ويعنى بقوله ( من بينك ) ( من بعد فراقك إياهم ) ، يقول الله تبارك وتعالى ( وأضلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ) وكان إضلال السامري إياهم ، دعاءه إياهم إلى عبادة العجل .

وقوله ( فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ ) يقول : فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) متغيظا على قومه ، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) يقول : حزينا . وقال في الزخرف ( فَالَمَّا آسَفُونَا ) يقول : أغضبونا ، والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) يقول : حزينا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَالَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ) : أى حزينا على ما صنع قومه من بعده .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَسِفًا ) قال : حزينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا؟ ) يقول : ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى؟ ويعدكم جانب الطور الأيمن؟ وينزل عليكم المن والسلوى؟ فذلك وعد الله الحسن بنى إسرائيل ، الذى قال لهم موسى : ألم يعدكموه ربكم . وقوله ( أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ) ، أم أردتكم

أَنْ يَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ؟) يقول : أفتال عليكم العهد بي ، وبجميل نعم الله عندكم ، وأياديه لديكم ؟ أم أردتم أن يجلَّ عليكم غضب من ربكم ؟ يقول : أم أردتم أن يجلب عليكم غضب من ربكم ، فتستحقوه بعبادتكم العجل ، وكفركم بالله ، فأخلفتم مواعدي ، وكان إخلافهم مواعده ، عكوفهم على العجل ، وتركهم السير على أثر موسى ، للموعد الذي كان الله وعدهم ، وقولهم هارون إذ نهاهم عن عبادة العجل ، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى (لَنْ نَسْبِرَ عَلَيْهِ عَافِيَةَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ).

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا ، وَلَا كِنَانًا حُمَلْنَا أَوْ زَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَا ، فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ ، (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ ، فَانصَبَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى : ما أخلفنا مواعيدك يعنون بموعده وعهده الذي كان عهده إليهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَوْعِدِي) قال : عهدي ، وذلك العهد والموعد هو ما بينناه قبل .

وقوله (بِمَلَكِنَا) يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ ، وقالوا : إننا لم نطق بحمل أنفسنا على الصواب ، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قرآء المدينة (بِمَلَكِنَا) بفتح الميم . وقراءته عامة قرآء الكوفة (بِمَلَكِنَا) بضم الميم . وقرأه بعض أهل البصرة (بِمَلَكِنَا) بالكسر . فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد ، وهما بقدرتنا وطاقتنا ، غير أن أحدهما مصدر ، والآخر اسم . وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك .

واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما أخلفنا مواعيدك بأمرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي عن ابن عباس ، قوله (ما أخلفنا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا) يقول : بأمرنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَلَكِنَا) قال : بأمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .



وقال آخرون : معناه : بطاقتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ) :  
أى بطاقتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ  
بِمَلِكِنَا ) يقول : بطاقتنا .

وقال آخرون : معناه : ما أخلفنا موعدك بهوانا ، ولكننا لم نملك أنفسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ما أخلفنا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا )  
قال : يقول بهوانا ، قال : ولكنه جاءت ثلاثة ، قال : ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون ، وثياب .  
قال أبو جعفر : وكل هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى ، لأن من لم يملك نفسه ، لغلبة هواه  
على ما أمر ، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول : فعل فلان هذا الأمر ، وهو لا يملك نفسه ، وفعله وهو لا يضبطها ،  
وفعله وهو لا يطيق تركه . فإذا كان ذلك كذلك ، فسواء بأي القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ، وذلك أن  
من كسر الميم من الملك ، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك ، ونحن نملك الوفاء به ، لغلبة أنفسنا إيانا  
على خلافه ، وجعله من قول القائل : هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات ، وأن من فتحها ، فإنه يوجه  
معنى الكلام إلى نحو ذلك ، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل : ملكت الشيء أملكه ملكا وملككة ،  
كما يقال : غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة ، وأن من ضمها فإنه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا  
وقدرتنا ، أى ونحن نقدر أن نمتنع منه ، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه . وقد أنكر بعض  
الناس قراءة من قرأه بالضم ، فقال : أى ملك كان يومئذ لبني إسرائيل ، وإنما كانوا بمصر مستضعفين ،  
فأغفل معنى القوم ، وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا ، وقارنوا ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا  
المنكر عليهم ذلك ، وإنما قصدوا إلى أن معناه : ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا ، نقدر أن نردّها  
عما أنت ، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد .

وقوله ( وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) يقول : ولكننا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم .  
يعنون من حلي آل فرعون ، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر ، بأمر الله إياه  
بذلك ، أمرهم أن يستعبروا من أمتعة آل فرعون وحليهم ، وقال إن الله مَغْنَمُكُمْ ذلك ، ففعلوا ، واستعاروا  
من حلي نسائهم وأمتعتهم ، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ( أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ  
يَحِيلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ؟ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ،  
وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) .

وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) فهو ما كان مع بنى إسرائيل من حلى آل فرعون ، يقول : حططونا بما أصبنا من حلى عدوتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْزَارًا ) قال : أثقالا وقوله ( مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : هى الحلى التى استعاروا من آل فرعون ، فهى الأثقال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا ) قال : أثقالا ( مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : حليهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) يقول : من حلى القبيط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ) قال : الحلى الذى استعاروه والثياب ، ليست من الذنوب فى شيء ، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها ، فليست من الذنوب فى شيء .

واختلفت القرآءة فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآءة المدينة وبعض المكيين ( حُمِّلْنَا ) بضم الحاء وتشديد الميم ، بمعنى أن موسى يُحْمَلُهُمْ ذلك . وقرأته عامة قرآءة الكوفة والبصرة وبعض المكيين ( حَمَّلْنَا ) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما ، بمعنى أنهم حملوا ذلك ، من غير أن يكلفهم حمله أحد .

قال أبو جعفر : والقول عندى فى تأويل ذلك : أنهما قرآءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأن القوم حملوا ، وأن موسى قد أمرهم بحمله ، فبأيهما قرأ القارى فصيبت الصواب .

وقوله ( فَتَقَدَّرْنَا ) يقول : فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم فى الحفرة ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) يقول : فكما قذفنا نحن تلك الأثقال ، فكذلك ألقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَتَقَدَّرْنَا ) قال : فألقيناها ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) : كذلك صنع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَتَقَدَّرْنَا ) قال : فألقيناها ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) فكذلك صنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَتَقَدَّرْنَا ) : أى فنبذناها .



وقوله ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ) يقول: فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه، عجلا جسدا له خوار، ويعنى بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر.  
ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامري العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فيه فخار.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) قال: كان الله وقت موسى ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر؛ فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالخلي الذي كان معكم، فهلموا، وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فلقذفوها إليه، فصورها صورة بقرة، وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه، قبضة من أثر فرس جبرئيل، فلقذفها مع الخلي والصورة ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا ) فجعل ينخور خوار البقر، فقال ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الخلي، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون، فجمعوه، فأعطوه السامري، فصاغ منه عجلا، ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك، فنبذها في جوفه، فإذا هو عجل جسده له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم. وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أخذ السامري من تربة الحافر، حافر فرس جبرئيل، فانطلق موسى، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنها، فإن جاء موسى فأحلبها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الخلي في تلك الحفرة، فجاء السامري بتلك القبضة، فلقذفها، فأخرج الله من الخلي عجلا جسدا له خوار، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما؛ فلما كان لعشرين خرج لهم العجل؛ فلما رأوه قال لهم السامري ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ، فَتَنَسِي ) فعكفوا عليه يعبدونه، وكان ينخور ويمشي ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الخلي حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فلقذف السامري تربته. وقوله ( فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى. وقوله ( فَتَنَسِي ) يقول: فضل وترك. ثم اختلف أهل التأويل في قوله ( فَتَنَسِي ) من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبير عن السامري، والسامري هو الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

(١) لعله: تمورها: أي استعاروها، كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقول الله ( فَنَسِيَ ) : أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، يعنى السامرى . وقال آخرون : بل هذا خبر من الله عن السامرى ، أنه قال لبنى إسرائيل ، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه ، فأصل موضعه ، وهو هذا العجل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَتَقَدَّفْنَاها ) يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى ، لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام ، فألقى القبض على حليم ، فصارع عجلا جسدا له خوار ( فَتَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) الذى انطلق يطلبه . ( فَنَسِيَ ) يعنى : نسى موسى ، ضل عنه ، فلم يهتد له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَنَسِيَ ) يقول : طلب هذا موسى ، فخالفه الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فَنَسِيَ ) يقول : قال السامرى : موسى نسى ربه عندكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَنَسِيَ ) موسى ، قال : هم يقولونه : أخطأ الرب العجل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَنَسِيَ ) قال : نسى موسى ، أخطأ الرب العجل ، قوم موسى يقولونه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَنَسِيَ ) يقول : ترك موسى إلهه ها هنا ، وذهب يطلبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ) قال : يقول : فنسى حيث وعده ربه ها هنا ، ولكنه نسى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ) : يقول : نسى موسى ربه فأخطأه ، وهذا العجل إله موسى .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل ذلك : القول الذى ذكرناه عن هؤلاء ، وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامرى ، أنه وصف موسى بأنه نسى ربه ، وأن ربه الذى ذهب يريده : هو العجل الذى أخرج السامرى ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه ، وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك ، أشبه من غيره .



## القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ  
مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ  
نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١)

يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل، والقاتلين له ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَمَسَى ) ، وعابهم  
بذلك ، وسفّه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه : أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى  
لا يكلمهم ، وإن كلموه لم يردّ عليهم جوابا ، ولا يقدر على ضرر ولا نفع ، فكيف يكون ما كانت هذه  
صفته إلهًا ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ، وحدثني الحارث ، قال :  
ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) العجل .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أفلا يَرَوْنَ  
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) قال : العجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله ( أفلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ  
إِلَيْهِمْ ) ذلك العجل الذي اتخذوه ( قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ) .  
وقوله ( وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ) يقول : لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون ،  
من قبل رجوع موسى إليهم ، وقيله لهم ما قال ، مما أخبر الله عنه ( إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ) يقول : إنما اختبر الله  
إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل ، الذي أحدث فيهم الخوار ، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المر يرض  
القلب ، الشاك في دينه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لهم هارون ( إِنَّمَا  
فُتِنْتُمْ بِهِ ) يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل .  
وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) : يقول : وإن ربكم الرحمن الذي يعم  
جميع الخلق نعمه ، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ، وترك عبادة العجل ، وأطيعوا أمرى فيما أمركم به من  
طاعة الله ، وإخلاص العبادة له . وقوله ( قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ) يقول : قال عبدة العجل  
من قوم موسى : لن نزال على العجل مقيمين نعبده ، حتى يرجع إلينا موسى .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَا تَتَّبِعُنَّ؟ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟ (٩٣) قَالَ يَبْنَومٌ

لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي، إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لأخيه هارون ، لما فرغ من خطاب قومه ، ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم : يا هارون ، أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم ، فكفروا بالله ، وعبدوا العجل ألا تتبعني . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عدل موسى عليه أخاه ، من تركه اتباعه ، فقال بعضهم : عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره ، على ما كان عهد إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قال القوم ( لَنْ نُبْرَحَ عَلَيْهٖ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِيعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ، ممن لم يفتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين ، أن يقول له موسى : ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) ، وكان له هائبا مطيعا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعْتَنِي ) قال : تندعهم . وقال آخرون : بل عدله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعْتَنِي ) قال : أمر موسى هارون أن يصلح ، ولا يتبع سبيل المفسدين ، فذلك قوله ( أَنْ لَا تَتَّبِعْتَنِي أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ) بذلك ، وقوله ( قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) ، وفي هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه ، وهو : ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجره إليه ، فقال هارون ( يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) .

وقوله ( إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم ، الذي خشيه هارون ، فقال بعضهم : كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه ، وأقام على دينه في أثر موسى ، ويخلف عبدة العجل ، وقد ( قالوا ) له ( لَنْ نُبْرَحَ عَلَيْهٖ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِيعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) فيقول له موسى ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) بسيرك بطائفة ، وتركك منهم طائفة وراءك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى ( مَا مَنَعَكَ إِذْ



رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ) ، قال ( خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) قال : خشيت أن يتبعني بعضهم ، ويتخلف بعضهم وقال آخرون : بل معنى ذلك : خشيت أن نقتل ، فيقتل بعضنا بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( لَأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) قال : كنا نكون فرقين ، فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى .  
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي قاله ابن عباس : من أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره ، بمن اتبعه من أهل الإيمان ، فقال له هارون : إني خشيت أن تقول ، فرقت بين جماعتهم ، فتركت بعضهم وراءك ، وجئت ببعضهم ، وذلك بين في قول هارون للقوم ( يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) ، وفي جواب القوم له ، وقيلهم ( لَنْ نَسْبِرَاحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِيعَ إِلَيْنَا مُوسَى ) .  
وقوله ( وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) يقول : ولم تنظر قولي وتحفظه ، من مراقبة الرجل الشيء ، وهي مناظرته بحفظه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ) قال : لم تحفظ قولي .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ ) قال موسى للسامري : فما شأنك يا سامري ، وما الذى دعاك إلى ما فعلته .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ ) قال : ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذى أدخلك فيما دخلت فيه؟  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) قال : مالك يا سامري؟

وقوله ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) يقول : قال السامري : علمت ما لم يعلموه ، وهو فعلت من البصيرة : أى صرت بما عملت بصيرا عالما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما قتل فرعون الولدان

قالت أم السامريّ : لو نحيته عني حتى لأراه ، ولا أدري قتله ، فجعلته في غار ، فأتى جبرئيل ، فجعل كف نفسه في فيه ، فجعل يرضعه العسل واللبن ، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه ، فمن ثم معرفته إياه حين قال : ( فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) .

وقال آخرون : هي بمعنى : أبصرت ما لم يبصروه ، وقالوا : يقال : بصرت بالشيء وأبصرته ، كما يقال : أسرعت وسرعت ما شئت .

ذكر من قال : هو بمعنى أبصرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال بصرت بما لم يبصروا به ) : يعني فرس جبرئيل عليه السلام .

وقوله ( فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) يقول : قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار ، وتكسرت ، ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام ، فأخذ ترابا من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار ، فلقده فيها ، وقال : كن عجلا جسدا له خوار ، فكان للبلاء والفتنة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قبض قبضة منه ، من أثر جبرئيل ، فألقى القبض على حليهم ، فصار عجلا جسدا له خوار ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ) قال : من تحت حافر فرس جبرئيل ، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلا جسدا . له خوار : حفيف الريح فيه ، فهو خواره . والعجل : ولد البقرة .

واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين ، فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة ( بصرت بما لم يبصروا به ) بالياء ، بمعنى : قال السامريّ : بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( بصرت بما لم تبصروا به ) بالتاء ، على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بمعنى : قال السامريّ لموسى : بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، مع صحة معنى كل واحدة منهما ، وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرئيل ، فكان عنده ما كان ، بأن حدثته نفسه بذلك ، أو بغير ذلك من الأسباب ، أن تراب حافر فرسه الذي كان عليه ، يصلح لما حدث عنه حين نبذه



في جوف العجل ، ولم يكن علم ذلك عند موسى ، ولا عند أصحابه من بني إسرائيل ، فلذلك قال لموسى : ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ ) : أي علمت بما لم تعلموا به . وأما إذا قرئ ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) بالياء ، فلا مؤنة فيه ، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب .  
وأما قوله ( فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) فإن قرأه الأمصار على قراءته بالضاد ، بمعنى : فأخذت بكفي ترابا من تراب أثر فرس الرسول .

وروي عن الحسن البصري وقتادة ما حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن عوف ، عن الحسن أنه قرأها ( فَتَقَبَّضْتُ قَبْضَةً ) بالصاد .  
وحدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد ، عن قتادة مثل ذلك بالصاد ، بمعنى : أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول ، والقبضة عند العرب : الأخذ بالكف كلها ، والقبضة : الأخذ بأطراف الأصابع .

وقوله ( فَتَنَبَّأَهُنَّ ) يقول : فألقينها . ( وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) : يقول : وكما فعلت من إلقاءي القبضة التي قبضت من أثر الفرس ، على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت ، فصارت عجلا جسدا له خوار ، ( سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) يقول : زينت لي نفسي أنه يكون ذلك كذلك .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) قال : كذلك حدثني نفسي .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَهُ ، وَأَنْظُرْ إِلَىٰ  
إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَا كَيْفَا أَنْحَرَقْنَاهُ ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى للسامري : فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول لا ميساس : أي لا آمس ، ولا أمس . وذكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه ، ولا يخالطوه ، ولا يبايعوه ، فلذلك قال له : إن لك في الحياة أن تقول لا ميساس ، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان والله السامري عظيما من عظماء بني إسرائيل ، من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل .  
قوله ( فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ) فبقاياهم اليوم يقولون لا ميساس .

وقوله ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَهُ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ( لَّنْ تَخْلَفَهُ ) بضم اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من

إضلالك قومي ، حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن يخلفك الله ، ولكن يديفك . وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبونهيك ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلِفَهُ ) بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لن تخلفه أنت ياسامري ، وتأولوه بمعنى : لن تغيب عنه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهبك يقرأ ( لَّنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ ) يقول : لن تغيب عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلِفَهُ ) يقول لن تغيب عنه .

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأنه لا شك أن الله مؤوف وعده لخلقهم لموقف الحساب ، وأن الخلق موافون ذلك اليوم ، فلا الله مخلفهم ذلك ، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه ، فبأبيتهما قرأ القاري فصيبي الصواب في ذلك .

وقوله ( وَأَنْظُرُ إِلَى إِهْلِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول : وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقبلا تعبده .

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : ( ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) : الذي أقمت عليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال له موسى ( انظُرْ إِلَى إِهْلِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول : الذي أقمت عليه ؛ وللعرب في ظلت : لغتان : الفتح في الظاء ، وبها قرأ قرآء الأمصار والكسر فيها ، وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظلت إليها ، ومن فتحها أقر حركتها التي كانت لها قبل أن يقذف منها شيء ، والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذاك ، فيقولون في مَسَيْتَ : مَسَيْتَ وَمَسَيْتَ ، وفي هَمَمْتَ بذلك : هَمَمْتَ بِهِ ، وهل أَحَسَّتْ فلانا وأحسسته ، كما قال الشاعر :

خَلَا أَنْ الْعِثَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنْ إِيَّاهُ شُوسٌ<sup>١</sup>

(١) البيت لأبي زبيد الطائي (اللسان : حسن) . ورواية الشطر الثاني فيه : « حسين به فهن إليه شوس » . قال : حس بالثاء يحس (كيقول حسا) بالفتح (وحسا) بالكسر (وحسنا ، وأحسن به ، وأحسه) : شعر به . وأما قولهم « أحست بالثاء » فعل الخذف ، كراهية التقاء المثلين . قال سيبويه : وكذلك يفعل في كل بناء بين اللام من الفعل منه عل السكون ، ولا تصل إليه الحركة ، شبهوها بأقمت . الأزهرى : ويقال : هل أحست : بمعنى أحست . ويقال : حس بالثاء إذا علمته وعرفته . قال : ويقال : أحست الخبر وأحسته وحسبت وحست : إذا عرفت منه طرفا ، وتقول ما أحست بالخبر وما أحست وما حسبت وما حسبت : أي لم أعرف منه شيئا . . . وربما قالوا : حسبت بالخبر ، وأحسبت به ، يبدلون من السين ياء ، قال أبو زبيد : « خلا أن . . . البيت » . قال الجوهرى وأبو عبيدة يروى بيت أبي زبيد : « أحسن به فهن إليه شوس » . وأصله أحسن . اهـ . ويقال في ظل وما أشبهه من كل مضعف مكسور العين في الماضي : ظللت أفعل كذا ، بلامين ، وظلت أفعل كذا بخذف اللام الأولى ، وفتح الفاء . وظلت أفعل كذا ، بخذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء .



وقوله ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) بضم النون وتشديد الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار قطعة قطعة . وروى عن الحسن البصرى ، أنه كان يقرأ ذلك ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) بضم النون ، وتخفيف الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار إحراقاً واحدة ، وقرأه أبو جعفر القارى ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) بفتح النون وضم الراء ، بمعنى : لنبردنه بالمبارد ، من حرقته أحرقت وأحرقه ، كما قال الشاعر :

بِيَدِي فِرْقَتَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ نِيُوبَهُمْ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا

والصواب في ذلك عندنا من القراءة ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) بضم النون وتشديد الراء ، من الإحراق بالنار .

كما حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) يقول : بالنار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لَنْحَرِقَنَّهٗ ) ، فأحرقه ثم ذراه في اليم ، وإنما أخترت هذه القراءة ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وأما أبو جعفر ، فأن أحسبه ذهب إلى ما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدى (وَأَنْظُرُ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَنَّهٗ ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ، ثم أخذه فذبجه ، ثم حرقه بالمبرد ، ثم ذراه في اليم ، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْظُرُ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَنَّهٗ ، ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) قال : وفي بعض القراءة لنذبجه ثم لنحرقنه ، ثم لننسفه في اليم نسفا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود (وَأَنْظُرُ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْذَبَجَنَّهُ ثُمَّ لَنْحَرِقَنَّهٗ ، ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) .

وقوله ( ثُمَّ لَنْنَسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) يقول : ثم لنذريه في البحر تذرية ، يقال منه : نسف فلان الطعام بالينسف : إذا ذرّاه ، فطير عنه قشوره وتوابه ، باليد أو الريح .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت أنشده المفضل الضبي ونسبه لعامر بن شقيق (اللسان : حرق ، ومعجم ما استعجم للبكري ٢١٠) وذو فرقين أو ذات فرقين ، كما في معجم ما استعجم : هضبة ببلاد بني تميم ، بين طريق البصرة والكوفة ، وهي إلى البصرة أقرب . هـ . وفي شرح الحماسة للبريزي (٢ : ٦٧) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك . وقيل البيت :

فإتاك لو رأيت وإن تريبه أكف القوم تحرق بالقتينا

قال : وذو فرقين : هضبة في بلاد بني أسد ، من ناحية الفرات . وقوله « بنى فرقين » : يجوز أن يتعلق بقوله « لو رأيت » ، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقتينا . وكذلك قوله « يوم بني حبيب » : ويجوز أن يكون ظرفاً لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان : أحدهما لزمان والآخر للمكان ، وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده ، لأن الأزمنة تصاف إلى الجمل ، من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، تبيننا لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض تهديداً ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أي يصرف بأنياهه تديلاً . ويقال : حرقه بالمبرد : إذا برده . وحكى أبو حاتم : فلان يحرق نابه عل ، برفع الياء ، لأنه هو الذي يحرق . وقال أبو العلاء قوله بنى فرقين » : أراد : ذات فرقين ، فذكر على معنى الموضع أو الجبل ، وهي التي ذكرها عبيد في قوله « ذات فرقين فالغليب » قيل : هي ثنية كسنام الغالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَمَّ** لَتَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) يقول : لنذريته في البحر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : ذراه في اليمّ ، واليمّ : البحر .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ذراه في اليمّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في اليمّ ، قال : في البحر .

وقوله ( **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَيْلَهُ مَا هُوَ** ) يقول : ما لكم أيها القوم معبود ، إلا الذي له عبادة جميع الخلق ، لا تصلح العبادة لغيره ، ولا تدبغى أن تكون إلا له ( **وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا** ) يقول : أحاط بكل شيء علما فعلمه ، فلا يخفى عليه منه شيء . ولا يضيق عليه علم جميع ذلك ، يقال منه : فلان يسع لهذا الأمر : إذا أطاقه وقوى عليه ، ولا يسع له : إذا عجز عنه : فلم يطقه ولم يقوَ عليه .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **وَسِعَ**

**كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا** ) يقول : ملأ كل شيء علما ، تبارك وتعالى .

## القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ

عَنْهُ فَإِنَّهُ يُجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه ، وأخبار بني إسرائيل مع موسى ، ( **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ** ) يقول : كذلك نخبرك بأخبار الأشياء التي قد سبقت من قبلك ، فلم تشاهدها ولم تعانها . وقوله ( **وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا** ) يقول تعالى ذكره ل محمد صلى الله عليه وسلم : وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ، ويُنْتَظَرُ به أهل العقل والفهم ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ، فجعله ذكرى للعالمين . وقوله ( **مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ** ) يقول تعالى ذكره : من ولى عنه فأدبر ، فلم يصدق به ولم يقَرّ ، فإنه ( **يُجْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا** ) يقول : فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا ، وذلك الإثم العظيم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا** ) قال : إنما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .



القول في تأويل قوله تعالى

خَالِدِينَ فِيهِ ، وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ  
يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : خالدين في أوزارهم ، فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا ، أنهم خالدون في أوزارهم ، والمعنى : أنهم خالدون في النار بأوزارهم ، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام ، اكتفى بما ذكر عمالم يذكر .

وقوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول تعالى ذكره : وساء ذلك الحمل والنقل من الإثم يوم القيامة حملا ، وحق لهم أن يسوءهم ذلك ، وقد أوردتهم مهلكة لا منجى منها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول : بثما حلوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يعني بذلك : ذنوبهم .

وقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) يقول تعالى ذكره : وساء لهم يوم القيامة ، يوم ينفخ في الصور ، فقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) رد على يوم القيامة . وقد بينا معنى النفخ في الصور ، وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور ، والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالياء وضمها على

ما لم يسم فاعله ، بمعنى : يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك ( يَوْمَ نَنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالنون ، بمعنى : يوم ننفخ نحن في الصور ، وكان الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك ، طلبه التوفيق بينه وبين قوله ( وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ ) إذ كان لاختلاف بين القراء في نحشروا بالنون .

قال أبو جعفر : والذي أختار في ذلك من القراءة : يوم ينفخ بالياء ، على وجه ما لم يسم فاعله ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد .

وقوله ( وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ) يقول تعالى ذكره : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زُرْقًا ، فقيل : عني بالزرقي في هذا الموضع : ما يظهر في أعينهم من شدة العطش ، الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين ، من الزرقي . وقيل : أريد بذلك أنهم يحشرون عميا ، كالذي قال الله ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَ ) . وقوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ) : يقول

تعالى ذكره : يتألمسون بينهم ، ويسرّ بعضهم إلى بعض : إن لبثتم في الدنيا ، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض : ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ) يقول : يتسارون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ) : أي يتسارون ( بَيْنَهُمْ ) : إن لبثتم إلا عشرا .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ( إن لبثتم إلا يوما ) بما يقولون ، لا يخفى علينا مما يتسارونه بينهم شيء ( إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ) يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا ، وأعلمهم فيهم : إن لبثتم في الدنيا إلا يوما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، في قوله ( إذ يقول أمثلهم طريقة ) أوفاهم عقلا . وإنما عني جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القوم يومئذ ، لإعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة ، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ، ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات ، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان ، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم ، وأذكهم وأفهمهم ، أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَاتَرَى

فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : ويسألك يا محمد قومك عن الجبال ، فقل لهم : يُذَرُّهَا رَبِّي نَسْفًا ، يعني : يذريها نذرية ويطيها ، بقلعها واستئصالها من أصولها ، وذلك بعضها على بعض ، وتصويره إياها هباء منبثا ( فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ) يقول تعالى ذكره : فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا ، قاعا : يعني : أرضا ملساء ، صفصفا : يعني مستويا لا نبات فيه ، ولا نشتر ، ولا ارتفاع .



وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قاعا صَفْصَفًا ) يقول : مستويا لانبات فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيَسْدَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ) قال : مستويا ، الصفصيف : المستوى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا عبد الله بن لهيعة ، قال : ثنا أبو الأسود ، عن عروة ، قال : كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب : إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة ، فقال : كذب كعب ، إنما الصخرة جبل من الجبال ، إن الله يقول ( وَيَسْتَكُونُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَغُثٌّ يُتَدَسِّفُهَا رَبِّي نَسْفًا ) ، فسكت عبد الملك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( صَفْصَفًا ) قال : مستويا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال أبو جعفر : وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول : القاع : مستنقع الماء ، والصفصيف : الذي لانبات فيه .

وقوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول : لاترى في الأرض عِوَجًا وَلَا أَمْتًا .

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت ، فقال بعضهم : عني بالعوج في هذا الموضع : الأودية ، وبالأمت : الروابي والنشوز .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول : واديا ، ولا أمتا : رابية .

حدثني محمد بن عبد الله الخزمي ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان ، قال : سمعت عكرمة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : هي الأرض البيضاء ، أو قال : الملساء التي ليس فيها لينة مرتفعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : ارتفاعا ، ولا انخفاضًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال : لاتعادي ، الأمت : التعادي .

وقال آخرون : بل عنى بالعوج في هذا الموضع : الصدوع ، وبالأمّت : الارتفاع من الآكام وأشباهاها .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله :  
( لا تترى فيها عوجاً ) قال : صدعا ( ولا أمّتا ) يقول : ولا أكمة .

وقال آخرون : عنى بالعوج : الميل ، وبالأمّت : الأثر .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( لا تترى فيها عوجاً ولا أمّتا ) يقول : لا تترى فيها ميلا ، والأمّت : الأثر مثل الشرك .

وقال آخرون : الأمّت : الخاني والأحداب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأمّت : الحدب .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بالعوج : الميل ، وذلك أن ذلك هو  
المعروف في كلام العرب .

فإن قال قائل : وهل في الأرض اليوم من عوج ، فيقال : لا تترى فيها يومئذ عوجاً . قيل : إن معنى  
ذلك : ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة ، كما يحتاج اليوم من أخذ  
في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا ، وأحيانا شمالا ، لما فيها من الجبال والأودية والبحار . وأما الأمّت  
فإنه عند العرب : الانثناء والضعف ، مسموع منهم ، مدّ حبله حتى ماترك فيه أمّتا : أى انثناء ؛ وملأ سقاه  
حتى ماترك فيه أمّتا ؛ ومنه قول الراجز :

ما في أنجداب سسيّره من أمّت<sup>١</sup>

يعنى : من وهن وضعف ، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمّت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله  
ولا ارتفاع ولا انخفاض ، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام :  
لا تترى فيها ميلا عن الاستواء ، ولا ارتفاعا ، ولا انخفاضاً ، ولكنها مستوية ملساء ، كما قال جل ثناؤه  
( قاعاً صَفْصَفًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجٍ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما في ( اللسان : أمّت ) والرواية فيه : « ما في انطلاق ركبته من أمّت » قال وفي  
حديث أبي سعيد الخدري : « أن النبي صل الله عليه وسلم حرم الخمر ، فلا أمّت فيها ، وأنا أنهى عن السكر والمسكر » . قال أبو  
منصور : معنى قول أبي سعيد عن النبي : أراد أنه حرمها تحريماً لا هوادة فيه ولا لين ، لكنه شدد في تحريمها ؛ وهو من قولك : سرت  
سيرا لا أمّت فيه : أى لا وهن فيه ولا ضعف . وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريماً لا شك فيه . وأصله من الأمّت بمعنى الخزر  
والتقدير ، لأن الشك يدخلها . قال العجاج : ما في انطلاق ركبته من أمّت « أى من فتور واسترخاء » اهـ .



يقول تعالى ذكره : يومئذ يبيع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة ، فيحشرهم إليه : ( لَاعِوَجَ لَهُ ) يقول : لاعوج لم عنه ولا انحراف ، ولكنهم سراعاً إليه ينحشرون . وقيل : لاعوج له ، والمعنى : لاعوج لم عنه ، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ، ولكنهم يؤمنونه ويأتونه ، كما يقال في الكلام : دعاني فلان دعوة لاعيوج لي عنها : أي لأعيوج عنها . وقوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول تعالى ذكره : وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع ، والمعنى لأهلها أنهم خضع جميعهم لربهم ، فلا تسمع لناطق منهم منطلقاً إلا من أذن له الرحمن .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول : سكنت .

وقوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : إنه وطء الأقدام إلى الخشر ، وأصله : الصوت الخفي ، يقال همس فلان إلى فلان بحدبته : إذا أسرّه إليه وأخفاه ، ومنه قول الراجز :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا      إِنَّ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِيكَ لَمِيْسًا

يعني بالهمس : صوت أخفاف الإبل في سيرها .

وينجو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عليّ بن عباس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : وطء الأقدام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يعني : همس الأقدام ، وهو الوطء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : الصوت الخفي .

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن عكرمة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : وطء الأقدام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : همس الأقدام .

(١) البيت ما أنشده ابن عباس ، وقد نقله عنه السيوطي في الإتيقان ، وكثير من المفسرين ، ومنهم المؤلف ، ونقل صاحب (اللسان همس) شرطه الأول . وهو « وهن يمشين بنا هميسا » قال : وهو صوت نقل أخفاف الإبل . اهـ . وقال في أول المادة : همس : الخفي من الصوت والوطء والأكل . وفي التنزيل : « فلا تسمع إلا همسا » . في التهذيب : يعني به والله أعلم : خلق الأقدام على الأرض . وقال الفراء : يقال إنه نقل الأقدام إلى الخشر . ويقال : الصوت الخفي . وروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشد :

« وهن يمشين بنا هميسا »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال قتادة : كان الحسن يقول : وقع أقدام القوم .  
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال : تهافتا ، وقال : تخافت الكلام .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَمْسًا ) قال : خفض الصوت .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : خفض الصوت . قال : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كلام الإنسان لا تسمع تحرك شفثيه ولسانه .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول : لا تسمع إلا مشيا ، قال : المشي الهمس : وطء الأقدام .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
 وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا ) شفاعة ( مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ) أن يشفع ( وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ) وأدخل في الكلام له دليلا على إضافة القول إلى كناية « مَنْ » وذلك كقول القائل الآخر : رضيت لك عملك ، ورضيته منك ، وموضع مَنْ من قوله ( إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ) نصب لأنه خلاف الشفاعة .  
 وقوله ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة ، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ( وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول : ويعلم أمر ما خلقوه وراءهم من أمر الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ) من أمر الساعة ( وَمَا خَلْفَهُمْ ) من أمر الدنيا .

وقوله ( وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ) يقول تعالى ذكره : ولا يحيط خلقه به علما . ومعنى الكلام : أنه يحيط بعباده علما ، ولا يحيط بعباده به علما . وقد زعم بعضهم : أن معنى ذلك : أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم ، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم ، وقال : إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة ، أن الملائكة كذلك لاتعلم ما بين أيديها وما خلفها موبخهم بذلك ، ومقرعهم بأن من كان كذلك ، فكيف يعبد ؟ وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)

يقول تعالى ذكره : استسرت وجوه الخلق ، واستسلمت للحى الذى لا يموت ، القيوم على خلقه



بتدبيره إياهم ، وتصريفهم لما شاءوا . وأصل العنوة الذل يقال منه : عنا وجهه لربه يعنو عَنَوًا ، يعنى خضع له وذلّ ، وكذلك قيل للأسير ، عانٍ ، لذلة الأمر . فأما قولهم : أخذت الشيء عَنَوَةً ، فإنه يكون وإن كان معناه يتول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة ، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة ، كما قال الشاعر :

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّهَا الْقَلْبُ عَنَوَةً ۖ وَكَمْ تَلَحَّ نَفْسٌ لَمْ تَلَمْ فِي اخْتِيَابِهَا ۙ

وقال آخر :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنَوَةً عَن مَوَدَّةٍ ۖ وَلَكِنَّ بِحَدِّ الْمَشْرِقِيِّ اسْتَقَالَهَا ۚ

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يقول : ذلت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يعنى بعنت : استسلموا لى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ ) قال : خشعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) أى ذلّت الوجوه للحى القيوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : ذلّت الوجوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال طلق : إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه ، أو قال : عنا .

(١) لم أفت على قائل البيت . وعنوة : قال فى (اللسان : عنوة) فى حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة : أى قهرا وغلبة . قال ابن الأثير : هو من عنا يعنو : إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المشأوخة بها يخضع وينذل . وأعدت البلاد عنوة : بالقهر والإذلال . ابن الأعرابى : عنا يعنو : إذا أخذ الشيء قهرا . وعنا يعنو عنوة : إذا أخذ الشيء صلحا ، بإكرام ورفق . والعنوة أيضا المودة . قال الأزهرى : أعدت الشيء عنوة : يكون غلبة ، ويكون عن تسليم وطاعة من يؤخذ منه الشيء . وأنشد الفراء لكثير :

فَمَا أَخَذُوهَا عَنَوَةً عَن مَوَدَّةٍ ۖ وَلَكِنَّ ضَرْبَ الْمَشْرِقِيِّ اسْتَقَالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « وعنت الوجوه » : استأسرت . قال : والعافى : الأسير . وقال أبو الهيثم : العانى : الخاضع .

(٢) البيت لكثير عزة ، كما فى (اللسان : عنا) وقد تقدم القول فى معناه فى الشاهد السابق عليه . والمشرقى : السيف ، منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو باليمن . وأستقالها : أخذها وانزعها .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب ، في هذه الآية ( وَعَسَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو وضع الرجل رأسه وبديه وأطراف قدميه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَسَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود . حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَسَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : وضع الجبهة والأنف على الأرض .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن طلق بن حبيب ، في قوله ( وَعَسَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَعَسَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال : استأسرت الوجوه للحَيِّ الْقَيُّومِ ، صاروا أسارى كلهم له . قال : والعاني : الأسير . وقد بيننا معنى الحَيِّ الْقَيُّومِ فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) يقول تعالى ذكره : ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيامة شركا بالله ، وكفرا به ، وعملا بمعصيته . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال : من حمل شركا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال : من حمل شركا ، الظلم هاهنا : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)

يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه : ومن يعمل من صالحات الأعمال ، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ( وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) يقول : وهو مصدق بالله ، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ) يقول : فلا يخاف من الله أن يظلمه ، فيحمل عليه سيئات غيره ، فيعاقبه عليها ( وَلَا هَضْمًا ) يقول : لا يخاف أن يهضمه حسناته ، فينقصه ثوابها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) قال : زعموا أنها الفرائض .

ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا )

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار ، قالوا : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : هضما : غضبا .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال : ( لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم ، فيزاد عليه في سيئاته ، ولا يظلم فيهم في حسناته :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) يقول : أنا قاهر لكم اليوم ، آخذكم بقوتي وشدتي ، وأنا قادر على قهركم وهضمكم ، وإنما بيني وبينكم العدل ، وذلك يوم القيامة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) أما هضما فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته ، يقول الله يوم القيامة : لا آخذكم بقوتي وشدتي ، ولكن العدل بيني وبينكم ، ولا ظلم عليكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَضْمًا ) قال : انتقاص شيء من حق عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال : سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله ( وَلَا هَضْمًا ) قال : الهضم : الانتقاص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : ظلما أن يزاد في سيئاته ، ولا يهضم من حسناته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا يخاف أن يظلم ، فلا يجزى بعمله ، ولا يخاف أن ينتقص من حقه ، فلا يوفى عمله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن ميمون بن سيابة ، عن الحسن ، في قول الله تعالى ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال : لا ينتقص الله من حسناته شيئا ، ولا يحمل عليه ذنب مسمى . وأصل الهضم : النقص ، يقال : هضمي فلان حتى ، ومنه امرأة هضمي : أي ضامرة البطن ، ومنه قولهم : قد هضم الطعام : إذا ذهب . وهَضَمْتُ لك من حقلك : أي حططتك .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ  
ذِكْرًا (١١٣)

يقول تعالى ذكره : كما رغبتنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال ، بوعدناهم ما وعدناهم ، كذلك حذرنا بالوعد أهل الكفر بالمقام على معاصينا ، وكفرهم بآياتنا ، فأنزلنا هذا القرآن عربيا ، إذ كانوا عربا ( وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ) فبيناه : يقول : وخوفناهم فيه بضرور من الوعيد ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) يقول : كي يتقونا ، بتصرفنا ما صرفنا فيه من الوعيد ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) يقول : أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة ، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأثم التي كذبت الرسل قبلها ، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) ما حذروا به من أمر الله وعقابه ، ووقاعه بالأثم قبلهم ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ) القرآن ( ذِكْرًا ) : أي جيدا وورعا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) قال : جيدا وورعا . وقد قال بعضهم في ( أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) أن معناه : أو يحدث لهم شرفا ، بإيمانهم به .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَتَمَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ آلْحَقُّ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ  
زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)

يقول تعالى ذكره : فارتفع الذي له العباد من جميع خلقه ، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار ، الحقّ عما يصفه به المشركون من خلقه ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجل يا محمد بالقرآن ، فتقرئه أصحابك ، أو تقرأ عليهم ، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه ، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك ، من قبل أن يبين له معانيه ، وقيل : لانتله على أحد ، ولا تمل عليه ، حتى أنبئته ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال : لانتله على أحد حتى نبينه لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : يقول : لانتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم : حتى نتمه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) يعني : لاتعجل حتى نبينه لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) : أى بيانه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال : تبيانه .

حدثنا ابن المنى وابن بشر ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) من قبل أن يبين لك بيانه .

وقوله ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد : رب زدنى علما إلى ما علمتني ، أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَيْهِ ، وَأَمَّ نَجِدَ لَهُ عَزْمًا (١١٥)

يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدى ، ويخالفوا أمرى ، ويتركوا طاعنى ، ويتبعوا أمر عدوّهم إبليس ، ويطيعوه في خلاف أمرى ، فقد بما مآ فعل ذلك أبوهم آدم ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَيْهِ ) يقول : ولقد وصينا آدم وقلنا له : ( إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ) فوسوس إليه الشيطان فأطاعه ، وخالف أمرى ، فحلّ به من عقوبتى ما حلّ :

وعنى جلّ ثناؤه بقوله ( مِنْ قَبْلِ ) هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد في هذا القرآن ، وقوله ( فَتَنَيْهِ ) يقول : فترك عهدى .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَيْهِ ) يقول : فترك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( فَتَنَيْهِ ) قال : ترك أمر ربه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ )

مِنْ قَبْلِ فَنَسِي ، وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) قال : قال له ( يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) فقرأ حتى بلغ ( لَا تَطْمَأَنَّ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) ، وقرأ حتى بلغ ( وَمَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ) قال : فنسى ما عهد إليه في ذلك ، قال : وهذا عهد الله إليه ، قال : ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده ، وأبى أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبليس ، وعصى الله الذي كرمه وشرّفه ، وأمر ملائكته فسجدوا له .

حدثنا ابن المنثي وابن بشار قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ، ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى .

وقوله ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) اختلف أهل التأويل في معنى العزم هاهنا ، فقال بعضهم : معناه الصبر :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) أى صبرا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) ،

قال : صبرا .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : الحفظ ، قالوا : ومعناه : ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) قال :

حفظا لما أمرته :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن

قيس ، عن عطية ، في قوله ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) قال : حفظا .

حدثنا عباد بن محمد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، في قوله ( وَكَمْ

نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) قال : حفظا لما أمرته به .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) . يقول : لم نجد له حفظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) قال :

العزم : المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه ، والتمسك به .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَكَمْ

نَجِدُ لَهُ عَزْمًا ) يقول : لم نجعل له عزما .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة



قال : لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة ، ووضعت في كفة ميزان ، ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى ، لرجح حلمه بأحلامهم ، وقد قال الله تعالى ( وَاكْمُ نَجِيدٌ لَهُ عَزْمًا ) . قال أبو جعفر : وأصل العزم : اعتقاد القلب على الشيء ، يقال منه : عزم فلان على كذا : إذا اعتقد عليه ونواه ، ومن اعتقاد القلب : حفظ الشيء ، ومنه الصبر على الشيء ، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى ، وهو قوله ( وَاكْمُ نَجِيدٌ لَهُ عَزْمًا ) فيكون تأويله : ولم نجد له عزم قلب ، على الوفاء لله بعهده ، ولا على حفظ ما عهد إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا سَأْدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَكَيْزُوجِكَ ، فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)

يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ما كان من تضييع آدم عهده ، ومعرفة بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه ، إلا من عصمه الله منهم ، واذكر يا محمد ( إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ) أن يسجد له ( فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَكَيْزُوجِكَ ) ولذلك من شأنه لم يسجد لك ، وخالف أمرى في ذلك وعصافى ، فلا تطيعاه فيما يأمر كما به ، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما ، وطاعتكما له ( مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) يقول : فيكون عيشك من كد يدك ، فذلك شقاؤه الذي حذرته ربه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق من جبينه ، فهو الذي قال الله تعالى ذكره ( فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) فكان ذلك شقاؤه ، وقال تعالى ذكره ( فَتَشْقَى ) ولم يقل : فتشقى ، وقد قال : ( فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا ) لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام ، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه ، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة ، الكفاية من ذكر المرأة ، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه ، كما قال ( عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ) اجترى بمعرفة السامعين معناه ، من ذكر فعل صاحبه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) قَوْسَوْسٍ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، قَالَ يَا سَأْدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قبله لآدم حين أسكنه الجنة : ( إِنَّ لَكَ ) يا آدم ( أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ) . و « أَنْ » في قوله ( أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا ) في موضع نصب بيان التى في قوله ( إِنَّ لَكَ ) .

وقوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا ) اختلفت القراء في قراءتها ، فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر ، وإنك على العطف على قوله ( إِنَّكَ ) . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة : وَأَنْتَ بفتح ألفها ، عطفًا بها على « أن » التي في قوله ( أَلَا تَجُوعَ فِيهَا ) . ووجهها تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا . فهذه القراءة أعجب القراءتين إلى ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره ، وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة ، فكون ذلك بأن يكون عطفًا على ألا تجوع : أولى من أن يكون خبر مبتدأ وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب . وعنى بقوله ( لَا تَنْظُمًا فِيهَا ) لاتعطش في الجنة ما دمت فيها ( وَلَا تَضْحَى ) ، يقول : لاتظهر للشمس ، فيؤذيك حرها ، كما قال ابن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَبْضَحِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَبْخَصِرُ

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) يقول : لا يصيبك فيها عطش ولا حر .

حدثني محمد بن سعد ، قال ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) يقول : لا يصيبك حر ولا أذى .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : ثنى أبي ، عن خصيف عن سعيد بن جبيرة ( لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ) قال : لاتصيبك الشمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَضْحَى ) قال : لاتصيبك الشمس ، وقوله ( فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ) يقول : فألقى إلى آدم الشيطان وحدثه ( فَقَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ) يقول : قال له : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت ، وملكت ملكا لا ينقضى قبلي .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ) إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله ( أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ) فلا تموتان أبدا .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة القرشي الخزومي . وقد أورده صاحب اللسان في ( ضحوا ) ولم ينسبه . قال : وضعا الرجل ضحوا ( عل فعل ) وضحوا ( عل فمول ) وضحيا : برز للشمس . وضحي بكسر الحاء يضحى في الفتن مع ضحوا وضحيا : أصابته الشمس ، قال الله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَنْظُمًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى » قال : لا يؤذيك حر الشمس . وقال الفراء : لاتضحى : لاتصيبك شمس مؤذية . قال : وفي بعض التفسير : ولا تضحى : لاتعرق . قال الأزهري : والأول ، أشبه بالصواب ، وأنشد : « رأت رجلا . . . البيت » . اهـ . وقوله « يخصر » : هو من الخصر بالتحريك ، وهو البرد يجده الإنسان في أطرافه .



## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ لُحْمِهِمَا، وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيها عن الأكل منها ، وأطاعا أمر إبليس ، وخالفا أمر ربهما ( فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ لُحْمِهِمَا ) يقول : فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورة عن أعينهما .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إنما أراد ، يعني إبليس بقوله ( هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَالْمَلِكِ لَا يُبَلِّغِي ) ليبدى لهما ما توارى عنهما من سواتهما ، بهتك لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء ، فأكلت ثم قالت : يا آدم كل ، فإني قد أكلت ، فلم يضرتني ، فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما .

وقوله ( وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة : كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : أقبلا يغطيان عليهما بورق التين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ) يقول : يوصلان عليهما من ورق الجنة .  
وقوله ( وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ) يقول : وخالف أمر ربه ، فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه ، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها . وقوله ( ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ) يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه ، والعمل بطاعته ، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه . وقوله ( وَهَدَىٰ ) يقول : وهداه للتوبة ، فوفقه لها .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)

يقول تعالى ذكره : قال الله تعالى لآدم وحواء ( اهْبِطَا جَمِيعًا ) إلى الأرض ( بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) يقول : أنها عدو إبليس وذريته ، وإبليس عدو كما وعدو ذريته كما .

وقوله ( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ) يقول : فإن يأتيكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى : يقول : بيان لسبيل ، وما اختاره لخلق من دين ( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ) يقول : فمن اتبع بياني ذلك وعمل به ، ولم

يزغ عنه ( فَلَا يَضِلُّ ) يقول: فلا يزول عن حجة الحق ، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدى ( وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة بعقاب الله ، لأن الله يدخله الجنة ، وينجيّه من عذابه .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « تضمن الله لمن قرأ القرآن ، واتبع ما فيه ، ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم تلا هذه الآية ( فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ) » .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب بن موسى ، عن عمرو الملائي عن ابن عباس ، أنه قال : إن الله قد ضمن . . . فذكر نحوه .  
حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن يسار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا أحمد بن محمد النسائي ، عن أبي سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : « من قرأ القرآن ، واتبع ما فيه ، عصمه الله من الضلالة ، ووقاه ، أظنه أنا قال : من هول يوم القيامة ، وذلك أنه قال ( فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا؟ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦)

يقول تعالى ذكره ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ) الذي أذكره به ، فتولى عنه ، ولم يقبله ، ولم يستجب له ، ولم يتعظ به ، فينجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر به ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : فإن له معيشة ضيقة . والضنك من المنازل والأماكن والمعاش : الشديد . يقال : هذا منزل ضنك : إذا كان ضيقا ، وعيش ضنك : الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع : بلفظ واحد ؛ ومنه قول عنتره :

وإن نزلوا بضنك أنزل

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

(١) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي ( مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي شرح مصطفي السقا ص ٣٨٨ ) .

والبيت بتمامه هو :

إن يُلْحَقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدُ وَإِنْ يُلْفُوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ

وفي (اللسان: ضنك) : الضنك : الضيق من كل شيء ، الذكر والأنثى فيه سواء . ومعيشة ضنك : ضيقة . وفي التزويل « فإن له معيشة ضنكا » أي غير حلال .



## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : الشقاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ضَنْكًا ) قال : ضيقة .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : الضنك : الضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول : ضيقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله هؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك ، والحال التي جعلهم فيها ، فقال بعضهم : جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم ، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ بن مقدم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله : ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : في جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) فقرأ حتى بلغ ( وَكَمْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِ رَبِّهِ ) قال : هؤلاء أهل الكفر ،

قال : ومعيشة ضنكا في النار : شوك من نار ، رزق قوم وغسيلين . والضريع : شوك من نار ، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل ( يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي )

قال : لمعيشتي ؛ قال : والغسيلين والزقوم : شيء لا يعرفه أهل الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : في النار . وقال آخرون : بل عنى بذلك : فإن له معيشة في الدنيا حراما ، قال : ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالذنك ، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام .

حدثني دارد بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجليّ ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم في قول الله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال : رزقا في معصيته .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا أبو بسطام ، عن الضحاك ( فإنَّ له مَعِيْشَةً ضَنْكًا ) قال : الكسب الخبيث .

حدثني محمد بن إسماعيل الصراري ، قال : ثنا محمد بن سَوَّار ، قال : ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد ، عن هارون بن محمد النيمي ، عن الضحاك ، في قوله ( فإنَّ له مَعِيْشَةً ضَنْكًا ) قال : العمل الخبيث ، والرزق السيء .

وقال آخرون ممن قال : عَسَى أن طؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا ، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة ، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله ، وإياس من فضل الله ، وسوء ظنَّ منهم بربهم ، فتشدد لذلك عليهم معيشتهم وتضييق .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكًا ) يقول : كلَّ مالٍ أعطيته عبداً من عبادي ، قلَّ أو كثر ، لا يتقيني فيه ، لا خير فيه ، وهو الضنك في المعيشة . ويقال : إن قوماً ضلَّلاً أعرضوا عن الحق ، وكانوا أولى سعة من الدنيا بكثيرين ، فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزَّ وجل ليس بمخلف لهم معيشتهم ، من سوء ظنهم بالله ، والتكذيب به ، فإذا كان العبد يكذب بالله ، ويسيء الظنَّ به ، اشتدَّت عليه معيسته ، فذلك الضنك .

وقال آخرون : بل عَسَى بذلك : أن ذلك لهم في البرزخ ، وهو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يزيد بن مخلد الواسطي ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، قال في قول الله ( مَعِيْشَةً ضَنْكًا ) قال : عذاب القبر .  
حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبي حازم ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : إن المعيشة الضنك ، التي قال الله : عذاب القبر .

حدثني حوَّثرة بن محمد المنقري ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري ( فإنَّ له مَعِيْشَةً ضَنْكًا ) قال : يضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب ابن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن أبي سعيد « أنه كان يقول : المعيشة الضنك : عذاب القبر ، إنه يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعون تيناً تنهشه ، وتخدش لحمه ، حتى يبيعث . وكان يقال : لو أن تيناً منها نفض الأرض ، لم تنبت زرعاً » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ،



قال: «يطبق على الكافر قبره، حتى تختلف فيه أضلعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله (مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)» .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح والسدي، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثني عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا أبو عميس، عن عبد الله بن مخارق عن أبيه، عن عبد الله، في قوله (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .

حدثني عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم، قالوا: ثنا أبو حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري (مَعِيشَةً ضَنْكًا) قال: عذاب القبر .  
 قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: هو عذاب القبر، الذي حدثنا به أحد ابن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن ابن حنبل، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «أَتَدْرُونَ فِيمَ أَنْزَلْتُ هَذِهِ آيَةَ (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه لَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعُونَ تَيْمَانًا، أَتَدْرُونَ مَا التَّيْمَانُ؟ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ، وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم: قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)؛ فإذا كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم، من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة، لما قد بيننا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيراً منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القابلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين، صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ .

وقوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى): اختلف أهل التأويل في صفة العمى، الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لاعمى البصر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله ( وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال : ليس له حجة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال : عن الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقيل : يحشر أعمى البصر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره ، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء ، كما أخبر جل ثناؤه ، فعم ولم يخص .

وقوله ( قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم في ذلك . ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ؟ ) لاحجة لي :

وقوله ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وقد كنت بصيرا بحجتي .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) قال : عالما بحجتي .

وقال آخرون : بل معناه : وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ ) قال : كان بعيد البصر ، قصير النظر ، أعمى عن الحق .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله عز شأنه ، وجل ثناؤه ، عم بالخبر عنه : بوصفه نفسه بالبصر ، ولم يخص منه معنى دون معنى ، فذلك على ما نعلمه ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية ، قال : رب لم حشرتني أعمى عن حجتي ورؤية الأشياء ، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله .

فإن قال قائل : وكيف قال هذا لربه ( لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ؟ ) مع معاينته عظيم سلطانه ؟ أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء ، أم ما وجه ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه مسألة لربه ، يعرفه الجرم الذي



استحقّ به ذلك ، إذ كان قد جهله ، وظنّ أن لا جرّم له ، استحق ذلك به منه ، فقال : ربّ لأىّ ذنب ولاىّ جرم حشرتنى أعمى ، وقد كنت من قبل فى الدنيا بصيرا ؟ وأنت لاتعاقب أحدا إلاّ بدون ما يستحق منك من العقاب .

وقوله ( قال كذالك أتتلك آياتنا فنسيتها ) : يقول تعالى ذكره ، قال الله حينئذ للقاتل له : ( لمّ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ ) : فعلت ذلك بك ، فحشرتك أعمى ، كما أتتك آياتى ، وهى حججه وأدلته وبيانه الذى بيّنه فى كتابه ، فنسيتها : يقول : فتركها ، وأعرضت عنها ، ولم تؤمن بها ، ولم تعمل . وعنى بقوله ( كذالك أتتلك ) هكذا أتتك . وقوله ( وكذالك اليوم تُنسى ) يقول : فكما نسيت آياتنا فى الدنيا ، فتركها وأعرضت عنها ، فكذلك اليوم نفسك ، فتركك فى النار . وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( وكذالك اليوم تُنسى ) فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فى ذلك . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله ( وكذالك اليوم تُنسى ) قال : فى النار . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( كذالك أتتلك آياتنا فنسيتها ) قال : فتركها ( وكذالك اليوم تُنسى ) وكذلك اليوم ترك فى النار .

وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قال كذالك أتتلك آياتنا فنسيتها وكذالك اليوم تُنسى ) قال : نسى من الخير ، ولم ينس من الشرّ . وهذا القول الذى قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد ، لأن تركه إياهم فى النار أعظم الشرّ لهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : وهكذا نجزي : أى نثيب من أسرف ، فعصى ربه ، ولم يؤمن برسله وكتبه ، فنجعل له معيشة ضنكا فى البرزخ ، كما قد بيّنا قبل ( ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ) يقول جل ثناؤه : ولعذاب فى الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم فى القبر من المعيشة الضنك . وأبقى : يقول : وأدوم منها ، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (١٢٨)

بَيِّنُهُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَفَلَمْ يَهْدِ لِقَوْمِكَ الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ ؟ وَمَعْنَى يَهْدِ : يَبِينُ . يَقُولُ : أَفَلَمْ يَبِينْ لَهُمْ كَثْرَةَ مَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي سَلَكْتَ قَبْلَهُمْ ، الَّتِي يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ وَدُورِهِمْ ، وَيُرُونَ آثَارَ عِقُوبَاتِنَا الَّتِي أَحْلَلْنَاهَا بِهِمْ ، سَوْءَ مَغْيِبَةٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ مَقِيمُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِنَا ، وَيَتَعَطَّوْا بِهِمْ ، وَيَعْتَبِرُوا ، وَيَنْبِئُوا إِلَى الْإِذْعَانِ ، وَيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، خَوْفًا أَنْ يَصِيبَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ( كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ) . لِأَنَّ قَرِيضًا كَانَتْ تَتَجَرَّ إِلَى الشَّامِ ، فَتَمَرَّ بِمَسَاكِنِ عَادَ وَثَمُودَ وَمِنْ أَشْبِهِهِمْ ، فَتَرَى آثَارَ وَقَائِعِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِمْ ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : أَفَلَمْ يَحْذَرَهُمْ مَا يُرُونَ مِنْ فَعَلْنَا بِهِمْ ، بِكُفْرِهِمْ بِنَا ، نَزُولِ مِثْلِهِ بِهِمْ ، وَهُمْ عَلَى مِثْلِ فَعَلِهِمْ مَقِيمُونَ . وَكَانَ الْقَرَاءُ يَقُولُ : لَا يَجُوزُ فِي كَمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا نَصْبًا بِأَهْلَكْنَا ، وَكَانَ يَقُولُ : وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا نَصْبًا ، فَإِنَّ جُمْلَةَ الْكَلَامِ رَفَعَ بِقَوْلِهِ ( يَهْدِ لَهُمْ ) وَيَقُولُ : ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ : قَدْ تَبَيَّنَ لِي أَقَامَ عَمْرُؤُا مِثْلَ زَيْدٍ ، فِي الْاسْتِفْهَامِ ، وَكَقَوْلِهِ ( سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ) وَيَزْعَمُ أَنْ فِيهِ شَيْئًا يَرْفَعُ سِوَاهُ ، لَا يَبْظُرُ مَعَ الْاسْتِفْهَامِ ، قَالَ : وَلَوْ قُلْتُ : سِوَاهُ عَلَيْكُمْ ، صَمْتَكُمْ وَدَعَاؤَكُمْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ الرَّفْعُ الَّذِي فِي الْجُمْلَةِ . وَلَيْسَ الَّذِي قَالَ الْقَرَاءُ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ : لِأَنَّ كَمْ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حُرُوفِ الْاسْتِفْهَامِ فَإِنَّهَا لَمْ تَجْعَلْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِلْاسْتِفْهَامِ ، بَلْ هِيَ وَاقِعَةٌ مَوْضِعَ الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُوفَةِ . وَمَعْنَى الْكَلَامِ مَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ وَهُوَ : أَفَلَمْ يَبِينْ لَهُمْ كَثْرَةَ إِهْلَاكِنَا قَبْلَهُمْ ، الْقُرُونِ الَّتِي يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ، أَوْ أَفَلَمْ تَهْدِهِمُ الْقُرُونُ الْمَاهِلِكَةُ . وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ( أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنْ أَهْلَكْنَا ) فَكَمْ وَاقِعَةٌ مَوْضِعَ « مَنْ » فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، هِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِقَوْلِهِ ( يَهْدِ لَهُمْ ) وَهُوَ أَظْهَرَ وَجُوهَهُ ، وَأَصَحَّ مَعَانِيَهُ ، وَإِنْ كَانَ لِلَّذِي قَالَهُ وَجْهٌ وَمَذْهَبٌ عَلَى بَعْدِ .

وَقَوْلُهُ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : إِنَّ فِيهَا يَعَابِنَ هَؤُلَاءِ وَيُرُونَ مِنْ آثَارِ وَقَائِعِنَا بِالْأُمَّمِ الْمَكْذُوبَةِ رَسَلِهَا قَبْلَهُمْ ، وَحُلُولِ مَسْئَلَاتِنَا بِهِمْ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ( آيَاتٍ ) يَقُولُ : لِدَلَالَاتٍ وَعِبْرَاتٍ وَعِظَاتٍ ( لِلأُولَى النَّهَى ) يَعْنِي : لِأَهْلِ الْحِجَاةِ وَالْعُقُولِ ، وَمَنْ يَنْبَاهُ عَقْلَهُ وَفَهْمَهُ وَدِينَهُ عَنْ مَوَاقِعِ مَا يَضُرُّهُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا مَعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ( لِلأُولَى النَّهَى ) يَقُولُ : النَّتَى .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى ) أَهْلُ الْوَرَعِ .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٢٩) فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ،  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ  
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)

يقول تعالى ذكره (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يا محمد، أن كل من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ، (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) : يقول : ووقت مسمى عند ربك ، سماه لهم في أم الكتاب ، وخطه فيه ، هم بالغوه ومستوفوه (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : للازمهم الهلاك عاجلا ، وهو مصدر من قول القائل : لازم فلان فلانا بلازمه ملازمة ولزاما : إذا لم يفارقه ، وقدم قوله (لَكَانَ لِزَامًا) قبل قوله (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ، لكان لزاما ، فاصبر على ما يقولون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) الأجل المسمى : الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) وهذه من مقادير الكلام ، يقول : لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى ، لكان لزاما ، والأجل المسمى : الساعة ، لأن الله تعالى يقول (بَلِّ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةَ أَدْهَى وَأَمَرٌ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) قال : هذا مقدم ومؤخر ، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ، لكان لزاما .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (لَكَانَ لِزَامًا) ، فقال بعضهم : معناه : لكان موتا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَكَانَ لِزَامًا) يقول : موتا .

وقال آخرون : معناه لكان قتلا .

(١) لعله يريد : لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى . ويجوز أن تكون «إلى» وضعت في موضع واو العطف ، سهوا من النسخ .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( لَكَانَ لِيْزَامًا ) ، والليزام : القتل .  
وقوله ( فاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ) يقول جل ثناؤه لنبية : فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذَّبون  
بآيات الله من قومك لك : إنك ساحر ، وإنك مجنون وشاعر ، ونحو ذلك من القول . ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ )  
يقول : وصل بثنائك على ربك ، وقال : بحمد ربك . والمعنى : بحمد ربك ، كما تقول : أعجبني ضرب  
زيد ، والمعنى : ضربني زيدا . وقوله ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) وذلك صلاة الصبح ، وقبل غروبها ،  
وهي العصر ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) وهي ساعات الليل ، واحدها : لَيْلِي ، على تقدير حمل ؛ ومنه قول  
المنخل السعدي :

حَلُوٌّ وَمَرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ فِي كُلِّ لَيْلٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ<sup>١</sup>

ويعنى بقوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ) صلاة العشاء الآخرة ، لأنها تصلَّى بعد مضي آتاء من الليل .  
وقوله ( وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) يعنى : صلاة الظهر والمغرب ؛ وقيل : أطراف النهار ؛ والمراد بذلك الصلاتان  
اللتان ذكرنا ، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأوَّل ، وفي أوَّل طرف النهار الآخر ، فهي في طرفين  
منه ، والطرف الثالث : غروب الشمس ، وعند ذلك تصلى المغرب ، فلذلك قيل أطراف . وقد يحتمل أن  
يقال : أريد به طرفا النهار . وقيل : أطراف ، كما قيل ( صَعَتَ قُلُوبُكُمَا ) فجمع ، والمراد : قلبان ،  
فيكون ذلك أوَّل طرف النهار الآخر ، وآخر طرفه الأوَّل<sup>٢</sup> .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبي زيد ، عن  
ابن عباس ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال : الصلاة المكتوبة .  
حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن  
أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر  
ليلة البدر فقال : إِنَّكُمْ رَأَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لِاتِّصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ  
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، فَافْعَلُوا ، ثُمَّ تَلَا  
( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) » .

(١) في (السان : أني) الأني : واحد آتاء الليل ، وهي ساعاته . وفي التزليل العزيز : « ومن آتاء الليل » . قال أهل اللغة ،  
منهم الزجاج : آتاء الليل : ساعاته ، واحدها : لَيْلِي وإني ( فن قال : لَيْلِي ، فهو مثل نحي وأتاه ؛ ومن قال : لَيْلِي ، فهو مثل ممي وأمعاه ؛  
قال الهذلي المنتخل :

السَّالِكُ الشَّعْرَ مَخْشِيًّا مَوَارِدُهُ بِكُلِّ لَيْلٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

قال الأزهرى : كذا رواه ابن الأثير . وأنشد الجوهري : « حلو ومر . . . البيت » . ونسبه أيضا للمنتخل ؛ فيما أن يكون هو  
البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

(٢) في الأصل : الآخر ؟ وهو سهو من الكاتب ، كما تبين من عبارة المؤلف .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ( فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال ابن جريج : العصر ، وأطراف النهار قال : المكتوبة .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله ( فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) قال : هي صلاة الفجر ( وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال : صلاة العصر . ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال : صلاة المغرب والعشاء . ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) قال : صلاة الظهر .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) : قال : من آتاء الليل : العتمة . وأطراف النهار : المغرب والصبح . ونصب قوله ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) عطفا على قوله ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) ، لأن معنى ذلك : فسبح بحمد ربك آخر الليل ، وأطراف النهار .

وبنحو الذي قلنا في معنى ( آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال : المصلي من الليل كله .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن قرأ ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال : من أوله ، وأوسطه ، وآخره .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ ) قال : آتاء الليل : جوف الليل .  
وقوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) يقول : كى ترضى .  
وقد اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة والعراق ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) بفتح التاء . وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك ( لَعَلَّكَ تُرَضَى ) بضم التاء ، ورؤى ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي ، وكان الذين قرءوا ذلك بالفتح ، ذهبوا إلى معنى : إن الله يعطيك ، حتى ترضى عطيتته وثوابه إياك ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) قال : الثواب ، ترضى بما يثيبك الله على ذلك .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( لَعَلَّكَ تُرَضَى ) قال : بما تُعْطَى ، وكان الذين قرءوا ذلك بالضم ، وجهوا معنى الكلام إلى لعل الله يرضيك من عبادتك إياه ، وطاعتك له .  
والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قرآءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، وهما قرآءتان مستفيضتان في قرآءة الأمصار ، متفقنا المعنى ، غير مختلفتيه ، وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أَرْضَاهُ ،

فلا شك أنه يرضى ، وأنه إذا رضى فقد أَرْضاه الله ، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَرِزْقُ

رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم ، مُتَّعَةً في حياتهم الدنيا ، يتمتعون بها ، من زهرة عاجل الدنيا ونصرتها ( لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ) يقول : لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ، ونبتليهم ، فلإن ذلك فان زائل ، وغرور وخُدَع تضحل ( وَرِزْقُ رَبِّكَ ) الذى وعدك أن يرزقك في الآخرة حتى ترضى ، وهو ثوابه إياه ( خَيْرٌ ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا . ( وَأَبْقَى ) يقول : وأدوم ، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى يهودى يستسلف منه طعاما ، فأبى أن يُسلفه إلا برهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي رافع ، قال : « أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى يستسلفه ، فأبى أن يعطيه إلا برهن ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن أبي رافع ، قال : « نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فأرسلنى إلى يهودى بالمدينة يستسلفه ، فأبىته ، فقال : لا أسلفه إلا برهن ، فأخبرته بذلك ، فقال : إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض ، فأحمل دِرْعِي إِلَيْهِ - فنزلت ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ) . وقوله ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) إلى قوله ( وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ) » ويعنى بقوله ( أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) رجالا منهم أشكالا ، وبزهرة الحياة الدنيا : زينة الحياة الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) : أى زينة الحياة الدنيا ، ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التى فى قوله به من ( مَتَّعْنَا بِهِ ) كما يقال : مررت به الشريف الكريم ، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت ، وكذلك قوله ( إلى



ما مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ( تنصب على الفعل بمعنى : متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا ، وزينة لهم فيها . وذكر الفراء أن بعض بني فقمس أنشده .

أَبَعْدَ الَّذِي بِالسَّفْحِ سَفْحٍ كَوَاكِبٍ رَهِينَةً رَمْسٍ مِنْ تُرَابٍ وَجَسَدٍ  
فنصب رهينة على الفعل من قوله : « أبعد الذي بالسفح » ، وهذا لاشك أنه أضعف في العمل نصبا من قوله ( مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) لأن العامل في الاسم وهو رهينة ، حرف خافض لاناصب .  
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ) قال : لنبتليهم فيه ( وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( وَأْمُرْ ) يا محمد ( أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) يقول : واصطبر على القيام بها ، وأدائها بحدودها أنت ( لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ) يقول : لانسألك مالا ، بل نكلفك عملا بيدنك ، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا ( نَحْنُ نَرْزُقُكَ ) يقول : نحن نعطيك المال ونكسبك ، ولا نسألكه . وقوله ( وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ) يقول : والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ، ولا يرجو له ثوابا .

وينحو الذي قلنا في قوله ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، قال : كان عروة إذا رأى

(١) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقمس ، كما قال المؤلف . وكواكب ، بضم الكاف : جبل بعينه . ورهينة الرمس الذي نزل واستقر به لا يرحه . والرمس : القبر . أو التراب والصخور يوارى بها الميت في لحده . والجندل : الصخر . والشاهد في البيت : نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف ، كما نصبت « زهرة الحياة الدنيا » . قال صاحب تاج العروس : والخروج عند أئمة النحو : هو التنصب على المفعولية ، وهو عبارة البصريين ، لأنهم يقولون في المفعول : هو منصوب على الخروج : أي خروجه عن طرف الإسناد وعمده ، وهو كقولهم له ( فضلة ) . اه . أراد المؤلف أن رهينة منصوب على البدل من محل المجرور ، وهو قوله ( بالسفح ) ، لأنه محل التنصب على المفعولية . وقد بين أبو البقاء العكبري في « إعراب القرآن » وجوه نصب « زهرة الحياة » قال ( ٢ : ٦٨ ) في نصبه أوجه : ( أحدها ) أن يكون منصوبا بفعل محذوف ، دل عليه « معنا » . أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا . ( والثاني ) : أن يكون بدلا من موضع ( به ) . و ( الثالث ) أن يكون بدلا من أزواج . والتقدير : ذوى زهرة ؛ فحذف المضاف . ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة . ولا يجوز أن يكون صفة ، لأنه معرفة ، وأزواجنا نكرة . و ( الرابع ) : أن يكون على الذم ، أي أذم أو أعنى . و ( الخامس ) : أن يكون بدلا من ( ما ) . اختاره بعضهم . وقال آخرون : لا يجوز ؛ لأن قوله تعالى « لنفتنهم » من صلة « معنا » ، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي . و ( السادس ) : أن يكون حالا من الهاء ، أو من ( ما ) ، وحذف التنوين لا لتقاء الساكنين ، وجبر الحياة على البدل . ومن اختاره مكى ( لعله أبو الحرم مكى بن ريان الماكيني الضرير ) ، وفيه نظر . و ( السابع ) : أنه تمييز لما ، أو لها في ( به ) ، حكى عن الفراء ، وهو غلط ، لأنه معرفة . اه .

ما عند السلاطين دخل داره ، فقال ( لا تتمدن عيتيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا ، لينفقنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ، وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليهما ، لا تسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للمتقوى ) ثم نادى : الصلاة الصلاة ، يرحمكم الله .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا عثمان بن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان إذا رأى شيئا من الدنيا جاء إلى أهله ، فقال الصلاة ( وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليهما ، لا تسألك رزقا ) .

حدثنا العباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلماننا أنا ویرفا ، وكانت له من الليل ساعة يصلها ، فإذا قلنا : لا يقوم من الليل ، كان قياما ؛ وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ ، قرأ هذه الآية ( وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليهما ) . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، مثله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ؟ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل : هلا يأتينا محمد بآية من ربه ، كما أتى قومه صالح بالناقة ، وعيسى بإحياء الموتى ، وإبراهيم الأكمه والأبرص ؟ يقول الله جل ثناؤه : أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم ، التي أهلكتهم لما سألوها الآيات ، فكفروا بها لما أتتهم ، كيف عجلنا لهم العذاب ، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها ، يقول : فإذا يؤمنهم إن أتتهم الآية ، أن يكون حالهم حال أولئك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ؟ ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ؟ ) : الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ (١٣٤)

(١) لعله يريد : كان يقوم قياما ، أي قياما طويلا . والتفسير في كان راجع إلى « عمر » رضي الله عنه .



يقول تعالى ذكره : ولو أنا أهلكتنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم . ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه ، بعذاب ننزله بهم ، بكفرهم بالله ، لقاله يوم القيامة إذ وردوا علينا ، فأردنا عقابهم : ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك ؟ فننبح آياتك : يقول : فننبح حجتك وأدلتك ، وما ننزله عليه من أمرك ونهيك ، من قبل أن نذل بتعذيبك إيانا ، ونخزي به .

كما حدثني الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قتبية سلم بن قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ ، وَالْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ ، وَالصَّيْبُ الصَّغِيرُ ، فَيَقُولُ الْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ : لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَنْتَفِيعُ بِهِ ، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ : لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ ، وَلَوْ أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطُوعَ خَلْقِكَ كَلَّ ، وَقَرَأَ (لَوْ لَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) ؟ وَيَقُولُ الصَّيْبُ الصَّغِيرُ : كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ ، قَالَ : فَتَرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : رُدُّوْهَا . قَالَ : فَيَرُدُّهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ ، فَيَقُولُ : إِنِّي عَصَيْتُمْ ، فَكَيْفَ يَرُسُلِي لَوْ أَنْتَكُمُ ؟ »

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص : يقول : منتظر لمن يكون الفلاح ، وإلى ما يثول أمرى وأمركم ؟ متوقف ينتظر دوائر الزمان . فتربصوا : يقول : فترقبوا وانتظروا . فتعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل ، الذي لا اعوجاج فيه ، إذا جاء أمر الله ، وقامت القيامة ، أنحن أم أنتم ؟ ومن اهتدى : يقول : وستعلمون حيثئذ من المهتدى ، الذي هو على سبيل الطريق القاصد غير الجائر عن قصده ، منا ومنكم . وفي « من » من قوله ( فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ) ، والثانية من قوله ( وَمَنِ اهْتَدَى ) وجهان : الرفع ، وترك إعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه ( لَنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ) ، والنصب على إعمال تعلمون فيهما ، كما قال جل ثناؤه : ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ) .

تم الجزء السادس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء السابع عشر ، وأوله : سورة الأنبياء

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## ثَاوِيلَ ابْنِ الْقُرَظْبِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسماعيل بن شزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جزيير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء السابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد

فإن

الحمد لله رب العالمين

فهارس الجزء السابع عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

---

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>تفسير سورة الأنبياء</u>	
١	اقرب للناس حسابهم . . .	١	٢٣	لا يستل عما يفعل وهم يسئلون . . .	١٤
٢	ما يأتيهم من ذكر من ربهم . . .	٢	٢٤	أم اتخذوا من دونه آلهة . . .	١٤
٣	لا هية قلوبهم وأسروا النجوى . . .	٢	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٥
٤	قال ربى يعلم القول فى السماء . . .	٣	٢٦	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه . . .	١٥
٥	بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه . . .	٣	٢٧	لا يسبقونه بالقول . . .	١٥
٦	ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها . . .	٤	٢٨	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	١٦
٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجلا . . .	٤	٢٩	ومن يقل منهم إني إله من دونه . . .	١٧
٨	وما جعلناهم جسدا لا يأكلون . . .	٥	٣٠	أو لم ير الذين كفروا . . .	١٧
٩	ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم . . .	٦	٣١	وجعلنا فى الأرض رواسى . . .	٢١
١٠	لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم . . .	٦	٣٢	وجعلنا السماء سقفا محفوظا . . .	٢١
١١	وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة . . .	٧	٣٣	وهو الذى خلق الليل والنهار . . .	٢١
١٢	فلما أحسوا بأسنا . . .	٧	٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . . .	٢٤
١٣	لا تتركضوا وارجعوا إلى ما أنترتم فيه . . .	٨	٣٥	كل نفس ذائقة الموت . . .	٢٤
١٤	قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين .	٩	٣٦	وإذا رآك الذين كفروا . . .	٢٥
١٥	فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم . . .	٩	٣٧	خلق الإنسان من عجل . . .	٢٥
١٦	وما خلقنا السماء والأرض . . .	٩	٣٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٢٥
١٧	لو أردنا أن نتخذ لهم واتخذناه . . .	١٠	٣٩	لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون . . .	٢٨
١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه . . .	١٠	٤٠	بل تأتيهم بغتة فتبهم . . .	٢٩
١٩	وله من فى السموات والأرض . . .	١١	٤١	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	٢٩
٢٠	يسبحون الليل والنهار . . .	١٢	٤٢	قل من يكلوكم بالليل والنهار . . .	٢٩
٢١	أم اتخذوا آلهة من الأرض . . .	١٢	٤٣	أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا . . .	٣٠
٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا . . .	١٣	٤٤	بل متعنا هؤلاء وآباءهم . . .	٣١
			٤٥	قل إنما أنذركم بالوحي . . .	٣٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك . . .	٣٢	٧٤	ولوطا آتينا حكما وعلما . . .	٤٩
٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . . .	٣٣	٧٥	وأدخلناه في رحمتنا . . .	٤٩
٤٨	ولقد آتينا موسى وهارون . . .	٣٤	٧٦	ونوحا إذ نادى من قبل . . .	٥٠
٤٩	الذين يخشون ربهم بالغيب . . .	٣٥	٧٧	ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا . . .	٥٠
٥٠	وهذا ذكر مبارك أنزلناه . . .	٣٥	٧٨	وداود وسلیمان إذ يحكمان في الحرت . . .	٥٠
٥١	ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل . . .	٣٥	٧٩	ففهمناها سليمان . . .	٥٠
٥٢	إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . .	٣٥	٨٠	وعلمناه صنعة لبوس لكم . . .	٥٤
٥٣	قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . . .	٣٦	٨١	ولسليمان الريح عاصفة . . .	٥٥
٥٤	قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم . . .	٣٦	٨٢	ومن الشياطين من يغوصون له . . .	٥٦
٥٥	قالوا أجبنا بالحق . . .	٣٦	٨٣	وأيوب إذ نادى ربه . . .	٥٦
٥٦	قال بل ربكم رب السموات والأرض . . .	٣٧	٨٤	فاستجبنا له فكشفنا ما به . . .	٥٦
٥٧	وتالله لأكيدن أصنامكم . . .	٣٧	٨٥	وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . . .	٧٣
٥٨	فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم . . .	٣٧	٨٦	وأدخلناهم في رحمتنا . . .	٧٣
٥٩	قالوا من فعل هذا بأهتنا . . .	٣٩	٨٧	وذا النون إذ ذهب مغاضبا . . .	٧٦
٦٠	قالوا سمعنا فنى يذكركم . . .	٣٩	٨٨	فاستجبنا له ونجيناها من الغم . . .	٨١
٦١	قالوا فأتوا به على أعين الناس . . .	٣٩	٨٩	وزكريا إذ نادى ربه . . .	٨٢
٦٢	قالوا أنت فعلت هذا . . .	٤٠	٩٠	فاستجبنا له ووهبنا له . . .	٨٣
٦٣	قال بل فعله كبيرهم هذا . . .	٤٠	٩١	والى أحصنت فرجها . . .	٨٤
٦٤	فرجعوا إلى أنفسهم . . .	٤١	٩٢	إن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٨٥
٦٥	ثم نكسوا على رؤوسهم . . .	٤١	٩٣	وتقطعوا أمرهم بينهم . . .	٨٥
٦٦	قال أفتعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٤	فمن يعمل من الصالحات . . .	٨٥
٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٥	وحرام على قرية أهلكناها . . .	٨٦
٦٨	قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم . . .	٤٣	٩٦	حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج . . .	٨٧
٦٩	قلنا يا نار كوني بردا وسلاما . . .	٤٣	٩٧	واقرب الوعد الحق . . .	٩٢
٧٠	وأرادوا به كيدا . . .	٤٣	٩٨	إنكم وما تعبدون من دون الله . . .	٩٣
٧١	ونجيناها ووطا إلى الأرض . . .	٤٥	٩٩	لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها . . .	٩٥
٧٢	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	٤٨	١٠٠	لم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . . .	٩٥
٧٣	وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . . .	٤٨			



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠١	إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی . . .	٩٥	١٦	وكذلك أنزلناه آيات . . .	١٢٥
١٠٢	لا يسمعون حسیسها . . .	٩٨	١٧	إن الذين آمنوا والذين هادوا . . .	١٢٩
١٠٣	لا یخزُهم الفزع الأكبر . . .	٩٨	١٨	ألم تر أن الله یسجد له . . .	١٣٠
١٠٤	یوم نطوی السماء کطی السجل . . .	٩٩	١٩	هذان خصمان اختصموا فی ربهم . . .	١٣١
١٠٥	ولقد کتبنا فی الزبور . . .	١٠٢	٢٠	یُضهر به ما فی بطونهم والجلود . . .	١٣١
١٠٦	إن فی هذا لبلاغاً لقوم عابدين . . .	١٠٥	٢١	ولهم مقامع من حديد . . .	١٣١
١٠٧	وما أرسلناک إلا رحمة للعالمین . . .	١٠٥	٢٢	کلما أرادوا أن ینخرجوا منها . . .	١٣١
١٠٨	قل إنما یوحى إلى أنما إلهکم . . .	١٠٧	٢٣	إن الله یدخل الذین آمنوا وعملوا . . .	١٣٥
١٠٩	فإن تولوا فقل آذنتکم على سواء . . .	١٠٧	٢٤	وهدوا إلى الطیب من القول . . .	١٣٥
١١٠	إنه یعلم الجهر من القول . . .	١٠٧	٢٥	إن الذین کفروا ویصدون . . .	١٣٦
١١١	وإن أدرى لعله فتنة . . .	١٠٧	٢٦	وإذ بوأنا لإبراهیم مکان البیت . . .	١٤٢
١١٢	قال رب احکم بالحق . . .	١٠٨	٢٧	وأذن فی الناس بالحق یأتوک . . .	١٤٣
			٢٨	لیشهدوا منافع لهم . . .	١٤٣
			٢٩	ثم لیقفوا تنفسهم ولیوفوا نذورهم . . .	١٤٣
١	یا أيها الناس اتقوا ربکم . . .	١٠٩	٣٠	ذلك ومن یعظم حرمات الله . . .	١٥٣
٢	یوم ترونها تذهل کل مرضعة . . .	١٠٩	٣١	حنفاء لله غیر مشرکین به . . .	١٥٥
٣	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١١٥	٣٢	ذلك ومن یعظم شعائر الله . . .	١٥٦
٤	کتب علیه أنه من تولاه . . .	١١٦	٣٣	لکم فیها منافع إلى أجل مسمى . . .	١٥٧
٥	یا أيها الناس إن کنتم فی ریب . . .	١١٦	٣٤	ولکل أمة جعلنا منسکاً . . .	١٦٠
٦	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٢٠	٣٥	الذین إذا ذکر الله . . .	١٦١
٧	وأن الساعة آتية لا ریب فیها . . .	١٢٠	٣٦	والبدن جعلناها لکم من شعائر الله . . .	١٦٢
٨	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١٢٠	٣٧	لن ینال الله لحوماً ولا دماًؤها . . .	١٧٠
٩	ثانی عطفه لیضل عن سبیل الله . . .	١٢٠	٣٨	إن الله یدافع عن الذین آمنوا . . .	١٧١
١٠	ذلك بما قدمت یداک . . .	١٢٠	٣٩	أذن للذین یقاتلون بأنهم ظلموا . . .	١٧١
١١	ومن الناس من یعبد الله . . .	١٢٢	٤٠	الذین أخرجوا من ديارهم . . .	١٧٣
١٢	یدعو من دون الله ما لا یضره . . .	١٢٤	٤١	الذین إن مکناهم فی الأرض . . .	١٧٨
١٣	یدعو لمن ضره أقرب من نفعه . . .	١٢٤	٤٢	وإن یکذبوک فقد کذبت . . .	١٧٩
١٤	إن الله یدخل الذین آمنوا . . .	١٢٥	٤٣	وقوم لإبراهیم وقوم لوط . . .	١٧٩
١٥	من کان یظن أن لن ینصره الله . . .	١٢٥			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	وأصحاب مدين وكذب موسى . . .	١٧٩	٦٢	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٩٦
٤٥	فكأين من قرية أهلكناها . . .	١٧٩	٦٣	ألم تر أن الله أنزل . . .	١٩٦
٤٦	أفلم يسيروا في الأرض . . .	١٨٢	٦٤	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٩٧
٤٧	ويستعجلونك بالعذاب . . .	١٨٣	٦٥	ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض . . .	١٩٧
٤٨	وكأين من قرية أملت . . .	١٨٤	٦٦	وهو الذى أحياكم . . .	١٩٧
٤٩	قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير . . .	١٨٥	٦٧	لكل أمة جعلنا منسكا . . .	١٩٨
٥٠	فالذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٨٥	٦٨	وإن جادلوك فقل الله أعلم . . .	١٩٩
٥١	والذين سعوا في آياتنا . . .	١٨٥	٦٩	الله يحكم بينكم يوم القيامة . . .	١٩٩
٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٨٦	٧٠	ألم تعلم أن الله يعلم . . .	٢٠٠
٥٣	ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة . . .	١٩٠	٧١	ويعبدون من دون الله . . .	٢٠١
٥٤	وليعلم الذين أوتوا العلم . . .	١٩١	٧٢	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	٢٠١
٥٥	ولا يزال الذين كفروا في ميرية . . .	١٩٢	٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل . . .	٢٠٢
٥٦	المملك يومئذ الله يحكم بينهم . . .	١٩٤	٧٤	ما قدروا الله حق قدره . . .	٢٠٢
٥٧	والذين كفروا بآياتنا . . .	١٩٤	٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا . . .	٢٠٤
٥٨	والذين هاجروا في سبيل الله . . .	١٩٤	٧٦	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	٢٠٤
٥٩	لنبيد خلقهم مذخلاً يرضونه . . .	١٩٥	٧٧	يا أيها الذين آمنوا اركعوا . . .	٢٠٤
٦٠	ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به . . .	١٩٥	٧٨	وجاهدوا في الله حق جهاده . . .	٢٠٥
٦١	ذلك بأن الله يولج الليل في النهار . . .	١٩٥			



## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٣	١ تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ما فعله القوم في إحراق إبراهيم ، وما أكرمه الله به .	٣ تأويل قوله « بل قالوا أضغاث أحلام » . . .
٤٥ نزول إبراهيم بالشام ، وذكر طرف من فضائلها .	الآية ، وما تقوله المشركون عليه .
٥٠ ما حكّم به داود وسليمان في الحرث .	٦ القرآن فيه شرف لمن اتبعه .
٥٤ ما علّمه داود من صنعة الدروع .	١٠ اللهو يطلق على الزوجة .
٥٥ ما أعطيه سليمان من تسخير الرياح .	١١ وجه استحالة أن يتخذ الله لهما .
٥٦ قصة أيوب .	١٢ تأويل قوله « أم اتخذوا من دونه آلهة » . . .
٧٣ تأويل قوله « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل » ، وبيان من هو ذو الكفل ، وذكر طرف من تاريخه .	الآية ، وعجز المشركين عن الإتيان بالحجة .
٧٦ مغاضبة يونس عليه السلام ، وسوق طرف من حكايته مع قومه .	١٧ بيان كون السموات والأرض كانتا خيلوا من المطر والنبات ، فسخرهما الله لما هما عليه من المنافع ، وأن ذلك هو المراد بالرتق والفتق .
٨٢ طرف من أخبار زكريا عليه السلام .	٢١ تأويل قوله « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » . ومعنى الفلك .
٨٧ طرف من أخبار بأجوج ومأجوج ، وما يكون قبل قيام الساعة .	٢٥ ما في طبع الإنسان من عجل ، وأنه بودر بخلقه على عجل .
٩٥ تأويل قوله « لهم فيها زفير » ، وما قالته قريش للنبي ، ونزلت الآية بعده جوابا لهم .	٣٣ تأويل قوله « ونضع الموازين القسط » . . .
٩٩ طرف من أخبار يوم القيامة من طي السماء ونحوه ، والخلاف في السجل .	الآية ، وبيان أن خفة الميزان وثقله بما ذا يكونان
١٠٣ كتب الله في أم الكتاب والكتب التي أنزلها أن أرض الجنة يرثها الصالحون .	٣٤ الخلاف في الفرقان الذي آناه الله موسى .
١٠٩ تفسير سورة الحج	٣٧ ما فعله إبراهيم عليه السلام بالآلهة ، والسبب في ذلك .
١١١ مقدار من يدخل النار من الخليفة .	٤١ بيان أن القوم لما عارضوا إبراهيم عليه السلام أتوا بما هو حجة له عليهم ، وهو معنى نكسهم على رؤوسهم .
١١٧ ما يحصل للانطفة عند وقوعها في الرحم .	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	بيان أن التكبر مما يمنع عن معرفة الله .	١٥٧	تأويل قوله « لكم فيها منافع » وبيان ما فى البدن من المنافع .
١٣١	ذكر الذين بارزوا يوم بدر من المؤمنين والكافرين .	١٦٢	ما يفعل بالبدن عند ذبحها من عقْلِها . وذكر الله عليها ، والتصدق بها .
١٣٦	تأويل قوله « إن الذين كفروا ويصدون » . والقول فى ملك بيوت مكة ، وما كان يصنع فى البيوت زمن السلف ، ومعنى الإلحاد فى الحرم .	١٧١	أول آية نزلت فى القتال .
١٤٢	ما كان عليه آدم من عظم الخالقة ، وإنزال البيت إليه .	١٨٦	ما قيل فى الغرائق .
١٤٤	ما فعله الخليل من التأذين بالحج .	١٩٨	تأويل قوله « وهو الذى أحياكم ثم يميتكم » ومعنى المنسك .
		٢٠٥	ما عليه مدين من السعة .



٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١١٤	وطارِقَهْ	٩١	تَمُورُ		ا
	ل	١٢٦	نَاصِرُهُ	٣٠	يَرَزُّوْهَا
		٢٧	الْحَمْرُ		ب
٩١	فَتَنَسَلْ	١٣٩	بَيَّعَرَا		
١١٣	يَنْدُهَلْ	١٦٢	الْأُمُورَا	١٤٢	أَرْغَبُ
١١٣	وَالزَّلْزَالُ	١٦٢	نَدُّورَا	١٢	فَصَلِّيبُ
١١٤	مُخَوِّلِ	١٦٢	مَضْمُورَا	٩٢	أَبِي كَعْبِ
٥٤	مُجْفِلِ	١٦٢	مَوْفُورَا	١٦٦	الْوَأَجِبِ
١٨٢	يَجْنَدَلِ	٢٣	الدَّوَارَا	٢٥	الْأَجْرَبِ
٩٢	عَقَنْقَلِ	٢٣	الْأَقْتَارَا		د
	م		س	١٨١	وَالشَّيْدِ
٨٦	نَايِمُ	٩٣	رَأْسُ	١٣٩	الْأَجْرَدِ
١٣٩	تَهِيمُ		ع	١٤٠	زِيَادِ
١٢٩	الْحَمَوَاتِيمُ	١٦٨	القَنُوعِ	٢٠	سَوَادِي
١٥٥	قُدَمَا	١٧٠	وَقُنُوعِي	١١٩	هُمْدَا
	ن	٢٠	انْقِطَاعَا		ر
١٣٨	وَالشَّيْبَانِ		ق	١٣٤	يَنْصَهْرِ
٢٧	المُفَدَّيْنَا	١٩٧	سَمَلَقُ	١٣٤	المُصْطَهَرُ
				١٨٢	وَكُورُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ذكره

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١)

يقول تعالى ذكره : دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ، ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم ، وأجسامهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم ، وملابسهم ، وغير ذلك من نعمه عندهم ، ومثلته إياهم ماذا عملوا فيها ؟ وهل أطاعوه فيها ، فانتبهوا إلى أمره ونبيه في جميعها ، أم عصوه فخالقوا أمره فيها ؟ ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) يقول : وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة ، وعن دنو محاسبته إياهم منهم ، واقترابه لهم ، في سهو وغفلة ، وقد أعرضوا عن ذلك ، فتركوا الفكر فيه ، والاستعداد له ، والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء ، وشديد الأهوال .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال : في الدنيا .



القول في تأويل قوله تعالى

مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه ، وهم يلعبون لاهية قلوبهم .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما يأتيتهم من ذكر من ربيهم ) . . . الآية يقول : ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون .

القول في تأويل قوله تعالى

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ

السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره ( لاهية قلوبهم ) غافلة : يقول : ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم ، لا يتدبرون حكمه ، ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم . كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لاهية قلوبهم ) يقول : غافلة قلوبهم .

وقوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول : وأسرا هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون ، لاهية قلوبهم ، النجوى بينهم ، يقول : وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا : هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم ، إلا بشر مثلكم : يقولون : هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقتكم ، يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات أنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله ، والتكذيب برسوله . وللذين من قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) في الإعراب وجهان : الخفض على أنه تابع للناس في قوله ( اقتربت للناس حسا بهم ) والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى ) من ذكر الناس كما قيل : ( ثم عتموا وصموا كثيرا منهم ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ، ويكون معناه وأسرا النجوى ، ثم قال : هم الذين ظلموا .

وقوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) يقول : وأظهروا هذا القول بينهم ، وهي النجوى

(١) لعله على الاسم الذي الخ .

التي أسروها بينهم ، فقال بعضهم لبعض : أتقبلون السحر ، وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر ؟ يعنون بذلك القرآن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ؟ ) قال : قاله أهل الكفر لنبِيِّهم لما جاء به من عند الله ، زعموا أنه ساحر ، وأن ما جاء به سحر ، قالوا : أتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( قُلْ رَبِّي ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ( قُلْ رَبِّي ) على وجه الأمر ، وقرأه بعض قراء مكة ، وعامة قراء الكوفة : ( قال رَبِّي ) على وجه الخبر . وكان الذين قرءوه على وجه الأمر ، أرادوا من تأويله : قل يا محمد للقائلين ( أَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ) : ربِّي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو السميع لذلك كله ، ولما يقولون من الكذب ، العليم بصدقي ، وحقيقة ما ادعوكم إليه ، وباطل ما تقولون ، وغير ذلك من الأشياء كلها . وكان الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا : قال محمد : ربِّي يعلم القول ، خبرا من الله عن جواب نبيه لإياهم .

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وجاءت بهما مصاحف المسلمين ، متفقنا المعنى . وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله ، وإذا قاله فعن أمر الله قاله ، فبأيهما قرأ القارئ فصيَّب الصواب في قراءته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَوْ سَمِعْنَا بِالْأُولَىٰ نَجْوًا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَجْعَلْ لَنَا رَسُولًا مِّمَّنْ لَمْ يَلْمِزْ أُمَّةً قَطًّا لَّا يَخْتَلِفُ فِيهَا الْكَلِمَاتُ أُولَٰئِكَ يَلْمِزُونَ أَوْلِيَاءَ آلِهِم مِّمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُكْفِرُوا بِهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ، ولا أنه من عند الله ، ولا أقرؤا بأنه وحى آوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل قال بعضهم : هو أهوويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فريية واختلاق ، افتراه واختلقه من قبيل نفسه . وقال بعضهم : بل محمد شاعر ، وهذا الذي جاءكم به شعر . ( فليأتينا به ) يقول : قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله إن الله بعثه رسولا إلينا ، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحى من الله أوحاه إلينا ( بآية ) يقول : بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعى ( كما أرسل الأولون ) يقول : كما جاءت به الرسل الأولون من قبله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وكناقة صالح ، وما أشبه ذلك من المعجزات ، التي لا يقدر عليها إلا الله ، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل . ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثنا يشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أضعفُ أحلامٍ ) أى فعل حالم ، إنما هي رؤيا رآها ( بلِ افستراه ، بلِ هو شاعير ) كل هذا قد كان منهم . وقوله ( فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) يقول : كما جاء عيسى بالبينات ، وموسى بالبينات ، والرسل .  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أضعفُ أحلامٍ ) قال : مشتبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أضعفُ أحلامٍ ) قال : أهاويلها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال تعالى ذكره : بل قالوا : ولا جحد في الكلام ظاهر ، فيحقق بيل ، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب ، فاجتزى بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله بل ، من ذكر الخبر عنهم ، على ما قد بينا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : ما آمن من قبل هؤلاء المكذبين محمد من مشركي قومه ، الذين قالوا : فليأتنا محمد بآية ، كما جاءت به الرسل قبله ، من أهل قرية عدنناهم بالهلاك في الدنيا ، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة . ( أفهم يؤمنون ؟ ) يقول : أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية ، يؤمنون به إن جاءتهم آية ، ولم يؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها ، برسلها مع مجيئها .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( أهلكناها أفهم يؤمنون ) يصدقون بذلك .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا يشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما آمنت قبلةهم من قرية ) أهلكناها أفهم يؤمنون ) أى الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا ، لم يناظروا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ، فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه : وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك ، إلا

رجالاً مثلهم نوحى إليهم ، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهيها ، لاملأئكة ، فإذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم ، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم ؟ وقوله ( فاسألوا أهل الذكْرِ إن كنتم لاتعلمون ) يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم : هل هذا إلا بشر مثلكم ، فإن أنكروتم وجهتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد ، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم ، إنسا كانوا أم ملائكة ، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا ، يخبروكم عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاسألوا أهل الذكْرِ إن كنتم لاتعلمون ) يقول : فاسألوا أهل التوراة والإنجيل . قال أبو جعفر : أراه أنا قال : - يخبروكم أن الرسل كانوا رجالاً يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق . وقيل : أهل الذكْرِ : أهل القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا موسى بن عثمان ، عن جابر الجعفي ، قال : لما نزلت ( فاسألوا أهل الذكْرِ إن كنتم لاتعلمون ) قال : علي : نحن أهل الذكْرِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاسألوا أهل الذكْرِ إن كنتم لاتعلمون ) قال : أهل القرآن ، والذكْرِ : القرآن ، وقرأ ( إننا نحن نزلنا الذكْر ، وإننا له لحافظون ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد ، إلى الأمم الماضية قبل أمتك . ( جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم أجساداً مثلك ، يأكلون الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : ما جعلناهم جسداً إلا ليأكلوا الطعام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : لم أجعلهم جسداً ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم جسداً فيها أرواح يأكلون الطعام .

قال أبو جعفر : وقال : وما جعلناهم جسداً ، فوحّد الجسد ، وجعله موحداً ، وهو من صفة الجماعة ، وإنما جاز ذلك ، لأن الجسد بمعنى المصدر ، كما يقال في الكلام : وما جعلناهم خلكاً لا يأكلون .



وقوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) يقول : ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فأتوا ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قد أخبر الله عنهم ( لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ) . . . إلى قوله ( أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ) قال الله تبارك وتعالى لهم : ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم ، ففعل بكم ، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحى إليهم ، كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) : أى لا بد لهم من الموت أن يموتوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ، وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : ثم صدقنا رسلنا الذين كذبهم أممهم ، وسألهم الآيات ، فأتيناهم ما سألوهم من ذلك ، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها ، وأصرّوا على جحودهم نبوتها ، بعد الذى أتتهم به من آيات ربها ، وعدنا الذى وعدناهم ، من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم ، بعد مجيء الآية التى سألوا ، وذلك كقوله جل ثناؤه ( قَمَنَ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِ أَفْعَدْتَهُ عَذَابًا لَأُعَذِّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) وكقوله ( وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَيَأْتِيَاكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ) ، ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الأمم مع مجيء الآيات . وقوله ( فَأَنْجَيْنَاهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات . ( وَمَنْ نَشَاءُ ) وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها . وقوله ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم ، بكفرهم بربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) والمسرفون : هم المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (١٠)

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه ، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ، فيه حديثكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) قال في قد أفلح ( بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، نزل القرآن بمكارم الأخلاق ، ألم تسمعه يقول : ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ ) .

وقال آخرون : بل عنى بالذكر في هذا الموضع : الشرف ، وقالوا : معنى الكلام : لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم .

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكامة ، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه ، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَ كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَبُوا  
بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرُكُضُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكثيرا قصمنا من قرية ، والقصم : أصله الكسر ، يقال منه : قصمت ظهر فلان : إذا كسرته ، وانقصمت سنه : إذا انكسرت ، وهو هاهنا معنى به : أهلكنا ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا ) قال : أهلكنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : أهلكناها ، قال ابن جريج : قصمنا من قرية ، قال : بالين قصمنا ، بالسيف أهلكوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : قصمها أهلكها .

وقوله ( مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ) أجرى الكلام على القرية ، والمراد بها أهلها ، لمعرفة السامعين بمعناه ، وكان ظلمها : كفرها بالله ، وتكذيبها رسوله . وقوله ( وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة ، من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها ، قوما آخرين سواهم .

وقوله ( فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَانَا ) يقول : فلما عابنوا عذابنا قد حل بهم ، ورأوه قد وجدوا مسه ، يقال منه : قد أحسست من فلان ضعفا ، وأحسته منه ( إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرُكُضُونَ ) يقول : إذا هم مما



أحسوا بأسنا النازل بهم ، يهربون سراعا عَجَلَى ، يَتَعَدُّونَ مُنْهَزِمِينَ ، يقال منه : ركض فلان فرسه : إذا كَدَّهَ بِسِياقته .

### القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه : يقول : إلى ما أنعمتم فيه من عيشتمكم ومساكنكم . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ، وَمَسَاكِينِكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ) يعني من نزل به العذاب في الدنيا ، ممن كان يعصى الله من الأمم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَرْكُضُوا) : لا تفرّوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) :

يقول : ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) :

قال : إلى ما أترفتم فيه من دنياكم .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعلكم تفقهون ،

وتفهمون بالمسئلة .

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ) قال : تفقهون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ) قال : تفقهون .

وقال آخرون : بل معناه لعلكم تستلون من دنياكم شيئا ، على وجه السخرية والاستهزاء .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ) : استهزاء بهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ )

من دنياكم شيئا ، استهزاء بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم، لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا، إنا كنا ظالمين، بكفرنا بربنا، فما زالت تلك دعواهم: يقول فلم نزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف، كما يُحْصَدُ الزرع، ويستأصل قطعاً بالمنجل. وقوله (خامدين) يقول: هالكين، قد انطفأت شرارتهم، وسكنت حركاتهم، فصاروا هموداً كما تخمد النار فتطفأ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ) . . . الآية: فلما رأوا العذاب وعابنوه، لم يكن لهم هيجبىرى إلا قولهم (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قالوا (يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ). فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حتى جعلناهم حصيداً خامدين) يقول: حتى هلكوا. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال ابن عباس (حصيداً): الحصاد، خامدين خود النار إذا طففت.

حدثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إنهم كانوا أهل حصون، وإن الله بعث عليهم بختنصر، فبعث إليهم جيشاً، فقتلهم بالسيف، وقتلوا نبياً لهم، فحصدوا بالسيف، وذلك قوله (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حتى جعلناهم حصيداً خامدين) بالسيف.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ (١٦)

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهة إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يخلق ذلك عبثاً ولعباً.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ) يقول: ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً.



القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا ، لاتخذنا ذلك من عندنا ، ولكننا لانفعل ذلك ، ولا يصلح لنا فعله ، ولا ينبغي ، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيلاني ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، قال : ثنا عقبة بن أبي حمزة ، قال : شهدت الحسن بمكة ، قال : وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد ، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَتَّخِذُنَا ) قال الحسن : اللهم : المرأة .  
حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن محمد ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ) قال : زوجة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ) . . . الآية ، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي ، والله بلغة أهل اليمن : المرأة .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ) قال : اللهم في بعض لغة أهل اليمن : المرأة ( لاتخذناه من لدنا ) .  
وقوله ( إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ) حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ) يقول : ما كنا فاعلين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قالوا لمريم صاحبته ، وعيسى ولده ، فقال تبارك وتعالى : ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ) نساء وولدا ( لاتخذناه من لدنا ، إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ) قال : من عندنا ، ولا خلقنا جنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لاتخذناه مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا ، وما خلقنا جنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَاسِكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : ولكن نزل الحق من عندنا ، وهو كتاب الله ، وتنزله على الكفرة وأهله ، فيدمغه : يقول : فيهلكه ، كما يدمغ الرجل الرجل ، بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج ، لم يكن له بعدها حياة .

وقوله (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) يقول : فإذا هو هالك مضمحل .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) قال : هالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) قال : ذاهب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ  
فَيَسِدُّ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) والحق كتاب الله القرآن ، والباطل : إبليس ، فيدمغه فإذا هو زاهق :  
أى ذاهب .

وقوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) يقول : ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفة ، وقيلكم :  
إنه اتخذ زوجة وولدا ، وغيرتكم عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، إلا أن بعضهم قال : معنى تصفون : تكذبون .  
وقال آخرون : معنى ذلك : تشركون ، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فتفقه معانيه ، لأن من وصف  
الله بأن له صاحبة ، فقد كذب في وصفه إياه بذلك ، وأشرك به ، ووصفه بغير صفة ، غير أن أولى العبارات  
أن يُعبر بها عن معاني القرآن ، أقربها إلى فهم سامعيه .

ذكر من قال ما قلنا في ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) :  
أى تكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)  
قال : تشركون ، وقوله (سَعْمًا يَصِفُونَ) قال : يشركون ، قال : وقال مجاهد (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ)  
قال : قولهم الكذب في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وكيف يجوز أن يتخذ الله هوا ، وله ملك جميع من في السموات والأرض ، والذين  
عنده من خلقه ، لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ، ولا يعيرون من طول خدمتهم له ، وقد علمتم أنه لا يستعبد  
والد ولده ولا صاحبه ، وكل من في السموات والأرض عبيده ، فأنى يكون له صاحبة وولد ؟ يقول :  
أولا تفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم ؟



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) : لا يرجعون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) : لا يحسرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يُعْيُونَ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله : ( ولا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يُعْيُونَ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا يَسْتَكْبِرُونَ ) : لا يفترون ، ولا يسأمون : هذا كله معناه واحد ، والكلام مختلف ، وهو من قولهم : بعير حَسِيرٌ : إذا أعيأ وقام ؛ ومنه قول علقمة بن عبادة :

بِهَا جِيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلْبٌ

القول في تأويل قوله تعالى

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار ، لا يفترون من تسيبهم إياه .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله : ( يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ) - ويسبحون الليل والنهار لا يسأمون ؟ فقال : هل يثودك طرفك ، هل يثودك نفسك ؟ قال : لا ، قال : فإنهم ألهموا التسيب ، كما ألهم الطيرف والنفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن حسان

(١) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي ، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني . (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطلق البابي الحلبي من ٤٤١ ، وهو البيت العشرون في القصيدة) - والحسرى : جمع حسير من الدواب ، وهو الذي كل من السير ، فات إعياه . وصليب : يابس لم يدبغ . والضمير في ( بها ) راجع إلى المغازاة التي ساكنها ، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل ، من عظام وجلود .

(٢) التلاوة « يسبحون له بالليل والنهار وهم » الخ .

ابن محارق، عن عبد الله بن الحارث، قال: قلت: لكعب الأحبار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ) أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا ابن أخي، إنهم جعل لهم التسييح، كما جعل لكم النفس، ألسنت تاكل وتشرب، وتقوم وتقع، وتجيء وتذهب، وأنت تتنفس؟ قلت: بلى، قال: فكذلك جعل لهم التسييح. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن وأبو داود، قالوا: ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البيكالي، عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءاً سائر الخلق، وجزء الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءاً لرسالته، وجزءاً الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءاً سائر بني آدم، وجزءاً بني آدم عشرة أجزاء، فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء، وجزءاً سائر بني آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ) يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسأمون فيها. وذكر لنا «أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله، قال: إني لأسمع أطيب السماء، وما تلام أن تسيط وتليس فيها موضع راحة إلا وفيه ملك ساجد أو قائم».

وقوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعنى بقوله «هم»: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنى عيسى «ح»: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً. عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُنْشِرُونَ) يقول: يحيون. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول: أفي آفتهم أحد يحيي؟ ذلك ينشرون، وقرأ قول الله (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ... إلى قوله (مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التي لا تصلح إلا له (لَفَسَدَتَا) يقول: لفسد أهل السماوات والأرض. (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول جل ثناؤه: فتزبه لله وتبرئه له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَتَّصِفُونَ ) يسبح نفسه إذا قبل عليه البهتان .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : لاسائل يسأل ربّ العرش عن الذى يفعل بخلقه ، من تصرّفهم فيما شاء ، من حياة وموت ، وإعزاز وإذلال ، وغير ذلك من حكمه فيهم ، لأنهم خلقه وعبيده ، وجميعهم فى ملكه وسلطانه ، والحكم حكمه ، والقضاء قضاؤه ، لاشيء فوقه يسأله عما يفعل ، فيقول له : لم فعلت ؟ ولم لم تفعل ؟ ( وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) يقول جلّ ثناؤه : وجميع من فى السموات والأرض من عباده مستولون عن أفعالهم ، ومحاسبون على أعمالهم ، وهه الذى يسألهم عن ذلك ، ويحاسبهم عليه ، لأنه فوقهم ومالكهم ، وهم فى سلطانه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) يقول : لا يسأل عما يفعل بعباده ، وهم يسألون عن أعمالهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) قال : لا يسأل الخالق عن قضائه فى خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) قال : لا يسأل الخالق عما يقضى فى خلقه ، والخلق مستولون عن أعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ، فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : اتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر ، وتخلق وتحيى وتميت ؟ قل يا محمد لهم : هاتوا برهانكم ، يعنى حجبتكم ، يقول : هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون فى قبلكم ذلك ، حجة ودليلا على صدقكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) يقول : هاتوا بينتكم على ما تقولون .

وقوله ( هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) يقول : هذا الذى جئتكم به من عند الله من القرآن والتنازيل ( ذِكْرٌ

مَنْ مَعِيَ ) يقول : خير من معي ، مما لم من ثواب الله على إيمانهم به ، وطاعتهم إياه ، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه ، وكفرهم به ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : وخسبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي ، وما فعل الله بهم في الدنيا ، وهو فاعل بهم في الآخرة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) يقول : هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم ، وإلام صاروا ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) قال : حديث من معي ، وحديث من قبلي .

وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ، ولا فيما يأتون ويبدرون ، فهم معرضون عن الحق ، جهلا منهم به ، وقلّة فهم . وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ، فَهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن كتاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض ، تصلح العبادة له سوى . فاعبدون : فأخلصوا إلى العبادة ، وأفردوا إلى الألوهة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) قال : أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لا يقبل منهم . قال أبو جعفر - أظنه أنا قال - عمل ، حتى يقولوه ويقرّوا به ، والشرائع مختلفة ، في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة ، حلال وحرام ، وهذا كله في الإخلاص لله ، والتوحيد له .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَمْعَمُونَ (٢٧)



يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بربههم : اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته ، فقال جل ثناؤه ، استعظاما مما قالوا ، وتبريا مما وصفوه به سبحانه ، يقول تنزيها له عن ذلك : ما ذلك من صفته ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) يقول : ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم ، ولكنهم عباد مكرمون ، يقول : أكرمهم الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) قال : قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن ، فكانت منهم الملائكة ، قال الله تبارك وتعالى تكذبا لهم ، وردا عليهم : ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) وإن الملائكة ليس كما قالوا ، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) قالت اليهود وطوائف من الناس : إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجن والملائكة من الجن ، قال الله تبارك وتعالى ( سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) ، وقوله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يقول جل ثناؤه : لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربه ، ولا يعملون عملا إلا به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يشئ عليهم ( وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ )

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ، ما هو ، وما هم فيه قائلون وعاملون ، وما خلفهم : يقول : وما مضى من قبل اليوم ، مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ، ما عملوا فيه ، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول : يعلم ما قدموا ، وما أضاعوا من أعمالهم ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ) يقول : ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ) يقول : الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) قال : لمن رضى عنه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) يوم القيامة (وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة يقول : ولا يشفعون يوم القيامة . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله ، وقوله (وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) يقول : وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون : يقول : حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ومن يقل من الملائكة : إني إله من دون الله (فَذَلِكَ) الذي يقول ذلك منهم (نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) : يقول : نثيبه على قبله ذلك جهنم (كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) يقول : كما نجزي من قال من الملائكة : إني إله من دون الله : جهنم ، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه ، فكفر بالله وعبد غيره . وقيل : عني بهذه الآية إبليس . وقال قائلو ذلك : إنما قلنا ذلك ، لأنه لا أحد من الملائكة قال : إني إله من دون الله سواه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) قال : قال ابن جريج : من يقل من الملائكة إني إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه في إبليس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) إني إله من دونه فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كذلك نَجْزِي الظَّالِمِينَ) وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيا ، فقال (فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) إني إله من دونه فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) قال : هي خاصة لإبليس .

## القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَمَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟ (٣٠)



يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم ، فبروا بها ، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقًا : يقول : ليس فيهما ثقب ، بل كانتا ملتصقتين ؛ يقال منه : رتق فلان الفتق : إذا شده ، فهو يرتقه رتقا ورتوقا . ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم : رتقاء ، ووحده الرتق ، وهو من صفة السماء والأرض ، وقد جاء بعد قوله ( كانتا ) لأنه مصدر ، مثل قول الزور والصوم والفطر . وقوله ( فَفَتَقْنَاهُمَا ) يقول : فصدعناهما وفرجناهما .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق ، وكيف كان الرتق ، وبأى معنى فتق ، فقال بعضهم : عنى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ، ففصل الله بينهما بالهواء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ) يقول : ملتصقتين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) . . . الآية ، يقول : كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أن السموات والأرض كانتا رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) كان ابن عباس يقول : كانتا ملتصقتين ، ففتقهما الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أن السموات والأرض كانتا رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : كان الحسن وقتادة يقولان : كانتا جميعا ، ففصل الله بينهما بهذا الهواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة ، ففتقها الله ، فجعلها سبع سموات ، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ، ففتقها ، فجعلها سبع أرضين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) من الأرض ست أرضين معها ، فتلك سبع أرضين معها ، ومن السماء ست سموات معها ، فتلك سبع سموات معها ، قال : ولم تكن الأرض والسماء مناسيتين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : فتقهن سبع سموات ، بعضهن فوق بعض ، سبع أرضين بعضهن تحت بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله ( كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت الأرض رتقا ، والسموات رتقا ، ففتق من السماء سبع سموات ، ومن الأرض سبع أرضين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانت سماء واحدة ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة ، لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ، فذلك حين يقول : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، يقول ( كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) . وقال آخرون : بل عني بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر ، والأرض كذلك رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء ، ففتق السماء بالمطر ، وفتق الأرض بالنبات ، قال : وهو قوله ( وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن عطية ، في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت السماء رتقا لا تمطر ، والأرض رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، وفتق الأرض بالنبات ، وجعل من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون ؟

حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) قال : كانت السموات رتقا ، لا ينزل منها مطر ، وكانت الأرض رتقا ، لا يخرج منها نبات ، ففتقها الله ، فأنزل مطر السماء ، وشق الأرض ، فأخرج نباتها ، وقرأ ( فَفَتَقْتَنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ) ؟ وقال آخرون : إنما قيل ( فَفَتَقْتَنَاهُمَا ) لأن الليل كان قبل النهار ، ففتق النهار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خلق الليل قبل النهار ، ثم قال : كانتا رتقا ففتقناهما .

يروي أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ، لدلالة قوله ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) على ذلك ، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة ، إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه .

فإن قال قائل : فإن كان ذلك كذلك ، فكيف قيل : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا



رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنه إنما ينزل من السماء السابعة. وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت، من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله (أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السموات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

فإن قال قائل: وكيف قيل إن السموات والأرض كانتا، فالسموات جمع، وحكم جمع الإناث أن يقال في قلبه كُنَّ، وفي كثيره كانت؟ قيل: إنما قيل ذلك كذلك، لأنهما صنفان؛ فالسموات نوع، والأرض آخر؛ وذلك نظير قول الأسود بن يعفر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا تُوْفِي الْمَخَارِمَ يَرْتَقِيَانِ سَوَادِي<sup>١</sup>

فقال كلاهما، وقد ذكر المنية والحُتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين، وقد أُخبرت عن أبي عبيدة معمر ابن المنبي، قال: أنشدني غالب النُقَيْلِي للقُطَامِي:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنْ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعًا<sup>٢</sup>

فجعل حبال قيس وهي جمع، وحبال تغلب وهي جمع: اثنين.

وقوله (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي نزله من السماء كل شيء.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) قال: كل شيء حتى خلق من الماء.

فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حتى بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لاحتيا له، ولا يقال له حتى ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح، في أنه لأرواح فيهن، وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ).

وقوله (أَفَلَا يَتُؤْمِنُونَ) يقول: أفلا يصدقون بذلك، ويقرون بألوهة من فعل ذلك، ويفردونه بالعبادة؟

(١) البيت للأشود بن يعفر النهشلي التميمي (المفضليات ١٠١) والمنية: الموت، والحُتوف جمع حُتف، يريد به أنواع الأعطار التي تؤدي إلى الموت. والمخارم جمع مخرم: الطريق في اللفظ (عن السكري). وقيل: الطرق في الجبال وأقواء الفجاج. وسواد الإنسان شخصه. والشاهد في البيت أن الشاعر ذكر المنية والحُتوف ثم قال يرتقيان بالثنائية، لأنه جعل المنية والحُتوف نوعين للهلاك، ثم قال: يرتقيان. ولو جرى على ما يقتضيه اللفظ لقال: ترتقيان سوادى، لأن المنية والحُتوف عدة أشياء.

(٢) البيت للقُطَامِي، وهو الرابع من عينته المشهورة التي مطلعها «قن قبل التفرق يا ضباعا» (انظر ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ ص ٣٧). قال: تباينت تفرقت. والحبال: العلاقات والعهود. والشاهد في البيت أن الشاعر قال: تباينت بلفظ الثنائية، مع أن حبال قيس جمع، وحبال تغلب جمع، فكان ظاهر اللفظ يقتضي أن يقول: (تباينت انقطاعا) مراعاة لمعنى الجمعية في حبال قيس وتغلب.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ نَمِيدَ بِهِمْ ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا ، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية ، والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا ) أي جبالا .

وقوله ( أَنْ نَمِيدَ بِهِمْ ) يقول : أن لا تتكفأ بهم ، يقول جل ثناؤه : فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال ، فثبتناها ، لئلا تتكفأ بالناس ، وليقدروا بالثبات على ظهورها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانوا على الأرض تمور بهم ، لانستقر ، فأصبحوا ، وقد جعل الله الجبال ، وهي الرواسي أوتادا للأرض ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا : يعني مسالك ، واحدها : فجج .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) : أي أعلاما . وقوله ( سُبُلًا ) أي طرقا ، وهي جمع السبيل . وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول : إنما عني بقوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) وجعلنا في الرواسي ، فالهاء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا ) من ذكر الرواسي . حدثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) : سبلا ، قال : بين الجبال .

وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك ، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض ، لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل ، وذلك أن ذلك كله من الأرض ، وقد جعل الله لخلقها في ذلك كله فجاجا سبلا ، ولا دلالة تدل على أنه عني بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلا ، دون بعض ، فالعموم بها أولى . وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : جعلنا هذه الفجاج في الأرض ، ليبتدوا إلى السير فيها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا السماء سقفا للأرض مسموكا ، وقوله ( مَحْفُوظًا ) يقول : حفظناها من كل شيطان رجيم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( سَقْفًا مَحْفُوظًا ) قال : مرفوعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ) . . . الآية : سقفا مرفوعا ، وموجا مكفرفا .  
وقرله ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) يقول : وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ، ويعني بآياتها : شمسها وقمرها ونجومها ( معرضون ) : يقول : يعرضون عن التفكير فيها ، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ، ودلالاتها على وحدانية خالقها ، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسراها ، ولا تصلح إلا له .  
وبنحر الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) قال : الشمس والقمر والنجوم آيات السماء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقرله ( رَهْرَهَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )  
يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار ، نعمة منه عليكم وحجة ، ودلالة على عظيم سلطانه ، وأن الألوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معاشكم وأمور دنياكم وآخرتكم ، وخلق الشمس والقمر أيضا ، كل في فللك يسبحون ، يقول : كل ذلك في فللك يسبحون .  
واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية ، فقال بعضهم : هو كهيئة حديدة الرحي .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قرله ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فللك كهيئة حديدة الرحي .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ ) قال : فللك كهيئة حديدة الرحي .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فللك السماء .  
وقال آخرون : بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جرى الشمس والقمر والنجوم وغيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) الفلك : الجرى والسرعة .

وقال آخرون : الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه .

وقال آخرون : بل هو القطب الذي تدور به النجوم ، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز :

باتت تُنَاجِي الفلَكَ الدَّوَّارَا حَتَّى الصَّبَاحِ تَعْمَلُ الأَقْتَارَا

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) :

أى في فلك السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )

قال : يجرى في فلك السماء كما رأيت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )

قال : الفلك الذي بين السماء والأرض من مجارى النجوم والشمس والقمر ، وقراً ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ) وقال : تلك البروج بين السماء والأرض وليست

في الأرض ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فيما بين السماء والأرض : النجوم والشمس والقمر .

وذكر عن الحسن أنه كان يقول : الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : كما قال الله عز وجل ( كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) وجائز

أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي ، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي ، وجائز أن

يكون موجا مكفوفاً ، وأن يكون قطب السماء ، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر ،

فجمعه أفلاك ، وقد ذكرت قول الراجز :

باتت تُنَاجِي الفلَكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها ، ولم يكن في كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولا عن يقطع بقوله العذر ، دليل يدل على أى ذلك هو من أى كان الواجب أن نقول فيه ما قال ،

ونسكت عما لا علم لنا به .

فإذ كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا ، فتأويل الكلام : والشمس والقمر ، كل ذلك

في دائر يسبحون .

(١) البيت شاهد على أن الفلك هو القطب الذي تدور به النجوم . وقال في (اللسان : فلك) : الفلك : مدار النجوم ، والجمع :

أفلاك . وفي حديث ابن مسعود : أن رجلاً أت رجلاً وهو جالس عنده فقال : « إني تركت فرسك كأنه يدور في فلك » . قال أبو عبيد :

قوله « في فلك » : فيه قولان : فأما الذي تعرفه العامة ، فإنه شبهه بفلك السماء الذي تدور عليه النجوم ، وهو الذي يقال له القطب ،

شبهه بقطب الرحي . قال : وقال بعض العرب : الفلك هو الموج إذا ماج في البحر فاضطرب ، وجاء وذهب ، فشبه القوس في اضطرابه بذلك .



وأما قوله (يَسْبَحُونَ) فإن معناه : يَجْرُونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال : يجرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَسْبَحُونَ) قال : يجرون ، وقيل (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فأخرج الخبر عن الشمس والقمر فخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون ، ولم يقل : يسبحن أو تسبح ، كما قيل (والشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) لأن السجود من أفعال بني آدم ، فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم ، أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ، أَلَا إِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ؟ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ  
وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا ، فنخلدك فيها ، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا (أَلَا إِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) يقول : فهؤلاء المشركون يربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك؟ لا ما ذلك كذلك ، بل هم ميتون بكل حال ، عشت أو مت ، فأدخلت الفاء في «إن» وهي جزء ، وفي جوابه ، لأن الجزء متصل بكلام قبله ، ودخلت أيضا في قوله فهم ، لأنه جراب للجزاء ، ولو لم يكن في قوله : فهم ، الفاء ، جاز على وجهين : أحدهما : أن تكون محذوفة ، وهي مرادة ، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزء ، فكأنه قال : أفهم الخالدون إن مت .  
وقوله (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره : كل نفس منقوسة من خلقه ، معالجة غُصَصِ الْمَوْتِ ، ومتجرعة كأسها .

وقوله (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) يقول تعالى ذكره : ونختبركم أيها الناس بالشر ، وهو الشدة بتليكم بها ، وبالخير ، وهو الرخاء والسعة العافية ، ففتنتكم به .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) قال : بالرخاء والشدة ، وكلاهما بلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) يقول : تبلوكم بالشرّ بلاء ، والخير فتنة ، وإلينا ترجعون .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) ، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) قال : تبلوهم بما يحبون وبما يكرهون ، نختبرهم بذلك ، لننظر كيف شكرهم فيما يحبون ، وكيف صبرهم فيما يكرهون .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ) يقول : نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام والطاعة والمعصية ، والهدى والضلالة . وقوله ( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) يقول : وإلينا يردون فيجازون بأعمالهم ، حسنها وسيئها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ  
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَإِذْ أَرَأَيْتَ ) يا محمد ( الَّذِينَ كَفَرُوا ) بالله ( إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ) يقول : ما يتخذونك إلا سخريا ، يقول بعضهم لبعض : ( أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ) يعني بقوله : يذكركم بسوء ويعيبها ، تعجبا منهم من ذلك ، يقول الله تعالى ذكره : فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهم التي لا تنضر ولا تنفع بسوء ( وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ ) الذي خلقهم وأنعم عليهم ، ومنه نفعهم ، ويبيده ضرهم ، وإليه مرجعهم ، بما هو أهلهم منهم أن يذكروه به ، كافرون ، والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم ، فيقولون : سمعنا فلانا يذكرك فلانا ، وهم يريدون سمعناه يذكركه بقبيح ويعيبه ، ومن ذلك قول عنترة :

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ  
فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

يعني بذلك : لا تعيبي مهري ، وسمعناه يذكرك بخير .

القول في تأويل قوله تعالى

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ، فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ (٣٨)

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العيسى ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٩٦ ) يقول : لا تلوميني بذكر مهري وطعامه ، وإلا نفرت منك ، كما ينفر الصحيح من الأجر . يعني لا تعيبي مهري ، ولا تلوميني من أجل اهتامي به ، فهو وسيلتي للدفاع عنك وعن قومي .



يقول تعالى ذكره : ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ ) يعني آدم ( مِنْ عَجَلٍ ) .  
واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : من عَجَلٍ في بنيته وخلقته ، كان من العجلة ،  
وعلى العجلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد في قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال : لما نفخ فيه الروح في ركبته ذهب لينهض ، فقال الله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما نفخ فيه ، يعني في آدم الروح ، فدخل في رأسه ، عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رحمتك ربك ، فلما دخل الروح في عينيه ، نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) يقول : خلق الإنسان عجولا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ )  
قال : خلق عجولا .

وقال آخرون : معناه : خلق الإنسان من عجل : أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل ، وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال : قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق : فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ، ولم تبلغ أسفله ، قال : يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال آدم حين خلق بعد كل شيء ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال في حديثه : استعجل بخلقى ، فقد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين ، يريد يوم الجمعة ، وخلقته على عجل ، وجعله عجولا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ، ممن قال نحو هذه المقالة : إنما قال : خلق الإنسان من عجل ،

(١) هذا السند تكرر لدى قبله من غير فرق .

وهو يعنى أنه خلقه من تعجيل من الأمر ، لأنه قال ( إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) قال : فهذا العجل . وقوله ( فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) إني ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ) وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكون كلُّ خلق الله خلق على عجل ، لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كُن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذاً بذكر أنه خلق من عجل دون الأشياء كلها ، وكلها مخلوق من عجل ، وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح ، على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة .

وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العَجَل من الإنسان ، وخلق العجلة من الإنسان ، وقالوا ذلك مثل قوله ( مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) إنما هو لتنوء العصبه بها متناقلة ، وقالوا : هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور . قالوا : وإنما كلم القوم بما يعقلون ، قالوا : وذلك مثل قولهم : عَرَضْتُ النَاقَةَ ، وكقولهم إذا طلعت الشعري ، واستوت العود على الحُرْبَاءِ : أى استوت الحُرْبَاءِ على العود ، كقول الشاعر :

وَتَرَكَبُ خَيْلًا لَا هَرَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرِمَاحُ بِالضِيَاطِرَةِ الْحُمْرِ

وكقول ابن مقبل :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ فَرَدًّا يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفْسِدِينَ

يريد : حسرت السربال عن كفى ، ونحو ذلك من المقلوب . وفي إجماع أهل الأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا : الذي ذكرناه عن قال معناه : خلق الإنسان من عجل في خلقه : أى على عجل وسرعة في ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه بؤدر بخلق مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفي ذلك الرقت نفع فيه الروح .

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب ، لدلالة قوله تعالى ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ) ، فلا تَسْتَعْجِلُونِ ) على ذلك .

وأن أبا كريب ، حدثنا قال : ثنا ابن إدريس ، قال أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة

(١) البيت لخداش بن زهير (السان : ضطر) . الجوهرى : الضيعة : الرجل الضخم الذى لاغناء عنه ؛ وكذلك الضوطة والظوطة . وفي حديث علي : من يعذونى من هؤلاء الضيعة : هم الضخم الذين لاغناء عنهم ، الواحد ضيعة . وقول خداش : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عن أن الرماح تشق بهم ، أى أنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على « القلب » أى تشق الضيعة الحسر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والمواد : المصالحه والمواذع . والبيت شاهد على القلب .

(٢) البيت لقيم بن أبي بن مقبل ، كما قال المؤلف . وحسرت كفى عن السربال : يريد حسرت السربال عنها . والسربال : القميص والدرع . والمفدون : الذى يقولون لى فدينك من المكاره ، تنظيماً ، وإكباراً لبلاى فى الحرب ؛ وهو كالشاهد قبله على أن الكلام فيه مقلوب ، لأنه يريد حسرت السربال عن كفى ، لشجاعتى .



قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجمعة لساعة يُقَلَّلُ فيها ، قال لا يُؤَافِقُهَا عِبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ » فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أي ساعة هي ، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله : ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسير بن عمرو ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه . فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا ، بما به استشهدنا ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ( سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) أيها المستعجلون ربهم بالآيات ، القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي ، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها ، بتكذيبها الرسل ، إذا أتتها الآيات . فلا تستعجلون ، يقول : فلا تستعجلوا ربكم ، فإننا سنأتيكم بها ونريكموها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) بضم الخاء ، على مذهب ما لم يسم فاعله . وقراءه حميد الأعرج ( خَلِقَ ) بفتحها ، بمعنى : خلق الله الإنسان ، والقراءة التي عليها قراء الأمصار ، هي القراءة التي لأستجيز خلافها .

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ ) يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب ، لمحمد صلى الله عليه وسلم : متى هذا الوعد ؟ يقول : متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب ، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك . وقيل : هذا الوعد والمعنى الموعود ، لمعرفة السامعين معناه : وقيل ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، ومتى في موضع نصب ، لأن معناه : متى وقت هذا الوعد ، وأي يوم هو ، فهو نصب على الظرف ، لأنه وقت .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ، وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ، ماذا لهم من البلاء حين تفتح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون ، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تفتحها ، ولا عن ظهورهم ، فيدفعونها عنها بأنفسهم ( وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ) يقول : ولا لهم ناصر ينصرهم ، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله ، كما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، ولتسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله ، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء .

(١) في ابن كثير ، رواية ابن أبي حاتم : « وقبس أصحابه يقلها » .

## القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ، وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تطفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة، حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة، لا يشعرون بمجيئها، فتبتهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتطفح وجوههم معاناة كالرجل يبيت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبيق المبهوت كالخيران منه، (فلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) يقول: فلا يطيقون حين تبتهتهم فتبتهتهم، دفعها عن أنفسهم، (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها، لتوبة يحدوثونها، وإثابة يبيون، لأنها ليست حين عمل، وساعة توبة وإثابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفأتأتون السحرو أنتم تبصرون، إذ رآوك، هزؤا، ويقولون: هذا الذي يذكر آهتكم، كفرا منهم بالله، واجترأ عليه، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أمهم. يقول: فوجب ونزل بالذين استهزؤا بهم، وسخروا منهم من أمهم، ما كانوا به يستهزئون: يقول جل ثناؤه: حل بهم الذي كانوا به يستهزؤون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تحوِّفهم نزوله بهم: (يستهزؤون): يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزؤون بك من هؤلاء الكفرة، أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله ومخبطه، باستهزأهم بك، نظير الذي نزل بهم.

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ؟ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء المستعجلينك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين: من يكلؤكم أيها القوم؟ يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نتم، وبالنهار إذا تصرفتم. من الرحمن: يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حل بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن، اجترأ بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله (قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) قال: يحرسكم.



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) : قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن . يقال منه : كَلَأَتِ القوم : إذا حرسهم أكلوهم ؛ كما قال ابن هرمة :

إِنَّ سُلَيْمَى ( وَاللَّهُ يَكْلُؤُهَا ) ضَنْتَ بِشَىءٍ مَا كَانَ يَرزُؤُهَا

قوله ( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ) وقوله بل : تحقيق بلحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام ، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا ، ومعنى الكلام : وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالألى لهم من أمر الله إذا هو حل بهم ليلا أو نهارا ، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتج بها عليهم معرضون ، لا يتدبرون ذلك ، فلا يعتبرون به ، جهلا منهم وسفها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ، وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المستعجل ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم ، إن نحن أحلنا بهم عذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا ، من دوننا ؟ ومعناه : أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا ؟ ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة ، وما هي به من صفتها ، فقال : وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا ، وهي لا تستطيع نصر أنفسها ؟ وقوله ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، وفي معنى يُصْحَبُونَ ، فقال بعضهم : عني بذلك الآلهة ، وأنها لا تصحب من الله بخير .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ) يعني الآلهة ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) يقول : لا يصحبون من الله بخير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا هم منا ينصرون .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) قال : لا ينصرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله

(١) البيت لإبراهيم بن هرمة ، كما قال المؤلف . وقد جاء في (اللسان : كلاً) غير منسوب . وفيه « بزد » في موضع « بشىء » . قال : يقال : كَلَأَتِ الله كَلَاءَةً ( بالكسر ) حفظك وحرسك . وأنشد : « إن سليمان . . . البيت . . . وجملة ( والله يكلؤها ) اعتراضية للدعاء . ويرزؤها : ينقص منها ويضيرها . يريد : ضنت بشىء حين عليها لو بذلك لنا . واستشهد المؤلف به على أن معنى يكلؤها يحفظ ، كما قال أهل اللغة .

(أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا؟) إلى قوله (يُصْحَبُونَ) قال : يُنصرون : قال مجاهد : ولا هم يُحفظون .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا لَهُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ) يُجَارُونَ ١ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا لَهُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ) يقول : ولا هم منا يجارون ، وهو قوله (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) بمعنى الصاحب ، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف ، فهو قوله يصحبون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس وأن (هُمُ) من قوله (وَلَا لَهُمْ) من ذكر الكفار ، وأن قوله (يُصْحَبُونَ) بمعنى : يجارون ، يصحبون بالجار ، لأن العرب حكى عنها أنها لك جار من فلان وصاحب ، بمعنى : أجيرك وأمنعك ، وهم إذا لم يصحبوا بالجار ، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله ، مع تخط الله عليهم ، فلم يصحبوا بخير ، ولم ينصروا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا

مِنْ أَطْرَافِهَا ؟ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : ما هؤؤلاء المشركين من آفة تمنعهم من دوننا ، ولا جار يجيرهم من عذابنا ، إذا نحن أردنا عذابهم ، فاتكلوا على ذلك ، وعصوا رسلنا ، اتكالا منهم على ذلك ، ولكننا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم ، حتى طال عليهم العمر ، وهم على كفرهم مقيمون ، لأناتيمنا منا واعظة من عذاب ، ولا زاجرة من عقاب ، على كفرهم وخلافهم أمرنا ، وعبادتهم الأوثان والأصنام ، فنسوا عهدنا ، وجعلوا موقع نعمتنا عليهم ، ولم يعرفوا موضع الشكر . وقوله (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يقول تعالى ذكره : أفلا يرى هؤؤلاء المشركون بالله ، السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات ، المستعجلوه بالعذاب ، أننا نأتي الأرض نخربها من نواحيها ، بقهرنا أهلها ، وغلبتناهم ، وإجلائهم عنها ، وقتلهم بالسيف ، فيعتبروا بذلك ، ويتعظوا به ، ويحذروا منا أن نزل من بأسنا بهم ، نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف . وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه ، بالروايات عنهم ، في سورة الرعد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) يقول تبارك وتعالى : أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب

(١) لم يقدم قبل هذا القول الأخير خلاسته ، كعادته التي سار عليها ، قبل ذكر القائلين له . كان يقول : وقال بعضهم : بل معناه : يجارون .



الغالبون ، وقد رأوا قهرا من أحللتنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين ؟ ليس ذلك كذلك ، بل نحن الغالبون . وإنما هذا تقرير من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم ؛ يقول : أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه ، وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول ليسوا بغالبين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ، وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون : إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحى إلى من عنده ، وأخوفكم به بأسه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ) أي بهذا القرآن .

وقوله ( وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ ) : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار ، ولا يسمع بفتح الياء من ( يَسْمَعُ ) بمعنى أنه فعل للصم ، والصم حينئذ مرفوعون . ورؤى عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ( وَلَا تُسْمَعُ ) بالتاء وضمها ، فالصم على هذه القراءة مرفوعة ، لأن قوله ( وَلَا تُسْمَعُ ) لم يسم فاعله ، ومعناه على هذه القراءة : ولا يسمع الله الصم الدعاء . قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه . ومعنى ذلك : ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه ، إلى تذكر ما في وحى الله من المواعظ والذكر ، فيتذكر به ويعتبر ، فيزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله ، إذا تلى عليه ، وأريد ، به ، ولكنه يعرض عن الاعتبار به ، والتفكر فيه ، فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له ، فيعمل به . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ) يقول : إن الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ، ولا ينتفع به ولا يعقله ، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْتَ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك ، يعني بالنفحة النصيب والحظ ، من قولهم : نفع فلان لفلان من عطائه : إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَيُنْزِلُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْهَارٌ مِّنَ السَّمَاءِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ أَلْفِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ) . . . الآية ، يقول : لئن أصابته عقوبة .

وقوله ( لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول : لئن أصابته هذه النضحة من عقوبة ربك يا محمد ، بتكذيبهم بك وكفرهم ، ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك ، وليعرفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم ، وكفرانهم أياديه عندهم ، وليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد ، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا ، ووضعنا العبادة غير موضعها .

#### القول في تأويل قول تعالى

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَا حُسْبِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ) العدل وهو ( الْقِسْطُ ) وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين ، وهو جمع ، لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر . وقوله ( لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) يقول : لأهل يوم القيامة ، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه . وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى « في » ، كأن معناه عنده : ونضع الموازين القسط في يوم القيامة . وقوله ( فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ) يقول : فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا ، بأن يعاقبه بذنوب لم يعملها ، أو يبخسه ثواب عمل عمله ، وطاعة أطاعه بها ، ولكن يجازي المحسن بإحسانه ، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) . . . إلى آخر الآية ، وهو كقوله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) يعني بالوزن : القيسط بينهم بالحق في الأعمال : الحسنات والسيئات ، فمن أحاطت حسناته بسيئاته نقلت موازينه ، يقول : أذهبت حسناته سيئاته ، ومن أحاطت سيئاته بحسناته ، فقد خففت موازينه ، وأمه هاوية ، يقول : أذهبت سيئاته حسناته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قول الله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) قال : إنما هو مثل ، كما يجوز الوزن ، كذلك يجوز الحق ، قال الثوري : قال ليث عن مجاهد ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ) قال : العدل . وقوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) يقول : وإن كان الذي له من عمل الحسنات ، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل ، أتينا بها ، يقول : جئنا بها ، فأحضرناها إياه .



كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : كتبناها ، وأحصيناها له وعليه .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : يؤتى بها لك وعليك ، ثم يعفو إن شاء أو يأخذ ، ويجزى بما عمل له من طاعة . وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها .  
 حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها ، وقال : أتينا بها ، فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث ، وإن كان الذي تقدم ذلك قوله مثقال حبة ، لأنه عنى بقوله بها الحبة دون المثلث ، ولو عنى به المثلث لقليل به . وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأول قوله ( أَتَيْنَا بِهَا ) على ما ذكرنا عنه ، لأنه كان يقرأ ذلك ( أَتَيْنَا بِهَا ) بمد الألف . وقوله ( وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ) يقول : وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين ، لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم ، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء ، منا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان ، يعنى به الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل ، وذلك هو التوراة فى قول بعضهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( الْفُرْقَانَ ) قال : الكتاب .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) التوراة : حلالها وحرامها ، وما فرق الله بين الحق والباطل .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) قال : الفرقان : الحق ، آناه الله موسى وهارون ، فرق بينهما وبين فرعون ، قضى بينهم بالحق ، وقرأ ( وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ) قال : يوم بدر .  
 قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ، وذلك لدخول الواو فى الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة ، كما قال من قال ذلك ، لكان التنزيل : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ، لأن الضياء الذى آتى الله موسى وهارون هو التوراة ، التى أضاعت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم ،

فبصرهم الحلال والحرام ، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الأبصار ، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء .

فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان ، وإن كانت فيه واو ، فيكون معناه : وضياء آتيناه ذلك ، كما قال ( بَيْرِئَةَ الْكِبْرِ وَالْحِفْظِ ) ؟ قيل له : إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا ، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل .  
وقوله ( وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ) يقول : وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ذكرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ، وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : آتيناه موسى وهارون الفرقان : الذكر الذي آتيناهما . للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب ، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه ، فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه ، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون ، حذرون أن تقوم عليهم ، فتبردوا على ربهم ، قد فرطوا في الواجب عليهم لله ، فيعاقبهم من العقوبة بما لا يقبل لهم به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ، أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ؟ (٥٠)

يقول جل ثناؤه : ( وهذا ) القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ( ذكرا ) لمن تذكر به ، وموعظة لمن اعطه به ( مبارك ) أنزلناه ، كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ( أفأنتم له منكرون ) ؟ يقول تعالى ذكره : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون ؟ وتقولون : ( هو أضغاث أحلام ، بل استتراه بل هو شاعير ، فلأيتنا بآية كذا أرسل الأولون ) ، وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين ، كالذي آتيناه موسى وهارون ذكرا للمتقين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وهذا ذكرا مبارك ) . . . إلى قوله ( أفأنتم له منكرون ) : أي هذا القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

• وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ

الْأَسْمَاءُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟ (٥٢)



يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) : موسى وهارون ، ووفّقناه للحق ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته ، من عبادة الأوثان ، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى إبراهيم ، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان ، وهديناه إلى سبيل الرشاد ، توفيقاً منا له .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هديناه صغيراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) يقول : آتيناه هداً .

وقوله (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) يقول : وكنا عالمين به أنه ذوبقن وإيمان بالله ، وتوحيد له ، لا يشرك به شيئاً . (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) يعني في وقت قبله ، وحين قبله لهم : (مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) يقول : قال لهم : أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون ، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) قال : الأصنام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ، أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك ، وذكرنا الرواية عن أهل التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ؟ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم : وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين ، فنحن على ملة آبائنا نعبدها ، كما كانوا يعبدون . (قال) إبراهيم (لقد كنتم) أيها القوم (أنتم وآبؤكم) بعبادتهم

إياها (في ضلال مسيين) يقول: في ذهاب عن سبيل الحق، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، أنكم كذلك في جور عن الحق (قالوا أحيثنا بالحق؟) يقول: قال أبوه وقومه له: أحيثنا بالحق فيما تقول (أم أنت) هازل لآعب (من اللاعيبين)؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ

الشَّاهِدِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتمكم بالحق لا للعب، ربكم رب السموات والأرض الذي خلقهن، وأنا على ذلكم، من أن ربكم هو رب السموات والأرض الذي فطرهن، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كل أحد سواه، شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا، لاهذه التماثيل التي هي خلقه، التي لا تضر ولا تنفع.

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَأَصْنَامِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُذْرِبِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ،

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه، حين قالوا: من فعل هذا بأهلنا، إنه لمن الظالمين، فقال: سمعنا قتي يذكركم يقال له إبراهيم.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (وتالله لا كيدن أصنامكم) قال: قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم، فأبى وقال: إني سقيم، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر، وهو الذي يقول (سمعنا قتي يذكركم يقال له إبراهيم).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وتالله لا كيدن أصنامكم):

قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعه، بعد أن تولوا مذربين.

وقوله (فجعلهم جذذًا إلا كبيرًا لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء

الأمصار، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي (فجعلهم جذذًا) بمعنى جمع جذذيد، كأنهم أرادوا به جمع جذذيد، وجذذ، كما يجمع الخفيف خفيف، والكريم كريم.

(١) في العبارة هنا قصور، ولعلها سقطت، وسيوضحها المؤلف في كلامه الآتي بعدها. واخصل أن قراءة عامة القراء «جذذًا»

بضم الجيم، قبل هو مفرد كحطام، وقيل من الجمع العزيز. وقرأ ابن وثاب وجماعة بالكسر، وهو جذذيد، ونظيره كريم وكرام.



وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصراب: قراءة من قرأه (جُدَّ آذًا) بضم الجيم، لإجماع قرءاء الأمصار عليه، وأن ما أجمعت عليه فهو الصراب، وهو إذا قرئ كذلك مصدر مثل الرُفَات، والقُتَات، والدُقَات، ولا واحد، وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيد، والجذيد: هو فعيل، صُرِفَ من مجذوذ إليه، مثل كسير، وهشيم، والمجذوذة: المكسورة قطعاً.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُدَّ آذًا) يقول: حطّاماً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (جُدَّ آذًا) كالصَّريم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.  
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُدَّ آذًا): أي قطعاً. وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بأهله قومه ذلك، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي: أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عبداً، لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكى رجلى، فتواطوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعتى الناس (تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوا منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهوصنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه، بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعتنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا، فأكلنا؛ فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام (قال ألا تأكلون؟) فلما لم تجبه، قال (ما لكم لا تنطقون؟ فرأغ عليهم ضرباً باليسمين): فأخذ فأس حديد، فنقر كل صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج؛ فلما جاء القوم إلى طعامهم، نظروا إلى آلهتهم (قالوا من فعل هَذَا يَا لَهْتِنَا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قالوا سمعنا قسّتي يذكركمهم يقال له إبراهيم).

وقوله (إلا كبيراً لهم) يقول: إلا عظيماً للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكّر علّق الفأس في عنقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (إلا كبيراً لهم) قال:

قال ابن عباس : إلا عظيمًا لهم ، عظيم آفتهم . قال ابن جرير ، وقال مجاهد : وجعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم ، مُسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم ، مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أقبل عليين ، كما قال الله تبارك وتعالى ( ضَرَبَا بِالْيَمِينِ ) ، ثم جعل يكسرن بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ، ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ؛ فلما رجع قومه ، رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك وأعظموه ، وقالوا : من فعل هذا بأهتنا ؟ إنه لمن الظالمين . وقوله ( لَعَلَّهْمُ لِئِنَّهُ يَرْجِعُون ) يقول : فعل ذلك إبراهيم بأفئتهم ، ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم ، فهي من أن تدفع عن غيرها من أراد به سوء أبعد ، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها ، إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله ، والبراءة من الأوثان .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّهْمُ لِئِنَّهُ يَرْجِعُون ) قال : كادهم بذلك ، لعلهم يتذكرون أو يبصرون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا؟ إِنَّهُ بِنَ الْأَيْدِي بِرَ (٥٩) قَالُوا: سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ  
إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا: فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما رأوا آفتهم قد جُذت ، إلا الذي ربط به الفأس إبراهيم : من فعل هذا بأهتنا ؟ إن الذي فعل هذا بأهتنا لمن الظالمين ، أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله . ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) يقول : قال الذين سمعوه يقول ( تَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَكُمْ أَصْنَامُكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ) : سمعنا فتى يدكرهم بعب ، يقال له إبراهيم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ ) قال ابن جرير : يدكرهم : يعيبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ( سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ ) ، يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره ، وهو الذي نظن صنع هذا بها . وقوله ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم



بعضهم لبعض : فأتوا بالذي فعل هذا بأهتنا ، الذي سمعتموه يذكرها بعيب ، ويسبها ويذمها على أعين الناس ، فقيل : معنى ذلك : على رءوس الناس . وقال بعضهم : معناه : بأعين الناس ومرأى منهم ، وقالوا : إنما أريد بذلك : أظهروا الذي فعل ذلك للناس ، كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر ، كان ذلك على أعين الناس ، يراد به كان بأيدي الناس .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعل الناس يشهدون عليه ، أنه الذي فعل ذلك ، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه ، وقالوا : إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) عليه أنه فعل ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) قال : كرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به ، فيعاقبونه ويرونه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بلغ ما فعل إبراهيم بأهله قومه نمرود ، وأشرف قومه ، فقالوا ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) : أي ما يصنع به ، وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا : فأتوا به على أعين الناس ، لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه ؛ لأنه لو أريد بذلك : ليشهدوا عليه بفعله ، كان يقال : انظروا من شهده يفعل ذلك ، ولم يقل : أحضروه بمجمع من الناس .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يُسَبِّحُونَ هِيْمًا (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ

إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فأتوا بإبراهيم ، فلما أتوا به قالوا له : أنت فعلت هذا بأهتنا من الكسر بها يا إبراهيم ؟ فأجابهم إبراهيم : بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم ، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها ، إن كانت تنطق ، أو تعبر عن نفسها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أتني به ، واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ،

(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْتَدْرَكُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسره .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) . . . الآية ، وهي هذه الخصلة التي كادهم بها .

وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام ، أن معنى قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) إنما هو : بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق ، فإن كبيرهم هو الذي كسره . وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات ، كلها في الله : قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله (إِنِّي سَقِيمٌ) ، وقوله لسارة : هي أختي ؛ وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك ، ليقرّع قومه به ، ويحتج به عليهم ، ويعرفهم موضع خطيئهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، كما قال مؤذن يوسف لإخوته (أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) ولم يكونوا سرقوا شيئا .

القول في تأويل قول تعالى

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ :  
لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْتَدْرَكُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) في أنفسهم ، ورجعوا إلى عقولهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه ، وقيلكم له : من فعل هذا بالهتنا يا إبراهيم ؟ وهذه آفتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتم فاسألوها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) قال : ارعوا ورجعوا عنه ، يعني عن إبراهيم ، فيما ادعوا عليه من كسره ، إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه ، وما نراه إلا كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ) قال : نظر بعضهم إلى بعض (فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) .  
وقوله (ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ) يقول جل ثناؤه : ثُمَّ غَلَبُوا فِي الْحُجَّةِ ، فَاحْتَجُوا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامَ يَنْطِقُونَ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثُمَّ قَالُوا : يَعْنِي قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ ، وَعَرَفُوا



أنها، يعني آهنتهم لانصرّ ولا تنفع ولا تبطش (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) : أى لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدّقك ، يقول الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) في الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجّة عليهم بقولهم ( لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) أدركت الناس حيرة سوء .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم نكسوا في الفتنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) قال نكسوا في الفتنة على رؤوسهم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .  
وقال بعض أهل العربية : معنى ذلك : ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك ، لأن نكس الشيء على رأسه : قلبه على رأسه ، وتصيير أعلاه أسفله ، ومعلوم أن القوم لم يُقبلوا على رؤوس أنفسهم ، وأنهم إنما نكس حجّتهم ، فأقيم الخبر عنهم ، مقام الخبر عن حجّتهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فنكس الحجّة لاشك ، إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه ، بما هو حجة لخصمه . وأما قول السديّ : ثم نكسوا في الفتنة ، فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك ، فنكسوا فيها . وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه ، فقوله بعيد من الفهوم ، لأنهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، ما احتجوا عليه بما هو حجة له ، بل كانوا يقولون له : لاتسلم ، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها ، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ، ولكن صدقوا القول ( فَتَقَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا ، بل هو إقرار به .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ (٦٦) أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضرّكم ، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها من أرادها بسوء ، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عن يأتيا بسوء ، فتخبر به ، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ

شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ؟) . . . الآية ، يقول يرحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم ، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم ، فكيف ينفعونكم أو يضرّون .  
وقوله (أَفْ لَكُمْ) يقول : قُبْحًا لَكُمْ وللآلهة التي تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع ؟ فتركوا عبادته ، وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض ، والذي بيده النفع والضر .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَنْارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قال بعض قوم إبراهيم لبعض : حرّقوا إبراهيم بالنار ( وَاَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) يقول : إن كنتم ناصرها ، ولم تريدوا ترك عبادتها .  
وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل من أكرد فارس .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ) قال : قالوا رجل من أعراب فارس ، يعني الأكرد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجُبَيْتِي ، قال : إن الذي قال حَرِّقُوهُ « هيزن » ، فحسب الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أجمع نمرود وقومه في إبراهيم ، فقالوا : (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) : أي لانصروها منه إلا بالتحريق بالنار ، إن كنتم ناصرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار ؟ قال : قلت لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قلت : يا أبا عبد الرحمن ، أو هل للفرس أعراب ؟ قال : نعم الكرد هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

وقوله (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) في الكلام متروك اجتزى بدلالة ما ذكر عليه منه ، وهو : فأوقدوا له نارا ليحرقوه ، ثم ألقوه فيها ، فقلنا للنار : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ، وذكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا ، كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطبًا ، حتى



إن كانت المرأة تفرص فتقول: لئن عاقاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم؛ فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطبا، حتى إن الطير نقر بها فتحترق من شدة وهتجها، فعمدوا إليه، فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فلقوه في النار، فنادها فقال: (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها، وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طغرت، ظنت أنها هي تعتني؛ فلما طغمت النار، نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو ورجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل، وأنزل الله نارا، فانفزع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

حدثني إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: ثنا قتادة، عن أبي سليمان، عن كعب، قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال: بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: وسلاما، قال: لاتضرته.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا إسماعيل، عن المنهال بن عمرو، قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لما ألقى إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم في النار، قال الملك خازن المطر: رب خليلك إبراهيم، رجاء أن يؤذن له، فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك، فقال: (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فلم يبق في الأرض نار إلا لاطفت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الحارث، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجدته يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

(١) سقطت من هذا الخبر عبارة ذكر نحوها التعلبي المفسر في عرائس المجالس، وهي: أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب، فاشتعلت النار، حتى إن كان الطير يمر بها فيحترق. . . الخ.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجببسي ، قال : ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين ، ولما علمت سارة بما أراد إسحاق بطننت يومين ، وماتت اليوم الثالث . قال ابن جريج : قال كعب الأحبار : ما أحرقت النار من إبراهيم شيئا غير وثاقه الذي أوثقوه به .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان التيمي ، عن بعض أصحابه ، قال : جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام ، وهو يوثق أو يقمط ليلتي في النار ، قال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

قال : ثنا معتمر ، قال : ثنا ابن كعب ، عن أرقم : أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ) قال : السلام لا يؤذيه بردها ، ولولا أنه قال : وسلاماً ، لكان البرد أشد عليه من الحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ( برّداً ) قال : بردت عليه ، وسلاماً لا تؤذيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قلنا يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم ) قال : قال كعب : ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ، ولا أحرقت النار يومئذ شيئا إلا وثاق إبراهيم .

وقال قتادة : لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ .

وقال الزهري : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسماه فويسقا .

وقوله ( وأرادوا به كيداً ) يقول تعالى ذكره : وأرادوا بإبراهيم كيدا ( فجعلناهم الأخصرين ) : يعني الهالكين .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخصرين ) قال : ألقوا شيخاً منهم في النار ، لأن يصيبوا نجاته ، كما نجى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فاحترق .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ونجينا إبراهيم ولوطاً من أعدائهما : نمرود وقومه ، من أرض العراق ( إلى الأرض



التي باركنا فيها للعالمين) وهي أرض الشام ، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم ، وهاجر إلى الشام . وهذه القصة التي قصَّ الله من نبي إبراهيم وقومه ، تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش ، أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان ، وأذاهم محمداً على نبيه عن عبادتها ، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين ، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم ، ومخالفتهم دينه ، وأن محمداً في براءته من عبادتها ، وإخلاصه العبادة لله ، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام ، وفي الصبر على ما يلقي منهم في ذلك ، سالك منهاج أبيه إبراهيم ، وأنه مُخرجه من بين أظهرهم ، كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه ، حين تمادوا في غيهم ، إلى مهاجرة من أرض الشام ، ومسلِّ بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يلقي من قومه من المكروه والأذى ، ومعلمه أنه منجيه منهم ، كما نجَّى أباه إبراهيم من كفره قومه .

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولو طأ إليها ، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين . فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حُرَيْث المَرْوَزِيُّ أبو عمار ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قُرَات القزاز ، عن الحسن ، في قوله ( إلى الأرض التي باركنا فيها ) قال : الشام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) كانا بأرض العراق ، فأُنجيا إلى أرض الشام ، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها مجمع الناس ، وبها ينزل عيسى بن مريم ، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال .

وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّاسُ كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ ، فَوَضَعَتْهُ بِالشَّامِ ، فَأَوْلَتْهُ أَنْ الْفَيْتَنَ إِذَا وَقَعَتْ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالشَّامِ » وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه : « إِنَّهُ كَاتِبٌ بِالشَّامِ جُنْدٌ ، وَبِالْعِرَاقِ جُنْدٌ ، وَبِالْيَمَنِ جُنْدٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ خَيْرٌ لِي ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِيهِ ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْتَحِقْ بِأَمْنِيهِ ، وَلْيَسْقِ بِقَدَرِهِ » .

وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا كعب ، ألا تحول إلى المدينة ، فإنها مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، إنى أجد في كتاب الله المنزل ، أن الشام كنز الله من أرضه ، وبها كنزه من عباده .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : هاجرا جميعا من كوثي إلى الشام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي بنت ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فترّجها على أن لا يغيرها<sup>١</sup>

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه ، وخرج معه لوط مهاجرا ، وترّج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه ، حتى نزل حرّان ، فكثت فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ، ثم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، ونزل لوط بالموثكة ، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة ، أو أقرب من ذلك ، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية ( بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس ، قال : ثم يتفرّق في الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : إلى الشام .

وقال آخرون : بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى ( الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) يعني مكة ، ونزول إسماعيل البيت . ألا ترى أنه يقول ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ) .

وقال أبو جعفر : وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك ، لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم ، أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام ، وبها كان مقامه أيام حياته ، وإن كان قد كان قدم مكة ، وبني بها البيت ، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر ، غير أنه لم يُقيم بها ، ولم يتخذها وطنا لنفسه ، ولا لوط ، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط ، أنهما أتجاها إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين .

(١) في ابن كثير : عل أن يفر بها .



القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ، وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ  
بِأَمْرِنَا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ، ويعقوب ولد ولده ، نافلة لك .  
واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( نافلة ) فقال بعضهم : عنى به يعقوب خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) يقول : ووهبنا له إسحاق ولدا ، ويعقوب ابن ابن نافلة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
نَافِلَةً ) والنافلة : ابن ابنه يعقوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : سألت واحدا فقال : ربّ هب لي من الصالحين ، فأعطاه واحدا ، وزاده  
يعقوب ، ويعقوب ولد ولده .

وقال آخرون : بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب ، قالوا : وإنما معنى النافلة : العطية ، وهما جميعا من  
عطاء الله أعطاهما إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله  
( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطاء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال أبو جعفر : وقد بينّا فيما مضى قبل ، أن النافلة : الفضل من الشيء ، يصير إلى الرجل ، من أي شيء  
كان ذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له . وجائز أن  
يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا ، نافلة منه له ، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب ، ولا برهان يدل على  
أي ذلك المراد من الكلام ، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ، ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب  
نافلة .

وقوله ( وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ) يعنى عاملين بطاعة الله ، مجتنبين محارمه ، وعنى بقوله ( كُلًّا ) :

إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب . وقوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أمة يؤتم بهم في الخير ، في طاعة الله ، في اتباع أمره ونهيه ، ويقتدى بهم ، ويتبعون عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) جعلهم الله أمة يقتدى بهم في أمر الله ، وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول : يهدون الناس بأمر الله إبراهيم بذلك ، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته . وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : وأوحينا فيما أوحينا : أن افعلوا الخيرات ، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك . ( وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) : يقول : كانوا لنا خاشعين ، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : وآتيناه لوطا حكما ، وهو فصل القضاء بين الخصوم . وعلمنا : يقول : وآتيناه أيضا علما بأمر دينه ، وما يجب عليه الله من فرائضه .

وفي نصب لوط وجهان : أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا : وآتيناه لوطا ؛ والآخر بمضمرة بمعنى : واذكر لوطا .

وقوله ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ) يقول : ونجيناه من عذابنا الذي أحلناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث ، وهي قرية سدوم التي كان لوط تبعث إلى أهلها ، وكانت الخبائث التي كانوا يعملونها : إتيان الذكران في أدبارهم ، وخذفهم الناس ، وتضارطهم في أنديتهم ، مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر ، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخرجهم الله ، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ) مخالفين أمر الله ، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ، إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجاننا إياه مما أحلنا بقومه من العذاب والبلاء ، وإنقاذنا منه ، إنه من الصالحين : يقول : إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا ، ويقتنون إلى أمرنا ونهينا ، ولا يعصوننا



وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) قال : في الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَتَصَرَّنَاهُ  
مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا؛ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك ، ومن قبل إبراهيم ولوط ، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده ، وكذبوا نوحا فيما آتاهم به من الحق من عند ربه ، ( وَقَالَ رَبِّ لَاتَنْذِرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) فاستجبنا له دعاءه ، ونجيناه وأهله ، يعني بأهله : أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ( مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ) يعني بالكرب العظيم : العذاب الذي أحل بالملكذابين ، من الطوفان والغرق . والكرب : شدة الغم ، يقال منه : قد كرتني هذا الأمر ، فهو يكرتني كرتبا . وقوله ( وَتَصَرَّنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا ) يقول : ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأدلتنا ، فأنجيناهم منهم ، فأغرقناهم أجمعين ، إنهم كانوا قوم سوء ، يقول تعالى ذكره : إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء ، يسيئون الأعمال ، فيعضون الله ويخالفون أمره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ، وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ  
شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ، وَكَلَّا، أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا، وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ  
وَالطَّيْرَ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر داود وسليمان يا محمد ، إذ يحكما في الحرث . واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان ؟ فقال بعضهم : كان نبئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال سفيان : عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كان الحرث نبئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قال : ذكروا لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا .

وقال آخرون : بل كان ذلك الحرث كرتما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المخاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كَرَّمَ قَدِ أَنْبَتَ عَنَاقِيدَهُ .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ، قال : كان الحرث كَرَّمَا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : ما قال الله تبارك وتعالى ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) والحرث : إنما هو حرث الأرض . وجائر أن يكون ذلك كان زرعاً ، وجائر أن يكون غرساً ، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان .

وقوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) يقول : حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين ، من غير أهل الحرث ، ليلاً ، فرعته أو أفسدته ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول : وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم ، فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث . شاهدين : لا يخفى علينا منه شيء ، ولا يغيب عنا علمه . وقوله ( فَفَتَّهَمْنَاهَا ) يقول : ففهمنا القضية في ذلك ( سُلَيْمَانَ ) دون داود ، ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) يقول : وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة ، آتينا حكماً ، وهو النبوة ، وعلماً : يعني وعلماً بأحكام الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالوا : ثنا المخاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كرم قد أنبت عناقيدته ، فأفسدته ، قال : ففرض داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذلك ؟ قال : يدفع الكرم إلى صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم ، فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها ، فذلك قوله ( فَفَتَّهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) . يقول : كنا لما حكما شاهدين . وذلك أن رجلين دخلا على داود ، أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي ، فلم يبق من حرثي شيئاً ، فقال له داود : اذهب ، فإن الغنم كلها لك ، ففرض بذلك داود . ومرة صاحب الغنم بسليمان ، فأخبره بالذي قضى به داود ، فدخل سليمان على داود ، فقال : يا نبي الله ، إن القضاء سوى الذي قضيت . فقال : كيف ؟ قال

(١) نفست الماشية في الزرع : تفرقت فيه ليلاً ترعاه وليس معها راع . والفعل : من باب نصر وضرب وفرح .



سليمان : إن الحرث لا ينجى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام ، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفى ثمن الحرث ، فإن الغنم لها نسل في كل عام ، فقال داود : قد أصبت ، القضاء كما قضيت ، ففهمها الله سليمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن علي بن زيد ، قال : ثنا ثني خليفة ، عن ابن عباس ، قال : قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فخرج الرعاة معهم الكلاب ، فقال سليمان : كيف قضى بينكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا ، فأخبر بذلك داود ، فدعاه فقال : كيف تقضى بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث ، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها ، ويبيد أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم ، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه ، أخذ أصحاب الحرث الحرث ، وردوا الغنم إلى أصحابها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث ، وحكم سليمان بجزية الغنم وألبانها لأهل الحرث ، وعليهم رعايتها على أهل الحرث ، ويحرث لهم أهل الغنم ، حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل ، ثم يدفعونه إلى أهله ، ويأخذون غنمهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج بنحوه ، إلا أنه قال : وعليهم رعايتها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان الحرث نبتا ، فنفتت فيه ليلا ، فاخصموا فيه إلى داود ، فقضى بالغنم لأصحاب الحرث ، فرأوا على سليمان ، فذكروا ذلك له ، فقال : لا ؛ تدفع الغنم ، فيصيبون منها ، يعني أصحاب الحرث ، ويقوم هؤلاء على حرثهم ، فإذا كان كما كان ردوا عليهم ، فنزلت ( فَفَهَّمْنَا هَاسِلِيمَانَ ) . حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا ، وكان الحرث كرما ، قال : فجعل داود الغنم لصاحب الكرم ، قال : فقال سليمان : إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه ، وأصل كرمه ، فاجعل له أصوافها وألبانها ، قال : فهو قول الله ( فَفَهَّمْنَا هَاسِلِيمَانَ ) .

حدثنا ابن أبي زياد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن عامر ، قال : جاء رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إن شياه هذا قطعت غزلا لي ، فقال شريح : نهارا أم ليلا ؟ قال : إن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه ، وإن كان ليلا فقد ضمن ، ثم قرأ ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن شريح بنحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . الآية ، النفث بالليل ، والهمل بالنهار . وذكر لنا أن غم القوم وقعت في زرع ليلا ، فرُفِعَ ذلك إلى داود ، ففُضِيَ بالغنم لأصحاب الزرع . فقال سليمان : ليس كذلك ، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجُزأها ، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أُكِيل ، دُفِعَت الغنم إلى ربها ، وقبض صاحب الزرع زرعه ، فقال الله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهري ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : نفست غنم في حرث قوم ، قال الزهري : والنفث لا يكون إلا ليلا ، ففُضِيَ داود أن يأخذ الغنم ، ففهمها الله سليمان ، قال : فلما أُخْبِرَ بقضاء داود ، قال : لا ، ولكن خذوا الغنم ، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : في حرث قوم . قال معمر : قال الزهري : النفث لا يكون إلا بالليل ، والهمل بالنهار . قال قتادة : ففُضِيَ أن يأخذوا الغنم ، ففهمها الله سليمان ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث ابن عبد الأعلى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) . . . الآيتين ، قال : انفلت غنم رجل على حرث رجل ، فأكلته ، فجاء إلى داود ، ففُضِيَ فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت ، وكأنه رأى أنه وجه ذلك . فرأوا سليمان ، فقال : ما قضى بينكم نبي الله ؟ فأخبروه ، فقال : ألا أفضى بينكما ، عسى أن ترضيا به ؟ فقالا : نعم . فقال : أما أنت يا صاحب الحرث ، فخذ غنم هذا الرجل ، فكن فيها كما كان صاحبها ، أصب . من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب ، واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل ، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفست فيه غنمك ، فأعطه حرثه ، وخذ غنمك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) وقرأ حتى بلغ قوله ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : رعت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : النفث : الرعية تحت الليل .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن حرام بن محيصة بن مسعود ، قال : دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته ، فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) ففُضِيَ على البراء بما أفسدت الناقة ، وقال علي أصحاب الماشية حِفْظُ الماشية بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط حِفْظُ حيطانهم بالنهار » .

قال الزهري : وكان قضاء داود وسليمان في ذلك : أن رجلا دخلت ماشيته زرعاً لرجل ، فأفسدته ، ولا



يكون النفوس إلا بالليل ، فارتفعا إلى داود ، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع ، فانصرفا ، فرأى سليمان ، فقال : بماذا قضى بينكما نبي الله ؟ فقالا : قضى بالغنم لصاحب الزرع ، فقال : إن الحكم لعلى غير هذا ، انصرفا معي ، فأتى أباه داود ، فقال : يا نبي الله ، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع ، قال نعم ، قال : يا نبي الله ، إن الحكم لعلى غير هذا ، قال : وكيف يا نبي ؟ قال : تدفع الغنم إلى صاحب الزرع ، فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها ، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه ، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها ، رُدَّت الغنم على صاحب الغنم ، وردَّ الزرع إلى صاحب الزرع ، فقال داود : لا يقطع الله قلبك ، فقضى بما قضى سليمان ، قال الزهري : فذلك قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( حُكْمًا وَعِلْمًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من سمع الحسن يقول : كان الحكم بما قضى به سليمان ، ولم يعنف الله داود في حكمه .  
وقوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا مع داود الجبال والطير ، يسبحن معه إذا سبح .

وكان قتادة يقول في معنى قوله ( يُسَبِّحْنَ ) في هذا الموضع ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) : أي يصلين مع داود إذا صلى .

وقوله ( وَكُنَّا فَاعِلِينَ ) يقول : وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك ، ومسخرنا الجبال والطير في أم الكتاب ، مع داود عليه الصلاة والسلام .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرُوا ؟ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وعلمنا داود صنعة لبوس لكم ، واللبوس عند العرب : السلاح كله ، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا ، يدل على ذلك قول الهذلي :

وَمَعِيَ لَبُوسٌ لِلتَّبِيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ يَجْبِهَتُهُ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلٍ

وإنما يصف بذلك رمحا . وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا : عنى الدروع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

(١) البيت في (اللسان : لبس) . واللبوس : ما يلبس ، واللبوس : الثياب والسلاح ، مذكر ، فإن ذهب به إلى الدرع أنتت وقال الله تعالى : « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ » : قالوا : هي الدرع تلبس في الحروب .  
واستشهد المؤلف بالبيت على أن اللبوس عام في السلاح كله : الدرع والسيوف والرمح والجوشن . والتشبيه في البيت يعطى ما قاله المؤلف ، لأن الشاعر يشبه رمحا بروق الثور المجفل ، يدافع عن نعاجه ، وهي بقر الوحش .

لَكُمْ\* ) . . . الآية ، قال : كانت قبل داود صفائح ، قال : وكان أول من صنع هذا الخلق وسرد داود . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ\* ) قال : كانت صفائح ، فأول من سردها وحلقتها داود عليه السلام .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالياء ، بمعنى : ليحصنكم اللبوس من بأسكم ، ذكره لندكبر اللبوس . وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع : ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالتاء ، بمعنى : لتحصنكم الصنعة ، فأنت لتأنيث الصنعة . وقرأ شيبه بن نصاح وعاصم ابن أبي النجود ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) بالنون ، بمعنى : لتحصنكم نحن من بأسكم .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي : قراءة من قرأه بالياء ، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار ، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني ، وذلك أن الصنعة هي اللبوس ، واللبوس هي الصنعة ، والله هو المحصن به من البأس ، وهو المحصن بتصوير الله إياه كذلك ، ومعنى قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ\* ) ليحرزكم ، وهو من قوله : قد أحصن فلان جاريته . وقد بينا معنى ذلك بشواهد في مضى قبل . والبأس : القتال ، وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ، ليحرزكم إذا لبستموه ، ولقيتم فيه أعداءكم من القتل .

وقوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟ ) يقول : فهل أنتم أيها الناس شاكر والله على نعمته عليكم ، بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب ، وغير ذلك من نعمه عليكم ، يقول : فاشكروني على ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ، وَكُنَّا بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره ( وَ ) سخرنا ( لِسُلَيْمَانَ ) بن داود ( الرِّيحَ عَاصِفَةً ) وعصوفها : شدة هبوبها . ( تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ) يقول : تجري الرياح بأمر سليمان ، إلى الأرض التي باركنا فيها ، يعني : إلى الشام ، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ، ثم تعود به إلى منزله بالشام ، فلذلك قيل ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس ، حتى يجلس إلى سريره ، وكان أمراً غزاً ، قلما يقعد عن الغزو ، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أنه حتى يذله ، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو ، أمر بعسكره ، فضرب له بخشب ، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح ، فدخلت تحت ذلك



الخشب فاحتملته ، حتى إذا استقلت أمر الرُّخاء ، فمدته شهرا في روحته ، وشهرا في غدوته ، إلى حيث أراد ؛ يقول الله عز وجل ( فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ) . قال ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ هَوَى الرِّيحَ غَدُوًّا وَنَهَى الرِّيحَ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ) قال : فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة ، مكتوب فيه كتاب ، كتبه بعض صحابة سليمان ، إما من الجن وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنينا ، ومبنا وجدناه ، غدونا من إصطخر فيقلناه ، ونحن راحلون منه إن شاء الله ، قائلون الشام » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ هَوَى الرِّيحَ عَاصِفَةً ) : . . . إلى قوله ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) قال : ورث الله سليمان داود ، فورثه نبوته وملكه ، وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ هَوَى الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ) قال : عاصفة شديدة . تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ، قال : الشام . واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَكَلِمَاتٍ لِّمَنْ هَوَى الرِّيحَ ) فقراءته عامة قراء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه ، وقراء ذلك عبد الرحمن الأعرج ( الرِّيحُ ) رفعا بالكلام في سليمان ، على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح .

قال أبو جعفر : والقراءة التي لأستجيز القراءة بغيرها في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه :

وقوله ( وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ) يقول : وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان ، من تسخيرنا له ، وإعطائنا ما أعطينا من الملك ، وصلاح الخلق ، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فِعَلْنَا ، ونحن عالمون بكل شيء ، لا يخفى علينا منه شيء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ، وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر ، ويعملون عملا دون ذلك ، من البنيان والتماثيل والمخاريب ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) يقول : وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين ، لا يثودنا حفظ ذلك كله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ : أُنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ (٨٣) فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ ،

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ، وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء، ( رَبِّ إِنِّي مَسَّيَ الضَّرُّهُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ : فَاسْتَجِبْنَا لَهُ ) يقول تعالى ذكره : فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا ، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهه ، وكان الضرّ الذي أصابه ، والبلاء الذي نزل به ، امتحانا من الله له واختبارا .

وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل<sup>١</sup> ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه ، أنه كان صابرا نعم العبد . قال وهب : إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله ، والفضيلة عنده ، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام ، فإذا ذكر الله عبدا بخير ، تلقاه جبرائيل منه ، ثم تلقاه ميكائيل ، وحوّله الملائكة المقربون حافين من حول العرش ، وشاع ذلك في الملائكة المقربين ، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات ، فإذا صلت عليه ملائكة السموات ، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض ، وكان إبليس لا يُحْجَب بشيء من السموات ، وكان يقف فيهنّ حيث شاء ما أرادوا ، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة ، فلم يزل على ذلك يصعد في السموات ، حتى رفع الله عيسى بن مريم ، فحُجِب من أربع ، وكان يصعد في ثلاث ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، حُجِب من الثلاث الباقية ، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ ) ، ولذلك أنكرت الجنّ ما كانت تعرف حين قالت : ( وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِكًا حَرَسًا شَدِيدًا ) . . . إلى قوله ( شِهَابًا رَصَدًا ) :

قال وهب : فلم يرعُ إبليس إلا تجاوبُ ملائكتها بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله ، وأثنى عليه ، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة ، أدركه البغي والحسد ، وصعد سريعا ، حتى وقف من الله مكانا كان يقفه ، فقال : يا إلهي ، نظرت في أمر عبدك أيوب ، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك ، وعافيته فحمدك ، ثم لم تجرّبه بشدة ، ولم تجرّبه ببلاء ، وأنا لك زعيم : لئن ضربته بالبلاء ليكفرنّ بك ولينسينك ، وليعبدنّ غيرك . قال الله تبارك وتعالى له : انطلق ، فقد سلطنتك على ماله ، فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني ، ليس لك سلطان على جسده ، ولا على عقله ، فانقضّ عدوّ الله ، حتى وقع على الأرض ، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البشنيّة من الشام كلها ، بما فيها من شرقها وغربها ، وكان له بها ألف شاة برعاتها ، وخمس مئة فدان ، يتبعها خمس مئة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، وحمل آلة كل فدان أتان ، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك ؛ فلما جمع إبليس الشياطين ، قال لهم : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ، فإنّي قد سلطت على مال أيوب ، فهي المصيبة الفادحة ، والفتنة التي لا يبصر عليها الرجال ؛ قال عفريت من الشياطين : أعطيتُ من القوة ما إذا شئت تحوّلت إعصارا من نار ، فأحرقت كل شيء آتى عليه ، فقال له

(١) عبد الصمد بن معقل ، بكسر القاف التيماني ؛ يروى عن عمه وهب بن منبه وعنه ابن أخيه إسماعيل بن عبد الكريم . وثقه أحمد . مات سنة ثلاث وثمانين ومئة . ( عن الخلاصة ) . وهذا الحديث من أحاديث أهل الكتاب ، رواه وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ، كما قال الثعلبي في عرائس المجالس ( ص ١٥٣ - ١٦٣ ) طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة . وأصله في الكتاب المقدس سفر أيوب ( ٧٩٣ - ٨٢٣ ) .



إبليس : فأت الإبل ورعاتها ، فانطلق يوم الإبل ، وذلك حين وضعت رءوسها ، وثبتت في مراعيها ، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ، تنفخ منها أرواح السموم ، لا يدنو منها أحد إلا احترق ، فلم يزل يُحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ؛ فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها ، ثم انطلق يوم أيوب ، حتى وجده قائما يصلي ، فقال : يا أيوب ، قال : ليبيك ، قال : هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت ، وعبدت ووحدت ، بإيالك ورعاتها ؟ قال أيوب : إنها ماله أعارنيه ، وهو أولى به إذا شاء نزع ، وقد بما ما وطننت نفسي ومالي على القضاء . قال إبليس : وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها ، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها ، فتركت الناس مبهوتين ، وهم وقوف عليها يتعجبون ، منهم من يقول : ما كان أيوب يعبد شيئا ، وما كان إلا في غرور ؛ ومنهم من يقول : لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه ؛ ومنهم من يقول : بل هو فععل الذي فعل ، ليشمت به عدوه ، وليفجع به صديقه . قال أيوب : الحمد لله حين أعطاني ، وحين نزع مني ، وعريانا خرجت من بطن أمي ، وعريانا أعود في التراب ، وعريانا أحشر إلى الله ، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله ، وتجزع حين قبض عاريته ، الله أولى بك ، وبما أعطاك ، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا ، لنقل روحك مع ملك الأرواح ، فأجرني فيك ، وصرت شهيدا ، ولكنه علم منك شرًا ، فأخرك من أجله ، فعراك الله من المصيبة ، وخلصك من البلاء ، كما يخلص الزئوان من القمع الخلاص .

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا ، فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ؟ فإني لم آكليم قلبه . قال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة ما إذا شئت صيحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه ، قال له إبليس : فأت الغنم ورعاتها ، فانطلق يوم الغنم ورعاتها ، حتى إذا سَطَّها صاح صوتا جشمت أموانا من عند آخرها ورعاءها . ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرعاء<sup>١</sup> ، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي ، فقال له القول الأول ، ورد عليه أيوب الرد الأول . ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه ، فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ، فإني لم آكليم قلب أيوب ، فقال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه ، حتى لا أبقى شيئا ؛ قال له إبليس : فأت الفدادين والحراث ، فانطلق يومهم ، وذلك حين قَرَّبوا الفدادين ، وأنشثوا في الحراث ، والأئمن وأولادها رُتوع ، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف ، تنسف كل شيء من ذلك ، حتى كأنه لم يكن . ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحراث ، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي ، فقال له مثل قوله الأول ، ورد عليه أيوب مثل رده الأول .

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ، ولم ينجح منه<sup>٢</sup> ، سعد سريعا ، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه ، فقال : يا إلهي ، إن أيوب يرى أنك مامتته بنفسه وولده<sup>٣</sup> ، فأنت معطيه المال ، فهل أنت مسلط على ولده ؟ فإنها الفتنة المضلة ، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ، ولا يقوى عليها صبرهم ، فقال الله تعالى له : انطلق ، فقد سلطنتك على ولده ، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ، ولا على عقله ؛ فانقض

(١) المراد بقهرمان الرعاء : وكيل صاحب المال ، المختص بتدبير أمر الرعاة .

(٢) (٣٠٢) انظر عبارة الثعلبي المفسر في هذا المقام في عرائس المجالس ص ١٥٥ فإنها أوضح وأدق .

عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى ندأعي من قواعده، ثم جعل يناطح الجُدْر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجنْدَل، حتى إذا مَسَّ لَ بهم كل مُثْلَة، رفع بهم القصر، حتى إذا أفلته بهم، فصاروا فيه منكسرين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه، ودماغه متغير لا يكاد يعرف من شدة التغير، والمثْلَة التي جاء متمثلا فيها؛ فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عدتوا، وكيف مثل بهم، وكيف قلوبوا فكانوا منكسرين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف شققت بطونهم، فتناثرت أعضاؤهم، ولو رأيت كيف قُذِفوا بالخشب والجنْدَل، يشدخ دماغهم، وكيف دق الخشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عُرِيانا، ولو رأيت العظام مهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجُدْر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رقَّ أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه، فاغتم إبليس [الفرصة منه] <sup>١</sup> عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب، مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رُفِع إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا، فقال: يا إلهي، إنما هوّن على أيوب خَطَر المال والولد، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلط على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليسجدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه، ولا على قلبه، ولا على عقله:

فانقضَّ عدو الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجّل قبل أن يرفع رأسه، فأناه من قبيل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فترهل، ونبتت [به] <sup>١</sup> نآ ليل مثل أليات الغم، ووقعت فيه حكمة لا يملكها، فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكّ بالعظام، وحكّ بالحجارة الخشنة، وبقطع المسوح الخشنة، فلم يزل يحكّه حتى نقيّد لحمه وتقطع، ولما تغلّ جلد أيوب، وتغير وأنين، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تلّ، وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه؛ فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه، من غير أن يتركوا دينه وأتهموه، يُقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر <sup>٢</sup>، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فيكتوه؛ فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: ربّ لأى شئ خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حييضة ألقنتني أمي، يا ليتني ميت في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري؟ وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بأبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلطين الذين صُفّت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم بالسيوف، بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين،

(١) انظر عرائس المجالس للثعلبي المفسر ص ١٥٥ .

(٢) وردت أسماء أصحاب أيوب الثلاثة في الكتاب المقدس ص ٧٩٥ وهم: أليفاز التيماني، وبلدد الشوحى، وصوفر النعماني .



حتى ظنوا أنهم سيخلدون ، وأسوة لى بالملوك الذين كذبوا الكنوز ، وطَمَرُوا المطامير ، وجمعوا الجموع ، وظنوا أنهم سيخلدون ، وأسوة لى بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصرن ، وعاشوا فيها المئين من السنين ، ثم أصبحت خرابا ، مأوى للوحوش ، ومثني للشياطين .

قال أليفر التيماني : قد أعيانا أمرك يا أيوب ، إن كَلَّمْنَاكَ فما نرجو للحديث منك موضعا ، وإن نسكت عنك مع الذى نرى فيك من البلاء ، فذلك علينا ، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا ، فانما يحصد امرؤ ما زرع ، ويجزى بما عمل ، أشهد على الله الذى لا يقدر قدر عظمته ، ولا يحصى عدد نعمه ، الذى ينزل الماء من السماء ، فيحيى به الميت ، ويرفع به الخافض ، ويقوى به الضعيف ، الذى تضلّ حكمة الحكماء عند حكمته ، وعلم العلماء عند علمه ، حتى تراهم من العي في ظلمة يموجون ، أن من رجا معونة الله هو القوى ، وإن من توكل عليه هو المكنى ، هو الذى يكسر ويجبر ، ويجرح ويداوى . قال أيوب : لذلك سكتَ فَعَضِضْتُ على لساني ، ووضعيت لسوء الخدمة رأسى ، لأنى علمت أن عقوبته غيرت نور وجهى ، وإن قوته نزعَت قوة جسدى ، فأنا عبده ، ما قضى على أصابى ، ولا قوة لى إلا ما حمل على ، لو كانت عظامى من حديد ، وجسدى من نحاس ، وقلبي من حجارة ، لم أطق هذا الأمر ، ولكن هو ابتلاي ، وهو يحمله عني ، أتيتموني غضا ، رهبتم قبل أن تسترهبوا ، وبكيتم من قبل أن تُضربوا ، كيف بي لو قلت لكم : تصدقوا عني بأموالكم ، لعل الله أن يخلصني ، أو قربوا عني قربانا ، لعل الله أن يتقبله مني ، ويرضى عني ؟ إذا استيقظت تمنيت النوم ، رجاء أن أستريح ، فإذا نمت كادت تجود نفسي ، تقطعت أصابعي ، فلانى لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا ، فما تبلغان في إلا على الجهد مني ، تساقطت كَهَوَاتي ، ونخر رأسي ، فما بين أذني من سداد ، حتى إن إحداهما لُتِرى من الأخرى ، وإن دماغى ليسيل من في ، تساقط شعري عني ، فكأنما حُرِّق بالنار وجهى ، وحدقتاى هما متدليتان على خدى ، ورم لساني حتى ملأ في ، فما أدخل فيه طعاما إلا غصنى ، وورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى ، والسفلى ذقنى ، تقطعت أمعائى فى بطنى ، فلانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ، ما أحسه ولا ينفعنى ، ذهب قوة رجلى ، فكأنهما قربتا ماء ملتنا ، لأطبق حملهما ، أحمل لحافى بيدي وأسنانى ، فما أطبق حمله ، حتى يحمله معى غيرى ، ذهب المال فصرت أسأل بكفى ، فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة ، فيمئتها على ويعبئني ، هلك بنى وبناتي ، ولو بقى منهم أحد أعاننى على بلائى ونفعى ، وليس العذاب بعذاب الدنيا ، إنه يزول عن أهلها ، ويموتون عنه ، ولكن طوبى لمن كانت له راحة فى الدار التى لا يموت أهلها ، ولا يتحولون عن منازلهم ، السعيد من سعد هنالك ، والشقى من شقى فيها .

قال بيلدد : كيف يقوم لسانك بهذا القول ، وكيف تفسح به ، أنتقول إن العدل يجور ، أم تقول إن القوى بضعف ؟ ابك على خطيئتك ، وتضرع إلى ربك عسى أن يرحمك ، ويتجاوز عن ذنبك ، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا فى آخرتك ، وإن كان قلبك قد قسا ، فإن قولنا لن ينفعك ، ولن يأخذ

فيك ، هيات أن تثبت الآجام في المفاوز ، و هيات أن يثبت الـبَرْدَى في القلاة ، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ، ومن جحد الحقّ كيف يرجو أن يوفّي حقه ؟

قال أيوب : إني لأعلم أن هذا هو الحقّ ، لن يفتلج العبد على ربه ، ولا يطبق أن يخاصمه ، فأى كلام لي معه وإن كان إلى القرّة ؟ هو الذي سماك السماء فأقامها وحده ، وهو الذي يكشطها إذا شاء ، فتنطوي له ، وهو الذي سطح الأرض ، فدحاها وحده ، ونصب فيها الجبال الراسيات ، ثمّ هو الذي يزلزها من أصولها ، حتى تعود أسافلها أعاليها ، وإن كان في الكلام ، فأى كلام لي معه ؟ من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة ، فحشاها السموات والأرض وما فيهما من الخلق ، فوسعه وهو في سعة واسعة ، وهو الذي كلّم البحار ففهمت قوله ، وأمرها فلم تعد أمره ، وهو الذي يفقه الحيتان والطيور وكل دابةً ، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله ، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ، ويأمرها فتطيعه .

قال أليفز : عظيم ما تقول يا أيوب ، إن الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول ، إن ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته ، مثل هذه الحدة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة ، عظمت خطيئتك ، وكثرت طلابك ، وغصبت أهل الأموال على أموالهم ، فلبست وهم عراة ، وأكلت وهم جياع ، وحبت عن الضعيف بابك ، وعن الجائع طعامك ، وعن المحتاج معروفك ، وأسرت ذلك وأخفيت في بيتك ، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها ، فظننت أن الله لا يجزبك إلا على ما ظهر منك ، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيب في بيتك ، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون ، وما تحت الظلمات والهواء ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن تكلمت لم ينفعني الكلام ، وإن سكت لم تعذروني ، قد وقع على كيبدي ، وأسخط ربي بخطيئتي ، وأشمت أعدائي ، وأمكنهم من عني ، وجعلتني للبلاء غرّضا ، وجعلتني للفتنة نصيبا ، لم تنفسي مع ذلك ، ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء ، ألم أكن للغريب دارا ؟ وللمسكين قرارا ، ولليتيم وليا ، وللأرملة قيما ؛ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره ، وقرارا مكان قراره ؛ ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله ، وأهلا مكان أهله ؛ وما رأيت يتما إلا كنت له أبا مكان أبيه ، وما رأيت أيما إلا كنت لها قيما ترضى قيامه ، وأنا عبد ذليل ، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان ، لأن المنّ لربي وليس لي ، وإن أسأت فبيده عقوبتي ، وقد وقع علىّ بلاء لو سلّطته على جبل ضعف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفي ؟

قال أليفز : أتحتاج الله يا أيوب في أمره ، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ ، أو تبرئها وأنت غير بريء ؟ خلق السموات والأرض بالحقّ ، وأحصى ما فيهما من الخلق ، فكيف لا يعلم ما أسرت ، وكيف لا يعلم ما عملت ، فيجزيتك به ؟ وضع الله ملائكة صفوفا حول عرشه ، وعلى أرجاء سمواته ، ثم احتجب بالنور ، فأبصارهم عنه كليلة ، وقوتهم عنه ضعيفة ، وعزيزهم عنه ذليل ، وأنت تزعم أن لو خاصمك ، وأدلى إلى الحكم معك ، وهل تراه فتناصفه ؟ أم هل تسمعه فتحاووره ؟ قد عرفنا فيك قضاءه ، إنه من أراد أن يرتفع وضعه ، ومن اتضع له رفعه .



قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ؟ ويسأله عن أمره ، لا يريد غضبه شيء إلا رحمته ، ولا ينفع عبده إلا التضرع له ؛ قال : ربّ أقبل عليّ برحمتك ، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت ؟ أو لأى شيء صرفت وجهك الكريم عني ، وجعلتني لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمني ؟ ليس يغيّب عنك شيء ، تُحصي قطر الأمطار ، وورق الأشجار ، وذرة التراب ، أصبح جلودى كالثوب العفن ، بأيه أمسكت سقط في يدي ، فهب لي قُرْبانا من عندك ، وفرجا من بلائي ، بالقدرة التي تبعث موتى العباد ، وتشر بها ميت البلاد ، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي ، ولا تُفسد عمل يديك ، وإن كنت غنيا عني ، ليس ينبغي في حكمك ظلم ، ولا في نعمتك عَجَل ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، ولا تذكرني خطيئتي وذنوبي ، اذكر كيف خلقتني من طين ، فجعلت مضغة ، ثم خلقت المضغة عظاما ، وكسوت العظام لحما وجلدا ، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدّة ، وربيتني صغيرا ، ورزقتني كبيرا ، ثم حفظت عهدك ، وفعلت أمرك ، فإن أخطأت فبين لي ، ولا تهلكني غمّا ، وأعلمني ذنبي ، فإن لم أرضك ، فأنا أهل أن تعذبني ، وإن كنت من بين خلقك تحصي عليّ ، وأستغفرك فلا تغفر لي ، إن أحسنت لم أرفع رأسي ، وإن أسأت لم تبلعني ربي ، ولم تُقلّني عثرتي ، وقد ترى ضعفي تحتك ، وتضرعي لك ، فلم خلقتني ؟ أو لم أخرجتني من بطن أمي ؟ لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي ، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك ، وليس جسدي يقوم بعذابك ، فارحمي وأذقني طعم العافية ، من قبل أن أصير إلى ضيق القبر ، وظلمة الأرض ، وغمّ الموت .

قال صافر : قد تكلمت يا أيوب ، وما يطيق أحد أن يجبس فك ، تزعم أنك برىء ، فهل ينفعك أن كنت بريئا ، وعليك من يحصى عملك ؟ وتزعم أنك تعلم أن الله يغير لك ذنوبك ، هل تعلم سمك السماء كم بعده ؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده ؟ أم هل تعلم أى الأرض أعرضها ؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به ؟ أم هل تعلم أى البحر أعمقه ؟ أم هل تعلم بأى شيء تحبسه ؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه ، فإن الله خلقه وهو يحصيه ، لو تركت كثرة الحديث ، وطلبت إلى ربك ، رجوت أن يرحمك ، فبذلك تستخرج رحمته ، وإن كنت تقيم على خطيئتك ، وترفع إلى الله يديك عند الحاجة ، وأنت مُصير على ذنبك إصرار الماء الجارى في صَبَب لا يستطيع إحباسه ، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوه الأشرار ، وتظلم عيونهم ، وعند ذلك يسرّ بنجاح حوائجهم ، الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم ، وتقدّموا في التضرع ، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها ، وهم الذين كابدوا الليل ، واعتزلوا الفرش ، وانتظروا الأسفار .

قال أيوب : أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم ، وقد كنت فيما خلا والرجال يُوقروني ، وأنا معروف حتى ، منتصف من خصمي ، قاهر لمن هو اليوم يقهرني ، يسألني عن علم غيب الله لأعلمه ، ويسألني ، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك ، ولكنه يبكي معه ، وإن كنت جادا فإن عقل يقصر عن الذي تسألني عنه ، فسل طير السماء هل تخبرك ؟ وسل وحوش الأرض هل ترّجيع إليك ؟ وسل سباع البرية هل تجيبك ؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عدت ؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته ، وهياه بلطفه :

أما يعلم ابن آدم من الكلام ماسمع بأذنيه ، وما طعم بفيه ، وما شم بأنفه ، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه ، له الحكمة والخبروت ، وله العظمة واللفظ ، وله الجلال والقدرة ، إن أفسد فن ذا الذي يصلح ؟ وإن أعجم فن ذا الذي يُفصِّح ؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه ، وإن أذن لها ابتلعت الأرض ، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه ، وتطيش العلماء عند علمه ، وتعبا الحكماء عند حكمته ، ويخسأ المبتلون عند سلطانه ، هو الذي يذكر المنسى ، وينسى المذكور ، ويجري الظلمات والنور ، هذا علمي ، وخلقته أعظم من أن يحصيه عقلي ، وعظمتها أعظم من أن يقدرها مثلي .

قال بلدد : إن المناق يُجزَى بما أسر من نفاقه ، وتضل عنه العلانية التي خادع بها ، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها ، ويهلك ذكره من الدنيا ، ويظلم نوره في الآخرة ، ويوحش سبيله ، وتوقعه في الأجيولة سريره ، وينقطع اسمه من الأرض ، فلا ذكر فيها ولا عمران ، لا يرثه ولد مصلحون من بعده ، ولا يبق له أصل يعرف به ، ويبت من يراه ، وتقف الأشعار عند ذكره .

قال أيوب : إن أكن غويا فعلى غواي ، وإن أكن برياً فأى منعة عندي ؟ إن صرخت فن ذا الذي يُصرخني ، وإن سكت فن ذا الذي يتعذرنى ، ذهب رجائي وانقضت أحلامي ، وتنكرت لي معارف ، دعوت غلامي ، فلم يجيبني ، وتضرعت لأمتي فلم ترحمي ، وقع على البلاء فرفضوني ، أنتم كنتم أشد على من مصيبي ، انظروا وابتهتوا من العجائب التي في جسدي ، أما سمعتم بما أصابني ، وما شغلكم عنى ما رأيتم بي ؟ لو كان عبد يخاصم ربه ، رجوت أن تغلب عند الحكم ، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سمواته ، وألقاني ها هنا ، وهنئت عليه ، لا هو عذرتني بعذري ، ولا هو أدناني ، فأخاصم عن نفسي : يسمعني ولا أسمع ، ويراني ولا أراه ، وهو محيط بي ، ولو تجلى لي لذابت كليتي ، وصعق روحي ، ولو نفسني فأتكلم بمل في ، ونزع الهيبة مني ، علمت بأى ذنب عذبتني . نودي فقيل : يا أيوب ، قال : لبيك ، قال : أنا هذا قد دنوت منك ، فقم فاشدد أزارك ، وقم مقام جبار ، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد ، والسخال في فم العنقاء ، واللحم في فم الثنين ، ويكيل مكيالا من النور ، ويزن مثقالا من الريح ، ويصر صرة من الشمس ، ويرد أمس لغد ، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه ، تذكرت أى مرام رامت بك ، أردت أن تخاصمني بغيرك ؟ ، أم أردت أن تحاجتي بخطئك ، أم أردت أن تكاثرني بضعفك ، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها ، هل علمت بأى مقدار قدرتها ؟ أم كنت معي تمر بأطرافها ؟ أم تعلم ما بعد زواياها ؟ أم على أى شيء وضعت أكنافها ؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض ؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء ؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لابعلاق ثبتت من فوقها ، ولا يحملها دعائم من تحها ؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها ، أو تسير نجومها ، أو يختلف بأمرك ليها ونهارها ، أين كنت مني يوم سحرت البحار وأنبعت الأنهار ؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها ، أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها ؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ، ونصبت شوامخ الجبال ، هل لك من ذراع تطبيق حملها ؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها ؟ أم أين الماء الذي أنزل من السماء ؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده ؟ أحكمتك



أحصت القطر ، وقسمت الأرزاق ، أم قدرتك تثير السحاب ، وتغشيه الماء ؟ هل تدري ما أصوات الرعود ؟ أم من أى شيء لب البروق ؟ هل رأيت عمق البحور ؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء ؟ أم هل خزنت أرواح الأموات ؟ أم هل تدري أين خزنة الثلج ، أو أين خزائن البرد ؟ أم أين جبال البرد ؟ أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار ، وأين خزنة النهار بالليل ؟ وأين طريق النور ؟ وبأى لغة تتكلم الأشجار ؟ وأين خزنة الريح ، وكيف تحبسه الأغلاق ؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال ؟ ومن شقّ الأسماع والأبصار ؟ ومن ذلّت الملائكة للملكة ؟ وقهر الجبارين بجبروته ؟ وقسم أرزاق الدواب بحكمته ؟ ومن قسم للأسد أرزاقها ؟ وعرف الطير معاشها ، وعطفها على أفراخها ؟ من أعتق الوحش من الخدمة ؟ وجعل مساكنها البرية ؟ لا تستأنس بالأصوات ، ولا تهاب المسلطين ؟ أمن حكمتك تفرّعت أفراخ الطير وأولاد الدواب لأمهاتها ؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها ، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها ، وآثرتها بالعيش على نفوسها ؟ أم من حكمتك يبصر العُقاب ، فأصبح في أماكن القتلى ؟ أين أنت منى يوم خلقت بهموت<sup>١</sup> ، مكانه في منقطع التراب ، والوتيدان<sup>٢</sup> بحملاان الجبال والقرى والعمران ، آذانها كأنها شجر الصنوبر الطوال ، رءوسها كأنها آكام الجبال ، وعروق أفضاذهما كأنها أوتاد الحديد ، وكان جلودهما فليق الصخور ، وعظامهما كأنها عمود النحاس ، هما رأسا خلقى الذين خلقت للقتال ، أنت ملأت جلودهما لحما ؟ أم أنت ملأت رءوسهما دماغا ؟ أم هل لك في خلقهما من شريك ؟ أم لك بالقوة التي عملت لهما يدان ؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تحطم على أنوفهما ، أو تضع يدك على رءوسهما ، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما ، أو تصدّهما عن قوتهما ؟ أين أنت يوم خلقت الثنين ورزقه في البحر ، ومسكنه في السحاب ، عيناه تواقدان نارا ، ومنخره يثوران دخانا ، أذناه مثل قوس السحاب ، يثور منهما هب كأنه إعصار العجاج ، جوفه يحترق ، ونفّسه يلتهب ، وزبده كأمثال الصخور ، وكان صريف أسنانه صوت الصواعق ، وكان نظر عينيه هب البرق ، أسراره لا تدخله الهموم ، تمرّ به الحيوش وهو متكئ ، لا يفرعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التبن ، والنحاس عنده مثل الخيوط ، لا يفرع من النشأب ، ولا يحسّ وقع الصخور على جسده ، ويضحك من النيازك ، ويسير في الهواء كأنه عصفور ، ويهلك كل شيء يمرّ به ملك الوحوش ، وإياه آثرت بالقوة على خلقى ، هل أنت آخذة بأحبولتك فرابطه بلسانه ؟ أو واضع اللجام في شدقه ؟ أتظنه يوفى بعهدهك ؟ أو يسبح من خوفك ؟ هل تحصى عمره ؟ أم هل تدري أجله ؟ أو تفوت رزقه ؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض ؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره ؟ أتطبق غضبه حين يغضب ؟ أم تأمره فيعطيك ؟ تبارك الله وتعالى ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : قصّرت عن هذا الأمر الذي تعرض لى ، ليت الأرض انشقت بى ، فذهبت فى بلائى ، ولم أتكلم بشيء يسخط ربي ، اجتمع علىّ البلاء ، إلهى جعلتنى لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمنى ، وتعرف نصحى ، وقد علمت أن الذى ذكرت صنع يدك ، وتدبير حكمتك ، وأعظم من هذا ما شئت عملت ، لا يعجزك شيء ، ولا يخنى عليك خافية ، ولا تغيب عنك غائبة ، منّ هذا الذى يظنّ أن يسير عنك سرا ، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب ، وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم ، وخفت

(٢) فى الكتاب المقدس ص ٣٨١ : « لويانان » .

(١) فى الكتاب المقدس ص ٨٣١ : « بهموت » .

حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف ، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا ، فأما الآن فهو بصر العين ، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى ، وسكت حين سكت لترحمي ، كلمة زلت فلن أعود ، قد وضعت يدي على فمي ، وعضيت على لساني ، وألصقت بالتراب خدي ، ودست وجهي لصغاري ، وسكت كما أسكنتني خطيئتي ، فاغفر لي ماقلت ، فلن أعود لشيء تكرهه مني .

قال الله تبارك وتعالى : يا أيوب نفذ فيك علمي ، ويحلمي صرفت عنك غضبي ، إذ خطت فقد غفرت لك ، ورددت عليك أهلك ومالك ، ومثلهم معهم ، فاغتسل بهذا الماء ، فإن فيه شفاءك ، وقرب عن صحابتك قربانا ، واستغفر لهم ، فإنهم قد عصوني فيك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن لايئهم ، عن وهب بن منبه النخعي ، وغيره من أهل الكتب الأوّل ، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم ، وكان الله قد اصطفاه ونباه ، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال ، وبسط عليه من الدنيا ، فوسّع عليه في الرزق ، وكانت له البستية من أرض الشام ، أعلاها وأسفلها ، وسهلها وجبلها ، وكان له فيها من أصناف المال كله ، من الإبل والبقر والغنم والحيل والحمير ، ما لا يكون للرجل أفضل منه في العيدة والكثرة ، وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء ، وكان براء تقياً رحيماً بالمساكين ، يطعم المساكين ، ويحمل الأرامل ، ويكفّل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكراً لأنعم الله عليه ، مؤدياً لحق الله في الغنى ، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة ، والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا ، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه ، وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه ، منهم رجل من أهل اليمن يقال له : أليفز ، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما : صوفر ، وللآخر : بيلدد ، وكانوا من بلاده كهولا ، وكان لإبليس عدو الله منزل من السماء السابعة ، يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه ؛ فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه ، فقال الله له : أو قيل له عن الله : هل قدرت من أيوب عبدي على شيء ؟ قال : أي رب ، وكيف أقدر منه على شيء ؟ وإنما ابتليته بالرّخاء والنعمة والسعة والعافية ، وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله ، فإله لا يشكره ويعبدك ويطيعك ، وقد صنعت ذلك به ، لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ، ولترك عبادتك ، ولخرج من طاعتك إلى غيرها ، أو كما قال عدو الله ؛ فقال : قد سلطت على أهله وماله ، وكان الله هو أعلم به ، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ، ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء ، وليجعله عبرة للصابرين ، وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ، ليتأسوا به ، وليرجوا من عاقبة الصبر في عرّض الدنيا ثواب الآخرة ، وما صنع الله بأيوب ، فانحطّ عدو الله سريعا ، فجمع عفاريت الجن ، ومردة الشياطين من جنوده ، فقال : إني قد سلّطت على أهل أيوب وماله ، فإذا عليكم ؟ فقال قائل منهم : أكون إحصارا فيه نار ، فلا أمر بشيء من ماله إلا أهلكته ؛ قال : أنت وذاك ، فخرج حتى أتى إبله ، فأحرقها ورعاتها جميعا ؛ ثم جاء عدو الله إلى أيوب في صورة قيّمه عليها وهو في مصلى ، فقال : يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك ،



فأحرقها ومن فيها غيري ، فجتتك أخبرك بذلك ، فعرفه أيوب ، فقال : الحمد لله الذي هو أعطاها ، وهو أخذها ، الذي أخرجك منها كما يخرج الزؤان من الحبّ النقيّ ، ثم انصرف عنه ، فجعل يصيب ماله مالا مالا ، حتى مرّ على آخره ، كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ، ورضى بالقضاء ، ووطن نفسه بالصبر على البلاء ، حتى إذا لم يبق له مال ، أتى أهله وولده ، وهم في قصر لهم ، معهم حظياتهم وخدمتهم ، فتمثّل ريحا عاصفا ، فاحتمل القصر من نواحيه ، فألقاه على أهله وولده ، فشدخهم تحتهم ، ثم أتاه في صورة قهّرمانيه عليهم ، قد شدخ وجهه ، فقال : يا أيوب ، قد أتت ريح عاصف ، فاحتملت القصر من نواحيه ، ثم ألقته على أهلك وولديك فشدختهم غيري ، فجتتك أخبرك ذلك ، فلم يجزع إلى شيء أصابه ، جزعه على أهله وولده ، وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ، ثم قال : ليت أمي لم تلدني ، ولم أك شيئا ، وسرّ بها عدوّ الله منه ؛ فأصعد إلى السماء جديلا ، وراجع أيوب التوبة مما قال ، فحمد الله ، فسبقت توبته عدوّ الله إلى الله ؛ فلما جاء وذكر ما صنع ، قيل له : قد سبقتك توبته إلى الله ومراجعتك . قال : أي ربّ فسلطني على جسده ، قال : قد سلطتك على جسده ، إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره ؛ فأقبل إليه عدوّ الله وهو ساجد ، فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنيه إلى قدمه ، كحريق النار ، ثم خرج في جسده نارا ليل كاليات الغم ، فحكّ بأظفاره حتى ذهبت ، ثم بالفخّار والحجارة حتى تساقط لحمه ، فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام ، عيناه تجولان في رأسه للنظر ، وقلبه للعقل ، ولم يخلص إلى شيء من حشو البطن ، لأنه لا بقاء للنفس إلا بها ، فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته ، فكث كذلك ما شاء الله أن يمكث .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن ابن دينار ، عن الحسن أنه كان يقول : مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية . قال وهب بن منبه : ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة ، تقوم عليه وتكسب له ، ولا يقدر عدوّ الله منه على قليل ولا كثير مما يريد . فلما طال البلاء عليه وعليها ، وشمها الناس ، وكانت تكسب عليه ماتطعمه وتسقيه . قال وهب بن منبه : فحدثت أنها التمسّت له يوما من الأيام ماتطعمه ، فما وجدت شيئا حتى جزّت قمرنا من رأسها ، فباعته برغيف ، فأنته به ، فعشته إياه ، فلبث في ذلك البلاء تلك السنين ، حتى إن كان المارّ ليمرّ فيقول : لو كان لهذا عند الله خير ، لأراحه مما هوفيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وكان وهب بن منبه يقول : لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا ؛ فلما غلبه أيوب ، فلم يستطع منه شيئا ، اعترض لامرأته في هيئة ليست كههيئة بني آدم في العظم والجسم والطول ، على مركب ليس من مراكب الناس ، له عظم وبهاء وجمال ليس لها ، فقال لها : أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى ؟ قالت نعم ، قال : هل تعرفيني ؟ قالت لا ، قال : فأنا إله الأرض ، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ، وذلك أنه عبد إله السماء وتركني ، فأغضبني ، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعايك كلّ ما كان لكما من مال وولد ، فإنه عندي ، ثم أراها إياهم فيما ترى بيطن الوادي الذي لقبها فيه . قال : وقد سمعت أنه إنما قال : لو أن صاحبك أكل

طعاما ولم يسمّ عليه، لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم. وأراد عدوّ الله أن يأتيه من قبيلها، فرجعت إلى أيوب، فأخبرته بما قال لها وما أراها، قال: أو قد أتاك عدوّ الله، ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عاقاه ليضربنها مئة ضربة، فلما طال عليه البلاء، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه، معهم فتى حديث السن، قد كان آمن به وصدقته، فجالسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء، فأعظموا ذلك وفتّطوا به، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده، وذلك حين أراد الله أن يفرّج عنه ما به، فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه، قال: أي ربّ لأى شيء خلقتني؟ ولو كنت إذ قضيت علىّ البلاء تركتني فلم تخلقني، ليتني كنت دما ألقنتني أمي، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكّر، عن إسماعيل بن عبد الكريم، إلى: وكابدوا الليل، واعتزلوا الفراش، وانتظروا الأبحار، ثم زاد فيه: أولئك الآمنون الذي لا يخافون، ولا يهتمون ولا يحزنون، فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟

قال فتى حضرم، وسمع قولهم، ولم يفتنوا له، ولم يأبوا لجلسه، وإنما قبضه الله لهم، لما كان من جورهم في المنطق وشططهم، فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم، وأن يسفّه بصغره لهم أحلامهم، فلما تكلم تهادى في الكلام، فلم يزد إلا حكما، وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وعظوا أو ذكروا، فقال: إنكم تكلمتم قبل أيها الكهول، وكنتم أحقّ بالكلام وأولى به مني، لحقّ أسنانكم، ولأنكم جريتم قبلي، ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم، وعرفتم ما لم أعرف، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، ومن الموعدة أحكم من الذي وصفتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحقّ والذمّام أفضل من الذي وصفتم، هل تدرون أيها الكهول حقّ من انتقصتم؟ وحرمة من انتهكم؟ ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبيّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، اختاره الله لوجهه، واصطفاه لنفسه، وأتمنه على نبوته، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذآتاه ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذآتاه ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا أن أيوب غيّر الحقّ في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم، ووضع في أنفسكم، فقد علمتم أن الله يتلى النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم، ولا هوأته لهم، ولكنها كرامة وخيريرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة، ولا في النبوة ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة، إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة، لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذّل أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكن يرحمه ويبكى معه، ويستغفر له، ويجزن لحزنه، ويدله على مرأشده أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول في أنفسكم:

قال: ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال: وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت، ما يقطع لسانك، ويكسر قلبك، وينسيك حججك، ألم تعلم يا أيوب أن الله عبادا أسكتهم خشيته من غير عي ولا بتكم؟ وإنهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء، العالمون بالله وبآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله



انقطعت ألسنتهم ، واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم ، إعظاما لله ، وإعزازا وإجلالا ، فإذا استفاقوا من ذلك استتبخوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، يعدّون أنفسهم مع الظالمين والخطائين ، وإنهم لأنزاه برآء ، ومع المقصرين والمفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ، ولكنهم لا يستكثرون الله الكثير ، ولا يرضون الله بالقليل ، ولا يدّ ثون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفرعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى ما رأيتهم يا أيوب .

قال أيوب : إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير ، فتى نبتت في القلب ، يظهرها الله على اللسان ، وليست تكون الحكمة من قبل السن ، ولا الشبيبة ، ولا طول التجربة ، وإذا جعل الله العبد حكيمًا في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء ، وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ، ولكنكم قد أعجبتم أنفسكم ، وظننتم أنكم عوفيتم بإحسانكم ، فهناك بغيم وتغزّتم ، ولونظرتم فيما بينكم وبين ربكم ، ثم صدقتم أنفسكم ، لوجدتم لكم عيوبًا سترها الله بالعافية التي ألبسكم ، ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم ، قد كنت فيما خلا مسموعًا كلامي ، معروفًا حتى ، متصيفًا من خصمي ، قاهرًا من هو اليوم يقهرني ، مهيبًا مكاني ، والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقروني ، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ، ورفع حذري ، وملّتي أهلي ، وعقبت أرحامي ، وتنكرت لي معارف ، ورغب عني صديقي ، وقطعتني أصحابي ، وكفرتني أهل بيّتي ، وجحدت حقوق ، ونسيت صنائعي ، أصرخ فلا يبصّر خونني ، وأعتذر فلا يعذرونني ، وإن قضاءه هو الذي أذلني ، وأقماني ، وأحسناني ، وإن سلطانة هو الذي أسقمني ، وأنحل جسمي ، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري ، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ، ثم كان ينبغي للعبد أن يجاج عن نفسه ، لرجوت أن يعافيني عند ذلك بما بي ، ولكنه ألقاني ، وتعالى عني ، فهو يراني ، ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمع ، لا نظر لي فرحني ، ولا دنا مني ولا أدناني ، فأدلى بعذري ، وأتكلم ببراءتي ، وأخاصم عن نفسي .

لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده ، أظله نعام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ، ثم نودي منه ، ثم قيل له : يا أيوب ، إن الله يقول : ها أنا ذا قد دنوت منك ، ولم أزل منك قريبًا ، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت ، وتكلم ببراءتك ، وخاصم عن نفسك ، واشدد إزارك ، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر ، عن إسماعيل ، إلى آخره ، وزاد فيه : ورحمتي سبقت غضبي ، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، فيه شفاؤك ، وقد وهبت لك أهلك ، ومثلهم معهم ، ومالك ومثله معه : وزعموا : ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ، ولتكون عبرة لأهل البلاء ، وعزاء للصابرين ، فركض برجله ، فانفجرت له عين ، فدخل فيها فاغتسل ، فأذهب الله عنه ، كل ما كان به من البلاء ، ثم خرج فجلس ، وأقبلت امرأته تلتمس في مضجعه ، فلم تجده ، فقامت كالوالهة متلددة ، ثم قالت : يا عبد الله ، هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال : لا ، ثم تبسم ، فدفعته بمضحكه ، فاعتنقته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ،

قال : فحدثت عبد الله بن عباس حديثه ، واعتناقها إياه ، فقال عبد الله : فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقه من عناقه حتى مر بها كل مال لهما وولد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه ، أنه دعاها حين سألت عنه ، فقال لها : وهل تعرفينه إذ رأيتك ؟ قالت : نعم ، ومالي لأعرفه ؟ فتبسم ، ثم قال : ها أنا هو ، وقد فرج الله عني ما كنت فيه ، فعند ذلك اعتنقته . قال وهب : فأوحى الله إليه في قسمه ليضربها في الذي كلمته أن ( وَتَخَذُ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ) أي قد برت يمينك ، يقول الله تعالى ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) يقول الله ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلثَابِ ) .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب مطروحاً على كناسة سبع سنين وأشهرها ما يسأل الله أن يكشف ما به . قال : وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لرب هذا فيه حاجة ، ما صنع به هذا ، فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقي أيوب على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرها مختلف عليه الدواب .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه ، قال : لم يكن بأيوب أكلة ، إنما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم يتقفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا مخلد بن حسين ، عن هشام ، عن الحسن ، وحجاج عن مبارك ، عن الحسن : زاد أحدهما على الآخر قال : إن أيوب آتاه الله مالا ، وأوسع عليه ، وله من النساء والبقر والغنم والإبل ، وإن عدو الله إبليس قيل له : هل تقدر أن تفتن أيوب ؟ قال : رب إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ، ولا يستطيع أن لا يشكرك ، ولكن سلطني على ماله وولده ، فسرى كيف يطعني ويعصيك ، قال : فسلطه على ماله وولده ، قال : فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم ، فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب ، وهو يصلب متشبها براعى الغنم ، فيقول : يا أيوب تصلى لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئا من الغنم إلا أحرقتها بالنيران ، وكنت ناحية فجئت لأخبرك ، قال : فيقول أيوب : اللهم أنت أعطيت ، وأنت أخذت ، مهما تبقى نفسي أحمدك على حسن بلائك ، فلا يقدر منه على شيء مما يريد ، ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ، ويرد عليه أيوب مثل ذلك . قال : وكذلك فعل بالإبل ، حتى ما ترك له من ماشية ، حتى هدم البيت على ولده ، فقال : يا أيوب ، أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت ، حتى هلكوا ، فيقول أيوب مثل ذلك ، قال رب هذا حين أحسنت إلى الإحسان كله ، قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ، ويشغلني حب الولد بالليل ، شفقة عليهم ، فالآن أفرغ سمعي



وبصرى ، ولبلى ونهازى بالذكر والحمد ، والتقدیس والتهلل ، فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيئا مما يريد .

قال : ثم إن الله تبارك وتعالى قال : كيف رأيت أيوب ؟ قال إبليس : أيوب قد علم أنك سترد عليه ماله وولده . ولكن سلطنى على جسده ، فإن أصابه الضر فيه أطاعنى وعصاك ، قال : فسلط على جسده ، فأناه فنسخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه إلى قدمه ، قال : فأصابه البلاء بعد البلاء ، حتى حمل فوضع على ميزبلة كئناسة لبني إسرائيل ، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ، ولا أحد يقربه غير زوجته ، صبرت معه بصدق ، وكانت تأتيه بطعام ، وتحمد الله معه إذا حمد ، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله ، والتحميد والثناء على الله ، والصبر على ما ابتلاه الله . قال الحسن : فصرخ إبليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض ، جزعا من صبر أيوب ، فاجتمعوا إليه وقالوا له : جمعتنا ، ما خبرك ؟ ما أعيالك ؟ قال : أعيانى هذا العبد الذى سألت ربي أن يسلطنى على ماله وولده ، فلم أدع له مالا ولا ولدا ، فلم يزد بذلك إلا صبورا وثناء على الله وتحميدا له ، ثم سلطت على جسده فتركته قرحا ملقاة على كئناسة بني إسرائيل ، لا يقربه إلا امرأته ، فقد افتضحت برى ، فاستعنت بكم ، فأعينونى عليه ، قال : فقالوا له : أين مكرك ؟ أين علمك الذى أهلكت به من مضى ، قال : بطل ذلك كله فى أيوب ، فأشيروا على ، قالوا : نشير عليك ، رأيت آدم حين أخرجته من الجنة ، من أين أتيته ؟ قال : من قبل امرأته ، قالوا : فشأنك بأيوب من قبل امرأته ، فإنه لا يستطيع أن يعصبيها ، وليس أحد يقربه غيرها ، قال : أصبتم ، فانطلق حتى أتى امرأته وهى تصدق ، فتمثل لها فى صورة رجل ، فقال : أين بعلك يا أمة الله ؟ قالت : هو ذاك يحك قروحه ، ويتردد الدواب فى جسده ، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع ، فوقع فى صدرها ، فوسوس إليها ، فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب ، وذكرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو فيه من الضر ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا . قال الحسن : فصرخت ، فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت ، أتاها بسخلة ، فقال : ليذبح هذا إلى أيوب ويبرأ ، قال : فجاءت تصرخ يا أيوب ، يا أيوب ، حتى متى يعذبك ربك ، ألا يرحمك ؟ أين الماشية ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين الصديق ؟ أين لونك الحسن ؟ قد تغير ، وصار مثل الرماد ؟ أين جسمك الحسن الذى قد بلى وتردد فيه الدواب ؟ اذبح هذه السخلة واسترح ، قال أيوب : أتاك عدو الله ، فنسخ فيك ، فوجد فيك رفقا ، وأجبتة ؟ وبيك ! رأيت ماتبكين عليه مما تذكرين ، مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب ؟ من أعطانيه ؟ قالت : الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : فذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذى ابتلانا به ؟ قالت : منذ سبع سنين وأشهر ، قال : وبيك ! والله ما عدلت ، ولا أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون فى هذا البلاء الذى ابتلانا ربنا به ثمانين سنة ، كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة ؟ والله لئن شفانى الله لأجلدنك مئة جلدة ، هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله ، طعامك وشرابك الذى تأتيني به على حرام ، وأن أذوق ما تأتيني به بعد ، إذ قلت لى هذا فاغرئنى ، فلا أراك ، فطردها ، فذهبت ، فقال الشيطان : هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذى هو فيه ،

فباء بالغلبة ورفضه . ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها ، وليس عنده طعام ، ولا شراب ، ولا صديق . قال الحسن : ومرّ به رجلان وهو على تلك الحال ، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب ، فقال أحد الرجلين لصاحبه : لو كان لله في هذا حاجة ، ما بلغ به هذا ، فلم يسمع أيوب شيئا كان أشدّ عليه من هذه الكلمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان لأيوب أخوان ، فأتياه ، فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريح ، فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى ، قال : فما جزع أيوب من شيء أصابه ، جزعه من كلمة الرجل ، فقال أيوب : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شيعة قطّ وأنا أعلم مكان جائع فصدقتني ، فصدّق وهما يسمعان ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قطّ وأنا أعلم مكان عار فصدقتني ، فصدّق وهما يسمعان ، قال : ثم خرّ ساجدا .

فحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : فحدثني مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : فقال ( رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ) ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال ( وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن جرير ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : فقيل له : ارفع رأسك ، فقد استجيب لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ومخلد ، عن هشام ، عن الحسن ، دخل حديث أحدهما في الآخر قال : فقيل له ( أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ) فركض برجله ، فنبعت عين ، فاغتسل منها ، فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط ، فأذهب الله كل ألم وكل سقم ، وعاد إليه شبابه وجماله ، أحسن ما كان وأفضل ما كان ، ثم ضرب برجله ، فنبعت عين أخرى فشرب منها ، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج ، فقام صحيحا ، وكسبي حلة ، قال : فجعل يتلفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له ، حتى والله ذُكر لنا أن الماء الذي اغتسل به ، تطاير على صدره جرادا من ذهب ، قال : فجعل يضمه بيده ، فأوحى الله إليه : يا أيوب ألم أغنك ؟ قال : بلى ، ولكنها بركتك ، فمن يشبع منها . قال : فخرج حتى جلس على مكان مشرف ، ثم إن امرأته قالت : أرايت إن كان طردني إلى من أكله ؟ أذعه يموت جوعا ، أو يضيع فتأكله السباع ؟ لأرجعن إليه فرجعت ، فلا كُنْاسة ترى ، ولا من تلك الحال التي كانت ، وإذا الأمور قد تغيرت ، فجعلت تطوف حيث كانت الكُنْاسة وتبكي ، وذلك بعين أيوب ، قالت : وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأل عنه ، فأرسل إليها أيوب فدعاها ، فقال : ما تريدن يا أمة الله ؟ فبكت وقالت : أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكُنْاسة ، لأدرى أضع ، أم ما فعل ؟ قال لها أيوب : ما كان منك ؟ فبكت وقالت : بعل ، فهل رأيت ؟ وهي تبكي ، إنه قد كان هاهنا ، قال : وهل تعرفينه إذا رأيتيه ؟ قالت : وهل يخفى على



أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهايه ، ثم قالت : أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا . قال : فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح للشيطان ، وإني أطعت الله وعصيت للشيطان ، فدعوت الله ، فردّ على ماترين ؛ قال الحسن : ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء ، أن أمره تخفيفا عنها ، أن يأخذ جماعة من الشجر ، فيضربها ضربة واحدة ، تخفيفا عنها بصبرها معه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي مُسَيِّئٌ ضُرَّ ) ... إلى آخر الآيتين ، فإنه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب ، أنساه الله الدعاء أن يدعو ، فيكشف ما به من ضرّ ، غير أنه كان يذكر الله كثيرا ، ولا يزيد البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان ؛ فلما انتهى الأجل ، وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرّ ، أذن له في الدعاء ، ويسّره له ، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى : لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ، ثم لأستجيب له ، فلما دعا استجاب له ، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم ، وأثنى عليه فقال : ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) .

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) أهم أهله الذين أوتيتهم في الدنيا ، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة ؟ فقال بعضهم : إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا ، فإنهم لم يردّوا عليه في الدنيا ، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتبه إياهم في الآخرة .

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة ، يسأله عن قول الله لأيوب ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) فقال : قيل له : إن أهلك لك في الآخرة ، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وآتيناك مثلهم في الدنيا ، فقال : يكونون لي في الآخرة ، وأوتى مثلهم في الدنيا ، قال : فرجع إلى مجاهد ، فقال أصاب . وقال آخرون : بل ردّهم إليه بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أهله بأعيانهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، لما دعا أيوب استجاب الله له ، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أحياءهم بأعيانهم ، وردّ إليه مثلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ

(١) هذا يناسب الاستنباط على عدم ردّهم بأعيانهم ، فلعله مؤخر من تقديم .

مَعَهُمْ) قال : قيل له : إن شئت أحييناهم لك ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وتعطى مثلهم في الدنيا ، فاختر أن يكونوا في الآخرة ، ومثلهم في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال الحسن وقاتادة : أحيا الله أهله بأعيانهم ، وزاده إليهم مثلهم .  
وقال آخرون : بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله ، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن الحسن ( ( وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) ) قال : من نسلهم .

وقوله (رَحْمَةً) نصبت بمعنى : فعلنا بهم ذلك رحمة منا له . وقوله (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) يقول : وتذكرة للعابدين ربهم ، فعلنا ذلك به ليعتبروا به ، ويعلموا أن الله قد يتلى أوليائه ، ومن أحب من عباده في الدنيا ، بضروب من البلاء ، في نفسه وأهله وماله ، من غير هوان به عليه ، ولكن اختيارا منه له ، ليبلغ بصبره عليه ، واحتسابه إياه ، وحسن يقينه ، منزلة التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده .  
وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، في قوله (رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) قال : أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل : قد أصاب من هو خير منا ، نبيا من الأنبياء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ، إِنَّهُمْ

مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)

يعنى تعالى ذكره بإسماعيل : إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد ، وإدريس : أخنوخ ، وبذى الكفل : رجلا تكفل من بعض الناس ، إما من نبي وإما من ملك من صالحى الملوك ، يعمل من الأعمال ، فقام به من بعده ، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به ، وجعله من المعدودين في عباده ، مع من حمد صبره على طاعة الله . وبالذى قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء .

#### ذكر الرواية بذلك عنهم

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث « أن نبيا من الأنبياء ، قال : من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ، فقام شاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لي أن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لي أن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب ، فقال : أنا ، فقال : تقوم الليل ، وتصوم النهار ، ولا تغضب



فات ذلك النبيّ ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس ، فكان لا يغضب . فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيّل ، فضرب الباب ضربا شديدا ، فقال : من هذا ؟ فقال : رجل له حاجة ، فأرسل معه رجلا ، فقال : لأرضى بهذا الرجل ، فأرسل معه آخر ، فقال : لأرضى بهذا ، فخرج إليه فأخذ بيده ، فانطلق معه ، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب ، فسُمّي ذا الكفل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا داود ، عن مجاهد ، قال : لما كبر اليسع قال : «لو أنى استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي ، حتى أنظر كيف يعمل ، قال : فجمع الناس ، فقال : من يتقبّل لي بثلاث أستخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب .» قال : فقام رجل تزدرية العين ، فقال : أنا ، فقال : أنت تصوم النهار ، وتقوم الليل ، ولا تغضب ؟ قال : نعم ، قال : فردّهم ذلك اليوم ، وقال مثلها اليوم الآخر ، فسكت الناس وقام ذلك الرجل ، فقال : أنا ، فاستخلفه . قال : فجعل إبليس يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فأعياهم ، فقال : دعوني وإياه ، فأناه في صورة شيخ كبير فقير ، فأناه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النوم ، فدقّ الباب ، فقال من هذا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم ، قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقصّ عليه ، فقال : إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني ، وفعلوا بي وفعلوا ، فجعل يطوّل عليه ، حتى حضر الرّواح ، وذهبت القائلة ، وقال : إذا رحمت فأنتي آخذ لك بحقك ، فانطلق وراح ، فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ، فلم يره ، فجعل يبتغيه : فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس ويفتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة ، فأخذ مضجعه ، أناه فدقّ الباب ، فقال : من هذا ؟ قال : الشيخ الكبير المظلوم ، ففتح له ، فقال : ألم أقل لك إذا قعدت فأنتي ، فقال : إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد ، قالوا : نحن نعطيك حقك ، وإذا قمت جحدوني ، قال : فانطلق فإذا رحمت فأنتي ، قال : ففاته القائلة ، فراح فجعل ينظر فلا يراه ، فشقّ عليه النعاس ، فقال لبعض أهله : لاتدعنّ أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شقّ على النوم ، فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل وراءك ، فقال : إني قد أتيت أمس ، فذكرت له أمرى ، قال : والله لقد أمرنا أن لاندع أحدا يقربه ، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت ، فقسور منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدقّ الباب ، قال : واستيقظ الرجل فقال : يا فلان ، ألم أمرك ؟ قال : أما من قبلي والله فلم تُؤت ، فانظر من أين أتيت ، قال : فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا هو معه في البيت ، فعرفه فقال : أعدو الله ؟ قال : نعم أعييني في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك ، فسماه ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوقي به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : ( وَذَا الْكِفْلِ ) قال رجل صالح غير نبيّ ، تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ، ويقمه لهم ، ويقضى بينهم بالعدل ، ففعل ذلك ، فسُمّي ذا الكفل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : ويقضى بينهم بالحق .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن  
 قيس قال : كان في بني إسرائيل ملك صالح ، فكبر ، فجمع قومه فقال : أيكم يكفل لي بملكي هذا ،  
 على أن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب ؟ قال : فلم يبق أحد  
 إلا فتى شاب ، فازدراه لحدائثه سنة . فقال : أيكم يكفل لي بملكي هذا ، على أن يصوم النهار ، ويقوم  
 الليل ، ولا يغضب ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ، فلم يبق إلا ذلك الفتى ؛ قال : فازدراه ، فلما  
 كانت الثالثة قال مثل ذلك ، فلم يبق إلا ذلك الفتى ، فقال : تعال ، فخل بينه وبين ملكه ، فقام الفتى  
 ليلة ؛ فلما أصبح جعل يحكم بين بني إسرائيل ؛ فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، فأناه الشيطان في صورة  
 رجل من بني آدم ، ف جذب ثوبه ، فقال : أتنام والخصوم ببابك ؟ قال : إذا كان العشي فأنتي ، قال :  
 فانتظره بالعشي فلم يأته ؛ فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، جذب ثوبه وقال : أتنام والخصوم على بابك ؟  
 قال : قلت لك : اتنى العشي فلم تأتني ، اتنى بالعشي ؛ فلما كان بالعشي انتظره فلم يأت ؛ فلما دخل  
 ليقيل جذب ثوبه ، فقال : أتنام والخصوم ببابك ؟ قال : أخبرني من أنت ، لو كنت من الإنس سمعت  
 ما قلت ، قال : هو الشيطان ، جئت لأفتنك ، فعصمك الله مني . فقضى بين بني إسرائيل بما أنزل الله زمانا  
 طويلا ، وهو ذو الكفل ، سمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال وهو  
 يخطب الناس : إن ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ،  
 كان يصلي لله كل يوم مئة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفالته إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، قال : أمأ ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل  
 ميسك ؛ فلما حضره الموت ، قال : من يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل ، ولا يغضب ، ويصلي كل يوم  
 مئة صلاة ، فقال ذو الكفل : أنا ، فجعل ذو الكفل يقضى بين الناس ، فإذا فرغ صلى مئة صلاة ، فكاده  
 الشيطان ، فأمهله حتى إذا قضى بين الناس ، وفرغ من صلاته ، وأخذ مضجعه فنام ، أتى الشيطان بابه  
 فجعل يده ، فخرج إليه ، فقال : ظلمت وصنع بي ، فأعطاه خاتمه وقال : اذهب فأنتي بصاحبك ،  
 وانتظره ، فأبطأ عليه الآخر ، حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه ، أتى الباب أيضا كي يغضبه ، فجعل  
 يده ، وخدش وجه نفسه ، فسالت الدماء ، فخرج إليه فقال : مالك ؟ فقال : لم يتبعني ، وضربت وفعل ،  
 فأخذه ذو الكفل ، وأنكر أمره ، فقال : أخبرني من أنت ؟ وأخذه أخذا شديدا ، قال : فأخبره من هو .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَذَا الْكِفْلِ )  
 قال : قال أبو موسى الأشعري : لم يكن ذو الكفل نبيا ، ولكنه كتمل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مئة  
 صلاة ، فوفى ، فكفل بصلاته ، فلذلك سمي ذا الكفل ، ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، عطفًا على



أيوب ، ثم استؤنف بقوله (كُلٌّ) ، فقال (كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله .

وقوله ( وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، والهاء والميم عائدتان عليهم ( فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ) يقول : لأنهم ممن صلح ، فأطاع الله ، وعمل بما أمره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ، فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد ذا النون ، يعنى صاحب النون ، والنون: الحوت . وإنما عنى بذى النون : يونس بن متى ، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع . وقوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) يقول : حين ذهب مغاضبا . واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا ، وعن كان ذهابه ، وعلى من كان غضبه ، فقال بعضهم : كان ذهابه عن قومه ، وإياهم غاضب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) يقول : غضب على قومه . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا ) أما غضبه ، فكان على قومه . وقال آخرون : ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه .

ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله ، يعنى يونس إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك ، أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فأخرج من بين أظهرهم ، فأعلم قومه الذى وعده الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمسوه ، فإن خرج من بين أظهركم ، فهو والله كائن ما وعدكم ، فلما كانت الليلة التى وعدوا بالعذاب فى صباحها أدلج وراة القوم ، فخرجوا من القرية إلى بتراز من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عرجوا إلى الله ، فاستقالوه ، فأقالهم ، وتنظر يونس الخبير عن القرية وأهلها ، حتى مر به مار ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبهم فخرج من بين أظهرهم ، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بتراز من

الأرض ، ثم فرّقوا بين كل ذات ولد وولدها ، وعَجَّوا إلى الله ، وتابوا إليه ، فقبل منهم ، وأخّر عنهم العذاب ؛ قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لأرجع إليهم كذّابا أبدا ، وعدتهم العذاب في يوم ، ثم ردّ عنهم ، ومضى على وجهه مغاضبا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واسترّجه الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، في قوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ) قال : مغاضبا لربه .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، فذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، وزاد فيه : قال : فخرج يونس ينظر العذاب ، فلم ير شيئا ، قال : جرّبوا على كذبا ، فذهب مغاضبا لربه ، حتى أتى البحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن وهب بن منبه التيمي ، قال : سمعته يقول : إن يونس بن متى كان عبدا صالحا ، وكان في خلقه ضيق ؛ فلما حملت عليه أثقال النبوة ، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل ، تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل ، ففقدتها بين يديه ، وخرج هاربا منها ، يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ) : أي لا تلق أمرى كما ألقاه ، وهذا القول ، أعنى قول من قال : ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، أشبه بتأويل الآية ، وذلك لدلالة قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) على ذلك ، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه ، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبيّ من الأنبياء ربه ، واستعظاما له . وهم بقيلهم إنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا ، وذلك أن الذين قالوا : ذهب مغاضبا لربه ، اختلفوا في سبب ذهابه كذلك . فقال بعضهم : إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قومه قد جرّبوا عليه الخلف فيما وعدهم ، واستحيا منهم ، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء . وقال بعض من قال هذا القول : كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جرّبوا عليه الكذب ، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب ، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع .

وقال آخرون : بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه ، ويدعوهم إليه ، فسأل ربه أن ينظره ، ليتأهب للشخص إليهم ، فقبل له : الأمر أسرع من ذلك ، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها ، فقبل له نحو القول الأول ، وكان رجلا في خلقه ضيق ، فقال : أعجلني ربي أن آخذ نعلا ، فذهب مغاضبا .

(١) الربيع : ولد الناقة أول ما جعل عليه .



ومن ذكر هذا القول عنه : الحسن البصرى ، حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا الحسن بن موسى ، عن أبي هلال ، عن شهر بن حوشب ، عنه .

قال أبو جعفر : وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا : ذهب مغاضبا لقومه ، لأن ذهابه عن قومهم مغاضبا لهم ، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ، ليلبغهم رسالته ، ويحذرهم بأسه وعقوبته ، على تركهم الإيمان به ، والعمل بطاعته لاشك أن فيه ما فيه ، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة ، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ( وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ) ويقول : ( فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَكَلَّوْا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَكَلْبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) .

وقوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه ، من قولهم قدرت على فلان : إذا ضيقت عليه ، كما قال الله جل ثناؤه ( وَمَنْ قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُسْفِكْ ) مما آتاه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم وفراره ، وعقوبته أخذ النون إياه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : فظن أن لن نعاقبه بذنبه .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : ثنى شعبة ، عن مجاهد ، ولم يذكر فيه الحكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : يقول : ظن أن لن نعاقبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قالوا : ظن أن لن نقضى عليه العقوبة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن الله لن يقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه ، وفراقه إياهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : البلاء الذي أصابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظن أنه يُعجز ربه ، فلا يقدر عليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واستزله الشيطان ، حتى ظن أن لن نقدر عليه ، قال : وكان له سلف وعبادة وتسييح ، فأبى الله أن يدعه للشيطان ، فأخذه فقذفه في بطن الحوت ، فكث في بطن الحوت أربعين ، من بين ليلة ويوم ، فأمسك الله نفسه ، فلم يقتله هناك ، فتاب إلى ربه في بطن الحوت ، وراجع نفسه ، قال : فقال ( سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) قال : فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته ، بما كان سلف من العبادة والتسييح ، فجعله من الصالحين . قال عوف : وبلغني أنه قال في دعائه : وبنييت لك مسجدا في مكان لم بينه أحد قبلي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هود ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) وكان له سلف من عبادة وتسييح ، فتداركه الله بها ، فلم يدعه للشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن إياس بن معاوية المدني ، أنه كان إذا ذكر عنده يونس ، وقوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول إياس : فليم فر؟ وقال آخرون : بل ذلك بمعنى الاستفهام ، وإنما تأويله : أظن أن لن نقدر عليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : هذا استفهام ، وفي قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : استفهام أيضا .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : عسى به : فظن يونس أن لن نجسه ونضيق عليه ، عقوبة له على مغاضبته ربه .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة ، لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر ، وقد اختاره لنبوته ، ووصفه بأن ظن أن ربه يعجز عما أراد به ، ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر ، وغير جائز لأحد وصفه بذلك . وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة ، إلا وقد أبقّت دليلا على أنه مراد في الكلام ، فإذا لم يكن في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) دلالة على



أن المراد به الاستفهام ، كما قال ابن زيد : كان معلوما أنه ليس به ، وإذ فسد هذان الوجهان ، صحح الثالث ، وهو ما قلنا .

وقوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات ، فقال بعضهم : عنى بها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وكذلك قال أيضا ابن جرير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نادى في الظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ( لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا محمد بن رفاعه ، قال : سمعت محمد ابن كعب يقول في هذه الآية ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر ، قالوا : فذلك هو الظلمات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد . ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : أوحى الله إلى الحوت أن لا تضرب له لحما ولا عظما ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ، قال ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات : ( أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات : بطن الحوت ، وبالأخرى : ظلمة البحر ، وفي الثالثة اختلاف ، وجائز أن تكون تلك الثالثة : ظلمة الليل ، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر ، ولا دليل يدل على أى ذلك من أى ، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ) يقول : نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه ، تائباً من خطيئته .  
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) : في معصيتي إياك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ،  
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ( نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك ) ، إني  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) : معترفا بذنبه ، تائباً من خطيئته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال أبو معشر : قال محمد بن قيس ،  
قوله (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ) ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ( إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ )  
حين عصيتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، قال : لما صار  
يونس في بطن الحوت ، ظن أنه قد مات ، ثم حرك رجله ، فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى : يا رب  
اتخذت لك مسجداً في موضع ما اتخذته أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق عن حدثه ، عن عبد الله بن رافع ، مولى  
أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « لَمَّا أَرَادَ اللهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، أَوْحَى اللهُ إِلَى الْحُوتِ : أَنْ خُذْهُ ،  
وَلَا تَخْذِشْ لَهُ لَحْمًا ، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا ، فَأَخَذَهُ ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ الْبَحْرِ »  
فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ ، سَمِعَ يُونُسَ حَسًّا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ :  
فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ ، قَالَ : فَسَبَّحَ وَهُوَ  
فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا  
بَارِئٍ غَرِيبَةٍ ، قَالَ : ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ ، عَصَانِي فَحَبَسْتَهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ،  
قَالُوا : الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ قَالَ :  
نَعَمْ ، قَالَ : فَسَمِعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْحُوتَ ، فَقَدَفَهُ فِي السَّاحِلِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى : وَهُوَ سَقِيمٌ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَجِبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : ( فاستجبنا ) ليونس دعاءه إيانا ، إذ دعانا في بطن الحوت ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ  
الْغَمِّ ) الذي كان فيه ، بنجسناه في بطن الحوت ، ونعمه بخطيئته وذنبه ( وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) : يقول  
جل ثناؤه : وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا ، كذلك نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ  
من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا .



وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعيّ ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا بشر بن منصور ، عن عليّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعد بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى . قال : فقلت : يا رسول الله ، هي ليونس بن متى خاصة ، أم لجماعة المسلمين ؟ قال : هي لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خاصة ، وللمؤمنين عامة إِذَا دَعَوْا بِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَيْلَهُ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) ، فهو شرط الله لمن دعاه بها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) فقرأت ذلك قراء الأمصار ، سوى عاصم ، بنونين الثانية منهما ساكنة ، من أنجينا ، فنحن ننجيه . وإنما قرءوا ذلك كذلك ، وكتابته في المصاحف بنون واحدة ، لأنه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم ، بمعنى ما لم يسم فاعله ، كان « المؤمنون » رفعا ، وهم في المصاحف منصوبون ، ولو قرئ بنون واحدة ، وتخفيف الجيم ، كان الفعل للمؤمنين ، وكانوا رفعا ، ووجب مع ذلك أن يكون قوله « نجى » مكتوبا بالألف ، لأنه من ذوات الواو ، وهو في المصاحف بالياء .

فإن قال قائل : فكيف كتب ذلك بنون واحدة ، وقد علمت أن حكم ذلك إذا قرئ (نُجِّي) أن يكتب بنونين ؟ قيل : لأن النون الثانية لما سكنت ، وكان الساكن غير ظاهر على اللسان ، حذفت كما فعلوا ذلك بإلا ، فحذفوا النون من « إن » لخفتها ، إذ كانت مندخمة في اللام من « لا » ، وقرأ ذلك عاصم (نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) بنون واحدة ، وتثقيب الجيم ، وتسكين الياء ، فإن يكن عاصم وجه قراءته ذلك إلى قول العرب ، ضرب الضرب زيدا ، فكفى عن المصدر الذي هو النجاء ، وجعل الخبر ، أعنى خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين ، كأنه أراد : وكذلك نُجِّي النجاء المؤمنين ، فكفى عن النجاء ، فهو وجه ، وإن كان غيره أصوب ، وإلا فإن الذي قرأ من ذلك على ما قرأه لحن ، لأن المؤمنين اسم على القراءة التي قرأها ما لم يسم فاعله ، والعرب ترفع ما كان من الأسماء كذلك ، وإنما حمل عاصم على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القراء ، إلحاق نون أخرى ليست في المصحف ، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف ، ولم يعرف لحذفها وجهها يصرفه إليه .

يُحِبُّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي لَا أُسْتَجَبُ بِغَيْرِهَا فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ ، مِنْ قِرَاءَتِهِ بِنُونَيْنِ ، وَتَخْفِيفِ الْجِيمِ ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهَا ، وَتَخَطُّبِهَا خِلَافَهُ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي، وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا  
وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه : ( رَبِّ  
لَا تَدْرِي ) وحيدا ( فَرَدًّا ) لا ولد لي ولا عقب ( وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ) يقول : فارزقني وارثا من  
آل يعقوب يرثني ، ثم رد الأمر إلى الله ، فقال : وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، يقول الله جل ثناؤه : فاستجبنا  
لزكريا دعاءه ، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه ، وأصلحنا له زوجه .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) ، فقال  
بعضهم : كانت عقيبا فأصلحها ، بأن جعلها وكودا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر ، عن عمار ، عن سعيد ،  
في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : كانت لا تلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في  
قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : وهبنا له ولدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) :  
كانت عاقرا ، فجعلها الله وكودا ، ووهب له منها يحيى .

وقال آخرون : كانت سيئة الخلق ، فأصلحها الله له ، بأن رزقها حُسن الخلق .

وقال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أصلح لزكريا زوجه ، كما أخبر تعالى  
ذكره ، بأن جعلها ولودا حسنة الخلق ، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها ، ولم يخص الله جل ثناؤه  
بذلك بعضا دون بعض في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة ، فهو على  
العموم ، ما لم يأت ما يجب التسليم له ، بأن ذلك مراد به بعض دون بعض .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول الله : إن الذين سميناهم ، يعني زكريا وزوجه ،  
ويحيى ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقرّبهم إلينا . وقوله ( وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) :  
يقول تعالى ذكره : وكانوا يعبدوننا رغبًا ورهبا ، وعسى بالدعاء في هذا الموضع : العبادة ، كما قال :  
( وَأَعْتَبْزِلْكُمْ وَمَاتَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، وَأَدْعُوا رَبِّي ، عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا )  
ويعنى بقوله ( رَغَبًا ) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ( وَرَهَبًا ) يعنى رهبة  
منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته ، وركوبهم معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( لَأَتَهُمْ \* كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْحَيَاتِ ، وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : رغبا في رحمة الله ، ورهبا من عذاب الله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : خوفا وطمعا ، قال : وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَغَبًا وَرَهَبًا ) بفتح الغين والهاء من الرغَب والرهب . واختلف عن الأعمش في ذلك ، فرُوي عنه الموافقة في ذلك للقراء ، وروى عنه أنه قرأها رُغْبًا ورُهْبًا بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء .  
والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك الفتح في الحرفين كليهما .  
وقوله ( وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) يقول : وكانوا لنا متواضعين متذللين ، ولا يستكبرون عن عبادتنا .  
ودعائنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا، وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر التي أحصنت فرجها ، يعنى مريم بنت عمران . ويعنى بقوله ( أَحْصَنَتْ ) : حفظت ، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها لإباحته فيه .  
واختلف في الفرج الذى عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم : عنى بذلك فرج نفسها ، أنها حفظته من الفاحشة .

وقال آخرون : عنى بذلك جيب درعها ، أنها منعت جبرئيل منه ، قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقيل أن تثبته معرفة . قالوا : والذى يدل على ذلك قوله ( فَتَفَخْنَا فِيهَا ) ويعقب ذلك قوله ( وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ) قالوا : وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام : والى أحصنت جيبها ( فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) .  
قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك ، قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام . ( فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) يقول : فنفخنا في جيب درعها من روحنا . وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله ( فَتَفَخْنَا فِيهَا ) في غير هذا الموضع ، والأولى بالصواب من القول في ذلك ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .  
وقوله ( وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول : وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمى زمانهما ، يعتبرون بهما ، ويتفكرون في أمرهما ، فيعلمون عظيم سلطانتنا وقدرتنا على ما نشاء : وقيل آية ، ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين ، لأن معنى الكلام : جعلناهما علكما لنا وحجة ، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله ، وعلى عظيم قدرته ، يقوم مقام الآخر ، إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : إن هذه مِلَّتكم ملة واحدة ، وأنا ربكم أيها الناس ، فاعبدون دون الآلهة والأوثان ، وسائر ما تعبدون من دوني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) يقول : دينكم دين واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال : دينكم دين واحد ، ونصبت الأمة الثانية على القطع ، وبالنصب قرأه جماعة قرآء الأمصار ، وهو الصواب عندنا ، لأن الأمة الثانية نكرة ، والأولى معرفة . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها ، كان وجه الكلام النصب ، هذا مع إجماع الحجة من القرآء عليه . وقد ذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه ( أُمَّةً وَاحِدَةً ) بنية تكرير الكلام ، كأنه أراد : إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ، كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : وتفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزابا ، فهودت اليهود ، وتنصرت النصارى ، وعبدت الأوثان ، ثم أخبر جل ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال : تقطعوا : اختلفوا في الدين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ، وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه



في أمره ونبيه ، وهو مقرّ بوحداية الله ، مصدّق بوعدده ووعيده ، متبرئ من الأنداد والآلهة ( فلا كُفْرَانٌ لِسَعْيِهِ ) يقول : فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجحدده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ( وإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ) يقول : ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا ، لنجزيه على صغير ذلك وكبيره ، وقليله وكثيره .

قال أبو جعفر : والكفران : مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفّره كُفْرًا وكُفْرَانًا ، ومنه قول الشاعر :

مِنَ النَّاسِ نَاسٌ مَا تَنَامُ خُدُودُهُمْ وَخَدَّيْ وَلَا كُفْرَانَ لَهِ نَائِمٌ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَحَرَّمَ ) ، فقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( وَحَرِّمٌ ) بكسر الحاء . وقراء ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَحَرَامٌ ) بفتح الحاء والألف .

والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مشهورتان متفقنا المعنى ، غير مختلفيه ، وذلك أن الحَرِّمَ هو الحرام ، والحرام هو الحَرِّمُ ، كما الحلّ هو الحلال ، والحلال هو الحلّ ، فبأيهما قرأ القارئ فصيح . وكان ابن عباس يقرؤه ( وَحَرِّمٌ ) بتأويل : وعزّم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علي ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَرِّمٌ عَلَى قَرْيَةٍ ) قال : فقلت لسعيد : أي شيء حَرِّمٌ ؟ قال : عزّم . حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَرِّمٌ عَلَى قَرْيَةٍ ) قلت لأبي المعلى : ما الحَرِّمُ ؟ قال : عزّم عليها . حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية ( وَحَرِّمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلا يرجع منهم راجع ، ولا يتوب منهم نائب .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) قال : لم يكن ليرجع منهم راجع ، حرام عليهم ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، قال : ثنا جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر عن الرجعة ، فقرأ هذه الآية ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فكان أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه : وحرام على أهل قرية أمتناهم ، أن يرجعوا إلى الدنيا ، والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، أخبر عن تفریق الناس دينهم الذي بُعِثَ به إليهم الرسل

(١) البيت شاهد على أن الكفران في قوله تعالى « فلا كفران لسعيه » مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفّره كُفْرًا وكُفْرَانًا . قال في (اللسان : كفر) : ونقول : كفر نعمته الله ، وبنعمته الله ، كفرا وكُفْرَانًا وكُفُورًا .

ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعت إليه رسله من الإيمان به ، والعمل بطاعته ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَتَاهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلأن يكون ذلك خيرا عن صنيعه بمن أتى إجابة رسله ، وعمل بمعصيته ، وكفر به ، أخرى ، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات ، وكفرت به . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا على قلوبهم ، وختمنا على أسماعهم وأبصارهم ، إذ صدقوا عن سبيلنا ، وكفروا بآياتنا ، أن يتوبوا ، ويراجعوا الإيمان بنا ، واتباع أمرنا ، والعمل بطاعتنا . وإذا كان ذلك تأويل قول الله ( وَحَرَامٌ ) وعزّم ، على ما قال سعيد ، لم تكن « لا » في قوله ( أَتَاهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) صلة ، بل تكون بمعنى النفي ، ويكون معنى الكلام : وعزم منا على قرية أهلكتناها أن لا يرجعوا عن كفرهم . وكذلك إذا كان معنى قوله ( وَحَرَامٌ ) نوجبه . وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة ، فإن معنى الكلام : وحرام على قرية أهلكتناها أن يرجعوا ، وأهل التأويل الذين ذكرواها كانوا أعلم بمعنى ذلك منه .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّن كَلَّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا فُتِحَ عن يأجوج ومأجوج ، وهما أمتان من الأمم ردمهما .

كما حدثني عصام بن داود بن الجراح ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيع بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ الْآيَاتِ : الدَّجَالُ ، وَنَزُولُ عِيسَى ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ أَبْيَنَ ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّابَّةُ ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ » قال حذيفة : قلت : يا رسول الله ، وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ : أُمَّمٌ ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُ مِثْقَةِ الْفِئَةِ ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى الْفِئَةَ عَيْنًا تَطْرَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صَلْبِهِ ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ ، فَيَسِيرُونَ إِلَى خَرَابِ الدُّنْيَا ، يَكُونُ مَقْدَمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِالْعِرَاقِ ، فَيَمْرُونَ بِأَهَارِ الدُّنْيَا ، فَيَمْرُونَ الْفُرَاتَ وَالدَّجْلَةَ وَبَحِيرَةَ الطَّبْرِيَّةِ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا ، فَتَقَاتِلُوا مِنْ فِي السَّمَاءِ ، فَيَرْمُونَ بِالنُّشَابِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ نَشَابُهُمْ مُخْضَبَةً بِالدَّمِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وَعِيسَى وَالْمُسْلِمُونَ بِجَبَلِ طُورِ سَيْنِينَ ، فَيُوحَى لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عِيسَى : أَنْ أَحْرِزْ عِبَادِي بِالطُّورِ ، وَمَا يَكِلُ أُمَّةٌ ، ثُمَّ إِنَّ عِيسَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُؤْمِنُ الْمُسْلِمُونَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا النَّعْفُ ، تَدْخُلُ مِنْ مَتَاخِرِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، مِنْ حَاقِ الشَّامِ إِلَى حَاقِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى تَنْتَنَ الْأَرْضُ مِنْ جِيْفِهِمْ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ



كَافَتْوَاهِ الْقِرْبَابِ ، فَتَغْسَلُ الْأَرْضُ مِنْ جِيَّتَيْهِمْ وَتَأْتِيهِمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف ، وإن الجنّ يزيدون على الإنس الضعف ، وإن يأجوج ومأجوج رجلا ن اسمهما يأجوج ومأجوج .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت وهب ابن جابر يحدث عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : إن يأجوج ومأجوج يمرّ أولهم بنهر مثل دجلة ، ويمرّ آخرهم فيقول : قد كان في هذا مرّة ماء ، لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وقال : من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله : تاويل ، وتاريس ، وناسك أو منسك ، شك شعبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفیان ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر الخيواني ، قال : سألت عبد الله بن عمرو ، عن يأجوج ومأجوج ، أمن بنى آدم هم ؟ قال : نعم ، ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله : تاريس ، وتاويل ، ومنسك .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا سهل بن حماد أبو عتاب ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، قال : سمعت نافع بن جبیر بن منعم يقول : قال عبد الله بن عمرو : يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمونها ما شاءوا ، ونساء يجامعون ما شاءوا ، وشجر يلقمون ما شاءوا ، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا زكريا ، عن عامر ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن سلام ، قال : مامات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرّة فصاعدا .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : قال أبو سعيد : يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه ، إلا أهل الحصون ، فيمرون على البحيرة فيشربونها ، فيمرّ الماء فيقول : كأنه كان هاهنا ماء ، قال : فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصبروا خبالا ، فتقول أهل الحصون : لقد هلك أعداء الله ، فيدلون رجلا لينظر ، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه ، فيجدهم قد هلكوا ، قال : فينزل الله ماء من السماء ، فيقذفهم في البحر ، فتطهر الأرض منهم ، ويغرس الناس بعد هم الشجر والنخل ، وتخرج الأرض ثمرتها ، كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج .

حدثنا محمد بن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأى ابن عباس صبيانا يذو بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم ، لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم ، قال : فيسمعون جلبة وأمرا شديدا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق أن عبد الله بن عمرو ، قال : ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج ، حتى يولد له من صلبه ألف ، وإن من ورأئهم لثلاث أمم ، ما يعلم عددهم إلا الله : منسك وتأويل ، وتاريس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمرو البيكالي ، قال : إن الله جزأ الملائكة والإنس والجنّ عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذين يحملون العرش ؛ ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، قال : ومن بقى من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته ؛ ثم جزأ الإنس والجنّ عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الجنّ ، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجنّ تسعة ؛ ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء ، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج ، وسائر الإنس جزء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حتى إذا فُتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ ) قال : أُمَّتَانِ من وراء ردم ذى القرنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن غير واحد ، عن حميد بن هلال ، عن أبي الصيف ، قال : قال كعب : إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا ، حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل قالوا : نجىء غدا فنخرج ، فيعيدها الله كما كانت ، فيجثون من الغد ، فيجدونه قد أعاده الله كما كان ، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل أتى الله على لسان رجل منهم يقول : نجىء غدا فنخرج إن شاء الله ، فيجثون من الغد ، فيجدونه كما تركوه ، فيحفرون ثم يخرجون ، فتمرّ الزمرة الأولى بالبحيرة ، فيشربون ماءها ، ثم تمرّ الزمرة الثانية ، فيلحسون طينها ، ثم تمرّ الزمرة الثالثة ، فيقولون : قد كان هاهنا مرّة ماء - وتفترّ الناس منهم ، فلا يقوم لهم شيء ، يرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع مخضبة بالدماء ، فيقولون : غلبنا أهل الأرض وأهل السماء ، فیدعو عليهم عيسى بن مريم ، فيقول : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئت ، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، فتفترس رقابهم ، ويبعث الله عليهم طيرا ، فتأخذهم بمنقرها ، فتلقيهم في البحر ، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة ، تطهر الأرض منهم ، وتنبئها ، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكّن ؛ قيل : وما السكّن يا كعب ؟ قال : أهل البيت ؛ قال : فيينا الناس كذلك ، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريد ، فيبعث عيسى طليعة سبع مئة ، أو بين السبع مئة والثمان مئة ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله ريحا بمانية طيبة ، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ، ثم يبقى عجاج من الناس ، يتسافدون كما تتسافد البهائم ، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ، ينتظرها متى تضع ، فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا ، أو على هذا شيئا ، فهو المتكلف .

حدثنا العباس بن الوليد البيروقي ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت ابن جابر ، قال : ثنى محمد بن جابر الطائي ، ثم الحمصي ، ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، قال : ثنى أبي : أنه سمع النوّاس بن سنان الكلابي يقول : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، وذكر أمره ، وأن عيسى بن مريم



يقتله ، ثم قال : فيينا هو كذلك ، أوحى الله إليه يا عيسى ، إني قد أخرجت عبادا لي لا يند لأحد بقتلهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، فبيعت الله بأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أحدهم على بحيرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ثم ينزل آخرهم ، ثم يقول : لقد كان بهذه ماء مرة ، فيحاصر نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدكم من مئة دينار لأحدكم ، فيرغب نبي الله عيسى أصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم ، فيصيحون فترتبي موت نفس واحدة ، فيهبط نبي الله عيسى وأصحابه ، فلا يجدون موضعا إلا قد ملأه زهمهم ونكتهم ودمائهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكثر منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض ، حتى يتركها كالزلفة .

وأما قوله ( وَهَمُّ مِينَ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : عني بذلك بنو آدم ، أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض ، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِينَ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَهَمُّ مِينَ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال ابن جريج : قال مجاهد : جمع الناس من كل حدب من مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب .

وقال آخرون : بل عني بذلك بأجوج ومأجوج ، وقوله : وهم كناية أسمائهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله أنه قال : يخرج بأجوج ومأجوج ، فيمرحون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد الله ( وَهَمُّ مِينَ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : ثم بيعت الله عليهم دابة مثل النعف ، فتلج في أسماعهم ومناخرهم ، فيموتون منها ، فتتن الأرض منهم ، فيرسل الله عز وجل ماء ، فيطهر الأرض منهم . والصواب من القول في ذلك ، ما قاله الذين قالوا : عني بذلك : بأجوج ومأجوج . وإن قوله ( وَهَمُّ ) كناية عن أسمائهم ، للخبر الذي حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن قنادة الأنصاري ، ثم الظفري ، عن محمود بن لبيد أخى بني عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَفْتَسِحُ بِأَجُوجُ وَمَأْجُوجُ يُخْرِجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ( مِينَ كَلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فَيَبْغِشُونَ الْأَرْضَ » .

حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى بن مريم ، قال : « قال عيسى : عهدت إلى ربى أن الدجال خارج ، وأنه مهبطى لىبه ، فذكر أن معه قضيبين ، فاذا رأى أهلكنه الله ، قال : فيدوب كما يدوب الرصاص ، حتى إن الشجر والحجر ليقول : يا مسلم هذا كافر فاقتلته ، فيهلكهم الله تبارك وتعالى ، ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فيستقبلهم يا جوج وما جوج من كل حدب ينسلون ، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرؤن على ماء إلا شربوه » .  
حدثني عبيد بن إسحاق الهباري ، قال : ثنا المغاربي ، عن أصبغ بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .  
وأما قوله ( من كل حدب ) فإنه يعنى من كل شرف ونشز وأكمة .  
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( من كل حدب ينسلون ) يقول : من كل شرف يقبلون .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة ( من كل حدب ينسلون ) قال : من كل أكمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وهم من كل حدب ينسلون ) قال : الحدب : الشئ المشرف . وقال الشاعر :

..... على الحداب تمور<sup>١</sup>

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( حتى إذا فطحت يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون ) قال : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وأما قوله ( ينسلون ) فإنه يعنى : أنهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم كمنسلان الذئب ، كما قال الشاعر :

عسلان الذئب أمسى قارباً براد الليل عليه فتسل<sup>٢</sup>

(١) هذا جزء من بيت لم ينسبه المؤلف عند قوله تعالى : « وهم من كل حدب ينسلون » . قال فى ( اللسان : حدب ) يريد يظهر من غليظ الأرض ومرتفعها . وقال الفراء : « من كل حدب ينسلون » : من كل أكمة من كل موضع مرتفع ، والجمع أحدات وحداب . والحدب : الغلظ من الأرض فى ارتفاع ، والجمع الحداب . والحدبة : ما أشرف من الأرض وغلظ وارتفع . ولا تكون الحدبة إلا فى قف أو غلظ أرض . وتمور : من مار الشئ يمور مورا : تحرك وجاء وذهب ، كما تتكفأ النحلة العبدانة .

(٢) البيت للبيد أو لنايفة الجعدى ( اللسان : عسل ، ونسل ) . وعسل الذئب والتعلب يعسل عسلا وعسلانا : مضى مسرعا ، واضطرب فى عدوه ، وهز رأسه . والقارب : الذى يطلب الماء ليلا ، يسير إليه مسرعا . ونسل الماشى ينسل كيشرب ويقفل نسلا ( بالتسكين والتحرريك ) ونسلانا : أسرع . وأصل النسلان للذئب ، ثم استعمل فى غيره .



القول في تأويل قوله تعالى

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ، فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ  
مِّنْ هَذَا، بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا فُتحت بأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحق ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب ، وهو لاشك حتى كما قال جل ثناؤه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، يعني ابن قيس ، قال : ثنا حذيفة :  
لو أن رجلا اقتل فتلوا بعد خروجه بأجوج ومأجوج ، لم يركبه حتى تقوم القيامة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) :  
قال : اقترب يوم القيامة منهم . والواو في قوله (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) مقحمة . ومعنى الكلام : حتى  
إذا فُتحت بأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذلك نظير قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ  
مَعْنَاهُ : ناديناه بغير واو ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بَيْنَا بَطْنٌ حَبَّتْ ذِي حَقَافٍ عَقْنَقَلِ

يريد : فلما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا .

وقوله (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان : أحدهما  
أن تكون كناية عن الأبصار ، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُؤِ أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ؟

(١) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا طبعه مطبع البابي الحلبي ص ٢٧)  
قال : أجزنا : قطعنا . والساحة : القناه . والخبت : أرض مطمئنة . والحقف من الرمل : المعوج ، والجمع حقاف . ويروي «ركام»  
أي بعضه فوق بعض . وعقنقل : متعقد متداخل بعضه في بعض . والبيت شاهد على أن الواو في قوله : «وانتحي» : مقحمة ، يريد :  
فلما أجزنا ساحة الحي انتحى . وهي نظير الواو في قوله تعالى : «حتى إذا فُتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب  
الوعد الحق» . الواو في «واقترَب» : مقحمة . والفعل جواب للشرط «حتى إذا فُتحت» . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٦  
من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ وقوله : «واقترَب الوعد الحق» معناه : والله أعلم ، حتى إذا فُتحت اقترب ، ودخول الواو  
في الجواب في «حتى إذا» بمنزلة قوله : «حتى إذا جاءوها وفتحت» . وفي قراءة عبد الله «فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية» .  
وفي قراءتنا بغير واو . ومثله في الصافات «فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه» معناه : ناديناه . وقال امرؤ القيس : «فلما أجزنا . . .  
البيت» يريد : انتحى .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٧ من مصورة الجامعة عند قوله تعالى : «فإذا هي شاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا» قال : تكون هي عمادا يصلح في موضعها هو ، فتكون كقوله «إنه أنا الله العزيز» . ومثله قوله : «فأنها لا تعمي الأبصار»  
فجاء التأنيت لأن الأبصار مؤنثة ، والتذكير للعماد . . . وإن شئت جعلت «هي» للأبصار ، كتبت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها ،  
كما قال الشاعر : لعمر أبيها . . . البيت «اه» .

فكفى عن الظعينة في : لعمر أبيها ، ثم أظهرها ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا .

والثاني : أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه ( فَلَمَّا نَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) ، وكقول الشاعر :

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسٌ

وقوله ( يَا وَيْلَتَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ) يقول تعالى ذكره : فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله ، وقيام الساعة بحقائقها ، وهم يقولون : يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعائين ، ونزل بنا من عظيم البلاء ، وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وذلك يقولون من قوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يقولون : يا ويلنا . وقوله ( بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ : ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجيننا من شدائده ، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا ، وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَسُفِكُ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنتُمْ لَهَا وَرْدُونَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون بالله ، العابدون من دونه الأوثان والأصنام ، وما تعبدون من دون الله من الآلهة .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( إِنَّا نَسُفِكُ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ) يعني الآلهة ومن يعبدها ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) وأما حَصَبُ جَهَنَّمَ ، فقال بعضهم : معناه : وقود جهنم وشجرها .

وعلى كلام الفراء يكون الضمير « في أيها » مفسرا بقوله ظعنيتي . ومثله الضمير « هي » في الآية « فإذا هي » مفسر بقوله « أبصار » وقال أبو البقاء المكي في إعراب القرآن ، وهو كالوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما الفراء : إذا للمفاجأة ، وهي مكان . والعامل فيها شاخصة . و « هي » : ضمير القصة . و « أبصار الذين » : مبتدأ و شاخصة خبره . وقال الشوكاني في فتح القدير ( ٣ : ٤١٣ ) مينا الوجهين : الضمير في فإذا هي للقصة ، أو مبهم يفسره ما بعده . وإذا للمفاجأة .

(١) هذا شطر بيت من أبيات ثلاثة وردت في الجزء الأول من هذا التفسير ص ٤٠١ عند قوله تعالى « وهو محرم عليكم إخراجهم » . وقد بين أن الضمير « هو » فيه وجهان من التأويل ، كما قال في قوله تعالى « فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ، ومثل قول الشاعر :

فَأَبْلَغُ أبا يَحْيَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُ      عَلَى الْعَيْسِ فِي أَبَاطِهَا عَرَقٌ يَبْدُسُ  
بأنَّ السَّلَامِيَّ الَّذِي بِبِضْرِيَّةِ      أَمِيرَ الْحِمَى قَدْ بَاعَ حَقِّي بَنِي عَبْدُسُ  
بِثُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ      فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

والأبيات : من شواهد الفراء في آية البقرة ولم يورد هنا إلا الشطر الثاني من البيت الثالث .



ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) : شجر جهنم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : وقودها .  
وقال آخرون : بل معناه : حطب جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطبها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وزاد فيه وفي بعض القراءة ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) يعنى في قراءة عائشة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم يقذفون فيها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن الحر ، عن عكرمة ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : إن جهنم إنما تُحَصَّبُ بهم ، وهو الرمي ، يقول : يرمى بهم فيها .

واختلف في قراءة ذلك ، فقرأته قرآء الأمصار ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) بالصاد ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه .

وروى عن عليّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) بالطاء . وروى عن ابن عباس أنه قرأه ( حَصَبُ ) بالصاد .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأها كذلك . وكان ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك ، أراد أنهم الذين تُسَجَّرُ بهم جهنم ، ويوقد بهم فيها النار ، وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به ، فهو عند العرب حصب لها ، فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب : الرمي ، من قولهم : حَصَبَتِ الرجل : إذا رميته ، كما قال جل ثناؤه ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ) كان الأولى بتأويل ذلك ، قول من قال : معناه : أنهم تقذف جهنم بهم ، ويرمى بهم فيها ، وقد ذكر أن الحصب

في لغة أهل اليمن : الحطب ، فان يكن ذلك كذلك ، فهو أيضا وجه صحيح . وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد . وأما قوله ( أَنْتُمْ هَآءَا وَآرِدُونَ ) فان معناه : أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردة ، يقول : داخلون . وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، أنهم ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وهم مشركو قريش : أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردة جهنم ، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها ، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها ، إذ كنتم لها في الدنيا عابدين ، ولكنها إذ كانت لانفع عندها لأنفسها ، ولا عندها دفع ضرر عنها ، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ، ومن كان كذلك كان بيننا بعده من الآلوهة ، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ، ولا يقدر عليه شيء ، فأما من كان مقدورا عليه ، فغير جائز أن يكون لها . وقوله ( وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) : يعني الآلهة ومن عبدها ، أنهم ما كثون في النار أبدا بغير نهاية ، وإنما معنى الكلام : كلكم فيها خالدون . وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) قال : الآلهة التي عبد القوم ، قال : العابد والمعبود .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا

مُبَعَّدُونَ (١٠١)

يعني تعالى ذكره بقولهم ( لَهُمْ ) المشركين واهلهم ، والهاء والميم في قوله ( لَهُمْ ) من ذكر كل التي في قوله ( وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) يقول تعالى ذكره : لكلهم في جهنم زفير ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) يقول : وهم في النار لا يسمعون .

وكان ابن مسعود يتأول في قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن المسعودي ، عن يونس بن خباب ، قال : قرأ ابن مسعود هذه الآية ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) قال : إذا ألقى في النار من يخلد ، فيها جعلوا في تواييت من نار ، ثم جعلت تلك التواييت في تواييت أخرى ، ثم جعلت التواييت في تواييت أخرى فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره ، ثم قرأ ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) .



وأما قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : عني به كل من سبق له من الله السعادة من خلقه ، أنه عن النار مُبْعَد . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن سعد ، وليس بابن ماهر ، عن محمد بن حاطب ، قال : سمعت عليا يخطب ، فقرأ هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عثمان رضي الله عنه منهم . وقال آخرون : بل عني : من عبد من دون الله ، وهو لله طائع ، ولعبادة من يُعْبَد كاره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : قوله (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) ثم استثنى فقال (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن يزيد ، عن عكرمة ، والحسن البصري قالا : قال في سورة الأنبياء (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هُوَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ، كَلِمٌ فِيهَا زَقِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ . ثم استثنى فقال : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) فقد عبت الملائكة من دون الله ، وعزير وعيسى من دون الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) قال : عيسى .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) قال : عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : «جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، يوما مع الوليد بن المغيرة ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هُوَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ) ... إلى قوله (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبير بن قيس

ابن عدى السهمي ، حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً ، وما قعد ، وقد زعم أننا وما نعبد من اهتنا هذه حصص جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً : أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود نعبد عزيراً ، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد بن المغيرة ، ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ ، إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَبَدُونَ ) . . . إلى ( خَالِدُونَ ) : أى عيسى ابن مريم ، وعزير ، ومن عبدوا من الأخبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ، فأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا ذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ ، وَأَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) . . . إلى قوله ( تَجْزَى الظَّالِمِينَ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، قال : يقول : ناس من الناس ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَبَدُونَ ) يعنى من الناس أجمعين ، فليس كذلك ، إنما يعنى من يعبد الآلهة ، وهو الله مطيع مثل عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة ، واستثنى الله هؤلاء الآلهة المعبودة ، التى هى ومن يعبدها فى النار .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) قال المشركون ، فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون ، فأَنْزَلَ اللَّهُ ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَبَدُونَ ) لعيسى وغيره . وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَبَدُونَ ) ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع ، وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفأر ، لأن قوله تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) : ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذى ذكرنا فى الخبر ، عن ابن عباس ، فكان المشركين قالوا لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال لهم ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ما الأمر كما تقول ، لأننا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعزيراً ، فقال عز وجل رداً عليهم قولهم ، بل ذلك كذلك ، وليس الذين سبق لهم منا الحسنى هم عنها معبدون ، لأنهم غير معينين بقولنا ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) فقول لامعنى له ، لأن الاستثناء إنما هو لإخراج المستثنى من المستثنى منه ، ولا شك أن الذين سبق لهم منا الحسنى ، إنما هم إما ملائكة ، وإما إنس أو جان ،



وكل هؤلاء إذا ذكرتهم العرب، فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حصب جهنم بما، قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لامن كان من الملائكة والإنس، فإذا كان ذلك كما وصفنا، فقله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) جواب من الله للقاتلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ. وأما الحسنى فإنها الفعلية من الحسن، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) قال: الحسنى: السعادة، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهلها من الله.

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبق لهم منا الحسنى حسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحس.

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها، وقد علمت ما روى «من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتفرزفرة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟» قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار، إذا نزلوا منزلهم من الجنة. وقوله (وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) يقول: وهم فيها تشبه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كانوا فيها، لا يخافون زوالها عنهم، ولا انتقالها عنها.

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

اختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر: أي الفزع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها. ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير (لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) قال: النار إذا أطبقت على أهلها. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قوله (لَا يَحْزَنُهُمُ

الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ) قال : حين يطبق جهنم ، وقال : حين ذبح الموت .  
وقال آخرون : بل ذلك النفخة الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ) يعني النفخة الآخرة .  
وقال آخرون : بل ذلك حين يؤمر بالعبء إلى النار :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ( لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ )  
قال : انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك  
الفرع الأكبر ، وأمن منه ، فهو مما بعده أحترى أن لا يفزع ، وأن من أفرعه ذلك ، فغير مأمون عليه الفرع  
لما بعده .

وقوله ( وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول : وتستقبلهم الملائكة بهتوتهم ، يقولون ( هَذَا يَوْمُكُمْ  
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) فيه الكرامة من الله ، والحجاب ، والجزيل من الثواب ، على ما كنتم تنصبون  
في الدنيا لله في طاعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي  
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) قال : هذا قبل أن يدخلوا الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدَا عَلَيْنَا  
إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : لا يحزنهم الفرع الأكبر ، يوم نطوى السماء ، فيوم صلة من يحزنهم .  
واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اسم ملك  
من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، في قوله  
( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : السجل : ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال :  
اكتبها نورا .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، قال : سمعت السدي يقول ، في قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ ) قال : السجل : ملك .

وقال آخرون : السجل : رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في هذه الآية ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : كان ابن عباس يقول : هو الرجل .

قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السجل : كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل هو الصحيفة التي يكتب فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) يقول : كطي الصحيفة على الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) يقول : كطي الصحف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السجل : الصحيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : السجل : الصحيفة .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : السجل في هذا الموضع : الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لنا نبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه .

فإن قال قائل : وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة ؟ قيل : ليس المعنى كذلك ،

وإنما معناه : يوم تطوى السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل تطوى مصدرا ، فقيل ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) واللام في قوله للكتاب ، بمعنى على .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى أبي جعفر القارئ ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالنون ، وقرأ ذلك أبو جعفر ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالطاء وضمها ، على وجه ما لم يُسم فاعله .

والصواب من القراءة في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، بالنون ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه . وأما السجل فإنه في قراءة جميعهم بتشديد اللام ، وأما الكتاب ، فإن قراء أهل المدينة ، وبعض

أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتوحيد ، كطى السجل للكتاب ، وقرأ ذلك عامة قرء الكوفة ( للكتُب ) على الجماع .

وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب ، لما ذكرنا من معناه ، فلن المراد منه : كطى السجل على ما فيه مكتوب ، فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تبعه من معروف كلام العرب ، وعند قوله ( كَطَى السَّجِل ) انقضاء الخبر عن صلة قوله ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفِتْرَةُ الْأَكْبَرُ ) ، ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلفه يومئذ فقال تعالى ذكره : ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) فالكاف التي في قوله ( كَمَا ) من صلة نعيد ، تقدمت قبلها ، ومعنى الكلام : نعيد الخلق عرأة عرأة غيراً يوم القيامة ، كما بدأناهم أول مرة ، في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم ، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك .

وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اخترت القول به على غيره .

ذكر من قال ذلك ، والأثر الذي جاء فيه

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) قال : حفاة عرأة غيراً . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله ( أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) قال : حفاة غلغا . قال ابن جريج أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أنه سمع مجاهداً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه : « يَا تَوْنَهُ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُلْغَا ، فَاسْتَبْرَتْ بِكُمْ ذُرْعِيهَا ، وَقَالَتْ وَآسَوَاتَاهُ » قال ابن جريج : أخبرت أنها عائشة قالت : يا نبي الله ، لا يجتشم الناس بعضهم بعضاً ، قال : « لِكُلِّ امْرِئٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ، فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ » ، ثم قرأ : ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فذكر نحوه . » حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . » حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، قال : ثنا المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، نحوه .



حدثنا عيسى بن يوسف بن الطَّبَّاع أبو يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال : « إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ مُشَاةً غُرْلًا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة ، قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى عجوز من بني عامر ، فقال : مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ ؟ فقلت : إحدى خالاتي ، فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجِزَةُ ، قالت : فأخذ العجوز ما أخذها ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ ، ثم قال : يُخْشِرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُلْفًا ، فقالت : حاش لله من ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئلى ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدْنَا عَلَيْنَا . . . إلى آخر الآية ، فأول مَنْ يُكْسَى لِإِسْرَائِيلَ خَلِيلُ اللَّهِ » .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عطاء ، عن عتبة بن عامر الجهني ، قال : « يجمع الناس في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة ، كما خلقوا أول يوم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوام ، عن هلال بن حبان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا ، قلت : يا أبا عبد الله ، ما الغرل ؟ قال : الغلظ ، فقال بعض أزواجه : يا رسول الله ، أينظر بعضنا إلى بعض ، إلى عورته ؟ فقال : « لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مَا يَشْغَلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى عَوْرَةِ أَخِيهِ » قال هلال : قال سعيد بن جبير : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) قال : كيوم ولدته أمه ، يرد عليه كل شيء انتقص منه ، مثل يوم ولد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كما كنا ولا شيء غيرنا ، قبل أن نخلق شيئا ، كذلك نهلك الأشياء ، فنعيدها فانية ، حتى لا يكون شيء سوانا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) . . . الآية ، قال : نهلك كل شيء ، كما كان أول مرة . وقوله ( وَعَدْنَا عَلَيْنَا ) يقول : وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا ، أن نُؤْتِيَ بِمَا وَعَدْنَا ، إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس ، لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله ، على يقين بأن ذلك كائن ، واستعدوا وتأهبوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بالزبور : كتب الأنبياء كلها ، التي أنزلها الله عليهم ، وعنى بالذكر : أم الكتاب التي عنده في السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيدا ، عن قول الله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر : الذي في السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : قرأها الأعمش ( الزُّبُرِ ) قال : الزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر الذي في السماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : أم الكتاب عند الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ، بعد الذكر : قال : أم الكتاب عند الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : الزبور : الكتب التي أنزلت على الأنبياء . والذكر : أم الكتاب الذي تكتب فيه الأشياء قبل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : كتبنا في القرآن من بعد التوراة .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء ، وبالذكر : التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) .. الآية ، قال : الذكر : التوراة ، والزبور : الكتب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) .. الآية ، قال : الذكر : التوراة ، ويعنى بالزبور من بعد التوراة : الكتب .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : زبور داود ، وبالذكر : توراة موسى صلى الله عليهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : زبور داود ، من بعد الذكر : ذكر موسى التوراة .



حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : في زبور داود ، من بعد ذكر موسى .  
 وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب في ذلك : ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ، ومن قال بقولهما في ذلك ، من أن معناه : ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه ، قبل خلق السموات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه : زبرت الكتاب وذبرته : إذا كتبه ، وإن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه ، فهو ذِكْرٌ . فإذا كان ذلك كذلك ، فإن إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه ، معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا ، لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك ، من صف إبراهيم ، فقد كان قبل زبور داود . فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا : ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ؛ يعنى بذلك : أن أرض الجنة يرثها عبادى العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيهِ من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم ، المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : أرض الجنة . حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه ، قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : كتبنا في القرآن بعد التوراة ، والأرض أرض الجنة . حدثنى على بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : الأرض : الجنة .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيداً عن قول الله ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : أرض الجنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنَّ الْأَرْضَ ) قال : الجنة ( يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

(١) في (السان : ذبر) : الذبر : الكتابة ، مثل الزبر . ذبر الكتاب يذبره ( كتنصره ) ويذبره ( كيقض به ) ذبراً ، وذبره ( بالتضعيف ) كلاهما : كتبه ، وقيل : نقطه . وقيل : قرأه قراءة خفيفة ، بلغة هذيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أن الأرض يرثها عبيد الصالحين ) قال : الجنة . وقرأ قول الله جل ثناؤه ( وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض ننبتوا من الجنة حيث نشاء ، فتعجب أجر العاملين ) قال : فالجنة مبتدؤها في الأرض ، ثم تذهب درجات علواً ، والنار مبتدؤها في الأرض ، وبينهما حجاب سور ، ما يدرى أحد ماذا السور ، وقرأ ( باب باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ) قال : ودرجها تذهب سفالا في الأرض ، ودرج الجنة تذهب علواً في السموات .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، سألت عامر بن عبد الله أبا العيمان : هل أنفس المؤمنين تجتمع ؟ قال : فقال : إن الأرض التي يقول الله ( ولقد كتبتنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبيد الصالحين ) قال : هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث .

وقال آخرون : هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا .

وقال آخرون : عني بذلك بنو إسرائيل ، وذلك أن الله وعدم ذلك فوفى لهم به ، واستشهد لقوله ذلك بقول الله ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ) . وقد ذكرنا قول من قال ( أن الأرض يرثها عبيد الصالحين ) أنها أرض الأمم الكافرة ، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : إن في هذا لبلأغا لقوم عابدين الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله ، إلى رضوانه ، وإدراك الطلبيية عنده .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الحريري ، عن أبي الورد بن مئمة ، عن محمد الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده ، إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ، إنهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس ، ساهم الله عابدين .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن إياس الحريري ، عن أبي الورد بن كعب ، في قوله ( إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ) قال : صوم شهر رمضان ، وصلاة الخمس ، قال : هي ملء اليبدين والبحر عبادة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن الحسين ، عن الحريري ، قال : قال كعب

(١) الأصل : هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ والصواب : ما أثبتناه .



الأخبار ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) : لآمة محمد .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) يقول : عاملين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) قال : يقولون في هذه السورة لبلاغاً .

ويقول آخرون : في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس ، من أداها كان بلاغاً لقوم عابدين ، قال : عاملين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن في هذا لبلاغاً لِقَوْمٍ

عَابِدِينَ ) قال : إن في هذا لمنفعة وعلمنا ، لقوم عابدين ذاك البلاغ .

وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وما

أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجمع العالم الذي أرسل إليهم محمدًا أريد بها مؤمنهم

وكافرهم ؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة ، دون أهل الكفر ؟ فقال بعضهم : عنى بها جميع العالم المؤمن والكافر .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له

سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله في كتابه ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )

قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، عُوِيَ بما

أصاب الأمم من الخسْف والقذف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن المسعودي ، عن أبي سعيد ، عن

سعيد جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) قال : تمت الرحمة لمن آمن

به في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن به عُوِيَ بما أصاب الأمم قبل .

وقال آخرون : بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ) قال : العالمون : من آمن به وصدق به . قال : ( وَإِن أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى

حِينٍ ) قال : فهو هؤولاء فتنة ، وهؤولاء رحمة ، وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين ، والعالمون ههنا : من

آمن به وصدق به وأطاعه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي روى عن ابن عباس ، وهو أن الله أرسل نبيه محمدًا

صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم . فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ،

وبالعمل بما جاء من عند الله ، الجنة . وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء ، الذي كان ينزل بالأمم المكذبة

رسلها من قبله .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : ما يوحى إلى ربي إلا أنه لا إله لكم يجوز أن يعبد إلا إله واحد ، لاتصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي ذلك لغيره ( فهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ ) : يقول : فهل أنتم مدعون له أيها المشركون ، العابدون الأوثان والأصنام ، بالخصوع لذلك ، ومبترون من عبادة ما دونه من آلهتكم ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ، وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان ، بأن لا إله لهم إلا إله واحد ، فأعرضوا عنه ، وأبتوا الإجابة إليه ، فقل لهم ( قَدْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) يقول : أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب ، لاصلاح بينكم ولا سلم .

وإنما عسى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) فإن تولوا : يعنى قريشا .

وقوله ( وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه : قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم ، فينتقم به منكم ، أقرب نزوله بكم ، أم بعيد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنِ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ؟ ) قال : الأجل .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنِ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ

وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين ، إن الله يعلم الجهر الذي تجهرون به من القول ، ويعلم ما تخفونه ، فلا تجهرون به ، سواء عنده خفيه وظاهره ، وسره وعلايته ، إنه لا يخفى عليه منه شيء ، فإن أخرج عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به ، أو تجهرون به ، فما أدري



ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده لإياكم، لفتنة يريد بها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم ينزل بكم حينئذ نعمته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس (وإن أدرى لعنائه فيتنه لكم ومتاع إلى حين) يقول: لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة، أن يؤخر عنكم لمدتكم، ومتاع إلى حين، فيصير قولي ذلك لكم فتنة.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ، وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢).

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا ربّ افصل بيني وبين من كذّبتني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جل ثناؤه (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ). وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس (قال ربّ احكم بالحق) قال: لا يحكم بالحق إلا الله، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا، يسأل ربه على قومه. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا شهد قتالا قال: (ربّ احكم بالحق).

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار (قل ربّ احكم) بكسر الباء، ووصل الألف ألف احكم، على وجه الدعاء والمسألة، سوى أبي جعفر، فإنه ضمّ الباء من الربّ، على وجه نداء المفرد، وغير الضحاك بن مزاحم، فإنه روى عنه أنه كان يقرأ ذلك (ربّي احكم) على وجه الخبر بأن الله احكم بالحق من كلّ حاكم، فيثبت الباء في الربّ، ويهمز الألف من احكم، ويرفع احكم، على أنه خبر للربّ تبارك وتعالى.

والصواب من القراءة عندنا في ذلك: وصل الباء من الربّ وكسرهما باحكم، وترك قطع الألف من احكم، على ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه. وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خطّ المصاحف، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته. وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (ربّ احكم بالحق) قل: ربّ احكم بحكمك الحق، ثم حذف الحكم الذي الحقّ نعت له، وأقيم الحقّ مقامه، ولذلك وجه، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل، فلذلك اخترناه.

وقوله ( وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) يقول جل ثناؤه : وقل يا محمد : وربنا الذي يرحم عباده، ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي، فيما أتيتكم به من عند الله ( إن هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ؟ ) ، وقولكم ( أَيْلَ افْتَرَاهُ بَشَرٌ هُوَ شَاعِرٌ ) ، وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) فإنه حين عليه تغيير ذلك ، وفصل ما بيني وبينكم ، بتعجيل العقوبة لكم ، على ما تصفون من ذلك .  
آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

## تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمٌ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته ، فأطيعوه ولا تعصوه ، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد ، ثم وصف جل ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه ، فقال : ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) .

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة ، فقال بعضهم : هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، في قوله ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : قبل الساعة .

حدثني سليمان بن عبد الحيار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن عامر ( يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( إن زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ )



فقال : زلزلتها : أشرطها . . . الآيات ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُنْزِلُهَا كُلُّ مَرَضِعَةٍ سَمْعًا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا في الدنيا من آيات الساعة .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر ، في إسناده نظرا ، وذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما فرغ الله من خلق السموات والأرض ، خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو وأضبعه على فيه ، شاخص ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم يسمع فيه ثلاث نفتحات : الأولى : نفتح القرع ، والثانية : نفتح الصعق ، والثالثة : نفتح القيام لرب العالمين ، يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة القرع ، فينزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيدبمها ويبطونها ، فلا يقدر ، وهي التي يقول الله ( ما ينظرون هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) ، فيسبر الله الحيال ، فتكون سرايا ، وترج الأرض بأهلها رجأ ، وهي التي يقول الله ( يوم ترجف الرجفة تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ) ، فتكون الأرض كالسفيننة الموبقة في البحر ، تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجفه الأرواح ، فتמיד الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحواميل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تاتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة ، فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويوتى الناس مدبرين ، ينادى بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله ( يوم تنادى بوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هادي ) ، فبينما هم على ذلك ، إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فرأوا أمرا عظيما ، وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وخسف قمرها ، وانتشرت نجومها ، ثم كسيت عنهم . قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك . فقال أبو هريرة : فن استثنى الله حين يقول : ( ففرغ من السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفرع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فرغ ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شراخ خلقه ، وهو الذي يقول ( يا أيها الناس

(١) لعل المراد بأن في إسناده نظرا : أن فيه رجلين مجهولين من الأنصار .

اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) . . . إلى قوله ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .  
وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه ، قول لولا يحيى الصحاح من  
الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحى الله  
ونزله .

والصواب من القول في ذلك : ما صح به الخبر عنه .

ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث عن قتادة ، عن صاحب  
له حديثه ، عن عمران بن حصين ، قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، وقد فاوت  
لسير بأصحابه ، إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ  
زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : فحسبوا المطى ، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال  
هل تدرؤن أي يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم ينادى آدم ، يناديه  
ربه : ابعت بعت النار ، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار ، قال : فأبلس  
قوم ، فما وضع منهم ضاحك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا اعلموا وأبشروا ، فإن معكم  
خليقتين ما كانتا في قوم إلا كسرتاه ، فمن هلك من بني آدم ، ومن هلك من بني  
إيليس وبأجوج وماجوج ، قال : أبشروا ، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير ،  
أو كالرقمة في جناح الدابة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا هشام بن أبي عبد الله ، عن قتادة ، عن  
الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ،  
قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن أبي عدي ، عن هشام جميعا ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ،  
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد  
عن عمران ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغني أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسرة ، ومعه أصحابه ، بعد ما شارف المدينة ، قرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا ) . . . الآية ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « أتدرؤن أي يوم ذاكم ؟ قيل : الله ورسوله أعلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه زاد :  
وإنه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فترة من الجاهلية ، فهم أهل النار ، وإنكم  
بين ظهرا في خليقتين لا يبعدا أحدا من أهل الأرض إلا كسروهم ، وهم يأجوج  
وماجوج ، وهم أهل النار ، وتكمل العيدة من المنافقين . »



حدثني يحيى بن إبراهيم السعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُقَالُ لِآدَمَ : أَخْرِجْ بَعَثُ النَّارِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَمَا بَعَثُ النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِثَّةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، قَالَ : قُلْنَا فَأَيْنَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَبْشِرُوا : فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ وَالْقَوْمُ مِنْ بَأْسِ جُوجَ وَمَا جُوجَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا ظَمْعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَتَبْنَا وَحَمْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا ظَمْعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَتَبْنَا وَحَمْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَا ظَمْعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ . »

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ . »  
حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَشْرَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْحَشِيرُ بِيَدَيْكَ . فَيَقُولُ : ابْعَثْ بَعَثًا إِلَى النَّارِ . » ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : « نَزَلَتْ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) . . . حَتَّى لِي ( عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) . . . الْآيَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَسِيرٍ ، فَرَجَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ . فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ : يَا آدَمُ قُمْ فَاْبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ . مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِثَّةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَدُّوْا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، وَإِنَّ مَعَكُمْ خَلْقِيَّتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَسَّرْتَاهُ : يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةٍ الْحَيْنَ وَالْإِنْسِ . »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : دخلت على ابن مسعود بيت المال ، فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ قَلِيلَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَالشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا يوم القيامة ، والزلزلة : مصدر من قول القائل : زلزلت بفلان الأرض ، أزلزلها زلزلة وزلزالا ، بكسر الزاي من الزلزال ، كما قال الله ( إذآ زلزلت الأرض زلزالها ) وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال إذا جاءت على فِعْلَال ، فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواسا ، فإذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس ، وهو ما وسوس إلى الإنسان ، كما قال الشاعر :

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْرَ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ<sup>١</sup>

وقوله تعالى ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا ) يقول جل ثناؤه : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها ، كل مرضعة مولود عما أرضعت ، ويعنى بقوله ( تذهل ) تنسى وتترك من شدة كربها ، يقال : ذهلت عن كذا أذهلت عنه ذهولا وذهلت أيضا ، وهي قليلة ، والفصيح : الفتح في الهاء ، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين ، لم يسمع غير ذلك ، ومنه قول الشاعر :

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ<sup>٢</sup>

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه ، قلت : أذهله هذا الأمر عن كذا يذهله إذهالا . وفي إثبات الهاء في قوله ( كُلُّ مُرْضِعَةٍ ) اختلاف بين أهل العربية<sup>٣</sup> . وكان بعض نحويي الكوفيين يقول : إذا أثبتت الهاء في المرضعة ، فإنما يراد أم الصبي المرضع ، وإذا أسقطت ، فإنه يراد المرأة التي معها صبي ترضعه ، لأنه أريد الفعل بها ، قالوا : ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضِع . قال : وكذلك كل مُفْعِلٍ أو فاعل يكون للأثني ، ولا يكون للذكر ، فهو بغير هاء ، نحو : مُقْرَب ، ومُوقِر ، ومُشْدَن ، وحامل ، وحائض . قال أبو جعفر : وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك ، لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التانيث من كل فاعل ومفعول إذا وصفوا المؤنث به ، ولو لم يكن للمذكر فيه حظ ، فإذا أرادوا الخبر عنها أنها

(١) البيت شاهد على أن المصدر الرباعي المضغف إذا جاء على « فِعْلَال » فهو بكسر الفاء ، فإذا فتحت الفاء فهو اسم للمصدر ، وليس بمصدر ، كما في البيت . قال في ( اللسان : زلل ) : والزلزلة والزلزال ( بالفتح ) : تحريك الشيء ، وقد زلزلته زلزلة وزلزالا ( بكسر الزاي في الثاني ) وقد قالوا : إن الفِعْلَال ( بالفتح ) والزلزال ( بالكسر ) مطرد في جميع مصادر المضاعف . والاسم الزلزال ( بالفتح ) . وليس في الكلام فِعْلَال ، يفتح الفاء إلا في المضغف ، نحو الصلصال والزلزال . وقال أبو إسحاق والزلزال بالكسر : المصدر ، والزلزال ، بالفتح : الاسم ، وكذلك الوسواس : المصدر ، والوسواس الاسم هـ .

(٢) هذا مطلع قصيدة لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي المشهور ( بكثير عزة ) في مدح عبد الملك بن مروان ، ومصرعه الثاني :  
« وَأَضْحَى يَرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَبَدَّلُ » ( ديوانه طبع الجزائر ٢ : ٢٨ ) قال شارحه : قوله « صحا قلبه » : قال في الاقتصاب : قال ابن قتيبة : أصحبت السباه وأصحت العاذلة ، وصحا من السكر . أما السباه فلا يقال فيها إلا أصحبت بالألف ، وأما السكر فلا يقال فيه إلا صحا بغير لت . وأما الإفاقة من الحب فلم أسمع فيه إلا صحا بغير ألف ، كالكسر . وهو شاهد على الفعل تذهل في ماضيه لغتان ، فتح الهاء وكسرها ، والأولى أنصح اللغتين . قال في ( اللسان : ذهل ) : وفي التنزيل العزيز : « يوم تذهل كل مرضعة » أي تسلو عن ولدها . ابن سيده : ذهل الشيء وذهل عنه وذله وذهل الكسر يذهل فهما ذهلا وذهولا : تركه على عمد أو غفل عنه أو نسيه لشغل . وقيل : الذهل : السلو وطيب النفس عن الإلف . وقد أذهله الأمر ، وأذهله عنه هـ .

(٣) يتأمل في هذا المقام ويراجع اللسان فإنه أبسط .



ستفعله ولم تفعله ، أثبتوا هاء التانيث ، ليفرقوا بين الصفة والفعل ، منه قول الأعشى فيما هو واقع ، ولم يكن وقع قبل :

أيا جارتنا بيبي فإنك طالقته  
وأما فيما هو صفة ، نحو قول امرئ القيس :

فمشلك حبلتي قد طرقت ومرضع  
فألهيته عنها عن ذي تمام محمول<sup>٢</sup>  
وربما أثبتوا الهاء في الحالتين ، وربما أسقطوهما فيهما ، غير أن الفصحح من كلامهم ما وصفت .

فتأويل الكلام إذن : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة ، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها ، عما أَرْضَعَتْ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : تترك ولدها للكرب الذي نزل بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : ذهلت عن أولادها بغير فظام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ) قال : ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ) يقول : وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها .

وقوله ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) قرأت قرآء الأمصار ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) على وجه الخطاب للواحد ، كأنه قال : وترى يا محمد الناس حينئذ سُكَارَى ، وما هم بسُكَارَى . وقد روى عن أبي زُرْعَةَ

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له قالها لامرأته الهزانية (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٦٣) والرواية فيه : يا جارتني . قال شارحه : الجارة هنا : زوجته . بيبي : أي فارتق . غاد وطارقه : ذكر ( غاد ) على إرادة الجمع ، وأنت ( طارقة ) على إرادة الجماعة . والغادي : الذي يأتي غداة في الصباح . والطارق الذي يطرق ، أي يأتي ليلا . وأنشده صاحب (اللسان طلق) قال ابن الأعرابي : طلقت (بضم اللام) من الطلاق : أجود ، وطلقت بفتح اللام - جائز . وكلهم يقول : امرأة طالق ، بغير هاء . وأما قول الأعشى « أيا جارتنا بيبي فإنك طالق » فإن البيت قال : أراد : طالقة غدا . قال غيره : قال طالقة على الفعل ، لأنها يقال لها : قد طلقت ، فيبي التعت على الفعل ، وطلاق المرأة : بينوتها عن زوجها . وامرأة طالق من نوسة طلق ، وطلالقة من نوسة طوالق . وأنشد قول الأعشى : « أجارتنا بيبي فإنك طالقة » . . . البيت .

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ٢٥) قال شارحه : طرقت : أتيت . واتمام : عوذ تعلق على الطفل . ومحول : أي تم له حول ، يقال : أحول الصبي فهو محول . ويروي : مغيل . وهو الذي ترضعه أمه وهي حبل ، يقال : أغالت المرأة ولدها ، فهي مغيل (بكر العين) ، وأغيلت فهي مغيل ، (بسكون العين، وكسر الياء) ؛ سقته الغيل ، وهو لبن الحبل ، والولد : مغال ومغيل . والشاهد في البيت أن « مرضع » بدون هاء . هو من الأوصاف الخاصة بالنساء دون الرجال ، وهو لذلك مستغن عن الهاء التي تدخل في الصفات للفرقة بين المذكر والمؤنث ، فأما قوله تعال ( يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) بالهاء في مرضعة ، فإنما يراد به المرأة التي معها صبي ترضعه ، فهي مثلية بالفعل ، فالفعل مراد هنا ، والصفة حينئذ تجرى على الفعل في التذكير والتانيث ، يقال أرضعت أو ترضع الأم ولدها ، فهي مرضعة له . فأما الأئمة التي من شأنها أن تكون مرضعا ولم تنلبس بالفعل ، فإنما يقال لها مرضع بلا هاء تانيث ، لأن هذا وصف خاص بالإناث ، فلا حاجة فيه إلى الهاء للفرق .

ابن عمرو بن جرير ( وَتَرَى النَّاسَ ) بضم التاء ونصب الناس ، من قول القائل : أُرَيْتُ تُرَى ، التي تطلب الاسم والفعل ، كظنِّ وأخواتها .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، ما عليه قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .

واختلف القرآء في قراءة قوله ( سَكَارَى ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة : ( سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) وقرآته عامة قرآء أهل الكوفة ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قرآءتان مستفيضتان في قرآءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، ومعنى الكلام : وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سَكَارَى من الفزع ، وما هم بسَكَارَى من شرب الخمر :  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى ) من الخوف ( وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) من الشراب :

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) قال : ما هم بسَكَارَى من الشراب ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) قال : ما شربوا خمرًا ، ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) يقول تعالى ذكره : ولكنهم صاروا سَكَارَى من خوف عذاب الله ، عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هول ، مع علمهم بشدة عذاب الله :

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣)

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : النضر بن الحارث ٢ . ويعنى بقوله ( مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلى وصار ترابا ، بغير علم يعلمه ، بل بجهد منه بما يقول ، ( وَيَتَّبِعُ ) في قبيله ذلك وجداله في الله بغير علم ( كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ) .

(١) لعل الصواب : الاسم والخبر . لأن ظن وأرى وأعلم تدخل على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر .

(٢) كان النضر بن الحارث بن كعدة قد أخذ الطب والفلسفة مع أبيه في الخبرة .



القول في تأويل قوله تعالى

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)

يقول تعالى ذكره : قضى على الشيطان ، فعنى ( كُتِبَ ) ههنا قُضِيَ ، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : كُتِبَ على الشيطان ، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : الشيطان اتبعه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه من تولاها ، قال : اتبعه . وقوله ( فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ ) يقول : فإن الشيطان يضلّه ، يعنى : يضلّ من تولاها . والهاء التي في ضله عائدة على « من » التي في قوله ( مَنْ تَوَلَّاهُ ) . وتأويل الكلام : قضى على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ، ولا يهديهم إلى الحق . وقوله ( وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ) يقول : ويسوق مَنْ اتَّبَعَهُ إلى عذاب جهنم الموقدة ، وسياقه إياه إليه بدعائه إياه إلى طاعته ومعصية الرحمن ، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ ، وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْمُومٍ ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم ، اتباعا منه للشيطان المرید ، وتنبیه له على موضع خطأ قبله ، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه . قال : يا أيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم ، استعظما منكم لذلك ، فإن في ابتدائنا خلق أياكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ، ثم إنشائناكم من نطفة آدم ، ثم تصریفناكم أحوالا حالا بعد حال ، من نطفة إلى علقة ، ثم من علقة إلى مضغة ، لكم معتبرا وتمعظا تعتبرون به ، فتعلمون أن من قدر على ذلك ، فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم ، كما كنتم أحياء قبل الفناء .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ، فقال بعضهم : هي من صفة النطفة ، قال : ومعنى ذلك : فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة ، قالوا : فأما المخلقة : فما كان خلقا سويًا . وأما غير مخلقة ، فما دفعته الأرحام من النطفة ، وألفته قبل أن يكون خلقا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : إذا وقعت النطفة في الرحم ، بعث الله ملكا فقال : يا ربّ مخلقة ، أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة بجنتها الأرحام دما . وإن قال مخلقة قال : يا ربّ فما صفة هذه النطفة ؟ أذكر أم أنثى ؟ ما رزقها ؟ ما أجلها ؟ أشقى أو سعيد ؟ قال : فيقال له : انطلق إلى أم الكتاب ، فاستنسخ منه صفة هذه النطفة : قال : فينطلق الملك فينسخها ، فلا تزال معه . حتى يأتي على آخر صفتها . وقال آخرون : معنى ذلك : تامة وغير تامة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله ( *مُخَلَّقَةٍ* وَغَيْرِ *مُخَلَّقَةٍ* ) قال : تامة وغير تامة .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ( *مُخَلَّقَةٍ* وَغَيْرِ *مُخَلَّقَةٍ* ) فذكر مثله . وقال آخرون : معنى ذلك المضغعة ، مصورة إنسانا وغير مصورة ، فإذا صورت فهي مخلقة ، وإذا لم تصور فهي غير مخلقة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( *مُخَلَّقَةٍ* ) قال : السقط مخلقة ( *وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ* ) .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( *مُخَلَّقَةٍ* وَغَيْرِ *مُخَلَّقَةٍ* ) قال : السقط مخلوق وغير مخلوق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في النطفة والمضغعة إذا نكست في الخلق الرابع ، كانت نَسَمَة مخلقة ، وإذا قدفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن أبي سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية *مُخَلَّقَةٍ* وَغَيْرِ *مُخَلَّقَةٍ* ) قال : السقط .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : الخلق : المصورة خلقا تاما ، وغير مخلقة : السقط قبل تمام خلقه ، لأن الخلق وغير الخلق من نعت المضغعة والنطفة ، بعد مصيرها مضغعة ، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا التصوير ، وذلك هو المراد بقوله ( *مُخَلَّقَةٍ* وَغَيْرِ *مُخَلَّقَةٍ* ) خلقا سويا ، وغير مخلقة بأن تلقية الأم مضغعة ولا تصور ، ولا ينفخ فيها الروح .



وقوله (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره : جعلنا المضغ منها المختلقة التامة ، ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ، ونعرفكم ابتداءنا خلقكم .  
 وقوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره : من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية ، فإنا نقره في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها ، فلا تسقطه ، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله ، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها ، أذنا له بالخروج منها ، فيخرج .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : التام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : الأجل المسمى : إقامته في الرحم حتى يخرج .  
 وقوله (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) يقول تعالى ذكره : ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ؛ ووحيد الطفل ، وهو صفة للجميع ، لأنه مصدر مثل عدل وزور .  
 وقوله (ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسَدًاكُمْ) يقول : ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم .  
 وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد ، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا،  
 وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
 بَهِيجٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشده فيموت ، ومنكم من ينسأ في أجله ، فيعمر حتى يهرم ، فيرد من بعد انتهاء شبابه ، وبلوغه غاية أشده ، إلى أردل عمره ، وذلك الهرم ، حتى يعود كهيئته في حال صباه ، لا يعقل من بعد عقله الأول شيئا .

ومعنى الكلام : ومنكم من يرد إلى أردل العمر ، بعد بلوغه أشده (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ) كان يعلمه (شَيْئًا) . وقوله (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يقول تعالى ذكره : وترى الأرض يا محمد يابسة

دارسة الآثار من النبات والزرع ، وأصل الممود : الدروس والذثور ، ويقال منه : همدت الأرض تهمد هُمودا ؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس :

قَالَتْ قُتَيْلَةُ : مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا وَأَرَى ثِيَابَكَ بِالْيَاتِ مُهْمَدًا

والمُهمد : جمع هامد ، كما الركع جمع راعع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ( وَتَمَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ) قال : لانبات فيها .

وقوله ( فَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ) يقول تعالى ذكره : فاذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التى لانبات فيها ، المطر من السماء اهتزت : يقول : تحركت بالنبات ( وَرَبَّتْ ) يقول : وأضعفت النبات بمجىء الغيث .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال : عُرِفَ الْغَيْثُ فِي رَبْوِهَا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال : حسنت ، وعرف الغيث فى ربوها .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، ويوجه المعنى إلى الزرع ، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض . وقرأت قرآء الأمصار ( وَرَبَّتْ ) بمعنى : الربو : الذى هو النماء والزيادة . وكان أبو جعفر القارى يقرأ ذلك ( وَرَبَّاتٌ ) بالهمز .

حدثت عن الفراء ، عن أبي عبد الله التميمى عنه ، وذلك غلط ، لأنه لاوجه للرب هاهنا ، وإنما يقال : ربأ بالهمز بمعنى : حرس من الربيثة ، ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع ، والصحيح من القراءة ما عليه قرآء الأمصار .

وقوله ( وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ) يقول جل ثناؤه : وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث ، من كل نوع بهيج ، يعنى بالبهيج : البهيج ، وهو الحسن .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) . وهو من قصيدة قالها لكرمى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن ولة على بعض السواد . والرواية فيه « ساينا » فى موضع « شاحبا » . قال فى تفسيره : ساين : يسوء من رآه . وهمد الثوب تقطع من طول الطي ، ينظر إليه الناظر ، فيحسبه صهيحا ، فإذا مسه تناثر من الليل . ومثله فى (اللسان هـ) : ( وترى الأرض هامة ) : أى جافة ذات تراب . وأرض هامة : مقشعة ، لانبات فيها إلا اليابس المتحطم ، وقد أهدمها لتقط . اه .



وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِبَيْحٍ ) قال : حسن .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله : ذلك هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم فى بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده : طفلا ، وكهلا ، وشيخا هرما ، وتفينيناكم على فعلنا بالأرض الهامدة ، بما نزل عليها من الغيث ، لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذى فعل ذلك ، الله الذى هو الحق لا شك فيه ، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل ، لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك ، وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الأشياء العجيبة ، لا يتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فناءها ودروسها فى التراب ، وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شيء . قادر ، لا يمنع عليه شيء أراده ، ولتوقوا بذلك أن الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لاحمالة . ( لا ريب فيها ) يقول : لا شك فى مجيئها وحدوثها . ( وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) حينئذ من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب ، فلا تشكوا فى ذلك ، ولا تتمسروا فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ( وَلَا هُدًى ) يقول : وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان ( وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ) يقول : وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول . ( منير ) يقول ينير عن حجته . وإنما يقول ما يقول من الجهل ، ظنا منه وحسابا ، وذكر أنه عسى بهذه الآية التى بعدها النضر بن الحارث من بنى عبد الدار .

القول في تأويل قوله تعالى

ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ، وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْخَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم (ثاني عِطْفِيهِ) .  
 واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه ، وما المراد من وصفه إياه بذلك ،  
 فقال بعضهم : وصفه بذلك لتكبره وتبخره ، وذكر عن العرب أنها تقول : جاءني فلان ثاني عطفه : إذا  
 جاء متبخترا من الكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (ثاني عِطْفِيهِ) يقول : مستكبرا في نفسه .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا ورقبته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثاني عِطْفِيهِ) قال : رقبته .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثاني عِطْفِيهِ) قال : لا وعنفه .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 وقال آخرون : معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله (ثاني عِطْفِيهِ) يقول : يعرض عن ذكرى .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (ثاني عِطْفِيهِ) لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ  
 اللَّهِ ( قال : لاويا رأسه ، معرضا موليا ، لا يريد أن يسمع ما قيل له ، وقرا ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا  
 يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا  
 تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآتَيْنَا وَلِيًّا مُسْتَكْبِرًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ثاني  
 عِطْفِيهِ) قال : يعرض عن الحق .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى ، وذلك أن من كان ذا استكبار ، فمن شأنه  
 الإعراض عما هو مستكبر عنه ولوى عنقه عنه والإعراض .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم ، أنه من كبره إذا  
 دُعِيَ إِلَى اللَّهِ ، أَعْرَضَ عَنْ دَاعِيهِ ، وَلَوَّى عُنُقَهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ مَا يُقَالُ لَهُ اسْتِكْبَارًا .

وقوله ( لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا



عن الحقّ استكباراً، ليصدّ المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ، ويستزّلهم عنه ( له في الدنيا خيزي ) يقول جلّ ثناؤه لهذا الجادل في الله بغير علم ، في الدنيا خزي ، وهو القتل والذلّ والمهانة بأيدي المؤمنين ، فقتله الله بأيديهم يوم بدر .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، قوله ( في الدنيا خيزي ) قال : قُتِلَ يوم بدر .

وقوله ( وَتَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ) يقول تعالى ذكره : ونحرقه يوم القيامة بالنار . وقوله ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ) يقول جلّ ثناؤه : ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة : هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجمام ( وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ) يقول : وفعلنا ذلك ، لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض عبده على جرّم ، وهو يغفراً مثله من آخر غيره ، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب ، فيعاقبه به ، ويغفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا يعاقب أحداً إلا على جرمه ، ولا يعذب أحداً على ذنب يغفر مثله لآخر ، إلا بسبب استحقّ به منه مغفرته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَمِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)

يعني جلّ ذكره بقوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) أعراباً كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجرين من باديّهم ، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام ، أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم ، فقال الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ ) على شك ، فإن أصابه خير اطمأنّ به ، وهو السعة من العيش ، وما يشبهه من أسباب الدنيا ، اطمأنّ به : يقول : استقرّ بالإسلام ، وثبت عليه ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ( انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) يقول : ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه ، من الكفر بالله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) . . . إلى قوله ( انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) قال : الفتنة البلاء ، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة ، فإن صحّ بها جسمه ، ونسجت فرسه مهراً حسناً ، وولدت امرأته غلاماً ، رضى به ، واطمأنّ إليه ، وقال : ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيراً ، وإن

(١) في الأصل يغفو . وفي العبارة ارتباك ، توضيحه في آخر كلامه .

أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًا ، وذلك الفتنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي بكر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك ، فإن أصابه خير ، رخاء وعافية . اطمأن به : استقر . ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) : عذاب ومصيبة ( انْقَلَبَ ) : ارتدَّ ( عَلَى وَجْهِهِ ) : كافرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . قال ابن جريج : كان ناس من قبائل العرب ، ومن حولهم من أهل القرى ، يقولون : أتى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بأهلنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : شك ( فَإِنْ أَصَابَهُ خَسِيرٌ ) يقول : أكثر ماله ، وكثرت ماشيته اطمأن وقال : لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) يقول : وإن ذهب ماله ، وذهبت ماشيته ( انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، نحوه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) الآية . كان ناس من قبائل العرب ، ومن حول المدينة من القرى ، كانوا يقولون : أتى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فنظر في شأنه ، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بمنزلنا وأهلينا ، وكانوا يأتونه فيقولون : نحن على دينك ، فإن أصابوا معيشة ، وتزوجوا خيلهم ، وولدت نسأؤم الغلمان ، اطمأنوا وقالوا : هذا دين صدق ، وإن تأخر عنهم الرزق ، وأزلقت خيولهم ، وولدت نسأؤم البنات ، قالوا : هذا دين سوء ، فانقلبوا على وجوههم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) فإن أصابه خسير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسير الدنيا والآخرة ) قال : هذا المنافق ، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه ، وتغيرت ، انقلب ، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه . وإذا أصابته شدة أو فتنة ، أو اختبار أو ضيق ، ترك دينه ، ورجع إلى الكفر .

وقوله ( خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : غيب هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته ، دنياه ، لأنه



لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ، ووضع في تجارته ، فلم يربح ، والآخرة : يقول : وخسر الآخرة ، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة . وقوله ( ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ) يقول : وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران : يعنى الهلاك المبين : يقول : بين لمن فكَّرَ فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار جميعا ، غير حميد الأعرج ( خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ) على وجه المنصى . وقرأه حميد الأعرج ( خاسِرًا ) نصبا على الحال ، على مثال فاعل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وإن أصابت هذا الذى يعبد الله على حرف فتنة ، ارتدَّ عن دين الله ، يدعو من دون الله آفة لانضره إن لم يعيدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عيدها . ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) : يقول : ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآفة ، هو الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ) يكفر بعد إيمانه ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، لِبَيْسِ الْمَوْلَى ، وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ (١٣)

يقول تعالى ذكره : يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آفة ، لضرها في الآخرة له أقرب وأسرع إليه من نفعها . وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ .

واختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » ، فكان بعض نحوِّي البصرة يقول : موضعه نصب ييدعو ، ويقول : معناه : يدعو لآفة ضرها أقرب من نفعها ، ويقول : هو شاذ لأنه لم يوجد في الكلام يدعو لزيدا . وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول : اللام من صلة ما بعد « مَنْ » ، كأن معنى الكلام عنده : يدعو من لضره أقرب من نفعه . وحكى عن العرب سماعا منها : عندي لَمَّا غَيْرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ ، بمعنى : عندي ما لغيره خير منه . وأعطيتك لَمَّا غَيْرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ ، بمعنى : ما لغيره خير منه . وقال : جائز في كل ما لم يتبين فيه الإعراب ، الاعتراض باللام دون الاسم .

وقال آخرون منهم : جائز أن يكون معنى ذلك : هو الضلال البعيد يدعو ، فيكون « يدعو » صلة الضلال البعيد ، وتضمير في يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام ، فنقول : لمن ضره أقرب من نفعه : لبئس المولى ، كقولك في الكلام في مذهب الجزاء : لَمَّا فَعَلْتِ لَمَّا خَسِرْتِ . فعلى هذا القول « من » في موضع رفع بالهاء

في قوله ضَرَّهُ ، لأن مَنْ إذا كانت جزءاً ، فلإنما يعربها ما بعدها ، واللام الثانية في لبس المولى جواب اللام الأولى ، وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح ، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب .  
وقوله ( لَبِئْسَ المَوَالِي ) يقول: لبس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف . ( وَلَبِئْسَ العَشِيرُ ) : يقول : ولبس الخليط المعاصر والصاحب : هو كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَبِئْسَ العَشِيرُ ) قال : العشير : هو المعاصر الصاحب ، وقد قيل : عني بالمولى في هذا الموضع : المولى الناصر .

وكان مجاهد يقول : عني بقوله ( لَبِئْسَ المَوَالِي وَلَبِئْسَ العَشِيرُ ) الوثن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَبِئْسَ العَشِيرُ ) قال : الوثن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، فيها جنات : يعني بساتين ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجري الأنهار من تحت أشجارها ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) فيعطى ما شاء من كرامته أهل طاعته ، وما شاء من الخوان أهل معصيته :

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) .

فقال بعضهم : عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فتأويله على قول بعض قائل ذلك : من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ، فليمدد بحبل ، وهو السبب إلى السماء : يعني سماء البيت ، وهو سقفه ، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به ، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك ، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ : يقول : هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة : من كان يظن أن لن



ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه ، فليمدد بسبب : يقول : بجبل إلى سماء البيت فليختنق به ( فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم : ( فَلْيَسْمُدْ دُؤْبَسَبَبِ ) : يقول : بجبل إلى سماء البيت . ( ثُمَّ لِيَقْطَعِ ) يقول : ثم ليختنق . ( ثُمَّ لِيَسْتَنْظُرْ هَلْ يَذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقال آخرون ممن قال : الهاء في ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التي ذكرت في هذا الموضع ، هي السماء المعروفة .

قالوا : معنى الكلام ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) فقرأ حتى بلغ ( هَلْ يَذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكابد هذا الأمر ، ليقطعه عنه ، ومنه : فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه ، فإن أصله في السماء ، فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله ، فإنه لا يكابده حتى يقطع أصله عنه ، فكابد ذلك حتى قطع أصله عنه ، فليظن هل يذهب كيده ما يغيط : ما دخلهم من ذلك ، وغازطهم الله به من نصرته النبي صلى الله عليه وسلم وما ينزل عليه . وقال آخرون ممن قال : « الهاء » التي في قوله ( يَنْصُرُهُ ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، معنى النصر هاهنا الرزق ، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام : من كان يظن أن لن يرزق الله محمداً في الدنيا ، ولن يعطيه . وذكروا سماعاً من العرب : من ينصرني نصره الله ، بمعنى : من يعطني أعطاه الله : وحكوا أيضاً سماعاً منهم : نصر المطر أرض كذا : إذا جادها وأحياها ، واستشهد لذلك بيت الفقعسي :

وَإِنَّكَ لَا تُعْطِيْ امْرَأًا فَوْقَ حَظِّهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ<sup>١</sup>

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَسْمُدْ دُؤْبَسَبَبِ )

(١) البيت للفقعسي ، كما قال المؤلف . والشاهد فيه قوله « الغيث ناصره » . قال في (اللسان : نصر) قال أبو حنيفة الديلمي والناصر والناصر : ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي ، فنصر السيول . ونصر البلاد ينصرها أي يأنسها . عن ابن الأعرابي ، ونصرت أرض بين فلان أي أنبتها ، ونصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها . قال :

من كان أعطاه الربيع فإنما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد

ونصر الغيث البلد : إذا أعانه على الحصب والنبات . وقال أبو عبيد : نصرت البلاد : إذا مطرت . فهي منصورة : أي مطورة . ونصر القوم : إذا أغاثوا . وفي الحديث : « إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب » : أي تمطرهم .

بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيْقَطَعُ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ، فليربط جبلا في سقف ، ثم ليختنق به حتى يموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الحمداني ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) والسبب : الحبل ، والسماء : سقف البيت ، فليعلق جبلا في سماء البيت ، ثم ليختنق ( فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ ) هذا الذي صنع ما يجد من الغيظ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني تميم ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : سماء البيت .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت التميمي ، يقول : سألت ابن عباس ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ... إلى قوله ( مَا يَغِيظُ ) قال : السماء التي أمر الله أن يمد إليها بسبب : سقف البيت ، أمر أن يمد إليه بحبل ، فيختنق به ، قال : فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيب إذا ختنق ، إن خشى أن لا ينصره الله !

وقال آخرون : الهاء في ينصره من ذكر « مَنْ » . وقالوا : معنى الكلام : من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ، ثم ليختنق ، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيب ، أنه لا يرزق !

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : يرزقه الله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ ) قال : بحبل ( إِلَى السَّمَاءِ ) سماء ما فوقك ( ثُمَّ لَيْقَطَعُ ) ليختنق ، هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) يرزقه الله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : بحبل إلى السماء . قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : إلى السماء : إلى سماء البيت . قال ابن جريج : وقال مجاهد : ( ثُمَّ لَيْقَطَعُ ) قال : ليختنق ، وذلك كيده ما يغيب ، قال : ذلك خنقه أن لا يرزقه الله .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) يعنى : بجبل ( إلى السماء ) يعنى : سماء البيت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : سئل عكرمة عن قوله : ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : سماء البيت . ( ثُمَّ لِيَقْطَعُ ) قال : يخنق .

وأولى ذلك بالصواب عندى فى تأويل ذلك : قول من قال : الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، ذكر قوما يعبدونه على حرف ، وأنهم يطمثون بالدين إن أصابوا خيرا فى عبادتهم إياه ، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ، ثم أتبع ذلك هذه الآية ، فعلوم أنه إنما أتبعه إياها توييحا لهم على ارتدادهم عن الدين ، أو على شكهم فيه نفاقهم ، استبطاء منهم السعة فى العيش ، أو السبوغ فى الرزق . وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم ، فعنى الكلام إذن ، إذ كان ذلك كذلك : من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمه فى الدنيا ، فيوسع عليهم من فضله فيها ، ويرزقهم فى الآخرة من سنى عطاياه وكرامته ، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم ، فليمدد بجبل إلى سماء فوقه : إما سقف بيت ، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ، ثم يخنق إذا اغتاط من بعض ما قضى الله ، فاستعجل انكشاف ذلك عنه ، فلينظر هل يذهبن كيدته اختناقه كذلك ما يغيظ ، فإن لم يذهب ذلك غيظه ، حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب ، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه ، لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ، ولا يعجل قبل حينه . وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى أسد وغطفان ، تابطوا عن الإسلام ، وقالوا : نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم ، فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود ، فلا يميروننا ولا يرووننا ، فقال الله تبارك وتعالى لهم : من استعجل من الله نصر محمد ، فليمدد بسبب إلى السماء ، فليخنق ، فلينظر استعجاله بذلك فى نفسه ، هل هو مذهب غيظه ؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه .

واختلف أهل العربية فى « ما » التى فى قوله ( ما يغيظ ) فقال بعض نحوى البصرة : هى بمعنى الذى ، وقال : معنى الكلام : هل يذهبن كيدته الذى يغيظه ، قال : وحذفت الهاء لأنها صلة الذى ، لأنه إذا صار جميعا اسما واحدا ، كان الحذف أخف . وقال غيره : بل هو مصدر ، لاجابة به إلى الهاء ، هل يذهبن كيدته يغيظه .

وقوله ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : وكما بينت لكم حُجَجِي على من جحد قدرتى على إحياء من مات من الخلق بعد فئاته ، فأوضحها أيها الناس ، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بيّنات ، يعنى دلالات واضحات ، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحق ( وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ) يقول جل ثناؤه : ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد ، أنزل هذا القرآن آيات بيّنات ، فأن : فى موضع نصب .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، إِنَّ  
اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)

يقول تعالى ذكره : إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف ، والذين أشركوا بالله ، فعبدوا الأوثان والأصنام ، والذين هادوا ، وهم اليهود . والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها ، وبين الذين آمنوا بالله ورسله : إلى الله ؛ وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء ، وفصله بينهم : إدخاله النار الأحزاب كلهم ، والجنة المؤمنين به ورسله ، فذلك هو الفصل من الله بينهم .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) قال : الصابئون : قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون القبلة ، ويقرءون الزبور . والمجوس : يعبدون الشمس والقمر والنيران . والذين أشركوا : يعبدون الأوثان . والأديان ستة : خمسة للشيطان ، وواحد للرحمن . وأدخلت « إن » في خبر « إن » الأولى لما ذكرت من المعنى ، وأن الكلام بمعنى الجزاء ، كأنه قيل : من كان على دين من هذه الأديان ، ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله ، والعرب تدخل أحيانا في خبر « إن » ، إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره ، فتقول : إن عبد الله إن الخير عنده لكثير ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلَهُ سِرْبَالَ مَلِكٍ بِهِ تُرْجِي الْحَوَاتِيمُ<sup>١</sup>

وكان الفراء يقول : من قال هذا لم يقل : إنك إنك قائم ، ولا إن إياك إنه قائم ، لأن الاسمين قد اختلفا ، فحسن رفض الأول ، وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ ، فحسن للاختلاف ، وقبح للاتفاق . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) يقول : إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعه الصاوي ص ٥٢٧) وهو من قصيدة يمدح بها بعض بني مروان . وفي روايته : « يكنى » في موضع « إن » الأولى . وترجي ، في موضع ترجى . قال شارح شواهد الكشاف : خاتم الشيء : عاقبته . وترجي أي تساق خواتيم الإمارة ، والخاتم يفتح التاء وكسرهما ، يقال أزجيت الإبل أي سقتها . والبيت شاهد عند قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ ... إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ) : أدخلت إن على كل واحد من جزأ الجملة ، لزيادة التأكيد . وحسن دخول إن الثانية على الجملة الواقعة خبرا ، طول الفصل بينهما بالمعاطيف . والمؤلف ساق البيت شاهدا على أنه نظير ما في الآية من دخول إن الثانية على جملة الخبر إذا كان فيه ضمير . ويجوز في البيت وجه آخر ، وهو أن تكون جملة إن الله سر به سر به ملك ، جملة معترضة بين اسم إن وخبرها ، ولا يجوز ذلك في الآية . قاله أبو حيان ، ونقله عنه شارح شواهد الكشاف . اهـ . والسربال : التقيص والدرع . والمراد هنا الأول .



القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ  
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بقلبك ، فتعلم أن الله يسجد له من في السموات من الملائكة ، ومن في الأرض من الخلق من الجن ، وغيرهم ، والشمس والقمر والنجوم في السماء ، والجبال ، والشجر ، والدواب في الأرض ، وسجد ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس ، وحين تروى ، إذا تحول ظل كل شيء فهو سبوده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ) قال : ظلال هذا كله .

وأما سبود الشمس والقمر والنجوم ، فإنه كما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر ، قالوا : ثنا عوف ، قال : سمعت أبا العالية الرياحي يقول : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين ، وزاد محمد حتى يرجع إلى مطلعته . وقوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) يقول : ويسجد كثير من بني آدم ، وهم المؤمنون بالله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) قال : المؤمنون : وقوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يقول تعالى ذكره : وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله ، فوجب عليه بكفره به ، وهو مع ذلك يسجد لله ظله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وهو يسجد مع ظله ، فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد ، وقع قوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) بالعطف على قوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) ويكون داخلا في عداد من وصفه الله بالسجود له ، ويكون قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) من صلة كثير ، ولو كان الكثير الثاني ممن لم يدخل في عداد من وصف بالسجود ، كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وكان معنى الكلام حينئذ : وكثير أبي السجود ، لأن قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يدل على معصية الله وإيائه السجود ، فاستحق بذلك العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : ومن يهينه الله من خلقه فيشقيه ( فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ) بالسعادة يسعده بها ، لأن

الأموار كلها بيد الله ، يوفّق من يشاء لطاعته ، ويخذل من يشاء ، ويُسقي من أراد ، ويسعد من أحب .  
 وقوله ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من  
 أراد إهانتته ، وإكرام من أراد كرامته ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، ( لَا يُسْتَلْ سَمًا يَفْعَلُ  
 وَهُمْ يُسْتَلُونَ ) . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه ( فَتَأْتِيهِ مِنْ مَكْرَمٍ ) بمعنى : فإله من إكرام ،  
 وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

القول في تأويل قوله تعالى

• هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ أَلْسِنُهُمْ شِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُصَبُّ مِنْ  
 فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)  
 كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)

اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ، فقال بعضهم : أحد الفريقين :  
 أهل الإيمان ، والفريق الآخر : عبدة الأوثان من مشركي قريش ، الذين تبارزوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس بن عباد ، قال :  
 سمعت أبا ذرٍّ يقسم قسماً أن هذه الآية ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) نزلت في الذين تبارزوا يوم  
 بدر : حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، قال : وقال عليّ : إني  
 لأوّل ، أو من أوّل من يحنو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس  
 ابن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم بالله قسماً : لنزلت هذه الآية في سنة من قريش : حمزة بن عبد المطلب ،  
 وعليّ بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد  
 ابن عتبة ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) . . . إلى آخر الآية ( إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) .. إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس  
 ابن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن  
 يساف ، قال : نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء  
 ابن يسار ، قال : نزلت هؤلاء الآيات ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) : في الذين تبارزوا يوم



بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . إلى قوله ( وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، قال : والله لأُنزلت هذه الآية ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين خرج بعضهم إلى بعض يوم بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة رحمة الله عليهم ، وشيبة ، وعتبة ، والوليد بن عتبة .  
وقال آخرون : ممن قال : أحد الفريقين فريق الإيمان ، بل الفريق الآخر أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : هم أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله ، وأقدم منكم كتابا ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحقّ بالله ، آمننا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل الله من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ، ثم تركتموه وكفرتكم به حسدا ، وكان ذلك خصومتهم في ربهم .

وقال آخرون منهم : بل الفريق الآخر الكفار كلهم ، من أي ملة كانوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وأبي قرعة ، عن الحسين ، قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم ؛ قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثل الكافر والمؤمن . قال ابن جريج : خصومتهم التي اختصموا في ربهم ، خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين ، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل ، قال : جعل الشرك ملة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا فِي رَبِّهِمْ ) قال : مثل المؤمن والكافر اختصمهما في البعث .  
وقال آخرون : الحصان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة

في ( هَذَا أَنْ خَصَّصْنَا اخْتَصَّصُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار : خلقني الله لعقوبته ، وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته ، فقد قصَّ الله عليك من خبرهما ما تسمع .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عني بالخصمين : جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخر : أهل معصية له ، قد حقَّ عليه العذاب ، فقال ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ) ثم قال : ( وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما ، وما هو فاعل بهما ، فقال : فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار ، وقال الله ( إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) فكان بيئنا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيها روى عن أبي ذرٍّ في قوله ( إِنَّ ذَلِكَ ) نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ قيل : ذلك إن شاء الله كما روى عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب ، وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما ، في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما ، في أنه لأهل الشرك خصم . فتأويل الكلام : هذان خصمان اختصموا في دين ربهم ، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ، ومحاربتة إياه على دينه .

وقوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) يقول تعالى ذكره : فأما الكافر بالله منهما فإنه يُقَطِّع له قميص من نحاس من نار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) قال : الكافر قُطِّعَتْ له ثياب من نار ، والمؤمن يدخله الله جنات تجرى من تحتها الأنهار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) قال : ثياب من نحاس ، وليس شيء من الآنية أحمى وأشدَّ حرًّا منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكفار قطعتم لهم ثياب من نار ، والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الأنهار . وقوله ( يُصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ) يقول : يصب على رؤوسهم ماء مغلَّى .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن



زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، فَيَتَنَفَّذُ الجُمُجُمَةَ ، حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْأَلُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ ، وَهِيَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله ، إلا أنه قال : « فَيَتَنَفَّذُ الجُمُجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْأَلُ مَا فِي جَوْفِهِ » .

وكان بعضهم يزعم أن قوله ( وَهِيَ الصَّهْرُ مِنْ حَدِيدٍ ) من المؤخر الذي معناه التقديم ، ويقول : وجه الكلام : فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار ، ولهم مقامع من حديد ، يصب من فوق رؤوسهم الحميم ، ويقول : إنما وجب أن يكون ذلك كذلك ، لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد ، حتى ينقب رأسه ، ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره ، فيقطع بطنه . والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا ، يدل على خلاف ما قال هذا القائل ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم إذا صب على رؤوسهم نفذ الجُمُجُمَةَ ، حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى أَجْوَاهِهِمْ ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ، ولو كانت المقامع قد تنقب رؤوسهم قبل صب الحميم عليها ، لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الحَمِيمَ يَتَنَفَّذُ الجُمُجُمَةَ » معنى : ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل .

وقوله ( يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول : يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ، ما في بطونهم من الشحوم ، وتَشْوَى جلودهم منه فتساقط ، والصحير : هو الإذابة ، يقال منه : صهرت الألية بالنار : إذا أذبتها ، أصهرها صهرا ، ومنه قول الشاعر :

تَرَوِي لَقِيَّ اللَّقِيَّ فِي صَفْصَفِ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ وَلَا يَنْصَهَرُ  
ومنه قول الرازي : . شَكَّ السَّغَايِدِ الشَّوَاءَ الْمُصْطَهَرُ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يُصْهَرُ بِهِ ) قال : يُذَابُ إِذَابَةً .

(١) يسلط في جوفه من باب نصر : أي يقطعه ويستأصله .

(٢) البيت لابن أحر يصف فرخ قطة (السان : صهر) قال : وصهرته الشمس تصهره صهرا ، وصهرته : اشتد وقعها عليه وحرها ، حتى ألم دماغه ، وانصهر هو ، قال ابن أحر يصف فرخ قطة ... البيت : أي تذيبه الشمس ، فيصير حل ذلك . وتروى تسوق إليه الماء ، أي تصير له كالراوية ؛ يقال : رويت أهل وعلمهم ربا : أتيتهم بالماء . والصحير : إذابة الشحم ، صهر الشحم يصهره صهرا : أذابه . وفي التنزيل : ( يصهر به ما في بطونهم والجلود ) أي يذاب . واصطهره : أذابه وأكله . اهـ . والقي : كل شيء مطروح مقروك كالقطة . والصفصيف : أرض ملساء مستوية ، كما في اللسان . اهـ .

(٣) البيت للمجاج بن ربيعة الرازي المشهور (السان : صهر) قال : الأزهرى : الصهر إذابة الشحم ، والصحارة : ما ذاب منه . وكذلك الاصطهار في إذابة ، أو أكل صحارته . وقال المجاج : ( شك السغاييد . . . البيت ) . والبيت شاهد مثل الذي قبله ، عل أن الصهر معناه الإذابة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج ( يُصَهَّرُ بِهِ ) : قال : ما قطع لهم من العذاب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ ) قال : يُدَابُّ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ) . . . إلى قوله ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول : يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها ، والجلود مع البطون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : هارون : إذا عام أهل النار ، وقال جعفر : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فيأكلون منها ، فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً مرّ بهم يعرفهم ، يعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصبّ عليهم العطش ، فيستغيثوا ، فيغاثوا بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حرّه ، فإذا أدنوه من أفواههم ، انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ( وَيُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ ) يعني أمعاءهم ، وتساقط جلودهم ، ثم يشربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو على حاله ، يدعون بالويل والثبور . وقوله ( وَكُلُّهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ) تضرب رءوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار ، حتى ترجعهم إليها . وقوله ( كُلِّمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ) يقول : كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار ، مما نالهم من الغم والكرب ، رُدُّوا إليها .

كما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء فيها ولا جمرها ، ثم قرأ ( كُلِّمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ) وقد ذكروا أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم ، فتلقى من فيها إلى أعلى أبوابها ، فيريدون الخروج ، فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ، ويقولون لهم : إذا ضربوهم بالمقامع : ( ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) . وعنى بقوله ( ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) ويقال لهم : ذوقوا عذاب النار ، وقيل عذاب الحريق والمعنى : المحرق ، كما قيل : العذاب الأليم ، بمعنى : المؤلم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)



يقول تعالى ذكره : وأما الذين آمنوا بالله ورسوله ، فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال ، فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، فيحلبهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَلَوْلُؤَا ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا ، مع التي في الملائكة ، بمعنى : يخلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا ، عطفًا باللؤلؤ على موضع الأساور ، لأن الأساور وإن كانت مخفوضة من أجل دخول مين فيها ، فإنها بمعنى النصب ، قالوا : وهي تعدّ في خط المصحف بالألف ، فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه . وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصريين ( وَلَوْلُؤِي ) خفضا ، عطفًا على إعراب الأساور الظاهر .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في وجه إثبات الألف فيه ، فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكِر لي عنه يقول : أثبتت فيه كما أثبتت في قائلوا ، وكألوا . وكان الكسائي يقول : أثبتوها فيه للهمزة ، لأن الهمزة حرف من الحروف .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متفقًا المعنى ، صحيحًا المتخرّج في العربية ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله ( وَكَلَّيْسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ) يقول : ولبوسهم التي تلى أبقراط فيها ثياب حرير . وقوله ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) يقول تعالى ذكره : وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله :

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : هدوا إلى الكلام الطيب : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ؛ قال الله ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : ألهيموا . وقوله ( وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) يقول جل ثناؤه : وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد ، وطريقه : دينه دين الإسلام الذي شرعه خلقه ، وأمرهم أن يسلكوه ؛ والحميد : فعيل ، صرف من مفعول إليه ، ومعناه : أنه محمود عند أوليائه من خلقه ، ثم صرف من محمود إلى حميد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً  
الْمَكِيفُ فِيهِ وَالْأَبَادِ ، وَمَن يَرُدَّ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ، ويصدون عن سبيل الله : يقول : ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه ، وعن المسجد الحرام

الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة، لم يخصص منها بعضا دون بعض. (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) : يقول : معتدل في الواجب عليه ، من تعظيم حرمة المسجد الحرام ، وقضاء نُسُكِهِ به ، والنزول فيه ، حيث شاء العاكف فيه ، وهو المقيم به ؛ والباد : وهو المتتاب إليه من غيره .  
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سواء العاكف فيه ، وهو المقيم فيه ؛ والباد ، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن سابط ، قال : كان الحجاج إذا قدموا مكة ، لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم ، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل ، فنشأ فيهم السرّاق ، وكل إنسان يسرق من ناحيته ، فاصطنع رجل بابا ، فأرسل إليه عمر : أتخذت بابا من حجاج بيت الله ؟ فقال : لا ، إنما جعلته ليحترز متاعهم ، وهو قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : الباد فيه كالمقيم ، ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد ، إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، قال : قلت لسعيد ابن جبير : أعتكف بمكة ؟ قال : أنت عاكف ، وقرأ (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) العاكف : أهله ، والباد : المتتاب في المنزل ، سواء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) يقول : ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ؛ والباد : الذي يأتيه ، هم فيه سواء في البيوت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) سواء فيه أهله وغير أهله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء .

وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ) قال : الساكن ، والباد : الجانب ، سواء حقّ الله عليهما فيه .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قال : الساكن ( والباد ) : الجانب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو ثميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعطاء ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قالوا من أهله ، والباد : الذين يأتونه من غير أهله ، هما في حرمة سواء .

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، لأن الله تعالى ذكره ، ذكر في أوّل الآية صدّ من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم ، عن المسجد الحرام ، فقال ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) ثم ذكر جلّ ثناؤه صفة المسجد الحرام ، فقال ( الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ) فأخبر جلّ ثناؤه أنه جعله للناس كلهم ، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه . ثم قال ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) فكان معلوماً أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد ، إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدّوا عنه المؤمنين به ، وذلك لاشكّ طوافهم ، وقضاء مناسكهم به والمقام ، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم . وقيل ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) فعطف بيبصون وهو مستقبل على كفروا ، وهو ماض ، لأن الصدّ بمعنى الصفة لهم والدوام . وإذا كان ذلك معنى الكلام : لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال ، ولا يكون بلفظ الماضي . وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : إن الذين كفروا من صفتهم الصدّ عن سبيل الله ، وذلك نظير قول الله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) . وأما قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) ، فإن قرأه الأمصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به ، وإعمال جعلناه في الهاء المتصلة به ، واللام التي في قوله للناس ، ثم استأنف الكلام بسواء ، وكذلك تفعل العرب بسواء ، إذا جاءت بعد حرف قد تمّ الكلام به ، فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشرّ ، وقد يجوز في ذلك الخفض : وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم ، فكأنهم قالوا : مررت برجل واحد عنده الخير والشرّ . وأما من خفضه ، فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشرّ ، ومن قال ذلك في سواء ، فاستأنف به ورفع ، لم يقله في معتدل ، لأن معتدل فعل مصرّح ، وسواء مصدر ، وإخراجهم إياه إلى الفعل لإخراجهم حسب في قولهم : مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل . وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه سواء نصبا على إعمال جعلناه فيه ، وذلك وإن كان له وجه في العربية ، فقراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

وقوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : ومن يرد فيه إلحادا بظلم ، نذقه من عذاب أليم ، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم . وأدخلت الباء في قوله بإلحاد ، والمعنى فيه ما قلت ، كما أدخلت في قوله تنبت بالدهن ، والمعنى : تنبت الدهن ، كما قال الشاعر :

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّيْبَهَانِ ١

(١) البيت للأحول البشكري ، واسمه يعلى ، قاله في (اللسان : شبه) نقله عن أبي عبيدة . وقد مر هذا الشاهد على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، عند قوله تعالى « وهزى إليك بجذع النخلة » (١٦ : ٧٢) ووفينا الكلام في رواياته وتخريجه ، فراجعه ثمة .

والمعنى : وأسفله يُنْثَب المَرْخ والشبهان ؛ وكما قال أعشى بن ثعلبة :

ضَمِنْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا      بَيْنَ المَرَّاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدِ ١

بمعنى : ضمنت رزق عيالي أرماحنا في قول بعض نحويي البصريين . وأما بعض نحويي الكوفيين فإنه كان يقول : أدخلت الباء فيه ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم . وكان يقول : دخول الباء في أن أسهل منه في إلحاد ، وما أشبهه ، لأن أن تُضْمَر الخوافض معها كثيرا ، وتكون كالشرط ، فاحتملت دخول الخوافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقال في المصادر : يتبين الرفع والخفض فيها ، قال : وأنشدني أبو الجراح :

فَلَمَّا رَجَتِ بِالشَّرْبِ هَزَّهَا العَصَا      شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الأَدَاءِ تَهِيمٌ ٢

وقال امرؤ القيس :

أَلَا هَلْ أَنَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ      بَأْنِ امْرَأِ القَيْسِ بِنِ تَمَلِكِ بَيِّنَرَا ٣

(١) هذا البيت ينسب لأعشى بن قيس بن ثعلبة ، ولم أجد في ديوانه قصيدة دالية مكسورة من بحر الكامل ، ووجدت البيت في دالية منصوبة باختلاف في روايته وهذا هو البيت مع البيتين قبله :

جَعَلَ الإِلَهَ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا      رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَسِدَا

مِثْلَ المِضَابِ جَزَارَةٍ لَسِيُوفِنَا      فَلِذَا تُرَاعُ فَمَتَمَّا لَنْ تُطْرَدَا

ضَمِنْتُ لَنَا أعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا      وَصُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الأَجْرَدَا

ومعنى الأبيات : جعل الله طعامنا في الإبل ، نرحلها حيث نشاء رزقا لا ينفد . وهي ضخمة كالمضاب نقرأها بسبوقنا للضيغان ، لا يطردنا مروع أو مفير ، وقد ضمنت أعجازها لنا قدورنا أن تفرغ ، لسنها وكثرة لحمها ، وضمنت صروعها لنا البين خالصا صافيا . (انظر الديوان طبع القاهرة ص ٢٣٠ بشرح الدكتور محمد حسين) . وفي اللسان رواية أخرى لبيت ، مع نسبه لأعشى ( في : جرد ) قال : ألين وجر ولا رغو له ، قال الأعشى :

ضَمِنْتُ لَنَا أعْجَازَهُ أَرْمَاحُنَا      مِثْلَ المَرَّاجِلِ والصَّرِيحِ الأَجْرَدَا

وعلى هاتين الروايتين لاشاهد في البيت ؛ لأن المؤلف إنما ساقه شاهدا على زيادة الباء في قوله « برزق » ولا بقاء زائدة في هاتين الروايتين . وقد جعل الباء في قوله ( برزق ) نظير الباء التي في الآية « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » أي على تقدير « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » .

(٢) هذا البيت من شواهد الفراء تلميذ الكسائي وهما زعيا نحاة أهل الكوفة ، وهو ما أنشده إياه أبو الجراح أحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم اللغة ( انظره في معاني القرآن للفراء ، الورقة ١٠ من مصورة الجامعة ) . والنهم كما في ( اللسان : نهم ) : صوت كأنه زحير . وقيل صوت فوق الزئير . والنهم صوت وتوعد وزجر . والضمير في لها : لعله راجع إلى الإبل التي أرادت الشرب ، حتى إذا كادت تبلغ الماء ، هزها العصا ، وردها عنه ، وجعل له صوت شديد منكر . والشاهد في البيت أن الباء الزائدة في قوله ( بالشرب داخله ) على مصدر صريح ، وأن الفراء يرى أن دخولها على المصدر المؤول بأن أو بما والفعل ، أحسن من دخولها على المصدر الصريح قال الفراء : قوله « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » دخلت الباء في الإلحاد ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم ، ودخول الباء في « أن » أسهل منه في الإلحاد ، وما أشبهه ، لأن « أن » تضمم الخوافض معها كثيرا ( يريد حروف الخفض ) فاحتملت دخول الخوافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقل في المصادر « ( أي الصريحة ) لتبين الخفض والرفع فيها ؛ أنشدني أبو الجراح :

« فلما رجعت بالشرب هزها العصا . . . البيت .

(٣) البيت لامرؤ القيس بن حبر ( المقدم الثمين لألورد ص ١٣٠ ) وليس في روايته الأعم الشتمري لديوان امرؤ القيس . والبيت شاهد كالذي قبله على أن الباء في قوله ( بأن ) زائدة في المصدر المؤول المرفوع ، وهي أحسن منها في المصدر الصريح ، تخفاء الإعراب معها . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، ساقه مع الشاهد الذي قبله ( انظر معاني القرآن للفراء ، الورقة ٣١٠ ) قال : أدخل الباء على ( أن ) هو في موضع رفع كما أدخلها على الإلحاد بظلم ، وهو في موضع نصب .



قال : فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع ، كما أدخلها على إلحاد ، وهو في موضع نصب ، قال : وقد أدخلوا الباء على ما ، إذا أرادوا بها المصدر ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْسِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ

وقال : وهو في « ما » أقل منه في « أن » ، لأن أن أقل شبيها بالأسماء من « ما » . قال : وسمعت أعرابيا من ربيعة ، وسأله عن شيء ، فقال : أرجو بذلك : يريد أرجو ذلك .

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام ، أذاقه الله من العذاب الأليم ، فقال بعضهم : ذلك هو الشرك بالله ، وعبادة غيره به : أي بالبيت .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) يقول : بشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) هو أن يعبد فيه غير الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) قال : هو الشرك ، من أشرك في بيت الله عذبه الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله . وقال آخرون : هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) : يعني أن تستحلّ من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ) قال : يعمل فيه عملا سيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأوديّ قالا : ثنا الحارثي ، عن سفيان ، عن السديّ ، عن مرة

(١) البيت لقيس بن زهير العبسي كما في ( النوادر لأبي زيد الأنصاري ص ٢٠٣ ) ولم تحذف الياء في قوله ( يأتيك ) للجازم ، للضرورة . والبيت من شواهد الفراء في ( معاني القرآن ص ٣١٠ ) على أنهم قد يدخلون الحرف الزائد على المصدر المؤول بما وما بعدها . قال : وقد أدخلوها على ( ما ) إذا أرادوا المصدر ( يعني الياء ) وقال قيس بن زهير : « ألم يأتيك . . . البيت » وهو فيها أقل منه في ( أن ) ، لأن ( أن ) أقل شبيها بالأسماء من ( ما ) . وسمعت أعرابيا من ربيعة وسأله عن شيء ، فقال : أرجو بذلك ، يريد : أرجو ذلك .

عن عبد الله ، قال : ما من رجل بهمّ بسيرة فتكتب عليه ، ولو أن رجلا بعدن أبين همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت ، لأذاقه الله من العذاب الأليم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال مجاهد ، قال يزيد ، قال لنا شعبة ، رفعه ، وأنا لأرفعه لك في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : لو أن رجلا همّ فيه بسيرة وهو بعدن أبين ، لأذاقه الله عذابا أليما حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : إن الرجل ليهمّ بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها ، فتكتب عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : الإحاد : الظلم في الحرم . وقال آخرون : بل معنى ذلك الظلم : استحلال الحرم متعمدا . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : الذي يريد استحلاله متعمدا ، ويقال الشرك . وقال آخرون : بل ذلك احتكار الطعام بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن أشعث ، عن حبيب بن أبي ثابت في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : هم المختكرون الطعام بمكة .

وقال آخرون : بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل ، حتى قول القائل : لا والله ، وبلى والله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحل ، والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسل عن ذلك ، فقال : كنا نحدث أن من الإحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي ربي ، عن الأعمش ، قال : كان عبد الله بن عمرو يقول لا والله ، وبلى والله : من الإحاد فيه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معنى بالظلم في هذا الموضع ، كل معصية لله ، وذلك أن الله عمّ بقوله ( وَمَنْ )



يُرْدُ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ) ولم يخصص به ظلما دون ظلم ، في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ومن يرد في المسجد الحرام ، بأن يميل بظلم ، فيعصى الله فيه ، نذقه يوم القيامة من عذاب مَوْجِعٍ له . وقد ذُكِرَ عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَنْ يَرُدُّ فِيهِ ) بفتح الياء ، بمعنى : ومن يردّه بالحد ، من وردت المكان أردّه . وذلك قراءة لانهجوز القراءة عندى ، بها لخلافها ماعليه الحجة من القراء مجمعة ، مع بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن يَرُدُّ فعل واقع ، يقال منه : هو يَرُدُّ مكان كذا ، أو بلدة كذا غدا ، ولا يقال : يَرُدُّ في مكان كذا . وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب ، أن طَبِيبًا تقول : رغبت فيك ، تريد : رغبت بك ، وذكر أن بعضهم أنشد بيتا :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

بمعنى : وأرغب بها ، فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا ، فإنه يجوز في الكلام ، فأما القراءة به فغير جائزة ، لما وصفت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، معلّمته عظيم ما ركب من قومه قريش خاصة ، دون غيرهم من سائر خلقه ، بعبادتهم في حرمه ، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببناؤه وتطهيره من الآفات والريب والشرك ، واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيرى ، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم ، يعنى بقوله : بوأنا : وطأنا له مكان البيت .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) قال : وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه في السماء ، ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنقص إلى ستين ذراعا ، وإن آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، شكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إني قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ، ويصلّى عنده كما يصلّى حول عرشي ، فانطلق إليه ، فخرج إليه ، ومدّ له في خطوه ، فكان بين كل خطوتين مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز على ذلك ، حتى أتى آدم البيت ، فطاف به ومن بعده من الأنبياء .

(١) البيت سبق الاستشهاد به على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، في (١٣ : ١٨٩) وهو من شواهد القراء في معاني القرآن ، الورقة ١٦١ ، والورقة ٣١٠ من مصورة الجامعة (عل أن من العرب من يجعل (نق) في موضع الباء ، فيقول أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة . قال القراء في (ص ٣١٠) : وقد يجوز في لغة الطائيين : لأنهم يقولون : رغبت فيك ، يريدون : رغبت بك . أنشدني بعضهم : « وأرغب فيها عن لقيط » . . . البيت . يعنى بنته . ٥١ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول ، لا يدريان أين البيت ، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الحَجُوجِ ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران ، حتى وضع الأساس ، فذلك حين يقول ( وَأَذِّنْ بِنُوحٍ أَنَّا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) ويعنى بالبيت : الكعبة ( أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ) في عبادتك إياي ( وَطَهَّرْ بَيْتِي ) الذي بنيته من عبادة الأوثان .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفیان، عن ليث ، عن مجاهد، في قوله ( وَطَهَّرْ بَيْتِي ) قال : من الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، قال : من الآفات والريب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( طَهَّرَ بَيْتِي ) قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

وقوله ( لِلطَّائِفِينَ ) يعنى للطائفين به ، والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو مُمَيْلَةَ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء ، في قوله ( وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ) قال : القائمون في الصلاة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، والقائمين : قال : القائمون : المصلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ) قال : القائم والراكع والساجد : هو المصلي . والطائف : هو الذى يطوف به . وقوله ( وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ) يقول : والركع السجود في صلاتهم حول البيت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)  
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ ، وَلِيَلْطَافُوا بِالْبَيْتِ الْعَمِيقِ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : عهدنا إليه أيضا أن أذن في الناس بالحج : يعنى بقوله ( وَأَذِّنْ ) أعلم وناد



في الناس: أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام (يَأْتُونَكَ رِجَالًا) يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجة مشاة على أرجلهم (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) يقول: وركبانا على كل ضامر، وهي الإبل المهازيل: (يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فج عميق: يقول: من كل طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: يأتين، فجمع، لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكل: الجمع، فلذلك قيل: يأتين. وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كل رجُلٍ قائمٍ. قال: وهو صواب، وقول الله (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ) ينبي عن صحة جوازه. وذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا بيته العتيق:

وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك.

فقال بعضهم: نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له (أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلى البلاغ، فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا» قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يحيثون من أقصى الأرض يلبون.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء، من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء، لبنيك اللهم لبنيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة، لبنيك اللهم لبنيك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) قال: وقَّرت في قلب كل ذكر وأنثى.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فلم يسمعه يومئذ من إنس، ولا جن، ولا شجر، ولا أكمة، ولا تراب، ولا جبل، ولا ماء، ولا شيء، إلا قال: لبنيك اللهم لبنيك.

قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قام إبراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج:

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال : قام إبراهيم على مقامه ، فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، فقالوا : لبيك اللهم لبيك ، فمن حجَّ اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة بن خالد الخزومي ، قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت ، قام على المقام ، فنادى نداء سمعه أهل الأرض : إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجروه . قال داود : فأرجو من حجَّ اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام <sup>١</sup> .

حدثني محمد بن سنان القرزاي ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، قال : قال ابن عباس : هل تدري كيف كانت التلبية ؟ قلت : وكيف كانت التلبية ، قال : إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج ، خفضت له الجبال رهومها ، ورُفِعَت القُرى ، فأذن في الناس . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال إبراهيم : كيف أقول يا رب ؟ قال : قل : يا أيها الناس استجيبوا لربكم ، قال : وقُرت في قلب كل مؤمن .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، قال : يا رب كيف أقول ؟ قال : قل لبيك اللهم لبيك . قال : فكانت أول التلبية .

وكان ابن عباس يقول : عُنِيَ بالناس في هذا الموضع : أهل القبلة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) يعني بالناس : أهل القبلة ، ألم تسمع أنه قال : ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مَبَارَكَا ) . . . إلى قوله ( وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ) يقول : ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم ، وكتب عليهم الحج ، فإنه آمن ، فعظّموا حرّمات الله تعالى ، فلأنها من تقوى القلوب .

وأما قوله ( يَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ( يَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) قال : مشاة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة ، قال : قال ابن عباس : ما أمّني على شيء فأنني ، إلا أن لا أكون حججت ماشيا ، سمعت الله يقول ( يَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ) .

(١) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة في الأصل ، ولعل أصلها : فأرجو أن كل من حج اليوم ، فحجه من إجابة إبراهيم ،



قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : حجَّ إبراهيم وإسماعيل ماشيين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ( يَا تَوَكَّرِجَالًا ) قال : على أرجلهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المحاربي ، عن عمر بن ذر ، قال : قال مجاهد : كانوا لا يركبون ، فأنزل الله ( يَا تَوَكَّرِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : فأمرهم بالزاد ، ورخص لهم في الركوب والمتجر .

وقوله ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) يعني : من مكان بعيد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : بعيد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : مكان بعيد . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

وقوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هي التجارة ومنافع الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : هي الأسواق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر بن الحكم ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : تجارة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزين ، في قوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : أسواقهم .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق عن سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن واقد ، عن سعيد ، مثله .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سنان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين  
 ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأسواق .  
 وقال آخرون : هي الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، وسوار بن عبد الله ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن أبي نجيح  
 عن مجاهد ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة ، وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة .  
 حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا سفیان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ،  
 عن مجاهد ، في قوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 وقال آخرون : بل هي العفو والمغفرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ  
 لَهُمْ ) قال : العفو .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو عميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال محمد  
 محمد بن علي : مغفرة .

وأولى الأقوال بالصواب ، قول من قال : عنى بذلك : يشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضى الله ،  
 والتجارة ، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم ، ويأتى له مكة أيام الموسم ، من منافع الدنيا  
 والآخرة ، ولم يخصص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل ، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت :  
 وقوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يقول  
 تعالى ذكره : وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبضآن التي أهدوها ، من الإبل والبقر والغنم ،  
 في أيام معلومات ، وهن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل . وفي قول بعضهم أيام العشر . وفي قول  
 بعضهم يوم النحر وأيام التشريق :

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات . وبيننا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة ،  
 فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، غير أني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضع .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله ( أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق ، ( عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يعني البدن .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) قال : أيام العشر ، والمعدودات : أيام التشريق .  
وقوله ( فَكَلُوا مِنْهَا ) يقول : كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك : وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر لإباحة ، لا أمر لإيجاب ، وذلك أنه لاخلاف بين جميع الحجج ، أن ذابح هديه أو بدنته هنالك ، إن لم يأكل من هديه أو بدنته ، أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه ، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا ) وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) قال : كان لا يرى الأكل منها واجبا .  
حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، أنه قال : هي رخصة : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، وهي كقولها ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ) يعني قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) .  
قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل .  
قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء في قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكلها ، وإن شاء لم يأكل .  
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا ) قال : إنما هي رخصة .  
وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يقول : وأطعموا مما تدبجون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام ، من هديكم وبذئكم البائس ، وهو الذي به ضرر الجوع والزمانة والحاجة . والفقير : الذي لا شيء له .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يعني : الزمير الفقير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن مجاهد ( البائيسَ الفقيرَ ) :  
الذي يمد إليك يديه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( البائيسَ الفقيرَ ) قال :  
هو القانع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء ،  
عن عكرمة ، قال : البائيسَ : المضطر الذي عليه البؤس ، والفقير : المتعفف .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( البائيسَ ) الذي يبسط  
يديه . وقوله ( **لِيَقْتَضُوا تَفْتَهُمُ** ) يقول : تعالى ذكره : **ثُمَّ لِيَقْتَضُوا مَا عَلَيْهِمْ** من مناسك حجهم :  
من حلق شعر ، وأخذ شارب ، ورمى جرة ، وطواف بالبيت .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثني يزيد ، قال : أخبرنا الأشعث بن سوار ، عن نافع ، عن ابن  
عمر ، أنه قال ( **ثُمَّ لِيَقْتَضُوا تَفْتَهُمُ** ) قال : ما هم عليه في الحج .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثني الأشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :  
التفت : المناسك كلها .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أنه قال ، في قوله ( **ثُمَّ**  
**لِيَقْتَضُوا تَفْتَهُمُ** ) قال : التفت : حلق الرأس ، وأخذ من الشاربين ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ،  
وقص الأظفار ، والأخذ من العارضين ، ورمى الجمار ، والمرقف بعرفة والمزدلفة .

حدثنا حميد ، قال : ثنا بشر بن الفضل ، قال : ثنا خالد ، عن عكرمة ، قال : التفت : الشعر والظفر .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن خالد ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه  
كان يقول في هذه الآية ( **ثُمَّ لِيَقْتَضُوا تَفْتَهُمُ** ) : رمى الجمار ، وذبح الذبيحة ، وأخذ من الشاربين  
واللحية والأظفار ، والطواف بالبيت وبالصفا والمروة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد أنه قال  
في هذه الآية ( **ثُمَّ لِيَقْتَضُوا تَفْتَهُمُ** ) قال : هو حلق الرأس ، وذكر أشياء من الحج ، قال شعبة :  
لا أحفظها .

قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : حلق الرأس ، وحلق العانة ، وقص الأظفار ، وقص الشارب ، ورمى الجمار ، وقص اللحية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . إلا أنه لم يقل في حديثه : وقص اللحية .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المخاري ، قال : سمعت رجلا يسأل ابن جريج ، عن قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : الأخذ من اللحية ، ومن الشارب ، وتقليم الأظفار ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ، ورمى الجمار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن الحسن ، وأخبرنا جوير ، عن الضحاك أنهما قالا : حلق الرأس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) يعنى : حلق الرأس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : التفت : حلق الرأس ، وتقليم الظفر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) يقول : نسكهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : التفت : حرّمهم .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ لِيَقْتَضُوا تَفَثَهُمْ** ) قال : يعنى بالتفت : وضع إحرامهم ، من حلق الرأس ، ولبس الثياب ، وقص الأظفار ، ونحو ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، قال : التفت : حلق الشعر ، وقص الأظفار ، والأخذ من الشارب ، وحلق العانة ، وأمر الحجّ كله .

وقوله ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) يقول : وليوفوا الله بما نذروا من هدى وبدنة وغير ذلك .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) نحر ما نذروا من البدن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ) نذر الحجّ والهذى ، وما نذر الإنسان من شيء يكون فى الحجّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ ) قال : نذر الحج والهدى ، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج .  
وقوله ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يقول : وليطوفوا ببيت الله الحرام .  
واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( الْعَتِيقِ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : قيل ذلك لبيت الله الحرام ، لأن الله أعتقه من الجبايرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : أن ابن الزبير ، قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبايرة .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن الزبير ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي العتيق ، لأنه أعتق من الجبايرة .  
قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتق من الجبايرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتقه الله من الجبايرة ، يعني الكعبة .  
وقال آخرون : قيل له عتيق ، لأنه لم يملكه أحد من الناس .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأنه ليس لأحد فيه شيء .  
وقال آخرون : سمي بذلك لقدمه .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : العتيق : القديم ، لأنه قديم ، كما يقال : السيف العتيق ، لأنه أول بيت وضع للناس ، بناه آدم ، وهو أول من بناه ، ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق ، فبناه إبراهيم وإسماعيل .  
قال أبو جعفر : ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) وجه صحيح ، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر ، غير أن الذي روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال



رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنْ الْجَبَابِرَةِ ، فَلَمْ يَطْهَرْ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحاً» .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال الزهري : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ» ، ثم ذكر مثله .  
وعنى بالطراف الذي أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطاف به بعد التعريف ، إما يوم النحر ، وإما بعده ، لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك

حدثنا عمرو بن سعيد القرشي ، قال : ثنا الأنصاري ، عن أشعث ، عن الحسن ( وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف الزيارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد ، قال : ثنا الأشعث ، أن الحسن قال في قوله ( وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : الطراف الواجب .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعني : زيارة البيت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج وعبد الملك ، عن عطاء ، في قوله ( وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف يوم النحر .

حدثني أبو عبد الرحمن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت زهيراً عن قول الله : ( وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف الرِّدَاعِ .

واختلف القراء في قراءة هذه الحروف ، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( هَمْ لَيَقْتَضُوا تَغْتَهُمْ ، وَلَيُؤْفُوا نَدْوَرَهُمْ ، وَلَيَطَّوَّفُوا ) بتسكين اللام في كل ذلك طلب التخفيف ، كما فعلوا في هو إذا كانت قبلها واو ، فقالوا ( وَهَرَّ عَلِيمٌ بِيذَاتِ الصُّدُورِ ) فسكَّنوا الهاء ، وكذلك يفعلون في لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق ، كالواو والفاء و هم ، وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة ، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ( هَمْ لَيَقْتَضُوا ) خاصة من أجل أن الوقوف على هَمْ دون ليقضوا حسن ، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء ، وهذا الذي اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس ، غير أن أكثر القراء على تسكينها .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي : أن التسكين في لام « ليقضوا » والكسر : قراءتان مشهورتان ، ولغتان سائرتان ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، غير أن الكسر فيها خاصة أقيس ، لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة ، لأن من قرأ ( وَهَرَّ عَلِيمٌ بِيذَاتِ الصُّدُورِ ) فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ، ويحركها في قوله ( هَمْ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) ، فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله ( هَمْ هَمْ )

لِيَقْتَضُوا تَفْسَهُمْ ) فيحرك اللام إلى الكسر مع « ثم » ، وإن سكّنها في قوله ( وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ ) وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري، تحريكها مع « ثم » والواو ، وهي لغة مشهورة ، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها ، وهي أشهر اللغتين في العرب وأصحها ، فالقراءة بها أعجب إلى من كسرهما .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( ذلك ) : هذا الذي أمر به من قضاء النفث ، والوفاء بالندور ، والطواف بالبيت العتيق : هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم ( وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول : ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه ، تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها ، وحرماً أن يستحلها ، فهو خير له عند ربه في الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ ) قال : الحُرْمَةُ : مكة والحج والعمرة ، وما نبى الله عنه من معاصيه كلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ ) قال : الحرمات : المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، هؤلاء الحرمات : وقوله ( وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ ) يقول جل ثناؤه : وأحلّ الله لكم أيها الناس الأنعام ، أن تأكلوها إذا ذكيتموها ، فلم يحرم عليكم منها بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حاماً ، ولا ما جعلتموه منها لآهنتكم . ( إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يقول : إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله ، وذلك : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذُبح على النصب ، فإن ذلك كله رجس .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ) قال : إلا الميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقوله ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول : فاتقوا عبادة الأوثان ، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس :



وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا طاعة الشيطان ، في عبادة الأوثان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) قال : عبادة الأوثان .

وقوله ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) يقول تعالى ذكره : واتقوا قول الكذب والفرية على الله ، بقولكم في الآلة ( مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) وقولكم للملائكة : هي بنات الله ، ونحو ذلك من القول ، فإن ذلك كذب وزور ، وشرك بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : قول الزور ، قال : الكذب .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ، حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ) يعني : الافتراء على الله والتكذيب .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، عن عبد الله ، قال : تُعَدُّ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ ، وَقُرْأَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، قال : عُدِّتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الشَّرْكَ ، ثُمَّ قُرْأَ هَذِهِ الْآيَةُ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا سفيان العصفري ، عن أبيه ، عن خريم بن فاتك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُدِّتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ قُرْأَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن سفيان العصفري ، عن فاتك بن فضالة ، عن أيمن بن خريم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ عُدِّتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قُرْأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » ويجوز أن يكون مرادا به : اجتنبوا أن تترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان ، بعبادتكم إياها .

فإن قال قائل : وهل من الأوثان ما ليس برجس ، حتى قيل : فاجتنبوا الرجس منها ؟ قيل : كلها رجس ، وليس المعنى ما ذهب إليه في ذلك . وإنما معنى الكلام : فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها ، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله ( فاجتنبوا الرجس ) منها اتقاء عبادتها ، وتلك : العبادة هي الرجس ، على ما قاله ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله قبل .

## القول في تأويل قوله تعالى

حُمْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ،  
أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره : اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان ، وقول الشرك ، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا ، دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئا من دونه ، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه ، فثله في بعده من الهدى وإصابة الحق ، وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خرّ من السماء ، فتخطفه الطير ، فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد قولهم : أبعده الله وأحسقه ، وفيه لغتان : أحسقته الريح ، وحسقته . ومنه قيل للنخلة الطويلة : نخلة تحوق ؛ ومنه قول الشاعر :

كَانَتْ لَنَا جَارَةٌ فَأَزْعَجَهَا قَاذُورَةٌ تَسْحَقُ النَّوَى قُدُمًا

ويروى : تسحق : يقول : فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ، ومن إصابة الحق ، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض ، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فكأنما خرّ من السماء ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ( فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( في مكان سحيق ) قال : بعيد .

(١) البيت مما أنشده الأزهري في تهذيبه ، ونقله عنه صاحب (اللسان : سحق) قال : السحق في العدو فوق المشى ودون الحضر ، وأنشد الأزهري : « كانت لنا جارة . . . البيت » . والقاذورة من الإبل : التي تبرك ناحية منها ، وتستبعد وتنافرها عند الحلب . وتسحق : تجد في سيرها . والنوى : التحول من مكان إلى مكان ، أو الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو من بعد . وقدمنا : لا تعرج ولا تثنى . يريد أن جارتها نأت عنه بناقته تجد في سيرها ، ولا تعرج على شيء . والبيت شاهد على أن السحق معناه السير الجاد : فوق المشى ودون العدو .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وقيل ( فَتَحْطَفُهُ الطَّيْرُ ) ، وقد قيل قبله ( فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ) وخرّ فعل ماضٍ ، وتخطفه  
 مستقبل ، فعطف بالمستقبل على الماضي ، كما فعل ذلك ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن  
 سَبِيلِ اللَّهِ ) وقد بينت ذلك هناك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس ، وأمرتكم به ، من اجتناب الرجس من الأوثان ،  
 واجتناب قول الزور ، حنفاء لله ، وتعظيم شعائر الله ، وهو استحسان البدن واستئمانها ، وأداء مناسك  
 الحج ، على ما أمر الله جل ثناؤه ، من تقوى قلوبكم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن زياد ، عن محمد بن أبي ليلى ،  
 عن الحكم ، عن مَيْسَم ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ )  
 قال : استعظامها ، واستحسانها ، واستئمانها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة ،  
 عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : الاستئمان والاستعظام .  
 وبه عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : والاستحسان .

حدثنا عبد الحميد بن بيان الراسطي ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال :  
 ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ،  
 عن مجاهد ، قوله ( وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : استعظام البدن ، واستئمانها ، واستحسانها .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المنبهي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن  
 أبي موسى ، قال : الوقوف بعرفة من شعائر الله ، ويجتمع من شعائر الله ، ورعى الجمار من شعائر الله ،  
 والبدن من شعائر الله ، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله ( وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ ) فمن يعظمها  
 فإنها من تقوى القلوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ  
 اللَّهِ ) قال : الشعائر : الجمار ، والصفاء والمروة من شعائر الله ، والمشعر الحرام والمزدلفة ، قال : والشعائر  
 تدخل في الحرم ، هي شعائر ، وهي حرم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أن تعظيم شعائره ، وهي ما جعله أعلاما لخلقها فيما تعبدهم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي أزمهم عملها في حجهم : من تقوى قلوبهم ، لم يخصص من ذلك شيئا ، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه : وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك ، وقال (لأنها من تقوى القلوب) وأنث ولم يقل : فإنه ، لأنه أريد بذلك ، فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه (إن ربك من بعدها لتغفور رحيم) وعنى بقوله (لأنها من تقوى القلوب) فإنها من وجل القلوب من خشية الله ، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.

القول في تأويل قوله تعالى

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية ، وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى ، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلْيَتَّخِذْ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) فقال : الذين قالوا عنى بالشعائر : البدن ، معنى ذلك : لكم أيها الناس في البدن منافع . ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع ، وفي الأجل الذي قال عز ذكره (إلى أجلٍ مسمى) فقال بعضهم : الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع ، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ، ولم يسمها بدنة ، ولم يقلدتها ، قالوا : ومنافعها في هذه الحال : شرب ألبانها ، وركوب ظهورها ، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها . قالوا : والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه ، هو إلى إيجابهم إياها ، فإذا أوجبوا بطل ذلك ، ولم يكن لهم من ذلك شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في (لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى) قال : ما لم يسم بدنا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى) قال : الركوب واللبن والولد ، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في هذه الآية (لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى) قال : لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها ، حتى تصير بدنا . قال : ثنا ابن عدى ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، وليث عن مجاهد (لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى) قال : في أشعارها وأوبارها وألبانها ، قبل أن تسمى بدنة .



قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها ، قبل أن تسمى هدبا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه : وهي الأجل المسمى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء أنه قال في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها إلى أجل مسمى : إلى أن تقلد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاک ، مثل ذلك .

حدثني يعقوب ، قال : قال ابن عليه : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن تُوجِبَها بَدَنَةٌ .

قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن أبي نجيح ، عن قتادة ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول : في ظهورها وألبانها ، فاذا قلدت فحلها إلى البيت العتيق .

وقال آخرون ممن قال : الشعائر : البدن في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) والهاء في قوله ( لَكُمْ فِيهَا ) من ذكر الشعائر ، ومعنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) لكم في الشعائر التي تعظمونها لله منافع ، بعد اتخاذكموها لله بَدَنًا أو هدايا ، بأن تركيبوا ظهورها إذا احتجتم إلى ذلك ، وتشربوا ألبانها إن اضطرتتم إليها . قالوا : والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه ( إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) إلى أن تنحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : هو ركوب البَدَن ، وشرب لبنها إن احتاج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن تنحر ، قال له أن يحمل عليها المعبي والمنقطع به من الضرورة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها ، أن يحمل عليها ويركب عند منهوكه . قلت لعطاء : ما ، قال : الرجل الراجل ، والمنقطع به ، والمتبع ، وإن نتجت ، أن يحمل عليها ولدها ، ولا يشرب من لبنها إلا فضلا عن ولدها ، فإن كان في لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهداها . وأما الذين قالوا : معنى الشعائر في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ ) : شعائر الحج ، وهي الأماكن التي يُنْسَكُ عندها لله ، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله لكم ( فِيهَا مَنَافِعُ ) .

فقال بعضهم : معنى ذلك : لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجاركم عندها ، ويبيعكم وشرائكم بحضرتها ، وتسوقكم . والأجل المسمى : الخروج من الشعائر إلى غيرها ، ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم .

حدثني الحسن بن علي الصدائقي ، قال : ثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) قال : أسواقهم ، فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي مرسى ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : والأجل المسمى : الخروج منه إلى غيره . وقال آخرون منهم : المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع : العمل لله بما أمر من مناسك الحج . قالوا : والأجل المسمى : هو انقضاء أيام الحج التي يُنْسَكُ لله فيهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقرأ قول الله ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها ، يبتغي الأجر ، ولا المزدلفة ، ولا رمى الجمار ، وقد ضربوا من البلدان هذه الأيام التي فيها المنافع ، وإنما منافعها إلى تلك الأيام ، وهي الأجل المسمى ، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق . قال أبو جعفر : وقد دَلَّلْنَا قَبْلَ عَلَى أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) معنى به : كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه ، إذ لم يخص من ذلك جل ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل . وإذ كان ذلك كذلك فعلوم أن معنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) : في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، فما كان من هذه الشعائر بُدْنَا وهديا ، فنافعها لكم من حين تملكون ، إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا ، وما كان منها أماكن يُنْسَكُ لله عندها ، فنافعها ، التجارة لله عندها ، والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها ، وما كان منها أوقانا ، بأن يُطَاعَ الله فيها بعمل أعمال الحج ، وبطلب المعاش فيها بالتجارة ، إلى أن يُطَافَ بالبيت في بعض ، أو يُؤَافَى الحرم في بعض ، ويُخْرَجَ عن الحرم في بعض .

وقد اختلف الذين ذكرنا اختلا فهم في تأويل قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في تأويل قوله ( ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقال الذين قالوا : عنى بالشعائر في هذا الموضع : البدن معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة ، وهي التي بها البيت العتيق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ( ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) إلى مكة .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعنى محل البدن حين تسمى إلى البيت العتيق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال ( ثُمَّ مَحَلُّهَا ) حين تسمى هديا إلى البيت العتيق ، قال : الكعبة أعتقها من الجيابرة ، فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى ثُمَّ مَحَلُّهَا منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم ، وقالوا : عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها ؛ وقالوا : وذلك نظير قوله ( فَلَا يَتَّخِذُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ) والمراد : الحرم كله .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر ، بعد قضايتكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : محل هذه الشعائر كلها : الطواف بالبيت .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) حين تنقضى تلك الأيام ، أيام الحج إلى البيت العتيق .  
بيِّنْ وَأُولَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ : قول من قال : معنى ذلك : ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق ، فما كان من ذلك هديا أو بدنا ، فبموافاته الحرم في الحرم ، وما كان من نُسُكٍ ، فالطواف بالبيت .  
وقد بيَّنا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ،  
فَالَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ ، فَلَهُ أَسْلِمُوا ، وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)

بيِّنْ يقول تعالى ذكره ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ) ولكل جماعة سلك فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس ، جعلنا ذبحا يهتريقون دمه ( لِيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ) بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام ، كالخيل والبغال والحمير . وقيل : إنما قيل للبهائم ، بهائم لأنها لا تتكلم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( جَعَلْنَا مَنَسَكًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ) قال : إهراق الدماء ( لِيَذُكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( فَلِإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، فإنهم إله واحد ، لا شريك له ، فإياه فاعبدوا ، وله أخلصوا الألوهة . وقوله ( فَكَلِمَةُ السَّلَامِ ) يقول : فإنهم فاضعوا بالطاعة ، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية . وقوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) يقول تعالى ذكره : وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة ، المذعنين له بالعبودية ، المنيين إليه بالتوبة . وقد يدنا معنى الإخبات بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا .

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به : وبشر المطمئنين إلى الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المطمئنين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) المطمئنين إلى الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المطمئنين .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المتواضعين .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن عثمان ابن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، قال : الخبتون : الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .  
حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، قال : ثنا عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ، وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ،  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)



فهذا من نعت الخبثين ؛ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وبشر يا محمد الخبثين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله ، وتخضع من خشيته وجسلاً من عقابه ، وخوفاً من محفظه .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ) قال : لانفسو قلوبهم ( والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ) من شدة في أمر الله ، ونالهم من مكروه في جنبه ( والمُقِيمِي الصَّلَاةِ ) المفروضة ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في الواجب عليهم إنفاقها فيه في زكاة ، ونفقة عيال ، ومن وجبت عليه نفقته ، وفي سبيل الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ ، لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَأَذْكَرُوا سَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ، فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِمْؤُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : والبُدن : وهي جمع بدنة ، وقد يقال لواحدها : بدن . وإذا قيل بدن احتتمل أن يكون جمعاً وواحداً ، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز :

عَلَى حِينِ تَمْلِكُ الْأُمُورَا صَوْمَ شَهْوٍ وَجَبَتْ نُدُورَا  
وَحَلَقَ رَأْسِي وَأَفِيَا مَضْفُورَا وَبَدْنَا مُدْرَعَا مَوْفُورَا

والبدن : هو الضخم من كل شيء ، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورتق والسدير : البدن : لضخمه واسترخاء لحمه ، فإنه يقال : قد بدن تبدينا . فعنى الكلام : والإبل العظام الأجسام

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الراجز ، رواها المؤلف عن الفراء في معاني القرآن في هذا الموضع من التفسير ، وأنشدها قيل ذلك ثلاثة منها في ( ٧ : ١٢٠ ) عند تفسير قوله تعالى « فأختران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » في سورة المائدة . مع اختلاف في بعض الألفاظ عن روايته لها هنا ، وهي :

عَلَى حِينِ تَمْلِكُ الْأُمُورَا صَوْمَ شَهْوٍ وَجَبَتْ نُدُورَا  
وَبَادِنَا مُقَلَّدَا مَنَحُورَا

ولفظ ( بادنا ) على هذه الرواية ، قد تكون صحيحة ، يريد جلا سميها جسيماً . كما في ( اللسان : بدن ) ، يقال : رجل بادن ، والأثنى بادن وبادنة والجمع : بدن ( بضم فسكون ) ، وبدن ( بالضم وتشديد الدال المفتوحة ) . وقد تكون ( بادنا ) محرفة عن ( بدنا ) بالتحريك ، بدليل تخريج المؤلف له بقوله « والبدن » ( بضم فسكون ) جمع بدنة ( بالتحريك ) ، وقد يقال لواحدها : بدن ( بالتحريك ) يدل عليه قول الراجز . « وبدنا مدرعا موفورا » . اهـ .

ويؤيده أيضا قول أبي البقاء العكبري في إعراب القرآن : البدن ( بضم فسكون ) : وجمع بدن ، ( بالتحريك ) وواحدته : بدنة ؛ مثل خشب ( بضم فسكون ) وخشب ( بالتحريك ) . ويقال هو جمع بدنة ، مثل ثمرة وثمر ( الأخيرة بضم فسكون ) ، ويقرأ بضم الدال والبدنة كما في ( اللسان : بدن ) بالهاء : تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر ، مما يجوز في الهدى والأضاحي ... ولا تقع على الشاة ؛ سميت بدنة لعظمها وشبهها . اهـ . يقول الراجز : أوجبت على نفسي إذا ملكت الأمور ( بناء المخاطب أن أصوم شهورا ، وأن أسكن رأسي ، وأن أنحر بدنا أي جلا ضمنا .

الضحام ، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله : يقول : من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم ، إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك ، وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر .  
كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء : ( والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ) قال : البقرة والبعير .

وقوله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) يقول : لكم في البدن خير ، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة ، بنحرها والصدقة بها ، وفي الدنيا : الركوب إذا احتاج إلى ركوبها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : أجر ومتافع في البدن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : اللبن والركوب إذا احتاج .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : إذا اضطررت إلى بدنتك ركبها ، وشربت لبنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) من احتاج إلى ظهر البدنة ركب ، ومن احتاج إلى لبنها شرب .

وقوله ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) يقول تعالى ذكره : فاذكروا اسم الله على البدن عند تحركم إياها صوافً .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) : بمعنى مصطفة ، واحدا : صافة ، وقد صفت بين أيديها . ورؤى عن الحسن ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وجماعة آخر معهم ، أنهم قرءوا ذلك ( صَوَافً ) بالياء منصوبة ، بمعنى : خالصة لله ، لا شريك له فيها ، صافية له . وقرأ بعضهم ذلك ( صَوَافً ) بإسقاط الياء وتنوين الحرف ، على مثال : عوار ، وعواد . وروى عن ابن مسعود أنه قرأه ( صَوَافِينَ ) بمعنى : معقلة .

والصواب من القراءة في ذلك عندي ، قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله



- (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) قال : الله أكبر الله أكبر ، اللهم منك ولك . صواف : قياما على ثلاث أرجل ، فقييل لابن عباس : مانصنع بجلودها ، قال : تصدقوا بها ، واستمتعوا بها .
- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (صَوَافً) قال : قائمة ، قال : يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله اللهم منك ولك .
- حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) قال : قياما على ثلاث قوائم معقولة ، باسم الله ، والله أكبر ، اللهم منك ولك .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله : (صَوَافً) قال : معقولة إحدى يديها ، قال : قائمة على ثلاث قوائم .
- حدثني علي ، قال ثنا عبد الله قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) يقول : قياما .
- حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) والصواف : أن تُعَقَّلَ قائمة واحدة ، وتصفها على ثلاث ، فتنحرها كذلك .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يعلى بن عطاء ، قال : أخبرني بجير بن سالم ، قال : رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته ، قال : فقال (صَوَافً) كما قال الله ، قال : فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، قال : الصواف : إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث .
- قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) قال : صواف بين أوظافها .
- حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (صَوَافً) قال : قيام صواف على ثلاث قوائم .
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) قال : بين وظائفها قياما .
- حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مرجم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن نافع ، عن عبد الله ، أنه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت ، تصف أيديها بالقيود ، قال : هي التي ذكر الله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً) .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن منصور ، عن رجل ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ،

قال : قلت له قول الله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافٌ ) قال : إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها ،  
وقل الله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك ، ثم سم ، ثم انحرها ، قلت : فأقول ذلك للأضحية ،  
قال : وللأضحية .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِي ) بالياء

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن أنه قال ( فاذكروا اسم الله  
عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : مخلصين .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) : خالصة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) :  
خالصة لله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن شقيق الضبي  
( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أيمن بن نابل ، قال : سألت طاوسا عن قوله ( فاذكروا اسم الله  
عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا  
صَوَافِي ) قال : خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون ، يجعلون لله ولاهتهم صوافي صافية  
الله تعالى .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِين )

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( فاذكروا  
اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) : أي معقلة قياما .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود  
( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) قال : أي معقلة قياما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأها  
( صَوَافِين ) قال : معقولة . قال : ومن قرأها ( صَوَافٌ ) قال : تَصُفُّ بين يديها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافٌ ) يعني صوافن ، والبدنة إذا نحر عقلت يد واحدة ، فكانت  
على ثلاث ، وكذلك تنحر .

قال أبو جعفر : وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل قوله ( صَوَافٌ ) وهي المصطفة بين أيديها ،  
المعقولة إحدى قرأتها .

وقوله ( فإذآ وَجِبَّتْ جُنُوبُهَا ) يقول : فإذا سقطت ، فوقع جنوبها إلى الأرض بعد النحر ،



( فَكُلُوا مِنْهَا ) وهو من قولهم : قد وجبت الشمس : إذا غابت فسقطت للتغيب ، ومنه قول أوس ابن حَجَرٍ :

أَلَمْ تُكْشَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالسُّكُوكِيبُ لِلجَبَلِ الوَاجِبِ

يعني بالواجب : الواقع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) سقطت إلى الأرض . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : إذا فرغت وُنْحِرَتْ .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( فإذَا وَجَبَتْ ) نَحَرَتْ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : إذا نَحَرَتْ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : فإذا ماتت .

وقوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وهذا مُخْرَجُهُ مُخْرَجُ الأَمْرِ ، ومعناه : الإباحة والإطلاق ؛ يقول الله : فإذا نُحِرَتْ فسقطت ميتة بعد النحر ، فقد حلَّ لكم أكلها ، وليس بأمر بإيجاب .

وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم ، فرُخِّص للمسلمين ، فأكلوا منها ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حُصَيْنٍ ، عن مجاهد ، قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، فهي بمنزلة ( فإذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) .

(١) البيت لأوس بن حجر كما قال المؤلف . والجبل هنا : يريد به رجلا عظيما ، والواجب الذي مات . قال في (اللسان : وجب) ووجب الرجل وجوبا : مات . قال قيس بن الخطيم . يصف حربا وقعت بين الأوس والخزرج في يوم بعث ، وأن مقدم بني عوف وأميرهم ليج في الحاربة ، ونهى بني عوف عن السلم حتى كان أول قتيل :

أطاعت بنو عوف أميرا ناهم عن السلم حتى كان أول واجب

وبيت أوس بن حجر شاهد على أن قوله تعالى : « فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا » معناه : فإذا سقطت فوَقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر ، فكلوا منها . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : يأكل منها ويطعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، وأخبرناه مغيرة ، عن إبراهيم ، وأخبرنا حجاج ، عن عطاء ، وأخبرنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكُلُّوا مِنْهَا ) قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، قال مجاهد : هي رخصة ، هي كقوله ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ) ومثل قوله ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : فأطعموا منها القانع .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالقانع والمعتّر ، فقال بعضهم : القانع الذي يقنع بما أعطى أو بما عنده ولا يسأل ، والمعتّر : الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : المستغنى بما أعطيته ، وهو في بيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ، ويلمّ بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ، وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك الذي يقنع بما أعطيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ولا يسألك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) القانع : الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به . والمعتّر : الذي يمر بجانبك لا يسأل شيئا ، فذلك المعتّر .

وقال آخرون : القانع : الذي يقنع بما عنده ، ولا يسأل ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : القانع المتعفف ؛ والمعتّر : يقول : السائل .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا خَصِيف ، قال : سمعت مجاهدا يقول : القانع : أهل مكة ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا عطاء ، عن خَصِيف ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : سمعت قتادة يحدث ، عن عكرمة ، في قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقعد في بيته ، والمعتّر : الذي يسأل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القانع : المتعفف الجالس في بيته ؛ والمعتّر : الذي يعتريك فيسألك .



حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : القانع والمعتر ، قال : القانع : الطامع بما قبلك ولا يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتريك ويسألك .  
حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الحارثي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم قالا : القانع : الجالس في بيته ؛ والمعتر : الذي يسألك .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في القانع والمعتر ، قال : القانع : الذي يقنع بما في يديه ؛ والمعتر : الذي يعتريك ، ولكليهما عليك حق يا بن آدم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( فَكَلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع الذي يجلس في بيته . والمعتر : الذي يعتريك .  
وقال آخرون : القانع : هو السائل ، والمعتر : هو الذي يعتريك ولا يسأل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : القانع : الذي يقنع إليك ويسألك ؛ والمعتر : الذي يتعرض لك ولا يسألك .  
حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتريك . قال : وقال الكلبي : القانع : الذي يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتريك ، يتعرض ولا يسألك .  
حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا الحارثي ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يسألك ، والمعتر : الذي يتعرض لك .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، قال : قال سعيد بن جبيرة : القانع : السائل .  
حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثني غالب ، قال : ثني شريك ، عن فوات القزاز ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله ( الْقَانِعَ ) قال : هو السائل ، ثم قال : أما سمعت قول الشماخ .  
لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيَعْنِي مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنْ الْقُنُوعِ ١

قال : من السؤال .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، أنه قال في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع إليك يسألك ، والمعتر : الذي يريك نفسه ، ويتعرض لك ولا يسألك .

(١) البيت للشماخ بن ضرار ( لسان العرب : قنع ) قال : وفي التنزيل : « وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ، فالقانع الذي يسأل ، والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل . قال الشماخ : « لَمَالُ الْمَرْءِ . . . البيت » يعني من مسألة الناس . وقال ابن السكيت : ومن العرب من يميز القنوع : بمعنى القناعة ، وكلام العرب الجيد . هو الأول . ويروي : « من الكنوع » ، والكنوع : التقبض والتصاغر . وقيل القانع : السائل ، وقيل : المتعفف ، وكل يصلح ، والرجل : قانع وقنيع . وقال الفراء : هو الذي يسألك فأعطيته قبله . وقيل : القنوع : الطمع . والفعل : قنع بالفتح يقنع قنوعا : ذل السؤال . وقيل : سأل . ومفارقة : وجوه فقره ، وقيل : جمع فقر على غير قياس كالشابه والملايح . ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره ، أو جمع مفقر ( اسم فاعل ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشام ، قال : أخبرنا منصور ويونس ، عن الحسن ، قال : القانع : السائل ، والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل .  
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم : القانع : الذي يسأل الناس .  
وقال آخرون : القانع : الجار ، والمعتر : الذي يعتريك من الناس .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك وإن كان غنيا ، والمعتر : الذي يعتريك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) قال : القانع : جارك الغني ، والمعتر : من اعتراك من الناس .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) أنه قال : أحدهما السائل ، والآخر : الجار .  
وقال آخرون : القانع : الطواف . والمعتر : الصديق الزائر .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثني أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تعالى ( القانع والمعتر ) فالقانع : المسكين الذي يطوف ، والمعتر : الصديق والضعيف الذي يزور .  
وقال آخرون : القانع : الطامع ، والمعتر : الذي يعتر بالبدن .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( القانع ) قال : الطامع والمعتر : من يعتر بالبدن ، من غني أو فقير .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، قال : القانع : الطامع .  
وقال آخرون : القانع : هو المسكين ، والمعتر : الذي يتعرض للحم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) قال : القانع : المسكين ، والمعتر : الذي يعتر القوم لحمهم وليس بمسكين ، ولا تكون له ذبيحة ، يجيء إلى القوم من أجل لحمهم ، والبائس الفقير : هو القانع .



وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن فرات ، عن سعيد بن جبير ، قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتريك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن بمثله .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ومجاهد ( القانع والمعتر ) القانع : الجالس في بيته ، والمعتر : الذي يتعرض لك .

وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : عني بالقانع : السائل ، لأنه لو كان المعنى بالقانع في هذا الموضع ، المكتنى بما عنده ، والمستغنى به لقليل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل : وأطعموا القانع والمعتر ، وفي إتباع ذلك قوله : والمعتر ، الدليل الواضح على أن القانع معنى به السائل ، من قولهم : قنع فلان إلى فلان ، بمعنى سأله وخضع إليه ، فهو يقنع قنوعاً ، ومنه قول لبيد :

وأعطاني المولى على حين فقيره  
إذا قال أبصير خلتي وقنوعي<sup>١</sup>

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتنى ، فإنه من قنعت بكسر النون أقنعت قناعة وقنعا وقنعانا . وأما المعتر : فإنه الذي يأتيك معترابك لتعطيه وتطعمه .

وقوله ( وكذلك سخرناها لكم ) يقول هكذا سخرنا البُدن لكم أيها الناس . لعلمكم تشكرون : يقول : لتشكروني على تسخيرها لكم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ، كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها ، ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه ، وعلمتم فيها بما نذبتكم إليه ، وأمركم به في أمرها ، وعظمت بها حرمانه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قول الله ( لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : ما أريد به وجه الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها ، وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : إن اتقيت الله في هذه البدن ، وعلمت فيها الله ،

(١) البيت للبيد كما قال المؤلف ، ولم أجده في ديوانه طبعاً ليدن سنة ١٨٩١ . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر . وقال اللحياني : خلة به شديدة : أي غصاصة . والتشوع : السزال ، وقد شرحناه وبيناه في الشاهد الذي قبله .

وطلبت ما قال الله تعظيماً لشعائر الله ، ولحرمت الله ، فإنه قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) قال : وجعلته طيباً ، فذلك الذي يتقبل الله . فأما اللحوم والدماء ، فمن أين تنال الله ؟ وقوله ( كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ) يقول : هكذا سخر لكم البُدن ( لِتُكَسَّبُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) يقول : كي تعظموا الله على ما هداكم ، يعنى على توفيقه إياكم لدينه ، ولذاتكم في حجكم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( لِتُكَسَّبُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) قال : على ذبحها في تلك الأيام ( وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ، إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ يخون الله ، فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ، ويطيع الشيطان ( كَفُورٌ ) يقول : جحدود لنعمه عنده ، لا يعرف لمنعمها حقه ، فيشكره عليها . وقيل : إنه عنى بذلك : دفع الله كفار قريش عن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصَرُّهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، بأن المشركين ظلموهم بقتالهم . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ( أُذِنَ ) بضم الألف ( يُقَاتِلُونَ ) بفتح التاء بترك تسمية الفاعل ، في أُذِنَ وَيُقَاتِلُونَ جميعاً . وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة ( أُذِنَ ) بترك تسمية الفاعل و ( يُقَاتِلُونَ ) بكسر التاء ، بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ، وبعض المكيين ( أُذِنَ ) بفتح الألف ، بمعنى : أُذِنَ اللَّهُ و ( يُقَاتِلُونَ ) بكسر التاء ، بمعنى : إن الذين أُذِنَ اللَّهُ لهم بالقتال ، يقاتلون المشركين . وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى ، لأن الذين قرءوا أُذِنَ على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله وإن من قرأ يُقَاتِلُونَ ، وَيُقَاتِلُونَ بالكسر أو الفتح ، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر وذلك أن من قاتل إنساناً ، فالذي قاتله له مقاتل ، وكل واحد منهما مقاتل . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فصيب الصواب .

غير أن أحب ذلك إلى ، أن أقرأ به أُذِنَ بفتح الألف ، بمعنى : أُذِنَ اللَّهُ ، لقرب ذلك من قوله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ) أُذِنَ اللَّهُ في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم ، فيرد أُذِنَ



على قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ) ، وكذلك أحبّ القراءات إلى في يُقَاتِلُونَ كسر التاء ، بمعنى : الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم ، فيكون الكلام متصلا معنى ببعضه ببعض .

وقد اختلف في الذين عُمُوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال ، فقال بعضهم : عنى به نبي الله وأصحابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) يعني : محمدا وأصحابه إذ أخرجوا من مكة إلى المدينة : يقول الله (فإنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) وقد فعل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد ابن جبير ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال رجل : أخرجوا نبيهم ، فنزلت : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا) . . . الآية ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكن . قال ابن عباس : فأنزل الله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال ، وهي أول آية نزلت . قال ابن داود : قال ابن إسحاق : كانوا يقرءون (أُذِنَ) ونحن نقرأ (أُذِنَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال أبو بكر : قد علمت أنه يكون قتال ، وإلى هذا الموضع انتهى حديثه ، ولم يزد عليه .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ليهلكن جميعا فلما نزلت (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا) . . . إلى قوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) عرف أبو بكر أنه سيكون قتال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا) قال : أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشرين ، وقرأ (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) وقال : هؤلاء المؤمنون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> .  
وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية ، قوم بأعيانهم ، كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة ، فنعوا من ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> ، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار ، فقاتلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> ، قال : ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة . وكانوا يمنعون ، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوه . قال ابن جريج يقول : أول قتال أذن الله به للمؤمنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> ، قال قتادة : وهي أول آية نزلت في القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> ، قال : هي أول آية نزلت في القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا . وقد كان بعضهم يزعم أن الله إنما قال : أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار إذا آذوهم ، واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا ، فأذن الله في ذلك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ )<sup>٢</sup> فلكم ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، أطلق لهم قتلهم وقتالهم ، فقال ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ )<sup>١</sup> وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت .

وقوله ( وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَتَقْدِيرٌ )<sup>٣</sup> يقول جل ثناؤه : وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر ، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم ، وأهلك عدوهم ، وأذلهم بأيديهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ، وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ

(١) لعله اختصره إن لم يكن سقط منه شيء من النسخ ، والأصل : هم والنبي وأصحابه ، أو نحو ذلك .



بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ، كَثِيرًا وَلا يَنْصُرُنَّ اللَّهَ مِنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : أذن للذين يقاتلون ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِيَغْتِيرِ حَقٌّ ) فالذين الثانية ردّ على الذين الأولى ، وعنى بالخرجين من دورهم : المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة ، وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله ، وسبهم بعضهم بالسنهم ووعيدهم إياهم ، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم ، وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ ، لأنهم كانوا على باطل ، والمؤمنون على الحقّ ، فلذلك قال جلّ ثناؤه ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِيَغْتِيرِ حَقٌّ ) وقوله ( إِنْ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره : لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم : ربنا الله وحده لا شريك له ، فأن في موضع خفض ردّا على الباء في قوله ( بِيَغْتِيرِ حَقٌّ ) ، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء .

أ وقوله ( وَلَوْلا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْلا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) دفع المشركين بالمسلمين .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ولولا القتال والجهاد في سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْلا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) قال : لولا القتال والجهاد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعدهم من التابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن ثابت بن عويجة الحضرمي ، قال : ثنى سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقرم ، والعزيز بن جرول ، وعطية القرظي ، أن عليا رضي الله عنه قال : إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَلَوْلا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ( لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق ، تكون لبعض

الناس على بعض ، عن لا يجوز قبول شهادته وغيره ، فأحيا بذلك مال هذا ، ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا ، وتركوا المظالم من أجله ، لتظالم الناس ، فهدمت صوامع .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( *وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ* ) يقول : دفع بعضهم بعضا في الشهادة ، وفي الحق ، وفيها يكون من قبل هذا ، يقول : لولا هم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض ، لهدم ما ذكر ، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض ، وكفّه المشركين بالمسلمين عن ذلك ؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم ، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم ؛ ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم بعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ، ونحو ذلك ، وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض ، لولا ذلك لتظالموا ، فهدم القاهرون صوامع المتهورين وبيعتهم ، وما سمى جل ثناؤه ، ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل ، على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض ، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له ، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينتته قبل ، لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا .  
وقوله ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) اختلف أهل التأويل في المعنى بالصوامع ، فقال بعضهم : عنى بها صوامع الرهبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع في هذه الآية ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) قال : صوامع الرهبان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) قال : صوامع الرهبان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( *كُتِدِمَّتْ صَوَامِعُ* ) وهي صوامع الصغار بينونها<sup>١</sup> .

وقال آخرون : بل هي صوامع ، الصابئين .

(١) لعله وهي الصوامع الصغار : أي المعابد الصغار الخ .



ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( صَوَّامِعُ ) قال : هي للصابئين .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( كَهْدَمَتُ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ( كَهْدَمَتُ ) خفيفة . وقراءته  
عامة قراء أهل الكوفة والبصرة ( كَهْدَمَتُ ) بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة ، والتشديد  
في ذلك أعجب القراءتين إلى . لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك .  
وأما قوله ( وَيَبِيعُ ) فإنه يعنى بها : بيع النصارى .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : مثل الذى قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رُفِيع ( وَيَبِيعُ ) قال : بيع  
النصارى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَيَبِيعُ ) للنصارى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول :  
الْبَيْعُ : بيع النصارى .

وقال آخرون : عنى بالبيع في هذا الموضع : كنائس اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ( وَيَبِيعُ ) قال : وكنائس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَبِيعُ ) قال : البيع :  
الكنائس .

قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : عنى بالصلوات : الكنائس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
في قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) قال : يعنى بالصلوات الكنائس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله  
( وَصَلَوَاتٌ ) : كنائس اليهود ، ويسمون الكنيسة صلوتا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَصَلَوَاتٌ ) كنائس اليهود :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : عنى بالصلوات مساجد الصابئين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سألت أبا العالية عن الصلوات ،  
قال : هي مساجد الصابئين :

قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، نحوه .  
وقال آخرون : هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَصَلَّوَاتٌ ) قال : مساجد لأهل الكتاب ،  
ولأهل الإسلام بالطرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، نحوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَصَلَّوَاتٌ ) قال : الصلوات  
صلوات أهل الإسلام ، تنقطع إذا دخل العدو عليهم ، انقطعت العبادة ، والمساجد تهدم ، كما صنع  
بختنصر .

وقوله ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول ، فقال  
بعضهم : أريد بذلك مساجد المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، قوله ( وَمَسَاجِدُ ) قال :  
مساجد المسلمين :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا  
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) قال : المساجد : مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .  
وقال آخرون : عنى بقوله ( وَمَسَاجِدُ ) : الصوامع والبيع والصلوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله  
( وَمَسَاجِدُ ) يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا ، ولم يخص المساجد .  
وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : الصلوات لا تهدم ، ولكن حمله على فعل آخر ، كأنه



قال : وتركت صلوات . وقال بعضهم : إنما يعنى : مواضع الصلوات . وقال بعضهم : إنما هي صلوات ، وهي كنائس اليهود ، تُدعى بالعبرانية : صلواتا .

﴿ وَأُولَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ﴾ : قول من قال : معنى ذلك : لهدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصراني ، وصلوات اليهود ، وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، المستفيض فيهم ، وما خالفه من القول ، وإن كان له وجه فغير مستعمل فينا وجهه إليه من وجهه إليه .

وقوله ( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ) يقول تعالى ذكره : وليعينن الله من يقاتل في سبيله ، لتكون كلمته العليا على عدوه ، فنصر الله عبده : معونته إياه ، ونصر العبد ربه : جهاده في سبيله ، لتكون كلمته العليا .

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لقوى على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته ، عزيز في ملكه ، يقول : منيع في سلطانه ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، الذين إن مكثهم في الأرض ، أقاموا الصلاة : والذين هاهنا رد على الذين يقاتلون . ويعنى بقوله ( إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) إن وطناهم في البلاد ، فقهروا المشركين ، وغلبوهم عليها ، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : إن نصرناهم على أعدائهم ، وقهروا مشركي مكة ، أطاعوا الله ، فأقاموا الصلاة بحدودها ، وآتوا الزكاة : يقول : وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ( وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ) يقول : ودعوا الناس إلى توحيد الله ، والعمل بطاعته ، وما يعرفه أهل الإيمان بالله ( وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول : ونهوا عن الشرك بالله ، والعمل بمعاصيه ، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله ( وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول : والله آخر أمور الخلق ، يعنى : أن إليه مصيرها في الثواب عليها ، والعقاب في الدار الآخرة .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين الأشيب ، قال : ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان ، الذي يقال له الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( الَّذِينَ إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) قال : كان أمرهم بالمعروف

أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده ، لا شريك له ، ونهيبهم عن المنكر ، أنهم نهوا عن عبادة الأوثان ، وعبادة الشيطان ؛ قال : فن دعا إلى الله من الناس كلهم ، فقد أمر بالمعروف ، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان ، فقد نهى عن المنكر :

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ، وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)

يقول تعالى ذكره مسلينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله ، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب ، وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان ، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله ، فذلك سنة لإخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله ، المشركة بالله ، ومنهاجهم من قبلهم ، فلا يصدتلك ذلك ، فإن العذاب المهين من ورأيهم ، ونصرى إياك ، وأتباعك عليهم ، آتيتهم من وراء ذلك ، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم ، بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال ، فقد كذبت قبلهم : يعنى مشركى قريش ، قوم نوح ، وقوم عاد وثمود ، وقوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وهم قوم شعيب : يقول : كذب كل هؤلاء رسلهم ، وكذب موسى ، فقيل : وكذب موسى ، ولم يقل : وقوم موسى ، لأن قوم موسى بنو إسرائيل ، وكانت قد استجابت له ولم تكذبه ، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط . وقد قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم ، كما ولد في أهل مكة .

وقوله ( فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ) يقول : فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم ، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ( ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ) يقول : ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء ، فكيف كان نكيرى ) يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة ، وتنكرى لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم ، ألم أبدلهم بالكثرة قلة ، وبالحياء موتا وهلاكا ، وبالعمارة خرابا ؟ يقول : فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم ، فإني مستجيزك وعدى فيهم ، كما أنجزت غيرك من رسلى وعدى فى أمهم ، فأهلكناهم ، وأنجيتهم من بين أظهرهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ، وَبُرُومٌ مَطَّلَةٌ ، وَاقْصِرْ مَشِيدِ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها . وهم الظالمون : وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبد ، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه . وقوله ( فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ) يقول : فباد أهلها وخلت ، وخوت من سكانها ، فخربت وتداعت ، وتساقطت على عروشها ، يعنى على بناتها وسقوفها .



كما حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاک ( قَهِي خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ) قال : خَوَاؤُهَا : خَرَابُهَا ، وَعُرُوشُهَا : سَقُوفُهَا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خَاوِيَّةٌ ) قال : خربة ليس فيها أحد .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . مثله .

وقوله ( وَبَيْتٌ مُعْتَطَلَةٌ ) يقول تعالى : فكأين من قرية أهلكناها ، ومن بئر عطلناها ، بإفناء أهلها ، وهلاك إرديها ، فاندفنت وتعطلت ، فلا واردة لها ، ولا شاربة منها ( وَمِنْ قَصْرِ مَشِيدٍ ) رفيع بالصخور والحصى ، قد خلا من سكانه ، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعلهم ، فبادوا ، وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم . والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية . وكان بعض نحووي الكوفة يقول : هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا ، وإن لم يحسن فيهما ، على أن العروش أعلى البيوت ، والبئر في الأرض ، وكذلك القصر ، لأن القرية لم نحو على القصر ، ولكنه أتبع بعضه بعضا ، كما قال ( وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ) فغنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك : فكأين من قرية أهلكناها وهي ظلمة ، فهي خاوية على عروشها ، ولها بئر معطلة ، وقصر مشيد ؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها ، أتبعها في الإعراب العروش ، والمعنى : ما وصفت .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( وَبَيْتٌ مُعْتَطَلَةٌ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَبَيْتٌ مُعْتَطَلَةٌ ) قال : التي قد تترك ، وقال غيره : لأهل لها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَبَيْتٌ مُعْتَطَلَةٌ ) قال : عطلها أهلها ، تركوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَبَيْتٌ مُعْتَطَلَةٌ ) قال : لأهل لها .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) فقال بعضهم : معناه : وقصر مجصص .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، في قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، مثله :

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب بن فائد ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، مثله .

حدثني الحسين بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثني مطر بن محمد ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر بن برقان ، قال : كنت أمشي مع عكرمة ، فرأى حائط أجرٍ مُصَهَّرَج ، فوضع يده عليه ، وقال : هذا المشيد الذي قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : المجصص . قال عكرمة : والمدينة يسمي الشيد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقِصَّة أو الفضة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقِصَّة يعني بالحصص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص ، هكذا هو في كتابي ، عن سعيد بن جبير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقصر رفيع طويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : كان أهله شيدوه وحصنوه ، فهلكوا وتركوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) يقول : طويل .

بَابُ وَأَوْلَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : قول من قال : عنى بالمشيد : المجصص ، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الحصص بعينه ؛ ومنه قول الرازي :

كحَبَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطِّيِّ وَالشَّيْدِ ١

(١) هذا عجز بيت من البسيط ، وليس من الرجز . وقال في اللسان : وحبيب الماء بالكسر ، وحبيه وحباه بالفتح : طرائقه والطي : الحجارة تبنى بها جدار البئر . والشيد ، بكسر الشين : كل ما طل به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح : المصدر ، تقول : شاده يشيده شيدا : جصصه ، وبناء مشيد : معمول بالشيد .



فالمشيد : إنما هو مفعول من الشيد ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وتيمّاءَ كم يتركُ بها جِدْعَ نَحْلَةٍ ولا أطمأ إلاّ مَشِيداً بِجَمْدِكَ

يعنى بذلك : إلا بالبناء بالشيد والحنذل . وقد يجوز أن يكون معنياً بالمشيد : المرفوع بناؤه بالشيد ، فيكون الذين قالوا : عنى بالمشيد : الطويل نحواً بذلك إلى هذا التأويل ؛ ومنه قول عدى بن زيد :

شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيْرٌ فِي ذُرَاهُ وَكُورٌ

وقد تأوّل بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده : إذا زينت به ، وذلك شبيه بمعنى من قال : بمحصص .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا

لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله ، والجاحدون قدرته في البلاد ، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلّوا من قبلهم ، كعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب ، وأوطانهم ومساكنهم ، فيتفكروا فيها ، ويعتبروا بها ، ويعلموا بتدبيرهم أمرها وأمر أهلها ، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره ، وكذب رسله ، فينبوا من عتوهم وكفرهم ، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك ، واعتبروا به ، وأنابوا إلى الحق ( قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيّنا ، أو آذان يسمعون بها : يقول : أو آذان تصغى لسماع الحق فتعى ذلك ، وتميز بينه وبين الباطل . وقوله ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) يقول : فإنها لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها ، بل يبصرون ذلك بأبصارهم ، ولكن تعمي قلوبهم

(١) البيت لامرئ القيس يصف السيل في معلقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٣ ) قال شارحه : تيماء : مدينة . والأطم : البيت المسطح ، ويروى « ولا أجا » ، وهو بمعنى الأطم . يقول : لم يدع السيل بيتا مبينا بمحص وحجارة إلا هدمه إلا المشيد بمجندل فإنه سلم لقوته .

وفي (اللسان : شيد) : وبناء مشيد : معمول بالشيد . وكل ما أحكم من البناء فقد شيد ، وتشيد البناء إحكامه ورفع ، والمشيد : المبني بالشيد ، وأنشد : « شاده مريرا . . . البيت » . قال أبو عبيد : البناء المشيد ( بالتشديد ) : المطول . والمفهوم من نصوص التلوين من بيت امرئ القيس ومن بيت عدى بن زيد الآتي بعد هذا ، أن البناء المشيد بالتحقيق : هو المطول الذاهب في السماء ، أو هو المحكم القوى . فيكون للمشيد إذن معنيان : الأول هو المطلق بالحص ونحوه لتزيينه . والثاني هو المبني بالحص ونحوه مع الصخور أو المرمر . . . الخ .

(٢) البيت لعدى بن زيد العبّادى . وقد أنشده في (اللسان : شيد) ولم ينسبه ، وقال المشيد : المبني بالشيد . اه . يريد أنه أحكم بناؤه وأحكم بالشيد مع المرمر ، وهو نوع من الرخام صلب . والكلس قال في (اللسان : كلس) : مثل الصاروخ يبنى به . وقيل الكلس : ما طل به حائط أو باطن قصر ، شبه بالحص من غير أجر ؛ قال عدى بن زيد العبّادى ( وذكر أربعة أبيات منها بيت الشاهد ، وهو آخرها ) ثم قال : والتكليس التلميس ، فإذا طل تخيبتا فهو المقرم . والشاهد في بيت عدى هذا كما بيناه في بيت امرئ القيس قبله أن قوله « شاده مرمره » يفهم منه الإحكام والتقوية ورفع البناء ، ولا يفهم منه الطلاء الخارجى بالشيد . وهو ما قاله المؤلف . والذرا بضم الذال : جمع ذروة ، وهى أعلى الشيء . والوكور : جمع وكر وهو عش الطائر أى أن صاحب ذلك القصر المعروف بالحضر ، رفع بناءه بالشيد والمرمر ، ثم كلسه وملسه بالحص أو بالكلس ، وإن الطير قد اتخذت وكورها في أعلاه .

التي في صلورهم عن أنصار الحق ومعرفته . والهاء في قوله ( فَلِئَلاَّ تَتَعَمَّيَ ) هاء عماد ، أقول القائل : إنه عبد الله قائم . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( فَلِئَلاَّ تَتَعَمَّيَ الأَبْصَارُ ) وقيل ( وَلَكِن تَعَمَّيَ القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ ) والقلوب لا تكرون إلا في الصدور ، توكيدا للكلام ، كما قيل ( يَتَقُولُونَ بِأَفْوَاحِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك ، بما تعددهم من عذاب الله على شركهم به ، وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا ، ولن يخلف الله وعده الذي وعده فيهم ، من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا ، ففعل ذلك ، ووفى لهم بما وعدهم ، فقتلهم يوم بدر . واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) أي يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ ) . . . الآية ، قال : هي مثل قوله في ( الم تَنْزِيلُ ) سواء ، هو هو الآية . وقال آخرون : بل هو من أيام الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سيبك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علبية ، قال : ثنا سعيد الجريدي ، عن أبي نضرة عن سمير بن نهار ، قال : قال أبو هريرة : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت : وما نصف يوم ؟ قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) . » . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنى عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ) قال : من أيام الآخرة .



حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال في هذه الآية ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : هذه أيام الآخرة . وفي قوله ( ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : يوم القيامة ، وقرأ ( لِأَنَّهُمْ يَرْوَتْهُ بِعَيْدٍ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ) .

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله ، فقال بعضهم : إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا ، فأنزل الله ( وَلَكِنْ يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ) في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا ، وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة ، كألف سنة مما تعدون في الدنيا .

وقال آخرون : قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب ، أنه لا يعجل ، ولكنه يُمهّل إلى أجل أجله ، وأن البطيء عندهم قريب عنده ، فقال لهم : مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدون أنه أيها القوم من أيامكم ، وهو عندكم بطيء ، وهو عندي قريب . وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة .

والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة ، وتركه معاجلتهم بالعذاب ، فبين بذلك أنه عنى بقوله ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) نفي العجلة عن نفسه ، ووصفها بالأناة والانتظار . وإذ كان ذلك كذلك ، كان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة ، يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده ببعيد ، وهو عندكم بعيد ، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته ، حتى يبلغ غاية مدته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا ) يقول : أمهلتهم ، وأخرت عذابهم ، وهم بالله مشركون ، ولأمره مخالفون ، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه ، فلم أعجل عذابهم ، ( ثُمَّ أَخَذْتُهَا ) يقول : ثم أخذتها بالعذاب ، فعذبته في الدنيا باحلال عقوبتنا بهم . ( وَإِلَى الْمَصِيرِ ) يقول : وإلى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم ، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له ، يقول تعالى ذكره : فكذلك حال مستعجلك بالعذاب من مشركي قومك ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم ، فلاني أخذتهم بالعذاب ، فقاتلهم بالسيف ، ثم إلى مصيرهم بعد ذلك ، فوجعهم لإذن عقوبة على ما قدموا من آثامهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم ، اتباعا منهم لكل شيطان مرید : ( يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ) أنذرکم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا ، وعذابه في الآخرة أن تصلوّه . مبين : يقول : أبين لكم إنذارى ذلك وأظهره ، لتنبؤوا من شرككم ، وتحذروا ما أنذرکم من ذلك ، لأملك لكم غير ذلك ، فأما تعجيل العقاب وتأخيرها ، الذى تستعجلوننى به فى الله ، ليس ذلك إلى ، ولا أقدر عليه ؛ ثم وصف نذارته وبشارته ، ولم يجر للبشارة ذكر ، ولما ذكّرت النذارة على عمل ، علم أن البشارة على خلافه ، فقال : والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم . ( لهم مغفرة ) يقول : لهم من الله ستر ذنوبهم التى سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة . ( وريزق كريم ) يقول : وريزق حسن في الجنة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( فالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) قال : الجنة .

وقوله ( والَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ) يقول : والذين عملوا في حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا ، والإقرار بكتابنا الذى أنزلناه . وقال في آياتنا ، فأدخلت فيه في ، كما يقال : سعى فلان في أمر فلان . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( مُعْجِزِينَ ) فقال بعضهم : معناه : مُشَاقِّينَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( مُعْجِزِينَ ) في كل القرآن ، يعنى بألف ، وقال : مشاققين : وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( في آياتنا مُعْجِزِينَ ) قال : كذبوا بآيات الله ، فظنوا أنهم يعجزون الله ، ولن يعجزوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه ( في آياتنا مُعْجِزِينَ ) بالألف ، وهى قراءة عامة قرآء المدينة والكوفة . وأما بعض قرآء أهل مكة والبصرة ، فإنه قرأه ( مُعْجِزِينَ ) بتشديد الجيم ، بغير ألف ، بمعنى أنهم عجزوا الناس ، وثبَطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بالقرآن .



ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُعْجِزِينَ) قال : مُبْطِئِينَ ، يبطئون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن من عجز عن آيات الله ، فقد عاجز الله ، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله ، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره ، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم ، أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله ، واتباع رسوله ، ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحسبون أنهم يُعْجِزونه ويغالّبونه ، وقد ضمن الله له نصره عليهم ، فكان ذلك معاجزتهم الله . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ، فصيب الصواب في ذلك .

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز ، ومعناه : مغالبة اثنين أحدهما صاحبه ، أيهما يعجزه ، فيغلبه الآخر ويقهره .

وأما التعجيز : فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز . وقوله ( أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة ، وأهلها الذين هم أهلها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)

قيل : إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه ، مما أنزل الله عليه من القرآن ، ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد ابن قيس قالا : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهلها ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ، فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : ( وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ) ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ ( أَفْرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرانة العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فتكلم بها ، ثم مضى فقرأ السورة ،

كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضوا بما تكلم به وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آفتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا ، فنحن معك ؛ قالوا : فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتررتي على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه ( وإن كادوا لتبقيتنونك عن الذي أوحينا إليك ، لتفتري علينا غيره ) . . . إلى قوله ( ثم لا تجد لك علينا نصيرا ) ، فما زال مغمو ما مهموما حتى نزلت عليه ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ) قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا : هم أحب إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي قال : « لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباحثهم ماجاءهم به من عند الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه ، وكان يسره ، مع حبه وحرصه عليهم ، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم ، حين حدثت بذلك نفسه ، وتمنى وأجبه ، فأنزل الله : ( والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ) فلما انتهى إلى قول الله ( أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ) ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه ، تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن ترتنضى ؛ فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرّهم ، وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ، ولا يهتمونه على خط ولا وهم ولا زلل ؛ فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة ، سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم ، تصديقا لما جاء به ، واتباعا لأمره ، وسجد من في المسجد من المشركين ، من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع ، فأخذ بيده حفنة من البطحاء ، فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد ، وخرجت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آفتنا بأحسن الذكر ، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرائق العلى ، وأن شفاعتهن ترتنضى ، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أسلمت قريش ، فهضت منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وخاف من الله خوفا كبيرا ، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ( وكان به رجيا ) يعزبه ويخفف عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى كما تمنى ، ولا أحب كما أحب ، إلا



والشيطان قد ألقى في أمنيته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم آياته ، أى فأنت كبعض الأنبياء والرسل ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . الآية ، فأذهب الله عن نبيه الحزن ، وأمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم ، أنها الغرائق العلى ، وأن شفاعتهم ترضى ، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إلى قوله ( وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ) ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ؛ فلما جاءه من الله مانسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه ، قالت قريش : ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك ، فازدادوا شرًا إلى ما كانوا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن أبي العالية ، قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جلساؤك عبد بنى فلان ومولى بنى فلان ، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك ، فإنه يأتيك أشراف العرب ، فإذا رأوا جلساءك أشراف قومك ، كان أرغب لهم فيك ، قال : فألقى الشيطان في أمنيته ، فنزلت هذه الآية ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) قال : فأجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وشفاعتهن ترجى ، مثلهن لا ينسى ؛ قال : فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها ، وسجد معه المسلمون والمشركون ؛ فلما علم الذى أُجْرِى على لسانه ، كبر ذلك عليه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : « قالت قريش : يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس ، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ؛ فلما انتهى على هذه الآية : ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) فألقى الشيطان على لسانه : وهى الغرائق العلى ، وشفاعتهن ترجى ؛ فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون ، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص ، أخذ كفا من تراب وسجد عليه ؛ وقال ؛ قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير ، حتى بلغ الذين بالحبيشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، أن قريشا قد أسلمت ، فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت هذه الآية ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ) قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : إنه لم يذكر

أهتكم قبل اليوم بخير ، فسجد المشركون معه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( عَدَّ أَبَ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) .  
حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير  
قال : لما نزلت ( أفرأيتم اللات والعزى ) ، ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ )  
إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ) وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي ، إذ نزلت عليه قصة  
آلهة العرب ، فجعل يتلوها فسمعه المشركون ، فقالوا : إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير ، فدنوا منه ، فبينما هو يتلوها ،  
وهو يقول ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) ألقى الشيطان : إن تلك الغرائق العلى ،  
منها الشفاعة ترجى ، فجعل يتلوها ، فنزل جبرائيل عليه السلام ، فسخها ، ثم قال له ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّتْهُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ  
عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله  
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ،  
وهو بمكة ، أنزل الله عليه في آلهة العرب ، فجعل يتلو اللات والعزى ، ويكثر ترديدها ، فسمع أهل مكة  
نبي الله يذكر آلهتهم ، وفرحوا بذلك ، وذنوا يستمعون ، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم :  
تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة ترجى ، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، فأنزل الله عليه : ( وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ) . . . إلى ( وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أنه سئل عن قوله  
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، قال ابن شهاب : ثنا أبو بكر بن  
عبد الرحمن بن الحارث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم ( والنجم إذا هوى ) ، فلما  
بلغ ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) قال : إن شفاعةن ترجى ، وسها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فلقية المشركون الذين في قلوبهم مرض ، فسلموا عليه ، وفرحوا بذلك ، فقال لهم :  
: « إنما ذلك من الشيطان ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . حتى  
بلغ ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) .

فتأويل الكلام : ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، ولا نبي محدث ليس  
يرسل ، إلا إذا تمنى .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع ، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك انتهى



من النبي صلى الله عليه وسلم ، ما حدثته نفسه من محبته مقارنة قومه ، في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا قرأ وتلا أو حدث .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِذَا تَمَسَّتِ النَّفْسُ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) يقول : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِذَا تَمَسَّتِ ) قال : إذا قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِذَا تَمَسَّتِ ) يعني باتمى : التلاوة والقراءة .

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام ، بدلالة قوله ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) على ذلك ، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها ، لاشك أنها آيات تنزله ، فعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله ، وقرأ ، أو حدث وتكلم ، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) يقول : تعالى فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله .

كما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) فيبطل الله ما ألقى الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحكم الله آياته .

وقوله ( ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) يقول : ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ ) بما يحدث في خلقه من حدث ، لا ينجي عليه منه شيء ( حَكِيمٌ ) في تدبيره إياهم ، وصرفه لهم فيما شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ

لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، كى يجعل ما يلقى الشيطان في أمانة نبيه من الباطل ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرائق العُلى ، وإن شفاعتكم لُترتجى فتنه ، يقول اختبارا يختبره الذين في قلوبهم مرض من النفاق ، وذلك الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما يخبرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين ، فألقى الشيطان فى أمنيته ، فقال : إن الآلهة التى تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنها لكغرائق العُلى ، فنسخ الله ذلك ، وأحكم الله آياته ، أفرايم اللات والعزى ، حتى بلغ (مين سلطان) قال قتادة : لما ألقى الشيطان ما ألقى ، قال المشركون : قد ذكر الله آلهتهم بخير ، ففرحوا بذلك ، فذكر قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول : وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله ، فلا تلين ولا ترعوى ، وهم المشركون بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( والقاسية قلوبهم ) قال : المشركون .

وقوله ( وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَسَيِّ شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) يقول تعالى ذكره : وإن مشركى قومك يا محمد لى خلاف الله فى أمره ، بعيد من الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه ، أنه الحق من عند ربك يا محمد ، فؤمِنُوا به : يقول : فيصدقوا به ، فتُخْبِتَ له

(١) قوله : « وللذين قست » : عطف على مفهوم من السياق ، أى للذين فى قلوبهم مرض ، وللذين قست قلوبهم .



قلوبهم : يقول : فتخضع للقرآن قلوبهم ، وتدعن بالتصديق به ، والإقرار بما فيه ( وَإِنَّ اللَّهَ كَخَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد، والحق الواضح ، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله ، فلا يضرهم كيد الشيطان ، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آؤْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) قال : يعنى القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ

عَقِيمٍ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ولا يزال الذين كفروا بالله في شك .

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله « منه » من ذكر ما هي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) من قوله : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة .

وقال آخرون : بل هي من ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم في النجم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : في ميريّة من سجودك .

وقال آخرون : بل هي من ذكر القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : من القرآن .

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آؤْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) أقرب منه من

ذكر قوله (فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ) والهاء من قوله « أنه » من ذكر القرآن ، فإلحاق الهاء في قوله (في مِرْيَةٍ مِنْهُ) بالهاء من قوله (أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أولى من إلحاقها بما التي في قوله (ما يُلْقَى الشَّيْطَانُ) مع بُعد ما بينهما .

وقوله (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) يقول : لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيم الساعة (بَغْتَةً) وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة ، يقول : فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) .

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أى يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا شيخ من أهل خراسان من الأزدي يكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك ، عن قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : عذاب يوم لا ليلة بعده .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ، أن يوم القيامة لا ليلة له .

وقال آخرون : بل عنى به يوم بدر ، وقالوا : إنما قيل له يوم عقيم ، أنهم لم ينظروا إلى الليل ، فكان لهم عقبا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) يوم بدر .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال ابن جريج : يوم ليس فيه ليلة ، لم ينظروا إلى الليل ، قال مجاهد : عذاب يوم عظيم .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال مجاهد : يوم بدر .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : هو يوم بدر ، ذكره عن أبي بن كعب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) قال : هو يوم بدر ، عن أبي بن كعب .

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية ، لأنه لا وجه لأن يقال : لا يزالون في مرية منه حتى تأتيم الساعة بغتة ، أو تأتيم الساعة ؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة ، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة ، فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين ، باختلاف الألفاظ ، وذلك ما لا معنى له . فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به أصحهما معنى ، وأشبههما بالمعروف في الخطاب ، وهو ما ذكرناه في معناه .



فتأويل الكلام إذن : ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ، حتى تأتيهم الساعة بغتة ، فيصبروا إلى العذاب الدائم ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم ، فلا ينظروا فيه إلى الليل ، ولا يؤخروا فيه إلى المساء ، لكنهم يقتلون قبل المساء .

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَخْتَكُمُ بَيْنَهُمْ ، فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦)  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءَاولئك لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : السلطان والملك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ، ولا ينازعه يومئذ منازع ، وقد كان في الدنيا ملك يدعون بهذا الاسم ، ولا أحد يومئذ يدعى ملكا سواه ، يحكم بينهم : يقول : فصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين ، فالذين آمنوا بهذا القرآن ، وبمن أنزله ، ومن جاء به ، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه : في جنات النعيم يومئذ ، والذين كفروا بالله ورسوله ، وكذبوا بآيات كتابه وتنزله ، وقالوا : ليس ذلك من عند الله ، إنما هو إفك افتراه محمد ، وأعاناه عليه قوم آخرون ، ( فأولئك لهم عذاب مهين ) يقول : فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين ، يعني عذاب مُذَلّ في جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : والذين فارقوا أوطانهم وعشائهم ، فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ، ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ، ليرزقهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا . يعني بالحسن : الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن : الثواب الجزيل ( وإن الله لهو خير الرازقين ) يقول : وإن الله هو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم . وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله ، فقال بعضهم : سواء المقتول منهم والميت . وقال آخرون : المقتول أفضل ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يُعلمهم استواء أمر الميت في سبيله ، والمقتول فيها في الثواب عنده .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شُرَيْح ، عن سلمان بن عامر ، قال : كان فضالة برؤوس أميرا على الأرباع ، فخرج بجنازتي رجلين ، أحدهما قتيل ، والآخر متوفى ، فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرة ، فقال : أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل ، وتفضاونه

على أخيه المتوفى ، فولدني نفسي بيده ، ما أبالي من أي حفرتيما بُعثت ، اقرءوا قول الله تعالى ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ) . . . إلى قوله ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ( مُدْخَلَ الْجَنَّةِ ) ، وذلك المُدْخَلُ هو الجنة . ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ ) بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة ، أو لِعَرْضِ من عروض الدنيا ( حَكِيمٌ ) عن عَصَاةِ خلقه ، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ (٦٠)

يعني تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) لهذا، هؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ، ثم قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ، ولهم مع ذلك أيضا ، أن الله يعيدهم النصر على المشركين الذين بغتوا عليهم ، فأخرجوهم من ديارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ) قال : هم المشركون بغتوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده الله أن ينصره ، وقال في القصص أيضا : وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين ، لليلتين بقيتا من المحرم ، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم ، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر ، فأبى المشركون ذلك وقاتلوا ، فبغتوا عليهم ، وثبت المسلمون لهم ، فنصروا عليهم ، فأنزل الله هذه الآية ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ) بأن بدئ بالقتال ، وهو له كاره ( لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ) ، وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق ، غفور لما فعل بيادته بالظلم ، مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)

يعني تعالى ذكره بقوله : ( ذَلِكَ ) هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي ، لأنني القادر على ما أشاء ، فمن قدرته أن الله يولج الليل في النهار ، يقول : يُدْخِلُ ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار ، فما نقص من هذا زاد في هذا ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل ، فما نقص من طول هذا ، زاد في طول هذا ، وبالقدر التي تفعل ذلك ينصر محمدا



صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم، فأخرجهم من ديارهم وأموالهم (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول : وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شيء ، بصير بما يعملون ، لا يغيب عنه منه شيء ، كل ذلك منه بمراى ومسمع ، وهو الحافظ لكل ذلك ، حتى يجازى جميعهم على ما قلوا وعملوا من قول وعمل جزاءه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك : هذا الفعل الذى فعلت من إيلاجى الليل فى النهار ، وإيلاجى النهار فى الليل ، لأنى أنا الحق الذى لا مثل لى ، ولا شريك ولا ندى ، وأن الذى يدعوه هؤلاء المشركون إلهام من دونه ، هو الباطل ، الذى لا يقدر على صنعة شيء ، بل هو المصنوع . يقول لهم تعالى ذكره : أفتتكون أيها الجهال عبادة من منه النفع ، ويبيده الضر ، وهو القادر على كل شيء ، وكل شيء دونه ، وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادته . وقوله ( وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) يعنى بقوله ( العلى ) ذو العلو على كل شيء ، هو فوق كل شيء ، وكل شيء دونه ( الكبير ) يعنى العظيم ، الذى كل شيء دونه ، ولا شيء أعظم منه .

وكان ابن جرير يقول فى قوله ( وَأَنَّ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جرير ، فى قوله ( وَأَنَّ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) قال : الشيطان .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَأَنَّ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ) فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز ( تَدْعُونَ ) بالتاء ، على وجه الخطاب ؛ وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء ، على وجه الخبر ، والياء أعجب القراءتين إلى ، لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعنى مطرا ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ) بما ينبت فيها من النبات ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ) باستخراج النبات من الأرض ، بذلك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه ( خبير ) بما يحدث عن ذلك النبات من الحب ، وبه قال ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ) فرقع ، وقد تقدمه قوله ( أَلَمْ تَرَ ) وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام الخبر ، كأنه قيل : اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء ، فتصبح الأرض ؛ ونظير ذلك قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ<sup>١</sup> وَهَلْ تُخَيِّرُكَ الْيَوْمَ بِيَدَيْهِ سَخْلِقُ<sup>٢</sup>  
لأن معناه : قد سألته فنتطق .

القول في تأويل قول تعالى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : له ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء ، هم عبيده ومالكه وخلقه ، لا شريك له في ذلك ، ولا في شيء منه ، وإن الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه ، وهم المحتاجون إليه ، الحميد عند عباده ، في إفضاله عليهم وأباده عندهم .

القول في تأويل قول تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَيُمْسِكُ  
السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض من حوائجكم ( والفلك تجري في البحر بأمره ) يقول : وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره ، يعني بقدرته ، وتذليله إياها لكم كذلك .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( والفلك تجري ) فقرأه عامة قراء الأمصار ( والفلك ) نصبا بمعنى سخر لكم ما في الأرض ، والفلك عطف على « ماء » ، وعلى تكرير « أن » وأن الفلك تجري . ورؤى عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء ، والنصب هو القراءة عندنا في ذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه . ( وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ) يقول : ويمسك السماء بقدرته ، كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه . ومعنى قوله ( أَنْ تَقَعَ ) : أن لا تقع ( إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ) بمعنى : إنه بهم للورافة ورحمة ، فمن رأفته بهم ورحمته لم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية ، تفضلا منه عليكم بذلك .

القول في تأويل قول تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ آيَةٍ جَعَلْنَا

(١) البيت مطلع قصيدة جميل بن معمر العذري ( خزنة الأدب الكبرى للبيدائي ٣ : ٦٠٢ ) وهو شاهد عند النحاة ، عل أن ما بعد الفاء قد يبق على رفعة قليلا ، وهو مستأنف . قال : وأشد سيويه هذا البيت وقال : لم يجعل الأول سبب الآخر ، ولكنه جعله ينطق على كل حال ، كأنه قال : وهو مما ينطق . وقال أبو جعفر النحاس : عن أبي إسحاق ، قال : إنه تقرير ، معناه أنك سألته ، فيقبح النصب . قلت : أي لأن الاستفهام قبله ليس محضا ، وإنما هو للتقرير ، فيشبه الخبر ، وهو نحو ما قال المؤلف : معناه قد سألته فنطق . ورواية البيت في الخزنة : « القواء » في موضع القديم ، وهو الذي خلا من يسكنه . ورفع القمل ينطق نظير الفعل تصيح في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فصيح الأرض مخضرة » .



مَنْسَكَاهُمْ نَاسِكُوهُ، فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ، وَأَذْعُ إِلَى رَبِّكَ، إِنَّكَ لَمَلِيُّ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧)  
 يقول تعالى ذكره : والله الذي أنعم عليكم هذه النعم ، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها  
 فيكم ، ولم تكونوا شيئا ، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم ، فيفنيكم عند مجيء آجالكم ، ثم يحييكم بعد مماتكم ،  
 عند بعثكم لقيام الساعة ( إنَّ الإنسانَ لَكَفُورٌ ) يقول : إن ابن آدم لبحود لنعم الله التي أنعم بها عليه ، من  
 حُسْنِ خلقه إياه ، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرِّ والبحر ، وتركه إهلاكه ، بإسساكه السماء أن تقع  
 على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد ، وتركه إفراده بالعبادة ، وإخلاص التوحيد له .

وقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) يقول : لكل جماعة قوم هي خلقت من قبلك ، جعلنا مألفا  
 يألفونه ، ومكانا يعتادونه ، لعبادتي فيه ، وقضاء فرائضي ، وعملا يلزمونه ، وأصل المنسك في كلام العرب :  
 الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه ، لخير أو شر ؛ يقال : إن لفلان منسكا يعتاده : يراد مكانا يغشاه  
 ويألفه لخير أو شر . وإنما سميت مناسك الحج بذلك ، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج  
 والعُمرة ، وفيه لغتان ( مَنْسِكٌ ) بكسر السين وفتح الميم ، وذلك من لغة أهل الحجاز ، و ( مَنْسَكٌ )  
 بفتح الميم والسين جميعا ، وذلك من لغة أسد ، وقد قرئ باللغتين جميعا .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) : أى المناسك عنى به ؟  
 فقال بعضهم : عُنِي به : عيدهم الذي يعتادونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لِكُلِّ  
 أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) يقول : عيدا .  
 وقال آخرون : عُنِي به : ذبيح يذبحونه ، ودم يُهْرَقُونَهُ .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن جُرَيْجٍ ، عن مجاهد ، في قوله ( لِكُلِّ  
 أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إراقة الدم بمكة .  
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إهراق دماء الهدى .  
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْسَكًا ) قال : ذبحا وحجا .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : عُنِي بذلك إراقة الدم أيام النحر بمبني ، لأن المناسك التي كان  
 المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت إراقة الدم في هذه الأيام ، على أنهم قد كانوا  
 جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام ، بما قد أنجز الله عنهم في سورة الأنعام ، غير أن تلك لم

تكن مناسك . فأما التي هي مناسك ، فإنما هي هدايا أو ضحايا . ولذلك قلنا : عُنِيَ بالمنسك في هذا الموضع : الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا .

وقوله ( فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ ) يقول تعالى ذكره : فلا ينازعك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم : أأنا كلون ما قتلتم ، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله ؟ فإنك أولى بالحقّ منهم ، لأنك محقّ وهم مبطلون .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ ) قال : الذبح .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ ) : فلا تتحام لحملك .

وقوله ( وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك ، إلى اتباع أمر ربك في ذلك بألأبأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك ، وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله ، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان ، وتبرعوا منها . إنك لعل طريق مستقيم ، غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك ، الذي جعله لك ولأمتك ربك ، وهم الضلالّ عن قصد السبيل ، لخالفهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ جَادَلُوكَ ، فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن جادلوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك ، فقل : الله أعلم بما تعملون ونعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَإِنْ جَادَلُوكَ ) قال : قول أهل الشرك : أما ما ذبح الله بيمينه ( فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

وقوله ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يقضى بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون ، فتعلمون حينئذ أيها المشركون الحقّ من المبطل .



القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع ، والأرضين السبع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة ، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، إن ذلك في كتاب : يقول تعالى ذكره : إن علمه بذلك في كتاب ، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه ، قبل أن يخلق خلقه ، ما هو كائن إلى يوم القيامة ( إن ذلك على الله يسير ) .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر بن إسماعيل الحلبي ، عن الأوزاعي ، عن عبدة ابن أبي لبابة ، قال : علم الله ما هو خالق ، وما الخلق عاملون ، ثم كتبه ثم قال لنبيه ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضميرة بن حبيب يقول : « إن الله كان على عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم ، فكتب به ما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام ، قبل أن يبدأ شيئاً من الخلق » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سيار ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعب الأحبار ، عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه كنه كتابا .

وكان ابن جرير يقول ، في قوله ( إن ذلك في كتاب ) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ( إن ذلك في كتاب ) قال قوله ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) .

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك ، لأن قوله ( إن ذلك ) إلى قوله ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) أقرب منه إلى قوله ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) ، فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه ، أولى منه بما بعد .

وقوله ( إن ذلك على الله يسير ) اختلف في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ( إن ذلك على الله يسير )

قال : حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ( أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين . وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن قوله ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) ... إلى قوله ( إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) أقرب وهو له مجاور ، ومن قوله ( اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) متباعد مع دخول قوله ( أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) بينهما ، فلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام ، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَمَا لِلَّظَّالِمِينَ مِن

تصير (٧١)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ، ما لم ينزل به جلّ نزوه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله ، بأنها آفة تصلح عبادتها فيعبدها ، بأن الله أذن لهم في عبادتها ، وما ليس لهم به علم أنها آفة ( وما للظالمين من نصير ) يقول : وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة ، فينقذهم من عذاب الله ، ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ، يَتَّبِعْتُمْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ، يَكَادُونَ يَسْطُونَ  
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ، قُلْ أَفَأَنْبئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمْ ، النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ،  
وَبئسَ الْمَصِيرُ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : وإذا تلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ( آياتنا ) يعني : آيات القرآن ( بيّنات ) يقول : واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ( تعرّف في وجوه الذين كفروا المنكر ) يقول : تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها ، لسماهم بالقرآن . وقوله ( يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ) يقول : يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ، ويتلى عليهم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( يسطون ) قال أهل التأويل .



ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) يقول : يبطشون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) يقول : يقعون بمن ذكروهم .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) قال : يكادون يقعون بهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) قال : يبطشون كقار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) يقول : يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذاً .  
وقوله ( قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ) يقول : أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكفرون قراءتهم القرآن عليكم ، هي النار وعدّها الله الذين كفروا ، وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول : إن المشركين قالوا : والله إن محمداً وأصحابه لشر خلق الله ، فقال الله لهم : قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ، ورفعت النار على الابتداء ، ولأنها معرفة ، لاتصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة ، كما يقال : مررت برجلين : أخوك وأبوك ، ولو كانت مخفوضة كان جائزاً ، وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدّها ، وأنت تنوى بها الاتصال بما قبلها ، يقول تعالى ذكره : فهؤلاء هم أشرار الخلق ، لا محمد وأصحابه .  
وقوله ( وَيَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) يقول : وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسَاءَ لَهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا  
وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ اللَّهُ بَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)  
مَا نَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس جعل الله مثل ذكركم ، ومعنى ضرب في هذا الموضع : جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث ، بمعنى : جعل عليهم ، وضرب الجزية على النصراني ، بمعنى : جعل ذلك

عليهم ، والمثل : الشبيه ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعني بالشبه والمثل : الآلهة ، يقول : جعل لي المشركون والأصنام شبيها ، فعبدوها معي ، وأشركوها في عبادتي ، فاستمعوا له : يقول : فاستمعوا حال ماثلوه ، وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيها ، وصفته ( إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ) يقول : إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام ، لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته ، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه ، ولو اجتمع خلقه جميعها . والذباب واحد ، وجمعه في القلة أذبة ، وفي الكثير ذبان نظير غراب ، يجمع في القلة أغربة ، وفي الكثرة غربان .  
وقوله ( وإن يسئلبهم الذباب شيئا ) يقول : وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئا مما عليها من طيب ، وما أشبهه من شيء ، لا يستنقذوه منه : يقول : لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه .  
واختلف في معنى قوله ( ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ) فقال بعضهم : عُنِيَ بالطالب : الآلهة ، وبالْمَطْلُوبِ : الذباب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس ، في قوله ( ضَعْفَ الطَّالِبِ ) قال : آهتهم ( وَالْمَطْلُوبِ ) : الذباب .  
وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : ( ضَعْفَ الطَّالِبِ ) من بني آدم إلى الصنم حاجته ( وَالْمَطْلُوبِ ) إليه الصنم أن يعطى سائله من بني آدم ما سأله ، يقول : ضعف عن ذلك وعجز .  
والصراب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه : وعجز الطالب وهو الآلهة ، أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه ، وهو الطيب وما أشبهه ، والمطلوب : الذباب .  
وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك ، لأن ذلك في سياق الخبر ، عن الآلهة والذباب ، فإن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل ، أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع ، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية ، من ضعفها ومهانتها ، تقريرا منه بذلك عبثتها من مشركي قريش . يقول تعالى ذكره : كيف يجعل لي مثل في العبادة ، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب ، وإن أخذ له الذباب ، فسلبه شيئا عليه ، لم يقدر أن يمتنع منه ، ولا ينتصر ، وأنا الخالق ما في السموات والأرض ، ومالك جميع ذلك ، والحي من أردت ، والميت ما أردت ومن أردت ، إن فاعل ذلك لاشك أنه في غاية الجهل .  
وقوله ( ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) يقول : ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته ، حين أشركوا به غيره ، فلم يخلصوا له العبادة ، ولا عرفوه حق معرفته ، من قولهم : ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قصّر بحقه ، وهم يريدون تعظيمه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِن يَسْأَلِبَهُمُ الذُّبَابُ )



شَيْئًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله لآلهم ، وقرأ ( ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ، ولا يمنع منه .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاءُ ، مِنْ صَغِيرٍ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ وَكَبِيرٍ ) .  
عزيز : يقول : منيع في ملكه ، لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئاً ، وليس كآلتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه ؛ الذين لا يقدر على خلق ذباب ، ولا على الامتناع من الذباب ، إذا استلبها شيئاً ضعفاً ومهانة .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : الله يختار من الملائكة رسلاً كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ، ومن شاء من عباده ومن الناس ، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بنى آدم . ومعنى الكلام : الله يصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس أيضاً رسلاً : وقد قيل : إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون : أنزل عليه الذكر من بيننا ، فقال الله لهم : ذلك إلى ويدي دون خلقي ، اختار من شئت منهم للرسالة .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول : إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عنده ، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله ، من قبل أن يخلقهم . وما خلفهم : يقول : ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم . ( وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ) يقول : إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا ، وإليه تعود كما كان منه البدء .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْوَعْدِ وَالْحَقُّ بِكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧٧)

تَقْلِحُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ( اَوْفُوا بِالْوَعْدِ ) لله في صلواتكم ( وَاتَّقُوا اللَّهَ ) له فيها ( وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ) يقول : وذللوا لربكم ، وانضعوا له بالطاعة . ( وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ) الذي أمركم ربكم بفعله . ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا بذلك ، فتدركوا به طلبياتكم عند ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مَلَّةَ  
أَيِّكُمْ لِرَبِّهِمْ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا، لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ،  
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،

وختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) فقال بعضهم : معناه :  
وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن  
عبد الله بن عباس ، في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) كما جاهدتم أول مرة ، فقال عمر من أمر  
بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس ، فقال عمر : صدقت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تخافوا في الله لومة لائم ، قالوا : وذلك هو حق الجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) لا تخافوا في الله لومة لائم .  
وقال آخرون : معنى ذلك : اعملوا بالحق ، حق عمله ، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من  
في روايته نظر .

والمصواب من القول في ذلك : قول من قال : عني به الجهاد في سبيل الله ، لأن المعروف من الجهاد  
ذلك ، وهو الأغلب على قول القائل : جاهدت في الله ، وحق الجهاد : هو استفراغ الطاقة فيه .

وقوله ( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) يقول : هو اختاركم لدينه ، واصطفاكم لحرب أعدائه ، والجهاد في سبيله .  
وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله  
( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) قال : هو هداكم .

وقوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول تعالى ذكره : وما جعل عليكم ربكم  
في الدين الذي تعبدكم به من ضيق ، لا يخرج لكم مما ابتليتم به فيه ، بل وسع عليكم ، فجعل التوبة من  
بعض مخرجا ، والكنفارة من بعض ، والقصاص من بعض ، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين  
الإسلام مخرج .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد ، عن ابن شهاب ،



قال: سألت عبد الملك بن مروان على بن عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) فقال على بن عبد الله : الحرج : الضيق ، فجعل الله الكفارات مخترجا من ذلك ، سمعت ابن عباس يقول ذلك .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس يُسأل عن ( مَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) ، قال : ما هاهنا من هذيل أحد ، فقال رجل : نعم ، قال : ما تعدون الحرجة فيكم ؟ قال : الشئ الضيق ، قال ابن عباس : فهو كذلك . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس ، وذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال ابن عباس : أهاهنا أحد من هذيل ، فقال رجل : أنا ، فقال أيضا ما تعدون الحرج ، وسائر الحديث مثله .

حدثني عمران بن بكار الكنعاني ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا يحيى بن حمزة ، عن الحكم بن عبد الله ، قال : سمعت القاسم بن محمد يحدث ، عن عائشة ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال هو الضيق .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أبو خلدة ، قال : قال لي أبو العالية : أتدرى ما الحرج ؟ قلت : لا أدري ، قال : الضيق ، وقرأ هذه الآية ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عرف ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : من ضيق .

حدثنا عمرو بن بندق ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلدة ، قال : قال لي أبو العالية : هل تدري ما الحرج ؟ قلت لا ، قال : الضيق ، إن الله لم يضيّق عليكم ، لم يجعل عليكم في الدين من حرج . حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، عن القاسم أنه تلا هذه الآية ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : تدرون ما الحرج ؟ قال : الضيق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إذا تعاجم شيء من القرآن ، فانظروا في الشعر ، فإن الشعر عربي ، ثم دعا ابن عباس أعرابيا ، فقال : ما الحرج ؟ قال : الضيق ، قال : صدقت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : من ضيق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك ( مَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) من ضيق في أوقات فروضكم إذا التبت عليكم ، ولكنه قد وسع عليكم حتى تيسقنوا محلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال : هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس ، وفي الحج إذا شكوا في الهلال ، وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم ، وأشباهه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما جعل في الإسلام من ضيق ، بل وسعه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق ، هو واسع ، وهو مثل قوله في الأنعام (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) يقول : من أراد أن يضلّه يضيق عليه صدره ، حتى يجعل عليه الإسلام ضيقًا ، والإسلام واسع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) يقول : من ضيق ، يقول : جعل الدين واسعًا ، ولم يجعله ضيقًا . وقوله (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) نصب ملة بمعنى : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، بل وسعه ، كملة أبيكم ، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصب ، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها ، لأن الكلام قبله أمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزموا ملة أبيكم إبراهيم .  
وقوله (هُوَ تَبَّأَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا) يقول تعالى ذكره : سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (هُوَ تَبَّأَكُمْ الْمُسْلِمِينَ) يقول : الله سماكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء بن ابن أبي رباح ، أنه سمع ابن عباس يقول : الله سماكم المسلمين من قبل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعًا ، عن معمر ، عن قتادة (هُوَ تَبَّأَكُمْ الْمُسْلِمِينَ) قال : الله سماكم المسلمين من قبل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُوَ تَبَّأَكُمْ الْمُسْلِمِينَ) قال : الله سماكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاح يقول ، في قوله ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) يقول : الله سماكم المسلمين .  
وقال آخرون : بل معناه : إبراهيم سماكم المسلمين ، وقالوا : هو كناية من ذكر إبراهيم صلى الله عليه وسلم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قال :  
ألا ترى قول إبراهيم ( وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ) قال : هذا قول  
إبراهيم ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بالإيمان  
والإسلام جميعا ، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان ، ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك ، لأنه معلوم أن  
إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن ، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله تعالى ذكره  
( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) وفي هَذَا ( ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن ، وفي  
القرآن ، الله الذي لم يزل ولا يزال . وأما قوله ( مِنْ قَبْلُ ) فان معناه : من قبل نزول هذا القرآن  
في الكتب التي نزلت قبله ، وفي هذا يقول ( وَفِي هَذَا الْكِتَابِ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ )  
وفي هذا القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ( مِنْ  
قَبْلُ ) قال : في الكتب كلها والذكر ( وَفِي هَذَا ) يعني القرآن ، وقوله ( لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله  
وآياته ، من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة ، بأنه قد  
بلغكم ما أرسل به إليكم ، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين ، أنهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا  
به إليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
قَبْلُ ) قال : الله سماكم المسلمين من قبل ( وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ) بأنه بلغكم  
( وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) أن رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة . قال : أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه  
إلا نبي ، كان يقال للنبي : اذهب فليس عليك حرج ، وقال الله ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

مِنْ حَرَجٍ ) ، وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سل تعطه ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي ، كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : اذهب فليس عليك حَرَجٌ ، فقال الله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سَلْ تُعْطَ ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ، هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) .

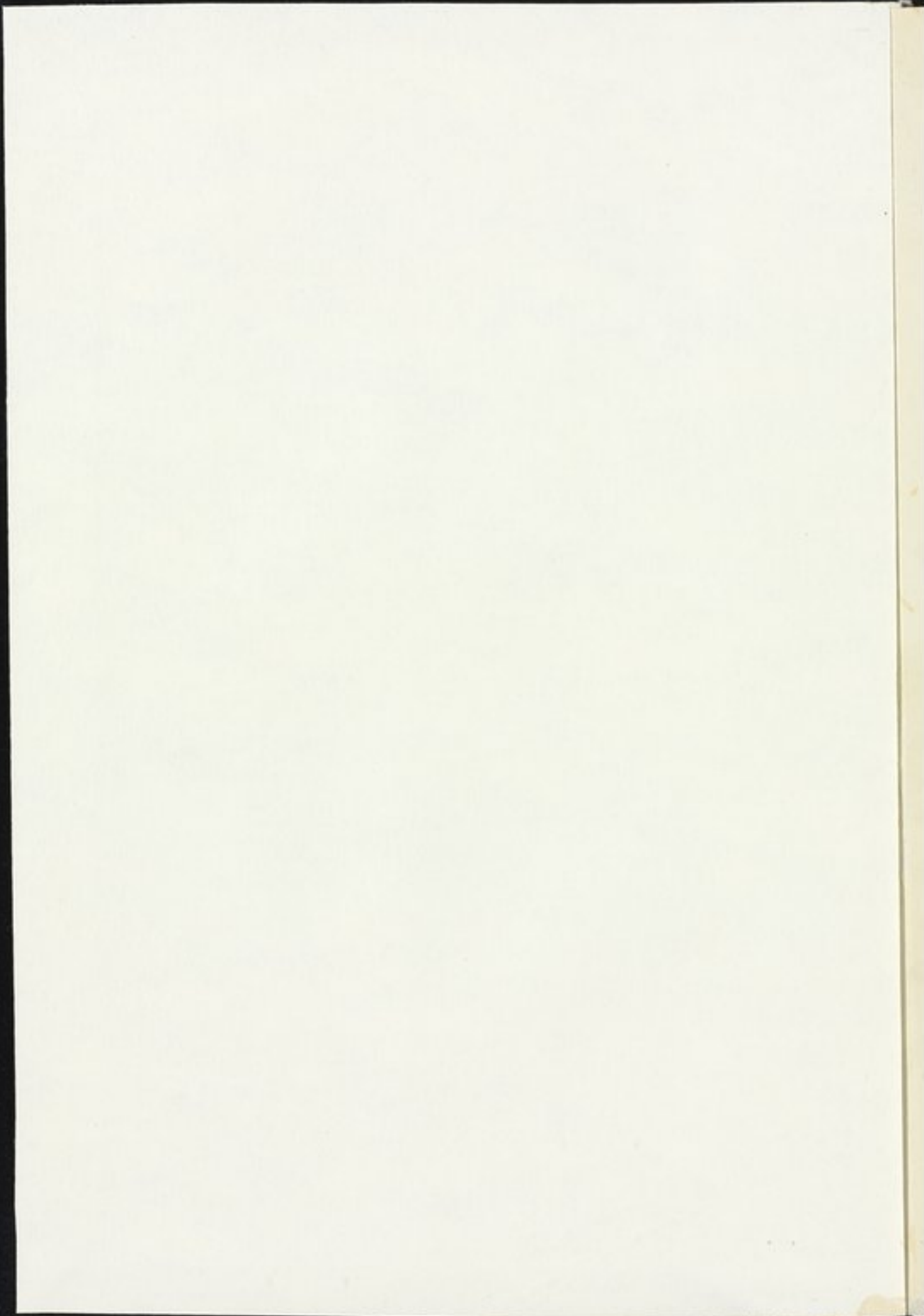
يعني تعالى ذكره بقوله ( فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) يقول : فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها ، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ( وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ) يقول : وثقوا بالله ، وتوكلوا عليه في أموركم ( فَنِعْمَ الْمَوْلَى ) يقول : فنعمة الولي الله لمن فعل ذلك منكم ، فأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، واعتصم به . ( وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) يقول : ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء .



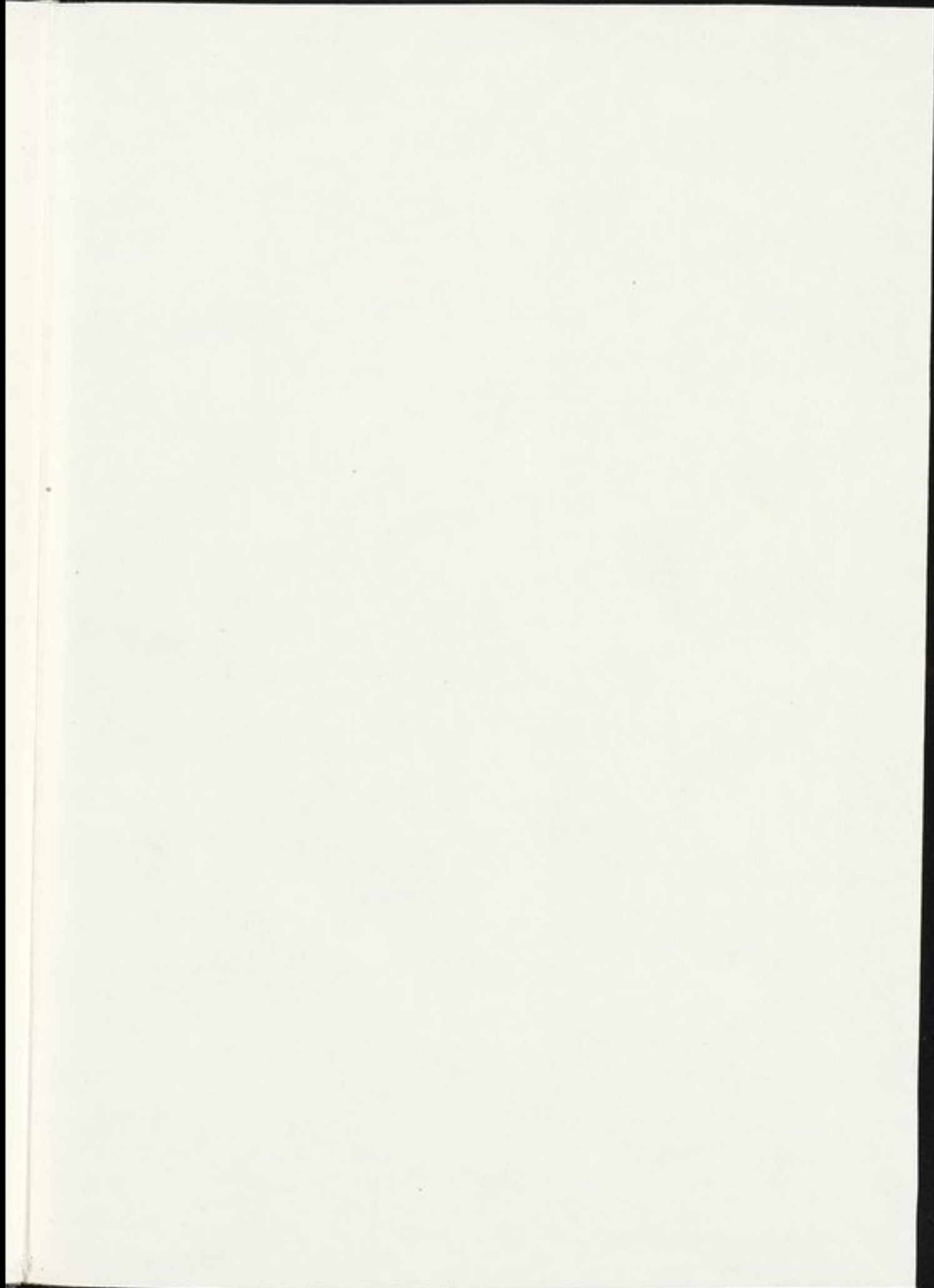
تمّ الجزء السابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه : الجزء الثامن عشر

وأوله : سورة المؤمنون







Columbia University Libraries



0022795545



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



